المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة



التقية عند الشيعة والخوارج وموقف أهل السنة منها

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد
أنس أحمد كرزون

بإشراف
الدكتور فاروق أحمد دسوقي

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

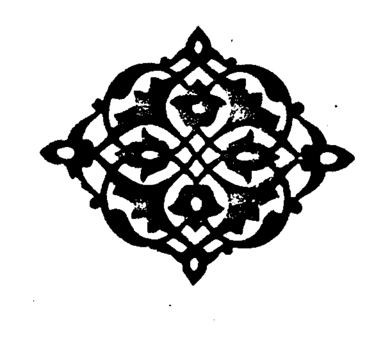
قال الله تعالى :

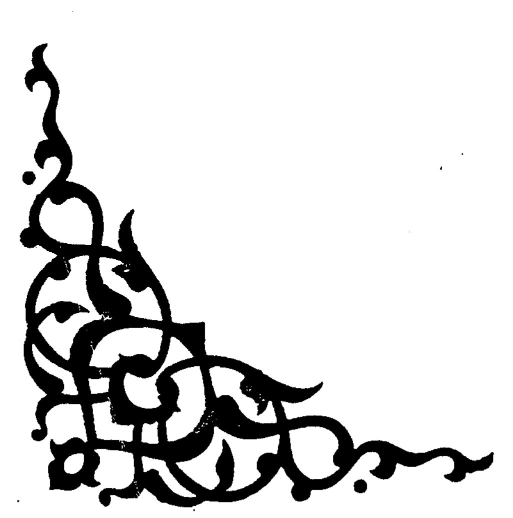
لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير

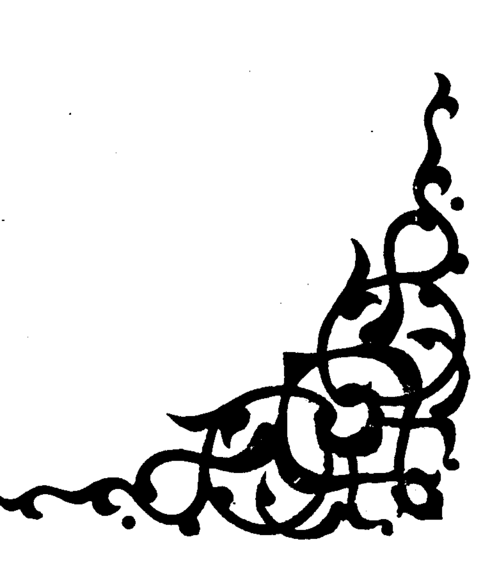
سورة آل عمران - ٢٨

من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم

سورة النحل - ١٠٦







المقدمة

الحمد لله الذى أعزنا بالاسلام ، وشرفنا ببعثة الرسول الاكرم عليه الصلاة والسلام، الذى أرسله ربه بشيراً ونذيراً ، وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً ، فهدى به من الضلالـــه، وأنقذ به من الجهالة ، وفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً . أما بعد :

فقد كان الصحابة الكرام والسلف الصالح النموذج الأمثل لتطبيق هذا الدين فى واقـــع الحياة، حينما بذلوا فى سبيل نصرته كل مايستطيعون ، وضحوا من أجل عزته بكل مايملكـــون ولم تعقهم عن دعوتهم الى الله المخاوف والاخطار ، ولم تزدهم المحن والشدائد الا ايمانـــا وصلابة ، وبذلك كانوا أهل قول الله سبحانه :

(الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنـــا الله ونعم الوكيل)(١)

ثم بدأ نور الايمان تضعف فى قلوب الناس ، وانساق كثير منهم وراء شهواتهم، حـــتى طمع الاعداء فيهم ، وأحاطوا بهم من كل جانب ليفتنوهم عن دينهم

فمنهم من صحا من غفوته ونذر نفسه لله ، ومنهم من ازداد ضعفاً على ضعف ، وهوانـــاً على هوان ، واصبح كما وصف الله سبحانه :

(فلما كُتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشَوْن الناس كخشية الله أو أشد خشية)(٢).

وتحول الايمان تدريجياً عند هؤلاء من نور يملأ قلوبهم الى كلمة تتردد على ألسنتهـــم ، وألفاظٍ لا أثر لها فى القلب ، ولا تطبيق لها في واقع الحياة ، ولذلك سُهل عليهم التخلـــى عن الدين عند أقل إيذاء ينالهم بسببه،وقد أخبر الله سبحانه عن أمثال هؤلاء ، فقال عزوجل :

(ومن الناس من يقول آمنا بالله ، فاذا أُوذي فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله)(٣)

ولكي يبرر هؤلاء لأنفسهم تخاذلهم ، ويتلمسوا العذر لما أصابهم من الوهن ، فإنهم قـــد

---

(١) سوره آل عمران / آيه ١٧٣

(٢) سورة النساء / آيه ٧٧

(٣) سورة العنكبوت / آية ١٠

سارعوا الى الادعاء بأن مايفعلونه من موالاة لاعداء الله وسير فى ركابهم وترك للفرائض . كل ذلك يجوز لهم تقية وحرصا على استبقاء أنفسهم .

وهكذا يتحول الانحراف السلوكى الى انحراف فكرى يدعمه ويؤيده ، وتصبح التقية ترسا يتترس به هؤلاء فى كل صغيرة وكبيرة .

واذا كان الانحراف فى مفهوم التقية ومجالاتها قد أصاب كثيرا من المسلمين اليوم ، فان هناك فرقة تعد من أكبر الفرق الاسلامية ، وهى الشيعة ، قد جعلت من هذا الانحراف فى مفهوم التقية أصلا من أصول مذهبها ، ودعمت انحرافها بروايات ادعت نسبتها لائمة أهل البيت ، وقد نشأ هذا الانحراف عند الشيعة مبكرا وصاحبها حتى العصر الحاضر ، وكان منفذا من منافذ الغلو الذى ازداد يوما بعد يوم تحت ستار التقية .

ومن هنا رأيت من واجبى أن أميط اللثام عن هذه العقيدة الخطيرة من عقائد الشيعة ، مع بيان موقف أهل السنة مما أقدم عليه الشيعة من انحرافات فى مفهوم التقية ومجالاتها .

كما دفعتنى الى الكتابه فى هذا البحث الاسباب التالية :

١ ـ أن هذا الموضوع لم يسبق أن تعرض له أحد من الباحثين ـ فيما أعلم ـ بدراسة مفصلة ومقارنة بين أهل السنة والشيعة ، مع اتخاذ منهج علمى يلتزم جانب الدين الحق ، ويناقش الاراء المنحرفة والسلوك الشاذ فى هذا المجال .

أما ماكتبه الشيعة فى التقية فانه يمثل وجهة نظرهم ، وهو ملئ بالمتناقضات والمغالطات ، وكثيرا مايعتمد على تأويلات باطلة وتحريفات خطيرة للنصوص الشرعية .

وأما علماء أهل السنة فانهم لم يبحثوا هذا الموضوع تفصيليا ، وخاصة الاقدمون منهم ، وذلك لعدم مرورهم بما يشعرهم بضرورة البحث فيه ، ولذلك لم ترد الا نصوص قليلة عن بعض الصحابة والتابعين فى ذكر أحكام التقية وضوابطها الشرعية .

وقد أفرد بعض فقهاء أهل السنة فى كتبهم بابا لذلك سموه باب الاكراه ، ولكن أبرز ما اهتموا به الاكراه على الطلاق والبيع والهبة وغيرها من المباحات التى لا صلة لها بالتقية ، ومنشأ هذا الاهتمام هو أن المجتمع الاسلامى الذى عاشوا فيه وجدت فيه

بعض حالات الاكراه على المباحات ، وهذا لايخلو منه مجتمع ، أما الاكراه على المحرمات فلم يكن له وجود بينهم الا نادرا .

٢ ـ وما دفعني للكتابة في هذا البحث وبيان موقف أهل السنة من التقية ، مايعانيه كثير من المسلمين اليوم من القهر والاستبداد وتسلط الاعداء عليهم لاذلالهم واخراجهم عن دينهم بالبطش والاكراه ، ولذلك اشتدت حاجة المسلمين في هذا الجو المظلم المكفهر الى معرفة أحكام التقية وضوابطها الشرعية ومتى يجوز لهم الاخذ بها ومتى لا يجوز .

٣ ـ كما أن الذى استرعى انتباهي ان المسلمين في الاندلس عندما اكرهوا على الكفر واضطروا لاستخدام التقية لفترة طويلة ، تحولت ذريتهم الى الكفر وانعدم الوجود الاسلامي خلال قرن من الزمان في بقعة كانت عامرة بالمسلمين ، وكانت مصدر اشعاع حضارى لمختلف الامم .

وهذا الدرس التاريخي جدير بالتأمل طويلا ، وحرى بالمسلمين أن يستفيدوا منه العبر وهم يتعرضون اليوم في كثير من بلاد العالم لحملات الابادة والتنصير والالحاد .

من أجل ذلك كله سارعت الى الكتابة في هذا الموضوع المهم ، معتقدا أنه يجب على الباحثين الذين يكتبون بحوثا علميه أن يضعوا في حسابهم انتفاع الناس بما يكتبون ، لا أن تبقى بحوثهم حبيسة أرفف المكتبات لعدم شعور القراء بحاجتهم اليها .

وسأنهج في هذا البحث المنهج التالي :

١ ـ سبقأجعل الحديث عن موقف أهل السنة من التقية في الباب الاول من البحث ليكون مقياسا وحكما لما سأعرضه بعد ذلك من انحرافات الشيعه والخوارج في مفهوم التقية.

٢ ـ سأحاول في معظم الاحيان أن أعرض أقوال العلماء بنصها لتكون دليلا حيا يمثل مواقف قائليها بصورة دقيقة ، وهذا ـ كما أرى ـ أدق في معرفة وجهات نظر هؤلاء العلماء من تلخيص أقوالهم والتصرف في ألفاظها .

٣ ـ وسأحاول جاهداً أن أعرض عقائد الشيعه وآراءهم بالرجوع الى مصادرهم الاصلية وكتبهم

المعتمدة قدر المستطاع ، وقد رجعت الى قرابة مائة مصدر ومرجع من كتب الشيعة الاماميه والباطنية .

ولكى يتبين للقارئ مكانه هذه المصادر عندهم ومنزلة مؤلفيها وتوثيقهم لهم ، فاننى اكثرت من الحواشى التى تبرز أقوالهم فى الثناء على هذه الكتب ومؤلفيها ، وهذا مادعانى الى التوسع فى الترجمة لعلماء الشيعه اكثر من الترجمة لعلماء أهل السنة.

٤ ـ وكما اننى سأترجم لمعظم علماء أهل السنه والشيعة الذين استعرضت أقوالهم فيما يتعلق بالتقية ، فاننى كذلك قد ترجمت لكثير من الصحابة الكرام رضى الله عنهم ترجمة موجزة كان من أبرز أهدافها اثبات فضلهم وابراز مكانتهم وسبقهم الى الاسلام ليكون ذلك ردا على مطاعن الشيعة فيهم .

٥ ـ أما بالنسبة للخوارج فاننى سأحرص على ابراز موقفهم من التقية ، مع أن المعروف عنهم تحريمها مطلقا وعدم الاخذ بها ، والواقع أن هذا لا يشملهم جميعا ، وانما هو قول بعضهم ، ومع ذلك سأبرز قولهم فى تحريم التقية مع قول الشيعة فى وجوبها والتوسع بها ، لتظهر وسطية الاسلام الحق ، لان كلا الموقفين يخالف الفطرة وينافى روح التشريع الاسلامى .

ويطيب لي في نهاية هذه المقدمة أن أعرض فيما يلى مخططا اجماليا لهذا البحث يعطى للقارئ تصوراً عاماً عن موضوعاته .

المخطط الاجمالى للبحث :

---

* قسمت البحث الى ثلاثة أبواب ، تحدثت في الباب الأول عن موقف أهل السنة من التقية ، وهو الموقف الذى يمثل النظرة الاسلامية الصحيحة الخالية من الافراط والتفريط .

وقسمت هذا الباب الى ستة فصول :

- تحدثت في الفصل الأول عن الأصول العامة لحكم الاسلام في التقية ، وهي المفاهيم الاسلامية التى تتصل بموضوع التقية اتصالاً وثيقاً ، وتشمل : الولاء والبراء، وحقيقة الابتلاء ، والصراع بين الحق والباطل .
- وفى الفصل الثانى شرعت في الحديث عن موقف أهل السنة من التقية ، وابتدأت بتعريف التقية والأدلة على جوازها وأقوال العلماء في ذلك .
- أما الفصل الثالث فقد انتقلت فيه الى الحديث عن الاكراه فبدأت بتعريفه وذكر شروطه وأقسامه ، ثم تناولت بالبحث حد الاكراه الذى يجوز معه استخدام التقية ، وما نص عليه أهل السنه من ضوابط وشروط لجواز استخدام التقية .
- ثم انتقلت الى الفصل الرابع فاستعرضت فيه أحكام التقية ومتى يجوز استخدامها ومتى لا يجوز ، وفصلت القول في أبرز حالات استخدام التقية متمثلة في : التقية في الأقوال ، والفتوى ، وكتمان ما يجب اظهاره ، والتقية في الافعال .
- وفي الفصل الخامس أبرزت الفوارق التى تميز بين التقية وبين ما يشبهها من الأقوال والافعال الأخرى كالمداراة والمداهنة والمعاريض والخدعة في الحرب .
- وختمت حديثى في موضوع أهل السنة بالفصل السادس الذى خصصته لدراسة أثر التقية في المجتمع الاسلامى وعرضت فيه بعض الصور التطبيقية لاستخدام التقية في المجتمعات الاسلامية التى أُكرهت على الكفر كالأندلس والاتحاد السوفيتى ، كما تحدثت عن واقع التقية في المجتمع الاسلامى المعاصر .

* أما الباب الثانى فقد كان خاصاً للحديث عن التقية عند الشيعة ، وقسمته الى سبعة فصول :

- تحدثت في الفصل الأول عن التعريف بالشيعة وفرقهم ومجمل عقائدهم .
- وانتقلت في الفصل الثانى للحديث عن تعريف التقية عند الشيعة الامامية وماأوردوه من روايات استدلوا بها على غلوهم وانحرافهم ، وما نصوا عليه من أحكام التقية .
- وفي الفصل الثالث تحدثت عن استخدامهم التقية في كتمان عقائدهم المنحرفة ، وهذا من أبرز مجالات التقية عندهم ، وكان لزاما على هنا أن أؤكد على ثبوت هذه

العقائد التى يحرصون على كتمانها واخفائها ، ليكون هذا الثبوت دليلاً على تمسكهم بالتقية في اخفائها .

- كما انتقلت في الفصل الرابع الى الحديث عن مجالين آخرين من مجالات التقية عندهم ، وهما مجالا التقية في الرواية والفقه ، وناقشت ما وقع فيه الشيعة من انحراف خطير باستخدامهم التقية في هذين المجالين .

- وفي الفصل الخامس تحدثت عن مجال رابع من مجالات استخدامهم للتقية ، وهو تفسيرهم لبعض المواقف التاريخية التى تعارض آراءهم بأنها كانت تقية .

- ثم استعرضت في الفصل السادس الآثار السيئة للتقية الشيعية ، كما أفردت مبحثا للحديث عن أثر التقية الشيعية على دعوى التقريب بين السنة والشيعة .

- وختمت هذا الباب بالفصل السابع الذى خصصته للحديث عن التقية عند الشيعة الباطنة ، مبتدئا بتعريف موجز بعقائد الباطنية وأشهر فرقهم واجماع العلماء على كفرهم .

* أما الباب الثالث فقد تحدثت فيه عن التقية عند الخوارج وقسمته الى فصلين :

- تحدثت في الفصل الأول عن نشأة الخوارج وأشهر فرقهم وأبرز عقائدهم .

- وعرضت في الفصل الثانى لاختلافاتهم في التقية بين مانع لها ومجيز لاستخدامها ، ثم أفردت مبحثاً لاستعراض أحكام التقية عند أشهر فرق الخوارج التى تجيزها وهى الاباضية ، على اعتبار أن لهذه الفرقة وجود حتى الآن ولها مصادرها ومؤلفاتها في مختلف أقسام العلوم الاسلامية .

* وختمت هذا البحث باستعراض أبرز النتائج التى توصلت اليها مع بعض التوصيات والاقتراحات .

ولا يفوتنى في ختام هذه المقدمة أن أتقدم بالشكر الجزيل الى فضيلة استاذى الدكتور فاروق أحمد دسوقى المشرف على البحث على الآفاق الجديدة التى فتحها أمامى وما بذله من وقته وجهده ، وعلى ما أولانى من رعاية واهتمام حتى وصل هذا البحث الى الصورة المشرفة التى نراها الآن .

وأتوجه بالشكر الى مشرفي السابق فضيلة الدكتور عبدالعزيز عبيد على توجيهاته القيمة ورعايته الطيبة .

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر الى جامعة أم القرى ادارة ومدرسين على اتاحتهم لى فرصة الدراسة فيها ، وما بذلوه من رعاية كريمة مكنتنى من تحقيق هـذا الانجاز العلمى المهم ، وأخص بالشكر مديرها الفاضل استاذى معالى الدكتور راشد الراجح ، سائلا المولى عز وجل أن يحقق في هذا البحث ما نصبوا اليه من توجيه لمسار الدعاة الى الله ، وتصحيح للمفاهيم والافكار المنحرفة ، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، ويثيب كل من ساهم في تقديم العون والارشاد خلال السنوات التى قضيتها في اعداد هذه الرسالة ، كما أرجوه سبحانه أن يغفر لى ما بدر مني من هفوات وزلل ، انه ولي التوفيق .



(١)

الباب الأول
موقف أهل السنة من التقية

وفيه ستة فصول :

الفصل الأول : الأصول العامة لحكم الإسلام في التقية

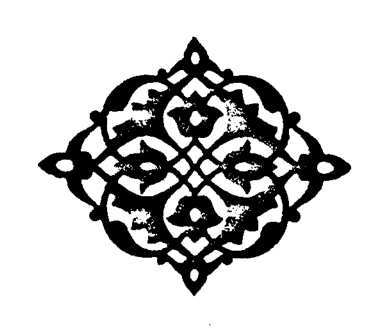
الفصل الثاني : تعريف التقية والأدلة على جوازها

الفصل الثالث : التقية والإكراه

الفصل الرابع : أحكام التقية

الفصل الخامس : التفريق بين التقية وغيرها

الفصل السادس : أثر التقية في المجتمع الإسلامي



توطئة

أهل السنة لقب يطلق على جمهور المسلمين ممن عصمه الله من الفتن ، ولم يشذ عن جسم الامة الاسلامية كما شذ الخوارج والشيعة وغيرهم من الفرق المبتدعة، وانما تمسكوا بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين المهديين رضى الله عنهم .

وقد قال الامام ابن حزم فى وصفهم :

(هم الصحابة رضى الله عنهم ، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمة الله عليهم ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً الى يومنا هذا ، ومن اقتدى بهم من العوام فى شرق الأرض وغربها)(١)

وقال شارح الطحاوية :

(هم الصحابة رضي الله عنهم والتابعون لهم باحسان الى يوم الدين)(٢)

وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين روى الترمذى عن العرباض بن سارية قال : (وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغه ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ،

فقال رجل : إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يارسول الله ؟

قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وان عبد حبشي ، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً ، واياكم ومحدثات الأمور فانها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضّوا عليها بالنواجذ)(٣)

---

(١) الفصل فى الملل والاهواء والنحل ٢/١١٣

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص/ ٤٣٠

(٣) رواه الترمزى فى سننه ٥/٤٤ رقم ٢٦٧٦ باب : ماجاء فى الاخذ بالسنة واجتناب البدع وقال : هذا حديث حسن صحيح . ورواه أبو داود ٥/١٣-١٥ رقم ٤٦٠٧

ولذلك كان التمسك بسنة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم مما أمر به الاسلام وحض عليه ولكن بعض الفرق الاسلامية طعنت فيهم وشذت عن هديهم وابتدعت فى الدين ماليس فيه وبقي أهل السنة ملتزمين بما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم، ينظرون الى جيل الصحابة الكرام رضى الله عنهم نظرة إجلال وتكريم .

والفرق المبتدعة التى انحرفت عن طريق الحق، اتخذت لنفسها عقائد باطلة وكانت تقابل البدعة بالبدعة، والافراط بالتفريط .

وهذا ماسنراه فى حديثنا عن التقية وبيان موقف أهل السنة الذي يمثل الموقف الحق بين غلو الشيعة من جهة وتشديد بعض الخوارج من جهة اخرى .

وسنلقى فى هذا الباب الضوء على موقف أهل السنة من التقية وأحكامها وضوابطها الشرعية، أما المواقف التفصيلية لاهل السنة من الانحرافات التى وقع بها الشيعة فى مفهوم التقية ومجالاتها واحكامها فهذا ماسنراه باذن الله فى الباب الثانى .

الفصل الأول
الأصول العامة لحكم الإسلام في التقية

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الاول : الولاء والبراء في الاسلام

صور ومظاهر الولاء والبراء : ١ - المفاصلة في أمر الالوهية

٢ - الذلة للمؤمنين والعزة على الكافرين

٣ - الحب في الله والبغض في الله

٤ - التحاكم الى شرع الله ورفض التحاكم الى الطاغوت

٥ - عدم الركون الى الكافرين أو مداهنتهم على حساب الدين

صور لا تدخل في مسمى الولاء : ١ - البر والعدل

٢ - البيع والشراء

٣ - الانتفاع بعلومهم وما عندهم

المبحث الثاني : حقيقة الابتلاء

الحكمة منه : ١ - تطهير الصف المؤمن من أدعياء الايمان

٢ - تربية المؤمنين وتمحيص ما في قلوبهم

٣ - زيادة حسناتهم ومقامهم عند الله

المبحث الثالث : الصراع بين الحق والباطل :

موقف المسلم من هذا الصراع : أولاً - الجهاد

ثانياً - الهجرة

ثالثاً - الصبر وتحمل الاذى

المبحث الأول

الولاء والبراء في الإسلام

إن من لوازم عقيدة التوحيد : الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين ، والبراء من الكفر بكافة صوره وأشكاله ، وهي مفاصلة حاسمة بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .

قال تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتول اللهَ ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون)(١)

والوَلاية (بفتح الواو) ضد العداوة(٢)

وهي :(النصرة والمحبة والاكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً وباطناً)(٣)

والبراء : هو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار)(٤)

ولقد حذرنا ربنا سبحانه من الولاء للكافرين واتخاذهم أعواناً وأنصاراً

قال تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ الا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه والى الله المصير)(٥)

وتتضمن هذه الآية الكريمة الوعيد الشديد لمن اتخذ الكفار أولياء يحبهم ويركن اليهم ويناصرهم ، مع أن الواجب على المسلم أن يتبرأ منهم ويعاديهم .

قال سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم ، قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور)(٦)

فلا يجوز للمؤمن أن يواليَ من حادَّ الله ورسوله ويظهر الود لكافر " لان نفس الايمان ينافي موادته كما ينفي أحد الضدين الآخر، فاذا وُجد الايمان انتفى ضده، وهو موالاة أعداء الله ، فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه، كان ذلك دليلاً على

---

(١) سورة المائدة / آية ٥٥ - ٥٦

(٢) أما (الوِلاية) بكسر الواو فهي الإمارة . انظر: المعجم الوسيط ٢/١٠٥٨

(٣) (٤) الولاء والبراء في الاسلام - محمد سعيد القحطاني - ص/ ٩٢ الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - دار طيبة بالرياض

(٥) سورة آل عمران / آية ٢٨

(٦) سورة الممتحنه / آية ١٣

أن قلبه ليس فيه الايمان الواجب .[١]

قال تعالى (لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون)[٢]

وهذا إخبار من الله سبحانه أن إيمان المؤمنين يفسد بموادّة الكافرين ، لأن من أحب أحداً لايحب عدوه ومن مال بقلبه إلى عقائد الكفار لا يمكن أن يتصف بالايمان والمحبة لله ورسوله .

وهناك صور ومظاهر كثيرة للولاء والبراء أهمها[٣] :

١ - المفاصلة في أمر الألوهية :

وذلك بالولاء الكامل لعقيدة التوحيد والبراءة الكاملة من الشرك وأهله فالتوحيد منهج ، والشرك منهج آخر . . لايلتقيان ، والفارق بينهما بعيد . . فلا ترقيع ، ولا أنصاف حلول ولا التقاء في منتصف الطريق . وقد قال تعالى في بيان هذه الحقيقة المهمة : (قل ياأيها الكافرون ، لاأعبد ماتعبدون ، ولاأنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ماعبدتم ولاأنتم عابدون ماأعبد ، لكم دينكم وليَ دين)[٤]

فالمسلم لا يملك أن يسايرهم خطوة واحدة في طريقهم ، وانما وظيفته أن يرشدهم

(١) كتاب (الايمان) لشيخ الاسلام ابن تيمية - ص/ ١٣ - الطبعة الثالثة - المكتب الاسلامي .

(٢) سورة المجادلة / آية ٢٢

(٣) استفدت في هذا الموضوع من رسالة : (أوثق عرى الايمان) للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله ، ضمن كتاب (مجموعة التوحيد) ص/ ٣٧٢ ومابعدها. وكتاب (الولاء والبراء في الاسلام) للقحطاني ص/ ٢٣٣ ومابعدها . ولكني عرضت صور الولاء هنا بطريقة أخرى رأيتها أقرب للاختصار.

(٤) سورة الكافرون / الايات ١ - ٦

الى طريقه هو، بلا مداهنة ، ولا نزولٍ عن قليل مِن دينه أو كثير.[١]

وليس من شأن المسلم أن يميل إلى العقائد الباطلة أو يرغب فيها وانما عليه أن ينبذها ويكرهها .

قال تعالى :

(ولكن الله حبّبَ إليكم الايمان وزيّنَهُ فى قلوبكم ، وَكَرَّهَ اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون)[٢]

وقال صلى الله عليه وسلم (ثلاث مَنْ كُنَّ فيه وجد بهن حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لايحبه الا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف فى النار).[٣]

ومن مقتضيات هذه المفاصلة أن يعتز المسلم بدينه ولا يرضى الدنيَّة والهوان.كما قال عمر رضي الله عنه (إنا كنا أذلَّ قوم فأعزَّنا الله بالاسلام فمهما نطلب العزَّ بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله)[٤]

٢ ـ الذلــة للمؤمنين والعزة على الكافرين :

الواجب على المؤمن أن يقيم مشاعره وعواطفه على أساس عقيدته فيلين لاخوانه فـي العقيدة ، ويشتد على أعدائه ويستعلي عليهم بإباء .

" انها ليست العزة للذات ، ولا الاستعلاء للنفس ، وانما هي العزة للعقيدة ، والاستعلاء للراية التي يقفون تحتها فى مواجهة الكافرين ، إنها الثقة بأن مامعهم هو الخير . . . والثقة بغلبة دين الله على دين الهوى "[٥]

---

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب ٦/٣٩٩٢ ـ الطبعة السابعة ـ ١٣٩٨هـ دار الشروق

(٢) سورة الحجرات / آية ٧

(٣) صحيح البخاري للامام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)ـ ج ١/١٢ كتاب الإيمان ـ باب حلاوة الإيمان .

(٤) رواه الامام الحاكم (أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابورى ـ ت ٤٠٥هـ) فـي كتابه (المستدرك على الصحيحين)ـ كتاب الايمان ١/٦٢ وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبى

(٥) في ظلال القرآن ٢/٩١٩

قال تعالى : (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين) (١) .

وقال سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) (٢)

وقال سبحانه : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) (٣)

فالعزة من أبرز صفات المؤمنين " العزة المستمدة من عزته تعالى . العزة التي لا تهون ولا تهن ، ولا تنحني ولا تلين ، ولا تزايل القلب المؤمن في أحرج اللحظات إلا أن يتضعضع فيه الايمان ، فاذا استقر الايمان ورسخ فالعزة معه مستقرة راسخة " (٤)

قال تعالى : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون) (٥)

فالمؤمن يخفض جناحه لإخوانه المؤمنين ويتواضع لهم ، ويستعلي على الكافرين ولا يرضى أن يذلّ لهم .

وهذا مظهر سلوكي من مظاهر الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين .

٣ ـ الحب في الله والبغض في الله :

ومن أوثق عرى الايمان أن يحب المؤمن إخوانه في الله ، ويكره الكافرين ويبغضهم لكفرهم. روى الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (أوثق عرى الايمان الموالاة في الله والمعاداة في الله ، والحب في الله والبغض في الله) (٦)

---

(١) سورة آل عمران / آية ١٣٩

(٢) سورة المائدة / آية ٥٤

(٣) سورة الفتح / آية ٢٩

(٤) في ظلال القرآن ٦ / ٣٥٨٠

(٥) سورة المنافقون / آية ٨

(٦) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للامام نورالدين الهيثمي (ت٨٠٧هـ) ـ ١/ ٩٤ وقد ذكره الامام السيوطي في كتابه الجامع الصغير (انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير للامام : (عبد الرؤف المناوي) ٣/ ٦٩ =

فينبغي للمؤمن أن يُظهر العداوة للكافرين وأن لا يكون في قلبه أى مودة أو حبٍ لهم.

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تُلقون اليهم بالمودة، وقد كفروا بما جاءكم من الحق)(١)

وقال سبحانه : (قد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده)(٢)

فالهدي الاسلامي يقطع الوشائج والصلات التي لا تقوم على أساس العقيدة والعمل فلا يمكن أن تكون هناك رابطة محبة وود بين مؤمن وكافر مهما تعددت روابط النسب والوطن واللغة والجنس لأن رابطة العقيدة تعلو كل الروابط وهى الوشيجة الفريدة التي يجتمع عليها الناس فى هذا الدين

٤ ـ التحاكم الى شرع الله ورفض التحاكم الى الطاغوت :

قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما)(٣)

فلا يمكن أن يتحقق الولاء لله ورسوله حتى يرضى المؤمن بحكم الله ويطمئن به ، ويرفض حكم الطاغوت ، ويبرأ منه .

قال تعالى : (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون)(٤)

وأيُ ميل لحكم الجاهلية وقوانينها يعتبر ولاء لها ، ولا يمكن لمؤمن أن يحب قوانين الكفر أو يفضِّل بعضها على حكم الله سبحانه ، أو يعتقد صلاحها أكثر من شرع الله ، أو مساويه أو يؤمن ببعض مذاهبها الباطلة كالشيوعية والاشتراكية والديمقراطية والعلمانية وغيرها

= وقال الألباني : حديث حسن (انظر : صحيح الجامع الصغير ٢ / ٣٤٣)

(١) سورة الممتحنة / آية ١

(٢) سورة الممتحنة / آية ٤

(٣) سورة النساء / آية ٦٥

(٤) سورة المائدة / آية ٥٠

وهذه الصور من صور موالاة الكفار وقع فيها كثير من المنتسبين إلى الاسلام اليوم ممن يريد تطبيق هذه المبادئ الكافره في بلاد المسلمين لتحل محل شرع الله .(١)

(ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً)(٢)

٥ - عدم الركون الى الكافرين أو مجاملتهم ومداهنتهم على حساب الدين :

قال تعالى (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تُنصرون)(٣)

والركون(٤) إليهم : هو الاستناد والاعتماد عليهم والاستعانة بهم والرضا بأعمالهم ومداهنتهم(٥)

قال تعالى : (ودوا لو تُدهن فيدهنون)(٦)

ويدخل في هذا المجال عدم طاعتهم فيما يأمرون به

قال تعالى : (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فُرطا)(٧)

وعدم استئمانهم وتوليتهم أمراً من أمور المسلمين لئلا يكون ذلك إعزازاً لهم وفرصة للتحكم في رقاب المسلمين.وكيف نأمنهم وهم أهل الغدر والخيانه ؟ (لا يرقُبون في مؤمن

(١) راجع الولاء والبراء في الاسلام للقحطاني - ص/ ٢٣٩

(٢) سورة النساء / آيه ٥١

(٣) سورة هود / آية ١١٣

(٤) الركون مشتق من ركن الشيئ وهو جانبه الأقوى ، وكل مايقوى به الشيئ فهو ركن ، فالركون الى الشيئ هو الميل القوى الذى تسكن به النفس وتطمئن وتعتز، وهو يأوى الى ركن شديد : أي عز ومنعه (الصحاح للجوهري ٥/ ٢١٢٦)

(٥) راجع تفسير ابن كثير ٢ / ٤٦١

(٦) سورة القلم / آية ٩

(٧) سورة الكهف / آية ٢٨

إلاّ ولا ذمة)[١] . وكيف نواليهم ونسلطهم علينا فنخالف حكم الله فيهم (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً)[٢] . وكيف نتخذهم بطانة[٣] ونجعلهم من خواصنا ونطلعهم على أمورنا وقد نهانا الله عن ذلك ؟

(يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تُخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الايات إن كنتم تعقلون)[٤]

قال الامام الجصّاص:[٥] (نهى الله المؤمنين أن يتخذوا أهل الكفر بطانة من دون المؤمنين ، وأن يستعينوا بهم في خواص أمورهم ، وأخبر عن ضمائرهم فقال : " لا يألونكم خبالاً " يعني : لا يُقصّرون فيما يجدون السبيل إليه من إفساد أموركم ، لأن الخبال هو الفساد ، ثم قال : " ودوا ماعنتم " قال السدي : ودوا ضلالكم عن دينكم)[٦] .

فلا يجوز أن نفتح لهم صدورنا وقلوبنا ونثق بهم وقد امتلأت قلوبهم غيظاً وحقداً علينا، مهما تظاهروا لنا بالود والحب . .

(وإذا لقوكم قالوا : آمنا ، وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ)[٧]

وإذا كان هذا حالهم وتلك حقيقتهم فكيف نواليهم ونتخذهم أعواناً وأنصاراً أو نرضى بأعمالهم ونتشبه بهم ؟ (ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين)[٨]

---

(١) سورة التوبه / آية ١٠

(٢) سورة النساء / آية ١٤١

(٣) بطانة الرجل : وليجته ، وأبطنت الرجل : اذا جعلته من خواصك
(الصحاح ٥/٢٠٧٩)

(٤) سورة آل عمران / آية ١١٨

(٥) هو أحمد بن علي الرازى الجصاص، من أئمة الحنفية في بغداد ، ولد سنة ٣٠٥هـ وتوفي سنة ٣٧٠هـ.من أبرز كتبه (أحكام القرآن).راجع: الأعلام ١/ ١٧١

(٦) أحكام القرآن للامام الجصاص - ٢/ ٣٦ دار الكتاب العربي - بيروت

(٧) سورة آل عمران / آية ١١٩

(٨) سورة المائدة / آية ٥١

الحكم فى صور موالاة الكفار :

الصور السابقة التى تتحدث عن موالاة الكفار تتفاوت فى كون فاعلها خارجاً عن الملة كافراً بفعلها أو ليس كافراً وإنما مرتكباً لكبيرة من الكبائر

لأن (مسمى الموالاه يقع على شعب متفاوته منها مايوجب الردة . . ومنها ماهـو دون ذلك من الكبائر والمحرمات)[١]

والحكم فى ذلك يعود إلى النية والقصد من الفعل فمن أظهر البشاشة لكافـر والاحترام له معتقداً أن عقيدته أفضل من عقيدة المسلمين فقد كفر وأما إذا لم يعتقـد ذلك فلا يكفر فالعبرة للنية : قال صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات ، وانمـا لكل امرئ مانوى)[٢]

---

(١) الرسائل المفيدة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ / ص ٤٣ ـ نقلا عن الولاء ص/ ٢٣٣ .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه ١/ ٦ عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه في كتاب بدء الوحي ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة ٦/ ٤٨

صور لا تدخل في مسمى الموالاة :

هناك بعض الحالات التي لم يحرمها الاسلام ولم تعتبر من الموالاة للكفار، أهمها[1] :

١ - البر والعدل :

قال تعالى : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين)[2]

قال الامام الطبري[3] رحمه الله في تفسير هذه الاية :

(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم . . فالآية عامة في جميع مَنْ كان ذلك صفته)[4]

روى البخاري بسنده عن أسماء رضي الله عنها قالت : قدمتْ عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : إن أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصل أمي ؟ قال : (نعم صِلي أمك)[5]

قال الامام ابن حجر[6] : (البر والصلة والاحسان لا يستلزم التحابب والتوادد المنهي عنه)[7]

---

(١) راجع : الولاء والبراء في الاسلام ص/ ٣٥٢ وما بعدها

(٢) سورة الممتحنة / آية ٨

(٣) هو الامام محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، أبو جعفر ، المؤرخ المفسر ، ولد في آمل طبرستان عام ٢٢٤ هـ واستوطن بغداد وتوفي فيها عام ٣١٠ هـ له كتب كثيرة أبرزها : أخبار الرسل والملوك (المعروف بتاريخ الطبري) ، وجامع البيان (تفسير الطبري) ، واختلاف الفقهاء وغير ذلك . (راجع: الاعلام ٦٩/٦)

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن / للامام ابن جرير الطبري - ٤ / ٦٦

(٥) صحيح البخاري ٢ / ٩٦ كتاب الهبة ، باب الهدية للمشركين

(٦) هو الامام أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ، أبو الفضل ، شهاب الدين ، ابن حجر من أئمة العلم ، أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة ، ولد سنة ٧٧٣ هـ وتوفي سنة ٨٥٢ هـ ، وقد أقبل على علم الحديث وعلت شهرته ، وله كتب كثيرة أبرزها : لسان الميزان، وفتح الباري، والدرر الكامنة، والاصابة . . وغيرها .
(الاعلام ١٧٨/١)

(٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري للامام ابن حجر العسقلاني - ٥ / ٢٣٣ طبع دار الفكر .

وذلك لأن الأفعال الأولى المسموح بها من أفعال الجوارح وأما الافعال الثانية المنهي عنها فهي من أفعال القلوب .

وقد قال الله تعالى في شأن الوالدَيْن الكافرَيْن :

(وإن جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا) (١)

ومما يدخل في بر الكافر عيادتُه إذا كان مريضاً ، فهذا لا يدخل في الولاء المحرم مادام لا يؤدي الى ذلةِ المسلم أمامه .

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : (كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده ، فقعد عند رأسه فقال له : أسلم فنظر الى أبيه وهو عنده فقال له : أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم . فأسلم . فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : (الحمد لله الذي أنقذه من النار) (٢)

فعيادة المريض الكافر مشروعة وخاصة إذا طمع في دخوله في الاسلام (٣)

٢ - البيع والشراء :

روى البخاري عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال : (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء رجل مشرك مشعانٌ (٤) طويل بغنم يسوقها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بيعاً أم عطية ، أو قال : أم هبه ؟ فقال :لا ، بيع فاشترى منه شاة) (٥)

فالبيع والشراء والهدية وغير ذلك من صور التعامل مع الكفار المشابهة لا يدخل في مسمى الموالاة لكن بشرط أن لا يبيعهم مايعينهم به على المحرمات أو على قتال المسلمين .

والله سبحانه حرم موالاة الكافرين والمشاركة في أعمالهم التي فيها محادة الله ورسوله ومعاداتهما .

---

(١) سورة لقمان / آية ١٥

(٢) صحيح البخاري ١/٢٣٥ كتاب الجنائز

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري -للامام ابن حجر العسقلاني ١١٩/١٠

(٤) أي : ثائر الرأس أشعث (الصحاح للجوهري ٥/٢١٤٥)

(٥) صحيح البخاري -كتاب البيوع ٢٦/٢

أما ماعدا ذلك من التجارة والمعاملات الدنيوية فلا تدخل فى الولاء المحرم الذى نهى الله عنه .

٣ ـ الانتفاع بعلومهم وما عندهم :

لم يحرم الاسلام الانتفاع بعلوم الكفار وماعندهم من وسائل وأسباب الحياة مما لا يخالف شرع الله سبحانه ، ولقد أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم خيبر لليهود على أن يعملوها ويزرعوها ولهم شطر ماخرج منها .(١)

لكن الشيء الذي يحرمه الاسلام ويأباه هو أن يتلقى المسلم من عدو شيئاً مما يتعلق بعقيدته أو مقومات تصوره أو منهج تاريخه أو نظام حكمه (٢)

فالعقيدة الاسلامية هي قاعدة البناء الاسلامى ، وكل علم يأخذه المسلمون من أعدائهم ينبغي أن يُعرض على العقيدة ، ويصاغ صياغة علمية سليمة تضمن خلوّ من أفكار الالحاد والمذاهب الهدامة.

---

(١) راجع: صحيح البخاري ٢ /٤٧ باب : المزارعه مع اليهود .

(٢) راجع : معالم في الطريق لسيد قطب ص/ ١٣١

المبحث الثاني

حقيقة الابتلاء

حقيقة الابتلاء حقيقة مهمة من حقائق العقيدة الاسلامية ، إغفالها يؤدي الى ظهور مشكلات وشبهات كثيرة فى نفس المسلم ، وذلك لانها الحكمة التى خلق الله من أجلهـــا الانسان فى هذه الحياة الدنيا. قال تعالى : (وهو الذى خلق السموات والارض فى ستـــة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا)(١)

وقال سبحانه (إنا خلقنا الانسان من نطفه أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ، إنـــا هدیناه السبيل إما شاكراً واما كفوراً)(٢)

وكذلك فان الحكمه من جعل الانسان خليفة في هذه الارض هى الابتلاء والاختبار قال تعالى (وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم)(٣)

وقال عزوجل (ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون)(٤)

ولذلك زوّد الله الناس بالحرية والاختيار ليكون الابتلاء عادلاً فيزاول الانسان اختياره فيما كُلف به ويسلك طريق الايمان أوطريق الكفر. قال تعالى : (هو الذي خلقكم فمنكم كافـــر ومنكم مؤمن)(٥)

والنتيجة البدهية لاختيار الانسان هى الاختلاف ، ذلك أن بعض الناس يختار الحق وبعضهم يختار الباطل ، وأن بعضهم يفعل الحرام بعضهم يفعل الحلال ، وبالتالى يصبح الناس فريقين : فريق على الحق وفريق على الباطل .

قال تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربـــك ، ولذلك خلقهم ، وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجِنة والناس أجمعين)(٦) وقال سبحانـــه : (ولو شاء الله لجعلكم أمه واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم)(٧)

---

(١) سورة هود / آية ٧

(٢) سورة الانسان / آية ٢ - ٣

(٣) سورة الانعام / آيه ١٦٥

(٤) سورة يونس / آية ١٤

(٥) سورة التغابن / آيه ٢

(٦) سورة هود / آية ١٩٨ - ١٩٩

(٧) سورة المائدة / آيه ٤٨

وهذا الاختلاف سيؤدى الى تصارع الفريقين ، لان لكل فريق منهجه وغايته ..
فأتباع الباطل يتعرضون لأهل الحق بالاذى والبلاء ليبعدوهم عن طريقهم وليفتنوهم عن دينهم ، وأتباع الحق مطالبون برفع لواء الحق ونشر عقيدة التوحيد وازالة حاجز الكفر والحرعدوانه .

ولقد شهد التاريخ ذلك الصراع الطويل .. وكان أهل الايمان فى كل عصر يلاقون صنوفاً من الابتلاء والمحن على أيدى أعدائهم،وعلى رأس أهل الايمان الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام إذ تعرضوا للبلاء ، وكانت حياتهم سلسله من المحن ، فكذّبهم أقوامهم واستهزؤوا بهم واتهموهم بتهم كثيرة باطلة ولكن ذلك كله لم يضعف عزائمهم بل صبروا وتحملوا . وهذه حقيقة مقررة في آيات القرآن الكريم فى مناسبات عديدة :
قال تعالى (لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) (١)

فالايمان أمانة الله فى الارض ، لايحملها الامن هم أهل لها ، ولهم على حملها قدرة وصبر ، وليس الايمان كلمة تقال انما هو حقيقة ذات تكاليف وأمانة ذات أعباء . (٢)

وتلك هى سنة الله سبحانه مع الذين يشهدون بكلمة الايمان اذ يبتلهم حتى يميز الخبيث من الطيب .

قال تعالى (آلم ، أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايُفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمنَّ الله الذين صدقوا وليعلمنَّ الكاذبين) (٣)

فلابد لاهل الايمان من الصبر على البلاء حتى يظفروا بالسعادة فى الاخرة فالجنة سلعة غالية ثمنها الصبر على البأساء والضراء والشكر على السراء والنعماء .

قال تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمَّا يأتكم مثل الذين خلَوْا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله آلاإن نصرالله

---

(١) سورة آل عمران / آية ١٨٦
(٢) في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٢٠
(٣) سورة العنكبوت / آية ٣٠١

قريـــب) (١)

ولقد جاءت في آيات القرآن الكريم والاحاديث النبوية الحكمة من البلاء الذى يصيب أهل الايمان وهي (٢) :

١ - تطهير الصف المؤمن من أدعياء الايمان من المنافقين والذين فى قلوبهم مرض:

قال تعالى (ماكان الله ليذر المؤمنين على ماأنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) (٣)

فادعاء الايمان سهل ولكن المحنة تكشف أصحاب الدعاوى الذين يجتمعون عند المغانـــم ويهربون عند الشدائد والمحن . قال تعالى :

(ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئـــن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين) (٤)

قال تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابتـــه فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين) (٥) وهكذا يتخلـى أدعياء الايمان عن إيمانهم اذا كان سيكلفهم الجهد والمشقة والايذاء .

٢ - تربية المؤمنين وتمحيص مافى قلوبهم :

يقول تعالى تعقيبا على معركة أحد : (إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحـــب الظالمين ، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) (٦)

" فلابد من تربية النفوس بالبلاء ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة ، كى تعز على نفوسهم

(١) سورة البقرة / آية ٢١٤

(٢) راجع كتاب : الصبر فى القرآن الكريم للدكتور يوسف القرضاوى - ص/ ٢١ الطبعـــة الثانية ١٤٠٤ هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت .

(٣) سورة آل عمران / آية ١٧٩

(٤) سورة العنكبوت / ١٠

(٥) سورة الحج / ١١

(٦) سورة آل عمران / ١٤٠ - ١٤١

بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكاليف . والعقائد الرخيصة التي لا يؤدى أصحابها تكاليفها لا يعز عليهم التخلي عنها عند الصدمة الاولى ، وكلما تألموا في سبيلها ، وكلما بذلوا من أجلها . . كانت أعز عليهم وكانوا أضنَّ بها . وكذلك لن يدرك الاخرون قيمتها الا حين يرون ابتلاء أهلها بها وصبرهم على بلائها . . انهم عندئذ سيقولون في أنفسهم : لولم يكن ماعند هؤلاء من العقيدة خيرا مما يبتلون به وأكبر ماقبلوا هذا البلاء ولا صبروا عليه . . وعندئذ ينقلب المعارضون للعقيدة باحثين عنها مقدّرين لها ، مندفعين اليها " (١)

٣ - زيادة حسناتهم ومقامهم عند الله :

فالصبر على البلاء يرفع الدرجات ويضاعف الحسنات ويكفر السيئات .

روى البخاري عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مايصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله من خطاياه) . (٢)

وروى مصعب بن سعد عن أبيه قال : (سئل رسول الله : أى الناس أشد بلاء ؟ قال : الانبياء ثم الامثل فالامثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فان كان صلبا اشتد بلاؤه ، وان كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه . فمايبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي وما عليه خطيئة) (٣)

فالابتلاء - باعتباره الحكمة العليا التي من أجلها خلق الله الانسان في هذه الحياة - هو الذى بسببه اختلف الناس الى فريقين متصارعين . . وحقيقة هذا الصراع أنه صراع بين الحق والباطل ، بين الايمان والكفر ، وهذا مانتعرض له في المبحث الثاني باذن الله .

---

(١) (في ظلال القرآن) ١/١٤٥

(٢) صحيح البخاري ٤ / ٢ باب ماجاء في كفارة المرض

(٣) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي وقال : له شواهد كثيرة راجع: المستدرك على الصحيحين للحاكم ١/ ٤١ دار الكتب العلمية - بيروت

المبحث الثالث

الصراع بين الحق والباطل

ان الصراع بين الحق و الباطل بدأ مع بداية الانسانية و هو أمر تابع للتكليف و الابتلاء ، لكي يختار المكلف أحد البدلين : طاعة الرحمن أو طاعة الشيطان ، و تنشأ العداوة ويشتد كيد الكفار للمؤمنين ومكرهم بهم ، ويبذلون كل قواهم للقضاء على أهل الحق وسلخهم عن عقيدتهم ،ولكن ينبغي لأتباع الحق أن لا ينخدعوا بذلك الكيد مهما رفعوا من شعارات للتمويه عن هدفهم الحقيقي الماكر فقد أخبرنا الله سبحانه بحقيقة هذا الهدف في آيات كثيرة من القرآن الكريم

قال تعالى : (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا)[١]

وقال سبحانه : (ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم)[٢]

وقال سبحانه : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)[٣]

وقال عزوجل : (ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين)[٤]

وقال تعالى : (ودُّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء)[٥]

فإخراج المسلمين من دينهم هو هدف طوائف الكفر جميعها مهما اختلفت أسماؤهم واتجاهاتهم،ومن أجل هذا الهدف الخبيث يبذل الأعداء كل مالديهم وينفقون كل مايستطيعون من مال : (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون)[٦]

وإذا سيطروا على المسلمين أو وقع بعض أهل الحق في قبضتهم فإنهم يصبُّون عليهم

---

(١) سورة البقرة / ٢١٧

(٢) سورة البقرة / ١٠٩

(٣) سورة البقرة / ١٢٠

(٤) سورة آل عمران / ١٠٠

(٥) سورة النساء / ٨٩

(٦) سورة الانفال / ٣٦

العذاب صباً ويذيقونهم أشد أنواع الايذاء ليفتنوهم عن دينهم ويظفروا منهم بكلمة الكفر ويُفرغوا مِن أحقادهم بعد أن كانوا قبل ذلك يتسترون بأقنعة المكر .

قال تعالى : (كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة يُرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون)(١)

وقال سبحانه : (لا يرقُبون فى مؤمن إلاً ولا ذمة واولئك هم المعتدون)(٢)

وقال سبحانه : (ودّ الذين كفروا لو تغفُلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة)(٣)

وقال عزوجل : (إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودّوا لو تكفرون)(٤)

فنار الحقد تشتعل فى قلوبهم والغيظ يملؤها ويؤجج العداوة فيها : (واذا خلو عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور)(٥)

وليس هناك سبب حقيقى لتلك العداوة والحقد إلا تمسك أولياء الرحمن بايمانهم واعتزازهم به وهذا أمر يغيظ أولياء الشيطان .

قال تعالى : (الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله)(٦) .

وقال أيضا : (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد)(٧) .

ويظهر حقد أولياء الشيطان بأهل الايمان بأشكال متعددة منها السخرية والاستهزاء بالمؤمنين وتسفيه أقوالهم واتهامهم بالضلال والافساد .

---

(١) سورة التوبة / ٨

(٢) سورة التوبة / ١٠

(٣) سورة النساء / ١٠٢

(٤) سورة الممتحنه / ٢

(٥) سورة آل عمران / ١١٩

(٦) سورة الحج / ٤٠

(٧) سورة البروج / آية ٨

قال سبحانه (زُين للذين كفروا الحياةُ الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا ، والذين اتقوا فوقهم يوم القيامـــة) (١)

وقال عز وجل (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالـون) (٢)

وبما يكون هذا الاتهام من أهل الباطل مبرراً ظاهريًا وستاراً يخفون به مكرهـــم ويتظاهرون فيه بالاصلاح .

(وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدعُ ربه إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهـر فى الارض الفساد) (٣)

ولكن حقيقة كيدهم لا تخفى ، فهم لا يرضون بالحق ولا يناهضون الحجة بالحجة وانما يلجأون الى العنف والبطش،وتظهر على وجوههم علامات الكراهية اذا تُليت عليهـــم آيات الله :

(وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطـون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل افأنبئكم بشرٍّ من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئـس المصير) (٤)

ولقد حذر الله سبحانه المؤمنين من الاستجابة للكفار والانزلاق فى مهاوى الـــردة عن الدين مهما اشتد كيد الاعداء وقسوتهم .

قال تعالى (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيـا والاخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (٥)

---

(١) سورة البقرة / آية ٢١٢

(٢) سورة المطففين / آية ٢٩ - ٣٢

(٣) سورة غافر / آية ٢٦

(٤) سورة الحج / آية ٧٢

(٥) سورة البقرة / آية ٢١٧

وقال سبحانه (ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) (١)

ولذلك كان لابد للمؤمن من موقف حاسم يتخذه للتصدى لكيد الاعداء ونصرة دين الله .

---

(١) سورة المائدة / آية ٥٤

موقف المسلم من هذا الصـــراع :

أولا - الجهـــاد

الحق والباطل لا يلتقيان أبداً ولا يرضى أهل الباطل الا بإذلال أهل الحق وفتنتهم وردّهم عن دينهم إن استطاعوا لذلك كان من سنة الله ان يدفع الناس بعضهم ببعض لدفع الفساد عن الارض واعزاز كلمة الله ، وازالة تسلط الباطل على رقاب المؤمنين . (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) (١)

وقد كفّ الله المسلمين عن القتال فى مكة، فى أول العهد بالهجرة الى المدينة وقيل للمسلمين (كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) (٢) ثم أُذن لهم بالقتال ـــ قـال تعالـــى :

(أُذن للذين يقاتَلون بأنهم ظُلموا ، وان الله على نصرهم لقدير،الذين أُخرجوا مـن ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع اللهِ الناسَ بعضهم ببعض لهدمـت صوامع وبيعٌ وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصره ان اللـه لقوى عزيز) (٣)

ثم فُرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون مَن لم يقاتلهم فقيل لهم :

(وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم) (٤)

ثم فُرض عليهم قتال المشركين كافة (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) (٥)

---

(١) سورة البقرة / آية ٢٥١

(٢) سورة النساء / آية ٧٧

(٣) سورة الحج / آية ٣٩

(٤) سورة البقرة / آية ١٩٠

(٥) سورة التوبة / آية ٣٦

فكان القتال محرماً ،ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال ،ثم مأمورا به لجميع المشركين .(١)

وقد امر الله المؤمنين باتخاذ أسباب النصر وإعداد العدة لإرهاب العدو ورفع الظلم وازالة حواجز الطاغوت.قال تعالى : (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)(٢) .

ولو شاء الله لانتصر من الكافرين من غير هذه الاسباب كلها ،ولكنه يريد لعباده المؤمنين الخير ليختبر ثباتهم ويبتليهم فليس أكرم على النفس من أن يعز عليها الحق الذى تؤمن به ،حتى تجاهد فى سبيله فتَقتل وتُقتل(٣) .

(ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قُتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم)(٤)

حكم الجهاد :

ذكر العلماء أن الجهاد فرض كفاية ،اذا لم يقم به أحد فانه يفترض على جميع المسلمين القادرين عليه ،إما بالنفس أو بالمال ،فاذا قام به البعض سقط عن الباقين ،لان المقصود هو دفع شر الكفرة، والدعاء الى دين الاسلام(٥)

ولا يجب الجهاد الا على ذكر مسلم حر مكلف سليم من العمى والعرج والمرض الشديد يملك مايكفيه ويكفي اهله فى غيبته ،أو يجد ذلك ببذل الإمام أو أمير الجيش(٦)

---

(١) راجع معالم فى الطريق / سيد قطب ص/٦٧

(٢) سورة الانفال / آية ٦٠

(٣) راجع: فى ظلال القرآن ٣٢٨٦/٦

(٤) سورة محمد / آية ٤

(٥) راجع تحفة الفقهاء للامام علاء الدين السمرقندى (ت ٥٣٩هـ) ـ تحقيق الدكتور محمد زكى عبد البر ـ ٤٩٩/٣ ـ ٥٠٠

(٦) المغنى للامام ابن قدامه (ت٦٣٠هـ) ـ ٣٦٦/١٠

وشرح منتهى الارادات للامام منصور البهوتي (ت١٠٥١هـ) ـ ٩١/٢

ثانيا ـ الهجرة[١]

اذا منع أهل الايمان من إظهار شعائرهم ، ضعفوا عن قتال أعدائهم ، وتحقيق عزة المسلمين ، والحفاظ على حرية العقيدة والعبادة فلابد من الهجرة تخلصاً من الظلم والذل ، وفراراً بدينهم الى بلد يعبدون الله فيها .

والهجرة لغة : مشتقة من الهجر وهو الترك والتباعد[٢]

وفي الشرع : (ترك الوطن الذي بين الكفار والانتقال إلى دار الاسلام)[٣]

قال الحافظ ابن حجر في الفتح :

" وقد وقعت في الاسلام على وجهين :

الاول : الانتقال من دار الخوف الى دار الأمان كما في هجرتي الحبشة وابتداء الهجرة من مكة إلى المدينة .

الثاني : الهجره من دار الكفر الى دار الايمان ، وذلك بعد أن استقر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهاجر اليه من أمكنهُ ذلك من المسلمين "[٤]

حكم الهجرة :

أوجب الله سبحانه الهجرة على كل مسلم يلحقه الأذى وتناله الفتنة في دينه ويُمنع من أداء شعائر الاسلام ، ويكرهه الأعداء في دار الكفر على التنازل عن شئ من دينه ، ولا يستطيع رد الأذى ودفع العدوان .

قال تعالى : (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين

---

(١) سنفصل الحديث عن هذا الموضوع ، والموضوع الذى يليه : (الصبر وتحمل الأذى) لصلتهما الوثيقة بالموضوع الرئيس للبحث .

(٢) المعجم الوسيط ٢ / ٩٧٢

(٣) التعريفات للامام الشريف علي بن محمد الجرجاني ص/٢٥٦ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٣ هـ

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري / للامام ابن حجر ١٦/١

في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً } (١)

وهذه الاية الكريمة تتحدث عن صنف من الناس تقبض الملائكة أرواحهم ظالمي أنفسهم مكتسبين غضب الله وسخطه فيحتجون بأنهم كانوا مستضعفين في أرض الشرك يمنعهم المشركون من إظهار الايمان بالله وعبادته ، وهي معذرة ضعيفة وحجة واهية مادام بإمكانهم أن يتركوا هذه الأرض ويفارقوا أهلها الى أرض أخرى يعبدون الله فيها (٢)

- روى الامام الطبري في سبب نزول هذه الاية بسنده الى ابن عباس رضي الله عنهما قال : (كان قوم من أهل مكة أسلموا ، وكانوا يَستخْفُون بالاسلام ، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم ، فقال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأُكرهوا ، فاستغفروا لهم ، فنزلت : (إن الذين توفاهم ..) الاية ، قال : فكتب الى من بقي بمكة من المسلمين بهذه الاية ، وأنه لا عذر لهم ، قال : فخرجوا ، فلحقهم المشركون ، فأعطوهم الفتنة ، فنزلت فيهم : (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ..) (٣)

فكتب اليهم المسلمون بذلك ، فحزنوا وأيسوا من كل خير ، ثم نزلت فيهم : (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم) (٤)

فكتبوا اليهم بذلك : إن الله قد جعل لكم مخرجاً ، فخرجوا ، فأدركهم المشركون ، فقاتلوهم حتى نجا من نجا ، وقُتل من قتل) . (٥)

---

(١) سورة النساء / آيه ٩٧

(٢) راجع: جامع البيان عن تأويل آي القرآن / للامام ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ج ٥/ ٢٣٢ ، ورواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن شريك وهو ثقة كما قال الهيثمي انظر مجمع الزوائد (٧/ ١٠)

(٣) سورة العنكبوت / آية ١٠

(٤) سورة النحل / آية ١١٠

(٥) جامع البيان ٥/ ٢٣٤

- وفى رواية أخرى يرويها الامام الطبري أيضاً نجد شيئاً من التفصيل فى سبب تخلف هؤلاء عن الهجرة.قال ابن زيد : (لما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم وظهر، ونبع الايمان نبع النفاق معه ، فأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال فقالوا : يارسول الله ، لولا أنا نخاف هؤلاء القوم يعذبوننا ويفعلون ويفعلون لأسلمنا ، ولكنا نشهد أن لا إله الا الله ، وأنك رسول الله ، فكانوا يقولون ذلك له فلما كان يوم بدر قام المشركون ، فقالوا : لا يتخلف عنا أحد إلا هدمنا داره ، واستبحنا ماله فخرج أولئك الذين كانوا يقولون ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم معهم ، فقُتلت طائفة منهم وأُسرت طائفة ، قال : فأما الذين قُتلوا فهم الذين قال الله تعالى فيهم (إن الذين توفاهم الملائكة ..) إلى قوله (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) وتركوا هؤلاء الذين يستضعفونكم (فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً) قال : ثم عذر الله أهل الصدق فقال (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً) يتوجهون له ، لو خرجوا لهلكوا ، فأولئك عسى الله أن يعفوا عنهم إقامتهم بين ظهري المشركين) (١) .

وهكذا نجد أن الذين لم يهاجروا الى المدينة ، وتخلفوا عن الهجرة بلا عذر قاهر ، وبقوا فى مكة يكتمون إسلامهم ويُظهرون التقية لأعدائهم .. لا عذر لهم يوم القيامة أما الذين يُعذرون بترك الهجرة فهم الذين قال الله سبحانه فيهم :

(الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ، وكان الله عفواً غفوراً) (٢)

قال عكرمة (٣) : (يعني الشيخ الكبير والعجوز والجواري والصغار والغلمان) (٤)

---

(١) المرجع السابق ٥/٢٣٦

(٢) سورة النساء / آية ٩٨ - ٩٩

(٣) هو الامام عكرمة بن عبد الله البربري المدني ، مولى عبد الله بن عباس، تابعي ،كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي، توفي بالمدينه سنه (١٠٥ هـ)
- راجع ترجمته في الأعلام ٤/٢٤٤ -

(٤) جامع البيان ٥/٢٣٥

فهؤلاء لا يقدرون على التخلص من أيدى المشركين ولو قدروا ماعرفوا يسلكون الطريق [1] وهؤلاء لم يتركوا الهجره اختياراً ولا إيثاراً منهم لدار الكفر على دار الاسلام، ولكن للعجز الذي هم فيه عن النقله عنها [2]

وهذا الحكم لا يخص المستضعفين من أهل مكة الذين تركوا الهجرة بل هو عام - كما يقول الامام ابن كثير [3] - في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالاجماع" [4]

وهكذا نزلت هذه الاية تسمى المشفقين من متاعب الهجرة (ظالمي أنفسهم) بما أنهم حرموها الحياة في دار الاسلام ، تلك الحياة الرفيعة الكريمة وألزموها الحياة في دار الكفر ، تلك الحياة الذليلة الخانسة الضعيفة المضطهدة .. وهؤلاء كانت التقية جائزة لهم يوم أن لم تكن لهم دولة يهاجرون اليها ، فأما بعد قيام الدولة ووجود دار الاسلام ، فان الخضوع للفتنة أو الالتجاء للتقية - وفي الوسع الهجرة والجهر بالاسلام - أمر غير مقبول [5]

روى الامام أبو داود عن جرير رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) راجع تفسير القرآن العظيم/ للامام ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) - ١/ ٥٤٢ - دار المعرفة ١٣٨٨ هـ

(٢) تفسير الطبري ٥/ ٢٣٣

(٣) هو الامام اسماعيل بن عمر بن كثير البصروي ثم الدمشقي ، أبو الفداء عماد الدين، حافظ مؤرخ فقيه ، ولد في بصرى الشام سنة ٧٠١هـ وتوفي بدمشق سنة ٧٧٤ هـ وله مصنفات مشهورة . - راجع ترجمته في الأعلام ١/ ٣٢٠ -

(٤) تفسير ابن كثير ١/ ٥٤٢

(٥) راجع : في ظلال القرآن ٢/ ٧٤٣

(أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين)[١] أي إذا لم يأمن على دينه[٢]

وقد نص العلماء على وجوب الهجرة لمن عجز عن إظهار دينه

- قال الامام ابن مفلح[٣] : (وتجب الهجرة على من يعجز عن إظهار دينه فى دار الحرب وهى مايغلب فيها حكم الكفار . . لأن القيام بأمر الدين واجب على القادر ، والهجرة من ضرورة الواجب وتتمته ، ومالا يتم الواجب إلابه فهو واجب)[٤]

- وقال الامام البهوتي[٥] : (ويجب على عاجز عن إظهار دينه بمحلٍ يغلب فيه حكم كفر أو بدعة مضلة ، الهجرة)[٦]

- وقال الامام الالوسي[٧] : (إن كل مؤمن وقع فى محلٍ لا يمكن أن يظهر دينه لتعرض المخالفين ، وجب عليه الهجرة الى محل يقدر فيه على إظهار دينه ، ولا يجوز له أصلا أن يبقى هناك ويخفي دينه ويتشبث بعذر الاستضعاف) .

ثم استثنى من هذا الحكم من له عذر شرعى فى ترك الهجرة وقال : (إنه يجوز له

---

(١) رواه أبوداود - كتاب الجهاد ٣/١٠٥ وقال الألباني : حديث حسن (صحيح الجامع الصغير ٢/١٧)

(٢) فتح الباري ١/٣٩

(٣) هو الامام ابراهيم بن محمد بن مفلح الدمشقى شيخ الحنابلة فى عصره ولد سنة (٧٤٩ هـ) وتوفى سنة (٨٠٣ هـ) - راجع ترجمته فى الاعلام ١/٦٤

(٤) المبدع فى شرح المقنع ٣/٣١٣ - ٣١٤

(٥) هو الامام منصور بن يونس البهوتي الحنبلى شيخ الحنابلة بمصر ، ولد سنه (١٠٠٠ هـ) وتوفى سنه (١٠٥١ هـ) - راجع ترجمته فى الاعلام ٧/٣٠٧ -

(٦) شرح منتهى الارادات ٢/٩٤

(٧) هو الامام محمود بن عبدالله الحسينى الألوسى - شهاب الدين ، مفسر محدث أديب ، من أهل بغداد ، ولد سنة (١٢١٧ هـ) وتوفى سنة (١٢٧٠ هـ) - راجع ترجمته فى الاعلام ٧/١٧٦ -

المكث مع المخالفين ، والموافقه بقدر الضروره ، ويجب عليه أن يسعى فى الحيلة للخروج والفرار بدينه)[١].

أما قوله صلى الله عليه وسلم (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية)[٢] فلا يعنى انقطاع الهجره كلياً وانما معناه ـ كما قال العلماء ـ إن الهجرة المعهودة فى زمانه صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة انقطعت بعد فتح مكة لأنها صارت دار الاسلام فلا تتصور منها الهجرة ، فمفارقة الوطن بسبب الهجرة الى المدينة انقطعت وبقيت مفارقة الوطن بسبب الجهاد ، وبسبب نية صالحة كالفرار من دار الكفر ، والخروج فى طلب العلم والفرار بالدين من الفتن[٣]

فالهجرة من دار الكفر لا تنقطع . ودار الكفر هى كل أرض يغلب فيها حكم الكفار فهي صفة عارضة بحسب سكانها وليست صفة لازمة[٤]

وقبل أن نختم الموضوع نلخص أحكام الهجرة من دار الكفر[٥] بحسب أحوال المقيمين فيها وهم ثلاثة أصناف :

١ ـ أن يقيم فيها رغبة واختياراً لصحبة الكفار ، فيرضى ماهم عليه من الدين أو يمدحه أو يُرضيهم بعيب المسلمين . . فهو كافر عدو لله ولرسوله .

---

(١) روح المعانى ٣/ ١٢١

(٢) رواه البخارى ٣/٦٥

(٣) راجع: أحكام القرآن للامام أبى بكر محمد بن عبد الله ، المعروف بابن العربى (ت ٥٤٣ هـ) ١/ ٤٨٤ ـ دار المعرفة بيروت .
وصحيح مسلم بشرح الامام يحيى بن شرف الدين النووى (ت ٦٧٦هـ) ـ ٨/١٣
الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ ـ دار احياء التراث العربى ـ بيروت .
وفتح الباري لشرح صحيح البخاري للامام ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ـ ١٦/١ ونيل الاوطار شرح منتقى الاخبار للامام محمد بن على الشوكاني (ت ١٢٥٥هـ)
٢٦/٨ ـ دار القلم ـ بيروت

(٤) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ١٨/ ٢٨٢ ـ جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وولده محمد

(٥) راجع: الولاء والبراء فى الاسلام/ لمحمد بن سعيد القحطانى (ص ٢٧٥ وما بعدها) ـ نقلا عن رسالة (الدفاع عن أهل السنة والاتباع) للشيخ حمد بن عتيق (ت ١٣٠١هـ)

٢ ـ أن يقيم عندهم لأجل مال أو ولد أو بلاد وهو لا يُظهر دينه مع قدرته على الهجرة . . ولا يواليهم بقلبه ولا لسانه ، فهذا لا يكفرونه لأجل مجرد الجلوس ولكنه يعتبر عاصياً بترك الهجرة .

٣ ـ القسم الثالث : من لا حرج عليه في الاقامة بين أظهرهم . وهو نوعان :

١ ـ أن يكون مظهراً لدينه فيتبرأ منهم وما هم عليه ، ويصرح لهم ببراءته وهذا هو إظهار الدين الذي لا تجب معه الهجرة .

٢ ـ أن يقيم عندهم مستضعفاً : وهم الذين استثناهم الله تعالى بقوله (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا)[1]

وهؤلاء عليهم أن يصبروا ويتحملوا أذى الاعداء. وهذا ما سنرى تفصيله في الموضوع التالي إن شاء الله .

---

(١) سورة النساء / آية ٩٨

ثالثا : الصبر وتحمل الاذى

اذا مُنع المسلم من الهجرة وحيل بينه وبينها ، أو كان ضعيفا لا يقدر عليها أصلا فهل يرضى بالكفر وينشرح صدره للمقام بين الكافرين وتحقيق مآربهم ؟

لا ، بل الواجب عليه أن يتمسك بدينه ويعتصم بعقيدته ويصبر على إيذاء الاعداء ويتحمل كل مايصيبه من ابتلاء وشدة فى سبيل الله .

وقصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام شاهدة على ذلك ، فلقد حكى لنا القرآن الكريم صبرهم على أذى أقوامهم الذين حاولوا أن يصدوهم عن دعوتهم ويفتنوهم عن دينهم .

قال تعالى (ولقد كُذبت رسل من قبلك فصبروا على ماكُذّبوا وآذوا حتى اتاهم نصرنا) (١)

والرسول صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء تعرض لاشد أنواع الابتلاء والايذاء من أعدائه الذين لم يتركوا وسيلة لإيذائه الا فعلوها فضرب أروع الامثلة فى الصبر، ولم يُثنه ذلك عن عزمه أو يُضعف من همته ، بل كان يقول مناجياً ربه سبحانه : (إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالى) (٢)

ولقد تكررت أوامر الله سبحانه لرسوله عليه الصلاة والسلام بالصبر على كيد الاعداء فى آيات عديدة من القرآن الكريم منها قوله تعالى (واتبع مايوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين) (٣)

---

(١) سورة الانعام / آية ٣٤

(٢) هذه القول من دعائه عليه الصلاة والسلام المشهور حين عودته من الطائف بعد ان أعرض أهلها عن دعوته وقابلوه بالسخرية والاستهزاء وحرَّضوا صبيانهم وسفهاءهم ليرموه بالحجارة حتى سالت منه الدماء صلى الله عليه وسلم .

راجع تفصيل القصة فى كتاب : (السيرة النبوية) للامام ابن هاشم (ت ٢١٣ هـ) - ١ / ٤٢٠

(٣) سورة يونس / آية ١٠٩

وقوله سبحانه (واصبر وماصبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون)[١]

وقوله سبحانه (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم)[٢]

ولقد كانت الالفاظ البذيئة والاقوال الجارحة تؤذي الرسول صلى الله عليه وسلم أشد الايذاء فكان عليه الصلاة والسلام يصبر على اذى هؤلاء الطواغيت مستجيبا لأمر الله سبحانه : (واصبر على مايقولون واهجرهم هجراً جميلا)[٣]

والصحابة الكرام تعرضوا للأذى ولاقوا من التعذيب ألوانا ، وجنّد المشركون كل مالديهم من وسائل القهر والبطش ليفتنوهم عن دينهم فما لانت لهم قناة بل صبروا حتى هيأ الله لهم مخرجاً. والامثلة على ذلك كثيرة ، منها .

- بلال بن رباح[٤] :

تعرض لاشد أنواع العذاب والايذاء فقد كانوا يطوفون به والحبل فى عنقه ، وكان أميه بن خلف يخرجه اذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد فيقول وهو فى ذلك البلاء :

أَحد أَحد ، ويقول : والله لو أعلم كلمة أغيظ لكم منها لقلتها .[٥]

- آل ياسر[٦] : وهم ياسر وعمار وسمية (أم عمار)

---

(١) سورة النحل / آية ١٢٧

(٢) سورة الاحقاف/ آية ٣٥

(٣) سورة المزمل / آية ١٠

(٤) بلال بن رباح الحبشي مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم،اشتراه أبوبكر واعتقه فلزم النبى صلى الله عليه وسلم وشهد معه جميع المشاهد ثم خرج بعد وفاة النبى الى الشام ومات فيها سنة ٢٠ هـ (الاصابة ١/١٦٩)

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ٨/ ٣١٧-الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ١/١٦٩

(٦) آل ياسر : هم عمار بن ياسر ووالده ياسر بن عامر بن مالك من بنى ثعلبة وأمه سمية مولاة لهم كان من السابقين الاولين هو وأبوه ،شهد عمار المشاهد كلها ثم شهد اليمامة فقطعت أذنه بها ثم استعمله عمر على الكوفة،قتل مع علي بصفين سنة سبع وثلاثين وله ثلاث وتسعون سنة . (الاصابة ٢/٥٠٥)

وقد تعرضوا للاذى الشديد وكانوا يعذبون فى الشمس ليرتدوا عن الاسلام وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمرُّ بهم فيبشِّرهم بالجنة ويحثهم على الصبر قائلاً : (اصبروا آل ياسر موعدكم الجنة) وفى رواية أخرى : (أبشروا آل ياسر موعدكم الجنة) [(١)].

وطعن أبو جهل سمية فى قُبُلها فماتت ومات ياسر فى العذاب وأُحرق عمار بن ياسر بالنار وكان الكفار يغطونه فى الماء حتى أكرهوه على سب الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم بخير [(٢)].

- وخباب بن الارت [(٣)] : أخذه المشركون فأوقدوا له نارا ثم ألقوه فيها فما أطفأها إلا شحم ظهره [(٤)]، وهو أول من أظهر إسلامه وعذب عذابًا شديداً لأجل ذلك [(٥)].
- وعثمان بن مظعون [(٦)] : الذى لطم مشرك عينه فخضرها [(٧)] فقال له الوليد بن المغيرة ان كانت عينك عما أصابها لغنيه . فقال عثمان : بلى والله ان عينى الصحيحه لفقيرة الى ما أصاب اختها فى الله . وأنشد قائلا : [(٨)]

---

(١) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩/٢٩٦) وقال : (رواه الطبراني ورجاله ثقات)

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١/٣١٩ حياة الصحابة للكاندهلوي ١/٤٣٠

(٣) خباب بن الارت التميمى ، سُبي فى الجاهلية فبيع بمكة ثم حالف بني زهرة وأسلم سادس ستة وكان من المستضعفين شهد بدراً وما بعدها ، ونزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين (الاصابة ١/٤١٦)

(٤) حياة الصحابة ١/٤٣١

(٥) الاصابة ١/٤١٦

(٦) عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحى ، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا ، هاجر الى الحبشة هو وابنه الهجرة الاولى فى جماعة ، ولكن بلغهم أن قريشا أسلمت فرجعوا الى مكة ، ونالهم من المشركين ايذاء شديداً ، فدخل عثمان فى جوار الوليد بن المغيرة ثم رد جواره ، وناله الاذى فى عينه ، توفى رضى الله عنه بعد شهوده بدرا فى السنة الثانية من الهجرة ، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين (الاصابة ٢/٤٥٧)

(٧) جعلها خضراء : أي سوداء ، وكانت العرب تطلق الخضرة على السواد ، يقولون : اخْضَرَّ الليل أي اسْوَدَّ . راجع : الصحاح ٢/٦٤٦ ، المعجم الوسيط ١/٢٤٠

(٨) حياة الصحابة ١/٤٤٢

فان تك عيني في رضا الرب نالها ... يدا ملحد في الدين ليس بمهتد
فقد عوّض الرحمن منها ثوابه ... ومن يُرضه الرحمن ياقوم يسعد
فاني - وان قلتم غوي مضلّلٌ ... سفيهٌ - على دين الرسول محمد
أريد بذاك الله والحق ديننا ... على رغم من يبغي علينا ويعتدى

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحث أصحابه على الصبر ويبشرهم بالفرج القريب
روى البخارى عن خباب بن الارت قال : شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟
فقال : (قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيُحفر له في الارض فيُجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه ، والله لَيَتِمنَّ هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون) (١).

ولما أقيمت للمسلمين دولة في المدينة ، اشتد كيد الاعداء وازداد حقدهم على المسلمين ، فكانوا يتربصون بهم الدوائر ، ويبطشون أشد البطش بمن يقع تحت أيديهم من المسلمين .

ولكن قلوب المؤمنين الصابرة ونفوسهم المطمئنة كانت أبلغ دليل على اعتزاز هؤلاء بدينهم وتمسكهم به وعدم التخلي عن شئ منه مهما حل بهم من عذاب وايذاء .

ولنستعرض بعض الامثلة لنرى مصداق ذلك :

يوم الرجيع :

قدم على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد غزوة أحد في السنة الثالثة للهجرة رهط من عُضل والقارة فقالوا : يارسول الله ، إن فينا إسلاماً ، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهونا في الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الاسلام ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر من أصحابه ، من بينهم : زيد بن الدثنه وخبيب بن عدى ، فلما وصلوا

---

(١) صحيح البخارى بحاشية السندى - كتاب الاكراه - ٤ / ٢٠٠

قرب الرجيع ، وهى ماء لهذيل[1] ، غدروا بهم ، فأخذ الصحابة أسيافهم فقاتلوا حتى قُتل أربعة منهم وأسروا اثنين هما زيد وخبيب ، فأخذ وهما الى مكة فباعوهما لقريش.

ـ فأما زيد بن الدثنة[2] فاشتراه صفوان بن أميه ليقتله بأبيه أمية بن خلف الذى قتله المسلمون يوم بدر ، وأخرجه المشركون من الحرم ليقتلو ، واجتمع حوله رهط من قريش، فيهم أبو سفيان الذى قال له : أنشدك الله يا زيد ، أتحب أن محمدا عندنا الان فى مكانك نضرب عنقه ، وأنت فى أهلك ؟

قال : والله ما أحب أن محمداً الان فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه ، وأنى جالس فى أهلى ـ

فقال أبو سفيان : مارأيت من الناس أحداً يحب أحداً ، كحبِّ أصحاب محمد محمداً .

ثم قتلو . رضى الله عنه .

ـ وأما خبيب بن عدي[3] فانهم أخرجو الى التنعيم ليصلبو ، فقال لهم : دعونى حتى أركع ركعتين ، فقالوا : دونك فاركع، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى طوّلت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة .

ثم رفعو على خشبة ، فلما أوثقو ، قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلِّغه الغداة مايُصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً[4] ولا تغادر منهم أحداً ثم قتلو رضى الله عنه .

---

(١) وذلك فى موضع يقال له (الهدأه) بين عسفان ومكة (كما في رواية البخارى ١٧٧/٢).

(٢) هو زيد بن الدثنه (بفتح الدال وكسر الثاء) ابن معاوية الانصارى ، شهد بدراً وأحد مع الرسول صلى الله عليه وسلم . (راجع ترجمته فى الاصابة ١/٥٤٨)

(٣) هو خبيب بن عدى بن مالك الانصارى الاوسى ، اشتهر بقصة استشهاده ، قال عنه الامام البخارى : (هو سن الركعتين لكل امرئ مسلم قتل صبرا) راجع: صحيح البخارى ٢/١٧٧ والاصابة ١/٤١٨

(٤) بددا : أى متفرقين .

(٥) أورد البخارى هذه القصة في صحيحه ٢ / ١٧٧ كتاب الجهاد والسير ،باب من ركع ركعتين عند القتل ـ وراجع السيرة النبوية لابن هشام ٣ / ١٦٩ ـ ١٧٣ .

وقد روى الامام البخارى[١] أن خبيبا قال حين أرادوا قتله :

وما أبالي حين أُقتل مسلمـــا   على أي شق كان فى الله مصرعــى
وذلك فى ذات الإله وان يشأ   يبارك على أوصال شِلوٍ ممـــــزَّعِ

وأخرج الامام الطبرانى[٢] أن خبيبا قال حين رفعوه الى الخشبة :

لقد جمَّع الاحزاب حولى وألّبوا   قبائلهم واستجمعوا كل مَجْمـــعِ
وقد جمّعوا أبناءهم ونساءهــم   وقُرِّبت من جذع طويل مُمنَّـــعِ
الى الله أشكو غربتى ثم كربـتى   وما أرصد الأحزاب لى عند مصرعـي
فذا العرش صبِّرني على مايُراد بي   فقد بضَّعوا[٣] لحمي وقد بان مطمعي

وأورد الامام ابن كثير[٤] نقلاً عن ابن اسحاق أبياتاً أخرى مما قاله خبيب رضى الله عنه أبرزها :

وقد خيَّرونى الكفر، والموتُ دونــه   وقد هَمَلت[٥] عيناي من غير مجـــزع[٦]
وما بى حذار الموت، إنى لميــت   ولكن حذاري حجم نار مُلفَّــــع[٧]
فوالله ماأرجو[٨] اذا مت مسلمـــا   على أى جنب كان فى الله مضجعى
فلست بمبد للعدو تخشُّعـــاً[٩]   ولا جزعا انى الى الله مرجعـــى

---

(١) صحيح البخارى ٢/١٧٧
وأورد الامام ابن حجر فى الاصابة (١/٤١٨) البيت الاول كما يلى :
ولست ابالي حين أقتل مسلمـــا   على أى جنب كان فى الله مصرعـــى
كما ذكر أن خبيبا لما قُتل جعلوا وجهه الى غير القبلة فوجد و مستقبل القبله فأداروه مراراً ثم عجزوا فتركوه .

(٢) أورده الامام الهيثمى فى مجمع الزوائد (٦/٢٠٣-٢٠٤) وقال : (رواه الطبرانـــى ، وفيه ابن لهيعه وحديثه حسن وفيه ضعف) .

(٣) بضَّعوا : قطعوا

(٤) البداية والنهاية ٤/٦٧

(٥) هَمَلت : سالت

(٦) مجزع : خوف وحزن

(٧) مأخوذ من لفعتك النار أى شملتك من نواحيها وأصابك لهيبها

(٨) أرجو : أخـاف

(٩) تخشعاً : تذللاً (وهذه المعانى مأخوذة من حاشية حياة الصحابه ١/٧٨٧)

وهكذا ضرب خبيب رضى الله عنه أروع الامثله فى الصبر وتحمل الاذى فى سبيل الله ولم تلن له قناه ، ولم يتظاهر أمامهم بكلمة ترضيهم لينجوبها من الموت ، وانما وقف كالطود الشامخ معتزاً بإيمانه متحدياً جبروت أعدائه فرحاً بما سيظفر به من الشهادة فى سبيل الله .

موقف عبد الله بن حذافة مع ملك الروم :

وهذه صورة أخرى من عشرات الصور التى يبرز من خلالها ثبات الصحابة رضى الله عنهم وصبرهم وتحملهم أشد أنواع العذاب فى سبيل الله .

فقد نقل ابن كثير عن الحافظ ابن عساكر فى حديثه عن عبد الله بن حذافة السهمى (١) أحد الصحابة (أنه أسرته الروم - فى خلافة عمر بن الخطاب - فجاؤا به الى ملكهم ، فقال له : تنصر وأنا أشركك فى ملكى وأزوجك ابنتى ، فقال له : لو أعطيتنى جميع ما تملك وجميع ما تملكه العرب على أن أرجع عن دين محمد صلى الله عليه وسلم طرفة عين مافعلت. فقال : إذاً أقتلك . قال : أنت وذاك .

فأمر به فصُلب وأمر الرماة فرموه قريباً من يديه ورجليه وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى ، ثم أمر به فأُنزل ، ثم أمر بقدر من نحاس فأحميت ، وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر ، فاذا هو عظام تلوح ، وعرض عليه فأبى ، فأمر به أن يُلقى فيها فرُفع فى البكرة ليُلقى فيها فبكى فطمع فيه ودعاه ، فقال : انى انما بكيت لأن نفسي إنما هى نفس واحدة تلقى فى هذا القدر الساعة فى الله ، فأحببت أن يكون لى بعدد كل شعرة فى جسدى نفس تعذب هذا العذاب فى الله .

وفى بعض الروايات أنه سجنه ، ومنع عنه الطعام والشراب أياما ثم أرسل اليه بخمر ولحم خنزير فلم يقربه ، ثم استدعاه فقال : مامنعك أن تأكل ؟

فقال : أما إنه قد حلَّ لى ، ولكن لم أكن لاشمتك بي .

---

(١) هو عبد الله بن حذافة بن قيس القرشى السهمى ، من السابقين الاولين ، شهد بدرا وغيرها ، وشهد فتح مصر ، ومات فى خلافة عثمان بمصر ودفن بمقبرتها (راجع ترجمته فى الاصابة ٢/ ٢٨٧)

فقال له الملك : فقبل رأسي وأنا أطلقك.

فقال : وتطلق معي جميع أسارى المسلمين . قال : نعم

فقبل رأسه ، فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده ، فلما رجع قال عمر بن الخطاب

حق على كل مسلم أن يقبِّل رأس عبد الله بن حذافة ، وأنا أبدأ .

فقام فقبل رأسه رضي الله عنهما) .[1]

ويبرز في هذه الحادثة الصبر العظيم والايمان الراسخ الذي كان يتحلى به هذا الصحابي الجليل فلقد رأى الموت أمام عينيه ، وهُدِّد به مرارا فلم يتزعزع ، ومُنع عنه الطعام والشراب فلم يذق لقمة من حرام يدفع عنه خطر الموت وألم الجوع مع أنه قد أُحل له ، لكنه امتنع ليغيظ عدو الله .

ثم لما رأى أنه لن ينجو لوحده بل سينجو معه جميع أسرى المسلمين لقاء أن يقبِّل رأس هذا الطاغية ، سارع الى هذا العمل بنظره الثاقب تحقيقاً لهذه المصلحة العظيمة لجيش المسلمين ،[2] حيث تخلص هؤلاء الأسرى من براثن هذا الطاغية ونجوا من الاستضعاف والبطش ليعودوا أسوداً في ساحات المعارك .

- والواقع أن هذا العرض من ملك الروم بفكّ أسرى المسلمين لقاء تقبيل رأسه يدل على ماأصابه من الخذلان الشديد وهو يجد هذا الصحابي الجليل يتحدى كبرياءه ولا يبالي بسطوته ولا يعبأ بشدة بطشه ، فأراد أن يسترد هذا الطاغيه شيئاً من كبريائه وبعض ماء وجهه أمام أتباعه وحاشيته .

- وهكذا ضرب هذا الصحابي الجليل أروع مثال للصبر والثبات وهو يضع نصب عينيه قوله تعالى : (ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً الاكُتب لهم به عمل صالح)[3]

- هذه هي النماذج العملية للتربية النبويه التي خرَّجت هؤلاء الابطال الذين يعتزون بايمانهم ولا يبالون بما ينالهم من شدائد في سبيل دينهم ، ويمتثلون أمر ربهم

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٨٨ والاصابة لابن حجر ٢/ ٢٨٨

(٢) سنفصل الحديث عن هذا الموضوع . راجع ص/ ٧٤

(٣) سورة التوبة / آية ١٢٠

فيصبرون ويصابرون .

ـ وقد أمر الله المؤمنين بالصبر في مواضع كثيرة من آيات القرآن الكريم .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)(١)

وقال سبحانه : (لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور)(٢)

وهكذا ينبغي للمؤمنين أن يتمسكوا بعقيدتهم ولا يزيغوا عنها مهما اشتد بطش الاعداء وقهرهم ، ومهما حاول أهل الكفر أن يردوهم عن دينهم ، وقد وعد الله الصابرين المخلصين بفرج قريب .

قال تعالى : (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب)(٣)

* ولكن ماذا يفعل المؤمن اذا تعرض لبلاء شديد ، ضعفت نفسه عن تحمله ، وأحاط به الاعداء من كل جانب ليفتنوه في دينه ، وأذاقوه من العذاب ألوانا ؟

في هذه الحالة رخّص الاسلام في استعمال التقية ، وذلك بان يُظهر الانسان بلسانه موافقة الكفار وينطق بما يريدون حفاظاً على نفسه ولكن بشرط أن يبقى قلبه مطمئنا بالايمان فلا ينشرح صدره بكلمة الكفر .

وهذا يُعتبر من مرونه الاسلام وشموله وتعامله مع جميع مستويات الايمان عند الناس، وتحت كل الظروف . . وسنرى تفصيل أحكام التقية وضوابطها والرد على من شذ في استعمالها في ثنايا هذا البحث باذن الله .

---

(١) سورة آل عمران / آية ٢٠٠

(٢) سورة آل عمران / آية ١٨٦

(٣) سورة البقرة / آية ٢١٤

الفصل الثاني
تعريف التقية والأدلة على جوازها

وفيه مبحثان :

المبحث الاول : تعريف التقية لغة واصطلاحا

المبحث الثاني : الأدلة على جواز الترخص بالتقية

* تمهيد عن العزيمة والرخصة وتعريفها عند الاصوليين
* الأدلة على جواز التقية :
  ١ - من القرآن الكريم
  ٢ - من السنه
  ٣ - من الاجماع
* التقية والثبات

المبحث الأول

تعريف التقية

تعريف التقية لغة

قال الجوهري[١] في الصحاح :

اتقى يتَّقي ، أصله اوْتَقَى على افتَعَل ، فقلبت الواو ياءً لانكسار ماقبلها وأُبدِلت التاء وأُدغمت .

والتُقاة : التقيَّة . يقال : اتَّقى تقيَّة وتقاةً ، مثل : اتَّخم تُخَمَة

ووقاه الله وِقاية : أي حفظه .[٢]

وأورد ابن منظور[٣] في لسان العرب :

توقَّى واتقى بمعنى ، ومنه : (تَبَقَّهْ وتوقَّهْ) أي : استبق نفسك ولا تعرضها للتلف ، وتحرَّز من الافات واتَّقها .

والتوقية : الكلاءة والحفظ ، ورجل تقي : معناه أنه مُوَقٍّ نفسه من العذاب والمعاصي بالعمل الصالح[٤]

وقال الزبيدي[٥] في تاج العروس

وقاه يقيه ، وقاية وواقية : صانه وستره من الأذى وحماه وحفظه

---

(١) هو اسماعيل بن حماد الجوهري ، من أئمة اللغة ، أقام في نيسابور وتوفي فيها عام (٣٩٣هـ) - الأعلام ١/٣١٣ -

(٢) الصحاح للجوهري : تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار - ٦/٢٥٢٦ الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ

(٣) هو الامام محمد بن مكرم ، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الافريقي ، إمام لغوي حجة ، ولد بمصر عام (٦٣٠هـ) وتوفي فيها عام (٧١١هـ) - الاعلام ٧/١٠٨ -

(٤) لسان العرب لابن منظور - ١٥/٤٠١ - ٤٠٢ دار صادر - بيروت .

(٥) هو الامام محمد بن محمد الزبيدي ، الملقب بمرتضى ، علامة باللغة والحديث والرجال والانساب ، أصله من واسط في العراق ، ومولده في الهند ، ومنشأه في زبيد باليمن ، توفي عام ١٢٠٥هـ - الاعلام ٧/٧٠ -

ومنه قوله تعالى : (وما لهم من الله من واق)[١] أي: دافع. والتوقيه : الكلاءة والحفظ.[٢]

وبعد هذا الاستعراض لأقوال أئمة اللغة في معنى التقية نستنتج أن التقية تعني (لغة) : الحفظ والصيانة والحذر ، وأن أساسي التقية هما : الخوف والمحافظة على النفس في مواطن الخطر .

كما نستنتج أن النطق الصحيح لهذه الكلمة هو (التَقيَّة) بالتشديد ، وليس (التُقْيَة) بسكون القاف وتخفيف الياء ، وهذا ماترجح عندي من خلال مارجعت إليه من مراجع لغوية .[٣]

وهذه إحدى القراءات المتواترة في قوله تعالى : (إلا أن تتقوا منهم تقاة) فقد قرأ يعقوب الحضرمي[٤] : (تَقِيَّة) بفتح التاء وكسر القاف وتشديد الياء مفتوحة بعدها .[٥]

كما ذكر القرطبي أن جابر بن زيد ومجاهد والضحاك قرأوا : (الا أن تتقوا منهم تقية) .[٦]

والاتقاء في هذه الاية متعد بحرف (مِنْ) إما لأن الاتقاء تستر فعُدِّي بـ (مِن) كما يُعدَّى فعل (تستَّر) ، وإما لتضمينه معنى (تخافوا) .[٧]

---

(١) سورة الرعد / آية ٣٤

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس - ١٠/ ٣٩٦ - ٣٩٧ - دار مكتبة الحياة .

(٣) راجع بالاضافة الى ماسبق ذكره من كتب اللغة . . كتاب: تهذيب اللغة / لابي منصور محمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ) - ٩/ ٣٧٤ - تحقيق : عبدالسلام هارون - الدار المصرية .
وكتاب: القاموس المحيط/ لمحب الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) - ٤/ ٤٠٣ دار الجيل - بيروت .

(٤) يعقوب بن اسحاق بن زيد الحضرمي البصري، أحد القراء العشرة، ولد بالبصرة سنة ١١٧هـ وتوفي فيها سنة ٢٠٥هـ (الاعلام ٨/ ١٩٥)

(٥) النشر في القراءات العشر/ للحافظ ابن الجزري (ت٨٣٣) - ٢/ ٢٣٩ - دار الفكر.

(٦) الجامع لأحكام القرآن / للامام القرطبي - ٤/ ٥٧

(٧) تفسير التحرير والتنوير / للشيخ محمد الطاهر بن عاشور - ٣/ ٢٢٠ - الدار التونسية للنشر ١٩٦٩م

تعريف التقية اصطلاحا
عند أهل السنة

قلّما نجد من علماء أهل السنة من يُفرد للحديث عن التقية باباً خاصًا ، وانما يذكر الفقهاء أحكام التقية فى أبواب الاكراه وأحكام الأسير ، كما يتعرض علماء الاصول لهذا الموضوع فى باب الرخصة والعزيمة أوفي باب عوارض الاهلية .

أما علماء التفسير والحديث فإنهم يتحدثون عن موقف أهل السنة من التقية فى معرض تعليقاتهم وشروحهم للايات والاحاديث التى لها صلة بهذا الموضوع، والتى سنفصل الحديث عنها بعد صفحات .

على أن هناك من أسهب فى الحديث عن التقية من علماء أهل السنة لانه كان فى موطن الرد على الشيعة ، وما اشتُهروا به من انحرافات خطيرة فى مفهوم التقية ومجالاتها .

وهذا مافعله مثلاً العلامة الالوسي في تفسيره (روح المعاني)

ولذلك نجد الكثير من علماء أهل السنة قد تحدث عن أحكام التقية دون أن يذكر تعريفاً لها ، لأنهم جعلوها داخلة فى موضوعات أخرى كالاكراه والرخصة وغيرهما .

ومع هذا نجد عدة تعريفات للتقية عند بعض علماء أهل السنة من القدماء والمعاصرين ولكن معظمها تعريفات ناقصة لا تجمع أفراد المعرف ولا تمنع غيره من الدخول فيه .

ولنستعرض هذه التعريفات مع شئ من المناقشة والتعليق :

- قال الامام السرخسي:(١) (التقية أن يقي نفسه من العقوبة بما يظهره ، وإن كان يضمر خلافه)(٢)

---

(١) هوالامام محمد بن محمد ، رضي الدين السرخسي، فقيه من أكابر الحنفية، أقام مدة فى حلب ثم انتقل الى دمشق وتوفي فيها سنة (٥٧١ هـ) - راجع ترجمته فى الاعلام ٧ /٢٤ -

(٢) المبسوط للامام السرخسي- ٢٤ /٤٥ الطبعة الثانية - دار المعرفة فى بيروت

- وقال الامام المطرزى[١] : (التقية أن يقي نفسه من اللائمة أو العقوبه بما يُظهر ، وان كان على خلاف ما يضمر)[٢]

وهذان التعريفان ليس فيهما تحديد لصفة الشئ الذى يتم اخفاؤه والتظاهر بخلافه ، اذ قد يخفي الانسان باطله وكفره ويتظاهر بالايمان خوفاً من اللائمة أو العقوبة ، وهذا لا يسمى تقية بل يسمى نفاقاً ، ولذلك كان لابد من تقييد التعريف بقيد يميز بين الحالتين .

كما نلحظ جانباً آخر فى تعريف المطرزي وهو قوله : (أن يقي نفسه من اللائمة أو العقوبة) فاللائمة ليست مبرراً وسبباً لاستخدام التقية ، لأنه لا يجوز استخدامها للتخلص من اللوم والعقاب وبذلك يخرج تعريف الامام المطرزي من كونه تعريفاً اصطلاحياً لمفهوم التقية عند أهل السنة .

- ولننتقل الى تعريفات أخرى :

فقد عرّف الشيخ موسى جارالله[٣] التقية بقوله : (أن يقي الانسان نفسه أو غيره بما يظهره)[٤]
وعرّفها الشيخ محمد أبوزهرة[٥] بقوله : (أن يخفي الشخص مايعتقد دفعاً للأذى)[٦]

ونكرر هنا مالاحظناه على التعريفين السابقين ، وهو عدم وجود ضابط فيهما يميز بين التقية والنفاق ولو استعضنا عن كلمة (الانسان) و (الشخص) بكلمة (المسلم) لأمكننا أن نجعل

---

(١) هو الامام ناصر بن عبدالسيد أبى المكارم ، أبو الفتح المطرزى ، أديب لغوى من فقهاء الحنفية ، توفى فى خوارزم سنة (٦١٠ هـ) - الاعلام ٣٤٨/٧ -

(٢) المغرب فى ترتيب المعرب/ للامام أبى الفتح المطرزى - ٣٦٧/٢
تحقيق : محمود فاخورى وعبدالحميد مختار - طبع حلب .

(٣) ولد موسى جارالله فى (روستوف دون) بروسيا ، سنة ١٢٩٥ هـ وتفقه بالعربية والعلوم الاسلامية حتى أصبح شيخ الاسلام فى روسيا وامام الجامع الكبير فى (لنيغراد) ، حج وجاور بمكة ثلاث سنين ، وعاد الى بلاده ثم هاجر سنة ١٩٣٠م =

(٤) الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة/للشيخ موسى جارالله ص/٨١

(٥) هو الشيخ محمد بن أحمد أبوزهرة ، من كبار علماء الشريعة فى عصره ، ولد بمدينة المحلة الكبرى بمصر سنة (١٣١٦ هـ) وتوفى بالقاهرة سنة (١٣٩٤ هـ) وله مصنفات كثيرة مشهورة . - راجع ترجمته فى الاعلام ٢٥/٦ -

(٦) الامام الصادق للشيخ محمد أبوزهرة ص/ ٢٤١

هذا ضابطاً يخرج حالة النفاق من التعريفين السابقين ، فالمسلم يخفي إسلامه ، أما الشخص أو الانسان فهي كلمة عامة يدخل فيها المسلم والكافر .

- على أن هناك من عرف التقية بالدافع الذي يدفع اليها

فقد قال الامام الألوسي [١] : (التقية هي المحافظة على النفس أو العرض أو المال من شر الاعداء) [٢]

وهذا التعريف لا يختص بالتقية بل يشمل غيرها كالهجرة مثلا ، فقد يهاجر المسلم حفاظا على نفسه أو عرضه أو ماله من شر الاعداء .

كما أن تعريفه هذا مبني على عدم تخصيصه التقية فى أمور الدين ، وهذا ماصرح به بقوله : (العدو قسمان : الأول من كانت عداوته مبنية على اختلاف الدين كالكافر والمسلم ، والثاني من كانت عداوته مبنية على أغراض دنيوية كالمال والمتاع والملك والامارة ، ومن هنا صارت التقية قسمين) [٣]

وهذا التوسع فى معنى التقية يخالف ما ورد فى شأنها من أدلة سيرد الحديث عنها ، فالتقية رخصة جائزة مستثناه من أصل محرم شرعاً ، ولذلك لابد من تخصيصها بأمور الدين .

وهذا ماحدده الإمامان ابن حجر العسقلاني وبدر الدين العيني فى تعريفهما للتقية

- فقد قال الامام ابن حجر [٤] : (التقية : الحذر من إظهار مافي النفس من معتقد وغيره للغير) [٥]

= وزار بعض البلاد الاسلامية منها ايران ، وكان آخرها مصر حيث مرض فيها ثم توفى بالقاهرة سنة ١٣٦٩ هـ (راجع ترجمته فى الاعلام ٧ / ٣٢٠ - ٣٢١)

(١) سبقت ترجمته ص/ ٣٠ من هذا البحث .

(٢) (٣) روح المعانى / للامام شهاب الدين محمود الالوسي (ت ١٢٧٠ هـ) - ١/ ١٢١ دار الفكر - بيروت - ١٤٠٣ هـ

(٤) سبقت ترجمته ص / ١٣ من هذا البحث .

(٥) فتح البارى شرح صحيح البخارى / للامام أحمد بن على بن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) ١٢/ ٣١٤ - دار الفكر - بيروت

- وقال الامام العيني [(١)] : (التقية هي الحذر من إظهار مافي الضمير من العقيدة ونحوها عند الناس) [(٢)]

والظاهر أن المقصود بكلمة (ونحوها) مايتعلق بالعقائد ، وهي العبادات والتكاليف الشرعية أما المباحات كالطلاق والبيع والهبة فالاكراه عليها لا يدخل في باب التقية ، وان كان داخلاً في مباحث الاكراه .

ونلاحظ دقة الامام العيني في تعريفه عندما قيّد مايخفيه مستخدِم التقية في ضميره وهي (العقيدة ونحوها) وذكرَ كلمة (العقيدة) معرَّفة للاشارة الى العقيدة الحقة.

- وهذا الذي أشار اليه الامام العيني وضّحه الشيخ محمد رشيد رضا [(٣)] حيث عرف التقية بقوله : (التقية هي مايُقال أو يُفعل مخالفاً للحق لأجل توقي الضرر) [(٤)]

وكلمة (مخالفاً للحق) قيد لابد منه لتمييز التقية عن غيرها ، وقد أغفلت معظم التعريفات السابقة هذا القيد .

ولكن تعريف الشيخ رشيد رضا لا ينطبق على جميع حالات التقية لأنه خصصها بالقول أو الفعل وبهذا يخرج الكتمان ، مع ان كتمان الايمان خوفاً من الضرر والاذى داخل في مسمى التقية ، ولو عددنا الكتمان فعل إلا أن التصريح بذكره أولى

---

(١) هو الامام محمود بن أحمد ، بدر الدين العيني الحنفي ، مؤرخ علامة من كبار المحدثين ، أصله من حلب ، ومولده في (عينتاب) قرب حلب واليها ينسب ، ولد سنة (٧٦٢هـ) ، وأقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس ، وتوفي بالقاهرة سنة (٨٥٥هـ) . راجع ترجمته في الاعلام ٧/١٦٣ -

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري / للامام بدرالدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ) دار احياء التراث العربي - بيروت .

(٣) هو الشيخ محمد رشيد بن علي رضا ، البغدادي الاصل ، ولد ونشأ في القلمون (بطرابلس الشام) عام (١٢٨٢ هـ) وتعلم فيها ثم رحل الى مصر ولازم الشيخ محمد عبده ، وتوفي بالقاهرة سنة (١٣٥٤هـ) - راجع ترجمته في الاعلام ٦/١٢٦ -

(٤) تفسير المنار ٣/٢٨٠

أما تعريفا الامامين ابن حجر والعيني فانهما على اختصارهما يشملان الكتمان ، لأن الحذر يكون بالقول أو الفعل كما يكون بالكتمان .

- ونستنتج من كل ماسبق أن أدق التعريفات وأرجحها هو تعريف الامامين ابن حجر والعيني ، على أن يضاف قيد لزيادة التوضيح ، وهو القيد الذى ذكره الشيخ رشيد رضا بقوله (مخالفاً للحق) للتأكيد على أن مايخفيه مستخدِم التقية فى قلبه هو الايمان لا النفاق وذلك يتم بإضافة كلمة (المسلم) إلى التعريف

وبذلك نصل الى التعريف التالى للتقية :

(التقية هى حذر المسلم من إظهار مافي نفسه من العقيدة ونحوها للغير)

ويكون هذا الحذر بأحد أمرين :

١ - الكتمان ، بأن يخفي المسلم إيمانه أو بعض مايعتقد خوفاً من الضرر ، دون أن يتظاهر بخلافه .

٢ - التظاهر بالكفر أو بشئ من المعاصي ، سواء كان هذا التظاهر بالقول أو الفعل .

أو نقول :(التقية هى حذر المسلم من إظهار مافي قلبه من الايمان بكتمانه أو التظاهر بخلافه)ولزيادة التوضيح نذكر بعض التعريفات الاخرى التي فيها شئ من التفصيل ، وهى تعريفات لبعض الكتّاب المعاصرين :

فقد عرف الدكتور عرفان عبد الحميد التقية بقوله :

(هي إخفاء المعتقد خوفاً من ضرر هالك ، ومعاشرة ظاهرة مع العدو والمخالف ، والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء ، وانتظار زوال المانع من شق العصا) .(١)

وعرفها الدكتور أحمد جلي بقوله :

(التقية اتخاذ الحيطة والحذر حفاظاً على النفس أو المال أو العرض ، وذلك بأن يُظهر الانسان غير مايضمر اذا اجتمع بمخالفيه فى المعتقد حتى لا ينكشف أمره أو يفشوَ سره

---

(١) دراسات فى الفرق والعقائد الاسلامية - ص/ ٥٤ - موسسة الرسالة - الطبعة الاولى - ١٤٠٤ هـ

فيتعرض للأذى أو الشر) .[1]

أما متى يكون هذا الحذر وهذا الإخفاء وما هي الضوابط في استخدام التقية ؟

كل هذا سنجده تفصيلياً في ثنايا هذا البحث باذن الله .

---

(١) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين - ص / ١٥٣ - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية - الطبعة الاولى - ١٤٠٦ هـ

المبحث الثاني

الأدلة على جواز الترخص بالتقية

تمهيد عن العزيمة والرخصة وتعريفهما عند الأصوليين

العزيمة لغة : من عزمت على كذا اذا أردت فعله وقطعت عليه .[١]

أما اصطلاحاً فقد عرفها الاصوليون بتعريفات عدة أبرزها مايلي :

- قال الامام ابن قدامة[٢] : العزيمة هي الحكم الثابت من غير مخالفة دليل شرعي .[٣]
- وقال الامام الشاطبي[٤] : العزيمة ماشُرع من الأحكام الكلية ابتداءً .

ومعنى كونها كلية أنها لا تختص ببعض المكلفين دون بعض ، ولا ببعض الاحوال دون بعض ، كالصلاة مثلاً .[٥]

وعلى هذا تكون العزيمة حكماً عاماً ، وهو الحكم الاصلي ويشمل الناس جميعاً .

أما الرخصة فهي لغة : خلاف التشديد ، واليسر والسهولة ، ومنه رَخُص السعر اذا تراجع وسهل بالشراء ، ورَخَّص له في الامر : أَذِن له فيه بعد النهي عنه .[٦]

وشرعاً : ورد فيها تعريفات عدة أبرزها :

- قول الامام ابن قدامة : الرخصة استباحة المحظور مع قيام الحاظر .[٧]
- وقول الامام الشاطبي : الرخصة ماشُرع لعذر شاق استثناء من أصل كلي يقتضي المنع ، مع الاقتصار على مواضع الحاجة فيه .[٨]

---

(١) الصحاح للجوهري ٥ / ١٩٨٥ .

(٢) هو الامام عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي ، موفق الدين ، ولد عام (٥٤١ هـ) وتوفي عام (٦٢٠ هـ) ، وله تصانيف مشهورة أبرزها : (المغني) شرح به مختصر الخرقي ، و(روضة الناظر) في أصول الفقه ، و(المقنع) و(لمعة الاعتقاد) . انظر : الاعلام ٤ / ٦٧ .

(٣) روضة الناظر وجُنة المناظر ، ص ٣٢ ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٧ ـ المكتبة السلفية بالقاهرة .

(٤) هو الامام ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي ، الشهير بالشاطبي من أئمة المالكية ، توفي عام (٧٩٠ هـ) ، ومن أبرز كتبه : الموافقات والاعتصام وشرح الألفية وغيرها . انظر : الاعلام ١ / ٧٥ .

(٥) الموافقات في أصول الأحكام ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ١ / ٢٠٥ طبع القاهرة .

(٦) الصحاح ٣ / ١٠٤١ ، لسان العرب ٧ / ٤٠ .

(٧) روضة الناظر ص ٣٢ . (٨) الموافقات ١ / ٢٠٦ .

وكونه شاقاً لأنه قد يكون العذر مجرد الحاجة من غير مشقة موجودة ، فلا يسمى ذلك رخصة ، وكونه مستثنى من أصل كلي لبيان أنه ليس بمشروع ابتداء .

وقال الامام علاء الدين البخاري[1] : (الرخصة هي الحكم الثابت على خلاف الدليل لمعارض راجح)[2]

فقوله : الثابت على خلاف الدليل : احترازعما ثبت على وفق الدليل فانه لا يكون رخصة بل عزيمة ، كالصوم في الحضر.

وقوله : لمعارض راجح : احترازمما لوكان غير راجح بل مساوٍ ، فيلزم الوقف على حصول المرجح ، أو قاصر عن مساواة الدليل الشرعي ، فلا يؤثر وتبقى العزيمة بحالها[3]

وهناك تعريفات أخرى للرخصة منها :

(ما وسع على المكلف فعله بعذر ، مع كونه حراماً في حق من لا عذر له ، أو وسع على المكلف تركه ، مع قيام الوجوب في حق غير المعذور)[4]

وهكذا نجد أن العزيمة حكم عام هو الحكم الأصلي ، والرخصة ليست من الاحكام الاصلية ، وانما جاءت لتمنع استمرار الالزام في الحكم الاصلي لعذر اقتضى ذلك ، تحقيقاً لقصد الشارع في التخفيف عن المكلفين ورفع الحرج ودفع الضيق عنهم.[5]

فالعزيمة راجعة الى أصل كلي ابتدائي ، والرخصة راجعة إلى جزئي مستثنى من ذلك الأصل الكلي[6]. والرخصة لها أسباب كثيرة : منها الضرورة ، وذلك كمن يكون في

---

(١) هو الامام علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري ، فقيه حنفي من علماء الاصول ، من أهل بخارى ، توفي عام (٧٣٠ هـ) . - الاعلام ٤ / ١٣ -

(٢) كشف الاسرار عن أصول فخر الاسلام البزدوي - ٢ / ٢٩٨ - دار الكتاب العربي بيروت

(٣) أحكام الرخص في الشريعة الاسلامية للدكتور حسين الجبوري ص/ ١٢ مكتبة المنارة بمكة - ط٢ - ١٤٠٨ هـ .

(٤) كشف الاسرار ٢ / ٢٩٩

(٥) أحكام الرخص في الشريعة الاسلامية ص/ ١٢

(٦) الموافقات ١ / ٢٠٦

حالة مخمصة ويخشى على نفسه الموت ولا يجد ما يأكله الا الميته ، فإنه يجوز له أن يأكل منها .

ومنها دفع الحرج والمشقة كرخصة الافطار في رمضان (١)

والرخصة تنقسم إلى قسمين : رخصة فعل ورخصة ترك . (٢)

فرخصة الفعل مثالها إجراء المكرَه كلمة الكفر على لسانه ، ورخصة الترك مثالها ترك الخائف على نفسه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وانما يرخص فى ذلك لأن عدم الأخذ بالرخصة يؤدي إلى إتلاف النفس صورة ومعنى ، والأخذ بالرخصة يؤدي إلى إتلاف حق الشرع أو حق العبد صورة لا معنى ، إذ التصديق بالقلب والاحتساب به باقٍ ، الا انه في الامتناع باذل نفسه لإقامة حق الله فكان مأجوراً (٣) ورخصة التلفظ بالكفر تكون فى الضروريات أما في الحاجيات والتحسينات فلا تدخل فيها . (٤)

والرخصة هنا تفيد عدم المؤاخذة بالفعل أو الترك ، وليس معناها سقوط الحرمة ، فالترخيص بإباحة إجراء كلمة الكفر على اللسان بعذر الاكراه ليس معناه سقوط حرمة الكفر وصيرورته مباحا ، بل معناه أن الله عزوجل يسقط العقوبة لأجل العذر. (٥)

---

(١)(٢) أصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة ص/ ٥١ دار الفكر العربي .

(٣) المغني في أصول الفقه للامام عمر الخبازي ص/ ٨٧

(٤) الموافقات ٢ / ٥ ومقاصد الشارع ثلاثة أقسام نذكرها ملخصة من الموافقات (٢ / ٥-٦)

وهي : ١ - الضروريات : وهي التى لابد منها فى قيام مصالح الدين والدنيا ، ومجموعها خمس : حفظ الدين ، والنفس ، والنسل ، والمال ، والعقل .

٢ - الحاجيات : يفتقر اليها من حيث التوسعة ، فإذا لم تراع دخل على المكلفين الحرج لكنه لا يبلغ مبلغ الفساد ، كإباحة الصيد والسَلَم .

٣ - التحسينات : الأخذ بما يليق من محاسن العادات ، ويجمع ذلك قسم مكارم الاخلاق ومنها التقرب بالنوافل وغيرها من المحاسن الزائدة على أصل المصالح الضرورية والحاجية .

(٥) أحكام الرخص فى الشريعة الاسلامية ص/ ٢٧ - ٢٨

وهكذا أقرت الشريعة الاسلامية مبدأ التخفيف والتيسير على العباد فيما كلفوا به ، مراعاة لاعذارهم ، وتحقيقاً لمصالحهم فى العاجل والآجل .

قال تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) .(١)

وقال عزوجل : (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) .(٢)

وقال سبحانه : (وما جعل عليكم في الدين من حرج) .(٣)

وقال صلى الله عليه وسلم : (إن هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدينَ أحدٌ إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا)(٤)

وأبرز مارخص الله به مراعاةً لأحوال المكلفين ولاختلاف مستويات الايمان والصبر عندهم ، جواز التظاهر بالكفر أو بشيء من المعاصي مع اطمئنان القلب بالايمان في حال الاكراه ، وهذا ما سنعرض له فى هذا البحث بإذن الله .

---

(١) سورة البقرة . آية / ١٨٥

(٢) سورة البقرة . آية / ٢٨٦

(٣) سورة الحج . آية / ٧٨

(٤) رواه البخارى ١/١٦ كتاب الايمان ، باب الدين يسر

الادلة على جواز التقية

أولا : الادلة من القرآن الكريم

تكرر التأكيد فى القرآن الكريم على ولاء المسلم لله ولرسوله وللمؤمنين والنهى عن موالاة الكافرين ، والتحذير من أن يرتد المسلم عن دينه أو يميل قلبه الى غير الدين الحق . . . وهذا هو الموقف الثابت الذى لا يحيد عنه أي مسلم مهما اضطر الى ذلك ولكن الرخصة وردت فى آيتين من كتاب الله تعالى بجواز التقية فى حالة الاكراه .

والآيتان هما :

الاية الاولى : قوله تعالى فى سورة آل عمران :(لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير) .

وقد ورد في معنى الآية قولان :

الاول :وهو الارجح عند الجمهور [(١)] والذي يعد دليلاً على جواز التقية عند أهل السنة ،بل هو

(١) بل إن جميع كتب التفسير التي بحثت فيها ورجعت اليها أكدت هذا المعنى وأيدته . راجع مثلاً : جامع البيان للطبري (ت ٣٠٠) ٢٢٨/٣ - أحكام القرآن للكياهراس (ت ٥٠٤) ١٩/٢ - معالم التنزيل للبغوي (ت ٥١٦) ٣٣٦/١ الكشاف للزمخشري (ت٥٣٨) ٤٢٢/١ - المحرر الوجيز لابن عطية (ت٥٤١) — ٣٧٩/٢ - أحكام القرآن لابن العربي (ت٥٤٣) ٢٦٨/١ - زاد المسير لابن الجوزى (ت٥٩٧) ٣٧٢/١ التفسير الكبير للفخر الرازي (ت٦٠٦) ١٣/٨ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت٦٧١) ٥٧/٤ - أنوار التنزيل للبيضاوي (ت ٦٨٥)ص ٧١ مدارك التنزيل وحقائق التاويل للنسفي (ت٧٠١) / - لباب التأويل للخازن (ت٧٢٥) ٣٣٦/١ - التسهيل لابن جُزي (ت٧٤١) ١٨٥/١ - البحر المحيط لابي حيان (ت٧٥٤) ٤٢٢/٢ تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت٧٧٤) ٣٥٧/١ - تفسير أبى السعود (ت٩٥١) ٢٣/٢ - روح المعاني للألوسي (١٢٧٠) ١٢١/٣

دليل عند كل من أجاز التقية من الفرق الاخرى ، وهو تفسير الآية بالتظاهر باللسان في حالة الخوف دفعاً للاذى مع اطمئنان القلب بالايمان

وقد تحدث الامام البغوي عن هذا المعنى بدقة ووضوح فقال :

(معنى الآية : أن الله تعالى نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم الا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين ،أو يكون المؤمن فى قوم كفار يخافهم فيداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالايمان دفعاً عن نفسه من غيرأ ن يستحل دماً حراماً أو يظهر الكفار على عورة المسلمين) (١)

فالآية الكريمة أجازت للمسلم أن يدارى الكفار بلسانه ويظهر لهم الولاية اتقاء لشرهم فى حالة الاكراه على ان يبقى القلب مطمئناً بالايمان مبغضاً للاعداء منتظراً زوال هذا المانع فالتقية تأثيرها فى الظاهر لافى أحوال القلوب .

ولزيادة المعنى تأكيداً وتفصيلاً ننقل أقوالاً أخرى لأئمة المفسرين فى معنى هذه الآيه :

ـ قال الامام ابن جرير الطبري (ت ٣١٠) :

(الا أن تتقوا منهم تقاة : الا أن تكونوا فى سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم ، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم ، وتضمروا لهم العداوة ، ولا تشايعوهم على ماهم عليه من الكفر ، ولا تعينوهم على مسلم بفعل) (٢) . وقال الامام الكياهراس (٥٠٤) : (قوله تعالى "الا أن تتقوا منهم تقاة" يدل على أن إظهار الموافقة فى الاعتقاد وغيره جائز للتقية) (٣)

ـ وقال الامام ابن كثير (ت ٧٧٤) :

(من خاف فى بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم لظاهره لا بباطنه ونيته) (٤)

---

(١) تفسير البغوي ١/ ٣٣٦

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبرى ٣ / ٢٢٨

(٣) أحكام القرآن للكياهراس ٢ / ١٩ وهو الامام على بن محمد بن على الطبرى ،الملقب بعماد الدين ، والمعروف بالكيا الهراس ،فقيه شافعى مفسر (انظر ترجمته فى الاعلام ٤/ ٣٢٩)

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٣٥٧

القول الثاني فى معنى الاية : انفرد به من التابعين قتادة (١)

حيث قال : (الا أن تتقوا منهم تقاة : الرحم من المشركين من غير أن يتولوهم في دينهم ، إلا أن يصل رحما له في المشركين) (٢)

وقد رد الطبري هذا التأويل قائلاً : (وهذا الذي قاله قتادة تأويل له وجه ، وليس بالوجه الذى يدل عليه ظاهر الاية : (الا أن تتقوا منهم تقاة) ، فالاغلب من معانى هذا الكلام : الا أن تخافوا منهم مخافة . فالتقية التى ذكرها الله فى هذه الاية إنما هي تقية من الكفار لا من غيرهم ، ووجّهه قتادة الى أن تأويله : الا أن تتقوا الله من أجل القرابة بينكم وبينهم تقاة ، فتصلون رحمها . والتأويل فى القرآن على الأغلب الظاهر من معروف كلام العرب المستعمل فيهم) (٣) .

ومع أن صلة رحم الكفار جائزة ، ولا تدخل فى موالاتهم . فان تفسير هذه الاية بصلة تلك الرحم ضعيف ولا يتفق مع أسباب نزولها كما سنرى ، ولذلك قال ابن العربي فى رد قول قتادة :

(هذا القول وان كان جائزا فى الدين فليس بقوي من معنى الاية ، وانما فائدتها ماتقدم في القول الاول) (٤)

فالآية الكريمة تحذر من موالاة الكفار وترخص بالتقية لمن خاف فى بعض الحالات التى سنرى تفصيلها فى هذا البحث

(ولما كان الامر فى هذه الحالة متروكا للضمائر ولتقوى القلوب وخشيتها من علام الغيوب فقد تضمن هذا التهديد تحذير المؤمنين من نقمة الله وغضبه فى صورة عجيبة من التعبير حقاً : ويحذركم الله نفسه والى الله المصير) (٥) .

---

(١) هو قتادة بن دعامة أبو الخطاب السدوسي البصرى ، مفسر حافظ ، ولد سنة ٦١ هـ وتوفى سنة ١١٨ هـ ، قال عنه الامام أحمد بن حنبل : قتادة أحفظ أهل البصرة (الاعلام ٥/١٨٩)

(٢) جامع البيان للطبرى ٣/٢٢٩

(٣) المرجع السابق / نفس الصفحة

(٤) أحكام القرآن لابن العربى ١/٢٦٨

(٥) فى ظلال القرآن لسيد قطب ١/٣٨٠

سبب نزول هذه الآية :

١ ـ روى الضحاك عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عبادة بن الصامت الأنصاري ، وكان تقياً ، وكان له حلف مع اليهود ، فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب قال عبادة : يانبي الله إن معي خمسمائة رجل من اليهود وقد رأيت ان يخرجوا معي فاستظهر بهم على العدو ، فأنزل الله تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) الآية (١)

٢ ـ وقيل إنها نزلت في عمار بن ياسر حين تكلم ببعض ما أراد منه المشركون (٢)

٣ ـ وأخرج ابن اسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

كان الحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشراف ، وابن أبي الحقيق ، وقيس بن زيد قد بطنوا بنفر من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر ، وعبد الله بن جبير ، وسعد بن خيثمة لأولئك النفر : اجتنبوا هؤلاء النفر من يهود واحذروا مباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم . فأبى أولئك النفر ، فأنزل الله فيهم (لا يتخذ المؤمنون الكافرين) إلى قوله (والله على كل شئ قدير) (٣)

٤ ـ وقال قوم : نزلت في قصة حاطب بن ابي بلتعة ، وكتابه الى اهل مكة (٤)

٥ ـ وقال الواحدي : نزلت في المنافقين عبد الله بن أُبيّ وأصحابه ، كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالأخبار ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم (٥)

---

(١) تفسير القرطبي ٤ / ٥٨ ـ وأسباب النزول للواحدي / ص ٧٣ .

(٢) تفسير القرطبي ٤ / ٥٨

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٢ / ١٧٦ وأسباب النزول للواحدي ص/ ٧٣

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ٢ / ٣٧٩

(٥) أسباب النزول للواحدي ص/ ٧٣

والسبب الثاني وهو نزول الآية فى عمار بن ياسر انفرد به القرطبى وذكره بصيغة التضعيف (قيل) وكأنه يشير الى ضعفه، وهذا هو الراجح إذ أن الذي نزل فى عمار بن ياسر هو الآية في سورة النحل كما سنرى . وباقى الاسباب الاخرى تشير إلى أن الآية نزلت في المدينة المنورة وهى أسباب لا مانع من اجتماعها لتعلقها واتصالها بمعنى الآية وموضوعها الرئيسى وهو النهي عن موالاة الكفار .

الآية الثانية : قوله تعالى فى سورة النحل :

(من كفر بالله من بعد إيمانه الا مَنْ أُكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكنْ من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم. ذلك بأنهم استحبُّوا الحياة الدنيا على الاخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين).

قال ابن عباس (رضي الله عنهما) فى تفسير هذه الاية :

(أخبر الله سبحانه أنه من كفر من بعد إيمانه فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم ، فأما من أُكره فتكلم به لسانه وخالفه قلبه بالايمان لينجو بذلك من عدو فلا حرج عليه لأن الله سبحانه إنما ياخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم) (١)

وبعض المفسرين ربط معنى هاتين الآيتين بالآية التي قبلهما وهي قوله تعالى :

(إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون)

فيكون المعنى : إنما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه ، واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء . (٢) ضعَّف الامام الطبري هذا القول قائلا :

(هذا قول لا وجه له ، وذلك أن معنى الكلام لو كان كما قال قائل هذا القول ، لكان

---

(١) تفسير الطبرى ١٤ / ١٨٢

(٢) نقل الطبري هذا القول عن الزجّاج ، وبذلك يكون (من كفر بالله) بدل ممن يفترى الكذب لانه رأى الكلام إلى اخر الاستثناء غير تام فعلّقه بما قبله ، أما القول الاول فقد نُقل عن الأخفش ، وبذلك يكون (مَنْ) ابتداء وخبره محذوف ، اكتفى منه بخبر (مَنْ) الثانية ، كقولك (مَنْ يأتنا مَن يحسن نكرمه) ـ تفسير القرطبي ١٠ / ١٨٠ ـ وممن رجح التفسير الثاني للآية :
النسفى ٢ / ٢٠٠ ـ الفخر الرازى ٢٠ / ١٢٢

الله تعالى قد أخرج ممن افترى الكذب فى هذه الاية الذين ولدوا على الكفر وأقاموا عليه ولم يؤمنوا قط وخص به الذين قد كانوا آمنوا فى الحال ، ثم رجعوا الى الكفر بعد الايمان ، والتنزيل يدل على انه لم يخصص هؤلاء دون سائر المشركين)(١)

فالمعنى المختار إذن :

(من كفر بالله من بعد إيمانه ، الا من أُكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر بلسانه وقلبُه مطمئن بالايمان ، موقن بحقيقة ، صحيح عليه عزمه ، غير مفسوح الصدر بالكفر لكن من شرح بالكفر صدراً فاختاره وآثره على الايمان ، وباح به طائعا ، فعليهم غضب من الله ، ولهم عذاب عظيم)(٢)

- قال الامام الجصاص فى تعليقه على هذه الاية :

(هذه أصل فى جواز إظهار كلمة الكفر فى حال الاكراه)(٣)

- وقال الامام ابن حجر :

(هذا وعيد شديد لمن ارتد مختاراً . وأما من أُكره على ذلك فهو معذور بالاية لان الاستثناء من الإثبات نفي ، فيقتضي أن لا يدخل الذى أُكره على الكفر تحت الوعيد)(٤)

وإذا كانت الاية تتحدث عن الاكراه على الكفر وترخص فى التقية فى أهم ما يجب التمسك به وهو الايمان فان التقية فى فروع الشريعة تدخل فى هذا الحكم من باب الأولى استدلالا بهذه الاية .

---

(١) تفسير الطبري ١٤/ ١٨١

(٢) تفسير الطبرى ١٤/ ١٨٢

(٣) احكام القرآن للجصاص ٣/ ١٩٢

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٢/ ٣١٢

ـ أي تظاهراً ـ

قال الامام القرطبي : (لما سمح الله بالكفر به أوهو أصل الشريعة عند الاكراه ولم يؤاخذ به ، حمل العلماء عليه فروع الشريعة كلها ، فإذا وقع الاكراه عليها لم يؤاخذ به) (١)

أسباب نزول هذه الآية :

قال الامام ابن الجوزي :

اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال :

١ ـ أنها نزلت في عمار بن ياسر أخذه المشركون فعذبوه فأعطاهم ما أرادوا بلسانه . (٢)

رواه مجاهد عن ابن عباس ، وبه قال قتادة

٢ ـ أنه لما نزل قوله : (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) الآية . كتب بها المسلمون الذين بالمدينة إلى من كان بمكة ، فخرج ناس ممن أقر بالاسلام فاتبعهم المشركون فادركوهم ، فأكرهوهم حتى أعطوا الفتنة . فنزل (إلا من أُكره) الآية .

رواه عكرمة عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد (٣)

٣ ـ أن الاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة ، كان قد هاجر فحلفت أمه ألا تستظل ولا تشبع من طعام حتى يرجع ، فرجع اليها .

---

(١) تفسير القرطبي ١٠ / ١٨١

(٢) وقد أورد السيوطي في الدر المنثور (٥ / ١٦٩ - ١٧١) روايات تؤكد ذلك عن ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وعبد الرازق وابن سعد والحاكم وغيرهم ، وسوف نفصل الحديث عن ذلك بعد صفحات .

(٣) واخرجه ابن ابي شيبه وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم (الدر المنثور ٥ / ١٧١)

فأكرهه المشركون حتى اعطاهم بعض مايريدون .[(١)]

٤ - أنها نزلت في جبر ، غلام ابن الحضرمي ، كان يهوديا فأسلم فضربه سيده حتى رجع الى اليهودية.[(٢)])

والملاحظ على أسباب النزول السابقة أن السبب الاول كان في مكة حينما اشتدت وطأة قريش على المسلمين واشتد الاذى عليهم، ومنهم عمار بن ياسر أما الاسباب الثلاثة الأخرى فهي في المدينة بعد الهجرة. ولكن البعض قد ذهب الى أن سورة النحل كلها مكية ، وعليه تكون خواتيمها نزلت مرة بمكة ومرة بالمدينة لتكرر المناسبة[(٣)]

وتكرار نزول الاية ممكن وفيه حكمة عالية وهي تنبيه الله لعباده ولفت نظرهم إلى مافي طي تلك الآيات المكررة من الوصايا النافعة ، والفوائد الجمة للتدرع بالصبر والثبات[(٤)]

والآيات التي نحن بصدد الحديث عنها لها أهمية بالغة في التحذير من الردة أو الميل للكافرين في أمور العقائد الاسلامية الأخرى .

- وهناك أدلة أخرى من القرآن الكريم يمكن اعتبارها أدلة غير مباشرة على جواز الترخص بالتقية في حالة الاكراه ومنها :

١ - قوله تعالى : (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً) .[(٥)]

---

(١) أورد السيوطي عن ابن ابي حاتم عن قتادة أن الذي نزل في عياش هو قوله تعالى (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتنوا) الاية . (الدر المنثور ٥ / ١٧٣)

(٢) زاد المسير في علم التفسير ٤ / ٤٩٥ - ٤٩٦ . وراجع أسباب النزول للواحدي ص (٢١٢ - ٢١٣)

(٣) راجع: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ١ / ١١٣

(٤) المرجع السابق ١ / ١١٤

(٥) سورة النساء، الآيات / ٩٧ - ٩٩

وقد سبق تفسير هذه الايات ، والحديث عن سبب نزولها [١] ، ولكننا هنا نشير الى ان الله سبحانه توعد المتخلفين عن الهجرة بغير عذر قاهر بالعذاب الشديد ثم استثنى جل ثناؤه المستضعفين الذين استضعفهم المشركون من الرجال والنساء وألزموهم بالمقام فى دار الكفر ،فتفضّل سبحانه بالصفح عنهم فى ترك الهجرة إذ لم يتركوها اختياراً ، ولا إيثاراً منهم لدار الكفر على دار الاسلام ولكن للعجز الذي هم فيه عن النقلة عنها [٢]

فهؤلاء يعذرون بترك الهجرة والبقاء فى مكة يكتمون اسلامهم ويظهرون التقية لاعدائهم .

وقد ذكر الامام البخاري هذه الايات فى صحيحه في مطلع كتاب الاكراه ثم علّق عليها قائلاً :

(فعذر الله المستضعفين الذين لا يمتنعون من تركِ ماأمر الله به ، والمكره لا يكون إلا مستضعفا ،غير ممتنع من فعل ماأُمر به) [٣]

ويتبين من هذه الايات أن التقية رخصة فى حالة الضرورة ، وأنه يجب على المسلم أن يتحين الفرص للهجرة من دار الكفر حتى لا يضطر للعمل بالتقية .

وقد كان رسول الله " صلى الله عليه وسلم " يدعو الله فى صلاته أن يهيأ لهؤلاء - المستضعفين فرجاً ومخرجاً .

روى ابن جرير بسنده عن ابي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله " صلى الله عليه وسلم " كان يدعو فى دبر كل صلاة :

---

(١) راجع ص/ ٥٥ من هذا البحث

(٢) تفسير الطبرى ٥/ ٢٣٣

(٣) صحيح البخاري ٤ / ٢٠٠ كتاب الاكراه

(اللهم خلِّص الوليد وسلمه بن هشام وعياش بن أبي ربيعه وضعفة المسلمين من أيدي المشركين،الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا) وفى رواية أنه كان يقول : (اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين)[١] .

قال الامام ابن حجر : (يستفاد منه أن الاكراه على الكفر لو كان كفراً لما دعا لهم وسماهم مؤمنين)[٢] .

٢ ـ قوله تعالى : (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهديَ معكوفاً أن يبلغ مَحِلَّه ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبَكم منهم معرَّة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيَّلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً)[٣] .

وهذه الآية الكريمة تصف ما أقدم عليه المشركون فى مكة ، حيث منعوا المسلمين من دخول المسجد الحرام عام الحديبية ، حين أحرم النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه بالعمرة ، ومنعوا الهديَ وحبسوه عن أن يبلغ محله .

ثم يقول جل ثناؤه أنه لولا رجال من أهل الايمان ونساء منهم يكتمون إيمانهم بمكة وقد حبسهم المشركون بها ، وأنتم لا تعلموهم ، لأذِن الله لكم في دخول مكة ولسلطكم على كفارها ، ولكن لو تمَّ ذلك فقد تُوقعوا بهؤلاء المؤمنين وتقتلوا منهم دون علم منكم بايمانهم ، ولو تزيلوا:أي تميَّز الذين يكتمون إيمانهم بمكة[٤] وفارقوا المشركين لعذب

(١) تفسير الطبرى ٥/٢٣٧ ورواه أيضا البخاري فى صحيحه في كتاب الاكراه ٤/٢٠٠

(٢) فتح الباري ١٢/٣١٥

(٣) سورة الفتح / آية ٢٥

(٤) ذكر الامام ابن العربى فى أحكام القرآن ٤/١٧٠٨ قولاً آخر فى معنى (لو تزيلوا) فقال : (قال جماعة: إن معناة لو تزيلوا عن بطون النساء وأصلاب الرجال) أي المؤمنون الذين هم في أصلاب الكفار . ثم ردَّ عليه وضعفه فقال :
(وهذا ضعيف، لقوله تعالى : "أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم" ومَن فى صلب الرجل لا يُوطأ ولا تصيب منه معرة) فالمقصود بالآية المستضعفون من المؤمنين فى مكة.

الله من بقي في مكة من المشركين عذاباً أليماً .[1]

وهكذا قضت حكمة الله أن لا يدخل المسلمون مكة عام الحديبية صيانة لهؤلاء المستضعفين الذين يكتمون إيمانهم ، ولا يعلم المسلمون بأمرهم ، ولقد وصف الله سبحانه هؤلاء المستضعفين بوصف الايمان مع أنهم لم يُظهروا ايمانهم ، وهذا دليل على جواز استخدامهم التقية لكتمان إيمانهم خوفاً من بطش المشركين

ـ أما قوله تعالى : (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه)[2] فهذه الآية ـ كما أرى ـ لا تصلح دليلاً صريحاً فى موضوعنا هذا لأن كتمان هذا المؤمن إيمانه لم يكن على ما يبدو بسبب الخوف من بطش فرعون ، فهو ابن عمه وولي عهده ، وانما كان لمصلحة موسى ومن آمن معه ، ولذلك نجده يتصدى لمؤامرة قتل موسى ويقف مدافعاً عنه ناصحاً لقومه محذراً لهم من عذاب الله ، وهذا لا يفعله من يستخدم التقية ، وسيجد القارئ تفصيل هذا الموضوع فى الباب الثاني إن شاء الله .[3]

---

(١) تفسير الطبري ٢٦/٩٥ - ١٠٢ تفسير القرطبي ١٦/٢٨٦ - ٢٨٧

(٢) سورة غافر آية / ٢٨

(٣) راجع ص / ٢٩٩ من هذا البحث .

ثانيا ـ الادلة من السنة

الدليل الاول :

أخرج عبدالرزاق وابن سعد وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل من طريق أبي عبيدة بن محمد بن عمار ، عن أبيه قال :

أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبى صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتم بخير ثم تركوه فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما وراءك شئ ؟ قال : شر ما تُركت حتى نلت منك وذكرت آلهتم بخير. قال : كيف تجد قلبك ؟ قال : مطمئن بالايمان . قال : إن عادوا فعد . فنزلت (إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالايمان) .

وفى رواية لابن سعد عن محمد بن سيرين : (ان النبى صلى الله عليه وسلم لقيَ عماراً وهو يبكي فجعل يمسح عن عينيه ويقول : (أخذك الكفار فغطوك فى الماء فقلتَ كذا وكذا . . فإن عادوا فقل ذلك لهم) [1]

فالرسول صلى الله عليه وسلم أذن لعمار بن ياسر فى استعمال التقية ، وكان قد تعرض للايذاء والاكراه من قبل المشركين وشهد موت أبيه وأمه سمية تحت العذاب ولم يقوَ على تحمل الايذاء الشديد الذى صبّه عليه المشركون بقسوة فأعطاهم ما أرادوا من ظاهر الكلام الذي يرضيهم ولكن قلبه كان مطمئناً بالايمان، ومع ذلك سارع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باكياً خشية أن يكون قد اقترف إثماً أو خرج من الايمان فجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه ويخفف عنه ويقول :(فان عادوا فعد) .

وهذا دليل على جواز الترخص بالتقية فى حال الاكراه وأن الاثم يُرفع عنه في هذه الحالة .

---

(١) الدر المنثور للسيوطي ٥ / ١٧٠ فتح البارى لابن حجر ١٢ / ٣١٢ وتفسير الطبري ١٤ / ١٨١ .قال ابن حجر فى تعليقه على الرواية الأولى :(وهو مرسل ورجاله ثقات أخرجه الطبري وقبله عبد الرزاق وعنه عبد بن حميد). وقال فى رواية ابن سيرين :(ورجاله ثقات مع إرساله أيضاً ، وهذه المراسيل تقوي بعضها ببعض) .

وقد يظن البعض أن قول الرسول صلى الله عليه وسلم لعمار (إن عادوا فعد) هو للإيجاب أو الندب وهذا غير صحيح بل هو للاباحة .

قال الجصاص: (قوله صلى الله عليه وسلم لعمار : إن عادوا فعد ، إنما هو على وجه الاباحة لا على جهة الايجاب ولا على الندب ، وقال أصحابنا : الأفضل أن لا يعطي التقية ولا يُظهر الكفر حتى يُقتل ، وإن كان ذلك مباحاً له ، وذلك لان خبيب ابن عدي لما أراد أهل مكة أن يقتلوه لم يعطهم التقية حتى قتل ، فكان عند النبي صلى الله عليه وسلم وعند المسلمين أفضل من عمار فى إعطائه التقية ، ولأن فى ترك إعطاء التقية إعزازاً للدين وغيظاً للمشركين ، فهو بمنزلة من قاتل العدو حتى قتل . فحظ الاكراه فى هذا الموضع إسقاط المأثم عن قائل هذا القول حتى يكون بمنزلة من لم يقل)(١)

وقال السرخي : (قوله : فإن عادوا فعد ، أي فان عادوا إلى الاكراه فعد إلى الترخص ، أو فإن عادوا إلى الاكراه فعد إلى طمأنينة القلب . فإنه لا يُظن برسول الله عليه السلام أنه يأمر أحداً بالتكلم بكلمة الكفر)(٢)

والواقع أننا لسنا فى حاجة إلى تأويل كلام الرسول صلى الله عليه وسلم :(فان عادوا فعد) بما قال به السرخي لأنه ما ذهبت طمأنينة القلب عن عمار حتى تعود اليه ولو بقي المعنى على ظاهره وهو: فإن عادوا إلى الاكراه فعد إلى التظاهر بالكفر فلا يُفهم منه الندب أو الايجاب لأنه أمر بعد الحظر ، والأمر بعد الحظر يقتضي الاباحة كما يقول الاصوليون(٣) . كما أن صيغة الأمر هذه تأكيد لإزالة الحرج من قلب عمار وتخفيف الحزن عنه،فالحديث إذن دليل على جواز التقية فى حالة الاكراه وأن من صبر على الابتلاء والشدة فأجره أعظم عند الله،كما سنرى من الدليل الثانى :

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ١٩٢/٣

(٢) المبسوط ٤٤/٢٤

(٣) انظر : روضة الناظر لابن قدامة المقدسي ص/١٠٢

الدليل الثانى :

وأخرج ابن أبي شيبة عن الحسن رضي الله عنه أن عيوناً لمسيلمه أخذوا رجلين من المسلمين فأتوه بهما ، فقال لأحدهما : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، فقال : أتشهد أني رسول الله ، قال : فأهوى إلى أذنيه فقال : إنى أصم ، قال : مالكَ إذا قلت لك تشهد أني رسول الله ، قلت إنى أصم ، فأمر به فقُتل .

وقال للآخر : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، فقال : أتشهد أني رسول الله ؟ قال : نعم.فأرسله ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله هلكت . قال : وماشأنك ؟ فأخبره بقصته وقصة صاحبه . فقال : (أما صاحبك فمضى على إيمانه ، وأما أنت فأخذت بالرخصة) (١)

ويذكر بعض المفسرين رواية أخرى وهى : (أما هذا المقتول فقد مض على صدقه ويقينه وأخذ بفضله فهنيئاً له ، وأما الآخر فقد رخَّصه الله تعالى فلا تبعة عليه) (٢)

وذكر ابن كثير أن المقتول هو حبيب بن زيد الأنصارى (٣) وأن مسيلمة لم يزل يقطعه إربا إربا وهو ثابت على ذلك . (٤)

وفى هذه الحادثة دليل على أن من امتنع عن التلفظ بالكفر حتى قُتل فأجره أعظم لأنه إظهار للصلابة فى الدين واتباع للعزيمة ومن أظهر الكفر بلسانه بسبب الاكراه فلا إثم عليه لأن هذا يرخص له .

---

(١) مصنف ابن أبى شيبة ١٢ / ٣٥٧ كتاب الجهاد ، باب (ماقالوا فى المشركين يدعون المسلمين الى غير ماينبغي أيجيبونهم أم لا ، ويُكرهون عليه ؟)

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي ١٣/٨ - روح المعاني للألوسي ١٢٢/٣

(٣) حبيب بن زيد بن عاصم بن عمرو الأنصارى المازني ، ذكره ابن اسحاق فيمن شهد العقبة من الأنصار وقال هو الذي أخذه مسيلمة فقتله ، وقال ابن سعد : شهد حبيب أحداً والخندق والمشاهد ، وروى ابن أبى شيبة أن حبيب بن زيد قتله مسيلمة فلما كان يوم اليمامة خرج أخوه عبد الله بن زيد وأمه نسيبة بنت كعب المازنية وكانت نذرت أن لا يصيبها غسل حتى يُقتل مسيلمة ـ الاصابة ٣٠٦/١ ـ

(٤) تفسير ابن كثير ٥٨٨/٢

الدليل الثالث :

روى ابن ماجه والبيهقي عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله تجاوز لي عن أمتى الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه)(١)

والدليل فى هذا الحديث أنه جعل المكره كالناسي والمخطئ فى إسقاط الاثم عنه ، فلوأن رجلاً نسي أو أخطأ فسبق لسانه بكلمة الكفر لم يكن عليه فيها إثم ولا تعلق بها حكم ،(٢) فكذلك المكرَه لا يأثم إذا تلفظ بكلمة الكفر .

قال الامام علاء الدين الكاساني في تعليقه على هذا الحديث :

(قيل إن المراد منه الاكراه على الكفر ، لأن القوم كانوا حديثي العهد بالاسلام، وكان الاكراه على الكفر ظاهراً يومئذ ، وكان يجري على ألسنتهم كلمات الكفر خطأ وسهواً ، فعفا الله ذلك عن هذه الأمة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم).(٣)

---

(١) سنن ابن ماجه ٦٥٩/١ باب طلاق المكره والناسي .
وقد حسَّنه الامام النووي فى الاربعين النوويه(ص/١٠٣ بشرح الامام ابن دقيق العيد) . ورمز السيوطي لصحته (راجع: فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ٢١٩/٢)
وبسط الامام ابن رجب الحنبلي تخريجه فى جامع العلوم والحكم ص/٣٢٥ فقال :
(هذا الحديث خرَّجه ابن ماجه ، وخرجه ابن حبان فى صحيحه ، والدارقطني وهذا إسناد صحيح فى ظاهر الامر، ورواته كلهم محتج بهم فى الصحيحين ، وقد خرجه الحاكم وقال صحيح على شرطهما ، كذا قال ولكن له علة ، وقد أنكره الامام أحمد) .
كما بسط الامام السيوطي تخريجه فى الاشباه والنظائر ص/٢٠٦ - ٢٠٧ وذكر رواياته وشواهده ثم قال : (فهذه شواهد قوية تقضي للحديث بالصحة) .
وقال الألباني فى إرواء الغليل (١٢٤/١) بعد أن بسط تخريجه : هو صحيح ورجاله كلهم ثقات .

(٢) أحكام القرآن للجصاص ١٩٢/٣

(٣) بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع للامام علاء الدين أبى بكر بن مسعود الكاساني الحنفى (ت ٥٨٧ هـ) - ١٨٢/٧

ثالثا : دلالة الاجماع

قال الحافظ ابن حجر : (أجمعوا على أن من أُكره على الكفر واختار القتل ، أنه أعظم عند الله ممن اختار الرخصة)(١)

ونص الامام ابن العربى(٢) على هذا الاجماع وأنه لا خلاف فى ذلك بين العلماء ، فقال :

(إن الكفر -أي تظاهراً- وإن كان بالاكراه جائزاً عند العلماء ، فإن من صبر على البلاء ولم يفتتن حتى قتل فإنه شهيد ، ولا خلاف فى ذلك ، وعليه تدل أثار الشريعة التى يطول سردها ، وانما وقع الاذن رخصة من الله رفقا بالخلق ، وإبقاء عليهم ، ولما فى هذه الشريعة من السماحة ونفي الحرج ووضع الإصر)(٣)

والمقصود بالاجماع هنا إجماع علماء أهل السنة ومن وافقهم من الزيدية وغيرهم(٤) ، كما أن هذا الاجماع يتعلق بإباحة القول بالتقية على وجه العموم أما تفصيل أحكامها ، وهل تجوز فى الاقوال والافعال أو فى الاقوال فقط ، فان هذا مما اختلفوا فيه ، وسيرد الحديث عن ذلك فى أحكام التقية(٥)

ولقد وردت نصوص وروايات عن بعض الصحابة والتابعين تؤكد جواز التقية ، منها :

- قال ابن عباس رضى الله عنهما : (التقية باللسان ، من حُمل على أمر يتكلم به وهو معصية لله فيتكلم به مخافة الناس ، وقلبه مطمئن بالايمان ، فإن ذلك لا يضره ، إنما التقية باللسان)(٦)

---

(١) فتح البارى ٣١٧/١٢

(٢) هو الامام محمد بن عبدالله بن محمد المعافرى الاشبيلى المالكى ، أبوبكر ابن العربى قاض من حفاظ الحديث ، ولد فى اشبيليه عام (٤٦٨هـ) وتوفى قرب فاس عام (٥٤٣هـ) ، وله كتب كثيرة من أبرزها : احكام القرآن ، والعواصم من القواصم - الاعلام ٢٣٠/٦ -

(٣) أحكام القرآن ١١٧٩/٣

(٤) راجع التشريع الجنائى فى الاسلام - للشيخ عبد القادر عودة ٧١٨/٢ ، وراجع ص/١٩٨ من هذا البحث لبيان موقف الزيدية

(٥) راجع مبحث : التقية فى الافعال ص/ ١٢٦ من هذا البحث .

(٦) اخرجه ابن جرير الطبرى وابن أبى حاتم (انظر : تفسير الطبرى ٢٢٩/٣ - الدر المنثور للسيوطى ١٧٦/٢) وأورده الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٣١٤/١٢

- وقال أيضا : (التقاة التكلم باللسان والقلب مطمئن بالايمان ، ولا يبسط يده فيقتل ، ولا الى اثم ، فانه لاعذر له)[١]

- وقال : (نهى الله سبحانه المؤمنين أن يلاطفوا الكفار أو يتخذوهم وليجة من دون المؤمنين ، الا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين فيظهرون لهم اللطف ، ويخالفونهم فى الدين)[٢]

- وقال الحسن البصرى[٣] : (التقية جائزة الى يوم القيامة ، الا أنه لايُجعل فى القتل تقية)[٤]

- وقال الضحاك[٥] : (التقية باللسان من حُمل على أمر يتكلم به ، وهو لله معصية ، فتكلم مخافة على نفسه ، وقلبه مطمئن بالايمان ، فلا إثم عليه)[٦]

وهذا كله يؤكد الاجماع على جواز التقية ، وأن من تعرض للاكراه يجوز له أن يتظاهر بالكفر أو بشئ من المعاصى لينجو من القتل أو الضرب الشديد .

بيد أنه قد وردت نصوص ظاهرها يعارض ماسبق ذكره من الاجماع على جواز الترخيص بالتقية ، ولو دققنا النظر فيها لأدركنا أنها لاترمي الى مايتبادر الى الذهن منها لأول

---

(١) أخرجه ابن جرير وعبد بن حميد وابن المنذر ، والحاكم وصححه ، والبيهقى فى سننه من طريق عطاء (انظر : تفسير الطبرى ٣ / ٢٢٨ - الدر المنثور ٢ / ١٧٦ - فتح البارى ١٢ / ٣١٤)

(٢) أخرجه ابن جرير فى تفسيره ٣ / ٢٢٨ وابن المنذر وابن أبى حاتم . (انظر : الدر المنثور ٢ / ١٧٦)

(٣) هو الحسن بن يسار البصرى أبو سعيد ، تابعى ثقة ، كان إمام أهل البصرة وأحد العلماء المشهورين فى زمانه ، ولد بالمدينه سنه (٢١ هـ) وتوفى بالبصره سنة (١١٠ هـ) - الاعلام ٢ / ٢٢٦ -

(٤) أورده البخارى فى صحيحه تعليقا بقوله : (قال الحسن : التقية الى يوم القيامة) صحيح البخاري ٤ / ٢٠٠ ووصله عبد بن حميد وابن أبى شيبة . (انظر : مصنف ابن أبى شيبة ١٢ / ٣٥٩ فتح البارى ١٢ / ٣١٤) .

(٥) هو الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني ، أبو القاسم ، مفسر ، توفي بخراسان سنة (١٠٥ هـ) - الاعلام ٣ / ٢١٥ -

(٦) أخرجه ابن جرير فى تفسيره ٣ / ٢٢٩

وهلة ، ولا تتعارض مع ما ذكرنا من الاجماع .

ومن هذه النصوص :

١ - قال مجاهد [(١)] (كانت التقية في جِدة الاسلام قبل قوة المسلمين ، فأما اليوم فقد أعز الله الاسلام أن يتقوا من عدوهم) [(٢)]

وقد رأى الفخر الرازى أن هذا القول يحصر العمل بالتقية فى فترة أول ظهور الدعوة الاسلامية أما بعد ذلك فلا يجوز الأخذ بالتقية ، فكأن التقية حكم خاص بمرحلة من مراحل الدعوة الاسلامية فى عهد النبوة .

ولذلك ذكر الامام الرازى هذا القول مقابلاً لقول الحسن البصرى : (التقية جائزة الى يوم القيامة) ثم رجح قول الحسن بقوله :(وهذا القول أولى) [(٣)]

والواقع أنهما قول واحد وحكم واحد ، ولكن القول الاول وضع ضوابط وشروطاً للتقية اذا وجدت فى أى زمان ومكان أصبحت التقية جائزة ، واذا لم توجد فلا تباح التقية .

فالتقية لا تكون الا فى حالة الاكراه والاستضعاف كما كان حال المسلمين فى بدء الدعوة، أما اذا كان المسلم فى العزة والمنعة والقوة فلا يباح له بالتقية ولا يرخص له العمل بها إرضاء

---

(١) هو مجاهد بن جبر المكى ، مولى بنى مخزوم، تابعى مفسر من أهل مكة ولد سنة ٢١هـ وتوفى سنة ١٠٤هـ قال عنه الذهبى : شيخ القراء والمفسرين أخذ التفسير عن ابن عباس ، وقرأه عليه ثلاث مرات (الاعلام ٥/٢٧٨)

(٢) تفسير القرطبي ٤/ ٥٧

(٣) التفسير الكبير للرازي ٨/ ١٤ـ وقد ذهب الى هذا الاستنتاج من قول مجاهد ، أحد الكتاب المعاصرين وهو الدكتور عرفان عبد الحميد فى كتابه (دراسات فى الفرق والعقائد الاسلامية) ص/ ٥٨ حيث قال : (ومن الفقهاء من ذهب الى القول بأن التقية كانت رخصة جائزة فى أول ظهور الدعوة يوم كان الاسلام مضطهدا والمسلمون قلة مقهورة على أمرها ، وأما بعد قوة دولة الاسلام فلا يجوز الاخذ بها ، والى هذا ذهب مجاهد المكى ، وذهب آخرون ومنهم الحسن البصرى الى القول بأنها جائزة الى يوم القيامة) .

لهواه .

وحال الاستضعاف لا يختص ببدء الدعوة بل هو عام يتكرر مراراً على مر العصور ، وعلى المستوى الفردى كما اذا وقع المسلم فى أسر ، وعلى المستوى الاجتماعى اذا تسلط العدو على بلاد المسلمين .

فقول مجاهد لا يعد إنكاراً لاستمرار حكم التقية ، وانما هو إنكار لاستعمالها فى غير موضعها واستغلالها بلا ضوابط ولا شروط .

٢ - قال السرخى : (كان بعض العلماء يأبى التقية ويقول إنها من النفاق)(١) .

ولا يقصد هؤلاء العلماء - الذين لم يذكر السرخى أسماءهم - تحريم حكم رخّص الله فيه ، وانما هو أخذ بالعزيمة واحتياط فى الدين ، خشية أن تؤدى الرخصة الى النفاق ولو فى ظاهر الأمر أمام الناس .

فالتقية مزلق خطر ، وخاصة ممن يُقتدى به ، وبابٌ إذا فُتح بدون ضوابط ولا شروط يلتزم بها المؤمن ، يؤدي به الى النفاق ، وكثيراً ما يتساهل الناس فى ذلك ويقلّد بعضهم بعضاً ، ويأخذون بالتقية دون ضرورة تدعوهم للأخذ بها .

ولهذا كان لزاما علينا أن نفصّل الحديث فى أحكام التقية وشروط الترخص بها .

وهذا ما سنعرض له فى الفصل القادم بإذن الله .

---

(١) المبسوط ٢٤ /٤٥

التقية والثبات

هل تكون التقية أحياناً أفضل من الثبات ؟

التقية رخصة فى حالة الاكراه والخوف ، والافضل للمسلم أن يأخذ بالعزيمة ، ويبذل نفسه فى سبيل الله ، لان فى ذلك اعزازا للدين واغاظة للمشركين فهو بمنزلة من قاتل العدو حتى قتل (١)

ولقد سبق الحديث فيما مضى من صفحات عن اتفاق علماء أهل السنة على ذلك ، وما أوردوه من الأدلة على أن الاخذ بالعزيمة وترك التقية أعظم أجرا عند الله من الاخذ بها .

وقد ذكر الامام ابن حجر أن قوما منعوا من الاخذ بالعزيمة واحتجوا بقوله تعالى :

(ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ، ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا) (٢)

ورد عليهم بأن هذه الآية لا حجة فيها على ما ذهبوا اليه ، لأنها مقيدة بقوله تعالى : (ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما) ، وليس من أهلك نفسه فى طاعة الله ظالما ولا معتديا .

ثم عقب على ذلك بإيراد قول من فضل التقية وجعلها أولى من بذل النفس ، فقال :

(إنَّ ثَمَّ مَن قال بأولوية التلفظ على بذل النفس للقتل ، وإنْ كان قائل ذلك يعمِّم فليس بشئ ، وإن قيَّده بما لو عَرَض ما يرجِّح المفضول -أى التلفظ- ، كما لو عرض على مَنْ إذا تلفظ به نفع متعدٍ ظاهر فيتَّجه) (٣)

وهذا النص دقيق جدا ، ولابد من التوقف عنده قليلا .

فهؤلاء القائلون بأولوية التلفظ وتقديمه على بذل النفس ، قولهم لا يصح على اطلاقه أبدا ، لأن هذا يعارض الأدلة الصريحة فى تفضيل الاخذ بالعزيمة ، وفى بيان فضل الصبر والثبات على الحق ، ويعارض المواقف الصلبة للصحابة الكرام والسلف الصالح ، وما تحملوه من الشدة والأذى فى سبيل الله دون أن يتظاهروا بشئ يرضى أعداءهم ويخفف عنهم وطأة التعذيب .

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ٣ / ١٩٢

(٢) سورة النساء / آية ٢٩ - ٣٠

(٣) فتح البارى ١٢ / ٣١٦

لكن الحافظ ابن حجر بنظرة الثاقب يعرض لحالة خاصة يمكن استثناؤها من القاعدة العامة ، وذلك إذا كان فى الأخذ بالتقية نفع متعد ظاهر ، فقد يكون الاخذ بالتقية هنا أفضل من الاخذ بالعزيمة ، لان الهدف من تظاهر هذا المسلم وأخذه بالتقية فى هذه الحالة هو درء مفسدة أعظم عن المسلمين عموما وتحقيق مصلحة متعدية لهم ، وليس لدرء الخطر عن نفسه فقط .

ولعل مما يقاس على هذه الحالة مافعله الصحابى الجليل عبد الله بن حذافة عندما قبل رأس ملك الروم لينقذ أسرى المسلمين من براثين هذا الطاغية كي يعودوا الى ساحات المعارك من جديد ولذلك أعجب عمر رضى الله عنه بهذا العمل وقال :

(حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة ، وأنا أبدأ) ، فقام فقبَّل رأسه .(١)

وهذا الموقف من عمر رضى الله عنه أمام جمع من الصحابة يدل على أن ما أقدم عليه عبد الله بن حذافة هو الافضل ، حيث امتنع عن التلفظ بكلمة الكفر رغم كل التعذيب والتهديد ، وآثر الموت مع الثبات على النجاة ، ولكنه لما رأى أن النجاة ستكون لجميع اخوانه الاسارى سارع الى التقية ولم يتردد فى تقبيل رأس الكافر ، لما في ذلك مصلحة للمسلمين والنكاية بالعدو

وقد لاحظ الامام السيوطى قريبا من هذا المعنى فقال :

(ان كان ممن يتوقع منه النكاية فى العدو والقيام بأحكام الشرع فالافضل التلفظ لمصلحة بقائه ، والا فالافضل الامتناع) .(٢)

والقول بأفضلية التلفظ هنا مبنى على تقديم المصلحة العامة وهى نفع المسلمين ، على المصلحة الخاصة وهى ما سيناله من أجر الشهادة فى سبيل الله .

---

(١) راجع تفصيل هذه القصة ص/ ٣٩ من هذا البحث

(٢) الاشباه والنظائر ص / ٢٢٧

الفصل الثالث

التقية والإكراه

وفيه مبحثان :

المبحث الاول : تعريف الاكراه وشروطه وأقسامه

- تعريف الاكراه لغة واصطلاحا
- شروط الاكراه
- أقسام الاكراه
- المكرَه إذا صار كالالة في يد المكرِه
- علاقة الاكراه بالاضطرار
- هل التخويف إكراه ؟

المبحث الثاني : حد الاكراه الذي يبيح التقية

أولا : التقية فى التظاهر بالكفر

ثانيا : التقية فى التظاهر بشئ من المعاصي

- دراسة قول مروى عن ابن مسعود رضى الله عنه
- هل حصول المشقة يبيح الاخذ بالتقية ؟
- القواعد الشرعية فى تحديد الضرورة .

المبحث الأول
تعريف الإكراه وشروطه وأقسامه

الاكراه لغة :

مأخوذ من كرهت الشيء أكرهه كراهة وكراهية ، خلاف أُحبه .

وأكرهَه على كذا : حمله عليه كرها وقهره عليه ، وكرَّهت إليه الشيء : نقيض حبَّبته إليه . والمَكره (بفتح الميم) مايكرهه الانسان ويشق عليه ، وجمعه مكاره (١) .

أما اصطلاحا فقد وردت فيه تعريفات كثيرة نستعرض أبرزها :

قال السرخسي : (الاكراه اسم لفعل يفعله المرء بغيره فينتفي به رضاه أو يفسد به اختياره) (٢)

وعرفه البزدوي (٣) بقوله : (هو حمل الغير على أمر يمتنع عنه بتخويف يقدر الحامل على إيقاعه ويصير الغير خائفاً به) (٤)

وعرفه الحافظ ابن حجر بقوله : (الاكراه إلزام الغير بما لا يريده) (٥) .

ولعل أوضح هذه التعريفات تعريف الامام البزدوي ، لأنه تضمن أركان الاكراه الأربعة :

أولها : الحامل ، وهو المكرِه الذي يحمل المكرَه على الفعل أو القول قهراً وجبراً ، وهذا الركن يؤخذ من قوله (حملُ) الذي يستلزم حاملاً .

ثانيها : الفاعل ، وهو المكرَه المحمول على فعلِ ما أمره به الحامل ، وهو مأخوذ من قوله (الغير)

---

(١) الصحاح ٦/٢٢٤٧ والمعجم الوسيط ٢/٧٨٥

(٢) المبسوط ٢٤/٣٨

(٣) هو الامام على بن محمد بن الحسين ، أبو الحسن ، فخر الاسلام البزدوى ، فقيه أصولى من علماء الحنفيه من سكان سمرقند ، توفى سنة (٤٨٢هـ) - الاعلام ٤/٣٢٨ -

(٤) كشف الأسرار عن أصول فخر الاسلام البزدوي ٤/ ٣٨٣

(٥) فتح الباري ١٢/٣١١

ثالثها : المكره عليه ، وهو الأمر الذى يُجبِر الحاملُ الفاعلَ على الاتيان به قهراً .

رابعها : المكره به ، وهو وسيلة الاكراه التى يتم بها التخويف .

كما أن من مزايا هذا التعريف أنه تضمن أبرز شروط تحقق الاكراه ، وهو قوله :

(يقدر الحامل على إيقاعه ، ويصير الغير خائفاً به)

فمن شرط الحامل أن يكون قادراً على إيقاع ما خَوَّف به الفاعل ، ومن شرط الفاعل أن يصير خائفاً من أن يقع به ماهدده به الحامل .(١) وهذا ماسنفصله بعد قليل .

ومن تعريفات العلماء المعاصرين نختار تعريف الشيخ مصطفى الزرقا حيث عرَّف الاكراه بقوله : (هو الضغط على إنسان بوسيلة مرهبه ، أو بتهديده بها لاجباره على فعل أو ترك)(٢)

وهو لا يختلف فى معناه كثيراً عن التعريفات السابقة ، ولكنه يحدد صورتين للاكراه هما :

١ - أن يكره شخص شخصاً ، وذلك بإيقاع الضرر به ، فيلتمس المكرَه الخلاص عن طريق الاستجابة لما يطلب منه فعله رفعاً لهذا الضرر الواقع .

٢ - أن يهدده بإيقاع الضرر إن لم يفعل ، فيستجيب المكرَه تحت تأثر الخوف والرهبة دفعاً للضرر المتوقع .(٣)

ففي الصورة الاولى يستجيب المكرَه لكي يزيل الضرر عنه ، وفي الصورة الثانية يستجيب لكي يُبعد نفسه عن ذلك الضرر قبل أن يقع .

شروط الاكراه :

لابد لتحقق الاكراه من شروط تتوفر فى المكرِه ، والمستكره ، والمكره به ، والمكره عليه وقد فصَّل علماء أهل السنة الحديث فى هذه الشروط ، وحددوا ضوابط دقيقة جداً للاكراه الذي تباح به التقية ، ويمكننا أن نُجمل هذه الشروط فى النقاط التالية :

---

(١) الاكراه وأثره فى التصرفات للدكتور عيسى زكي شقرة - ص/ ٤١ - ٤٢ - الطبعة الاولى مكتبة المنار الاسلامية - الكويت .

(٢) (٣) المدخل الفقهي العام ١/ ٣٦٨ - الطبعة التاسعة ١٩٦٨ - دار الفكر - بيروت .

١ - أن يكون المكرِه قادراً على تحقيق ما أوعد به ، لأن الاكراه لا يتحقق الا بالقدرة فإن لم يكن قادراً على ماهَدَّد به فاكراهه هذيان[(١)]

٢ - أن يغلب على ظن المكرَه وقوع ما هدده به إذا امتنع عن الاجابة إلى ما دُعي إليه ، فإن لم يغلب على ظنه ذلك ، بل كان مجرد تهديد لا يُنتظر تحققه ، فلا يكون إكراهاً .[(٢)]

٣ - أن يكون المكرَه عاجزاً عن دفع المكرِه عن نفسه ، بالهرب أو الاستغاثة أو المقاومة إذ لو كان قادراً على النجاة من المكرِه فإن الاكراه ينتفي[(٣)] ، فالمكرَه لا مجال أمامه إلا أن يصبر على ما أكره عليه أو يقع في المحرم تحت تأثير الاكراه ، فاذا وَجد له مخلصاً فلا يُعد مكرَهاً .

٤ - أن يكون ما أُكره به متلفاً أو موءدياً الى خوف وغمٍّ وضيق في نفس المكرَه يضطره الى تنفيذ ما طُلب منه[(٤)] ، وذلك كالتهديد بالقتل أو قطع العضو والضرب أو الحبس وغير ذلك مما سنفصل الحديث عنه بعد قليل .

٥ - أن يكون المهدَّد به عاجلاً ، أي يغلب على ظن المكرَه أن المكرِه سينفذ ما هدده به فور امتناعه عن المطلوب منه ، وذلك لأن التأجيل مظنة للخلاص ، وليس في ذلك ما يحمله على المسارعة لارتكاب الفعل . وقد ذهب الى هذا الشرط الحنفية[(٥)] والشافعية[(٦)] أما المالكية[(٧)] فاشترطوا حلول الخوف من الأذى فقد يكون عاجلاً وقد يكون آجلاً ،

---

(١) انظر المبسوط للسرخي ٢٤/ ٣٩ ، بدائع الصنائع للكاساني ٩/ ٤٤٧٩ ، المغني لابن قدامة ٧/ ٣٨٤ ، نهاية المحتاج ٦/ ٤٣٦

(٢) انظر بدائع الصنائع ٧/ ١٧٥ ، المغنى ٨/ ٢٦١ ، نهاية المحتاج ٦/ ٤٣٦

(٣) انظر نهاية المحتاج ٦/ ٤٣٦

(٤) انظر المغنى ٨/ ٢٦١ ، نهاية المحتاج ٦/ ٤٣٦ ، حاشية ابن عابدين ٦/ ١٢٩

(٥) انظر المبسوط ٢٤/ ٧٨

(٦) انظر الاشباه والنظائر للسيوطى ص/ ٢٣٠

(٧) انظر الخرشى على مختصر خليل للامام محمد الخرشى المالكى ٤/ ٣٤ - ٣٥

ووافقهم على ذلك ابن عابدين من الحنفية [١] ، إذ لو توعده بمتلف بعد مدة وغلب على ظنه إيقاعه صار مكرهاً .

٦ ـ أن يكون المكرَه ممتنعاً عما أُكره عليه قبل الاكراه إما لحقّه أو لحق آدمي آخر أو لحق الشرع [٢] ، فإذا لم يكن ممتنعاً قبل الاكراه فلا يُعفى من المسؤلية

فمثلا إذا ادعى أنه أُكره على شرب الخمر ، وهو لا يمتنع عادة عن شربها ، فإن دعواه باطلة .

أقسام الاكراه :

ينقسم الاكراه إلى ثلاثة أقسام هي :

١ ـ الاكراه الملجئ أو التام: وهو الذى يُعدم الرضا ويُفسد الاختيار ، ويكون بالتهديد بالقتل أو قطع عضو أو الضرب المبرح الذي فيه تلف النفس أو العضو قلَّ الضرب أو كَثُر . [٣]

وذلك كأن يقول المكرِه للمكرَه إن لم تفعل كذا لاقتلنك أو لاقطعن يدك أو رجلك .

ويدخل فى هذا النوع التهديد بإتلاف المال كله . [٤]

ومعنى قول الفقهاء : إنه يُعدم الرضا ، لأن الرضا هو الرغبة فى الشئ والارتياح إليه ، وهذا لايكون مع أى إكراه .

وأما إفساده للاختيار دون إعدامه ، فلأن الاختيار هو القصد إلى فعل الشئ أو تركه بترجيح من الفاعل ، وهذا المعنى لايزول بالاكراه ، فالمكرَه يوقع الفعل بقصده إليه ، الا أن هذا القصد تارة يكون صحيحاً سليماً إذا كان منبعثاً عن رغبة فى العمل ، وتارة يكون فاسداً إذا كان ارتكاباً لأخف الضررين ، وذلك كمن أُكره على أحد أمرين كلاهما شر ، ففعل أقلهما ضرراً به ، فإن اختياره لما فعله

---

(١) انظر حاشية ابن عابدين ٦ / ١٢٩

(٢) انظر المبسوط ٢٤ / ٣٩

(٣) انظر بدائع الصنائع ٧ / ١٧٥

(٤) انظر أصول الفقه لابي زهرة ص/ ٣٥٦

لا يكون اختياراً صحيحاً بل اختياراً فاسداً [١]، لأنه لم يكن عن رغبة .

٢ ـ الاكراه غير الملجئ أو الناقص : وهو الذى يُعدم الرضا ولكن لا يُفسد الاختيار، لأنه لا يفوّت النفس أو شيئ من الأعضاء ، ولا يوجب الالجاء والاضطرار ، ويكون بالحبس أو القيد أو الضرب الذى لا يُخاف منه التلف، وليس فيه تقدير لازم سوى أن يلحقه منه الاغتمام [٢] ويدخل فيه التهديد بإتلاف بعض المال [٣] .

٣ ـ الاكراه الأدبى [٤] : وهو التهديد بأذى ينزل بأحد أصوله أو فروعه أو زوجه أو أحد أقاربه ،بما دون إتلاف النفس أو اتلاف عضو من الاعضاء .

كالتهديد بحبس أحد أبويه أو زوجه أو اخته وغيرهم، ونجد فى هذا النوع من الاكراه أن الرضا والاختيار باقيان للمكره .

وقد اختلف العلماء فى هذا النوع من الاكراه ، هل يُعد إكراهاً مسقطاً للتبعات أوْ لا ؟ فقال فخر الاسلام البزدوي أنه ليس بإكراه لأنه لا يُعدم الرضا [٥] .

وخالفه في ذلك السرخسي فقال :

(لو قيل لشخص لنحبسن أباك أو ابنك فى السجن أو لتبيعن عبدك هذا ، ففعل ففي القياس البيع جائز، لأن هذا ليس باكراه فانه لم يهدده بشيئ فى نفسه ، وحبسُ أبيه لا يلحق به ضررًا ، فالتهديد به لا يمنع صحة بيعه وإقراره وهبته ، وكذلك فى حق كل ذي رحم محرم .

وفى الاستحسان ذلك اكراه ولا ينفُذ شيئ من هذه التصرفات ، لأن حبس أبيه يُلحق به من الحزن والهم مايلحق به حبس نفسه أو أكثر .

---

(١) الموسوعة الفقهية ٦/١٠٥ إصدار : وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية فـي الكويت الطبعة الاولى ـ ١٤٠٥ هـ .

(٢) بدائع الصنائع ٧/١٧٥

(٣) (٤) أصول الفقه لأبي زهرة ص/٣٥٦

(٥) كشف الأسرار عن أصول البزدوي ٤ / ٣٨٤

فإن الولد إذا كان باراً يسعى فى تخليص أبيه من السجن .... ويحبس مكان أبيه ليخرج أبوه ، وكما أن التهديد بالحبس فى حق أبيه يُعدم تمام الرضا ، فكذلك التهديد بحبس ابنه) (١)

المكرَه اذا صار كالالة فى يد المكرِه :

هذه صورة من صور الاكراه لابد من إفرادها بالبحث،والتفصيل فيها ، وذلك كمن حُمل وأُلقي به/على شخص حتى قتله ، أو أُمسك ورُبط حتى سُقي الخمر ، وكمثل المرأة أو الصبي الذى يُشد ويُربط ويُفجَر به ، أو المرأة التى تُمسك حتى يُخلع عنها حجابها وتكشف عورتها .

فهل تُعد هذه الصور من الاكراه الملجئ أم لا ؟

الواقع أن الاكراه هنا ينتهي إلى سلب قدرة المكلف حتى يصير كالآلة ، وهذا يختلف عن الاكراه الملجئ الذي لا يفقد فيه الانسان اختياره كلية وانما يفسد اختياره لأنه يخيَّر بين أن يفعل كذا أو يُقتل ، فيمكنه أن يمتنع عن الفعل ويصبر حتى يُقتل لكنه هنا غير قادر أصلاً عن الامتناع لأنه صار آلة فى يد المكرِه ، لا قصد له أصلاً ، ولا فعل له أصلاً ، بل هو محلٌ لفعل غيره وآلة له (٢)

فهذا النوع لا يدخل تحت صور الاكراه السابقة ، لان الاكراه عارض من عوارض الاهلية التى تعرض للمكلف ، وهي في جملتها لا تذهب بأصل الخطاب ولا تُسقط الأهلية ، ولكنها تؤثر فى مقدار تحمل التبعات ، فالشخص تحت تأثير الاكراه مخاطَب بكل التكاليف الشرعية (٣)

لكنه هنا لم يعد مخاطباً لأنه لم يقم بأي فعل ، ولكن إن صدر منه نوع تمكين بأن لا يستفرغ وسعه فى الامتناع

---

(١) المبسوط ٢٤/١٤٣ - ١٤٤

(٢) الاستقامة للامام ابن تيمية ـ تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ٢/٣٢٦ طبع جامعة الامام محمد بن سعود ـ الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ

(٣) أصول الفقه لابي زهرة ص/ ٣٥٨

أو نوع إرادة بأن لا تكون إرادته جازمة فى الامتناع ، فذلك فيه نوع فعل[1] ، ولا يعد بمنزلة عديم الفعل .

ثم نعود فنقول : إن الاكراه في هذه الصور يسلب الاختيار نهائياً ، ولذلك لا يدخل تحت مسمى الاكراه الملجئ الذي يفسد فيه الاختيار ولكنه لا ينعدم .

علاقة الاكـــراه بالاضطـــرار :

الضرورة مشتقة من الضرر ، وهو النازل بما لا مدفع له[2] ، والاضطرار هو : (دفع الانسان الى مايضره وحمله عليه والجاؤه اليه)[3] .

وقد حدد الامام القرطبي العلاقة بين الاضطرار والاكراه ، فقال :

(الاضطرار لا يخلو أن يكون بإكراه من ظالم أو بجوع في مخمصه)[4]

كما ذكر ذلك الامام الجصاص ، حيث قسّم الضرورة إلى قسمين ، فقال فى بيـــان معنى الضرورة :

(هو خوف الضرر على نفسه أو بعض أعضائه بترك الأكل ، وقد انطوى تحته معنيان :

أحدهما : أن يحصل فى موضع لا يجد غير الميتة .

والثانى : أن يكون غيرها موجوداً ، ولكنه أُكره على أكلها بوعيدٍ يخاف منه تلف نفسه أو بعض أعضائه)[5]

وهكذا نجد أن حالة الضرورة أعم من حالة الإكراه ، وأن الاكراه صورة من صـــور الضـــرورة .

---

(١) الاستقامة ٢/٣٢٦

(٢) التعريفات للجرجاني ص/١٣٨

(٣) نظرية الضرورة الشرعية للدكتور وهبه الزحيلي ص/٦٨ـ الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

(٤) تفسير القرطبي ٢/٢٢٥

(٥) أحكام القرآن للجصاص ١/١٢٩

ولكن الضرورة مقيدة بما إذا بلغ الانسان حداً قارب فيه على الهلاك وأصبح مهدداً بالموت إن لم يتناول المحرَّم .

ولذلك عرفها أحد العلماء بقوله : (هي بلوغ الانسان حداً إن لم يتناول الممنوع هلك أو قارب)[1]

وهذه الحالة تقابل الاكراه الملجئ الذي يهدَّد فيه المكرَه بالقتل أو قطع العضو أو الضرب الشديد المتلف ، أما الاكراه غير الملجئ فلا يدخل تحت مسمى الضرورة .

وهنا تفترق الضرورة عن الاكراه لأن الاكراه الناقص غير الملجئ يعد من صور الاكراه لكنه لا يُعد من صور الاضطرار .

فالنسبة بين الاكراه والاضطرار هي العموم والخصوص من وجه .

فهما متلاقيان في حالة الاكراه الملجئ لانه يُعد صورة من صور الضرورة.ولكنهما يفترقان في غير ذلك :

فالجوع الشديد مع فقدان الطعام تُعد من حالات الضرورة لكنها غير داخلة في الاكراه .

والحبس والضرب غير المبرح لا يعد من حالات الضرورة ولكنه نوع من الاكراه .

التخويف وتحقق الاكراه

هل يعد التخويف والتهديد ـ من شخص قادر على تنفيذ ماهَدَّد به ـ إكراه أم لابد من تنفيذ هذا التهديد حتى يتحقق الاكراه ؟

اختلف العلماء في ذلك ، وقد حكى الامام ابن الجوزي هذا الاختلاف فقال :

(الاكراه على كلمة الكفر يبيح النطق بها ، وفي الاكراه المبيح لذلك .... روايتان :

احدهما : أن يخاف على نفسه أو على بعض أعضائه التلف إن لم يفعل ماأُمر به .

---

(١) الاكراه وأثره في التصرفات للدكتور عيسى شقره ص/ ٣٤

الثانية : أن التخويف لا يكون إكراها حتى يُنال بعذاب)[١]

وقد رجح الامام ابن العربي أن التخويف والتهديد إكراه فقال :

(الصحيح أنه إكراه ، فان القادر الظالم إذا قال لرجل : إن لم تفعل كذا وإلا قتلتك أو ضربتك ، أو أخذت مالك ، أو سجنتك ، ولم يكن له من يحميه الا الله ، فله أن يُقدِم على الفعل ، ويسقط عنه الاثم في الجملة)[٢]

ولا يجب على المكرَه أن يتيقن حصول ماهُدد به حتى يقدم على الفعل ، وانما يكفي غلبة الظن لأن اليقين في ذلك غيب لا يمكن القطع به .

قال الامام النووي[٣] : (المكرَه على أكل الميتة يباح له أكلها إذا ظن وقوع ما خوف به ولا يشترط أن يعلم ذلك ، فإنه لا يطلع على الغيب)[٤]

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٤/٤٩٦

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١١٧٧

(٣) هو الامام يحيى بن شرف النووي الشافعي ، أبو زكريا ، محيي الدين ، علامة بالفقه والحديث ولد في نوا (من قرى حوران بسوريه) واليها نسبته ، وتوفي عام (٦٧٦هـ) وله مصنفات كثيرة مشهورة - راجع ترجمته في الاعلام ٨/١٤٩ -

(٤) المجموع للنووي ٩/٣٩

المبحث الثاني
حد الإكراه الذي يبيح التقية

مسائل الاكراه تنقسم الى قسمين :

- قسم منها يتعلق بالاكراه على شئ من التصرفات القولية والاقرارات المباحة فى أصلها كالبيع والهبة والطلاق وغير ذلك ، وهذه كما قلنا سابقا لا تدخل فى التقية ، وإن كانت داخلة فى أحكام الاكراه .

والاكراه المعتبر فى هذا المجال ، هوأي نوع من نوعي الاكراه التام أو الناقص ، وذلك لان الاكراه التام والناقص يُعدم الرضا ، وأساس الاقوال الملزمة أن تكون عن تراضى وذلك لقوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم[1]، ولان النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لا يحل لامرئ من مال أخيه شيئا الا بطيب نفس منه)[2] والمكره ليس طيب نفس .[3]

- وقسم يتعلق بالاكراه على شئ من المحرمات القولية أو الفعلية ، كالاكراه على التلفظ بكلمة الكفر أو الاكراه على شرب الخمر أو أكل لحم الخنزير وغير ذلك .

فهنا يفترق الاكراه الكامل الملجئ عن الاكراه الناقص غير الملجئ .

وهذا القسم هو الذى يدخل الحديث عنه فى موضوع التقية ، ولذلك كان لابد من التفصيل فيه لمعرفة حد الاكراه الذى يبيح الاقدام على شئ من هذه المحرمات تقية

ويمكن أن نقسم التقية هنا الى قسمين :

١ - التقية فى التظاهر بالكفر ، سواء كان هذا التظاهر بقول أو بفعل .

٢ - التقية فى التظاهر بشئ من المعاصى ، سواء كان ذلك بقول أو بفعل .

---

(١) سورة النساء / آية ٢٩

(٢) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (٤ / ١٧٤) وقال : (رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والاوسط ، ورجال أحمد ثقات)

(٣) أصول الفقه لابى زهرة ص/ ٣٥٩

أولا : التقية فى التظاهر بالكفر

إن أبرز مايحرص عليه أعداء الاسلام أن يتخلى المسلم عن دينه ، ويرتد عنه ، ولذلك يبذلون كل مايستطيعون لكى يظفروا بقول أو فعل من المسلم يشعرهم بأنه تخلى عن دينه قال تعالى : (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء)[١].

وقال تعالى : (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا)[٢].

وهم من أجل ذلك لا يألون جهداً فى استخدام كل وسائل الاكراه والتعذيب والايذاء ليفتنوا المسلم عن دينه ، وهذه جريمة من أبشع الجرائم فى حق بني الانسان ، بل هى أشدها على الاطلاق لأن إكراه المسلم وفتنته حتى يرجع عن دينه أشد من قتله . قال تعالى : (والفتنة أشد من القتل)[٣].

ولقد حذر الله المسلمين أن يرتدوا عن دينهم أو تلين لهم قناة مهما اشتد كيد الاعداء .

قال تعالى : (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والاخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)[٤]

ولكنه امتن عليهم بأن رخص لهم التظاهر بشئ من الكفر عند الاكراه مع اطمئنان القلب بالايمان فقال تعالى (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ، ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم)[٥].

وقد عد العلماء هذه الاية ـ كما ذكرنا فى تفسيرها[٦] ـ أصلاً فى جواز إظهار كلمة

---

(١) سورة النساء / آية ٨٩

(٢) سورة البقرة / ايه ٢١٧

(٣) سورة البقرة / آية ١٩١

(٤) سورة البقرة / آية ٢١٧

(٥) سورة النحل / آية ١٠٦

(٦) راجع ص / ٥٩ من هذا البحث

الكفر فى حال الاكراه ، ولكن الاكراه المعتبر شرعاً فى هذا المجال هو الاكراه التام الملجئ الذى لا يكون الا بالتهديد بالقتل أو قطع العضو أو الضرب الشديد ، وهذا مانص عليه العلماء :

قال الامام المرغيناني (١) :

(وان اكره على الكفر بالله تعالى ، والعياذ بالله ، أو سبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بقيد أو حبس أو ضرب لم يكن ذلك إكراها حتى يُكره بأمر يخاف منه على نفسه أو على عضو من أعضائه) (٢)

وقال الامام الكاساني (٣) :

(إذا كان الاكراه ناقصاً يحكم بكفره ، لأنه ليس بمكرَه فى الحقيقة ، لأنه مافعله للضرورة ، بل لدفع الغم عن نفسه) (٤)

وقال الامام الفخر الرازى (٥) :

(الاكراه الذي عنده يجوز التلفظ بكلمة الكفر ، هو أن يعذبه بعذاب لا طاقة له

---

(١) هو الامام على بن أبى بكر المرغيناني ، أبو الحسن برهان الدين ، من أكابر فقهاء الحنفية نسبته الى مرغينان (من نواحي فرغانه) ولد سنة ٥٣٠هـ وتوفى سنة ٥٩٣هـ كان حافظاً مفسراً محققاً أديباً ، من تصانيفه : الهدايه ، بدايه المبتدى .. وغيرهما . راجع ترجمته فى الاعلام ٤ / ٢٦٦ -

(٢) فتح القدير شرح الهدايه للكمال بن الهمام ٨ / ١٧٤

(٣) هو الامام أبو بكر بن مسعود الكاساني ، علاء الدين ، فقيه حنفي من من أهل حلب ، توفى عام ٥٨٧ هـ - راجع ترجمته فى الاعلام ٢ / ٧٠ -

(٤) بدائع الصنائع ٩ / ٤٤٨٦

(٥) هو الامام محمد بن عمر التيمي ، أبو عبد الله ، فخر الدين الرازى ، قرشى النسب أصله من طبرستان ، ومولده فى الرى واليها نسبته ، ولد عام ٥٤٤ هـ وتوفى ٦٠٦ هـ وله مصنفات كثيرة أبرزها التفسير الكبير ، محصل آراء المتقدمين والمتأخرين ، معالم أصول الدين .

- راجع ترجمته فى الاعلام ٦ / ٣١٣ -

به ، مثل التخويف بالقتل ، ومثل الضرب الشديد والايلامات القوية)[١] .

وقال الامام القرطبى :

(التقية - أى فى الاكراه على الكفر - لا تحل الا مع خوف القتل أو القطع أو الايذاء العظيم)[٢]

وقال الامام الالوسي[٣] :

(لو كان التخويف بفوات المنفعة ، أو بلحوق المشقة التي يمكنه تحملها ، كالحبس مع القوت ، والضرب القليل غير المهلك ، لا يجوز له موافقتهم)[٤] .

وهكذا نرى أن التظاهر بالكفر لا رخصة فيه الا في حالة الاكراه الملجئ ، ولا يجوز بحال من الأحوال فى الاكراه الناقص غير الملجئ .

ويدخل فى ذلك الاكراه على التلفظ بكلمة الكفر أو سب النبي صلى الله عليه وسلم أو أحد من الأنبياء أو السجود للصنم أو الاكراه على إنكار شئ معلوم من الدين بالضرورة أو ما شابه ذلك مما سنجد تفصيله فى أحكام التقية

---

(١) التفسير الكبير ٢٠ / ١٢٣

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٤ / ٥٧

(٣) سبقت ترجمته ص / ٣٠ من هذا البحث .

(٤) روح المعاني ٣ / ١٢١

ثانيا : التقية فى التظاهر بشىء من المعاصـــى :

الرخصة التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم هى فى التظاهر بالكفر لمن أُكره عليه وقد استدل العلماء بهذه النصوص القرآنية من باب الأولى على جواز التظاهر بشئ من المعاصى عند الاكراه .

قال الامـــام القرطـــبى :

(لما سمح الله عز وجل بالكفر به/ أى تظاهراً/ وهو أصل الشريعة عند الاكراه ، ولم يؤاخذ به ، حمل العلماء عليه فروع الشريعة كلها ، فاذا وقع الاكراه عليها لم يؤاخذ به ولم يترتب عليه حكم)(١)

فالتظاهر بشىء من المحرمات عند الاكراه جائز، على أن لا يكون ذلك مما لا يتعدى ضرره الى الغير(٢) .

وهذه المحرمات تختلف درجة الحرمة فيها ، فبعضها من الكبائر كشرب الخمـــر والقذف وشهادة الزور، وبعضها قد لا يصل الى درجة الكبائر .(٣)

ولذلك اختلف العلماء فى حد الاكراه الذى يجوز معه التظاهر بشئ من المحرمات

قال الامام ابن عطية الانـــدلسي :

(أما بأى شىء تكون التقية وتترتب حكماً : فذلك بخوف القتل ، وبالخوف علـــى الجوارح ، وبالضرب بالسوط ، وسائر التعذيب ، فإذا فُعل بالانسان شـــىء من هذا أو أخافه خوفا متمكناً ، فهو مكرَه وله حكم التقية .

والسجن إكراه ، والتقييد اكراه ، والتهديد والوعيد إكراه ... وهذه كلها بحسب حال المكرَه ، وبحسب حال الشىء الذى يُكره عليه ، فكم من الناس ليس السجن فيهـــم بإكـــراه ... وسائل الاكراه هي من النوع الذي يدخله فقة الحال)(٤)

---

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ١٠/ ١٨١

(٢) سوف نتعرض لذلك بالتفصيل فى مبحث خاص انظر ص/ ١٣٨ من هذا البحث

(٣) قال الامام العزبن عبد السلام فى قواعد الأحكام ١/ ٢٤ : (ضبط بعض العلمـاء الكبائر بان قال كل ذنب قُرن به وعيد أو حدٌّ أو لعن فهو من الكبائر)

(٤) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز للامام ابى عبد الحق بن عطية الاندلـــسي (ت : ٥٤١ هـ)ـ ٣/ ٧٥

وقال أيضـــاً :

(يعتبر الاكراه عندي بحسب همَّة المكرَة وقدره في الدين ، وحسب الشئ يكرَه عليه فقد يكون الضرب اكراها في شئ دون شئ)(١)

وقال الامام القرطبــــى :

(اختلف العلماء في حدِّ الاكراه ، فروى عن عمر بن الخطاب أنه قال : ليس الرجل آمن على نفسه اذا أخفته أو أوثقته ...أو ضربته ... وقال النخعي : القيـــد اكراه ، والسجن اكراه ... والوعيد المخوِّف اكراه ، وان لم يقع ، اذا تحقـــق ظلم ذلك المتعدى وانفاذه لما يتوعد به ، وليس عند مالك وأصحابه في الضـــرب والسجن توقيت ، إنما هو ماكان يؤلم من الضرب ، وماكان من سجن يدخل منـــه الضيق على المكره)(٢)

- ونقل الامام السيوطى عن الامام النووى قولــه :

(إن الاكراه يحصل بكل مايُؤْثر العاقل الاقدام عليه ، حذراً مما هُدِّد به ، وذلــك يختلف باختلاف الاشخاص ، والافعال المطلوبة ، والأمور المخوَّف بها ، فقد يكـــون الشئ اكراها في شئ دون غيره ، وفي حق شخص دون غيره)(٣)

ونستنتج من النصوص السابقة أن حد الاكراه الذى يبيح التظاهر بشئ من المعاصـــى يختلف باختلاف العوامل التالية :

١ ـ بحسب اختلاف نوع المعصية :

فالاكراه على شرب الخمر ، يختلف عن الاكراه على الجلوس على مائدة الخمر دون المشاركة في الشرب ، مع أن كلا الفعلين معصية لكن شرب الخمر من الكبائر ، والجلوس على مائدته من الصغائر .

---

(١) المرجــع السابـــق ٥١٩/٨

(٢) تفسير القرطبـــــى ١٩٠/١٠

(٣) الأشباه والنظائر للسيوطي ص/٢٢٩

٢ - بحسب اختلاف الاشخاص :

لأن الناس يتفاوتون فى درجات الصبر وتحمل الأذى كما يتفاوتون فى مكانتهم الاجتماعية فكم من الناس ليس السجن فيهم بإكراه لأنهم لا يبالون به ، وهناك أخرون يفضلون القتل على الاهانة أو الضرب أو السجن .

قال الامام ابن قدامه : (فأما الضرب اليسير ، فإن كان فى حق مَن لا يبالى به فليس بإكراه ، وان كان من ذوى المروءات على وجه يكون إخراقاً لصاحبه ، وغضاً له وتشهيراً فى حقه ، فهو كالضرب الكبير فى حق غيره)(١)

وقال الامام السرخسي :

(والحد فى الحبس الذى هو اكراه مايجىء منه الاغتمام البيِّن .. وليس فى ذلك حد لايُزاد عليه ولا يُنقص منه ... لأن ذلك يختلف باختلاف أحوال الناس ، فالوجيه الذى يضع الحبس من جاهه تأثيرُ الحبس والقيد يوماً فى حقه فوق تأثير حبس شهر فى حق غيره)(٢).

٣ - بحسب اختلاف وسيلة الاكراه : فهناك وسائل للاكراه قد لا تؤدى الى القتل أو القطع أو تلف العضو لكنها تدخل الغم على القلب اكثر من التهديد بالقتل لوحشيتها وقسوتها وقد روى عن حذيفة رضى الله عنه أنه قال : (فتنة السوط أشد من فتنة السيف)(٣) وهناك وسائل استحدثتها المدنية المعاصرة تفوق فى شدتها ماكان يطلق عليه الفقهاء الاكراه الملجئ ومع ذلك فهى لا تؤدى الى القتل أو قطع العضو أو تلفه ، بل تؤدى الى آلام شديدة قد يتمنى المرء بسببها أن يقتل ليتخلص من العذاب .

---

(١) المغنى ٧/٣٨٤

(٢) المبسوط ٢٤/٥١-٥٢

(٣) المرجع السابق ٢٤/٤٦

دراسة قول مروى عن ابن مسعود رضى الله عنه

روى الامام ابن أبى شيبة فى مصنفه بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال :

(مامن كلام أتكلم به بين يدى سلطان يدرأ عني به مابين سوط الى سوطين إلاكنت متكلما به) (١)

وروى الامام ابن حزم بسنده عن عبدالله بن مسعود قال :

(مامن ذى سلطان يريد أن يكلفنى كلاما يدرأ عنى سوطا أو سوطين إلاكنت متكلما به) (٢)

وهذا النص لابد من تقييده بما ينفي عنه العموم والاطلاق

فلا يظن بالصحابى الجليل ابن مسعود رضى الله عنه أنه يقصد به جواز الاقدام على قول أوفعل محرم ليدرأ سوطا أو سوطين .

ولذلك قال الامام السرخسي :

(انما نضع هذا ـ القول ـ على الرخصة فيما فيه الالم الشديد ، وإن كان من سوطين فأما أن نقول السوطان اللذان لايُخاف منهما تلف يوجبان الرخصة له فى إجراء كلمة الشرك فهذا مما لايجوز أن يُظن بعبدالله رضي الله عنه)

ثم قال : (وقيل : السوطان فى حقه كان يخاف منهما التلف ، لضعف نفسه ، فقد كان بهذه الصفة على ماروى أنه صعد شجرة يوماً فضحكت الصحابة رضى الله عنهم من دقة ساقيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لاتضحكوا فهما ثقيلان فى الميزان ") . (٣)

فكلام ابن مسعود يُحمل على أمرين :

أحدهما : أنه لبيان الرخصة فيما فيه الالم الشديد ولو من السوطين

والاخر : أنه خاص به لتأذيه من السوطين ، لضعف كان فى جسمه (٤)

---

(١) مصنف ابن أبى شيبة ١٢/٣٥٩

(٢) المحلى ٨/٣٣٦ وأورد هذا القول الامام السرخى فى المبسوط ٢٤/٥٠ والامام ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢/٣٨١ ،كما روى الحافظ ابن ابي شيبة في مصنفه (١٢/٣٥٩) هذا الأثر بسنده عن علي بن مسهر (وهو ثقة : تقريب التهذيب ص/٤٠٥) عن أبي حيان (يحيى بن سعيد ، وهو ثقة : تقريب ٥٩٠) عن أبيه (سعيد التيمى ، وهو ثقة : تقريب ٢٣٤) عن الحارث بن سويد (وهو ثقة ثبت : تقريب ١٤٦) - راجع تقريب التهذيب بتحقيق الشيخ محمد عوامة .

(٣) المبسوط ٢٤ / ٥٠ والحديث رواه البزار والطبراني ورجالهما رجال الصحيح كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٢٩٢

(٤) الاكراه فى الشريعة الاسلامية ـ للدكتور فخرى أبو صفية ـ ص/ ٤٤ ـ طبع المدينة المنورة ١٤٠٢ هـ .

كما أن هذا الكلام من ابن مسعود خاص بالاكراه على الاقوال ، وهذا واضح من قوله (يريد أن يكلفني كلاما) ، أما الافعال فالضرر فيها أشد/ ، ولا يُعقل أن يُقدم مسلم على الاغلب على شرب الخمر مثلا ليدرأ عنه سوطاً أو سوطين .

حصول المشقة وإباحة الأخذ بالتقية :

قد يفهم البعض مما أورده العلماء أن حد الاكراه على شئ من المعاصي يختلف باختلاف الاشخاص ، وأن هذا مما يدخل في فقه الحال ، فيفتي لنفسه في مسألة من المسائل أنه مُكرَه مع أنه ليس بمكرَه ، ويستبيح لنفسه الوقوع في المحرَّم بهذه الحجة ، ويأخذ بالرخصة لاليدفع عن نفسه الخوف والخطر وانما ليدفع عنها المشقة ويبعد عنها الحرج .

وهذا أخطر الأمور ، لأن مجرد حصول المشقة أو وجود الحرج لا يؤدي الى استباحة المحرَّم بل لابد من وجود الاكراه والخوف بالشروط التي سبق ذكرها .

وقد حذر الامام الشاطبي من خطر التساهل في ذلك دفعا للحرج وما يتوهمه الانسان من مشقة فقال : (إن أسباب الرخص أكثر ماتكون مقدَّرة ومتوهَّمة لا محقَّقة ، فربما عدَّها شديدة وهي خفيفة في نفسها .. ولو تتبع الانسان الوهم لرمى به في مهاوٍ وبعيدة ، ولأبطل عليه أعمالاً كثيرة .. وقد تكون ـ المشقة ـ شديدة ولكن الانسان مطلوب بالصبر في ذات الله والعمل على مرضاته ، وفي الصحيح " من يصبر يصبِّره الله "(١) . وقال تعالى : " والله مع الصابرين "(٢))(٣) .

ثم قال محذراً من اتباع الهوى في تقدير الضرورة واستباحة المحرم :

(كثيرا ماتدخل المشقات وتتزايد من جهة مخالفة الهوى ، واتباعُ الهوى ضد اتباع الشريعة ،

---

(١) هذا جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه/ في كتاب وجوب الزكاة ، باب الاستعفاف عن المسألة ١/٢٥٦ بلفظ : (ومن يتصبر يصبِّره الله ، وما أُعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر)

(٢) سورة الانفال / آية ٦٦

(٣) الموافقات في أصول الاحكام ١/٢٢٤ - ٢٢٥

فالمتبع لهواه يشق عليه كل شئ ، سواء أكان فى نفسه شاقا أم لم يكن .. فاذا كان المكلف قد ألقى هواه ونهى نفسه عنه ، وتوجّه الى العمل بما كُلّف به خفّ عليه ، ولا يزال بحكم الاعتياد يداخله حبه ، ويحلوله مُرّه ، حتى يصير ضده ثقيلا عليه بعد ماكان الامر بخلاف ذلك ... فالشاق على الاطلاق فى هذا المقام هو مالا يطيقه من حيث هو مكلف) (١) .

كما بين الامام ابن القيم أن حصول التعب والعناء لا يعتبر سببا للرخصة ، فقال :

(إن كانت المشقة مشقة تعب ، فمصالح الدنيا والاخرة منوطة بالتعب ، ولا راحة لمن لا تعب له ، بل على قدر التعب تكون الراحة) (٢)

وهكذا نجد أن مجرد حصول العناء لا يبيح التقية والاقدام على شئ من المعاصى ، بل لابد من حصول المشقة الشديدة التى يصعب على المكلف تحملها ، وذلك بأن يتعرض للتهديد والاكراه ويؤدي امتناعه عن ذلك المحرم الى ضرر أكبر ، وعند ذلك يباح له الاخذ بالتقية ارتكابا لاخف الضررين وأهون الشرين .

ولقد نص العلماء على كثير من القواعد الشرعية التى يمكن من خلالها تقدير حالة الضرورة فى استباحة المحرم .

وأبرز هذه القواعد مايلى :

القواعد الشرعية فى تحديد الضرورة :

١ ـ الضرورات تبيح المحظورات (٣) :

دليل هذه القاعدة الايات الكريمة التى أباحت للمضطر فعل المحرم ، ومنها قوله تعالى :

(وقد فصّل لكم ماحرّم عليكم الا ما اضطررتم اليه) (٤)

ومن بين حالات الضروره ـ كما أسلفنا ـ الاكراه ، فمن تعرض للاكراه حلّ له الإقدام على

---

(١) المرجع السابق ٢٢٥/١

(٢) اعلام الموقعين عن رب العالمين ١١٢/٢

(٣) نظرية الضرورة الشرعية للدكتور وهبه الزحيلى ص/ ٢٢٥ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ

(٤) سورة الانعام / آية ١١٩

ماأكره عليه ، على أن لا يكون فى ذلك ضرر متعد لغيره من المسلمين ، كما سنرى تفصيله فى أحكام التقية

٢ ـ الضرورة تقدر بقدرها [١] :

ومعنى هذه القاعدة أن كل ماأبيح للضرورة من فعل أو ترك ، فانما يُباح بالقدر الذى يدفع به الضرر والاذى ، ودليل هذه القاعدة قوله تعالى : (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه) [٢] ، وهذا نهى عن تجاوز قدر الضرورة .

٣ ـ ماجاز لعذر يبطل بزواله [٣] :

وهذه القاعدة قريبة فى المعنى من القاعده السابقه ومكملة لها ، ومعناها أن ماجاز فعله بسبب عذر من الاعذار الشرعية ، فان مشروعيته تزول بزوال هذا العذر .

٤ ـ الاضطرار لا يُبطل حق الغير [٤]

وهذه القاعدة تقيّد القاعدة الاولى : "الضرورات تبيح المحظورات" ، ومعناها أن الاضطرار وإن كان يُسقط حق الله ويرفع الاثم والمؤاخذة ، الا أنه لا يُسقط حق انسان آخر من الناحية المادية .

٥ ـ الضرر لا يُزال بالضرر [٥] :

ويقيد هذه القاعدة قاعدة أخرى نص عليها الفقهاء بقولهم : "يُتحمل الضرر الخاص لأجل دفع الضرر العام"، كما يقيدها قاعدة ثانية وهى : "اذا تعارض مفسدتان روعي أعظمها ضرراً بارتكاب أخفهما "، وتقتضي هذه القاعدة أنه اذا لم يكن بدٌّ من ارتكاب أحد الضررين يجوز للانسان أن يرتكب أخفهما ليدفع عن نفسه الضرر الاعظم .

---

(١) الاشباه والنظائر للامام زين العابدين ابن نُجيم ص/ ٨٦ ، نظرية الضرورة للزحيلي ص / ٢٤٥

(٢) سورة البقرة / آية ١٧٣

(٣) الاشباه لابن نجيم ص/ ٨٦ ، نظرية الضرورة ص/ ٢٥٤

(٤) نظرية الضرورة ص/ ٢٥٩

(٥) الاشباه والنظائر للسيوطى ص/ ٩٥ ولابن نُجيم ص / ٨٧

٦ ـ درء المفاسد أولى من جلب المصالح[١]

ومعنى هذه القاعدة انه اذا تعارضت مفسدة ومصلحة قُدِّم دفع المفسدة ، ولذلك يجوز ترك الواجب عند الاكراه دفعا للمشقة .

٧ ـ المشقة تجلب التيسير[٢]

وهذه القاعدة لا تختص بحالات الضرورة وانما تشمل جميع رخص الشرع وتخفيفاته ، والاصل فيها قوله تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)[٣] وقوله سبحانه : (وما جعل عليكم في الدين من حرج)[٤] والاحاديث الكثيرة التي تدل على الامر بالتيسير.
والمقصود بالمشقة فيما يتعلق بالضرورة المشقة العظيمة الفادحة[٥] كما سبق بيانه .

---

(١) الاشباه لابن نجيم ص/ ٩٠

(٢) الاشباه لابن نجيم ص/ ٧٥ وللسيوطي ص/ ٨٤

(٣) سورة البقرة / آية ١٨٥

(٤) سورة الحج / آية ٧٨

(٥) الاشباه للسيوطي ص/ ٨٩

الفصل الرابع

أحكام التقية

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : التقيه فى الاقوال

١ ـ كلمه الكفر وما يتصل بها .

٢ ـ الكذب واليمين الكاذبة .

٣ ـ شهادة الزور .

٤ ـ القذف والسب

المبحث الثانى : التقية فى الفتوى

ـ هل تجوز التقية فى الفتوى ؟

ـ موقف علماء السلف من الاكراه على الفتوى

ـ محنة القول بخلق القرآن

ـ موقف الامام أحمد ممن أجاب بالموافقة

المبحث الثالث : الكتمان

ـ أهمية الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وخطر التهاون فيه

ـ حكم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر

ـ الترخيص فى السكوت عن المنكر

المبحث الرابع : التقية فى الافعال

ـ الاختلاف فى جواز التقية فى الافعال

ـ أحكام التقية فى الافعال :

١ ـ الافعال التى تسقط حرمتها بالاكراه

٢ ـ أفعال لا تسقط حرمتها ولكنها تحتمل الرخصة .

٣ ـ أفعال لا تسقط حرمتها بالاكراه ولا رخصة فيها .

المبحث الأول

التقية في الأقوال

اللسان خطره عظيم وآفاته كثيرة ، لما قد ينطق به من أقوال محرمة توقع صاحبها في النار كالكذب وشهادة الزور والقذف والغيبة والنميمة وغيرها ، بل قد ينطق اللسان كلمة واحدة تؤدي الى الكفر والردة اذا كانت معبرة عما فى قلبه .

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهل يكبُّ الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم) (١)

ولكن المسلم قد يتعرض للاكراه فيضطر أن يتلفظ بكلمة محرمة ليتخلص من الاذى ، وهذا مارخص به الاسلام دفعاً للمشقة .

وقد ذكرنا سابقاً موقف عمار بن ياسر رضى الله عنه حينما اكرهه المشركون على الكفر ولم يتركوه حتى ذكر آلهتهم بخير ، وقلبه مطمئن بالايمان .

واذا كان التظاهر بالكفر عند الاكراه قد رخص به الاسلام ، فان العلماء حملوا عليه فروع الشريعة كلها ـ كما قال الامام القرطبى ـ فإذا وقع الاكراه عليها لم يؤاخذ به (٢)

ولهذا يجوز للمسلم اذا أُكره على قول محرم أن ينطق به دفعاً للاذى عن نفسه ، وأبرز هذه الاقوال المحرمة مايلى :

أولا ـ كلمة الكفر وما يتصل بها :

سبق أن ذكرنا أن الترخص بإجراء كلمة الكفر على اللسان لايجوز الا فى حالة الاكراه التام الملجئ وهو أن يخاف على نفسه أو بعض أعضائه التلف إن لم يتكلم بما أُكره عليه .

وتشمل كلمة الكفر كل قول فيه إنكار لما هو معلوم من الدين بالضرورة كالطعن فى الرسول صلى الله عليه وسلم أو القرآن الكريم ، أو إنكار صلاحية التشريع الاسلامى للتطبيق ، أو انكار

---

(١) رواه الترمذى (٥ / ١٢) وقال حديث حسن صحيح .

(٢) تفسير القرطبى ١٠ / ١٨١

فرض من فرائض الاسلام أو ركن من أركان الايمان ... وهذا من القسم الذى لا تسقط حرمته بالاكراه لكنه يحتمل الرخصه.قال الامام علاء الدين البخاري [١]

(أما القسم الذى لا يسقط من الحرمات ويحتمل الرخصة فمثل اجراء كلمة الكفر على اللسان بشرط طمأنينة القلب ... وذلك لان حرمه اجراء كلمة الكفر لا تحتمل السقوط، لان التوحيد واجب على العباد الى الابد ... والكفر بالله تعالى حرام دائما الى الابد لا تسقط حرمته بالاكراه، بل بقى حراما مع الاكراه، الا أنه رُخِّص للعبد إجراء كلمة الكفر لان فيه فوات التوحيد صورة لا معنى لانه معتقد وحدانية الله تعالى بالقلب وهو الأصل) [٢]

وقال الامام العز بن عبد السلام [٣]

(التلفظ بكلمة الكفر مفسدة محرمة لكنه جائز بالحكاية والاكراه ، اذا كان قلب المكره مطمئنا بالايمان ، لأن حفظ المهج والارواح أكمل مصلحة من مفسدة التلفظ بكلمة لا يعتقدها الجنان ولو صبر عليها لكان أفضل لما فيه من اعتزاز الدين واجلال رب العالمين) [٤]

ويشترط لجواز التظاهر بكلمة الكفر عند الاكراه الملجىء ثلاثة شروط هي :

١ ـ أن يكون القلب مطمئناً بالايمان :

وهذا مانصت عليه الاية الكريمة وهى قوله تعالى :

---

(١) سبقت ترجمته ص/٥٢ من هذا البحث

(٢) كشف الاسرار عن أصول البزدوى ٣٩٩/٤

(٣) هو الامام عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقى ،الملقب بسلطان العلماء ، فقيه شافعى ولد فى دمشق سنة ٥٧٧ هـ وتوفى بالقاهرة سنة ٦٦٠ هـ .
(راجع ترجمته فى الاعلام ٢١/٤)

(٤) قواعد الاحكام فى مصالح الأنام ـ للعز بن عبد السلام ـ ٩٨/١ - ٩٩ ، تحقيق : طه عبد الرؤف سعد ، طبع دار الشرق بالقاهرة ١٣٨٨ هـ

(من كفر بالله من بعد إيمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ، ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم)(١)

لأن المكرِه لاسلطان له على من أكرهه إلا بما يحمله عليه من التلفظ ، أما حقيقة ما استقر فى قلب المكرَه فلا سبيل له عليه ، فالاكراه لاسلطان له على تحويل القلب من طمأنينة بالايمان الى انشراحه بالكفر .

قال الامام ابن العربى فى تفسيره :

(أما الكفر بالله فذلك جائز له ـ أى للمكرَه ـ بغير خلاف ـ على شرط أن يلفظ بلسانه وقلبه منشرح بالإيمان ، فان ساعد قلبُه فى الكفر لسانَه كان آثماً كافراً ، لان الاكراه لاسلطان له فى الباطن ، وانما سلطته على الظاهر)(٢)

٢ ـ استخدام المعاريض والتورية فيما يقول :

وذلك بأن يتلفظ بكلام يفهم السامع منه معنى، ولكنه فى نفسه يقصد معنى آخر .(٣)

وقد نقل الامام الخازن(٤) فى تفسيره الاجماع على أنه لا يجوز لمن أُكره على التلفظ بكلمة الكفر أن يأتى بها تصريحاً بل لابد أن يأتى بالمعاريض(٥)

كما ذكر ذلك الامام الجصاص فقال :

(ابيح له ـ أى للمكرَه ـ فى حالة الاكراه أن يظهر كلمة الكفر ، ويعارض بها غيره إذا خطر ذلك بباله ، فإن لم يفعل ذلك مع خطورة بباله كان كافراً . . .

---

(١) سورة النحل / آية ١٠٦

(٢) أحكام القرآن لابن العربى ٣ /١١٧٨

(٣) سوف نتحدث بالتفصيل عن المعاريض ص/ ١٥٣ من هذا البحث

(٤) هو الامام على بن محمد بن ابراهيم الشيحى، علاء الدين ، المعروف بالخازن ، عالم بالتفسير والحديث ، من فقهاء الشافعية، نسبته الى (شيحة) من أعمال حلب ولد ببغداد سنة (٦٧٨ هـ) وسكن دمشق وكان خازن الكتب بأحد مدارسها وتوفى بحلب سنة (٧٤١ هـ) . ـ الاعلام ٥/٥

(٥) لباب التأويل فى معانى التنزيل للامام الخازن ٣ /١٤٦

فان أكرهه الكفار على أن يشتم محمداً صلى الله عليه وسلم فخطر بباله أن يشتم محمداً آخر غيره فلم يفعل وشتم النبى صلى الله عليه وسلم كان كافراً .. فإن أعجلوه عن الروية ولم يخطر بباله شئ وقال ما أُكره عليه أو فعل لم يكن كافراً إذا كان قلبه مطمئناً بالايمان)(١)

ونص على ذلك الامام ابن العربي فى تفسيره فقال :

(قال المحققون من علمائنا إنه اذا تلفظ بالكفر لا يجوز له أن يَجري على لسانه إلا جريان المعاريض ، ومتى لم يكن كذلك كان كافراً أيضاً ، وهو الصحيح ، فان المعاريض أيضا لا سلطان للاكراه عليها ، مثاله أن يُقال له : اكفر بالله ، فيقول : أنا كافر باللهِ ، يريد باللاهي ، ويحذف الياء كما تحذف من الغازي والرامي والقاضي .. وكذلك اذا قيل له اكفر بالنبي ، فيقول : هو كافر بالنبي ، وهو يريد بالنبي المكان المرتفع من الارض)(٢) .

وهكذا يجب على المكرَه أن يخالف المكرِه فى قصده إلى إيقاع لفظ الكفر ، فيخالفه باضمار خلاف ما أُكره عليه وهذا تأكيد لاطمئنان قلبه بالايمان .

ولكن ينبغي أن يقيَّد هذا الشرط بقيدين(٣) :

الاول : امكانية التوريه ، فقد ينغلق على المكرَه ذهنه فيحار فى الاتيان بالتورية لما يتملكه من الخوف والهلع ، مما لا يبقى معه فسحة للتروي والتمعن ، خاصة وأن التورية فى الالفاظ تعتمد على معرفة اللغه ووجوه تصريف الكلام ، وقد ضعفت هذه الملَكة فى زماننا .

فينبغي أن يقيَّد اشتراط التورية بالقدرة عليها ، وهذا مانص عليه الامام ابن عابدين(٤) فى حاشيته فقال :

(إن التورية إنما تلزم عند خطورها ، فاذا خطرت لزمته)

الثاني : أن يكون الأمر المكرَه عليه مما يحتمل التورية ، كما فى الاكراه على السبِّ أو السجود وهناك صور لا تحتمل التورية كالاكراه على إلقاء المصحف فى القذر والنجاسة ، فلا يمكن

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ١٩٢/٣

(٢) أحكام القرآن لابن العربى ١١٧٨/٣

(٣) الاكراه وأثره فى التصرفات للدكتور عيسى شقرة ص/ ١١٦ - ١١٧

(٤) هو محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقى ،امام الحنفيه فى عصره ، توفى فى دمشق سنة (١٢٥٢ هـ) وأشهر كتبه : (رد المحتار على الدر المختار) ويعرف باسم (حاشية ابن عابدين) ، وله كتب أخرى كثيرة . - راجع ترجمته فى الاعلام ٤٢/٦ -

للمكرَه على ذلك أن يورّي بشئ . وهذا ماسنراه عند الحديث عن التقية فى الأفعال .

٣ - ألا يكون ممن يُقتدى به فى ذلك :

اذا أُكره شخص على النطق بكلمة تؤدى الى الكفر ، وكان ممن يقتدى به ويستمع الى قوله لمكانته العلمية بين الناس ، ويخشى أن يخفى الحق على الجاهلين وأن يضعف ايمانهم فلا يجوز له أن يستخدم التقية لأن هذا سيؤدى الى ضرر متعد وافساد للاخرين

وقد قال الامام أحمد بن حنبل : (إذا أجاب العالم تقية والجاهل بجهل فمتى يتبين الحق ؟)(٢)

وسنرى تفصيل هذا الشرط بعد صفحات عند الحديث عن التقية فى الفتوى .

ثانياً - الكذب واليمين الكاذبة

الكذب من المحرمات ، ولكن حرمته تختلف بحسب نوعه ، فلو كذب انسان على غيره كذبا يؤدى الى ترويعه أو اضلاله أو يُقتل بسببه فهذا من الكبائر ، أما لو كان هذا الكذب سيؤدى الى أن تؤخذ منه تمرة فلا يكون ذلك من الكبائر(٣)

وعلى حسب اختلاف نوع الكذب ومفسدته يختلف حد الاكراه الذى يبيح الاقدام عليه فالكذب الذى يؤدى الى قتل مسلم معصوم الدم لا يجوز بحال من الاحوال ، ولو كان بسبب الاكراه الملجئ(٤) .

والكذب فيما لا يضر غيره ولا يؤدى الى مفسدة يجوز الاقدام عليه بسبب الاكراه الناقص للتخلص من الحبس أو الضرب اليسير .

وكذلك الأمر بالنسبة لليمين الكاذبة فانها لا تنعقد بالاكراه ولا يحنث صاحبها .

قال الامام ابن رجب الحنبلي :

---

(١) حاشية رد المحتار ٦/١٣٤

(٢) البحر المحيط لأبى حيان الاندلسى ٢/٤٢٤

واجع تعليق الشيخ أحمد محمد شاكر على دائرة المعارف الاسلامية ج ١٠/٨

(٣) انظر : قواعد الاحكام للعز بن عبدالسلام ١/٢٣

(٤) سنتحدث بالتفصيل عن تحريم قتل الغير أو التسبب به مهما كان الاكراه فى ذلك . راجع ص/ ١٣٩

(لو أُكره على الحلف بيمين لحقّ نفسه ، فحلف دفعاً للظلم عنه لم تنعقد يمينه ، ولو أُكره على الحلف لدفع الظلم عن غيره فحلف . . فلا تنعقد أيضاً وهو الاظهر)[(١)].

ـ وأورد الامام القرطبي عن أبي شيبة قال : (سألت أنس بن مالك عن الرجل يؤخذ بالرجل هل ترى أن يحلف ليقيه بيمينه ؟ فقال : نعم ، ولأن أحلف سبعين يميناً وأحنث أحب اليّ أن أدلّ على مسلم)[(٢)].

ـ كما أورد قصة في ذلك عن ادريس بن يحيى قال :

(كان الوليد بن عبد الملك[(٣)] يأمر جواسيسه يتجسسون الخلق يأتونه بالاخبار ، قال : فجلس رجل منهم في حلقة رجاء بن حَيْوة[(٤)] ، فسمع بعضهم يقع في الوليد ، فرفع ذلك اليه فقال ـ أي الوليد ـ : يا رجاء أُذكر بالسوء في مجلسك ولم تغيّر !

فقال : ماكان ذلك يا أمير المؤمنين

فقال له الوليد : قل : الله الذي لااله الا هو .

قال : الله الذي لا اله الا هو .

فأمر الوليد بالجاسوس فضربه سبعين سوطاً ، فكان يلقى رجاء فيقول : يارجاء ، بك يُستسقى المطر[(٥)] ، وسبعون سوطاً في ظهري !

فيقول رجاء : سبعون سوطاً في ظهرك خير لك مِن أن يُقتل رجل مسلم)[(٦)]

---

(١) القواعد لابن رجب (ت ٧٩٥ هـ) ص / ٣٧

(٢) تفسير القرطبي ١٠/ ١٨٩

(٣) هو أحد خلفاء الدولة الأموية ولد عام ٤٨ هـ وتولى الخلافة عام ٨٦ هـ وتوفى عام ٩٦ هـ ـ راجع ترجمته في الاعلام ٨/ ١٢١ ـ

(٤) هو الامام رجاء بن حَيْوة بن جرول الكندي ، شيخ أهل الشام في عصره ، وهو الذي أشار على سليمان بن عبد الملك باستخلاف عمر بن عبد العزيز ، توفى سنة (١١٢هـ) ـ الاعلام ٣/ ١٧ ـ

(٥) أي : يُستسقى المطر بدعائك ، وهذا إشارة إلى صلاحه وتقواه .

(٦) تفسير القرطبي ١٠/ ١٩٠

ثالثا - شهادة الزور

شهادة الزور نوع من أنواع الكذب ، بل هي من أخطر أنواع الكذب وأكبر الكبائر وقد روى البخاري ومسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا : بلى يارسول الله . قال : الاشراك بالله وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس فقال : ألا وقول الزور) (١) .

ولذلك لابد من بيان الحكم الشرعي فيمن أُكره على شهادة الزور ، هل يجوز له أن يشهد بالزور ويستخدم التقية أوْلا ؟

وللاجابة على هذا السؤال لابد من التمييز بين نوعين من شهادة الزور .

النوع الاول : اذا كانت هذه الشهادة ستؤدي الى قتل مسلم معصوم الدم أو قطع عضو منه بغير حق أو إحلال فرج محرم ، فلايجوز ذلك ولو كان بسبب الاكراه الملجئ .

قال الامام العز بن عبد السلام :

(لو أُكره بالقتل على شهادة زور أو على حكم بباطل ، فان كان الاكراه على الشهادة به أو الحكم به قتلاً ، أو قطع عضو ، أو إحلال بضع محرم لم تجز الشهادة ولا الحكم ، لأن الاستسلام للقتل أولى من التسبب الى قتل مسلم بغير ذنب ، أو قطع عضو بغير جرم ، أو اتيان بضع محرم) (٢)

ومن أمثلة الاكراه على شهادة الزور التي تؤدى الى اتيان بضع محرم ، أن يأتي بشهداء زور مكرَهين ليشهدوا على امرأة أنها زوجته مع أنها ليست زوجته ، أو يأتي بهم ليشهدوا كذباً على أن فلانا طلّق زوجته ثلاثاً ليتمكن هو من زواجها بعد ذلك ، أو ليشهدوا على أن زوجها قد ارتد لكي يحكم القاضي بطلاقها ويتمكن هو من زواجها .

وفي كل هذه الامثلة السابقة يُعد وطء المرأة زنى لانها لاتجوز له ، ويُعد الشهود متسببين في هذا الزنى ، وهذا لايجوز ولو مع الاكراه الملجئ .

النوع الثاني : اذا كانت شهادة الزور ستؤدى الى مفسدة أقل من المفاسد السابقة

---

(١) رواه البخاري ٢/ ١٠٢ في كتاب الشهادات ، باب ما قيل في شهادة الزور - ومسلم ١/ ٦٤ في كتاب الإيمان باب بيان الكبائر

(٢) قواعد الاحكام ١/ ٩٣

كالشهادة التى تؤدى الى اتلاف مال للغير ، فهذا النوع تجوز التقية فيه ، ولكن بشرط أن يكون بسبب الاكراه الملجئ لأنه يؤدى الى استباحة كبيرة من الكبائر.

قال الامام العزبن عبد السلام :

(شهادة الزور مفسدة كبيرة ، فان أُكره عليها بالقتل أو بما يؤدي الى القتل كقطع عضو ، فان كان المشهود به يتضمن قتل نفس معصومة أو زنا أو لواطاً لم يجز .. وان كانت الشهادة بغير ذلك جازت ، لأن حرمة نفس الشاهد أعظم من حرمة ما أُكره على الشهادة به)(١)

وهناك أقوال أخرى محرمة قد يقع الاكراه عليها ، منها :

القذف : وهو اتهام برئ بالزنى ، وقد قال العلماء انه يباح بالاكراه إن لم يجب به حدٌّ على المقذوف ويمكن أن يُلحق بالتلفظ بكلمة الكفر ، أى لا يجوز الا فى الاكراه الملجئ .

ولا يُنظر الى تعلقه بالمقذوف لأنه لم يتضرر به(٢)

السبُّ : وما يتصل به كالسخرية والشتم واللعن ، فهذا أيضاً لا يجوز الا فى الاكراه الملجئ ، كما قال بعض العلماء(٣) ، وقال بعضهم : يجوز سبُّ غير الصحابى لمن تخوف بمؤلم ـ أى فى الاكراه غير الملجئ ـ أما الصحابى فلا يجوز سبُّه الا بالتخويف بالقتل(٤) .

وننتقل بعد ذلك الى الحديث عن موضوعين مهمين لهما صله بالتقية فى الاقوال وهما : التقية فى الفتيوى ، والكتمان . ولابد لنا من الحديث عنهما بالتفصيل لشدة ما وقع فيه الشيعة وغيرهم من انحرافات فى هذين المجالين :

---

(١) قواعد الاحكام ١٠٤/١

(٢) انظر الاشباه والنظائر للسيوطى ص/ ٢٢٧

(٣) انظر حاشية رد المحتار للامام ابن عابدين ١١٦/٥

(٤) انظر حاشية الدسوقى على الشرح ٣٦٩/٢

المبحث الثاني

التقية في الفتوى

أهل الفتوى هم العلماء الذين جعلهم الله ورثة الانبياء ، وحمّلهم هذه الامانة ليكونوا أمناء على أحكام الله أوفياء فى تبليغها للناس .

والأصل فى المستفتى أنه يسأل عما يشكل عليه من أحكام الاسلام ، ليعتقد بها إن كانت فى مسألة اعتقادية ، وليعمل بها إن كانت فى حكم من الاحكام العملية .

ولذلك كان لزاماً على العلماء أن يدركوا خطر الفتوى وأهميتها ، وأن لا يصدر من أحد هم فتوى فى مسألة ما إلا عن علم بأحكامها .

ولقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من خطر التسرع فى الفتوى ، وبيّن أن من أفتى بغير علم فانه يتحمل إثم هذه الفتوى ومسؤليتها .

روى الامام أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من قال عليّ مالم أقل ، فليتبوأ بيتاً فى جهنم ، ومن أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه ، ومن أشار على أخيه بأمر يعلم الرشد فى غيره فقد خانه)(١)

وقد أورد الامام ابن القيم هذا الحديث فى (اعلام الموقعين) ثم عقب عليه بقوله :

(وخطر المفتى أعظم من خطر القاضي ، لأن فتواه شريعة عامة تتعلق بالمستفتي وغيره)(٢)

وذلك لان الفتوى إذا صدرت من عالم فإن الناس يتناقلونها ويعملون بها ، فان كانت صادره عن جهل ضل الناس بسببها ، وهذا مايحصل إذا أصبح الجهال رؤوس الامه ومتصدرى الفتوى فيها .

روى البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

---

(١) سنن أبى داود ٤/ ٦٦ كتاب العلم ، باب التوقي في الفتيا ، وحسّنه الألباني في تخريجه لأحاديث مشكاة المصابيح للتبريزي ١/ ٨١

(٢) اعلام الموقعين عن رب العالمين ١/ ٣٨

(إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى اذا لم يُبقِ عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا).[١]

فالفتوى أمرها خطير ومسؤليتها جسيمة ، وقد تضل بسببها أمة كاملة وتستباح بسببها المحرمات .

وشر الناس من يفتي بغير علم فيحرِّم ما أحل الله أو يحل ما حرَّم الله .

قال تعالى : (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع قليل ولهم عذاب أليم)[٢]

قال الامام ابن الصلاح[٣] فى تعليقه على هذه الايه : (قوله تعالى : " ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم .. " شامل بمعناه من زاغ فى فتواه ، فقال فى الحرام هذا حلال ، أو فى الحلال هذا حرام).[٤]

ولذلك كان الصحابه رضى الله عنهم يتدافعون الفتوى إدراكاً لخطرها .

روى الامام ابن الصلاح عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أنه قال :

(أدركت عشرين ومائه من الأنصار ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسأل أحدهم عن المسأله فيردها هذا الى هذا ، وهذا الى هذا حتى ترجع الى الأول) .

وفى روايه : (مامنهم من أحد يحدث بحديث الا ودَّ أن أخاه كفاه إياه ، ولا يُستفتى عن شئ الا ودَّ أن أخاه كفاه الفتيا)[٥]

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٣٠ كتاب العلم ، باب كيف يُقبض العلم .

(٢) سورة النحل / آية ١١٦ ، ١١٧

(٣) هو الامام عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) الشهرزورى ، أبوعمرو ، تقى الدين ، المعروف بابن الصلاح ، من أبرز علماء الحديث ، ولد فى شهرزور ، وتوفى فى دمشق سنة (٦٤٣هـ) . - الاعلام ٤ /٢٠٧ -

(٤) أدب المفتى والمستفتى للامام أبي عمرو ابن الصلاح - ص / ٨٥

تحقيق الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر - مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنوره - ط ١ - ١٤٠٧ هـ

(٥) المرجع السابق ص / ٧٥

حكم التقية في الفتوى ؟

اذا أكره العالم على أن يفتي بفتوى باطلة فهل يجوز له أن يفتي بها تظاهراً لينجو من العذاب ويتخلص من التهديد والوعيد ؟

وهل التقية في الفتوى جائزة في حالة الاكراه أو لا ؟

للجواب على هذا السؤال لابد لنا من بيان الفرق بين الاكراه على الفتوى الباطلة والاكراه على التلفظ بكلمة الكفر ، فالتلفظ بكلمة الكفر لا يتعدى ضرره الى الغير ، ولا يلحق الفساد بعقيدة الاخرين أما الفتوى الباطلة فانها قد تلحق الفساد بعقيدة أمة بأسرها ويتخذ الظالم هذه الفتوى حجة له أمام الناس وتبريراً لما يقوم به من محرمات .

والتقية في الفتوى تكون بأحد أمرين :

الأمر الاول : السكوت عن فتوى الحق فيما يجب إظهاره .

الامر الثاني : الافتاء بالباطل .

قال الامام ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) :

(ومن تلبيس ابليس على الفقهاء : مخالطتهم الامراء والسلاطين ، ومداهنتهم وترك الانكار عليهم مع القدرة على ذلك ، وربما رخصوا لهم فيما لا رخصة لهم فيه لينالوا من دنياهم عرضاً .

فيقع بذلك الفساد لثلاثة أوجه :

الاول : الأمير ، يقول لولا أني على صواب لأنكر عليَّ الفقيه ، وكيف لا أكون مصيباً وهو يأكل من مالي .

والثاني : العامي ، أنه يقول لا بأس بهذا الأمير ولا بماله ولا بأفعاله فإن فلاناً الفقيه لا يبرح عنده .

والثالث : الفقيه ، فإنه يفسد دينه بذلك)[1]

---

(١) تلبيس ابليس ص/ ١٢١

وهكذا نجد أن الفرق كبير بين التقية فى التظاهر بالكفر، والتقية فى الفتوى ،فلا يمكن ان نقيس أحدهما على الاخر، ولا يجوز للعالم أن يُقدم على التلفظ بفتوى باطلة مهما كان الاكراه ملجئاً والتهديد كبيراً ولو ادى ذلك الى قتله، لأنه لو أفتى بغير الحق لينقذ نفسه فقد أضل الناس وساعد على طغيان الباطل، واذا صبر حتى قُتل ففى هذا سلامة عقائد الناس وعدم إضلالهم (١) .

- ولقد ضرب العلماء من سلفنا الصالح أروع الامثلة فى صلابة مواقفهم ممن انحرف عن الاسلام، متحملين بصبر وشجاعة كل ماينالهم بسبب الجهر بكلمة الحق فأظهروا بذلك عزة الاسلام، وكانوا أعزة بهذا الدين حينما ادوا واجبهم نحوه، وكانوا أشد الناس خشية من ربهم ، يخشونه ولا يخشون أحدا الا الله ،فاستحقوا وصف الله تعالى لهم: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) (٢) .

ثم لما ضيّع أكثر العلماء هذا الواجب بالسكوت عن كلمة الحق والتهاون فى حمل لواء الدعوة ، فقدوا كرامتهم وسيادتهم، حتى اصبح بعضهم اليوم يصدرون الفتاوى تزلفاً للحكام فى الأنظمة العلمانية فى بعض البلاد الاسلامية والتماساً لرضاهم .

موقف علماء السلف من الاكراه على الفتوى :

تعرض كثير من علماء السلف الصالح للمحن والشدائد لكي يتلفظ أحدهم بفتوى يتخذها الحكام آنذاك حجة لما يقومون به من أعمال ومايريدون فرضه على الناس من عقائد .

ولو استعرضنا كتب التاريخ والتراجم لوجدنا انه قلّما نجا عالم من هذه المحن منذ القرون الأولى بدءاً من سعيد بن المسيب مروراً بالأئمة أبي حنيفة ومالك والشافعى وأحمد وابن تيمية وغيرهم : (فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا) (٣)

---

(١) الاكراه في الشريعة الاسلامية للدكتور فخري أبو صفية ص/ ٢٢٢ - ٢٢٣

(٢) سورة فاطر/ آية ٢٨

(٣) سورة آل عمران / آية ١٤٦

فهذا سعيد بن المسيب (١) يصرُّ على عدم جواز البيعة لخليفتين فى وقت واحد ،فيكرهه بنو أمية على البيعة للوليد وسليمان بعد عبد الملك بن مروان ، ولكنه يقول : لا أبايع لاثنين مااختلف الليل والنهار فيقول له والي المدينة : نقرأ عليك الكتاب فلا تقل لا ولا نعم فيقول : ماذا يقول الناس؟ يقولون بايع سعيد بن المسيب ، ما أنا بفاعل ، والله لا يقتدي بي أحد من الناس .

فما كان منهم الا أن جلدوه مائة سوط وألبسوه المسوح وطوّفوا به أسواق المدينة وهددوه بضرب عنقه (٢) وهو مع كل هذا ثابت على فتواه صابر على بلواه .

وهذا الامام مالك (٣) يفتي بعدم وقوع يمين المكره أو طلاقه ،فلا يرضى العباسيون بهذه الفتوى لاستلزامها جواز التحلل من بيعة الخلفاء بالاكراه ، وينهاه أبو جعفر المنصور عن التكلم بها فيأبى الامام مالك ، ويصر على الكلام بها ،فيُضرب بالسياط حتى تُخلع كتفه ، ويُحمل على بعير ويُطاف به ، ويقال له : ناد على نفسك . فيقول : (ألا من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا مالك بن أنس ، وأنا أقول طلاق المكره ليس بشئ (٤)) ! .

والامثلة فى هذا المجال كثيرة لا تنتهى ، وكلها تدل بوضوح على صبر علماء السلف الصالح وثباتهم وتمسكهم بقول الحق وعدم تنازلهم على الفتوى التى يعتقدون موافقتها للحق مهما تعرضوا له من محنة .

ولكننا سنكتفى بالحديث عن المحنة الشديدة التى ألمّت بعلماء أهل السنة أيام العباسيين لإكراههم على القول بخلق القرآن ، وقد تعرض لهذه المحنة كثير من العلماء والمحدّثين ، وتنوعت أساليب إكراههم فمنهم من أجاب ومنهم من ثبته الله .

---

(١) هو سعيد بن المسيب المخزومى القرشى ،سيد التابعين ،وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ولد سنة (١٣هـ) وتوفي سنة (٩٤هـ) - الأعلام ١٠٢/٣

(٢) راجع : حلية الاولياء لأبي نعيم الأصفهاني ٢ / ١٧٠ - ١٧١

(٣) هو الامام مالك بن أنس الاصبحى ، امام دار الهجرة وأحد الائمة الاربعة ، ولد بالمدينة سنة ٩٣ هـ وتوفى فيها سنة ١٧٩هـ -الاعلام ٢٥٧/٥ -

(٤) حلية الأولياء ٣١٦/٦ والإكراه فى الشريعة الاسلامية ص/ ٢٠٩

محنة القول بخلق القرآن :

قال الامام ابن الجـــــوزى :

(لم يزل الناس على قانون السلف وقولهم إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، حتى نبغت المعتزله فقالت بخلق القرآن)[(١)]

وقد كان بشر المريسي[(٢)] أول القائلين بهذه البدعة فى أيام هارون الرشيد ، وكان يســتر ذلك فلما سمع به هارون قال : (إن أظفرنى الله به لأقتلنه قتلة ما قتلها أحد قط)[(٣)].

فكان بشر متوارياً أيام هارون نحواً من عشرين سنة ،فلما مات هارون ظهر ودعى الـــى ضلالته ولكنها لم تنتشر زمن الأمين ،فلما تولى المأمون الخلافه خالطه قوم من المعتزله فحسّنوا له هذه البدعه حتى قوى عزمه على حمل الناس على الاعتقاد بها ،فكتب الى صاحب الشرطـــة ببغداد بأن يمتحن الناس فمن أجاب تركوه ومن امتنع حُبس وضرب[(٤)].

وكان المحرض للمأمون على هذا العمل ابن أبي دؤاد[(٥)] الذي كان قاضياً للمأمـــون وكان يناظر العلماء ويحملهم قهراً على القول بمقالته .

وأبرز من اكتوى بنار هذه المحنة إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله ،فلنعـــرض قصته مع هذا الابتلاء بشئ من التفصيل :

محنــه الامـام أحمـــد :

أورد الامام ابن الجوزى فى كتابه (مناقب الامام احمد) روايات كثيره تعرض صوره هذه المحنـــة وما حصل فيها ،نقتطف منها مايتصل بموضوعنا :

---

(١) مناقب الامام أحمد بن حنبل ـ لابن الجوزى ص/ ٣٠٨

(٢) هو بشر بن غياث المريسى فقيه معتزلى يرمى بالزندقة ، وقيل كان أبوه يهوديا ، وهـــو من أهل بغداد ، توفى سنة(٢١٨هـ) . ـ الاعلام ٢ / ٥٥ ـ

(٣) مناقب الامام أحمد ص/ ٣٠٨

(٤) المرجع السابق ص/ ٣٠٩ ـ ٣١٠

(٥) هو أحمد بن أبى دؤاد بن جرير بن مالك الايادى ، أحد قضاة المعتزلة ، ورأس فتنه القول بخلق القرآن ، توفى فى بغداد مفلوجاً سنة ٢٤٠هـ ـ الاعلام ١ / ١٢٤

فقد روى بسنده عن ابي معمر القطيعى أنه قال :

(لما حضرنا فى دار السلطان أيام المحنة ، وكان ابوعبد الله أحمد بن حنبل قد أُحضر وكان رجلاً لينا ، فلما رأى الناس يجيبون انتفخت أوداجه ، واحمرت عيناه وزال ذلك اللين الذى كان فيه ، فقلت إنه قد غضب لله)(١)

وروى أيضا بسنده عن أبي جعفر الأنبارى أنه قال :

(لما حُمل أحمد بن حنبل الى المأمون أُخبرت فعبرت الفرات فاذا هو جالس فى الخان فسلمت عليه ، فقال : ياأبا جعفر تعنَّيت . فقلت : ليس هذا عناء .

وقلت له : ياهذا أنت اليوم رأس، والناس يقتدون بك ، فوالله لئن أجبت الى خلق القرآن ليجيبن بإجابتك خلق من خلق الله ، وإن لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير ، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فانت تموت ، ولابد من الموت ، فاتق الله ولا تجبهم إلى شئ .

فجعل أحمد يبكي ويقول : ماشاء الله ، ماشاء الله . . . أعد عليَّ ماقلت)(٢) .

وتدل هذه الرواية على مكانة الامام احمد رحمه الله ، كما تدل على خطر الاجابة تقية فى الفتوى وخاصة ممن يُقتدى به .

ومما يؤكد ذلك ماقاله للامام أحمد أحد الذين ثبتوا معه فى هذه المحنة وهو محمد بن نوح فقد قال له : (ياأبا عبد الله ، الله الله ، إنك لست مثلي ، أنت رجل يُقتدى بك ، وقد مدَّ الخلق أعناقهم اليك لما يكون منك ، فاتق الله واثبت لأمر الله)(٣)

وقد قال المروزى للامام أحمد وهو فى محنته : (يااستاذ ، قال الله تعالى " ولا تقتلوا أنفسكم" فقال أحمد : يامروزي اخرج انظر أي شئ ترى .

قال المروزى : فخرجت إلى رحبة دار الخليفة فرأيت خلقاً من الناس لا يحصي عددهم الا الله والصحف فى أيديهم ، والأقلام والمحابر فى أذرعتهم .

---

(١) مناقب الامام أحمد ص/ ٣١١

(٢) المرجع السابق ص/ ٣١٤

(٣) المرجع السابق ص/ ٣١٥

فقال لهم المروزى : أي شئ تعملــون ؟ فقالوا : ننظر مايقول أحمد فنكتبـــه .

فدخل الى الامام فأخبره بما رأى . فقال : يامروزي أضل هؤلاء كلهم ؟ اقتل نفسي ولا أضل هؤلاء كلهم) (١) .

وهكذا صبر الامام احمد رحمه الله وتحمل أشد انواع العذاب والايذاء ولم ينطق بهـذه الفتوى كما يريد المعتزلة لاعتقاده أن التقية فى هذا المجال لاتجوز أبداً لانها تـــؤدي الى إضلال الخلق وافساد الدين .

ولقد كانوا كلما ذكروه بالتقية ليأخذ بها يتذكر أحاديث الأمر بالصبر فيزداد ثباته .

روى الامام ابن الجوزى أنهم دخلوا على الامام وهو محبوس ،فجعلوا يذاكرونه مايروى فــى التقيه من الأحاديث ،فقال أحمد : وكيف تصنعون بحديث خباب : "إنَّ من كان قبلكـــم كان ينشر بالمنشار ثم لايصده ذلك عن دينه" (٢) فيئسوا منه .

ثم قال : لست أبالي بالحبس،ماهو ومنزلى الا واحد ، ولا قتلاً بالسيف،إنما أخاف فتنـــة بالسوط ، وأخاف أن لاأصبر .

فسمعه بعض أهل الحبس وهو يقول ذلك فقال : لاعليك ياأبا عبد الله ،فما هو إلا سوطان ثم لاتدرى أين يقع الباقى . فكأنه سُرِيَ عنه) (٣)

وهكـــذا ضرب رحمه الله أروع الامثلة فى الصبر، ولم يكن يخاف من القتل ، وانما كان خوفـــه من عدم الصبر إذا تعرض للعذاب، ولكن الله كان يقيِّض له من كان يقوى صبره ويشد من عزيمته .

وقد أورد الامام ابن الجوزى رويات كثيرة فى هذا المجال ،أبرزها :

---

١ - قال أحمد بن حنبل : (ماسمعت كلمه كانت أوقع فى قلبى من كلمة سمعتها من أعرابي فى رحبة طوق ،قال لى : ياأحمد إنْ قتلكَ الحق متَّ شهيداً ، وان عشت عشت حميداً) (٤)

---

(١) المرجع السابق ص/ ٣٢٩ - ٣٣٠

(٢) سبق تخريج هذا الحديث . انظر ص/ ٣٦

(٣) المرجع السابق ص/ ٣١٦ - ٣١٧

(٤) المرجع السابق ص/ ٣١٣

٢ - وأرسل اليه آدم العسقلاني يقول له : (ياهذا اتق الله وتقرب اليه بما أنت فيه ، ولا يستفزنك أحد ، فإنك ان شاء الله مشرف على الجنه)(١)

٣ - وقال الامام أحمد : (لما كان الليل نام من كان معي من أصحابي - في الحبس - وأنا متفكر في أمري ، فاذا أنا برجل طويل يتخطى الناس حتى دنا مني ، فقال : أنت ابو عبد الله . . قلت : نعم قال : اصبر ولك الجنة . قال أحمد : فلما مسني حرُّ السوط ذكرت قول الرجل)(٢)

٤ - وكان الامام احمد يقول كثيراً : (غفر الله لابي الهيثم ، فقال له ولده : ياأبهْ مَن أبو الهيثم ؟

قال : اليوم الذي أُخرجت فيه للسياط . . اذا انا بإنسان يجذب ثوبي من ورائي ويقول لي : تعرفني ؟ قلت : لا . قال : أنا ابو الهيثم العيار ، اللص الطرار ، مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أني ضُربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق ، وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا ، فاصبر أنت في طاعة الرحمن لأجل الدين)(٣)

وتمسك الامام أحمد بالصبر ، ووقف كالطود الشامخ لا يأبه بما يناله من عذاب ، وكان يوجَّه اليه من يناظره في سجنه وكلما رأوا منه إصراراً زادوا في تعذيبه وقيوده ، واستمر الحال به على ذلك حتى توفي المامون سنة (٢١٨) وخَلَفه المعتصم الذي استمر على تلك السيرة .

وكان يهدده اذا لم يستجب بأنه سيقتله بالسيف أو سيضربه ضرباً شديداً ويلقيه في موضع لا يرى فيه الشمس .(٤)

ولنذكر قصة واحدة من بين عشرات القصص التي يظهر منها رباطه جأش الامام أحمد وعدم مبالاته بما يتهدده من الموت .

---

(١) مناقب الامام أحمد ص/ ٣١٨

(٢) نفسه ص/ ٣٢٥

(٣) نفسه ص/ ٣٣٣ - ٣٣٤

(٤) نفسه ص/ ٣٢٠

فقد أُدخل على الخليفه يوماً وعنده ابن ابي دؤاد وأبوعبد الرحمن الشافعى ،فأُجلس بين يدى الخليفه، وكانوا هوّلوا عليه ، وقد كانوا ضربوا عنق رجلين ،فنظر الامام أحمد الى أبى عبد الرحمن الشافعى وقال : أي شيء تحفظ عن الشافعي في المسح ؟

فقال ابن ابى دؤاد : انظروا رجلاً هوذا يُقدم به لضرب العنق يناظر في الفقه ..(١)

وكان كلما اشتد الضرب عليه يقول له المعتصم: يا أحمد علام تقتل نفسك ، ويحك ماتقول ؟ فيقول الامام أحمد : أعطوني شيئاً من كتاب الله عز وجل أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول به .(٢)

ولما اشتد به التعذيب وهو على إصراره قال أحد الحاضرين فى مجلس الخليفه : يا أمير المؤمنين اضرب عنقه ودمه فى رقبتي ،فقال الامام أحمد فى نفسه : جاء الفرج ،تضرب عنقي واستريح . ولكن ابن ابي دؤاد قال : (لا يا أمير المؤمنين لا تفعل ،فإنه ان قتل أو مات فى دارك قال الناس صبر حتى قتل ،فاتخذه الناس إماما ، وثبتوا على ماهم عليه ،لا ولكن أطلقه الساعة ،فإن مات خارجاً من منزلك شكّ الناس فى أمره)(٣)

وهكذا فرّج الله عن الامام أحمد وتلقاه الناس بالفرحة واجتمعوا حوله على الباب وضجّوا حتى خاف الخليفة وخرج من مجلسه (٤) .

موقف الامام أحمد ممن أجاب بالموافقه :

هناك بعض العلماء أجاب فى هذه المحنه لينجو من التعذيب والتهديد ، وبعضهم الاخر لم يجب بصراحة وانما استخدم المعاريض فقال : القرآن والتوراة والأنجيل والزبور - يعددهن بيده - هذه الأربعة مخلوقة ،يقصد هو بقلبه أصابعه التي عدّد بها (٥)

---

(١) المرجع السابق ص/ ٣٢٠

(٢) المرجع السابق ص/ ٣٢٧

(٣) (٤) المرجع السابق ص/ ٣٤٠

(٥) احكام القرآن لابن العربى ٣/ ١١٧٨

كما ان هناك آخرون رفضوا الاستجابة فمنهم من مات وهو صابر على ذلك ومنهم من صبر حتى فرّج الله هذه الكربة عن المسلمين .

ولقد كان موقف الامام أحمد ممن أجاب في هذه المحنة موقفاً صلباً يدل على أن هؤلاء الذين أجابوا ولم يثبتوا قد ارتكبوا خطأً عظيماً وأن هذا الموقف منهم لا يدخل في باب التقية ولا يُعد رخصة بل هو معصية وإثم .

فقد جاء إليه أحد هؤلاء ،فلما خرج اليه الامام احمد ورآه أغلق في وجهه الباب ودخل وكان الامام أحمد قد حلف بالعهد أن لا يُكلم احداً ممن اجاب حتى يلقى الله عز وجل [١]

بل إن بعض الذين أجابوا كان الامام أحمد لا يرى رواية الحديث عنهم ، ولما ماتوا لم يصلِّ عليهم [٢]

ولقد شعر بعض هؤلاء بما وقعوا به من الاثم بعد أن خرجوا من مجلس الخليفه ،فكان أحدهم يقول وهو خارج من دار المعتصم: ياغلام قدِّم الحمار فإن مولاك قد كفر ، ويقول آخر كفرنا وخرجنا [٣] وهذا يدل على عظيم ماأقدموا عليه من هذا القول وما تلفظوا به من هذه الفتوى الباطلة .

ولعلنا بهذا الاستعراض لما حصل في محنة القول بخلق القرآن نكون قد اثبتنا ان التقية في الفتوى لا تجوز أبداً ولو ادى الامتناع الى القتل اذا كانت في امر يتعلق بأصول الدين واركانه ،او يترتب عليها تضليل العباد وانتشار الفساد والظلم بين الناس .

اما اذا كانت في مسألة فرعية جزئية بحيث يكون الضرر فيها محدودا ،فان الضرورة هنا تقدر بقدرها ، ويختلف الأمر فيها بحسب نوع الاكراه ومقدار الضرر الحاصل من هذه الفتوى ومكانة المفتي بين الناس .

ولو تمكن المفتي ان يكتفي بالسكوت ،أو يقول لا أعلم ، ويتقي بذلك شر من أكرهه ،فلا يجوز له أن يفتي بالباطل .

---

(١) مناقب الامام احمد ص/ ٣٨٩

(٢) المرجع السابق ص/ ٣٨٦

(٣) المرجع السابق ص/ ٣٨٧

وفى مثل هذه المسائل الفرعية يجب عليه كذلك عند زوال الاكراه أن يعود لتبيين الحق وتصحيح الفتوى التى صدرت منه ، أو الاعلان عن الحكم الذى اضطر سابقا للسكوت عنه .

وماذاك الا لأن العلماء ورثة الانبياء ، وقد حمَّلهم الله أمانة هذا الدين وتبليغ أحكام الشرع الى الناس بلا خوف ولا وجل .

قال تعالى : (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً الا الله وكفى بالله حسيباً) (١)

---

(١) سورة الاحزاب / آية ٣٩

المبحث الثالث
الكتمان

الكتمان صورة رئيسة من صور التقية، وهو سكوت عن قول يجب إظهاره شرعا ، ولكنه يتعذر بسبب الاكراه والخوف .

ولذلك لابد من التفصيل فى هذا المجال واستعراض أقوال العلماء لمعرفة الحالات التي يجوز فيها هذا السكوت والحالات التى لايجوز فيها .

وهناك صورتان [١] بارزتان للكتمان هما :

١ - كتمان شئ من عقائد الدين وأحكامه وشعائره .

٢ - السكوت عن المنكر فى أمر يجب فيه الانكار شرعا .

واذا كان الشيعة قد جعلوا هذا الكتمان أصلا من أصول الدين عندهم ونسبوا لائمتهم قولهم :

(انكم على دين من كتمه أعزه الله) وقولهم (أبى الله إلا أن يُعبد سرًا) [٢] .. فإن أهل السنه قد وضعوا ضوابط دقيقه للحالات التى يرخص فيها بالكتمان لدرء مفسده أعظم لأن الاصل فى المسلم أنه يعتز بدينه ويضحي من أجله ويبذل فى سبيل نصرته كل مايستطيع ولا يعبأ بكل مايناله من مخاوف وأخطار .

والكتمان لما يجب إظهاره جريمة خطيرة ، اذا لم يكن بسبب عذر شرعى .قال الامام ابن

---

(١) وهناك صوره ثالثة للكتمان لكنها لا تدخل فى التقية لانها ليست كتمانا لأمر يجب إظهاره ، وهذه الصورة هى أن يكتم الانسان نعمه أنعم الله بما عليه خشية الحسد ، وقد ورد فى ذلك حديث ضعّفه المناوى فى فيض القدير (١/ ٤٩٣) وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود) وهذا غالبا مايكون فى أمور الدنيا وأعمالها لا فى أمور الدين وشعائره .

(٢) راجع مبحث : حرص الشيعة على كتمان عقائدهم . ص/ ٣٤٥ من هذا البحث

تيمية : (الله تعالى قد أمر بالصدق والبيان ، ونهى عن الكذب والكتمان فيما يُحتاج الى معرفته وإظهاره) (١)

قال تعالى : (إن الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) (٢)

والله سبحانه أخذ الميثاق على أهل الكتاب أن يبينوا أحكام الله للناس ولا يكتموا شيئا مما أُنزل اليهم من ربهم فلما نقضوا الميثاق استحقوا العقاب .

قال تعالى : (واذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون) (٣)

ولقد تحدثنا فى المبحث الماضى عن واجب العلماء فى حمل أمانة هذا الدين وتبليغ أحكامه للناس وأنه لا يجوز لهم أن يتسببوا فى إضلال الأمة أو إفسادها بفتوى باطلة أو كتمان شئ من أحكام الدين .

والله سبحانه أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بتبليغ هذا الدين وعدم كتمان شئ منه

قال تعالى : (ياأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) (٤)

قال الامام القرطبى فى تفسيره لهذه الاية :

(هذا تأديب للنبى صلى الله عليه وسلم ، وتأديب لحملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئا من أمر شريعته) (٥)

ومما يؤكد أن كتمان العلم وعدم تبليغ أحكام الله الى الناس يعد جريمة فى ميزان الاسلام اذا لم يكن بعذر شرعى، مارواه الامام أحمد والترمذى وغيرهما أن الرسول صلى الله عليه

---

(١) منهاج السنة النبوية ـ تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ـ ١/٩

(٢) سورة البقرة / آية ١٥٩

(٣) سورة آل عمران / آية ١٨٧

(٤) سورة المائدة / آية ٦٧

(٥) تفسير القرطبى ٦/٢٤٢

وسلم قال : (من سُئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار)[١] .

والواقع أن الجانب الرئيسى فى هذا الموضوع هو واجب بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لان الصورتين البارزتين للكتمان وهما : كتمان أحكام الدين ، والسكوت عن المنكر تنضويان تحته .

ولذلك كان لزاما علينا أن نبين أهمية هذا الواجب وخطر التهاون فيه ، والاعذار التى تبيح تركه ، ومتى يجوز استخدام التقية فى ذلك .

أهمية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وخطر التهاون فيه :

وردت آيات كثيرة فى القرآن الكريم تتحدث عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومالهذا الواجب الاسلامى من أهمية ومكانة

منها قوله سبحانه فى وصف النبى صلى الله عليه وسلم :

(يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث)[٢]

وقوله عزوجل وهو يصف هذه الأمة بما وصف به نبيها :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)[٣] .

ولقد حذر الله سبحانه من التهاون فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر، وبين أن بنى اسرائيل لما تركوا هذا الفرض وسكتوا عن المنكرات حلت عليهم اللعنة .

قال تعالى : (لُعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)[٤]

---

(١) أخرجه الامام أحمد فى مسنده ١/ ٤٣١ والترمذى ٥/ ٢٩ وقال : حديث حسن . ورمز السيوطى لصحته فى الجامع الصغير ، ونقل المناوى فى (فيض القدير) تصحيح الحاكم للحديث وموافقة الذهبى عليه فى كتابه (الكبائر) . -انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير ٦/ ١٤٦ -

(٢) سورة الاعراف / آية ١٥٧

(٣) سورة آل عمران / آية ١١٠

(٤) سورة البقرة / آية ٦١

وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن حال هؤلاء وما استحقوا بسببه هذه اللعنة وحذر من خطر السكوت عن انكار المنكر .

فقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبوداود والترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه :

(إن أول مادخل النقص على بني اسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول : ياهـــذا اتق الله ودع ماتصنع فانه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله ، فلا يمنعه ذلـك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض) .

ثم قال صلى الله عليه وسلم : (كلا والله ، لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر، ولتأخُذنَّ على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطراً ، ولتقصرنه على الحق قصرًا ، أو ليضربن اللـــه بقلوب بعضكم على بعض ، ثم ليلعنكم كما لعنهم)[١]

ومن هنا تبرز أهمية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وخطر التساهل فى هـــذا الواجب الاسلامى وخاصة اذا كان هذا التساهل ممن أتاهم الله علما وأوجب عليهم مهمـــة تبليغه الى الناس وأمرِهم بما يصلح دينهم ونهيهم عما فيه فسادهم .

حكم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر :

قال الامام النووى :

(ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفاية اذا قام به بعض الناس سقط الحرج عـــن الباقين واذا تركه الجميع اثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف ، ثم انه قد يتعين ـ أى يصبح فرض عين ـ اذا كان فى موضع لا يعلم به الا هو ، أو لا يتمكن من إزالته إلا هو ، كمن يـــرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر أو تقصير فى المعروف)[٢]

وقال الامام ابن تيمية :

(الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . . فرض على الكفاية ، ويصير فرض عين على القادر الذى لم يقم به غيره . . فان مناط الوجوب هو القدرة ، فيجب على كل انسان بحسب قدرته)[٣]

---

(١) : رواه ابوداود في الملاحم ، باب الأمر والنهي ـ ورواه الترمذي في باب تفســـير سورة المائدة ٤/ ٤٦٨ وقال : حديث حسن .

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ٢ / ٢٣

(٣) الحسبة في الاســلام ص/ ١٢ ـ ١٣ ط١ ١٤٠٣ هـ

وقال أيضا مبينا أن ماينال المرء من مشقه وما يصيبه من ابتلاء فى سبيل تحقيق هذا الواجب لا يعنى أن يتركه ايثارا للسلامه :

(ولما كان فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله من الابتلاء والمحن مايعرض به المرء للفتنه صار فى الناس من يتعلل لترك ما وجب عليه من ذلك بأنه يطلب السلامة من الفتنة)(١)

وبعد هذا البيان لمنزلة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وفرضيته .. نتساءل الان : اذا أكره المسلم على ترك هذا الفرض ومنع من انكار المنكر ، واجبر على السكوت وكتمان الامر بالمعروف ، وهو فى موطن يتعين عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لعلمه ومكانته فهل يجوز له أن يسكت ؟ ومتى يجوز له ذلك ؟

الترخيص فى السكوت عن المنكر :

الأصل فى هذا الباب الحديث النبوى الذى حدد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم مراتب تغيير المنكر :

روى الامام مسلم وغيره عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال :

(سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان)(٢)

وهذا الحديث ينص على وجوب تغيير المنكر باليد أو اللسان لمن قدر على ذلك ، فان غلب على ظنه أن تغييره بيده أو بلسانه يسبب منكراً أشد منه ، من قتله أو ايذائه ، أو يسبب مفسدة أعظم منه ، فهو فى سعة من أمره(٣) ، حيث يكتفى أن يكره ذلك المنكر فى قلبه ، ويسكت عن انكاره

وانكار المنكر بالقلب لا يزيله ولكنه يعنى أن القلب لا يزال مطمئناً بالطاعة كارها لهذه المعصية ،

---

(١) المرجع السابق ص/ ١١٣

(٢) مسلم ١/٥٠ كتاب الإيمان ـ باب كون النهى عن المنكر من الايمان .

(٣) راجع : شرح النووي على صحيح مسلم ٢ / ٢٥

وهذا مايحجزه عن الميل اليها أو التأثر برؤيته لها ، كما أن الانكار بالقلب يؤدي الى عدم الرضا بالمنكر وهذا مايدعو الى انتظار زوال المانع حتى يسارع الى التغيير باللسان أو باليد .

قال الامام السرخى :

(لو أن رجلا وجب عليه أمر بمعروف أو نهى عن منكر فخاف إن فعل أن يقتل وسعه أن لا يفعل ، وإن فعل فقُتل كان مأجوراً ، لأن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض مطلقا ، قال تعالى " وأمر بالمعروف وانهَ عن المنكر واصبر على ماأصابك " (١) ، والترك عند خوف الهلكة رخصة) (٢)

كما بيّن الامام القرطبى أن هذه الايه تقتضي الحض على تغيير المنكر ، وإن نال المغيِّر ضرر، وهذا إشعار بأن المغيِّر قد يؤذى أحيانا ولكن عليه أن يصبر (٣)

وذكر الامام ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى : (يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) (٤) أنه لايردهم عما هم فيه من طاعة الله واقامة الحدود وقتال الأعداء والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لايردهم عن ذلك راد ، ولا يصدهم عنه صاد ، ولا يحيك فيهم لوم لائم ولاعذل عاذل (٥)

وهكذا يتبين أن مجرد اللوم والعتاب لايبيح ترك هذا الواجب ولا السكوت عن قول الحق وانما لابد من أن يلحقه بسبب هذا الانكار أذى شديد/ أو يخاف حصوله فعندئذ يرخص له فى السكوت.

قال الامام القرطبى :

(أجمع المسلمون . . أن المنكر واجبٌ تغييره على كل من قدر عليه ، وأنه اذا لم يلحقه بتغييره الا اللوم الذي لايتعدى الى الاذى ، فان ذلك لاينبغى أن يمنعه من تغييره) (٦)

---

(١) سورة لقمان / آية ١٧

(٢) المبسوط ٢٤ / ١٤٥

(٣) تفسير القرطبى ١٤ / ٦٨

(٤) سورة المائدة / آية ٥٤

(٥) تفسير ابن كثير ٢ / ٧٠

(٦) تفسير القرطبى ٤ / ٤٨

ولمعرفة درجة الاذى الذي يجوز معه الترخص بالسكوت وعدم انكار المنكر ، ننقل قول الامام ابن القيم فى بيان شروط انكار المنكر .

فقد قال : (إن النبى صلى الله عليه وسلم شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف مايحبه الله ورسوله ، فاذا كان إنكار المنكر يستلزم ماهو أنكر منه وأبغض الى الله ورسوله فانه لا يسوغ إنكاره)[١]

وبهذا المقياس يمكن تحديد نوع الأذى والضرر الذى يجوز معه الاكتفاء بالانكار القلبى وذلك بمقارنة هذا الضرر بنوع المنكر الذى يقوم بتغييره

فمثلا إذا كان المنكر كبيرة من الكبائر التى تفسد أخلاق المجتمع وتوهن قواه كشرب الخمر وتعاطى المخدرات فالواجب على كل مسلم قادر أن ينكر بحسب استطاعته ولو أدى ذلك الى سجنه أو ضربه .

أما اذا كان المنكر لا يتعدى ضرره الى الغير ويخشى إذا أنكر على فاعله أن يتمادى فى المعصية ويبطش بمن أنكر عليه فقد يُرخص له فى السكوت .

والواقع أن كل انسان يُعدُّ فقيه نفسه فى هذه المسألة بحيث يوازن بين خطر المنكر وبين ماقد يناله من الأذى عند تغييره ، فيرجح أخف الضررين متخذاً من تقوى الله ومراقبته درعاً يمنعه من التهاون أو تحكيم الهوى ، مع الاحتياط فى استخدام هذه الرخصة ألا وهى السكوت عن المنكر فى حالة عدم الاستطاعة .

قال الامام الشاطبي :

(إن الرخصة اضافية لاأصلية ، بمعنى أن كل أحد فى الأخذ بها فقيه نفسه ، مالم يجد فيها حداً شرعياً فيقف عنده)[٢]

---

(١) اعلام الموقعين ١٥/٣

(٢) الموافقات ٢١٣/١

المبحث الرابع

التقية في الأفعال

ما ذكرناه سابقا من الادلة على جواز التقية فى حالة الاكراه خصصه بعض علماء أهل السنه بالأقوال دون الأفعال ، وذلك لأن الرخصة التى ورد النص بها تتعلق بإظهار كلمة الكفر وهذا خاص فى الاقوال ، ولذلك اختلف علماء أهل السنه فى جواز التقية فى الافعال .

وقد حكى الامام ابن عطية هذا الاختلاف فقال :

(اتفق العلماء على إباحة التقية للاقوال باللسان من الكفر فما دونه . . . واختلف الناس في الافعال ، فقال جماعة من اهل العلم منهم الحسن ومكحول ومسروق : يفعل المكره كل ما حُمل عليه مما حرم الله فعله وينجي نفسه بذلك . . . وقال جمع كثير من العلماء : التقية إنما هو مبيحة للاقوال ، فأما الأفعال فلا ، روى ذلك عن ابن عباس والربيع والضحاك ، وروى ذلك عن سحنون) (١) .

وقال الامام ابن رجب الحنبلى فى حديثه عن إباحة شرب الخمر تقية عند الاكراه :

(ففي إباحته قولان : احدهما يباح له ذلك . . وهو قول الجمهور كالشافعي وابي حنيفة ، وهو المشهور عن أحمد ، وروى نحوه عن الحسن ومكحول ومسروق ، وعن عمر بن الخطاب مايدل عليه .

والقول الثانى : ان التقاة تكون فى الأقوال ، ولا تقاة فى الأفعال ولا إكراه عليها .

روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما وابي العالية وابى الشعثاء ، والربيع والضحاك وهو رواية عن احمد ، وروى عن سحنون - من المالكية - ايضا) (٢) .

وعلى هذا فجمهور العلماء على جواز التقية فى الافعال وانها لا تختلف عن التقية فى الاقوال ، وهذا ماقال به كثير من ائمة التابعين ، وما نص عليه جمهور علماء المذاهب الاربعة .

ولأهمية هذا الموضوع لابد من استعراض أقوال العلماء فيه بشىء من التفصيل وبيان الأدلة التى استدل بها كل من الفريقين :

---

(١) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الاندلسي ٣/ ٧٥ - ٧٦

(٢) جامع العلوم والحكم ص/ ٣٥٥

أدلـــة المانعين :

استدل العلماء الذين منعوا من جواز التقية فى الافعال ببعض النصوص التى وردت عن الصحابة وأئمة التابعين ، أبرزهـــا :

- ماروه ابن أبى شيبة وابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (التقية انمـــا هى باللسان وليست باليد) وفى رواية ابن جرير : (التقية باللسان ، من حمل على أمـــر يتكلم به وهو معصية لله فيتكلم به مخافة الناس، وقلبه مطمئن بالايمان ، فان ذلك لا يضـــره انما التقية باللسان)(١) .

- وروى ابن أبى شيبة وابن جرير أيضا عن الربيع فى قوله تعالى (الا أن تتقوا منهـــم تقاة) قـــال : (قال ابو العالية : التقية باللسان وليس بالعمل)(٢) .

- كما استدلوا بما ورد عن ابن مسعود رضى الله عنه قال (مامن كلام يدرأ عنى سوطين من ذي سلطان الا كنت متكلماً به)(٣) فقصر -أي ابن مسعود- الرخصة على القول دون الفعل(٤) .

قال الامام ابن عطية : (وليس هذا بحجة ، لانه يحتمل ان جعل الكلام مثالاً ، وهـــو يريد أن الفعل فى حكمه)(٥) .

- واستدلوا كذلك بأن الرخصة التى وردت فى قوله تعالى (الا من اكره وقلبه مطمئـــن بالايمان) إنما هى فى الذين أُكرهوا على الكلام ولم يؤثر ذلك فى بدن ولا مال ، بخـــلاف الفعل فانه يؤثر فى البدن والمال(٦) .

وقد رد بعض العلماء هذا الاستدلال فقالوا : (انهم اكرهوا على النطق بالكفر، وعلـــى مخالطة المشركين ومعاونتهم ، وترك مايخالف ذلك ، والتروك أفعال على الصحيح ، ولم يؤاخَـــذوا بشئ من ذلك)(٧) .

---

(١) (٢) مصنف ابن أبى شيبه ١٢/٣٥٩ وجامع البيان لابن جرير الطبرى ٣/٢٢٩

(٣) سبق تخريج هذا الأثر تفصيليا والحديث عن معناه . راجع ص/ ٩٣ من هذا البحث

(٤) (٥) المحرر الوجيز لابن عطية ٨/٥١٧

(٦) (٧) فتح البارى لابن حجـــر ١٢/٣١٥

أدلــة الجمهــور :

استدل جمهور العلماء على جواز التقية فى الافعال وأنها لاتختلف عن التقية فى الاقوال بأدلة عديدة أبرزها :

- مارواه البخاري وغيره عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (إنما الاعمال بالنيات)(١) .

وقد أورد الامام البخارى هذا الحديث فى كتاب الاكراه من صحيحه وذلك للتنبيه علـى أنه لافرق فى الاكراه بين القول والفعل فهما فى الحكم سواء ، مادام القلب فى كلهما مطمئنـا بالايمان .

قال الحافظ ابن حجـر :

(كأن البخاري أشار بإيراده هنا الى الرد على من فرّق فى الاكراه بين القول والفعـل لأن العمل فعل ، واذا كان لايُعتبر الا بالنية كما دل عليه الحديث،فالمكرَه لا نية له ، بـل نيته عدم الفعل الذى أُكره عليه)(٢)

- كما استدلوا بالأدله التى ورد فيها الترخيص بالتقيه من الايات القرآنية والاحاديـث النبوية(٣) .

وقالوا : إن هذا يشمل التقية فى القول والفعل ، والتفريق بينهما غير واضح لان اللـه أناط الرخصة باطمئنان القلب بالايمان وهذا يتحقق فى الاقوال كما يتحقق فى الافعال(٤) .

- واستدلوا كذلك بالآيات التى نصت على اباحة الميتة ولحم الخنزير للمضطر ، ومنها قولـه تعالى : (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وماأُهِلَّ به لغير الله فمن اضطر غير بـاغ ولاعاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم)(٥) والاضطرار كما يكون بسبب الجوع والمخمصة فإنـه يكون بسبب الاكراه .

---

(١) صحيح البخارى ٦/١ كتاب بدء الوحي ، ورواه مسلم في كتاب الإمارة ٤٨/٦

(٢) فتح البارى ٣١٢/١٢

(٣) سبق ذكرها ص/ ٥٥ من هذا البحث

(٤) تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ٢٩٥/١٤

(٥) سورة البقره / آيه ١٧٣

قال الامام القرطبى (الاضطرار لا يخلو ان يكون باكراه من ظالم أو بجوع فى مخمصـــه)[١]

وهكذا نجد أن قول الجمهور هو الراجح فى هذه المسألة ، وانه لا فرق فى جواز التقيـة بين القول والفعل مادام القلب فى كليهما مطمئنا بالايمان .

ولعل الذى يقصده القائلون بعدم جواز التقيه فى الافعال ، ماكان فيه ضرراً متعديـــاً الى الغير ، كالقتل والزنى وغيرهما ، وهذا لا شك فى تحريمه كما سنرى بعد صفحات

ولذلك قسم الامام ابن حزم التقيه فى الافعال الى قسمين فقال :

(الاكراه على الفعل ينقسم الى قسمين :

أحدهما : كل ماتبيحه الضرورة كالاكل والشرب، فهذا يبيحه الاكراه ،لان الاكراه ضـرورة فمن أكره على شىء من هذا فلاشىء عليه لأنه أتى مباحاً له إتيانه .

والثانى : مالا تبيحه الضرورة ، كالقتل والجرح والضرب وافساد المال ، فهذا لا يبيحـــه الاكراه) .[٢]

وهناك تقسيم آخر لحالات الاكراه على الافعال اعتمده كثير من العلماء[٣] ، حيث قسمـــوا الاكراه على الافعال الى ثلاثة أقسام :

١ ـ أفعال تسقط حرمتها بالاكراه : كشرب الخمر وأكل الميته ولحم الخنزير

٢ ـ أفعال لا تسقط حرمتها بالاكراه لكنها تحتمل الرخصة : كالسجود للصنم وترك الفرائض

٣ ـ أفعال لا تسقط حرمتها بالاكراه ولا رخصة فيها : كالقتل والزنى .

ويمكننا أن نستعرض أحكام التقية فى الأفعال وفق هذا التقسيم :

---

(١) تفسير القرطبى ٢ / ٢٢٥

(٢) المحلى ٨ / ١٣٥٠

(٣) راجع مثلا : كشف الاسرار عن أصول البزدوى ٤ / ٣٨٢ بدائع الصنائع ٧ / ١٧٦ ومابعدها حاشية ابن عابدين ٦ / ١٢٨ ومابعدها

أحكام التقية فى الافعـــال :

١ - الافعال التى تسقط حرمتها بالاكــراه :

اختلف العلماء فى هذا النوع من الافعال : هل يجوز الاقدام عليه عند الاكراه والتهديد بالقتل أم يجب ؟

وسبب الاختلاف ان شرب الخمر واكل الميته واكل لحم الخنزير افعال محرمة فى الاصـــل لكنها تنقلب الى الاباحة عند الضرورة ، والاكراه حالة من حالات الضرورة، واذا اصبحـــت مباحة فالواجب عند بعض العلماء - على المكره ان يقدم عليها عند الاكراه الملجئ صيانـــة لنفسه من القتل ، وقال بعضهم لا يجب ذلك .

القائلون بالوجوب: وهم الحنفية وبعض الشافعيـة .

قال الامام عزالدين بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ) :- من الشافعية -

(من أُكره على شرب الخمر . . . يلزمه ذلك ،لأن حفظ الحياة أعظم فى نظر الشرع مـــن رعاية المحرمات المذكورات)[١] وقال أيضاً : (لأن حفظ النفوس والاطراف أولى من حفـــظ العقول فى زمن قليل ، ولأن فوات النفوس والأطراف دائم ، وزوال العقول يرتفع عن قريب بالصحـو)[٢]

- وقال الامام علاء الدين البخاري (ت ٧٣٠ هـ) :- من الحنفية -

(لو أُكره على اكل الميته او شرب الخمر بما يوجب الالجاء ،فانه يفترض عليه الاقدام علـــى ماأُكره عليه ،حتى لو صبر ولم ياكل ولم يشرب حتى قتل يعاقب لثبوت الاباحة فى حقه فى هـــذه الحالة بالاستثناء المذكور فى قوله تعالى " الا ماضطررتم اليه ")[٣]

- وقال ايضـــا :

(اعلم ان العلماء اختلفوا فى حكم الميته والخمر والخنزير ونحوها فى حالة الاضطرار أنها تصيـر مباحة أو تبقى على الحرمة ويرتفع الاثم :

(١) قواعد الاحكام ١/٩٣

(٢) المرجع السابق ١/١٠٣ - ١٠٤

(٣) كشف الاسرار عن أصول البزدوي ٤/٣٨٣

فذهب بعضهم الى انها لا تحل ، ولكن يرخص الفعل فى حالة الاضطرار ابقاء للمهجة كما فى الاكراه على الكفر، واكل مال الغير، وهو رواية عن ابى يوسف وأحد قولى الشافعى

وذهب اكثر أصحابنا - أى الحنفية - الى أن الحرمة ترتفع فى هذه الحالة

وفائدة الاختلاف تظهر فيما إذا صبر حتى مات لا يكون آثما عند الفريق الاول ويكون آثما عندنا)[١].

وقال الامام الجصاص - من الحنفية :-

(من أُكره بالقتل وتلف بعض الاعضاء على شرب الخمر أو اكل الميته لم يسعه أن لا ياكل ولا يشرب، وان لم يفعل حتى قتل كان آثما .... لأن الله تعالى قد أباح ذلك فى حالة الضرورة عند الخوف على النفس)[٢]

والواقع ان هذا الاختلاف فى جواز شرب الخمر أو وجوبها عند التهديد بالقتل قائم منذ عهد التابعين كما صرح بذلك الامام ابن عطية حيث اورد قول مسروق[٣] : (ان لم يفعل حتى مات دخل النار)[٤]

القائلون بالجواز :-

اشتهر هذا القول بجواز شرب المحرم أو اكله عند الاكراه الملجئ وعدم وجوب ذلك ولو أدى إلى القتل عن الامام أحمد وبعض الشافعية والمالكية .

قال الامام ابن الجوزى :-

(واذا ثبت جواز التقية فالافضل ألا يفعل ، نص عليه أحمد فى اسير خُيِّر بين القتل وشرب الخمر فقال : إن صبر على القتل فله الشرف ، وان لم يصبر فله الرخصة)[٥]

وقال الامام السيوطى - من الشافعية -:

(شرب الخمر يباح بالاكراه قطعاً ، استبقاء للمهجة... ولكن لا يجب على الصحيح)[٦]

---

(١) كشف الاسرار ٢ / ٣٢٢

(٢) أحكام القرآن للجصاص ٣ / ١٩٣

(٣) هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمدانى تابعى ثقة من أهل اليمن ، قدم المدينة فى ايام ابى بكر، ثم سكن بالكوفة وتوفى سنة ٦٣ هـ (الاعلام ٧ / ٢١٥)

(٤) المحرر الوجيز ٣ / ٧٥

(٥) زاد المسير فى علم التفسير ٤ / ٤٩٧

(٦) الأشباه والنظائر ص/ ٢٢٧

وقال الامام ابن عطية من المالكيـــة :-

(قال كثير من اهل العلم منهم سحنون [١] إن لم يفعل حتى مات فهو مأجور، وتركه ذلك المباح أفضل من استعماله) [٢]

ومن قال من التابعين بعدم الوجوب الامام عطاء بن أبي رباح [٣]

فقد روى ابن ابي شيبة عن قيس بن سعد (عن عطاء في رجل أخذه العدو فأكرهـو على شرب الخمر وأكل الخنزير ، قال : إن اكل وشرب فرخصة، وان قُتل أصاب خيراً) [٤] .

ولا نريد أن نفصل الحديث في أدلة كل من الطرفين وما استندوا اليه لأن هـــذا محله كتب الفقه المقارن ولكننا نلاحظ أن كثيراً من الفقهاء لم يفرّقوا بين حالة الضـــرورة في أكل المحرم أو شربه ، وبين حالة الاكراه على ذلك المحرم .

والواقع ان الفرق بينهما واضح في هذه الحالة ،فالمضطر الى اكل لحم الخنزيـــر او شرب الخمر في الجوع او العطش المؤدي الى الهلاك يختلف حكمه هنا عن المكره .

لان الاكراه على شيء من هذه المحرمات غالباً مايكون بهدف إذلال المسلم وقســرة على فعل المحرم ليعتاد عليه ،أو لكي يطفيء المكرِه غيظه من ذلك المسلم ويظهر الشماتـه بـــه .

بل إن الاكراه على شرب الخمر او شيء من المسكرات والمخدرات قد يدوم طويـــلا فيؤدي الى الادمان والأمراض الشديدة وقد يصل به الأمر الى الموت .

---

(١) هو الامام عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي ،الملقب بسحنون ، قاض وفقيه من فقهاء المالكية في المغرب ،اصله شامي من حمص، ولد في القيروان وتوفي فيها سنة ٢٤٠ هـ . (الاعلام ٤/٥)

(٢) المحرر الوجيـــز ٣/٧٦

(٣) هو الامام عطاء بن أسلم بن صفوان ،ابن ابي رباح ،تابعي من اجلاء الفقهاء ، ولد باليمن سنة ٢٧ هـ ونشأ بمكة فكان مفتي اهلها ومحدثهم ، وتوفي فيها سنة ١١٤ هـ

(٤) مصنف ابن ابي شيبة ١٢/٣٥٨ (الاعلام ٤/٢٣٥)

وقد يؤدى الى ارتكاب الجرائم (١) بسبب السكر وفقدان الوعى فكيف نوجب على المكره الاقدام على شئ من ذلك لينجو من الموت ؟

ثم إن الامتناع عن هذه المحرمات ولو كان سيؤدى الى القتل إلا أن فيه إغاظة للكفار وتفويت مايهدفون اليه من هذا الاكراه، وفيه إظهار عزة المسلم وقوة ايمانه وهو مما يندب به الشرع.

ومن امتنع عن هذا المحرم ليُظهر اعتزازه بدينه وليغيظ الكفار بامتناعه فهو ممن قال الله تعالى فيهم :

(ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولاينالون من عدو نيلا الاكتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين) (٢)

وقد سبق ذكر قصة عبد الله بن حذافة السهمى حيث سجنه ملك الروم ومنع عنه الطعام والشراب أياما ثم أرسل اليه بخمر ولحم خنزير فلم يقربه، ثم استدعاه وقال له : مامنعك أن تأكل فقال : أما إنه قد حلّ لي، ولكن لم اكن لاشمتك فيّ . (٣)

وقد لاحظ الامام ابن عابدين هذا المعنى فقال :

(ولو أُكره بملجئ - أي : على شرب الخمر أو أكل لحم الخنزير- حلّ الفعل بل فُرض، فإن صبر فقُتل أَثم، الا اذا أراد مغايظة الكفار فلا بأس به)

وهكذا يترجح أن حالة الاكراه الملجئ على شرب الخمر أو أكل الخنزير تختلف عن حالة الضرورة التى سببها المخمصة، وأن القول بوجوب الاكل فى حالة الضرورة لينجو الانسان من الموت قد يكون له وجه يرجحه، ولكنه لا يترجح فى حالة الاكراه بل الافضل الامتناع ولو أدى الى القتل .

---

(١) ومما يؤكد ذلك مارواه ابن حبان فى صحيحه عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (اجتنبوا أم الخبائث) ثم ذكر قصة رجل ممن كان قبلنا اكرهته امرأة على ان يقتل غلاما أو يزني بها أو يشرب كاساً من الخمر، فإن ابى فضحته، فاختار شرب الخمر فلما شربها زنى بالمراة وقتل الغلام : (راجع موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان للحافظ الهيثمى -ص / ٣٣٤).

(٢) سورة التوبة / آية ١٢٠

(٣) راجع تفصيل القصة ص/ ٣٩ من هذا البحث

وكل ماسبق تفصيله فى هذا الموضوع خاص بما اذا كان الاكراه ملجئا ، اما اذا كان الاكراه ناقصا غير ملجئ فلا يجوز الاقدام على شئ من هذه المحرمات ابدا ، وهذا ما اتفق عليه العلماء لان الخمر أم الخبائث وشربها من الكبائر وكذلك أكل لحم الخنزير والميته ، فلا يستباح شئ من ذلك الا فى الاكراه الملجئ ، ولان الاكراه الناقص لا يُعد حالة من حالات الضرورة التى تبيح الوقوع فى المحرم .

قال الامام المرغينانى :

(إن أُكره على أن يأكل الميته ويشرب الخمر ، إن كان ذلك بحبس أو ضرب أو قيد لم يحلّ له)[1]

وقال الامام ابن عابدين :

(وإن أُكره على أكل ميته أو دم أو لحم خنزير أو شرب خمر بإكراه غير ملجئ ، بحبس أو ضرب أو قيد لم يحل إذ لا ضرورة فى إكراهٍ غير ملجئ)[2]

ثانيا : أفعال لا تسقط حرمتها ولكنها تحتمل الرخصة :-

سبق ان ذكرنا فى مبحث (التقية فى الأقوال) أن الاكراه على التلفظ بكلمة الكفر لا يرفع الحرمة بل يبقى هذا التلفظ محرماً ، ولكنه يستباح رخصة بسبب الاكراه الملجئ دون ان يسقط حرمته .

وهذا ماينطبق أيضا فى الاكراه على أفعال الكفر ، أو على ترك شئ من الفرائض أو إفساد ها[3] فان هذا كله لا يجوز ولا تسقط حرمته الا ان الرخصة ودت فيه عند الاكراه الملجئ ، ولو صبر المكرَه ولم يفعل فإنه مأجور عند الله .

وسنتناول هذا الموضوع من خلال هذين الجانبين :-

---

(١) شرح فتح القدير للكمال بن الهمام ١٧٢/٨ وهو شرح على الهداية للمرغينانى .

(٢) حاشية ابن عابدين ١٣٣/٦

(٣) وقد ألحق العلماء بهذا النوع الاكراه على إتلاف مال الغير فإنه لا يجوز الا فى حالة الاكراه الملجئ حيث يترخص بفعله مع بقاء الحرمة لكن السيوطى رجح جوازه ولو بسبب الاكراه الناقص . راجع : بدائع الصنائع للكاسانى ١٧٧/٧ ، القواعد لابن رجب ص/٣٠٩ ، الاشباه والنظائر للسيوطى ص/٢٢٩

١ ـ الاكـراه علـى أفعـال الكفـــر :

وذلك كالاكراه على السجود لغير الله سبحانه أو إلقاء المصحف في النجاسات أو القيام بشيء من شعائر أهل الملل الاخرى وغير ذلك .

وقد حرم كثير من العلماء هذا النوع من التقية ولو كان بسبب الاكراه الملجيء بناء علـى قولهم بتحريم التقية في الافعال وهذا ماسبق بيانه في بداية هذا البحث .

كما أن بعضهم حدَّد شروطاً لهذا النوع من التقية، وهذا ماذكره الامام ابن عطية بقوله :

(قال الحسن ـ أي البصري ـ في الرجل يُقال له : اسجد لصنم والا قتلناك، قـال : إن كان الصنم مقابل القبلة فليسجد ويجعل نيته لله ،فان كان لغير القبلة فلا وان قتلو)

وقد رد الامـام ابن عطيـة على ذلك بقولـــه :

(ومايمنعه أن يجعل نيته لله تعالى ، وان كان لغير القبلة، وفي كتاب الله " فأينمـــا تولوا فثَمَّ وجه الله " (١) ، وفي الشرع اباحه التنفل للمسافر الى غير القبلة) (٢)

وهـذا مانص عليـه الامـام ابـن حـزم بقولـــه :

(ومن اكره على سجود لصنم ،أو لصليب فليسجد لله تعالى مبادراً الى ذلك ولا يبالـــي في أي جهة كان ذلك الصنم والصليب ،قال تعالى "فأينما تولوا فثم وجه الله ") (٣)

فالاكراه على شيء من أفعال الكفر لا يختلف في الحكم عن الاكراه على التلفظ بالكفـــر عند من أجاز التقية في الافعال ، ولذلك ينبغي التذكير بالشروط التي قيَّد العلماء بها هـــذا الجواز وهي (٤) :

١ ـ أن يكون القلب مطمئناً بالايمان

٢ ـ أن يستخدم المعاريض والتورية إذا أمكن له ذلك .

٣ ـ الا يكون ممن يُقتدى به في هذا الفعل .

---

(١) سورة البقرة / آية ١١٥

(٢) المحرر الوجيز ٧٦/٣

(٣) المحلـــى ٣٣٥/٨

(٤) راجع ص/ ١٠٠ من هذا البحث

٢ ـ الاكراه على ترك شيء من الفرائض أو إفسادها :

يتضمن هذا الموضوع جانبين هما :

١ ـ الاكراه على ترك شيء من الفرائض كالصلاة والصوم والزكاة والحج .

٢ ـ الاكراه على إفسادها بعد البدء بها وذلك بتركها أو القيام بفعل يفسدها .

وقد ألحق العلماء هذا النوع بالاكراه على الكفر، لأن الاكراه هنا لا يرفع الحرمه وانما يبيح الترخص، ولو صبر المكره ولم يفعل شيئا مما أُكره عليه فهو مثاب عند الله لتعظيمه حق الشرع .

قال الامام العز بن عبد السلام :

(ترك الصلاة وصوم رمضان وتأخير الزكاة وحقوق الناس الواجبات من غير عذر شرعي مفسده محرمة ، لكنه جائز بالاكراه ، فإن حفظ النفوس أولى مما يُترك بالاكراه ، مع أن تداركه ممكن فيكون جمعاً بين هذه الحقوق وبين حفظ الارواح)[١]

وقال الامام علاء الدين البخارى :

(لو أُكره بما فيه إلجاء على إفساد الصلاة أو تركها ، أو على إفساد الصوم وهو مقيم ، كان له أن يترخص بما أُكره عليه ، لأن حقه فى نفسه ـ أي : لو قُتل ـ يفوت أصلا ، وحق صاحب الشرع يفوت الى خَلَف ، فان صبر ولم يفعل ماأُمر به حتى قُتل كان مأجورا لأنه تمسك بالعزيمة لأن حق الله تعالى وهو الصوم والصلاة لم يسقط عنه الاكراه ، وفيما فعله إظهار الصلابة فى الدين)[٢]

ويلاحظ فى هذا النص تحديد حالة الاكراه على إفساد الصوم بما اذا كان المكره مقيماً ولم يكن مسافرا، وقد فصل الامام علاء الدين البخارى فى موضع آخر من كتابه ماأجمله هنا ، فقال :

(إكراه الصائم على الفطر إن كان مسافراً من قبيل الاكراه على أكل الميته وشرب الخمر حتى لو لم يفطر حتى قُتل كان آثما ، وإن كان مقيماً فهو من قبيل الاكراه على الكفر حتى لو صبر عليه وقتل كان مأجوراً)[٣]

(١) قواعد الاحكام ١/١٠٣

(٢) كشف الاسرار ٤/٣٩٩

(٣) المرجع السابق ٤/٣٨٣ - ٣٨٤

وهذا التفريق سببه مانص عليه الحنفية من أن ما أبيح للضرورة أو الرخصة يجب الاقدام عليه فى حالة الاكراه الملجىء ومن امتنع فهو آثم لانه امتنع عن فعل المباح ، ومن ذلك الافطار للمسافر فانه مباح له ، وشرب الخمر للمضطر كما سبق بيانه .

اما المقيم فالصيام بالنسبة له فرض لا يجوز تركه مادام صحيح الجسم ، ولكنه رخص له فى تركه عند الاكراه الملجىء ، وأثر الرخصة هنا فى تغيير حكم الفعل وهو المؤاخذه لا فى تغيير وصفه وهو الحرمة [(١)] .

أحكام الاكراه على ترك شىء من العبادات أو افسادها .

نذكر موجزا لابرز الاحكام التى تتعلق بالاكراه على ترك شىء من العبادات او إفسادها والذى يهمنا فى هذا المجال هو معرفة أشهر الأقوال دون التعرض للتفصيلات الفقهية .

١ - الصلاة :

نص العلماء على أن الاسير اذا مُنع من الصلاة عليه أن يصلى إيماء ثم يعيد ، فان مُنع من الايماء يمكنه تأخيرها عن وقتها حتى يزول عذره [(٢)]

أما اذا أُكره على الاتيان بأحد مبطلات الصلاة كالكلام والاكل والشرب أو الحدث أو التحول عن القبله فقد ذهب العلماء الى أن الصلاة تفسد بذلك وعليه إعادتها عند زوال الاكراه [(٣)] .

٢ - الصوم :

الصائم الصحيح المقيم إذا أُكره على إفساد صومه له حالتان [(٤)]

١ - ان يُوجر الطعام فى فمه قهراً أو تُربط المرأة الصائمة ليجامعها الرجل ، فلا يفسد الصوم هنا لأن ذلك حصل بغير اختيار أصلا كما لو أطارت الريح ذبابة إلى حلقه .

---

(١) بدائع الصنائع للكاسانى ١٧٦/٧

(٢) المجموع للنووى ٣/ ٦٤ حاشية ابن عابدين ٢٧٥/١

(٣) الاشباه والنظائر للسيوطى ص/٢٢٣ ، وراجع : الاكراه واثره فى الاحكام الشرعية للدكتور عبد الفتاح شيخ ص/ ٨١ - ٩٣

(٤) الاكراه واثره فى التصرفات للدكتور عيسى شقره ص/١٣٤ - ١٣٥

وهذا هو الراجح لان الناسي لا يفسد صومه إذا اكل أو شرب فالمكره من باب أولى .

٢ - ان يُكره على أن ينتهك حرمة الصوم تحت التهديد ، فيقال له إما ان تأكل او نقتلك او نقطع عضوا من أعضائك .

فهذه الحالة محل خلاف بين الفقهاء ، هل يفسد الصوم وعليه الإعادة أولا .

والراجح أيضاً أن الصوم لا يفسد (١) وذلك لما اعتمد عليه القائلون بهذا القول من قياس المُكره على الناسي الذي ورد النص بعدم فطره .

٣ - الزكــــاة :

الاكراه على دفع الزكاة لا يدخل فى التقيه لأنه إكراه بحق ، اما الاكراه على عدم دفعها فانه لا يتصور لأن فرض الزكاة يمكن تأخيره ويمكن التوكيل فيه .

ولو أُكره بسلب جميع ماله فان الزكاة تسقط عنه لأنه لم يعد مالكا للنصاب .

٤ - الحــــج :

وكذلك بالنسبة للحج فإن المكره على تركه يمكنه تأخيره حتى يزول الاكراه ، ولو استمر الاكراه الى آخر عمره كما لو كان أسيرًا ، فانه لا يعد مستطيعا ويسقط عنه فرض الحج .

ولو اكره على جناية من جنايات الاحرام فإن هذا لا يبطل الحج ، أما وجوب الفدية فهذا محله فى كتب الفقه (٢)

ثالثا : أفعال لا تسقط حرمتها بالاكراه ولا رخصة فيها :

أبرز ما يذكره العلماء من المحرمات فى هذا المجال جريمتان من أكبر الكبائر هما القتل والزنى ، وهما فعلان لا يجوز الاقدام على شئ منهما

---

(١) المرجع السابق ص/ ١٣٧ وراجع : المبسوط للسرخسى ٢٤/ ١٥٢

(٢) راجع تفصيل هذه الاحكام فى كتاب : الإكراه وأثره فى الاحكام الشرعية للدكتور عبد الفتاح شيخ ص/ ١٠٩ - ١١٩ ، والذي يفسد الحج من جنايات الاحرام - ولو كان بسبب الاكراه - الجماع قبل الوقوف بمزدلفة .

ولو كان بسبب الاكراه الملجىء[1]، ومن أُكره على القتل أو الزنى ففعل فهو آثم عند الله، وهو شريك فى الجريمة .

ولنتحدث عن كل واحده من هاتين الجريمتين بشىء من التفصيل :

١ - القتل أو قطع العضو أو اتلافه :

حرمةُ دم المسلم ثابته لا تقبل ترخيصاً ولا تحتمل السقوط بضرورة أو اكراه، وقد حذر الله سبحانه من الاقدام على قتل المسلم بغير حق .

قال تعالى : (ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله الا بالحق)[2]

وقال سبحانه : (ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذابا عظيما)[3]

ولذلك أجمع العلماء على أن من أُكره على قتل مسلم معصوم الدم أو قطع عضو منه أو ضربه ضرباً يؤدى الى تلف أحد أعضائه ،فلا يجوز له ذلك أبداً ،بل يجب عليه أن يصبر ويمتنع ولو أدى به ذلك إلى الموت .

قال الامام ابن تيمية :

(أما قتل المعصوم فلا يباح بالاكراه بلا نزاع ،لانه ليس له أن يُحيي نفسه بموت ذلك المعصوم . .بل طلبُه إحياء نفسه بالاعتداء على غيره ظلم محض . . . وهو موجب للقَوَد على المكرَه والمكرِه فى مذهب أحمد ، والمشهور من مذهب الشافعى لاشتراكهما فى الفعل : هذا بالمباشرة المحرمة ، وهذا بالتسبب المفضي الى الفعل غالباً ، وقيل إنما يجب على المكرِه الظالم لأن المكرَه قد صار كالآلة)[4]

فالتقية فى القتل لا تجوز ابداً ، ولا يجوز للمكرَه ان يحيي نفسه بقتل غيره وانتهاك حرمته بل يلزمه ان يدرأ مفسده القتل بالصبر على القتل ، لان صبره على القتل أقل مفسدة من

---

(١) وقد ألحق بعض العلماء بهذا النوع الاكراه على ضرب الوالدين ، لأن النهى عن إيذائهما أبدي خالد لا ترخيص فيه . (راجع : بدائع الصنائع للكاساني ١٧٧/٧)

(٢) سورة الانعام / آية ١٥١

(٣) سورة النساء / آية ٩٣

(٤) الاستقامة لشيخ الاسلام ابن تيمية - ٣٢٣/٢ - ٣٢٤

إقدامه عليه [(١)] .

وقد سبق أن أوردنا [(٢)] قول ابن عباس رضى الله عنه : (التقاة التكلم باللسان والقلب مطمئن بالايمان ، ولا يبسط يده فيقتل) .

وقول الحسن البصرى : (التقية جائزة الى يوم القيامة،الا انه لا يُجعل فى القتل تقية) .

وهذا الحكم أجمع عليه علماء أهل السنة [(٣)] ، وقال به الشيعة أيضا [(٤)]

وكما لا تجوز التقية فى القتل فانها لا تجوز فى قطع طرف إنسان معصوم الدم لو أُكره على ذلك،قال الامام الزيلعى [(٥)] :

(وحرمة طرف الانسان كحرمة نفسه ، حتى لو أُكره على قطع يد غيره لا يُرخص له قطعها كما لم يُرخص له قتل نفسه [(٦)]) .

٢ ـ الزنى :

الزنى من أكبر الكبائر وأبشع الجرائم ، وقد حرمه الاسلام حفظا للأعراض والانساب قال تعالى : (ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا [(٧)])

لذلك عدَّهُ الامام أحمد بعد قتل النفس فى الإثم،فقال : (لا أعلم بعد قتل النفس شيء أعظم من الزنى [(٨)])

---

(١) قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام ١/٩٣

(٢) راجع : ص/ ٧٠ من هذا البحث

(٣) راجع مثلا : أحكام القرآن للجصاص ٣/١٩٤ ،أحكام القرآن لابن العربى ٣/١١٨١ ، المغنى لابن قدامه ٩/٣٢١ ،القواعد لابن رجب ص/٢٨٧ ،حاشية ابن عابدين ٦/١٣٥

(٤) راجع: ص/ ٣١٦ من هذا البحث

(٥) هو عثمان بن على بن محجن ،فخر الدين الزيلعى ، فقيه حنفى ،توفى فى القاهرة سنة (٧٤٣ هـ) ـ الاعلام ٤/٢١٠ ـ

(٦) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق ٥/١٩٠

(٧) سورة الاسراء / آيه ٣٢

(٨) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافى لابن قيم الجوزية ص/ ١٦٢

وكثيرا مايتعرض المسلم أو المسلمة للاكراه على فعل هذه الجريمة، وخاصة فى حالة الاسر عند الاعداء ،فهل يباح فعل هذه الجريمة تحت تأثير الاكراه أوْلا ؟

الواقع أن الاكراه هنا له صورتان :

- الصورة الاولى : أن تُربط المرأه حتى يُزنى بها ،أو يُمسك الرجل ويُجبر على الزنى فالمكرَه فى هذه الصورة لا يوصف حكمه بجواز أو حرمة لأنه صار كالالة فى يد المكرِه .

لا قدرة له عن الامتناع أصلا[١] .

قال الامام ابن حزم :

(لو أمسكت امراة حتى زُنى بها ،أو أُمسك رجل فأُدخل إحليله فى فرج امرأة ،فلا شىء عليه ولا عليها ،سواء انتشر أو لم ينتشر ،أمنى أو لم يُمن ،أنزلت هى أو لم تُنزل ،لأنهما لم يفعلا شيئا أصلا ، والانتشار والامناء فعل الطبيعة الذى خلقه الله تعالى فى المرء)[٢]

الصوره الثانية : أن يُقال للرجل (أو امراة) إما أن تزنى أو نقتلك أو نضربك أو نحبسك إلى غير ذلك من وسائل الاكراه .

فاذا كان الاكراه غير ملجىء : فلا يجوز للمرأه ولا للرجل الوقوع فى هذا المحرم، وهذا ماأجمع عليه العلماء :

قال الامام ابن العربى :

(ولو أُكره رجل بالسجن على الزنى ماجاز له ذلك إجماعاً)[٣]

أما لو كان الاكراه ملجئاً : بحيث كان التهديد بالقتل أو القطع أو الضرب المتلف فهل يباح الزنى فى هذه الحاله ؟ اختلف فى ذلك العلماء .

فقال الشافعيه :

لا يباح الزنى ولو كان بالتهديد بالقتل لان مفسدته أفحش من الصبر على القتل ،سواء كان المكرَه رجلاً أو امرأة .[٤]

---

(١) راجع فقرة : المكرَه اذا صار كالآله فى يد المكرِه . ص/ ٨٢ من هذا البحث

(٢) المحلى ٨ / ٣٣١

(٣) أحكام القرآن ٣ /١٠٧٤

(٤) الأشباه والنظائر للسيوطى ص/٢٢٧

وقال الحنفيـــــة :

لو أُكره رجل بالقتل على أن يزنى لم يسعه أن يفعل ،أما المرأة فانه يُرخص لها الزنى بالاكراه الملجىء ، وسبب هذا التفريق ان الرجل مباشر لفعل الزنى مستعمل للآله فى ذلك ، وحرمـــــة الزنى حرمة تامة فلا تنكشف عند الضرورة كحرمة القتل ، ولكنه لا يحدُّا استحسانا لوجود الشبهة .

أما المرأة فهى مفعول بها ، وليست مباشرة للفعل ،انما الذى يتصور منها التمكين وذلك بترك الامتناع، ولو صبرت كانت مأجورة(١)

وقد أورد الامام الكاساني هذا التفريق ثم قـــال :

(وهذا عندى فيه نظر لان فعل الزنى كما يتصور من الرجل يتصور من المرأة، الاترى أن الله سبحانه وتعالى سماها زانية،إلا ان زنى الرجل بالايلاج وزناها بالتمكين ، والتمكين فعل منها ...... فينبغي أن لا يختلف فيه حكم الرجل والمرأة فلا يُرخص للمرأة كما لا يُرخص للرجل(٢))

وقـــال الحنبليـــــة :

إن الزنى لا يكون من الرجل إلا مع انتشار ، والاكراه ينافيه ،فاذا وُجد الانتشار انتفى الاكـــراه(٣) ولذلك قالوا : إذا أُكره الرجل فزنى فعليه الحد ، ولكن الامام ابن قدامه رجَّح سقوطه لان الحد يُدرأ بالشبهات،أما المرأة فلاحدَّ عليها(٤)

أما المالكيـــــة:

فقد اختلفوا فى ذلك فقال بعضهم إن الاكراه لا يُسقط الحد ولا الاثم ، وقال بعضهم بـــــل يسقطه(٥) وهذا مارجحه الامام ابن العربى إذا كان الاكراه ملجئا(٦)

---

(١) المبسوط للسرخس ١٣٨/٢٤

(٢) بدائع الصنائع ١٧٧/٧ - ١٧٨

(٣) شرح منتهى الارادات ٣٤٧/٣

(٤) المغنى ١٥٩/١٠ ، ١٦٠

(٥) مواهب الجليل من أدلة خليل للشيخ احمد الشنقيطى ٣٣٩/٤

(٦) أحكام القرآن ١٠٨٦/٣

- وبعد هذا الاستعراض المجمل لاراء الفقهاء فى هذا الموضوع نرى أن الراجح فى الاكراه على الزنى أن حرمته ثابته لاتقبل السقوط ، وان الاثم لايرتفع عن الفاعل سواء كان رجلاً او امرأة بل عليه أن يصبر ويمتنع قدر المستطاع ولو أدى ذلك الى قتله (١) وهذا مايوافق قول جمهور العلماء .

---

(١) وهذا مارجحه الدكتور حسين الجبورى فى كتابه (عوارض الاهلية عند الاصوليين) ص/ ٤٩٩

الفصل الخامس

التفريق بين التقية وغيرها

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : الغرق بين المداراة والمداهنة وصلتهما بالتقية

- تعريف المداراة والمداهنة
- المداراة خلق نبوى
- أحاديث ضعيفة وردت فى المداراة

المبحث الثانى : المعاريض وصلتها بالتقية

- تعريف المعاريض
- حكم المعاريض شرعاً
- صلة المعاريض بالتقية
- أمثلة للمعاريض المباحة

المبحث الثالث : الخدعة في الحرب وصلتها بالتقية

المبحث الأول

الفرق بين المداراة والمداهنة وصلتهما بالتقية

المدارة لغة: المُلاينة[(١)] ، يقال دارأته مداراةً وداريته إذا اتقيته ولاينته[(٢)]

قال ابن الاثير : (المدارة في حسن الخُلق والصحبة غير مهموز وقد يهمز)[(٣)]

والمداهنة لغة : المصانعة[(٤)] واظهار خلاف ما يضمر[(٥)]

وقد عرف الامام ابن حجر المدارة شرعا بقوله :

(هي الرفق بالجاهل في التعليم ، وبالفاسق في النهي عن فعله ، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه ، والانكار عليه بلطفِ القول والفعل ، لاسيما اذا احتيج الى تألفه ونحو ذلك)[(٦)]

أما المداهنة فقد عرفها بقوله :

(المداهنة من الدهان وهو الذى يظهر على الشيء ويستر باطنه ، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق واظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه)[(٧)]

وهكذا يتبين الفرق بين المداراة والمداهنة ، فالمداراة خلق حسن مندوب إليه أما المداهنة فهي محرمة .

وقد نقل ابن حجر عن ابن بطال قوله : (المداراة من أخلاق المؤمنين ، وهي خفض الجناح للناس ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول ، وذلك من أقوى أسباب الألفة)

ثم قال : (وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة فغلط ، لأن المداراة مندوب إليها ، والمداهنة محرمة)[(٨)]

---

(١) الصحاح للجوهري ٢٣٣٥/٦

(٢) لسان العرب ٧١/١

(٣) النهاية في غريب الحديث ١١٠/٢

(٤) الصحاح ٢١١٦/٥

(٥) لسان العرب ١٦٢/١٣

(٦ - ٨) فتح الباري ٥٢٨/١٠

فالفرق بينهما أن المداري يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق أو يرده اليه أو يحجزه عن الباطل .

والمداهن يتلطف به ليقره على الباطل ويتركه على هواه . فالمداراة لأهل الايمان ، والمداهنة لأهل النفاق

قال الامام العيني فى شرحه على البخاري :

(المداراة هي لين الكلمة وترك الإغلاظ لهم فى القول ، وهى من أخلاق المؤمنين ، والمداهنة محرمة ، والفرق بينهما أن المداهنة هى أن يلقى الفاسق المعلن بفسقه فيؤالفه ولا ينكر عليه ولو بقلبه ، والمداراة هى الرفق بالجاهل الذى يتستر بالمعاصي ، واللطف به حتى يرده عما هو عليه)(١)

وعرف الامام الجرجاني المداهنة بقوله :

(هى أن ترى منكراً وتقدر على دفعه ، ولم تدفعه حفظاً لجانب مرتكبه أو جانب غيره ، أو لقلة مبالاة فى الدين)(٢) .

ولقد حذر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم من مداهنة الكفار أو مصانعتهم فى شئ من الدين فقال تعالى : (فلا تطع المكذبين ودوا لو تُدهن فيدهنون)(٣)

أي : (ودَّ هؤلاء المشركون لو تلين لهم فى دينك بإجابتك أياهم الى الركون الى آلهتهم فيلينوا فى عبادة إلهك .. وانما هو مأخوذ من الدهن ، شبَّه التليين فى القول بتليين الدهن)(٤)

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٢ / ١٧١

(٢) التعريفات/ للشريف علي بن محمد الجرجاني - ص / ٢٠٧

(٣) سورة القلم / آية ٨-٩

(٤) تفسير الطبري ٢١/١٤

فهؤلاء الكفار على استعداد للتخلي عن الكثير من عقائدهم وتصواتهم الجاهلة في مقابل أن يتخلى الرسول صلى الله عليه وسلم عن بعض مايدعو اليه ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن ليساوم في دينه او يتنازل عن شيء منه ، فقد كان يقابل كل مساومات المشركين بموقف صلب ويتحمل هو وأصحابه الأذى والعذاب ، دون أن يفتّ ذلك في عضده شيئاً .

وهو مع كل هذا كان أحسن الناس خلقاً وألينهم معاملة حتى مع الكفار والمنافقين مداراة لهم وتأليفاً لقلوبهم ، وهذا ماسنراه في المثال التالي :

المداراة خُلق نبوي :

روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها (أنه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال : ائذنوا له فبئس ابن العشيرة ، أو بئس أخو العشيرة فلما دخل ألان له الكلام .

فقلت له : يارسول الله ، قلتَ ماقلتَ ، ثم ألنتَ له في القول .

فقال : أيْ عائشة ، إن شر الناس منزلة عند الله من تركه الناس اتقاء فحشه) (١)

وفي رواية للبخاري : (فلما جلس تطلّق النبي في وجهه وانبسط اليه ، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة : يارسول الله حين رأيتَ الرجل قلتَ كذا وكذا ، ثم تطلقتَ في وجهه وانبسطت اليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعائشة متى عهدتِني فاحشاً ؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره) (٢)

وهذا الرجل - كما يقول الامام النووي - (هو عيينه بن حصن ، ولم يكن أسلم حينئذ ، وإن كان قد أظهر الاسلام ، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبيِّن حاله ليعرفه الناس ، ولا يغتر به من لم يعرف حاله ، وقد كان منه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعده مادل على ضعف إيمانه .

---

(١) البخاري ٤/٧٠ كتاب الأدب ، باب المداراة مع الناس - ومسلم ٨/٢١ كتاب البر والصلة والآداب باب مداراة من يُتقى فحشه .

(٢) البخاري ٤/٧٠

وارتد مع المرتدين ، وجيء به أسيراً إلى أبي بكر رضى الله عنه . ووصْفُ النبي له بأنه بئس أخو العشيرة من أعلام النبوة لأنه ظهر كما وصف ، وانما ألان له القول تألفاً له ولأمثاله على الاسلام . . . . ولم يمدحه النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا ذُكر أنه أثنى عليه في وجهه ولا في قفاه إنما تألفه بشيء من الدنيا مع لين الكلام)[١]

وذكر الحافظ ابن حجر أن هذا الرجل كان يُقال له الأحمق المطاع، ورجا النبي صلى الله عليه وسلم بإقباله عليه تأليفه ليُسلم قومه لأنه كان رئيسهم .[٢]

كما نَقل عن الامام الخطابي قوله : (الواجب على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبيِّن ذلك وينصح به ويعرِّف الناس أمره ، فإن ذلك من باب النصيحة والشفقة على الأمة ، ولكنه لما جُبل عليه من الكرم أظهر له البشاشة ولم يجبَهه بالمكروه لتقتدي به أمته في اتقاء شر مَنْ هذا سبيله)[٣]

وأورد قول الامام القرطبي :

(النبي صلى الله عليه وسلم إنما بذل له من دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته ، ومع ذلك فلم يمدحه بقول ، فلم يناقض قوله فيه فعله ، فإن قوله فيه قول حق وفعله معه حسن عشرة)[٤]

وهكذا يتبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن يتألف قلب عُيينه بشيء من لين الكلام وطلاقة الوجه ، ولكنه قبل ذلك أخبر أصحابه بحاله ليعرفوا أمره ولا يغترُّوا به .

وهو صلى الله عليه وسلم لم يكذب في أي من الحالتين ، ولم يمدحه بعد الذم ، وانما عامله معاملة حسنة ، وهذا من آداب الاسلام ، ولو لم يفعل ذلك وبادر إلى الشدة لازداد حقداً على الاسلام ونفوراً منه . ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستألف أمثال هؤلاء باللين لهم وبعض العطايا المالية ليستلَّ الضغينة من قلوبهم ويكون عوناً لهم على طرد شيطانهم وهذا ما فعله مع الذين أسلموا من المشركين بعد فتح مكة .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/١٤٤

(٢) (٣) فتح الباري ١٠/٤٥٣

(٤) المرجع السابق ١٠/٤٥٤

وهكذا تتضح الحكمة النبوية العظيمة التى جمعت بين لين القول مع الرجل وحسن معاملته تألفا له على الاسلام،وبين التحذير منه كيلا تؤتى الأمة من قِبله ويغتر به من لم يعرف حاله.

ومع ذلك فقد شكك البعض فى حديث عيينه ، بدعوى انه مشكل من جهة المعنى وأنه لا يليق مثل هذا بالرسول صلى الله عليه وسلم .

- يقول الشيخ محمد الخولى [١] : (القصة مشكلة من جهة المعنى ، اذ كيف يذم الرسول صلى الله عليه وسلم شخصا رآه مقبلاً ، ويقول فيه : بئس أخو العشيرة ، ثم يهش فى وجهه وينبسط له حينما جلس معه ، وهل هذا الا التظاهر بغير مايضمر ؟ فكيف يصدر هذا من الرسول الكريم الذى شهد له رب العالمين بأنه على خلق عظيم ؟) .

ثم نقل بعض كلام شراح الحديث الذى يزول به الاشكال ، ولكنه مع ذلك قال :

(مازلنا نرى مقام الرسول وكرم خلقه فوق ذلك الموقف ، وان الذي نجده فى نفوسنا كالذي وجدته عائشة ، واذا كان الغرض من ذلك التبسط التألف له كان من تمامه ألا يذكره بسوء قد يصل خبره اليه ، واذا كان الغرض المداراة كفى فيها مقابلته له بحال عادية ليس فيها تصنع . . ثم هل كان عُيينه بدرجة من القوة والشر بحيث يخشاه الرسول ويداريه ؟) [٢] وسبب الاشكال عند الشيخ الخولى هو عدم تفريقه بين المداراة والمداهنة حيث عدّ فعل الرسول صلى الله عليه وسلم نوعاً من المداهنة والتظاهر بخلاف مايضمر اتقاء لشرّ عيينه .

ولابد لنا من مناقشة هذا الفهم الخاطئ

فالرسول صلى الله عليه وسلم -كما اتضح لنا من أقوال شراح الحديث- لم يتظاهر بخلاف مافى قلبه أمام عيينه ولم يُثن عليه ولم يصفه بصفة مدح أبداً

وانما ألانَ له الكلام وأظهر له طلاقة الوجه ، تألفاً لقلبه ، وهذا الموقف من الرسول

---

(١) هو الشيخ محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخولي ، من علماء الشريعة بمصر ولد سنة (١٣١٠هـ) وتوفي سنة (١٣٤٩هـ) -راجع ترجمته فى الاعلام ٦/٢٠٩-

(٢) الأدب النبوي للشيخ محمد عبد العزيز الخولي ص/ ١٣١-١٣٢ دار المعرفة ١٤٠٢ هـ

صلى الله عليه وسلم نابع من تخلقه بأخلاق القرآن الكريم ، فقد أمره ربه بالتزام الحكمة والموعظة الحسنة فى مجال الدعوة فقال تعالى : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن)(١) وبيّن له أن الغلظه والشدة لا توصل كلمة الحق الى قلوب الناس بمقدار ماتوصلها الحكمة واللين فقال سبحانه : (فبما رحمة من الله لِنتَ لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانْفضّوا من حولك)(٢)

ولقد أرشد الله سبحانه نبيه موسى عليه السلام الى التزام أسلوب الحكمة واللين وهو يدعو الطاغية فرعون الى الايمان بالله تعالى . فقال عزوجل مخاطباً موسى وأخاه هارون : (اذهبا الى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى)(٣) .

أفبعد هذا كله يبقى للتشكيك فى هذا الحديث موضع ؟

اذا كان الله سبحانه قد أمر رسوله موسى عليه السلام بالتزام اللين مع أشد الاعداء وأعتى الطغاة لعل ذلك يكون سببًا فى استجابته للحق ، فكيف نُشكك فى موقف الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يلين فى الكلام لرجل يرجو إسلامه واسلام قومه ؟

لقد كان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من عُيينه نابعاً من تخلقه بأخلاق القرآن الكريم ، ولهذا شهد له ربه بأنه على خلق عظيم .

ولكن الشيخ الخولى اعتبر هذا الموقف معارضاً لأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وسماه تصنعاً .

واذا كان الاشكال الذي وجدته عائشه رضى الله عنها قد زال بمجرد إخبار النبى لها فلمَ لا يزول الاشكال من نفسه مع أنه نقل أقوال العلماء فى ذلك ؟

وهكذا يتبين أن المداراة خلق حسن مندوب اليه فى كل الأحوال ، وهذا مافعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عُيينه وهو من المنهج النبوى فى الدعوة الى الله ، أما المداهنة فهى محرمة لانها تعني أن يتظاهر المسلم بموافقة أهل الباطل ويقرهم على

---

(١) سورة النحل / آية ١٢٥

(٢) سوره آل عمران / آية ١٥٩

(٣) سورة طه / آيه ٤٣ - ٤٤

باطلهم ، فاذا اضطر المسلم الى ذلك فهذه هى التقيه

ولا يمكن أن تعد المداراه تقية ، لانها لا تعنى كتمان شئ من الدين والتظاهر بخلافه ، وانما هى لين الكلام والتبسم فى وجه من يُخشى شره أو يُرجى تقريبه الى الاسلام.

وقد أورد الامام البخارى فى باب : (المداراة مع الناس) قول أبى الدرداء رضى الله عنه : (إنا لنكشر فى وجوه أقوام وان قلوبنا لتلعنهم) .(١)

قال الحافظ ابن حجر : (الكشر ظهور الاسنان ، واكثر مايطلق عند الضحك) .(٢)

وهذا التبسم فى وجه الكافر اذا كان بنيّة التلطف به وتقريبه من الاسلام فهو المداراة ، أما اذا كان بنية المحبة له والاعجاب بما هو عليه فهذه موالاة له ، وهذا ماحرمه الاسلام.

لذلك قيّد أبوالدرداء رضى الله عنه قوله بقيد ينفي ماقد يتبادر الى الذهن من الميل القلبى ، فقال : (وان قلوبنا لتلعنهم) أى تبغضهم وتكرههم .

وقد نبّه الامام الالوسى على الفرق بين المداراة والتقية وردّ على من جعل المداراة نوعا من التقية ، فقال : (عدَّ قوم من باب التقية مداراة الكفار والفسقة والظلمة وإلانة الكلام لهم) الى أن قال : (ولا يُعد ذلك من باب الموالاة المنهى عنها ، بل هى سنة وأمر مشروع) .(٣)

أحاديث ضعيفة وردت فى المداراة :

ورد فى المداراة أحاديث كثيرة معظمها لا يصح بل هو ضعيف ، ولهذا لزم التنويه اليها فى هذا المجال وهذه أبرزها :

١ ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) صحيح البخارى ٤/ ٦٩ قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ١٠/ ٥٢٨ :
(هذا الاثر وصله ابن أبى الدنيا وابراهيم الحربى فى غريب الحديث ، والدينورى فى المجالسة ، وأخرجه أبو نعيم فى الحلية) .

(٢) فتح الباري ١٠/ ٥٢٩

(٤) روح المعانى للالوسي ٣/ ١٢٢

(رأس العقل بعد الايمان مداراة الناس) (١)

٢ - وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(مداراة الناس صدقة) (٢)

٣ - وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(إن الله أمرنى بمداراة الناس كما أمرنى بإقامة الفرائض) (٣)

---

(١) قال ابن الجوزى فى العلل المتناهية (٢/٢٤٤) :
(هذا حديث لا يصح ، وأبو داود - أحد رواته - كان يضع الحديث باجماع المحدثين)
وقد أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (٨/٢٠) بلفظ (رأس العقل بعد الايمان التودد الى الناس) وقال : (رواه البزار وفيه عبيد الله بن عمرو وهو ضعيف) . وراجع فيض القدير للمناوى (٣/٥٧٤) وفتح البارى لابن حجر (١٠/٥٢٨)

(٢) قال ابن الجوزى فى العلل (٢/٢٤٣) : (هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)
وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٨/٢٠) : (رواه الطبرانى فى الاوسط وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر وهو متروك) .

(٣) قال العجلونى فى كشف الخفاء (١/٥٠٨) : (رواه الديلمى فى مسنده بسند ضعيف عن عائشة مرفوعا) .

المبحث الثاني
المعاريض وصلتها بالتقية

التعريض لغة خلاف التصريح ، ومنه المعاريض في الكلام ، وهي التوريه بالشيء عن الشيء أوهو كلام يشبه بعضه بعضاً في المعاني (١)

أما اصطلاحا : فهو كلام له وجهان يطلق أحدهما ويراد لازمه (٢)

وقد فصّل الامام ابن القيم رحمه الله الحديث في هذا الموضوع فقال :

(هي أن يتكلم الرجل بكلام جائز يقصد به معنى صحيحاً ، ويوهم غيره أنه يقصد به معنى آخر ، فيكون سبب ذلك الوهم كون اللفظ مشتركاً بين حقيقتين لغويتين أو شرعيتين أو لغوية مع أحدهما ، فيعني أحد معنيية ويوهم السامع له أنه انما عنى الآخر) (٣)

كأن يقول عن رجل أنه أخي ويقصد أخوّة الاسلام ، أو يُسأل عن شخص فيقول مارأيته ويقصد أنه مارآه اليوم ، أو يقول عن مريض : لقد هدأت نفسه ، يقصد أنه مات والسامع يظن أنه شفي .

إلى غير ذلك مما سنرى تفصيله في هذا المبحث .

حكم المعاريض شرعاً :

المعاريض نوعان ، أحدهما جائز شرعاً ، والثاني محرَّم .

والضابط في ذلك كما قال الامام ابن القيم : أن كل ما وجب بيانه فالتعريض فيه حرام (٤)

(١) الصحاح للجوهري ١٠٨٧/٣ لسان العرب لابن منظور ١٨٣/٧

(٢) فتح الباري لابن حجر ٥٩٤/١٠

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين ٢٤٦/٣

(٤) وقد روى الامام أبوداود في سننه ٢٥٣/٥ تحت عنوان : (باب في المعاريض عن سفيان بن أسيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هولك به مصدق وأنت له كاذب) وهذا دليل على تحريم المعاريض إذا كان فيها تغرير بالمخاطب وخداع له وإبطال للحقوق .

لأنه كتمان وتدليس، ويدخل فى هذا الاقرار بالحق ، والشهادة على العقود ، والفتيا والحديث والقضاء .

وكل ماحَرُم بيانه فالتعريض فيه جائز ، بل واجب إذا أمكن ،كالتعريض لسائل عن مال معصوم أو نفس يريد أن يعتدى عليها .

وان كان بيانه جائزاً وكتمانه جائزاً :

- فإن كانت المصلحة فى كتمانه فالتعريض مستحب كتورية الغازي عن الوجه الذي يريده .

- وان كانت المصلحة فى بيانه فالتورية فيه مكروهة والاظهار مستحب .

- وان تساوى الأمران جاز كل منهما ، وذلك بأن يكون التعريض في غرض مباح وليس فيه إيهام للمخاطب ولا تغرير به .[١]

فالمعاريض اذا جائزة إذا لم يكن فيها استباحة الحرام واسقاط الواجبات وابطال الحقوق فإن كان فيها شيء من ذلك فهي محرمة[٢] .

وقد قال الامام القرطبي في حديثه عن المعاريض :

(كانوا يكرهون أن يقال هذا فى خديعة وظلم وجحدان حق ، فمن اجترأ وفعل أَثِم في خديعته)[٣]

ونتساءل الآن : ماهي صلة المعاريض بالتقية ؟

بناء على تقسيم المعاريض الى قسمين : جائزة ومحرمه ، نستنتج أن استخدام المعاريض المباحة التي لايكون فيها تضييع حق أو ترويج باطل أو تغرير يضرُّ بالمخاطب ، لايدخل فى التقية لانه مباح فى الأحوال العادية، وخاصة إذا كان فيه مصلحة معتبرة شرعاً .

ولذلك لايسمى مَنْ يستخدم المعاريض المباحة كذاباً ، ولا يطلق عليه صفة الكذب

---

(١) اعلام الموقعين ٣ / ٢٤٧ بتصرف واختصار

(٢) المرجع السابق ٣ / ٢٤٥

(٣) تفسير القرطبي ١٠ / ١٩١

قال عمر رضي الله عنه : (إن في المعاريض ما يكف أو يعف الرجل عن الكذب)[١]

وقال عمران بن حصين رضي الله عنه : (إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب)[٢]

أي : إن في المعاريض ما يستغني بها الرجل عن الاضطرار الى الكذب، فالمعاريض أسلوب حسن يتخلص بها المسلم من أمر لا يريده ، وهو مع ذلك ينجو من الكذب ولا يقع في المحرَّم .

أما المعاريض المحرمة فلا يجوز استخدامها إلا في حالة الضرورة والخوف ، فاذا استخدمها المسلم مضطراً فإنه يكون بذلك قد استخدم التقية ، لأن التقية تعني الوقوع في المحرم اضطراراً .

والنوع الثاني من المعاريض/ يدخل في التقية ،وهي المعاريض المحرمة شرعاً ، ولذلك قال العلماء : إن من أُكره على كلمة الكفر لا يجوز أن يجريها على لسانه إلا مجرى المعاريض ومن أُكره على سبِّ الرسول صلى الله عليه وسلم لا يجوز له ذلك حتى يقصد بقلبه محمداً آخر ، وهذا ما استعرضناه بالتفصيل عند الحديث عن ضوابط استخدام التقية .

أمثلة للمعاريض المباحة

هناك كثير من المعاريض المباحة وردت على ألسنة بعض الأنبياء عليهم السلام ، وغيرهم ، وقد وَهِم البعض وظنها داخلة في باب التقية ، بل إن الشيعة ـ كما سنرى ـ استدلوا بها لإثبات وجوب التقية وأنها من سنة الانبياء وهديهم !

ولذلك كان لزاماً على الباحث أن يستعرض هذه المعاريض ، ويبيِّن الوجه فيها ، والمصلحة من استخدامها . ولعل أبرزها :

١ ـ المعاريض التى ذكرها ابراهيم عليه السلام بقوله (إني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) وقوله عن زوجته (هي أختي) .

---

(١) (٢) رواهما البخاري في الأدب المفرد ٢ /٣٣٣ ـ ٣٣٤ وابن أبي شيبة في مصنفه ٨/٥٣٥،وأخرج الطبري في التهذيب قول عمران ، وكذلك الطبراني في الكبير ورجاله ثقات كما قال الحافظ ابن حجر (فتح الباري ١٠/ ٥٩٤)

وسنتحدث في الباب الثاني بالتفصيل عن هذه المعاريض وأسبابها والهدف منها ، وما افتراه الشيعة على إبراهيم عليه السلام في نسبة التقية له مستدلين بهذه المعاريض.(١)

بيدَ أننا لابد أن نشير هنا إلى معاني هذه المعاريض بإيجاز .

فقوله عليه السلام (إني سقيم) ذكَره ليكون عذراً تظاهرَ به أمام قومه ليتخلف عنهم ولا يشاركهم في عيدهم ، وبالتالي يتمكن من تحطيم أصنامهم في غيابهم .

وهو لم يكذب في هذا القول لأن الانسان لا ينفك في أكثر أحواله عن حصول حالة مكروة ، إما في بدنه وإما في قلبه، وكل ذلك سقم ، ولعله كان يقصد أنه سقيم القلب بسبب اصرار قومه على كفرهم وضلالهم (٢)

وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) نوع من التهكم والسخرية بهم ، لإقامة الحجة عليهم ، وإجبارهم على الاعتراف بأن آلهتهم حجارة صماء لا تضر ولا تنفع .

وقوله (إنها أختي) قالها إبراهيم عليه السلام عن زوجته سارة عندما هاجر بها إلى قرية فيها جبار من الجبابرة فأرسل ذلك الجبار يطلبها وسأله مَنْ هذه التي معك ؟ قال : أختي،ثم رجع اليها فقال : (لا تكذبي حديثي فأني أخبرتهم أنك أختي ، والله إنّ على الأرض مؤمن غيري وغيرك) فدعت ربها أن لا يسلط عليها ذلك الكافر فنجاها الله منه (٣)

فهو يقصد بهذا القول أخوّة العقيدة والايمان لا أخوّة النسب ، وهذا من المعاريض الجائزة .

أما الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (لم يكذب ابراهيم إلاثلاث كذبات) (٤) فلا يعني نسبة الكذب المذموم الى ابراهيم عليه السلام .

لأن الكذبات المذكورة إنما هي بالنسبة الى فهم المخاطب والسامع .

---

(١) راجع موضوع : نسبتهم التقية لابراهيم عليه السلام . ص/ ٢٦٦ من هذا البحث

(٢) تفسير الفخر الرازي ٢٦ /١٤٨

(٣) انظر صحيح البخاري ٢ / ٢٦ في كتاب البيوع ،باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه

(٤) صحيح البخاري ٣ / ٢٤٠ في كتاب النكاح ،باب اتخاذ السراري .

ومسلم ٧ / ٩٨ في كتاب الفضائل ،باب فضائل ابراهيم الخليل عليه السلام .

أما فى نفس الامر فليست كذباً لانه من باب المعاريض ، وانما أطلق عليه ذلك لكونه يشبه صورة الكذب عند السامع (١)

٢ - والرسول صلى الله عليه وسلم استخدم المعاريض يوم بدر فقد قام بنفسه مع صاحبه أبي بكر رضى الله عنه باستكشاف جيش المشركين قبل بدء المعركة فلقيا شيخا من الأعراب فسأله الرسول صلى الله عليه وسلم عن الجيشين ، فقال : لاأخبركما حتى تخبراني من أنتما ؟ فقال له صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتنا أخبرناك قال : أوذاك بذاك ؟ قال : نعم .

فأخبرهما بما يعلم من أخبار الجيشين ، ولما فرغ من خبره قال : من أنتما ؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء ، ثم انصرف عنه ، والرجل يردد مستغرباً : من ماء ؟ أمن ماء العراق ؟ (٢)

وهذه المعاريض تدل على حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم وحسن تدبيره ، بحيث استطلع أخبار جيش المشركين دون أن يعرف هذا الرجل شيئاً عنه .

وقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : نحن من ماء ، إلى قوله تعالى (وهو الذي خلق من الماء بشراً) (٣) وهذا المعنى صحيح وهو خبر صادق ، ولكن الأعرابي فهم أن الماء اسم لموضع أو قبيلة .

ومن معاريض الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يوري عن الغزوة بغيرها ، فيظن الناس أنه يريد جهة كذا واذا به يقصد غير هذه الجهة ، وهذه من معاريض الأفعال (٤)

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستخدم المعاريض فى مزاحه ، ولا يقول إلا حقاً وذلك ليُدخل السرور على أصحابه ، ويتألف قلوبهم ، ولتحقيق مصالح أخرى

---

(١) راجع: شرح النووي على صحيح مسلم ١٢٤/١٥ ، بذل المجهود شرح سنن أبي داود ٣٢٥/١٠

(٢) السيرة النبوية لابن هاشم ٦١٦/٢

(٣) سورة الفرقان / آية ٥٤

(٤) إعلام الموقعين ٢٥١/٦

فمن ذلك قوله لمن قال له احملني ، قال : أحملك على ابن الناقة ، فقال يارسول الله ماعسى أن يغني عني ابن الناقة ؟ فقال له صلى الله عليه وسلم : ويحك ، وهل يلد الجمل إلا الناقة ؟ (١)

وكذلك لما جاءته عجوز فقالت : يارسول الله : ادع الله لي أن يدخلني الجنة فقال : إن الجنة لا يدخلها عجوز ، فولّت تبكي ، فقال : أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز (٢)

وقوله للمرأة : زوجك الذي في عينيه بياض ، وهو يقصد البياض حول الحدقة.وهذه المعاريض ونحوها من أصدق الكلام . (٣)

٣ - وأبو بكر رضي الله عنه استخدم المعاريض في طريق الهجرة الى المدينة :

فقد روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (أقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وهو مُردِفٌ أبا بكر ، وأبو بكر شيخ يُعرف ، ونبي الله صلى الله عليه وسلم شاب لا يُعرف ، قال : فيلقى الرجل أبا بكر فيقول : ياأبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك ؟

فيقول : هذا الرجل يهديني السبيل . قال فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق ، وانما يعني سبيل الخير) (٤)

٤ - وأم سليم (٥) رضي الله عنها ضربت أروع الأمثلة فى الصبر وتلقي المصيبة بالتسليم

---

(١) رواه ابوداود ٥/ ٢٧١ رقم ٤٩٩٨ والترمذى ٤/ ٢٥٧ رقم ١٩٩١ وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب

(٢) رواه الترمذى في كتابه الشمائل ص/ ١٢١

(٣) اعلام الموقعين ٣/ ٢٤٦

(٤) صحيح البخارى ٢/ ٣٣٤ باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم .

(٥) هى أم سليم بنت ملحان الأنصارية ، وقد اختُلف فى اسمها فقيل سهلة وقيل رميلة أو الرميصاء ، وهي أم أنس خادم الرسول صلى الله عليه وسلم ، تزوجت مالك بن النضر في الجاهلية فولدت أنساً ، وأسلمت مع السابقين إلى الاسلام من الأنصار فغضب مالك وخرج الى الشام فمات بها ، فتزوجت بعده أبا طلحة =

الكامل وذلك حينما مات ابنها فأرادت أن تخفف وطأة الخبر عن زوجها أبي طلحة .

وقد روى البخاري في باب (المعاريض مندوحة عن الكذب) هذه القصة مختصرة ورواها البزار في مسنده وابن سعد في طبقاته بتفصيل أكثر .

ففي رواية البخارى عن أنس رضي الله عنه قال :

(كان ابن لابي طلحة رضى الله عنه يشتكي ، فخرج أبو طلحة فقُبض الصبي ، فلما رجع أبو طلحة قال : مافعل ابني ؟ قالت أم سليم : هو أسكن ماكان ، فقرّبت إليه العشاء فتعشى ثم أصاب منها ، فلما فرغ قالت : واروا الصبي ، فلما أصبح أتى أبو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : أعرستم الليلة ؟ قال : نعم ، قال : اللهم بارك لهما .) (١)

وفى رواية له أن أم سليم قالت لابي طلحة : (هدأ نَفَسه ، وأرجو أن يكون قد استراح) (٢)

وفى رواية البزار أن أم سليم قالت لابي طلحة بعد أن تعشى وأصاب منها : (يا أبا طلحة عارية استعارها قوم ، وكانت العارية عندهم ما قضى الله ، وان أهل العارية أرسلوا الى عاريتهم فقبضوها أَلَهم أن يجزعوا ؟ قال : لا ، قالت : فإن ابنك قد فارق الدنيا . قال : فأين هو؟ قالت: هاهوذا في المخدع ، فدخل فكشف عنه واسترجع (٣) ،

= على أن يُسلم ، وكان صداقها الاسلام ، وكانت تغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولها فى ذلك قصص مشهورة

(راجع ترجمتها فى الاصابة ٤ / ٤٤١ - ٤٤٢)

أما زوجها أبو طلحة فاسمه زيد بن سهل بن الاسود الانصارى الخزرجي ، شهد العقبة وبدراً وما بعدها من المشاهد ، وكان من الرماة المشهورين ومن فضلاء الصحابة ، وهو القائل :

أنا أبو طلحة واسمي زيد وكل يوم فى سلاحي صيد (راجع ترجمته فى الاصابة ١/ ٥٤٩)

(١) صحيح البخاري ٣/ ٣٠٤ كتاب العقيقة - باب تسمية المولود

(٢) المرجع السابق ٤ / ٨٢ كتاب الأدب - باب المعاريض

(٣) أي قال : إنا لله وانا إليه راجعون

فذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بقول أم سليم ، فقال : " والذى بعثنى بالحق لقد قذف الله تبارك وتعالى فى رحمها ذكرا لصبرها على ولدها "). (١)

وهكذا كانت المعاريض طريقاً لتخفيف الحزن عن أبى طلحة ، فقد فهم من قولها : (هدأ نَفَسه وأرجو أن يكون قد استراح) أنه تعافى وزال مرضه ، ولكنها أرادت بقولها هدأ نَفَسه أنه انقطع كلية بالموت ، وبقولها (استراح) أنه استراح من نكد الدنيا وألـم المرض،فهي صادقة باعتبار مرادها ، وخبرها بذلك غير مطابق للامر الذى فهمه أبوطلحة. (٢) وهذه من المعاريض المستحبة ، وهي دليل على فطنة أم سليم وقوة إيمانها وصبرها عند الصدمة الاولى .

---

(١) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩ / ٢٦٤ : (رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح ، غير أحمد بن منصور الرمادى ، وهو ثقة).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٠/ ٥٩٤

المبحث الثالث

الخدعة في الحرب وصلتها بالتقية

اتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب (١) وقد ورد في ذلك عدة أحاديث صحيحة رواها البخاري وغيره ، منها مارواه عن جابر رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (الحرب خدعة) (٢) .

وما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (سمّى النبي صلى الله عليه وسلم الحربَ خدعة) (٣) .

قال الامام ابن العربي :

(الخديعة في الحرب تكون بالتورية وتكون بالكمين يعده الجيش ، وتكون بخلف الوعد ، وذلك كذب من المستثنى الجائز المخصوص من المحرَّم) (٤) .

واختلف العلماء هل المراد حقيقة الكذب أو أن الجواز مقيد بالتورية والمعاريض، وقد ذكر الحافظ ابن حجر هذا الاختلاف ثم نقل قول الامام النووي :

(الظاهر إباحة حقيقة الكذب . . لكن التعريض أولى) (٥) .

وسواء كان الكذب في الحرب صريحاً أو كان عن طريق المعاريض والتورية فان هذا لا يدخل في التقية ولا يعد باباً من أبوابها .

وذلك لان التقية لا تكون الا في حالة الاكراه والاستضعاف ، والمقاتل في ساحة المعركة ليس مستضعفاً ولا مكرهاً ، كما أن الذي يخادع عدوه ليظفر به حتى يقتله لا يعد مكرها ، وانما يستخدم أسلوب الخداع الذي أباحه الاسلام في هذا الموطن ليتمكن من الايقاع بعدوه .

ولعل أبرز القصص في هذا المجال قصة قتل كعب بن الاشرف على يد الصحابي الجليل محمد بن مسلمة واخوانه .

---

(١) تحفة الاحوذي شرح سنن الترمذي ٥ / ٣٢٠

(٢) (٣) صحيح البخاري ٢ / ١٧٤ كتاب الجهاد ، باب الحرب خدعة .

(٤) سنن الترمذي بشرح الامام أبي بكر ابن العربي ٧ / ١٧٠

(٥) فتح الباري ٦ / ١٥٩

وقد روى البخارى هذه القصة فى صحيحه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما

أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله ،

فقام محمد بن مسلمه فقال : يارسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال : نعم . قال : فأْذن لى

أن أقول شيئا . قال : قل . فأتاه محمد بن مسلمه فقال : إن هذا الرجل قد سألَنا

صدقه ، وانه قد عنّانا ، وانى قد أتيتك استسلفك . قال : وأيضا والله لتملُنَّه .

قال : إنا قد اتبعناه ، فلا نحب أن ندعه حتى ننظر الى أى شئ يصير شأنه ، وقد

أردنا أن تُسلفنا وَسقا أو وسقين .

فقال : نعم ، ارهنونى . قالوا : أى شئ تريد ؟

قال : ارهنونى نساءكم . قالوا:كيف نَرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ؟

قال : فارهنونى أبناءكم . قالوا : كيف نرهنك أبناءنا فيُسبُّ أحدهم فيقال رُهن بوسق أو

وسقين ، هذا عار علينا ، ولكنا نرهنك اللأمة ـ يعنى السلاح ـ .

فواعده أن يأتيه ، فجاءه ليلا ومعه أبو نائلة ـ وهو أخو كعب من الرضاعة ـ فدعاهم الى

الحصن ، فنزل اليهم ، فقالت له امرأته : أين تخرج هذه الساعة ؟ انى أسمع صوتا كأنه

يقطر منه الدم .

قال : انما هو أخى محمد بن مسلمه ورضيعى أبو نائله ، إن الكريم لو دُعي الى طعنه بليلٍ

لأجاب .

وقال محمد بن مسلمة لمن معه : اذا ماجاء فانى قائل (١) بشعره فأشمه ، فاذا رأيتمونى

استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه .

فنزل اليهم متوشحا وهو ينفح منه ريح الطيب ، فقالوا : نجد منك ريح الطيب .

فقال : نعم تحتي فلانه أعطر نساء العرب ، فقال محمد : أفتأذن لى أن أشم منك . قال :

نعم . فشمَّ ثم قال : أتأذن لى أن أعود . قال : نعم .

فلما استمكن منه قال : دونكم فاقتلوه ، ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه) (٢)

---

(١) هذا من باب إطلاق القول على الفعل كما قال الحافظ ابن حجر (فتح البارى ٧ / ٣٣٩)

(٢) صحيح البخارى ٢ / ٧٨ باب رهن السلاح ، ٣ / ١٧ باب قتل كعب بن الأشرف

وهكذا تمكن محمد بن مسلمة واخوانه من قتل عدو الله كعب بن الاشرف الذى نقض عهده لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شاعراً يهجو المسلمين ويحرِّض عليهم كفار قريش (١)

وكان من أبرز أسباب نجاح خطة قتله الخداع الذى استخدمه محمد بن مسلمة بما آتاه الله من فطنة وذكاء حتى أوهم كعباً أنه يحبه وتظاهر بالضيق والتذمر من الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا ما أذِن له فيه الرسول صلى الله عليه وسلم .

والواقع أن هذه الخطة المحكمة تتضمن صوراً عديدة من الخداع لهذا العدو والتظاهر أمامه بخلاف الحق الذي يعتقده ابن مسلمة واخوانه .

فقد تظاهروا أمامه بالتذمر من الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه يكثر من طلبه لاموالهم كما تظاهروا بمحبة هذا الكافر والإعجاب به والثناء عليه .

بل إن بعض الروايات تذكر أن كعباً قال لأبي نائلة : (أخبرني ما في نفسك ، ما الذى تريدون فى أمره ؟ ـ أي الرسول صلى الله عليه وسلم ـ قال : خذلانه والتخلي عنه ، قال : سررتني) (٢) !

وهذا غاية ما يمكن من التظاهر بالباطل لخداع هذا الكافر حتى يأنس لهم ولا يرتاب فى أمرهم ، لكى تتم الخطه المرسومه بنجاح .

ومع كل هذه الصور من التظاهر بالباطل والثناء على هذا الكافر ، فان هذا لا يعد تقية كما قلنا ، لأن الاساس فى التقية أن يكون بسبب الاكراه والاستضعاف ، ومحمد بن مسلمه واخوانه الابطال لم يتظاهروا بذلك مكرهين خائفين ليأمنوا بطش ابن الأشرف ، وانما تظاهروا بمودته ليبطشوا به .

وهكذا يتضح الفرق بين الخدعة فى الحرب والتقية .

وهناك قصص عديدة أخرى يمكن أن تصلح دليلاً فى هذا الموضوع أبرزها ما قام به نعيم بن مسعود رضى الله عنه عندما أسلم فى غزوة الخندق ولم يعلم المشركون باسلامه فقال له

---

(١) فتح البارى ٧/ ٣٣٧

(٢) فتح البارى ٧/ ٣٣٨

الرسول صلى الله عليه وسلم خذل عنا ، فقام بدوره هام أدى الى التفريق بين الاحزاب المحاصرة للمدينة ، حيث أوهم كل فريق منهم أنه ناصح لهم وأن الاخرين قد تواطـــأوا على الانسحاب من المعركة ، وبذلك أوقع الخلاف بينهم وكان ذلك من أسباب هزيمتهم .(١)

---

(١) راجع تفصيل قصه نعيم فى سيرة ابن هشام ٢ / ٢٢٩

الفصل السادس

أثر التقية في المجتمع الإسلامي

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : إكراه مسلمي الاندلس على الكفر واستخدامهم التقية

- إجبارهم على التنصر
- صمود المسلمين وبسالتهم
- استخدامهم التقية

المبحث الثاني : إكراه مسلمي الاتحاد السوفيتي على الكفر واستخدامهم التقية

- إكراههم على الكفر
- استخدامهم التقيه

* لماذا انعدم الوجود الاسلامي في الاندلس ولم ينعدم في الاتحاد السوفيتي ؟

المبحث الثالث : واقع التقية في المجتمع الاسلامي المعاصر .

توطئة

تحدثنا فى الفصول السابقة عن موقف أهل السنة من التقية، وما نصوا عليه من ضوابط وشروط لجواز استخدامها فى حالة الاكراه والخوف .

وننتقل فى هذا الفصل للحديث عن بعض الصور التطبيقية لاستخدام التقية فى المجتمعات الاسلامية التى اكرهت على الكفر كالاندلس وبلاد ماوراء النهر التى هى الان جزء من الاتحاد السوفيتى .

والواقع إن أبرز ماتهدف اليه هذه الدراسة التطبيقية اثبات أن التقية مزلق خطر، وباب قد يؤدى الى الكفر اذا لم تصاحبه الخشية الدائمة من الله سبحانه .

- وقد أورد الامام الملطى أن رجلا جاء الى حذيفة فقال : (ياأباعبد الله أكفرت بنو اسرائيل فى يوم واحد ؟ قال : لا ، ولكن كانت تعرض عليهم الفتنة فيأبونها فيكرهون عليها حتى يدخلوا فيها ، ثم تعرض عليهم أكبر منها ، فيأبونها فيضربون عليها ويقولون : والله لاندخل فى هذه أبدا ، فيضربون عليها حتى يدخلوا فيها ، حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ أحدكم من قميصه)(١) .

- كما حذر الامام أحمد من خطر استخدام التقية اذا كانت ستؤدى الى مشاركة دائمة للكفار فى أعمالهم : (روى الاثرم عن أبى عبد الله أنه سئل عن الرجل يؤسر فيعرض على الكفر ويكره عليه أله أن يرتد ؟ فكرهه كراهة شديدة وقال : مايشبه هذا عندى الذين أنزلت فيهم الاية من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، اولئك كانوا يرادون على الكلمة ثم يتركون يعملون ماشاؤوا ، وهؤلاء يريدونهم على الاقامة على الكفر وترك دينهم ، وذلك لان الذى يكره على كلمة يقولها ثم يخلى لاضرر فيها ، وهذا المقيم بينهم يلتزم باجابتهم الى الكفر والمقام عليه واستحلال المحرمات وترك الفرائض والواجبات، وفعل المحظورات والمنكرات، وان كان امرأة تزوجوها واستولدوها أولادا كفارا ، وكذلك الرجل ، وظاهر حالهم المصير الى الكفر الحقيقى والانسلاخ من الدين الحنيفى)(٢)

فالتقية الجائزة هى أن يجد المسلم ظرفا يسمح له فيه بالنجاة مع المحافظة على دينه ، أما اذا نجا من القتل مع ضياع دينه فهذه ليست تقية وانما هى ردة وكفر، واذا لم تؤدى الى كفر الاباء فانها قد تؤدى غالبا الى كفر الابناء والذرية .

قال الامام الطاهر بن عاشور : (ويجب أن تكون التقاة غير دائمة لانها اذا طالت دخل الكفر فى الذراري)(٣) وهذا ماحصل لكثير من المسلمين كماسنراه فى هذا الفصل .

---

(١) التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع للامام أبى الحسين الملطى (ت٣٧٧هـ)-ص/٨٦

(٢) المغنى لابن قدامة ١٠٨/١٠

(٣) تفسير التحرير والتنوير ٣ / ٢٢١

وسنكتفي في هذا الفصل باستعراض أبرز حادثتين من الحوادث التاريخية الكثيرة التي أكره فيها المسلمون على الكفر واضطروا فيها للاخذ بالتقية .

وهاتان الحادثتان هما :

- اكراه مسلمي الاندلس على الكفر بعد أن سقطت آخر معاقلهم فيها في يد الاسبان .
- اكراه مسلمي الاتحاد السوفيتي على الكفر بعد الثوره الشيوعية التي اجتاحت بلادهم .

كما سنختم الفصل بالحديث عن واقع التقية في المجتمع الاسلامي المعاصر ، وما حل بالمسلمين من تخاذل وتهاون بسبب استخدامهم للتقية وعدم الاخذ بضوابطها الشرعية .

المبحث الأول
إكراه مسلمي الأندلس على الكفر واستخدامهم التقية

حكم المسلمون الاندلس زهاء ثمانية قرون ، فقد كانت طلائع الفتح بقيادة طارق بن زياد عام (٩٢) ، وتوالت الفتوحات حتى عم الاسلام وانتشر الخير ، وأقام المسلمون فى الاندلس حضارة ماعرف التاريخ مثيلا لها ، وعاش غير المسلمين فى ظل هذه الحضاره عيشة رغيدة سعيدة وقد نالوا حقوقهم ، وتحقق لهم ماكانوا يفقدونه فى ظل الحكم الصليبى .

ثم بدأ الضعف يدب فى صفوف المسلمين ، وشُغل أمراء الاندلس بالخلافات والمنازعات واستغل الصليبيون ذلك فهرعت جيوشهم وأخذوا يستولون على مدن الاندلس واحدة بعد واحدة وحصناً بعد حصن ، حتى لم يبق فى يد المسلمين غير غرناطة ، لمنعتها وكثرة أهلها .

ولكن غرناطة لم تصمد طويلاً فقد دبّ الخلاف بين حكامها من بني الاحمر ، وانتهى الامر بتغلب الاسبان على غرناطة سنة (٨٩٧ هـ) وكان بذلك نهاية المسلمين بالاندلس

ولقد سقطت غرناطة بعد أن سلّم ملكها (أبوعبد الله بن أبى الحسن) مفاتيح المدينة الى الاسبان لقاء شروط حددها الطرفان وتتضمن بنوداً كثيرة أبرزها : أن يأمن المسلمون على أنفسهم ودينهم وأموالهم وأعراضهم ، واقامة شعائرهم واحترام مساجدهم وفك أسراهم ، واعفائهم من الضرائب سنين معلومة [١] .

ولكن هذه الشروط لم ينفَّذ منها شئ وانما تعرض المسلمون لاشد أنواع التعذيب والقتل وأبشع صور الجرائم حتى يرتدوا عن دينهم ويتخلوا عن إسلامهم ، وحلت بالمسلمين محنة شديدة لم ينج منها الا القليل .

فكيف كان ذلك ؟ وهل تمكن الاسبان من تحقيق مآربهم ؟ وهل استطاع المسلمون أن يحتفظوا بدينهم ودين أبنائهم ؟ هذا ماسأتعرض له فى هذا المبحث بشئ من الاختصار

---

(١) محاكم التفتيش فى الأندلس ـ محمد على قطب ـ ص/٣٢ ـ ٣٩ ـ طبع القاهرة

اجبار المسلمين على التنصر والتخلي عن الاسلام

بعد أن استولى الاسبان على الاندلس بدأت حملات التعذيب الوحشي والاكراه على التنصر واضطهاد المسلمين بأبشع أساليب العنف وصوره . والحديث عن هذا الموضوع طويل ، ولكننا سنقتطف بعض الصور لنرى منها ماكان يتعرض له المسلمون هناك من شدة وماينالهم من أذى واضطهاد لكي يتخلوا عن دينهم ويدخلوا في النصرانية بالاكراه والقسر .

ولقد كان الاسبان الصليبيون يعرفون تمام المعرفة بأن المسلم لا يرضى بدينه بديلا ولذلك لم يكونوا يكتفون منه بكلمة يقولها وانما كانوا يُكرهونه على التخلي عن كل مظهر إسلامي ويخضعونه لمراقبة شديدة، ويبطشون به بأقل شبهة .

- ومن ذلك أنهم كانوا يُكرهونه على تغيير اسمه الاسلامي ولباسه الاسلامي وان يرسل أطفاله من سن الرابعة الى مكاتب النصارى ، ومن لا يفعل ذلك يحرق بالنار . (١)

- واذا رأوا متنصراً احتفل بيوم الجمعة بأن ارتدى ثيابا أنظف من ثيابه العادية أو رأوه يذبح الحيوان على الطريقة الاسلامية ، أو يقوم بختان ولده ، أو لا ياكل ولا يشرب في رمضان الا عند الغروب، أو يغسل الموتى ويكفنهم على الطريقة الاسلامية، أو غير ذلك مما يتميز به المسلمون .... فهذا دليل على أنه لم يتنصر، وجزاؤه التعذيب والحرق . (٢)

- ومن شعروا به أنه لا يأكل لحم الخنزير ولا يشرب الخمر أو أنه يتنظف ويتطهر ويستحم ، أو يتكلم بالعربية ، أو يحجب نساءه أو يلبس زياً إسلاميا ، فالويل له من التعذيب . (٣)

وهكذا حلت المأساه بمسلمي الاندلس ، تلك المأساة التي كان هدفها اقتلاع جذور المسلمين من الأندلس وإلغاء كل مايمتُّ اليهم بصلة .

---

(١) حاضر العالم الاسلامي للامير شكيب أرسلان ٢/ ١٥، ٢٥ دار الفكر - ط٤ - ١٣٩٤ هـ

(٢) محاكم التفتيش في الاندلس ص/ ٤٨ - ٤٩

(٣) حاضر العالم الاسلامي ٢/ ٣٨ ، محاكم التفتيش ص/ ٦٠

فماذا كان موقف المسلمين ؟

صمود المسلمين وسالتهم :

بقي المسلمون يقاومون حملات التنصير ويصمدون فى وجه هذا التيار الكاسح مايزيد على قرن من الزمان ، دفاعاً عن عقيدتهم .(١)

ومع أن كثيراً منهم ممن وقع فى قبضة الصليبيين قد تظاهروا بالنصرانية ، ولكن قلوبهم كانت مطمئنة بالايمان ، وكانوا يبذلون كل جهدهم للحفاظ على دينهم وشخصيتهم الاسلامية

ولذلك نجد أن عشرات الثورات قد قامت فى وجه الاسبان ، واعتصم بعض المسلمين فى الجبال يقاومون الاسبان ويتصدون لهم .

وكان من أبرز هذه الثورات الثورةالتى وقعت عام (١٥٦٨) وعمت جبال البشرات، واستمرت حولين كاملين ، وكانت أحداثها حافلة بالبطولة والفداء ، وقام هؤلاء يأخذ الثأر فهدموا كثيرا من الكنائس وقتلوا من وقع فى قبضتهم من القساوسة وقواد الاسبان ، فقابل الاسبان هذه الثورة بوحشية وأتوا بالفظائع لقمع هذه الثورة ، فذبحوا النساء والاطفال ، وأحرقوا المساكن وهدموا البيوت وخنقوا السكان بالدخان حتى هلك من المسلمين الكثير ، وفتكوا أشد الفتك بمن وقع تحت قبضتهم وأحرقوهم أحياء .

ولم تخمد هذه الثورة حتى عمد الاسبان الى سياسة المكر والخداع ، وأذاعوا أمرا بالعفو العام ، وطلبوا المفاوضات ، وتظاهروا بأنهم سيتخلون عن سياسة البطش والاكراه على التنصر ، وبذلك هدأت الثورة وهرب كثير من المسلمين بأُسَرهم الى افريقية .

ولكنهم عادوا الى وحشيتهم فأذاقوا المسلمين ألوان العذاب ، وسالت دماؤهم أنهارا وحرقت أجسادهم أكواما(٢) .

ثم صدر أمر الاسبان بتهجير ونفي المسلمين المتنصرين بحجة أن لهم اتصالا بأعداء اسبانيا ، وأنه لاسبيل الى جعلهم يعتنقون المسيحية ، ولهذا وجب طردهم الى بلاد افريقية

(١) التاريخ الأندلسي للدكتور عبد الرحمن علي الحجي - ص / ٥٦٨ دار القلم بيروت — الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ .

(٢) حاضر العالم الاسلامي ٢/ ١٥ - ١٦

وهكذا أُجبر من بقي من المسلمين على مغادرة وطنه وبُدئ بتنفيذ هذا القرار سنة (١٠١٨هـ) (١٦٠٩م) وتم نقل مئات الالوف الى سواحل شمال افريقية، وظلت سفن النقل المعدة لتجهيزهم تروح وتغدو شهوراً طويله، وهي مشحونة بهم تلقيهم في ثغور أفريقية على صورة من الذل والهوان، تفتت الاكباد أسى وحسره وقد قدر بعض المؤرخين عدد الذين نُفوا بقرابة مليون نسمة (١) . .

وبقيت بعض الأُسر الاسلامية التى أُجبرت على التنصر، وكان هؤلاء يتظاهرون بالنصرانية ويحذرون أشد الحذر من انكشاف أمرهم، وقد انتبه الاسبان الى خطر هجرة المسلمين الى سواحل أفريقية خشية أن يتجمعوا وينقضوا على السواحل الاسبانية أخذاً بالثأر ، فاستمروا فى سياسة الاكراه على التنصير بوحشية وعنف ومنعوا من بقي من المسلمين من الهجرة (٢)

استخدام مسلمى الاندلس للتقية :

لقد كانت المحنة التى تعرض لها مسلمو الاندلس شديدة لدرجة أنهم كانوا يُجبرون على التخلي عن كل مظهر اسلامى ، وكان الاسبان يبثون عيونهم ليحصوا على المسلمين أنفاسهم .

ومع ذلك ظل كثير من المسلمين متمسكين بدينهم، يقومون بالعبادة سراً ، ويتظاهرون بالنصرانية أمام الاسبان .

وكان المسلمون المتنصرون يعمِّدون (٣) أولادهم ظاهراً فى الكنيسة فاذا انصرف القسيس مسحوا عن الولد ماء المعمودية، واذا تزوج أحد هؤلاء أجرى القسيس عقد الاكليل ، ثم بعد ذهابه يعقدون النكاح بحسب السنة الاسلامية . (٤)

---

(١) محاكم التفتيش ص/ ٦٤ - ٦٩

(٢) حاضر العالم الاسلامى ٢ / ٣٠

(٣) التعميد في الطفولة من شعائر المسيحية ، وطريقته رش الطفل بالماء أو تغطيسه فيه ويقوم بهذه العملية كاهن يعمِّد باسم الاب والابن وروح القدس وبذلك ينشأ الانسان طاهراً من الذنوب كما يزعمون . راجع كتاب : المسيحية للدكتور أحمد شلبي ص/ ١٦٨

(٤) حاضر العالم الاسلامي ٢/ ١٤

ولما اشتدت المحنة بالمسلمين اكثر، اضطروا الى إخفاء دينهم حتى عن أولادهم لان الولد قد يفشي سر أبيه دون أن يشعر بخطر ذلك .

ولم يعد بإمكان الاب أن يشرف على تربية أولاده، أو يلقنهم شيئاً من أمور الاسلام أو يعلمهم شيئاً من اللغة العربية، لان الابناء يؤخذ بهم الى مكاتب النصارى ويتلقنون النصرانية ولا يعرفون غيرها .

ومع كل ذلك فقد وُجد فى بعض الاسر الاسلامية من يعلم أبناءه سراً مع شدة الحذر والتأكيد عليهم بضرورة الكتمان والتستر .

ومن هؤلاء الذين تعلموا من آبائهم بهذه الطريقة المؤرخ محمد بن عبد الرفيع الأندلسي (ت ١٠٥٢ هـ) الذى يحكي لنا قصته فى كتابه (مقدمه الفتح من تاريخ رباط الفتح) فيقول :

(لقد أطلعنى الله على دين الاسلام بواسطة والدى رحمه الله وأنا ابن ستة أعوام وأقل ، مع أنى كنت اذ ذاك أروح الى مكتب النصارى لاقرأ دينهم، ثم أرجع الى بيتى فيعلمنى والدى دين الاسلام، فكنت أتعلم فيهما معا وسني حين حُملت الى مكتبهم أربعة أعوام، فأخذ والدى لوحاً من الجوز . . . فكتب لى فيه حروف الهجاء وهو يسألنى حرفاً حرفاً . . . . فلما فرغ أوصانى أن أكتم ذلك عن والدتى وعمى وأخى وجميع قرابتنا ، وأمرنى أن لاأخبر أحداً من الخلق ، شدد عليّ الوصية ، وصار يرسل والدتي اليّ فتسئلني مالذى يعلمك والدك ؟ فأقول لها : لاشىء . فتقول : أخبرنى بذلك ولا تخف لان عندى الخبر بما يعلمك .

فأقول لها : أبداً ماهو يعلمنى شيئا .

وكذلك كان يفعل عمي . ، وأنا أنكر أشد الانكار . . . فلم أقر لاحد قط بشىء ، مع أن والدى رحمه الله قد ألقى بنفسه للهلاك لإمكان أن أُخبر بذلك عنه فيُحرق لامحالة لكن أيدنا الله سبحانه وتعالى بتأييده) .

ثم يقول : (وكان والدى يقول لي : اذا أتيت كنائسهم ورايت الاصنام ، فاقرأ في نفسك سرا قوله تعالى : " يا أيها الناس ضُرب مثلٌ فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون —

الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له " وقوله سبحانه : " قل ياأيها الكافرون لا أعبد ماتعبدون "

فلما تحقق والدى رحمه الله أنى أكتم أمور دين الاسلام عن الاقارب فضلا عن الاجانب أمرنى أن أتكلم بإفشائه لوالدتى وعمى وبعض أصحابه فقط، وكانوا يأتون الى بيتنا فيتحدثون فى أمر الدين وأنا اسمع، فلما راى حزمي مع صغر سنى فرح غاية الفرح ، وعرّفنى بأصدقائه وأحبائه واخوانه فى دين الاسلام فاجتمعتُ بهم واحداً واحداً) (١).

وهكذا نجد أنه رغم شدة التعذيب الذى كان يتعرض له المسلمون فان بعضهم كان حريصا على تلقين أولاده دين الاسلام ولو أدى ذلك الى مالا تحمد عقباه، وبذلك بقيت بعض الاسر متمسكة باسلامها سراً قروناً عديدة حتى انقضت المحنة .

ولكن هذا الأمر لم يكن سهلاً ، فقد كان جواسيس محاكم التفتيش ينتشرون فى كل مكان فاذا وقع مسكين فى قبضتهم زُجَّ به فى أعماق السجون ، وقد أمكنهم أن يجعلوا من الابن جاسوسا على أبيه ، والاب على ابنه ، والزوج على زوجته ، فمن عرف شيئا ولم يبلغ عنه عُدَّ شريكا فى الالحاد واستحق العذاب الصارم ..... ومن قبض عليه ، وكان ذنبه صغيراً ، لاطفهُ رجال التفتيش وحولوه الى جاسوس لهم ينقل لهم أخبار الاخرين (٢) .

كل ذلك كان يمنع كثيرا من الاباء أن يفصحوا عن شىء من دينهم لابنائهم، وبذلك نشأ أولادهم على النصرانية باطناً وظاهراً ، وهم لا يعلمون أن آباءهم كانوا مسلمين ، وأن قلوبهم كانت مطمئنة بالايمان .... وذلك نظراً لشدة كتمان الوالدين ، ولان من عادة الصغير أنه لا يكتم السر غالبا .

وهكذا تحولت الاندلس الى دار كفر، ونشأت الاجيال على النصرانية ، ومحى اسم الاسلام من بلاد الاندلس، ولذلك ليس من السهولة أن نجد الآن أسرا مسلمة فى أسبانيا (٣) .

والواقع أن تحول الملايين الى النصرانية كان من بين أسبابه جهل الكثيرين بالاسلام وضعف جذوة الايمان فى قلوبهم، فآثروا السلامة، ولم يبذلوا مابذله والد المؤرخ الاندلسي الذي

---

(١) حاضر العالم الاسلامى ٢ / ٢٤ - ٢٦

(٢) محاكم التفتيش ص/ ٩٠ - ٩١

(٣) التاريخ الاندلسي ص/ ٥٦٩

ذكرنا قصته ، لأن هذا قد يوقعهم في المخاطر .

كما أن الكثير من هؤلاء تيسرت لهم أسباب الهجرة فلم يهاجروا ، وفضّلوا فراق دينهم على فراق أوطانهم [١] .

وقد ذكرنا في بداية حديثنا عن التقية أن من تيسرت له أسباب الهجرة من دار الكفر لا يجوز له أن يبقى فيها مادام عاجزاً عن إظهار دينه .

وهؤلاء اضطرهم الكفار الى المشاركة بكل أعمال الكفر بما فيها التجسس على إخوانهم وارسال أبنائهم ليتربوا على الكفر في مدارس النصارى .

وهذه أعمال لا يجوز للمسلم أن يُقدم عليها بدعوى التقية لأنها تنافي اطمئنان القلب بالايمان وتؤدي الى الانسلاخ من الدين .

أما المقهورون الذين مُنعوا من الهجرة فهم معذورون أمام الله سبحانه ماداموا قد بذلوا كل مافي وسعهم للمحافظة على دين أبنائهم ، ولكن التيار الكاسح كان أقوى منهم .

---

(١) حاضر العالم الاسلامي ٢ / ١٤

المبحث الثاني
إكراه مسلمي الاتحاد السوفيتي على الكفر واستخدامهم التقية

يتكون الاتحاد السوفيتى اليوم من مناطق كانت تسعة أعشارها اسلامية، ولم تكن روسيا إلا دولية محدودة المساحة تقع فى الركن الشمالى الشرقى من أوربا، ثم أخذت تتسع حتى بلغت خمسة عشر ضعفاً من حجمها الأول .

ولقد سيطر الروس على الاقاليم الاسلامية التى تزيد فى مساحتها عن القارة الاوربية كلها عدة مرات .(١)

وقد كانت هذه الاقاليم تسمى بلاد ماوراء النهر، حيث ابتدأ دخولها فى الاسلام منذ أواخر عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وتوالى انتشار الاسلام فيها فى عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه الى أن تم فتحها على يد قتيبة بن مسلم سنة ٨٦ هـ ثم دخل كثير من أهل البلغار وتركستان فى الاسلام على أيدى التجار المسلمين فى القرن الثالث الهجرى .

وفى القرن السابع الهجرى ظهر التتار واجتاحوا العالم الاسلامى، وما لبثوا أن تحولوا الى الاسلام وبذلك تحولت كل الاراضى الواقعة اليوم فى الاتحاد السوفيتى الى الحكم الاسلامى .(٢)

ثم استولت روسيا القيصرية على كثير من المناطق الاسلامية فى أواسط القرن العاشر الهجرى وطُرد المسلمون من المدن المهمة وبدأ الاستعمار الروسي يشن الهجمات الشرسة على المسلمين ويحتل مناطق التتار المسلمين واحدة واحدة ويفرض عليهم التحول الى المسيحية أو الهجرة من اراضيهم (٣)

---

(١) الاسلام فى وجه الزحف الاحمر- للشيخ محمد الغزالي -ص/١٠٧-١٠٨ ، المختار الاسلامى-القاهرة الطبعة السادسة ١٣٩٦ هـ .

(٢) المسلمون فى الاتحاد السوفيتى - للدكتور محمد علي البار ١/ ٢٧-٢٨ ، دار الشروق بجدة الطبعة الاولى - ١٤٠٣ هـ .

(٣) المرجع السابق ١/ ٤٣-٤٤

وقد اضطر كثير من المسلمين للتظاهر بالنصرانية بسبب ماشهد و من الاضطهاد والوحشية ولكن ما ان أتيحت لهم بعض الحرية عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥م) حتى ظهروا على حقيقتهم مسلمين محافظين على إسلامهم فى السر مدى ثلاثة قرون [١] .

وعاد الاضطهاد الروسى للمسلمين على أشده، وقامت ثورات عارمة فى تركستان، ولكن قوات القيصر واجهتها بكل قسوة وأبادت قرى بكاملها، وقبائل بجميع أفرادها .

ولما قامت الثورة الشيوعية عام ١٣٣٦ هـ (١٩١٧) وواجه لينين حرباً شرسة من قوات روسيا القيصرية، لم يجد أمامه الا الاستعانة بالمسلمين الذين يشكلون عدداً كبيراً يزيد على خمس وثلاثين مليوناً [٢] .

وعندئذ توجه لينين بالنداءات المتكررة الى المسلمين يعدهم فيها بالاستقلال التام واحترام دينهم وشريعتهم ، وكان مما جاء فى أول بيان أصدره لينين الى المسلمين بعد شهر من ثورته عام ١٩١٧ م مايلى :

(يامسلمى روسيا، يامسلمى الشرق، أيها الرفاق، أيها الاخوة :

ثوروا من اجل دينكم وقرآنكم وحريتكم فى العبادة ... إننا هنا نعلن احترامنا لدينكم ومساجدكم .. وان عاداتكم وتقاليدكم حرة لا يمكن المساس بها ... واعلموا أن جميع حقوقكم الدينية والمدنية مصونة بقوة الثورة) [٣]

وقام لينين بتسليم مصحف عثمان الذى كان فى حوزة القياصرة الى ممثلى مسلمى روسيا فى مؤتمر عام، وكذلك سلمهم مجموعة كبيرة من الوثائق التاريخية .

ونجحت مكيدة لينين حتى وصلت دعايته الى درجة الزعم بأن نظامه البلشفى يقوم على مبادىء القرآن وشريعة الاسلام ، ووقف كثير من مسلمى روسيا فى صفه! [٤]

ثم ظهرت حقيقته واتضحت أكاذيبه بعد أن تمكن وسيطر ، حيث قام بحروب إبادة للمسلمين أشد عتواً وجبروتاً وعنفاً من القياصرة، وأقام مذبحة القرم ونشر المجاعة فى ربوعها حتى

---

(١) المرجع السابق ١/٤٣ - ٤٤

(٢) (٤) المرجع السابق ١/٢٢ - ٢٣

أكل المسلمون الكلاب والقطط ثم أكلوا موتاهـــم !!(١)

وقام الجيش الاحمر بمهمته على شر وجه ، وقضى قرابة ثلاث سنين سوداء وهو يحصد البلاد والأقاليم الاسلامية من شاطئ المحيط الهادى الى جبال أورال .(٢)

وسلكت الشيوعية طرقاً وحشية لاضطهاد المسلمين ، ومحو معالم دينهم ومدنيتهم ، فقاموا بإبادة جماعية لمئات الآلاف ، ونفي شعوب اسلامية بكاملها الى مجاهل سيبريا ليحل محلهم الروس ، وهدموا المساجد وأقفلوا المدارس الدينية وحولوها الى أماكن للهو ومتاحف وحانات وغير ذلك ، وأحرقوا المصاحف الكريمة فى الميادين العامة .

أما علماء الاسلام فقد عانوا من وحشية الروس أشد العناء فقُتل الكثيرون منهم وحُكم على بعضهم بالأشغال الشاقة المؤبدة واضطُهدوا وأُرغموا على الكفر .

هذا الى جانب نهب البلاد الاسلامية ونقل ثروتها الى مقاطعات أخرى وتمزيق أوصالها بالمنازعات المصطنعة واثارة النعرات القومية بين أبنائها(٣) .

استخــدام هــؤلاء المسلمين للتقيـــة :

قاوم المسلمون فى تركستان وأذربيجان وبخارى وسمرقند وخوارزم .... وغيرها مـــن الولايات الاسلامية ، أشد المقاومة ، وثاروا فى وجه لينين وعصابته ، ولكن هذه الولايات سقطت واحدة تلو الاخرى وتعرض المسلمون فيها لأشد أنواع الايذاء والقهر والتصفية الجسدية .

وقامت الحملات الشيوعية المكثفة على مدى ستين عاماً أو تزيد على اقهار المسلميـــن واجبارهم على التخلي عن دينهم ، وايجاد أجيال من ذرارى المسلمين ضائعة تائهـــة أو كافرة ملحدة وحولت الشيوعية اكثر من ثلاثين ألف مسجد الى دور لهو واصطبلات ، كمـــا قتلت ملايين المسلمين .(٤)

---

(١) المرجع السابق ١/ ٢٥

(٢) الاسلام فى وجه الزحف الاحمر ص/ ١٢٨

(٣) راجع الاحصائيات التى ذكرها الشيخ محمد الغزالى فى كتابه : الاسلام فى وجـــه الزحف الاحمر ص/ ١٣٦ - ١٤٠ .

(٤) الشيوعية والاسلام - أحمد عبد الغفور عطار - ص/١١٨ - ١١٩ ، دار الاندلس الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٠ هـ .

ولكن الشيوعيين الروس عجزوا مع كل هذه الوحشية عن محو الاسلام وابادة أهله ،فعندما وجد المسلمون أنه لم يعد بمقدورهم أن يقاوموا هذا السيل العاتي ، التزموا التقية وتظاهروا بموافقة الشيوعيين وأسرُّوا عباداتهم وشعائرهم .

ولكن كثيراً من الاجيال التى نشأت فى ظل الشيوعية لم تكن تعرف عن تقية الآباء شيئاً وقد تربت على الالحاد ولم تعرف عن الاسلام الا الصورة المشوهه التى تلقتها من المدارس الشيوعية .

ومع كل هذا لا يزال الملايين من أبناء المسلمين فى الاتحاد السوفيتى الى اليوم يعتنقون الاسلام سراً ، بل إنهم فى بعض الولايات السوفتية يقومون بأداء شعائرهم جهراً .(١)

وقد ذكرت صحيفة الرياض أن المسلمين السوفيات يشكلون حاليا ١٦٪ من عدد السكان فى الاتحاد السوفيتى ، وأن هؤلاء يتمسكون بشخصيتهم الاسلامية بالرغم من تعايشهم مع الروس، وانهم لا يزالون يحافظون على عقيدتهم الاسلامية بالرغم من الضغوط الشديدة التى تعرضوا لها ، وأن هذه الظاهرة جعلت قادة الكرملين يقلقون .(٢)

ويبرز هنا سؤال مهم : لماذا انعدم الوجود الاسلامي فى الاندلس ولم ينعدم فى الاتحاد السوفيتى ؟

لماذا انعدم الوجود الاسلامى فى الاندلس عندما أُكره أهلها على الكفر ولم ينعدم فى الاتحاد السوفيتى مع أن الاكراه على الكفر لا يزال قائماً فيه الى الان ؟

ولماذا تحولت الذرارى من أبناء المسلمين فى الاندلس الى الكفر وبقى كثير من الذرارى من أبناء المسلمين فى الولايات السوفيتية متمسكة باسلامها رغم أن بطش الشيوعيين لا يقل عن بطش الصليبيين بل قد يزيد ؟

---

(١) راجع ماذكره الشيخ محمد صفوت السقا عن رحلته التي قام بها مع وفد رابطة العالم الاسلامى الى الاتحاد السوفيتى عام (١٩٧٤ م) وسجلها فى كتاب سماه : (المسلمون فى الاتحاد السوفيتى) .

(٢) صحيفة الرياض - العدد / ٤٩٢٣ -صفحة / ١٧ - الاثنين ٨/ ١١/ ١٤٠١ هـ.

إن هذه الظاهرة جديرة بالانتباه ، ونرى أن هناك عدة عوامل فى وجودها :

١ ـ الاضطهاد الذى عانى منه المسلمون السوفيت فى العهد القيصري والتحدي الذى كانوا يواجهونه من هؤلاء ، كان له أثر كبير فى زيادة تمسكهم بالاسلام ودفاعهم عنه ، كما كان له أكبر الاثر فى تعودهم على الصبر والثبات والبذل والتضحية ، وهذا ما أكسبهم قوة وتحملاً .

أما المسلمون فى الاندلس فقد كانوا فى طمأنينة وراحة ، بل كان بعضهم مشغولاً بدنياه وترفه ، ولذلك تمكن العدو من تحقيق مآربه وتحطيم الوجود الاسلامى فى الاندلس .

أضف الى ذلك ما كان يفعله أمراء الاندلس من تعاونهم مع الاسبان للقضاء على إخوانهم فى أمارات أخرى ، وهذه الخيانة للاسلام وأهله أدت الى تقوية الاعداء فى بلاد المسلمين ، وتحكمهم فى رقابهم .

٢ ـ الثورة الشيوعية لم يمض عليها قرن ، أما مذابح المسلمين فى الاندلس فقد مضى عليها مايزيد على خمسة قرون ، وهذا الفارق الزمنى له أثر كبير إذ ان الاندلس قد تعاقب عليها أجيال كثيرة ، وكل جيل يبتعد عن الاسلام اكثر فأكثر ، ولم يعد هناك أى صلة بين الجيل المضطهد الذى استخدم التقية لاخفاء إسلامه وبين الاجيال التالية التى نشأت على الكفر ، مع أن المسلمين هناك استمروا فى المقاومة مايزيد على القرن .

أما فى الاتحاد السوفيتى فان الجيل الحالى هو الذى شهد أباؤه عهد الاضطهاد، واضطروا لاستخدام التقية وكتمان اسلامهم ، ولذلك لم تنقطع الصلة بين جيل التقية والجيل الناشئ ، ولا يزال الابناء على علم بما جرى لآبائهم ، ولا يزال كثير من الاباء يتعهدون أبناءهم بالتربية الاسلامية سراً كما كان يحصل فى الاندلس فى جيل الاضطهاد ولو استمر الوضع فى الاتحاد السوفيتى على ما هو عليه الان ـ لا قدَّر الله ـ فقد تنسى الأجيال المتعاقبة ماحصل لأجدادهم وتتخلى عن دينها ، ولكن المبشرات تؤكد يقظة المسلمين هناك وتمسكهم بدينهم رغم الشدائد والارهاب .

٣ - كثرة عدد المسلمين فى الولايات السوفيتية قبل الثورة الشيوعية ، واتساع بلادهم وهذا ما جعلهم فى منعة ، ولم يقدر العدو مع كل بطشه على إبادتهم عن بكرة أبيهم أو تهجيرهم بالكامل ، بينما كان عدد المسلمين فى الاندلس قليلاً ، ولذلك تمكن الاسبان من ابادة الوجود الاسلامى بالكامل فى الاندلس .

٤ - ولعل من بين الاسباب وجود فترات هدوء نسبية فى اضطهاد المسلمين فى الاتحاد السوفيتى، وكان ذلك بسبب ما يتعرض له الحكم الشيوعى من هزات خارجية تضطره لتخفيف الوطأة عن المسلمين فى الداخل ، ومن بين ذلك ما قام به ستالين من مهادنة المسلمين فى الحرب العالمية الثانية بعد أن تهاوت معاقله أمام زحف هتلر واضطر الى الاستعانه بعلماء المسلمين ورجال الدين المسيحى لايقاظ الروح القتالية ضد النازية .(١)

نعود نقول : إن مسلمى الاتحاد السوفيتى مع ما تعرضوا له من البطش والارهاب فانهم لا يزالون يحتفظون بوجودهم ، ولا يزال كثير منهم يستخدمون التقية مع اطمئنان قلوبهم بالايمان ولعل الجهاد الاسلامى فى افغانستان ، والذى كسر شوكة الشيوعيين وأذلّهم ، يكون دافعاً الى زيادة تمسك المسلمين السوفيت بإسلامهم وترقبهم لليوم الذى يزول فيه كابوس الظلم عنهم ، وما ذلك على الله بعزيز .

---

(١) المسلمون فى الاتحاد السوفيتى للدكتور البار ١٣٥/١

المبحث الثالث

واقع التقية في المجتمع الإسلامي المعاصر

اذا كان المسلمون فى الاندلس أو الاتحاد السوفيتي أو بعض البلاد الاسلامية قد يمأ وحديثاً قد استخدموا التقية مضطرين الى ذلك لما نالهم من إكراه وماتعرضوا له من إيذاء وابتلاء ، فإن كثيراً من المسلمين اليوم أخذوا يتمسكون بالتقية بلا ضرورة ولا إكراه ، وانما ليدفعوا عن أنفسهم الحرج وليناولوا المنافع ويحققوا المصالح ، وهذا مانراه فى بعض المجتمعات الاسلامية التى تحكمها العلمانية الجاهلية .

لقد تحولت التقية فى هذه المجتمعات الاسلاميه من رخصة فردية الى عمل جماعى يقوم به الملايين من المسلمين بمجرد أن يلحوا الضرر أو يتوقعوا تفويت مصالحهم ، فيذلون أمام أعداء الاسلام المتسلطين عليهم ويرضون بالخنوع بحجة التقية ضمان السلامة والنجاة من المخاطر .

ولم يقتصر الامر على ذلك بل إن بعض من ينتسب للاسلام فى هذه المجتمعات يقومون بمدّ يد العون للظالم حتى يزداد فى ظلمه ، ويوالون الكفار بقلوبهم ، ويناصرونهم ويكشفون لهم عن أسرار المسلمين ويزعمون أن هذا كله جائز لهم تقية ليأمنوا على حياتهم .

ولقد أعجب الأعداء بهذا الخنوع وهذه الذِلة فشجعوا على توسعتها وتأكيدها بالمفاهيم الخاطئة التى تدعو الى الحرص على استبقاء النفس وعدم الالقاء بها الى التهلكة .(١)

والله سبحانه لا يمنح العزة لعباده المؤمنين الا اذا كانوا يوالون إخوانهم ويعادون أعداءهم ولا يميلون إليهم بقلوبهم بأي حُب أو ولاء .

أما حينما يسارعون الى حب الدنيا ونيل حظوظهم منها ولو على حساب عقيدتهم فيداهنون وينافقون ليحصلوا على المكاسب الشخصية فإنهم عندئذ غثاء لا قيمة لهم ولا اثر لوجودهم مهما كان عددهم كبيرا وهذا ماأخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وصوّره أدق تصوير .

---

(١) راجع ماذكرناه من تصحيح المعنى الخاطىء لقوله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) ص / ٢٢٨ من هذا البحث

فقد روى ابوداود عن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يوشك الامم ان تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ،فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال بل انتم يومئذ كثيرولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن . فقال قائل : يارسول الله وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت)[1]

قال الامام الخطابي : (تداعي الامم اجتماعها ودعاء بعضها بعضاً حتى تصير العرب بين الأمم كقصعة بين الأكلة مُحاطاً بها من كل جانب)[2]

وهذه الصورة التى وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم تمثّل واقع المسلمين منذ عدة قرون ،حيث تداعى عليهم الاعداء من كل جانب وأحاطوا بهم إحاطه السوار بالمعصم واجتمعوا حولهم كاجتماع الاكلة حول الطعام يقطعونهم إرباً إرباً ، والمسلمون واجمون لا يُبدون أي حراك لأن الرعب قد أخرسهم .

يقول الشيخ أحمد محمد شاكر :

(إن الذى أضعف المسلمين فى القرون الاخيرة أنْ أحجم علماؤهم وزعماؤهم وقادتهم عن الضرب على أيدي الظالمين ، وعن كلمة الحق فى مواطن الصدق ، فتهافت الناس وضعفت قلوبهم ، ومُلئوا رعباً من عدوهم ، فكانوا لاغناء لهم ، وكانوا غثاء كغثاء السيل ، ولم يكن كذلك سلفهم الصالح : كانوا يتعرضون لصنوف البلاء ، وأشد الايذاء فى سبيل الله ثم لا يجبنون ولا ينكصون ، وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ،ثم تاريخ الاسلام ،أكبر شاهد لما نقول)[3] .

---

(١) رواه أبوداود في سننه ٤/٤٨٣ رقم ٤٢٩٧ في الملاحم ،باب فى تداعي الامم على الاسلام ورواه الامام احمد في مسنده ٥/٢٧٨ وسند الامام ابى داود فيه ابوعبد الله صالح بن رستم الهاشمى وهو مجهول ، ولكن رواه الامام أحمد من طريق آخر وسنده قوي كما قال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط . (راجع : حاشية جامع الاصول ١٠/٢٨)

(٢) بذل المجهود فى شرح سنن ابى داود ١٧/٢١٢

(٣) من تعليق الشيخ أحمد شاكر على دائرة المعارف الاسلامية ـ مادة (التعية) ــ ج ١٠/٨

ان الذى تغير فى نفوس كثير من المسلمين هو ضعف الوازع الدينى ، والغفلة عن اليوم الاخر ، ولذلك صار حبهم للدنيا ومكاسبها هو شغلهم الشاغل ، ومن تعلق بحب الدنيا يصعب عليه كل مافيه تفويت لمصالحه الدنيوية ، وهكذا صار كثير ممن ينتسب الى الاسلام اليوم يبيعون دينهم بعَرض من الدنيا قليل ، ودينار عندهم خير من عبادة ربهم .

فكيف يُرجى من أمثال هؤلاء ان يصبروا عند الابتلاء ويبذلوا نفوسهم فى سبيل الله ؟

ان هؤلاء على استعداد ان يتحملوا الذل والضيم والهوان وكل أشكال الاستعباد والقهر ليسلموا على أموالهم ودنياهم ولو تهدَّم صرح الاسلام !

ومع كثرة هذا النوع من المسلمين الذين شغلهم حب الدنيا ونفروا من ذكر الموت فإننا نشهد تباشير صحوة إسلامية مباركة تظهر فى كثير من بلاد المسلمين ، وخاصة فى فلسطين وأفغانستان حيث صحا المسلمون من غفوتهم وبدأوا يتحررون من الجبن والخوف وكراهية الموت ، وسارعوا الى التمسك بالتقوى ونبذ التقية . . . وهؤلاء هم أمل الأمة ورجاؤها .

واذا مانهضت الامة الاسلامية من جديد فإن الله سبحانه سيحقق لها العز والتمكين وهذا هو وعد الله للمؤمنين من هذه الأمة :

قال تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئا) .(١)

---

(١) سورة النور / آية ٥٥

الباب الثاني

التقية عند الشيعة

وفيه سبعة فصول :

الفصل الأول : التعريف بالشيعة ومجمل عقائدهم

الفصل الثاني : مفهوم التقية وأدلتها وأحكامها عند الشيعة الإمامية

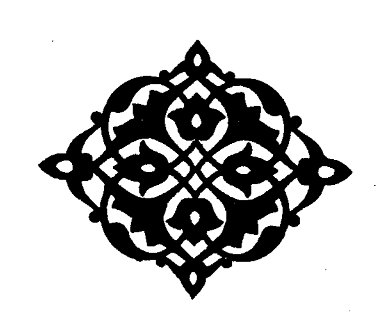
الفصل الثالث : تمسكهم بالتقية في إخفاء عقائدهم المنحرفة

الفصل الرابع : تمسكهم بالتقية في مجالي الرواية والفقه

الفصل الخامس : مواقف تاريخية فسرها الشيعة الإمامية على أساس التقية

الفصل السادس : الآثار السيئة للتقية عند الشيعة

الفصل السابع : التقية عند الشيعة الباطنية



توطئة

الحديث عن فرقه من الفرق ، والبحث في عقيده من عقائدها .. يعد من أصعب الامور على الباحث الذى ينبغي له أن يحكم على الأمور بدقة ونزاهة وموضوعيه .

ولقد مُني المسلمون منذ فجر تاريخهم بالأعداء المتربصين من كل جانب ، ومعاول الهدم التى كانت تحاول أن تقتطع من جسم الأمه من يشذ عنها، ولذلك وُجدت بعض الفرق المنحرفه عن المسار الاسلامي ، ثم تشعبت من هذه الفرق فرق أخرى وصار لكل منها آراء وعقائد تميزها .

والذي ينظر في كتب الفرق ، ويرى كثرة ماحوت من فرق واتجاهات، قد يخيل إليه أن هذه الامه قد تمزقت أشلاء وأحزاباً ، وأن الاختلاف بين أفرادها وجماعاتها قد بلغ الغايه ، وهذا بالطبع غير صحيح ، بل لا يتفق والواقع الذى عاشته هذه الأمه ، إذ ان هذه الفرق لم تتعد في أكثر الأحيان دوائر ضيقة محدوده ، أما المجتمع الاسلامي العريض فقد ظل متماسكاً ، وظلت الجماعه المسلمه ملتفّة حول كتاب ربها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم تشتغل بنشر الدعوه الاسلاميه اشتغالا يستأثر بجهودها العقليه والجسميه ، حتى انتشر الاسلام في أرجاء الارض، واستطاعت في أقل من ربع قرن من الزمان أن تقيم حضارة اسلاميه كان لها ـ ولا يزال ـ الأثر الكبير في مسار البشريه وتاريخ الانسانيه . (١)

ومهما يكن فالحديث عن فرقه من الفرق ، وخاصة الشيعه التي هي من أكثر الفرق انتشاراً ، حديث له أهميته البالغه ، ليتمكن القارئ من معرفة هذا الجانب الخفي الذي استغله المستشرقون وشوّهوا عن طريقه الصورة المشرقة لتاريخ المسلمين ، وتبعهم بعض المستأجَرين والمستغفَلين من أبناء المسلمين الذين أتخموا المكتبة الاسلاميه بكتبهم المسمومة ، مما جعل المسلم الغيور يقف حائراً متسائلاً :

أين الصورة الحقيقيه لتاريخ أسلافنا بعيداً عن تشويهات المشوّهين وتهويلات المهوّلين وافتراءات المفترين ؟!

ولذلك كان لزاماً على الباحثين في شتى أقسام العلوم الاسلاميه أن يبذلوا جهدهم ليميطوا اللثام عن هذا الجانب المهم، كلٌ حسب اختصاصه .

ولعل هذه الصفحات ـ التي هي جهد متواضع ـ تحقق بعض مايتطلع إليه القراء في هذا المجال .

---

(١) دراسه عن الفرق في تاريخ المسلمين/ للدكتور أحمد محمد جلي ص/٥-٦،ط١ ١٤٠٦هـ

الفصل الأول
التعريف بالشيعة ومجمل عقائدهم

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : نشأة الشيعة وفرقهم

ـ معنى كلمة شيعة

ـ بداية التشيع

ـ فرق الشيعة

المبحث الثانى : الزيدية

ـ نبذة تاريخية

ـ عقائد الزيدية

ـ هل الزيدية من الشيعة؟

ـ موقف الزيدية من التقية

المبحث الثالث : الامامية الاثنا عشرية (الرافضة)

ـ التعريف بهم

ـ سبب تسميتهم بالرافضة

ـ مجمل عقائدهم

ـ مصادرهم فى الروايات

ـ أبرز الدول الشيعية عبر التاريخ

المبحث الأول
نشأة الشيعة وفرقهم

لابد لنا قبل أن نتحدث تفصيلياً عن التقية عند الشيعة أن نعرض باختصار لنشأة التشيع وأشهر فرقهم وأبرز عقائدهم ليكون ذلك مدخلاً يعين القارئ على استيعاب موضوع البحث من جميع جوانبه .

ولا يخفى أن الحديث عن نشأة الشيعه وافتراقهم الى فرق متعدده قد أشبعه الكتّاب المعاصرون بحثاً ودراسة ولذلك سنكتفي هنا باشارات موجزة ولمحات سريعة. ولنبدأ بتعريف مدلول كلمة (الشيعة) لغة واصطلاحا :

معنى كلمة (الشيعة) :

شيعة الرجل أتباعه وأنصاره وأعوانه ، وكل من عاون إنساناً وتحزّب له فهو له شيعة (١) هذا هو معنى الكلمة فى اللغة .

ولقد أصبحت هذه الكلمه مصطلحاً فى تاريخ الاسلام للدلالة على فرقه لها عقائد خاصة .

يقول أحد علمائهم :

(التشيع فى أصل اللغه هو الاتّباع على وجه التدين والولاء للمتبوع على الاخلاص .

وهو على التخصيص لا محاله لاتباع أمير المؤمنين صلوات الله عليه على سبيل الولاء والاعتقاد بإمامته بعد الرسول صلى الله عليه وسلم بلا فصل ، ونفي الإمامة عمن تقدمه فى مقام الخلافه) (٢)

أما علماء أهل السنة فلهم تعريفات عديده فى تحديد معنى التشيع نختار منها تعريف الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) الذي يقول فيه :

(الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضى الله عنه على الخصوص، فقالوا بامامته وخلافته نصاً ووصايه إما جلياً وإما خفياً ، واعتقدوا أن الامامه لاتخرج من أولاده ، وان خرجت فبظلم يكون من غيره ، أو بتقية من عنده) (٣)

---

(١) لسان العرب ٨/١٨٨

(٢) أوائل المقالات فى المذاهب والمختارات ـ لمحمد بن النعمان المفيد ص/٢-٣ طبع تبريز

(٣) الملل والنحل ـ لابى الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني ـ ١/١٤٦ ـ تحقيق : محمد سيد كيلاني ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٤٠٠هـ

ويبد وأن هذا التعريف لمصطلح الشيعة من أوفى التعريفات، وتدخل تحته فرق الشيعة المتعددة حيث يشتمل على عدة جوانب أبرزها :

١- مناصرة على بن أبى طالب رضى الله عنه .

٢- وجوب إمامته وخلافته بعد الرسول صلى الله عليه وسلم .

٣- أن هذه الامامه تثبت بالنص الجلي الظاهر، أو النص الخفي كما يقول بعضهم.

٤- وجوب بقاء الإمامة فى نسل علي رضى الله عنه .

٥- نسبة الظلم لسائر من تولى الخلافة أو حَكَم المسلمين من غير الأئمة من ذريته ، وأن سكوت علي رضي الله عنه وذريته عن المطالبة بالخلافة لم يكن عن رضى منهم، وانما كان تقيـــة.

وهكذا فالتشيع اصطلاحا أساسه الاعتقاد بأن علياً وذريته أحق الناس بالخلافة ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم نص عليه، وعهد بها إليه (١)

بداية التشيع:

يؤكد علماء الشيعة على أن بدء التشيع كان في زمن النبى صلى الله عليه وسلـم ، وأن بذرة التشيع وُضعت مع بذرة الاسلام جنباً إلى جنب، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كـــان يتعاهدها بالسقي والعناية حتى نمت وازدهرت فى حياته ثم أثمرت بعد وفاته ، وأنه هـــو الذى دعا إلى حب علي وولائه (٢)

ويستدل هؤلاء بما نسبوه للرسول صلى الله عليه وسلم من روايات توصي لعلي بالخلافـــة من بعده وتنص عليه بالامامه وتؤكد على الولاء له. وكل هذه الروايات باطلة لا يصح منها شئ عند أهل السنه، ولكن الشيعة بقولهم هذا يحاولون أن يربطوا عقائدهم وآراءهم بأصل نشـأة الاسلام ليضفوا عليها الشرعيه ويُبعدوا عنها تهمة التأثر بالعقائد والأديان الاخرى. وهناك آراء أخرى فى تحديد بداية التشيع كالقول بأنه ظهر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، أو بعد مقتل عثمان رضى الله عنه أو بعد قضية التحكيم فى معركة صفين أو بعد مقتل الحسين رضى الله عنه (٣)

---

(١) دراسات في الفرق والعقائد الاسلاميه - د. عرفان عبد الحميد - ص٢٣ - مؤسســـة - بيروت - ١٤٠٤هـ.

(٢) راجع: أصل الشيعه وأصولها لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء - ص/ ٥٣ - وكتاب الشيعه فى الميزان لمحمد جواد مغنيه ص/ ١٧ الطبعه الرابعه - بيروت - ١٣٩٩هـ، وكتاب: تاريخ الشيعه لمحمد حسين المظفري ص/ ٨-٩ طبع قم.

(٣) راجع تفصيل هذه الأقوال ومناقشتها فى كتاب: دراسه عن الفرق فى تاريخ المسلمـين للدكتور أحمد محمد جلي ص/ ٨٨-١٠١ - نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسـات =

والواقع أنه لابد من التمييز بين التشيع بمعناه اللغوي، وهو مناصرة الامام علي رضي الله عنه والتشيع بمعناه الاصطلاحي كعقيدة وفكرة لها طابعها الخاص وتخص فرقة بعينها .

حيث كانت كلمة شيعة تستخدم ولفترة طويلة في مدلولها اللغوي العام للاشارة الى أتباع علي وأعوانه ، وربما كان من بين هؤلاء الأعوان جماعة من الصحابة أنفسهم ، ولكن لم يكونوا يفضلونه على أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، كما لم يدر بخلد أحدهم شئ مما أوجدته فرقة الشيعة من عقائد وآراء.ولقد اتخذ بعض المندسّين من حب علي رضى الله عنه ستاراً حرّكوا من ورائه الفتن ، وأثاروا من خلفه عقائد باطلة ، أنكرها علي رضى الله عنه نفسه ، كتأليهه والقول برجعته ، وتمثل تلك الجماعات ، وما نادت به من آراء ،البذور الاولى للحركة الشيعية فى صورها المختلفة .

وسرعان ما نمت هذه البذور وترعرعت وبدت فى صورة مذاهب عديدة (١)

والواقع أن ماحصل من خلافات فى عهد الصحابة رضى الله عنهم لم يكن ليترك ذلك الاثر لولا تدخل الأيادي الخفية الحاقدة على الاسلام .

ويظهر هذا جليا فى المؤامرة التى دُبِّرت لقتل عثمان رضى الله عنه صبراً فى بيته من قِبل بعض الغوغاء بتحريك تلك الأيدي الخفية (٢)

كما يظهر ذلك فى حرب الجمل حيث التقى طلحة والزبير رضى الله عنهما مع عثمان ابن حنيف عامل علي رضى الله عنه على البصرة ، وكتبوا بينهم أن يكفُّوا عن القتال وبعث علي رضى الله عنه بالصحابي القعقاع بن عمرو للصلح واطمأنت النفوس ، وأدرك قتلة عثمان

= الاسلاميه ـ ط ١٤٠٦ وكتاب :دراسات فى الفرق والعقائد الاسلاميه للدكتور عرفان عبد الحميد ـ ص/ ٢٥ ـ ٢٨ .

(١) دراسة عن الفرق للدكتور جلي ص/ ٩٩ ـ ١٠٠

(٢) راجع: العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ـ للامام القاضي أبي بكر بن العربي (ت٥٤٣) ـ تحقيق العلامة محب الدين الخطيب ـ دار الكتب السلفيه بالقاهرة،الطبعة الاولى ـ ١٤٠٥ هـ راجع الصفحات / ١١٩ ـ ١٤٣ .

أن الخطر سيحدق بهم وسيكشف أمرهم ففدوا مع الفلس وبدأوا يرمون السهام ويريقون الدماء فظنَّ كل فريق أن الفريق الآخر قد غدر به، وهكذا أنشبوا المعركة بينهما وتحقق لهم مايريدون (١)

وكذلك في صفين نجد الأيدي الخفيه عندما رأت كفة القتال قد رجحت لصالح علي رضى الله عنه دبّروا فتنة رفع المصاحف، وقام آخرون من المستغلين لهذه الفتنة في جيش علي فطالبوا علياً بقبول التحكيم وهدّدوه إذا لم يقبل، فلما قبل قالوا له : كيف قبلت. تب من كفرك. وانقسم جيش علي رضى الله عنه إلى قسمين نتيجة لذلك، قسم معه وقسم خرج عليه وهم الخوارج (٢)، واستغل مثيرو الفتن من الأيدى الخفيه دعوى محبة علي رضى الله عنه وموالاته وبدأوا ينشرون الغلو وينادون به، وكان على رأس أولئك اليهودي عبدالله بن سبأ الذي يقول عنه الكشي - وهو من أبرز علماء الشيعه القدامى - في كتابه المعروف برجال الكشي : (أنه كان يهودياً فأسلم ووالى علياً عليه السلام، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بالغلو، فقال في إسلامه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في علي عليه السلام مثل ذلك، وكان أول من شُهر بالقول بفرض امامة علي وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه وأكفرهم) (٣)

وهكذا ظهرت قضية الامامة كمحور رئيسي للخلاف، وبدأت الشقة تتسع بين الخوارج الذين خرجوا على علي رضى الله عنه، وبين الموالين له ممن غلو في حبه.

ولكن هؤلاء الموالين لعلي رضى الله عنه لم يكونوا شيعه بالمعنى الاصطلاحي لهذه الكلمه، لان التشيع اتخذ أطواراً مختلفه، ومر بمراحل عديده، فقد كان لكل عصر نوع من

---

(١) راجع: العواصم من القواصم لابن العربي ص/ ١٥٦ - ١٦٠ مع تعليقات محب الدين الخطيب.

(٢) راجع: دراسات في الفرق للدكتور عرفان ص/ ٩٤ - ٩٧

(٣) اختيار معرفة الرجال - المعروف برجال الكشي - تهذيب أبي جعفر الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) - ص / ١٠٨ بتعليق حسن المصطفوي

التشيع، ولكل طائفه شيعيه لون من التشيع، ولقد كان الشيعي الغالي فى زمن السلف هو من يتكلم فى عثمان وطلحه ومعاويه ويتعرض لسبّهم وان كان يوالي الشيخين ، ثم أصبح الشيعي الغالي هو من يتبرأ من الشيخين[١]، ثم زاد الامر سوءاً على مر القرون فأصبح هذا الغلو سمه للشيعه الاماميه، وجاء غلو أشد اتصف به الشيعه الباطنيه .

وهناك من يرى أن هشام بن الحكم (ت ١٩٠ هـ) هو أول من ابتدع القول فى الامامه وأن عقائد الشيعة بدأت تتبلور فى عصره ولم يكن أحد قبل ذلك يذكر أن النص فى (على) جلي ، ولا في ذريته من الأئمه ، ولا غير ذلك من عقائد الشيعه. وبذلك يترجح أن المذهب الشيعي قد تكون فى هذه الفترة[٢] وأن الغلو الذى أبتدأه ابن سبأ في القول بأن علياً وصي الرسول صلى الله عليه وسلم أصبح فى عهد هشام بن الحكم عقيدة لعامة الشيعه ولجميع فرقهم .

فرق الشيعه :

الشيعه الاوائل الذين اقتصر تشيعهم على مناصرة علي رضى الله عنه وآل بيته ، وتفضيلهم على غيرهم ، اتفقوا على جعل الامامه بعد علي فى ولده الحسن ثم الحسين .

وبعد استشهاد الحسين حصل الخلاف بينهم فيمن تكون الامامه ؟

ففريق نقلها بعده الى أخيه محمد بن الحنفيه ثم أبنائه ، وهم الكيسانية

ومنهم من ساقها بعد الحسين الى ابنه علي زين العابدين ثم ابنه الباقر .

وكان للباقر أخ اسمه زيد بن علي انتسبت طائفه إليه وسُموا الزيدية .

وبعد الباقر ساق فريق الامامه الى جعفر الصادق ثم ابنه موسى الكاظم

وكان لجعفر ابن آخر اسمه اسماعيل ساق فريق إليه الامامه بعد جعفر وسموا الاسماعيليه واستمر الآخرون في سوق الامامه بعد موسى الكاظم فى أبنائه حتى قالوا بامامة اثني عشر إماما، وهؤلاء سُموا الاثنى عشريه والاماميه .

---

(١) ذكر ذلك الذهبي فى ميزان الاعتدال ١/٦ وهذا فى عصر الامام الذهبى الذى عاش فى القرن الثامن وتوفى سنة (٧٤٨ هـ)

(٢) راجع تفصيل ذلك فى كتاب: دراسات عن الفرق ـ لجلي ص/١٠٠

وهكذا أصبحت الفرق الشيعيه الرئيسيه هى :[١]

الكيسانيه ـ الزيديه ـ الاماميه ـ الاسماعيليه

ويذهب الشهرستاني إلى تقسيم فرق الشيعه الرئيسيه إلى خمس فرق،حيث يعد الغلاه فرقة خامسه[٢]،وكل فرقه من الفرق الخمسه تنقسم الى فرق يجد القارئ تفصيلها فى كتب الفرق والمقالات .

ـ أما الكيسانية[٣] فهم أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي ، وقد أخذ يدعو باسم محمد بن الحنفيه للثأر من قتلة الحسين ، ويسجع سجع الكهان ويدعي أنه يخبر عن المستقبل ،فلما علم بذلك محمد بن الحنفيه أعلن البراءه منه على الملأ من الأمه ، وقد أخذ المختار في محاربة قتلة الحسين حتى كان ذلك سبباً فى التفاف الشيعه حوله .

ويعتقد الكيسانيـــة بكثير من العقائد الغاليه كتناسخ الارواح والبداء وغير ذلك . .

ولم يبق للكيسانيه وجود مستقل،حيث انتقلت معظم عقائدها الى الفرق الغاليه الاخرى، وليس لها أتباع فى الأقاليم الاسلاميه،ولذلك يغفل كثير من الباحثين المعاصرين الحديث عنها ويقتصرون على الفرق الشيعيه الأخرى.[٤]

ـ وأما الاسماعيليه فهي الفرقة الباطنيه التي حوت عقائد السبئيه والغلاه الآخرين وزادت عليها،وهذه الفرقه يدخل ضمنها فرق أخرى عديده ، وسنفرد للباطنيه فصلاً خاصاً فى هذا الباب لنتعرف على عقائدهم وفرقهم وموقفهم من التقيه .

---

(١) راجع: التبصير فى الدين لابي المظفر الاسفرايني ص/ ٢٣ والفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ص/ ١٥

(٢) راجع: الملل والنحل للشهرستانى ١٧٣/١

(٣) راجع تفصيل ذلك فى كتاب: تاريخ المذاهب الاسلاميه لابي زهره ص/ ٤٤ـ ٤٧

(٤) وهذا مافعله مثلاً الدكتور عرفان عبدالحميد فى كتاب دراسات فى الفرق ص/ ٤٣ كما أن بعض علماء الشيعة المعاصرين يقتصرون فى تعريفهم بالشيعه على الفرق الثلاثه .

يقول محمد حسين المظفري : (كانت للشيعه فرق قبل عصر الصادق ـ ع ـ وبعده ، وقد ذهبت ذهاب أمس الدابر ، ولم يبق منها اليوم إلا ثلاث فرق :الاماميه ـ الزيديه ـ الاسماعيليه) =

وهكذا سنقتصر فى حديثنا فى البحث القادم والذى يليه على فرقتي الزيديه والاماميه لنتعرف على مجمل عقائد كل منهما ، وماذهبت اليه من آراء .

. . . .

= راجع: الامام الصادق ٤٧/١ الطبعه الثانيه - ١٣٦٩هـ - النجف.

المبحث الثاني
الزيـــدية

نبذه تاريخيه [١]

ينتسب الزيديه إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه، [٢] وقد خرج زيـــد على بني أميه فى عهد هشام بن عبد الملك (ت ١٢٥هـ)، وبويع له بالكوفه، وكان لزيـــد مكانته العلميه ومذهبه الفقهي، ولكنه كان يرى باجتهاد منه ضرورة الخروج على بني أميـه ولذلك خرج فى خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفه على والي العراق يوسف بن عمـــــر الثقفي.

فلما استمر القتال بينهما سمع من بعض أتباعه الطعن على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأنكر ذلك عليهم، فنفرت عنه طائفه فقال لهم: رفضتموني، فسُمي هؤلاء رافضه بسبب ذلك. [٣]

---

(١) ملخصاً من كتاب: دراسة عن الفرق لجلي ص/ ١٨١ - ١٨٤ ودراسة في الفـــرق لعرفان ص/ ٦٥ - ٦٦

(٢) ولد زيد رحمه الله سنة ٧٩هـ، وأقام بالكوفه ثم ذهب الى الشام فضيق عليه هشام ابن عبد الملك ثم عاد الى العراق ثم الى المدينه فلحق به أهل الكوفه يحرضونـــه على قتال الامويين ورجعوا به الى الكوفه سنة ١٢٠هـ حتى خرج على بنى أميـــه وقتل سنة ١٢٢هـ.
أثنى عليه علماء أهل السنه كثيرا، فقد قال الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٣٦ (كان ذا علم وجلالة وصلاح، هفا فخرج فاستشهد) وقال فى تاريخ الاسلام ٥/ ٧٥ (بدت منه هفوه فكانت سببا لرفع درجته عند الله) أى أن استشهاده كان تكفـــيرا لخطئه فى الاجتهاد الذى أدى به الى الخروج على بنى أميه.
راجع ترجمته فى: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٣٦ تاريخ الاسلام ٥/ ٧٥ الاعلام ٣/ ٥٩.

(٣) الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادى ص/ ٢٥ طبع بيروت ١٤٠٠هـ.

وبقي معه عدد قليل فقاتل حتى قُتل ، ودفن ليلاً عام ١٢٢ هـ، وبعده خرج ابنه يحيى ابن زيد في أيام الوليد بن يزيد بن عبدالملك فقتل عام (١٢٥ هـ).

ورغم ذلك فقد استمر الزيديه في الخروج ، فخرج محمد بن عبدالله بن الحسن بن علي المعروف (بالنفس الزكيه) ضد بني العباس فقتل في رمضان (١٤٥ هـ) كما خرج بعده أخوه ابراهيم فقتل في ذي القعده من العام نفسه ، وخرج آخرون غيرهم.

وقد استطاع أحد أئمة الزيديه ويسمى (الحسن بن زيد) أن يؤسس دوله زيديه في أرض الديلم عام (٢٥٠ هـ) واستطاع (الهادي إلى الحق يحي بن الحسين) أن يؤسس دوله أخرى في اليمن عام (٢٨٠ هـ) وقد استمرت دولة الزيديه في اليمن تصارع القرامطه الاسماعيليه حتى تغلّب الاسماعيليه على اليمن عام (٣٢٥ هـ).

وبعد حوالي ألف عام استرد الزيديه اليمن على يد الامام يحي بن منصور عام (١٣٢٢ هـ) واستمرت دولتهم حتى قامت الثورة اليمنيه ، ولكن لا زالت اليمن مركز ثقلهم حتى الآن.

عقائد الزيديه (١)

يعتبر الزيديه أكثر الشيعه اعتدالا وأقربهم إلى أهل السنه والجماعه ، ويمكن تلخيص عقائدهم فيما يأتي :

---

(١) راجع: نصرة مذاهب الزيديه للصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ) تحقيق الدكتور ناجي حسن وقد ذكر فصولاً عديده في عقائد الزيديه أبرزها :
فصل في بيان مذاهب الزيديه في أصول الامامه - ص/ ١٤٢
فصل في بيان الأوصاف التي يجب اجتماعها في الامام - ص/ ١٦١
فصل في أن الامام لا يجب أن يكون مأمون الباطن معصوما كالرسول صلى الله عليه وسلم - ص/ ١٦٤
فصل في الدلاله على فساد من يذهب الى أن الامامه لا تثبت الا بالنص الجلي ص/ ١٧
فصل في أن الامامه لا تستحق على وجه الارث - ص/ ١٨٣.
وراجع: تاريخ المذاهب الاسلاميه لابي زهره ص/ ٤٧ - ٥٢ ، دراسة عن الفرق لجلي ص/ ١٨٤ - ١٩٠ ، دراسات في الفرق لعرفان ص/ ٦٥ - ٦٦

١ - الامامه : يذهبون الى أن الامام الذي أوصى له النبي صلى الله عليه وسلم لم يعيّنه بالاسم بل عرّفه بالوصف، واشترطوا في الامام أن يكون فاطمياً - من ذرية فاطمه رضي الله عنها - هاشمياً ورعاً تقياً عالماً سخياً داعياً لنفسه، ولم يشترطوا فيه العصمه، ولم يعترفوا بمبدأ الوراثه المباشرة في الامامه ولم يوجبوا النص وانما قالوا ان الامامه تكون بالاختيار.

٢ - قالوا بشرعيه خلافة الشيخين أبي بكر وعمر ولم يعلنوا البراءه منهما وذلك تطبيقاً لقاعدة وضعوها وهي القول بجواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل، ولم يكفروا أحداً من الصحابه.

٣ - وقد نهج الزيديه في بعض العقائد منهج المعتزله فاعتقدوا أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار مالم يتب توبة نصوحا وقالوا بالأصول الخمسه.

وقد ذهب الشهرستاني إلى أن تلمذة زيد لواصل بن عطاء كان لها الاثر في اقتباسه الاعتزال من واصل،[1] وهذا القول مردود فالامام زيد من أئمة أهل السنه وليس معتزلياً ولا يصح نسبة ذلك إليه[2] ولو ثبت تأثر الزيديه بالاعتزال فهذا لا يعني أن زيداً كان كذلك. ويستثنى من الزيديه فرقة الجاروديه أتباع أبي الجارود زياد بن المنذر الكوفي (ت ١٥٠ أو ١٦٠ هـ) الذي وقع تحت تأثير الرافضة وقال بكثير من أقوالهم، وكان يضع الأحاديث في مثالب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويرفض خلافة الشيخين. ولكن الجاروديه وغيرها من الفرق الزيديه الغاليه انقرضت أو ذابت في فرق الشيعه الأخرى ولم يبق الا الزيديه المعتدله[3] الذين أشرنا الى عقائدهم.

وينسب الزيديه إلى إمامهم زيد كتاباً في الحديث اسمه (المجموع) ويعدونه الكتاب الاساسي في مدرستهم الفقهية وأبرز شروحه (الروض النضير) للحسين بن أحمد الخيمي.

---

(١) الملل والنحل ١/ ١٥٥

(٢) راجع تحقيق ذلك في كتاب: زيد بن علي وآراءه الاعتقاديه للاستاذ: شريف صالح الخطيب فقد أثبت أن كل ماينسب للزيديه يخصهم وحدهم أما زيد رحمه الله فهو إمام من أئمة أهل السنه ومذهبه في الامامه وغيرها من العقائد هو مذهب أهل السنه.

(٣) دراسة عن الفرق لجلي ص/ ١٩١ - ١٩٢

ويشكك البعض فى نسبة هذا الكتاب للامام زيد رحمه الله .(١)

هل الزيدية من الشيعة ؟

يذكر معظم علماء الفرق القدماء والمعاصرين فرقة الزيدية كفرقة من فرق الشيعة لاشتراكهم مع باقي الشيعة فى القول بإمامة علي رضى الله عنه وانكار شرعية الدولة الأموية والخروج عليها، ولكنّ هناك رأياً ذهب إليه بعض الكتّاب من السنة والشيعة فى اعتبار الزيديه فرقة مستقلة لاتنتمي إلى فرق الشيعة وانما هي أقرب الى السنة.

ويرى هذا الرأى الدكتور النشار الذى يقول إن زيدا لم يكن شيعياً على الاطلاق، ولم تكن حركته للشيعه وانما هي حركة اسلامية استهدفت الخروج على الامام الظالم من عالم من علماء المسلمين من أبناء علي رضى الله عنه، ويؤيد ذلك أن دعوة زيد كانت الى الكتاب والسنه وإحياء السنن وإماتة البدع، وأنها خلت من المفاهيم الشيعية : كالنص والوصيه، والحق الالهى للأئمه، بل إن من حاربوا معه لم يكونوا شيعة بالمفهوم الاصطلاحى، وانما كان ضمن أتباعه جماعات من الفقهاء وأهل العلم والمعتزلة وجماعة من أهل الكوفة ممن أحبوا علياً .(٢)

وقد أخذ الدكتور النشار بمارواه الطبري فى تاريخه أن بعض أتباع زيد نالوا من الشيخين أبي بكر وعمر، فأمرهم زيد بالكف عن ذلك وقال:(إن أبابكر وعمر ليسا كهؤلاء — أي الامويين — ظالمون لكم ولا نفسهم ولاهل بيت نبيكم، وانما أدعوكم الى كتاب الله ليُعمل به والى السنه أن يُعمل بها، والى البدع أن تُطفأ، والى الظَلَمة من بني أميه أن تُخلع فإن أجبتم سعدتم، وان أبيتم فلست عليكم بوكيل)(٣)

ويذهب الى قريب من هذا الرأي محمد جواد مغنية من علماء الشيعة المعاصرين حيث يقول :

---

(١) تاريخ الادب العربي / كارل بروكلمان ٣/ ٣٢٢ - ٣٢٣

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ٢/ ١٥٦

(٣) تاريخ الطبري ٧/ ١٨١ - الكامل ٥/ ٢٤٣

(الزيديه ليسوا من فرق الشيعه فى شئ ، كما أنهم ليسوا من السنه ولا من الخوارج وأنهم طائفه مستقله بين السنه والشيعه .

ليسوا من السنه ولا من الخوارج لانهم حصروا الامامه فى ولد فاطمه .

وليسوا من الشيعه لانهم لايوجبون النص على الخليفه ، هذا ، إلى أنهم يأخذون بفقه أبي حنيفه وأن فقههم أقرب الى الفقه الحنفي منه الى الفقه الشافعى)(١)

ولذلك نجد مغنيه يُخرج الزيديه من الشيعه ، حيث يقول : (لفظ الشيعه عَلَم على من يؤمن بأن علياً هو الخليفه بنص النبي)(٢) . ولعل الذى جعل علماء الفرق قديماً يذكرون الزيديه ضمن فرق الشيعه هو وجود بعض الفرق الغاليه المنتسبه للزيديه كالجاروديه ، أمّا وقد نبذت الزيديه هذا الغلو فإن عقائدها أقرب الى أهل السنه منها إلى الشيعه .

وخاصة أن الزيديه تجنبوا الطعن في خلافة الشيخين أو تكفير أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سبهم ، بينما أصرت الشيعه بقسميها الاماميه والباطنيه على ذلك كما سنرى(٣)

موقف الزيديه من التقيه :

يرى الزيديه أن التقيه رخصة تجوز فى مواضع مخصوصه بحسب المسوِّغ شرعاً(٤) وموقفهم هذا يوافق موقف أهل السنة ، ويخالف موقف الشيعه الاماميه الذين جعلوا التقيه فرضاً لازماً وأصلاً من أصول الدين .

ولذلك نجد بعض علماء الزيديه قد شنّعوا على الشيعة الاماميه لانحرافهم فى مفهوم التقيه .

---

(١) الشيعه فى الميزان لمحمد جواد مغنيه ص/ ٣٦

(٢) المرجع السابق ص/ ١٥

(٣) راجع موقف علماء الشيعه الاماميه من الصحابه الكرام ص/٣٩٩ من هذا البحث.

(٤) العلم الشامخ فى تفضيل الحق على الاباء والمشايخ /للشيخ صالح بن مهدى المقبلى -ص/ ٦٩٢ - ط ١ - ١٣٢٨هـ

- فهذا الامام القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل[١] (ت٢٤٦هـ) وهو من أبرز أئمة الزيديه : يذكر فى كتابه (الرد على الروافض) بعضاً من آيات القرآن الكريم ترد دعوى الرافضه.منها قوله تعالى :(ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار)[٢] وقوله تعالى :(فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله)[٣] وقوله :(وإياى فاتقون ، ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون)[٤]

ثم يبيّن أن الدين الاسلامى وإن وُجد فيه مبدأ عدم إلقاء النفس فى التهلكه ، الا أنه حارب النفاق واللعب بميول الناس، أما أولئك الذين ادعوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استخدم التقيه[٥] وكتم لمده معينه العلم ، فإن الامام القاسم يسألهم : متى كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها المدثر؟ ألم يستند الرسول صلى الله عليه وسلم الى الكعبه والناس يومئذ مشركون جهال عبدة أوثان ويقول : ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ؟[٦]

- وهذا الشيخ صالح بن مهدي المقبلي[٧] (ت١١٠٨هـ) يقول فى رده على التقيه التى غلا فيها الشيعه الاماميه وانحرفوا فى مفهومها :

---

(١) القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل الحسني المعروف بالرسي ، ولد سنة ١٦٩ ، وكان يسكن جبال "قدس" من أطراف المدينه ، ومات فى الرس، بقرب المدينه ، له رسائل كثيرة في :الامامه ، والرد على ابن المقفع، وسياسة النفس، والعدل والتوحيد. والناسخ والمنسوخ ، وأمثال ذلك. (الاعلام ٥/ ١٧١)

(٢) سورة هود .أيه / ١١٣

(٣) سورة آل عمران . آيه /١٤٦

(٤) سورة البقرة . آيه / ٤١ - ٤٢

(٥) هذا مادعاه الشيعه الاماميه . راجع مبحث (نسبتهم التقيه للرسل)ص/٢٦٦من هذا البحث

(٦) الرد على الروافض للامام القاسم - ص/ ١٠٤ نقلا عن : مسألة الامامه والوضع فى الحديث لمحسن عبد الناظر - ص/ ٤٢٥.

(٧) من أعيان الفقهاء الزيديه ، ولد فى قرية مقبل باليمن سنة ١٠٤٧هـ، ونشأ فى ثلا ، وتعلم فيها وفي كوكبان ، ثم رحل الى مكه سنة ١٠٨٠هـ فاشتهر، وكتب فيها =

(ان المقالة الواحدة لتكفأ الدين كما يكفأ الماء من القصعه ، ولنرينك من ذلك أمثله من قول الغرق ، منها : قول الرافضه فى عموم التقيه ولزومها ، حتى جوّزوا فى كل أمر ديني أنه تقيه ، ولا يعرض عليهم شئ يخالف بناءهم عليه الا قالوا تقيه ، وأن الأخذ بالتقيه متحتم فكل ماخالف أهويتهم مما جاءت به الشريعه يقولون تقيه .

فيقال لهم : فكل ماادعيتمو ديناً نقول لكم نحن هو تقيه أيضا ، وكل ماتجيبونا بـه نقول انه تقيه أيضا ، فأصول مذاهبكم تحتمل أنها وردت تقيه من البارى تعالى ، أو من النبي صلى الله عليه وسلم أو من أئمتكم ، فدعواكم أنها ليست بتقيه مع جواز ذلك غـير مقبوله .

ولو سلكنا طريقكم لعطّلنا الشرائع كلها ، وانها الزندقه .

ويصدق قول من قال : ائتني برافضى صغير أخرج لك منه زنديقا كبيرا . اذ مابيننا وبين الزندقه الا هذه الخوخه المفتوحه (١)

ويلاحظ القارئ اللهجه الشديده فى رد هذا العالم الزيدى على الرافضه ، وانكاره لما ابتدعوه من انحرافات وغلو فى التقيه .

ولعل هذا من أبرز الشواهد على التباين الكبيربين الزيديه والاماميه فى موقفهم من التقيه ، بل لعله أيضا يؤيد ماذكرناه سابقا من أن الزيديه أقرب الى أهل السنه منهم الى الشيعه وأنه لايصح جعلهم فرقه من فرق الشيعه .

ومن هنا يتبين خطأ كثير من الباحثين الذين تكلموا عن موقف الزيديه من التقيه :

- فقد زعم بعضهم أن (الزيديه تشارك الفرق الشيعيه الاخرى فى جواز التقيه) (٢)

= مؤلفاته ، وتوفى فيها سنة ١١٠٨ هـ .

ومن كتبه : العلم الشامخ ، الابحاث المسدده فى مسائل متعدده ، الاتحاف لطلبة الكشاف انتقد فيه كشاف الزمخشري ، المنار على البحر الزخار فى فقه الزيديه .

(الاعلام ٣/١٩٧)

(١) العلم الشامخ فى تفضيل الحق على الاباء والمشايخ ص/ ٦٩٢

(٢) إسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعه ـ ص/ ٢٢١

وهذا لا يصح أبدا بما أثبتناه من أقوال علماء الزيديه الذين ردوا على الرافضه في هذا المجال ، كما أن هناك دليلا آخر وهو ما فعله الامام زيد رحمه الله ومن بعده من آل بيته الذين خرجوا على الامويين والعباسيين ولم يتمسكوا بالتقيه .

- وآخرون زعموا أن الزيديه أنكروا التقيه ولم يعملوا بها (١)

والصحيح أن الزيديه لم ينكروا التقيه أصلا - كما فعل الخوارج - (٢) وانما أنكروا انحراف الروافض في مفهوم التقيه وتمسكهم بها كأصل من أصول الدين لا من الرخص العارضه .

فموقف الزيديه من التقيه مماثل تماماً لموقف أهل السنه ، وهو الموقف الحق الذي تشهد له آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

أما هل عمل الزيديه بالتقيه - بمفهومها الصحيح - أم لم يعملوا فهذا لا يكون محل خلاف مادامت التقيه رخصه جائزه يجوز العمل بها ويجوز تركها .

والامام زيد رحمه الله رغم اجتهاده في وجوب الخروج على الامويين الا أنه لم يخرج عليهم حتى استعد لذلك أشهرا طويله كان خلالها مختفيا عن أعينهم ثم خرج مع من بايعه من أنصاره، وهذا يدل على أنه كان فترة الاستعداد هذه ملتزماً بالسكوت وعدم المعارضه (٣) وهو نوع من أنواع التقيه .

---

(١) التقيه أصولها وتطورها للدكتور كامل الشيبي ص/ ٢٦٠ وهي مقالة في مجلة كلية الاداب بجامعة الاسكندريه - العدد ١٦ - سنة ١٩٦٢ - ١٩٦٣

(٢) راجع موقف الخوارج في الباب الثالث ص/ ٦٠٦

(٣) يرى الشيخ محمد أبوزهرة رحمه الله أن الامام زيد كان في أول حياته وفي وقت انصرافه لدراسته يأخذ بمبدأ التقيه ، وكان ينادي هشام بن عبد الملك بقوله (ياأمير المؤمنين) .. حتى اذا حسب أنه اجتمعت له قوة ونصراء أخذ يتركها . راجع كتاب (الامام زيد) لابي زهرة ص/ ٢١٦

المبحث الثالث
الإمامية الاثناعشرية

التعريف بهم :

ذكر أحد علمائهم ـ معنى الشيعه الاماميه بقوله :

(هو عَلَم على من دان بوجوب الامامه ، ووجودها فى كل زمان ، وأوجب النص الجلي والعصمه والكمال لكل إمام ، ثم حصر الامامه فى ولد الحسين بن علي عليهما السلام ، وساقها الى الرضا علي بن موسى ـ ع ـ)(١)

ويخرج من هذا التعريف فرقة الزيديه الذين لم يقولوا بالنص الجلي على الائمه ولم يوجبوا الامامه فى ولد الحسين .

كما يخرج الاسماعيليه الذين ساقوا الامامه بعد جعفر الصادق في ولده اسماعيل ولم ينقلوها إلى موسى الكاظم وولده الرضا .

وبذلك يقتصر لفظ الاماميه على القائلين بإمامة اثني عشر إماماً وهم :(٢)

١ ـ علي بن أبي طالب رضى الله عنه . ولد بمكة سنة ٢٣ق هـ وتوفى سنة ٤٠ هـ

٢ ـ الحسن بن علي : ولد بالمدينه سنة ٣ هـ ، وتوفي فيها سنة ٥٠ هـ ودفن بالبقيع.

٣ ـ الحسين بن علي : ولد بالمدينة سنة ٤ هـ واستشهد فى كربلاء سنة ٦١ هـ .

٤ ـ علي بن الحسين (زين العابدين) : ولد بالمدينة سنة ٣٨ هـ وتوفي فيها سنة ٩٥ هـ ودفن بالبقيع.

٥ ـ محمد بن علي (الباقر) : ولد بالمدينة سنة ٥٧ هـ وتوفي فيها سنة ١١٤ هـ ودفن بالبقيع .

٦ ـ جعفر بن محمد (الصادق) : ولد بالمدينة سنة ٨٣ هـ وتوفي فيها سنة ١٤٨ هـ ودفن بالبقيع.

٧ ـ موسى بن جعفر (الكاظم) : ولد بالأبواء سنة ١٢٨ هـ وتوفي ببغداد سنة ١٨٣ هـ ودفن بالبقيع.

---

(١) أوائل المقالات للشيخ المفيد محمد بن النعمان (ت ٤١٣ هـ) ـ ص/٧

(٢) ملخصاً من كتاب : الشيعه فى التاريخ لمحمد حسن الزين (المفتي الجعفري في =

. . . .

= النبطيه) ص/ ٤٥ - ٤٦ - الطبعه الثانيه ١٣٩٩ هـ - بيروت. وقد فصّلت كتب الشيعه الحديث عن هؤلاء الائمه ، وذكرت كثيراً من أخبارهم ونسبت إليهم المعجزات والخوارق وافترت عليهم كثيراً من الغلو والانحراف مما ستجد بعضه في ثنايا بحثنا هذا. أما أهل السنه فان موقفهم من هؤلاء الأئمه أنهم من علماء الأمه وفضلائها ، وأنهم بريئون مما نسبته اليهم الشيعه من الغلو.

يقول الشهرستاني (في الملل والنحل ١/١٦٦) في حديثه عن الامام جعفرالصادق رحمه الله: (هو ذو علم غزير في الدين ، وأدب كامل في الحكمه ، وزهد بالغ في الدنيا وورع تام عن الشهوات ، وقد أقام بالمدينه مدة يفيد الشيعه المنتمين اليه ، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم ، ثم دخل العراق وأقام بها مدة. ما تعرض للإمامه قط ، ولا نازع أحداً في الخلافه قط ، ومن غرق في بحر المعرفه لم يطمع في شطّ . . . وهو من جانب الأب ينتسب الى شجرة النبوه ، ومن جانب الام ينتسب الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وقد تبرأ مما كان ينسب اليه بعض الغلاه ، وبرئ منهم ولعنهم. وبرئ من خصائص مذهب الرافضه وحماقتهم. . لكن الشيعه بعده افترقوا وانتحل كل واحد منهم مذهباً ، وأراد أن يروّجه على أصحابه فنسبه إليه وربطه فيه ، والسيد برئ من ذلك ، ومن الاعتزال والقدر أيضا).

ويقول ابن تيميه (في منهاج السنه ٢/١٢٣ - ١٢٤) في بيان موقف أهل السنه من هؤلاء الائمه : (أما علي بن الحسين فمن كبار التابعين وساداتهم علماً وديناً أخذ عن أبيه وابن عباس والمسوّر بن مخرمه وأبي رافع ، وعائشه ، وأم سلمه ، وصفيه أمهات المؤمنين وعن مروان بن الحكم ، وسعيد بن المسيب ، وعبدالله بن عثمان بن عفان . . . قال يحي ابن سعيد : هو أفضل هاشمي رأيته في المدينه . . . وكذلك أبوجعفر محمد بن علي ، من خيار أهل العلم والدين ، وقيل إنما سمي الباقر لأنه بقر العلم. . وأما كونه أعلم أهل زمانه فهذا يحتاج الى دليل ، والزهري من أقرانه وهو عند الناس أعلم منه . . . . وجعفر الصادق رضي الله عنه من خيار أهل العلم والدين ، أخذ العلم عن جده أبي أمه أم فروه بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وعن محمد بن المنكدر ، ونافع مولى بن عمر ، والزُهري ، وعطاء بن أبي رباح ، وغيرهم ، وروى عنه يحي بن سعيد ، ومالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، وسفيان بن عيينه ، وابن جريج ، وشعبه ... وقد كُذب على جعفر الصادق أكثر مما كُذب على من قبله. . ونسبت إليه أنواع من الاكاذيب مثل كتاب البطاقه والجفر والهفت. . ==

٨ - علي بن موسى (الرضا) : ولد بالمدينه سنة ١٤٨هـ وتوفي بطوس ايران سنة ٢٠٣هـ ودفن هناك .

٩ - محمد بن علي (الجواد) : ولد بالمدينة سنة ١٩٥هـ وتوفي في الكاظميه سنة ٢٢٠هـ ودفن هناك .

١٠- علي بن محمد (الهادي) : ولد بالمدينة سنة ٢١٢هـ وتوفي بسامراء سنة ٢٥٤هـ ودفن فيها .

١١- الحسن بن علي (العسكري) : ولد بالمدينة سنة ٢٣٢هـ وتوفى بسامراء سنة ٢٦٠هـ ودفن فيها .

١٢- محمد بن الحسن (المهدي) : يقولون انه ولد بسامراء سنة ٢٥٥هـ وغاب غيبته الصغرى التى لم يعد يظهر فيها إلا لنوابه سنة ٢٦٠هـ، وغيبته الكبرى التى انقطع فيها عن الظهور سنة ٣٢٩هـ.

ويدّعون أنه المهدي الذى بشّرت به السنه ، وأنه سيرجع الى الدنيا فيملؤها قسطاً وعدلاً بعد أن مُلئت ظلماً وجوراً .(١)

ولقول هؤلاء بإمامة اثنى عشر إماماً سُموا بالاثني عشريه ،(٢) كما أنهم يسمون بالجعفريه لأخذهم بما يدّعون أنه مذهب الامام جعفر الصادق فى الفقه ولظهور كيانهم فى عهده .(٣)

= وأما مَنْ بعد جعفر فموسى بن جعفر، قال فيه أبوحاتم الرازي : ثقه أمين صدوق من أئمة المسلمين وقال ابن سعد (توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة، وليس له كثير رواية) . وأما مَنْ بعد موسى فلم يؤخذ عنهم من العلم مايذكر . . ولكن لهم من الفضائل والمحاسن ماهم له أهل رضى الله عنهم .)

(١) راجع مبحث: ادعاؤهم غيبة الامام الثانى عشر وتفسير ذلك بالتقيه ص/٥٥ من هذا البحث.

(٢) الشيعه - لمحمد صادق الصدر ص/٧٣ طبع بغداد ١٣٥٢هـ.

(٣) المرجع السابق ص/٧٤ والشيعة في الميزان ص/١٠٩

ولهم بالاضافة الى ماسبق اسم آخر لعله أقرب الاسماء الى حقيقتهم، وهو (الرافضه) فما هو سبب تسميتهم بذلك الاسم؟

سبب تسميتهم بالرافضة:

عندما خرج زيد بن علي ومعه خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفه على والي العراق يوسف بن عمر فى عهد هشام بن عبد الملك، قال له بعض هؤلاء: إنا ننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك فى أبي بكر وعمر اللّذين ظلما جدك علي بن أبى طالب.

فقال زيد: إني لا أقول فيهما إلا خيراً، وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيراً..

ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم: رفضتموني. ومن يومئذ سُموا رافضه، وثبت معه قرابة مائتي رجل.(١)

يقول الامام ابن تيميه:

(ومن زمن خروج زيد افترقت الشيعه الى رافضه وزيديه، فإنه لما سُئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما، رفضه قوم، فقال: رفضتمونى، فسموا رافضه لرفضهم اياه، وسُمي مَن لم يرفضه من الشيعه زيدياً لانتسابهم إليه)(٢)

وبذلك نستطيع تحديد ظهور الرافضة بسنة استشهاد زيد رحمه الله وهي ١٢٢هـ وهؤلاء هم الذين ازداد الغلو فيهم تدريجياً، وتركزت عقيدتهم فى القول باثني عشر إماماً بعد وفاة الحسن العسكري فسُموا اثني عشريه.

ولما شاع لقب (الرافضه) للشيعه الاماميه الاثنى عشريه، وصار عَلَماً عليهم، أرادوا تطييب نفوس أتباعهم بتحسين هذا الاسم لهم فنسبوا إلى جعفر الصادق الرواية التالية:

(عن أبي بصير قال أتيت أبا عبد الله ـ ع ـ. قلت: إنا قد نُبزنا نبزاً انكسرت له ظهورنا وماتت له أفئدتنا.. فقال: الرافضة؟ قلت: نعم، قال: لا والله ماهم سموكم،

---

(١) الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ص/٢٥ وراجع مقالات الاسلاميين للأشعري ص/١٦

(٢) منهاج السنه النبويه فى نقض كلام الشيعه القدريه ١/٢١ تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ـ طبع بيروت.

بل الله سماكم، أما علمت أنه كان مع فرعون سبعون رجلا من بني اسرائيل يد ينون بد ينه، فلما استبان لهم ضلال فرعون وهدى موسى ، رفضوا فرعون ولحقوا بموسى ، فكانوا في عسكر موسى أشد أهل ذلك العسكر عبادة وأشدهم اجتهاداً ، فأوحى الله الى موسى أن أثبت لهم هذا الاسم في التوراه ، فإني قد نحلتهم، ثم ذخر الله هذا الاسم حتى سماكم به ، إذ رفضتم فرعون وهامان وجنودهما ، واتبعتم محمدا وآل محمد)[١] !!

ولا يخفى أن مراد هذا الراوي الكذاب بقوله رفضتم فرعون وهامان ، يقصد أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، وسيرى القارئ ما هو أشد من ذلك الضلال[٢] .

ومع افترائهم لهذه الروايه التى يبرّرون بها تسميتهم بالرافضه ، فإنهم لا يرضون بهذا اللقب ويعدونه سبة وعاراً .

يقول محسن الأمين : (الرافضه لقب يُنبز به من يقدم علياً عليه السلام في الخلافه ، وأكثر ما يستعمل للتشفي والانتقام، واذا هاجت هائجة العصبيه لم يُتوقف في إطلاقه على كل شيعي)[٣]

ولكن الحقيقه التاريخية التى لا يمكن ردها تؤكد إطلاق هذا اللقب عليهم، رضوا ذلك أم كرهوا .

---

(١) الاختصاص للمفيد ص/ ١٠٤ - الروضه من الكافي ص/ ٣٤

(٢) راجع فقرة : استخدامهم التقيه في إخفاء طعنهم في الصحابه الكرام. ص/٣٩٩ من هذا البحث .

(٣) أعيان الشيعه ١/ ١٧ - نقلا عن كتاب : الشيعه والتشيع لإحسان الهى ظهير ص/ ٢٧١ - الطبعه الاولى - ١٤٠٤هـ - ادارة ترجمان السنه - باكستان .

مجمل عقائدهم :

سنتعرض بالتفصيل لكثير من عقائد الرافضة فى ثنايا بحثنا هذا ، ومع ذلك نذكر هنا مجملاً لعقائدهم التي يختلفون فيها عن أهل السنه ، ويشذون فيها عن جمهور الامه وأبرزها :

١ ـ الامامه :

وهى عندهم منصب إلهي كمنصب النبوه ، ولا تكون إلا بنصّ وتعيين ، ولذلك يقولون إن النبى صلى الله عليه وسلم قد نص على الائمه .(١)

ويصفون هؤلاء الائمه بصفات كثيرة أبرزها العصمه عن الخطأ والسهو، وان علمهم بالالهام والتعلم من أبائهم الائمه السابقين لهم ، ويغلو بعضهم فيدّعون نزول الملائكة على الائمة بالوحي وأنهم يعلمون الغيب وأنهم أفضل من جميع الأنبياء والرسل .(٢)

٢ ـ موقفهم من القرآن الكريم :

يعتقد علماء الشيعة أن القرآن الكريم قد دخله التحريف والتبديل وأن عليا رضى الله عنه هو الذى جمع القرآن كله كما أنزل الله ، وتناقلته الائمه من بعده حتى وصل الى الامام الثانى عشر الذى سيخرجه للناس عندما يعود من غيبته المزعومه .(٣)

كما أنهم يُخرجون كثيراً من الايات القرآنيه عن ظواهرها الى تفسيرات باطنيه محاولة منهم لتلمس الأدله التى تؤيد غلوهم وانحرافاتهم .(٤)

---

(١) الشيعه فى التاريخ ـ للزين ص/ ٤٤

(٢) راجع فقرة : استخدامهم التقيه فى إخفاء غلوهم في أئمتهم . ص/٤٤٤ من هذا البحث

(٣) راجع فقرة : استخدامهم التقيه فى إخفاء قول الكثيرين منهم بتحريف القرآن . ص/ ٣٥٢ من هذا البحث .

(٤) راجع فقرة : تأويلهم لبعض آيات القرآن الكريم للاستدلال على مذهبهم فى التقيه ص/٢٢٣ من هذا الحديث .

٣ ـ موقفهم من الصحابه الكرام رضى الله عنهم :

يعتقد جميع علماء الشيعه قديماً وحديثاً بأن معظم الصحابه كفار مرتدون لأنهم ظلموا علياً رضى الله عنه وسلبوه حقه فى الخلافه ، ويدعي بعضهم أنه لم يسلم من هذا الكفر وهذه الرده إلا أربعه أو سبعه يذكرونهم بأسمائهم، (*) ولذلك نجد هؤلاء الرافضه يوغلون فى الطعن والتجريح والسب والشتم على الصحابه الكرام الذين هم خير جيل وأفضل قرن والذين شهد القرآن الكريم لهم بالمغفرة والرحمة والرضوان . (١)

٤ ـ الرجعه :

يقول الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) اتفقت الامامية على وجوب رجعة كثير من الاموات الى الدنيا قبل يوم القيامة) (٢) ويقول محمد رضا المظفر ـ أحد علمائهم المعاصرين ـ :

(إن الذي تذهب إليه الامامية أخذاً بما جاء عن آل البيت عليهم السلام أن الله تعالى يعيد قوماً من الاموات الى الدنيا فى صورهم التى كانوا عليها ، فيعز فريقاً ويذل فريقاً آخر، ويديل المحقين من المبطلين ، والمظلومين منهم من الظالمين ، وذلك عند قيام مهدي آل محمد صلى الله عليه وسلم) (٣)

وهكذا نجد أن عقيدة الرجعه يقول بها القدماء من الشيعه كما يقول بها المعاصرون منهم.ويذكر الشيخ المفيد أن الذين يرجعون إلى الدنيا فريقان :

(أحدهما : من علت درجته فى الايمان وكثرت أعماله الصالحات . . فيريه الله عزوجل دولة الحق ويعزه بها ويعطيه من الدنيا ماكان يتمناه .

والآخر : من بلغ الغاية فى الفساد . . وكثر ظلمه لأولياء الله) (٤)

والهدف من هذه الرجعة المزعومه أن يرى المؤمنون بالمهدي قيام دولته والانتقام من أعدائه ، ويقصد المفيد بمن بلغ الغاية فى الفساد الخلفاء الراشدين الثلاثه وأم المؤمنين

---

(١) راجع فقرة : استخدامهم التقيه فى إخفاء موقفهم من الصحابه الكرام.ص/٤٠٠ من هذا البحث.

(٢) أوائل المقالات ص/١٣ (٣) عقائد الامامية ص/٨٣ (٤) أوائل المقالات ص/ ٥٠

(*) ذكر شيخهم المفيد في كتابه الاختصاص ص/ ٦ أن الذين سلموا من الردة سبعة وهم : سلمان وأبو ذر والمقداد وأبو ساسان الأنصارى وحذيفة وأبو عمرة الأنصارى وعمار بن ياسر .

عائشة وآخرون من الصحابه الكرام، وغيرهم ممن يعد هم الشيعه أعداءهم !!

ولذلك نجد ابن بابويه القمي ينسب الى الباقر قوله : (إذا ظهر المهدى فإنه سيحيى عائشه ويقيم عليها الحد)! (١)

وكذلك يذكر المجلسي أنه إذا ظهر المهدى فإنه سيشق جدار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرج أبابكر وعمر من قبريهما فيحييهما ثم يصلبهما !! (٢)

هذه هى عقيدتهم فى الرجعه، ولهم فى إثباتها روايات كثيرة ينسبونها لأئمتهم كما أنهم يتأولون بعض آيات القرآن الكريم (٣) ليستدلوا بها على هذه العقيدة المنحرفه والشذوذ الخطير.

٥ - البداء :

البداء لغة هو الظهور بعد الخفاء، (٤) وهذا لا يجوز على الله عزوجل، لانه ينسب الجهل إليه سبحانه، فالله سبحانه لا يتغير علمه ولا يظهر له شئ كان خافياً عليه.

ولكن بعض الشيعه نسبوا البداء بهذه الكيفيه لله عزوجل كما تنص على ذلك رواياتهم منها مانسبه ابن بابويه القمي لجعفر الصادق أنه قال : (ما بدا لله بداء كما بدا له فى اسماعيل ابني). (٥) ومنها مانسبه الكليني لامامهم العاشر علي الهادي أنه لما مات ابنه الاكبر محمد وبقي ابنه الاصغر الحسن قال : (بدا لله فى محمد بعد أبي جعفر مالم يكن يعرف له، كما بدا له فى موسى - الكاظم - بعد مضى اسماعيل ماكشف به عن حاله) (٦)

---

(١) حق اليقين لمحمد باقر المجلسى ص/ ٣٤٧

(٢) حق اليقين لمحمد باقر المجلسي ص/ ٣٦٠ نقلاً عن :عقائد الشيعه فى الميزان للدكتور محمد كامل الهاشمي ص/١٣٧

(٣) راجع تفسير التبيان الطوسي ٨/١٠٦، ٨/ ٢١١

(٤) لسان العرب لابن منظور ١/٢٦ - ٢٧

(٥) التوحيد لابن بابويه ص/٣٣٦

(٦) الشافى شرح أصول الكافى ٢/ ٢١٢

أي أن الإمام بعد جعفر الصادق كان فى علم الله اسماعيل ابنه الاكبر ولكن الله بدا له فى ذلك فتوفى اسماعيل فى حياة أبيه وانتقلت الامامه إلى الاخ الاصغر موسى الكاظم!

وتكرر نفس الأمر فى ولدي الامام العاشر علي الهادى فإن الامامه كانت فى ابنه الاكبر محمد ثم بدا لله مالم يكن يعرف فمات محمد فى حياة أبيه وأصبحت الامامه فى الاخ الاصغر الحسن!

وليلاحظ القارئ لفظه الروايه : (بدا لله مالم يكن يعرف) وهذا تصريح بأن معنى البداء الذي ينسبونه لله تعالى هو تغير العلم، ووجود العلم بالشئ بعد الجهل به، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

والذي دعاهم للقول بهذه الفريه الخطيرة مارأوه من عدم تحقق ماينسبونه للائمة من وعود، ويخشون أن يكشف كذبهم.

ولذلك يقول سليمان بن جرير - كما يذكر ذلك النوبختي[1] الشيعي -:

(إن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبداً وهما القول بالبداء وإجازة التقيه. أما البداء فإن أئمتهم لما أحلوا أنفسهم من شيعتهم محل الانبياء من رعيتها فى العلم فيما كان ويكون، والإخبار بما يكون فى غد وقالوا لشيعتهم إنه سيكون فى غد وفى غابر الأيام كذا وكذا، فان جاء ذلك الشئ على ما قالوه قالوا لهم: ألم نعلمكم أن هذا يكون، فنحن نعلم من قِبَل الله عزوجل ماعلمته الأنبياء.. وان لم يكن ذلك الشئ الذى قالوا إنه يكون على ماقالوا، قالوا لشيعتهم: بدا لله فى ذلك بكونه)[2] !!

ويذكر النوبختي أن أبا الخطاب محمد بن أبي زينب الاسدي كان يحث أتباعه على قتال جيش عامل الكوفه بكل وسيلة ممكنه، حتى بالحجارة والقصب والسكاكين، ويقول لهم: (قاتلوهم، فإن قصبكم يعمل فيهم عمل الرماح والسيوف، ورماحهم وسيوفهم وسلاحهم لا تضركم) ولما اشتد القتل فى أتباعه حتى كادوا يفنوا عن آخرهم قالوا له : ماترى مايحل

(١) أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي، من أهل بغداد، نسبته الى جده (نوبخت)=

(٢) فرق الشيعه للنوبختي ص/٦٤-٦٥ - الطبعه الثانيه - بيروت - ١٤٠٤هـ

بنا من القوم، وما نرى قصبنا يعمل فيهم ولا يؤثر، وقد عمل سلاحهم فينا وقتل من ترى منا فقال لهم: إن كان قد بدا لله فيكم فما ذنبي)!! (١)

وهناك روايات كثيرة فى كتب الشيعه تؤكد البداء وتعظم من شأنه كقولهم: (ماعُبد اللـه بشئ مثل البداء) (٢). وقولهم: (مابعث الله نبياً قط إلا بتحريم الخمر وأن يقر لله بالبداء) (٣)! وينسبون ذلك لأئمتهم ، وهم منها براء.

ويقف علماء الاماميه قديماً وحديثاً لقاء هذا الغلو الخطير المسطر فى أمهات كتبهم.. مواقف متضاربة بين منكر له ومقرٍّ ومفسرٍ لمعناه

ولذلك نجد أحد أعلامهم المعاصرين يقول: (البداء الذى تقول به الشيعه هو مـن أسرار آل محمد صلى الله عليه وسلم وغوامض علومهم) (٤)

ولا مجال للتفصيل أكثر من ذلك فى استعراض عقائد الشيعه لئلا نخرج بالقارئ عـن الموضوع الرئيس للبحث وهو بيان موقف الشيعه من التقيه التي هى من أبرز عقائدهم.

= توفىَ سنة ٣١٠ هـ قال عنه بروكلمان: (إنه أشهر متكلمي الشيعة ببغداد ، نبغ فـى حدود ٣٠٠ هـ)، وصفه عباس القمي فى (الكنى والألقاب) بقوله (الكاتب المحـدِّث الامامى)، ووصفه هبة الدين الشهرستانى بقوله: (علامة نحرير بحاثة ثقة خبير بعلوم الاوائل وآراء المذاهب والفرق)
له كتب كثيرة منها: فرق الشيعة، الآراء والديانات، الجزء الذى لا يتجزأ، الرد على الغلاة....
راجع ترجمة فى: مُقدمة فرق الشيعة بقلم هبة الدين الشهرستاني
الكنى والالقاب ٣/ ٢٢٣، تاريخ الادب العربي ٣/ ٣٣٨،
الأعلام ٢/ ٢٢٤

(١) المرجع السابق ص/ ٧٠
(٢) الأصول من الكافى ١/ ١٤٦ والتوحيد لابن بابويه ص/ ٣٣٢
(٣) المرجع السابق ١/ ١٤٨ والتوحيد ص/ ٣٣٤
(٤) أصل الشيعه وأصولها لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء ص/ ١٩٠

مصادر الشيعه الاماميه

المصادر الرئيسيه لروايات الشيعه الاثني عشريه التي ينسبونها لائمتهم أربعة مصادر نتحدث عنها بايجاز (١) وهي :

١ - الكافي :

وهو أول الكتب الاربعه تأليفاً، ومؤلفه محمد بن يعقوب الكُليني (٢) وهو يشتمل على قرابة (١٦٢٠٠) رواية مسندة منسوبه للرسول صلى الله عليه وسلم ولائمة الشيعه، ويقول الشيعه إن الكافي عُرض على إمامهم الغائب عن طريق نوابه فاستحسنه وقال: (كاف لشيعتنا) ولذلك يعتبرونه من أوثق الكتب، ويعدون مؤلفه مجدد المائه الثالثه ويقسم الكتاب الى ثلاثة كتب هي :

الأصول من الكافي - الفروع من الكافي - الروضة.

ولم يذكر الكليني فى كتابه أى سند متصل بالنبي صلى الله عليه وسلم، لانه يعتبر أن أقوال أئمتهم هي أقوال النبى صلى الله عليه وسلم، وأكثرما يرويه واقف عند الصادق

---

(١) ملخصا من كتاب: الشيعه، لمحمد صادق الصدر ص/ ١٢٠ - ١٣٢ طبع بغداد - ١٣٥٢هـ. وراجع : مقدمة الكافي للدكتور حسين محفوظ ص/ ٤ - ٦، وكتاب: عقيدة الشيعه فى الامام الصادق تأليف: حسين يوسف مكي العاملي ص/ ٢٢٣-٢٢٥

(٢) هو أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكُليني الرازي، وكُلَين (بضم الكاف وفتح اللام المخففه) اسم لقرية من ناحية الري، وقد نشأ الكُليني فيها، ثم رحل الى بغداد وحدَّث بها سنة ٣٢٧هـ، وانتهت اليه رئاسة الاماميه فى أيام المقتدر ويقول الشيعه إن الكليني أدرك زمان سفراء المهدي وتوفى سنة وفاة آخرهم.
كما يقولون عنه إنه أوثق وأضبط محدث فى عصره وبعد عصره، وان كتابه الكافي عرض على إمامهم المنتظر فاستحسنه وقال : كاف لشيعتنا.
ويقولون إنه صنف كتاب الكافي فى عشرين سنه، كما أن لهم فى توثيقه والثناء عليه نصوص كثيرة وقلَّما يخلو عالِم منهم إلا وله نص في ذلك. توفى فى بغداد سنة ٣٢٩هـ الموافق ٩٤١م.
راجع ترجمته في: لؤلؤة البحرين فى الاجازات ليوسف البحراني - ص/ ٣٨٦ - ٣٩٤ تحقيق : محمد صادق بحر العلوم - طبع النجف ١٩٦٩م. جامع الرواه للاردبيلي =

رحمه الله ، وقليل منها مايعلو الى أبيه الباقر ، وأقل من ذلك مايعلو الى أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ، ونادر مايقف عند النبي صلى الله عليه وسلم (١)

٢ - من لا يحضره الفقيه :

وهو المصدر الثاني للشيعه الاماميه ، ومؤلفه أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (٢) الملقب بالصدوق (ت ٣٨١ هـ) وقد حوى كتابه هذا من الاحاديث (٣٩١٣) حديثاً مسنداً و(٢٠٥٠) حديثاً مرسلاً ، ويقول الشيعه إن رواياته بما فيها المراسيل تعد المثل الأعلى في الحجيه والاعتبار .

= ٢١٨/٢ - ٢١٩ - طبع قم ١٤٠٣ هـ ق . روضات الجنات لمحمد باقر الخونساري ١٠٨/٦ - ١١٩ - تحقيق أسد الله اسماعيليان - طبع طهران - ١٣٩٠ هـ ق - الكنى والالقاب لعباس القمي ٩٨/٣ - ٩٩ طبع صيدا ١٣٥٨ هـ . مقدمة الاصول من الكافي للدكتور حسين علي محفوظ ص/ ٨ - ٤٢ الطبعه الثالثه - طهران ١٣٨٨ - مقدمة الشافي شرح أصول الكافي لعبد الحسين المظفر - تقديم محمد شريف الدين - ص/ ١٥ - ٣٧ طبع النجف - ١٣٨٩ هـ

(١) الامام الصادق / لابي زهرة ص/٤٢٩

(٢) ولد سنة ٣٠٥ هـ ونشأ في مدينة (قم) وورد بغداد سنة ٣٥٥ وعاصر بعض ملوك الدولة البويهيه ، وأبرزهم ركن الدولة البويهي الذى استدعاه الى (الري) فنزل فيها وارتفع شأنه في خراسان ثم سافر الى بغداد سنة ٣٥٥ هـ ، ومات سنة ٣٨١ هـ في الري له نحو من ثلاثمائة مصنف ذكر اكثرها الذين ترجموا له ولعل أبرزها بالاضافة إلى كتاب من لا يحضره الفقه ، الكتب التاليه :
الاعتقادات ، معاني الاخبار ، الامالي ، عيون أخبار الرضا ، إكمال الدين وتمام النعمه في إثبات الرجعه ، علل الشرائع ، الخصال ، التوحيد .
ويُعد ابن بابويه من أعمدة المذهب الشيعي ولذلك يثني عليه علماء الشيعه كثيراً ويصفه الخوانساري بالشيخ العَلَم الامين ، عماد الملة والدين ، رئيس المحدثين .
ووالده علي بن الحسين بن بابويه من علماء الشيعه أيضاً
راجع ترجمته في لؤلؤة البحرين ص/ ٣٧٢-٣٨١ ، أمل الامل ٢٨٣/٢-٢٨٤ ، روضات الجنات ١٣٢/٦ - ١٤٤ ، الكنى والالقاب ٢١٢/١ - ٢١٣ ، الاعلام ٢٧٤/٦

٣ - التهذيب :

وهو المصدر الثالث للشيعه الاماميه ، وفيه من الأحاديث مالا يقل عن كتاب الكافي ومؤلفه أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (١) (ت ٤٦٠ هـ)

٤ - الاستبصار :

وهو المصدر الرابع عندهم ، ومؤلفه كذلك أبو جعفر الطوسي ، ويعد هذا الكتاب والذي قبله من أبرز الكتب عندهم التي تهتم بالفروع وروايات الأحكام ، وقد حوى قرابة خمسة آلاف حديث ويلقبون مؤلفه بشيخ الطائفة.

(١) هو أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، ينسب الى مولده طوس (شهد) من مدن خراسان. ولد في (٣٨٥هـ) وهاجر الى العراق ووصل بغداد سنة (٤٠٨ هـ) وهو ابن ثلاثة وعشرين عاماً وكانت زعامة المذهب الجعفري فيها يومذاك لمحمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد وابن المعلم فتتلمذ عليه ولازمه حتى توفى المفيد سنة (٤١٣هـ) فانتقلت رئاسة المذهب الى السيد المرتضى فلازمه الطوسي كما استفاد من المكتبه التى أنشأها وزير بهاء الدولة البويهي في الكرخ وتضم آلاف المجلدات فلما توفي السيد المرتضى سنة (٤٣٦هـ) استقل الطوسي بزعامة المذهب ، ويبدو أنه لم يكن يتظاهر بالغلو الذي تقول به الشيعه ولذلك خصص له الخليفه العباسي القائم بأمر الله كرسياً للكلام ثم علم أنه ممن يسبون الصحابه رضى الله عنهم فطلبه ولكن الشيخ أنكر ذلك تقيه (والقصة مذكورة فى مقدمة كتاب الاستبصار للطوسي صفحة/ن وسنذكرها عند الحديث عن الطعن فى الصحابة راجع ص٤٣٧ من هذا البحث) ثم رأى الطوسي أن أمره قد انكشف فهاجر الى النجف سنة (٤٤٨هـ) ثم توفى هناك سنة (٤٦٠هـ) وله كتب كثيرة أبرزها : التهذيب والاستبصار وهما من صحاح الشيعة الاربعه - وكتاب رجال الطوسي - واختيار معرفة الرجال وهو تهذيب رجال الكشي والامالي - وأصول العقائد - والتبيان فى تفسير القرآن - والعدة فى أصول الفقه - والغيبه - والفهرست - والنهايه فى مجرد الفقه والفتاوى. راجع ترجمته في : روضات الجنات (٦/٢١٦ - ٢٤٩) - لؤلؤة البحرين ص/ ٢٩٣ - جامع الرواه ٢ / ٩٥ - وكتاب : شيخ الطائفة الطوسي لمحمد إقبال الانصارى - طبع الهند .
وراجع مقدمة الاستبصار لمحمد علي الغروي - ط٣ - ١٣٩٠ هـ ق / والاعلام للزركلي ٦/ ٨٤

وصحة هذه الكتب الاربعه ـ كما يقول أحد علمائهم المعاصرين ـ كصحة نسبتها الى أصحابها ، مما لا مجال للريب فيها عند الشيعه الامامية[(١)]

ويرى بعضهم أنه ليس كل ما في الكتب الاربعه صحيح بل فيها الصحيح والحسن والموثق والضعيف وغير ذلك.[(٢)] والظاهر أن هذا القول صدر منهم تقية .

وقد قام بعد هؤلاء الثلاثه ثلاثة آخرون من علماء الشيعة الامامية فألفوا ثلاثة كتب جامعة لرويات الشيعه وهي :

١ ـ وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة/ لمحمد بن الحسن الحرّ العاملي[(٣)] (ت ١١٠٤هـ) وقد استقى كتابه من روايات الكتب الاربعه وكتب أخرى لعلماء الشيعة تزيد على السبعين .

٢ ـ بحار الأنوار / لمحمد الباقر المجلسي[(٤)] (ت ١١١١هـ) ويشتمل على خمس وعشرين كتاباً من أمهات كتبهم.

---

(١) عقيدة الشيعة في الامام الصادق وسائر الائمة / للسيد حسين يوسف مكي العاملي ص/ ٢٢٦

(٢) الشيعة بين الحقائق والاوهام/للسيد محسن الامين ـ الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ راجع الصفحات / ١٤٨ ، ٣٩٣ ، ٤١٩
وكذلك : معجم رجال الحديث/ لابي القاسم الموسوي الخوئي ـ ١٣٩٨هـ النجف ـ ج ١/ ١٧ ـ ٣١

(٣) هو محمد بن الحسن بن علي الحر العاملي المشغري ، نسبة الى قرية من قرى جبل عامل بلبنان ولد سنة(١٠٣٣هـ) وانتقل الى جبع ومنها الى العراق ، وانتهى الى طوس (بخراسان) فأقام وتوفي فيها سنة(١١٠٤هـ) له تصانيف كثيرة بالاضافة الى وسائل الشيعه منها أمل الآمل في ذكر علماء جبل عامل ، والفصول المهمة في أصول الائمة ، والجواهر السنية في الاحاديث القدسية. وعلماء الشيعة يثنون كثيراً عليه ويصفونه بشيخ المحدثين والعالم الفقيه المتبحر . وغير ذلك .
راجع ترجمته في :لؤلؤة البحرين ص/٧٦ ـ ٨٠ روضات الجنات ٧/ ٩٦ ـ ١٠٥ الكنى والالقاب ٢/ ١٥٨ ـ الاعلام للزركلي ٦/ ٩٠

(٤) هو محمد باقر بن محمد تقي الشهير بالمجلسي ، وُلِّيَ مشيخة الشيعة في أصفهان وترجم الى الفارسية مجموعة كثيرة من أحاديث الشيعة.وأبرز كتبه بالاضافة الى =

٣ ـ الوافي / لمحمد بن مرتضى ، المشهور بمحسن الفيض [(١)] (ت ١٠٩١هـ)

وقد جمع فيه كل ماتضمنته الأصول الأربعة، ولم يزد شيئاً سوى الترتيب والتبويب.

= بحار الأنوار كتاب مرآة العقول شرح الكافي ، وكتاب ملاذ الاخيار فى شرح تهذيب الاخبار، وكتاب الفوائد الطريفة فى شرح الصحيفة، بالاضافة الى كتب أخرى بالفارسيه.
يثني عليه علماء الشيعة كثيراً ويصفونه بالمحقق المدقق الجليل وحيد عصره وفريد دهره .. وإصابة رأيه وثقته وأمانته وعدالته أشهر من أن تذكر !!.. الى غير ذلك من الاوصاف ـ توفي سنة (١١١١هـ) وله من العمر ٧٤ سنة
راجع ترجمته فى : لؤلؤة البحرين ص/ ٥٥ ـ ٦٠ جامع الرواه ٢/ ٧٨ ـ ٧٩ الكنى والالقاب ٣/ ١٢١ الاعلام ٦/ ٤٨

(١) هو محمد بن المرتضى بن فيض الله محمود الكاشي المدعو بمحسن الفيض، ونسبته (الكاشي) و(الكاشاني) و (القاشاني) من أهل كاشان، له نحو ٨٠ مصنفاً أبرزها: الصافي فى تفسير القرآن، وكتاب الوافي الذى جمع فيه الاصول الاربعه، والشافي منتخب من الصافى ، وكتاب معتصم الشيعة فى أحكام الشريعة، وكتاب مفاتيح الشرائع، وكتاب المسالك فى أصول الدين .
يثني عليه بعض علماء الشيعة كثيراً . قال الخوانساري" قد بلغ فضله الى حيث لم يعرف بين هذه الطائفة مثله" وينتقده بعضهم لماله من المقالات التى توجب الكفر كالقول بوحدة الوجود ، وهذا ماذكره عنه البحراني فى لؤلؤة البحرين.
وقد انتقل من بلدة كاشان الى شيراز للتحصيل ثم عاد الى كاشان وتوفى فيها سنة (١٠٩١هـ) وله من العمر أربع وثمانون سنه.
راجع ترجمته في : لؤلؤة البحرين ص/ ١٢١ ـ ١٣١
روضات الجنات ٦/ ٧٩ ـ ١٠٣
الاعلام ٥/ ٢٩٠

أبرز الدول الشيعيه عبر التاريخ

لكي تكتمل صورة هذه الفرقة فى أذهان القراء لابد من الاشارة الى أبرز الدول الشيعيه التى نهض التشيع على أكتافها وانتشر بجهودها حتى غدا على ماهو عليه اليوم من توسع.

ولقد مرت فى التاريخ دول عديدة اتصفت بالتشيع وكان لها دور فى نشر المذهب الشيعى لكننا سنكتفى بذكر أبرز دولتين منها وهما : الدولة البويهيه والدولة الصفوية لتميزهما فى نشر التشيع بشكل بارز، ولان كثيرا من علماء الشيعه الذين سيرد ذكرهم فى بحثنا هذا قد نشأوا ونشطوا فى ظل تلك الدولتين.

أولا : الدولة البويهية :

وقد قامت هذه الدولة على يد علي بن بويه الذي كان يلقب بعماد الدولة، وكان ابتداء سلطانه فى شيراز عام ٣٢١هـ ثم امتد الى ايران والعراق وغيرها من أراضى الخلافه العباسيه وتوفى عام ٣٣٨هـ وخلفه أخوه معز الدولة أحمد بن بويه الذى توفى عام ٣٥٦ ثم الاخ الثالث ركن الدولة الحسن بن بويه الذى توفى عام ٣٦٦هـ، ثم تتالى على الحكم عدة ملوك الى أن انهارت الدولة البويهية سنة ٤٤٧هـ على أيدى السلجوقيين (١).

وقد كانت أيام آل بويه كلها أيام سعي وترويج لمذهب الشيعة، (٢) وكانوا يقيمون الاحتفالات العظيمة فى أعياد الشيعة، والتى أبرزها اليوم الثامن عشر من ذى الحجه وهو اليوم الذى يدّعون فيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافه لعلي رضى الله عنه فى غدير خم، كما يقيمون المآتم فى يوم عاشوراء وهو يوم استشهاد الحسين رضى الله عنه (٣)

ولم يقتصر عمل آل بويه فى نشر المذهب الشيعى على ذلك، بل كانوا يبذلون جهدهم فى تشجيع علماء الشيعة وبذل الاموال لهم حتى إن عضد الدولة كان يركب فى موكبه لزيارة

---

(١) راجع تفصيل ماأوجزناه في كتابي : تاريخ الشيعة لمحمد حسين المظفري ص/ ٢٠٦ - ٢١٣ طبع قم.والشيعة فى الميزان لمحمد جواد مغنيه ص/ ١٣٨ - ١٤٨

(٢) تاريخ الشيعة للمظفري ص/ ٢٠٧

(٣) المرجع السابق ص/ ٢٠٨ - ٢٠٩

الشيخ المفيد محمد بن النعمان [(١)] وكان يجلس مع علماء الشيعة ويذاكرهم فى المسائل ولذلك قصده علماء الشيعة من كل بلد ، وصنفوا له الكتب [(٢)]

وقد صنف ابن بابويه القمي [(٣)] (الملقب عندهم بالصدوق) كتاباً خاصاً للصاحب بن عباد وزير فخر الدولة البويهي ، وهو كتاب (عيون أخبار الرضا) كما يذكر فى مقدمته . [(٤)]

---

(١) هو محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادى ، الملقب بالشيخ المفيد والمعروف بابن المعلم ، ولد سنة ٣٣٦هـ فى عكبرا ، قرب بغداد ، ونشأ فى بغداد وتوفى فيها سنة ٤١٣هـ ، له تصانيف كثيرة بلغت حوالى مئتي مصنف منها : أوائل المقالات ، الارشاد ، الامالي ، الافصاح فى إمامة علي ، إيمان أبى طالب ، المجالس الاختصاص ، شرح عقائد الصدوق ، رسالة المتعه ، تزويج أمير المؤمنين بنته من عمر ، أجوبة المسائل السروية ، . . وغير ذلك .
يثني عليه علماء الشيعة كثيراً ، فمن ذلك ماقاله الخوانساري : (كان من أجلّ مشايخ الشيعة ، ورئيسهم وأستاذهم ، وكل من تأخر عنه استفاد منه ، وفضله أشهر من أن يوصف فى الفقه والكلام والرواية ، أوثق أهل زمانه وأعلمهم ، انتهت اليه رئاسة الامامية فى وقته) .
وهو من أكثر علماء الشيعة انحرافا وغلوًا ، قال عنه الذهبي : (أكثر من الطعن على السلف ، وكانت له صولة فى دولة عضد الدولة) ولذلك يعده مغنية المدافع الأكبر عن أخبار الشيعة وآثارهم .
راجع ترجمته في : ميزان الاعتدال للذهبي ٣ / ١٣١ ، لؤلؤة البحرين ص/ ٣٥٦ — ٣٧٢ ، روضات الجنات ٦ / ١٥٣ - ١٧٨ ، الكنى والالقاب ٣ / ١٦٤ - ١٦٥ ، الشيعة فى الميزان لمغنية ص/ ١١١ - ١١٢ ، الاعلام ٧ / ٢١

(٢) تاريخ الشيعة ص/ ١١٢

(٣) سبقت ترجمته ص/ ٢١٣ من هذا البحث.

(٤) ص/٣

ثانيا : الدولة الصفوية :

ينتسب الصفويون الى صفي الدين الاردبيلي (٦٥٠ - ٧٣٥هـ) وهو الجد الاكبر للشاه اسماعيل الصفوي (٨٩٢ - ٩٣٠هـ) مؤسس الدولة الصفوية.

وقد كان صفي الدين متزعماً لجماعة من المتصوفة، واستطاع هو وأولاده من بعده عن هذا الطريق جذب الكثير من المريدين ليس فى ايران فحسب بل فى تركيا والعراق بتأثير دعايتهم القوية.

وأصبح هؤلاء مركزاً لبثّ الدعوة الشيعية، وبدأ أولاد الشيخ صفي يعرفون أنفسهم للناس على انهم من نسل علي بن أبى طالب رضى الله عنه ويطالبون بالعرش إثباتاً لحقهم ويبدو أن الشيخ صفي كان يكتم تشيعه ويتظاهر بأنه سني على مذهب الامام الشافعي وأن الذى جاهر بالدعوة الى التشيع هو حفيده علي سياهپوش ومن بعده من الاسرة الصفوية[1] وقد بدأت حركة اسماعيل صفوي سنة ٩٠٥هـ من أذربيجان، وفى سنة ٩٠٧ استولى على تبريز وجعلها عاصمة له.

وبدخول اسماعيل الصفوى الى تبريز لقبه أتباعه بأبي المظفر وتوجوه ملكاً على ايران وما ان تمَّ له ذلك حتى أعلن فرض المذهب الشيعى مذهباً رسمياً فى مختلف أنحاء ايران بعد أن كانت ايران سنية المذهب.

ولقد ذهب علماء الشيعة اليه قائلين : إن ثلاثة أرباع سكان تبريز من السنة، ولا يدرون شيئا عن المذهب الشيعي ، ونخشى أن يقولوا لا نريد ملك الشيعة.

فأجابهم قائلاً : (لا يهمني هذا الأمر، فالله وحضرات الائمة المعصومين معي ، وأنا لاأخشى أحداً ، وباذن الله تعالى لو قال واحد من الرعيه حرفاً واحداً فأسحب سيفي ولن أترك أحدا يعيش)[2]!!

وبذلك تمكن الشاه اسماعيل من فرض المذهب الشيعي بحد السيف، وحلّت بأهل

---

(١) ملخصاً من كتاب : تاريخ الصفويين وحضارتهم، للدكتور بديع جمعه ، والدكتور أحمد الخولي ١/ ٣٧ - ٤٠ الطبعة الاولى ١٩٧٦م- الناشر دار الكتاب العربي بمصر.

(٢) المرجع السابق ١/ ٥٥ - ٥٦

السنة محنة شديدة، وكان أشد من تعرض لتلك المحنة علماء أهل السنه الذين أجبرهم هذا الرافضي وأعوانه على التشيع والطعن فى الخلفاء الراشدين الثلاثة ولعنهم .

وهذا ماصرح به أحد علماء الشيعة ممن عاصر الدولة الصفوية وعاش فى كنفها ، وهو نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢هـ) الذي يقول :

(لما أتى الشاه اسماعيل -الى شيزار، وكان أكثر علمائها من المخالفين أحضرهم وأمرهم بلعن المتخلفين الثلاثة، فامتنعوا عن اللعن ، لان التقية لا تجوز عندهم فى اللعن وأضرابه ، فأمر بقتلهم .

ثم قيل له إن واحدا من أفاضلهم .. قد بقي ، فأرسل اليه وأمره بلعن الثلاثة، فلعنهم لعناً شنيعاً فسلم من القتل)![1] ويلاحظ القارئ أن أهم ماكان يحرص عليه اسماعيل الصفوي من التشيع هو المجاهرة بلعن الخلفاء الثلاثة والاكراه على ذلك !

وقد كانت الكتب التى تبحث فى المذهب الشيعي نادرة فبدأ يشجع على انتشارها ثم توجه سنة ٩١٠هـ الى أصفهان وقتل الكثير من أهلها واستولى عليها[2] ثم استولى على بغداد (سنة ٩١٤هـ) واستمرت حروبه فى مختلف أنحاء ايران بهدف القضاء على مناوئيه وفرض المذهب الشيعي كما قام بالهجوم على الدولة العثمانية سنة ٩٢٠هـ ولكنه دحر وتراجع ثم قام بهجوم آخر على العثمانيين فى مصر سنة ٩٣٠هـ ولكنه مات فى نفس العام[3]

واستمرت سياسة فرض المذهب الشيعي ومحاربة أهل السنة وشن الغارات على الدولة العثمانية قائمة في الملوك الصفويين من بعده[4] .

---

(١) الانوار النعمانية ٢/٣٥

(٢) تاريخ الصفويين ١/٥٨

(٣) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية للدكتور كامل الشيبي ص/٤٠٩ - ٤١٠

(٤) بعد وفاة الشاه اسماعيل استلم الحكم ولده الشاه طهماسب، وقد سار على خطى أبيه فى نشر التشيع حتى مات سنة ٩٨٤هـ، وقد خرجت بغداد فى عهده من السيطرة الشيعية حيث استعادها العثمانيون سنة ٩٤١هـ، ولما مات طهماسب تنازع أولاده على الملك واضطرب أمر الدولة حتى استلم الحكم الشاه عباس =

وقد استفحل خطر الصفويين فى عهد الشاه عباس (ولد سنة ٩٧٨هـ وتوفى ١٠٣٨هـ) الذى قضى سنوات طوالا فى تثبيت دعائم حكمه من جهة، وفى الصراع مع الدولة العثمانية من جهة أخرى حتى تم له الاستيلاء ثانية على بغداد واحتلال أجزاء كبيرة من الاراضي العراقية واقتطاعها من السيطرة العثمانية، ولذلك نجد الشيعة يمجدون الشاه عباس ويفخرون به حتى اليوم كما أن أوربا تهتم دائما بشخصيته لانه أتاح لهم فرصة لالتقاط الانفاس لمحاربة الدولة العثمانية، ولولا حرب الصفويين مع الدولة العثمانية لأتمت الجيوش العثمانية اجتياح أراضي جميع الدول الاوربية، ولتغير تاريخ أوربا كلها (١)

وتمثل الفترة التى حكم فيها الشاه عباس مرحلة القوة للدولة الصفويه، وبعدها تبدأ مرحلة الضعف والانقراض التى استمرت حتى الهجوم الافغاني على ايران على يد نادرشاه سنة ١١٤٨هـ (٢)

وقد اهتم ملوك الدولة الصفوية بنشر التشيع والدعوة له وبناء الاضرحة والمزارات للائمة ونشط علماء الشيعة فى هذا العهد وأفصحوا عن خفايا عقائدهم، وأبرز هؤلاء

- محمد بن الحسين البهائي (٣) (ت ١٠٣١هـ)
- الفيض الكاشاني (٤) (ت ١٠٩١هـ) وهو صاحب تفسير الصافي، وصاحب كتاب الوافي الذى جمع فيه الاصول الاربعة للشيعة.

---

* وأخضع الخارجين عليه، واستتب له الامر سنة ٩٩٦هـ ثم بدأ يسترد ما انتزعه العثمانيون من الدولة الصفوية حتى قوي ملكه، واتخذ أصفهان عاصمة له، وكانت العاصمة من قبله مدينة تبريز ثم قزوين (راجع تفصيل ذلك فى كتاب: الشيعة فى الميزان لمحمد جواد مغنية ص/١٧٨ - ١٧٩)

(١) تاريخ الصفويين ١/٣٥٨ - ٣٦٠

(٢) تاريخ الشيعة لمحمد حسين المظفرى ص/ ٢٢٠

(٣) ولد البهائي فى بعلبك سنة ٩٥٣ وانتقل به والده الى الديار العجمية ولما كبر اشتهر بين الشيعة حتى سموه مجدد دين الأئمة على رأس القرن الحادى عشر وانتهت اليه رئاسة المذهب - توفى بأصبهان ونقل الى طوس فدفن فيها.
له مصنفات كثيرة أبرزها: الجامع العباسي، والكشكول، والعروة الوثقى، والحواشي على الفقيه، ومفتاح الفلاح، ووالده الشيخ حسين عبد الصمد من علماء الامامية المشهورين فى الدولة الصفوية أيضاً. راجع: جامع الرواه للاردبيلى ٢/٨٩- ٩١

(٤) سبقت ترجمته ص/٢١٦ من هذا البحث

- الحر العاملي[1] (ت ١١٠٤هـ) وهو صاحب كتاب وسائل الشيعة الذى جمع فيه معظم كتب الشيعة .
- محمد باقر المجلسي[2] (ت ١١١١هـ) وهو صاحب كتاب بحار الانوار وغيره .
- نعمة الله الجزائري[3] (ت ١١١٢هـ) وأبرز كتبه الانوار النعمانية .
- محمد بن علي الاردبيلي[4] (توفى بعد ١١٠٠هـ) وهو من تلاميذ المجلسي، وصاحب كتاب جامع الرواه .. وهناك كثيرون غيرهم من علماء الشيعة فى العهد الصفوي ممن يصعب حصرهم .[5] ولا يدرك القارئ خطورة العهد الصفوي تماماً الا حينما يطلع على مانشره علماء الشيعة هؤلاء من غلو وماسطروه فى كتبهم من انحرافات خطيرة، وقد بيّنّا كثيراً من ذلك في ثنايا بحثنا هذا ، وخاصة فيما يتعلق باعتقاد هؤلاء بتحريف القرآن الكريم، وطعنهم فى الصحابة الكرام والحكم بتكفير من خالفهم، وما إلى ذلك .

(١-٢) سبقت ترجمتهما ص/٢١٥ من هذا البحث.

(٣) هو نعمة الله بن عبد الله بن محمد الجزائري ، ينتسب إلى جزائر البصرة ، ولد فى قرية الصباغية من قراها ، سنة (١٠٥٠هـ) وقرأ بها ثم بشيزار فأصفهان ، له مؤلفات عديدة أبرزها : (الأنوار النعمانية فى معرفة النشأة الانسانية) وهو من أخطر الكتب الشيعية وأشدها غلواً ، وله كتاب (شرح التهذيب) ، وله شرح على كتاب الاحتجاج للطبرسي سماه (قاطع اللجاج) ، وقد ترجم الجزائري لنفسه فى آخر كتابه (الانوار النعمانية) ج ٤/٣٠٢ - ٣٢٦ .وراجع ترجمته في : لؤلؤة البحرين ص/ ١١١ ، روضات الجنات ٨/ ١٥٠ ، الاعلام ٨/ ٣٩

(٤) هو محمد بن على الاردبيلي الغروي الحائري ، من أهل (أردبيل) بايران ، أقام مدة فى أصفهان له كتاب جامع الرواه ، وتصحيح المسانيد ، ولما فرغ من تأليف جامع الرواه سنة (١١٠٠هـ) وكان إذ ذاك بأصفهان ، أمر السلطان سليمان الصفوي بكتابة نسخه له عن نسخة الاصل فدعا الاردبيلى علماء الشيعة الى حجرته ليكتب كل واحد منهم شيئاً بخطه من أول النسخة التي ستنسخ للسلطان سليمان وكان على رأس هؤلاء شيخه المجلسي الذي استفتح الكتاب بخطه . وهذا يبرز التشجيع الذي كان يلقاه علماء الشيعة فى العهد الصفوي. راجع ترجمته في : مقدمة جامع الرواه - الاعلام ٦/ ٢٩٤ - ٢٩٥

(٥) ذكر بعضا منهم محمد جواد مغنية فى كتابه (الشيعة فى الميزان)ص/١٨٢ - ١٨٣

تنبيه لابد منه :

قبل أن ننتقل الى الحديث عن التقية نلفت النظر الى اننا فى كثير من الاحيان سنستخدم مصطلح (الشيعة) باطلاق للدلالة على فرقة الامامية، وهذا مافعله كثير من الباحثين الذين بيّنوا أن مصطلح الشيعة إذا أُطلق فانه ينصرف الى الامامية وأما غيرهم فإما إسماعيلية أو زيدية[1] وقد ذهب الى هذا الرأى بعض علماء الشيعة أيضاً .

يقول كاشف الغطاء : (يختص اسم الشيعة اليوم على اطلاقه بالامامية)[2]

وهذا هو في الواقع المتبادر الى الاذهان عندما يطلق لفظ الشيعة اليوم، ولذلك يقول الدكتور عرفان عبد الحميد :

(إن البحث فى عقائد الشيعة من غير تحديد وحصر للمصطلح ينبغي أن يعتمد على كتب الاثني عشرية الامامية، باعتبارها تمثل الاكثرية الغالبة من الشيعة، ذلك أن المصطلح (الشيعة) إذا أطلق من غير تحديد وحصر لا يعني الا المذهب الاثنا عشرى)[3]

وفيما يخص موضوع بحثنا وهو التقية فإننا نجد أن الامامية هم الذين اختصوا بهذا الانحراف والشذوذ ، وامتلأت كتبهم بالاقاويل والنصوص والروايات عن التقية وقلّما ترجع الى كتاب من أمهات كتبهم فى الحديث أو التفسير أو الفقه أو العقائد وغير ذلك إلا وتجد فيه الكثير من استخداماتهم للتقية وانحرافاتهم فيها .

أما الزيدية فقد بيّنا أن موقفهم من التقية هو موقف أهل السنة.

وأما الباطنية فإن استخدامهم للمنهج الباطني يغنيهم عن كثير من استخدامات

---

(١) دراسات فى الفرق للدكتور عرفان عبد الحميد ص/ ٣٢ ، التقريب بين أهل السنة والشيعة / ناصر بن عبد الله القفاري ص/ ١٥٦ وهو بحث مقدم لنيل الماجستير من جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بإشراف الدكتور صالح الفوزان - عام ١٤٠١ / ١٤٠٢هـ

(٢) أصل الشيعة وأصولها ص/ ٩٢

(٣) دراسات فى الفرق ص/ ٣٢

التقية فى تأويل نصوص الكتاب العزيز وغير ذلك من الانحرافات وهذا ماسنراه فى آخر بحثنا عن الشيعة[1] فلم يبق من الشيعة من صال وجال فى أمر التقية واستخدمها فى غير مواطنها وشذ فيها عن حقيقتها إلا الامامية الرافضة الذين أصبحت التقية عندهم سمة يُعرفون بها دون غيرهم[2]

من أجل ذلك كله سيجد القارئ أن الحديث عن التقية عند الامامية قد استغرق معظم صفحات البحث، كما سيجد أنني في كثير من الاحيان استخدم مصطلح (الشيعة) باطلاق كدلالة على طائفة الامامية الاثني عشرية، كما فعل كثير من الباحثين واتباعا لما هو شائع ومعروف.

---

(١) راجع الفصل الأخير من هذا الباب: التقية عند الباطنية ص/٥٨٧ من هذا البحث.

(٢) يقول محمد رضا المظفر ـ أحد علماء الشيعة المعاصرين ـ فى حديثه عن التقية (مازالت سمة تعرف بها الامامية دون غيرها من الطوائف والامم) ـ عقائد الامامية ص/ ٨٧ ـ

الفصل الثاني

مفهوم التقية وأدلتها وأحكامها عند الشيعة الإمامية

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الاول : تعريف التقية عند الشيعة الامامية

المبحث الثاني : أهمية التقية عندهم وارتباطها بالعقيدة وأدلتهم على ذلك :

١ - تأويلهم لبعض آيات القرآن الكريم للاستدلال على مذهبهم في التقية .

٢ - رواياتهم في أهمية التقية ومنزلتها .

٣ - مناقشة هذه الروايات.

٤ - مغالطات الدكتور الشيبي في حديثه عن التقية .

المبحث الثالث: نسبتهم التقية للرسل والائمة وبعض الصالحين :

أولا : نسبة التقية للرسل عليهم السلام.

١ - نسبة التقية لابراهيم عليه السلام.

٢ - نسبة التقية ليوسف عليه السلام.

٣ - نسبة التقية للرسول صلى الله عليه وسلم .

ثانيا : نسبة التقية للأئمة المعصومين عندهم .

ثالثا : نسبة التقية لبعض الصالحين .

١ - نسبة التقية لأصحاب الكهف .

٢ - نسبة التقية لمؤمن آل فرعون .

المبحث الرابع : أحكام التقية عند الشيعة :

أولا : أحكام التقية عند علمائهم القدماء

ثانيا : أحكام التقية عند علمائهم المتأخرين .

ثالثا : أحكام التقية عند علمائهم المعاصرين .

رابعا : حد الضرورة في استخدام التقية عندهم.

خامسا : دار التقية وأحكامها .

* * *

المبحث الأول

تعريف التقية عند الشيعة الإمامية

تحدثنا في الباب الأول عن تعريف التقيه لغه، وأصل اشتقاق هذه الكلمة، ثم استعرضنا أقوال علماء أهل السنه في تعريف التقيه اصطلاحا بما يوافق نظرتهم إليها.

وها نحن الان ننتقل الى الباب الثاني لنعطي نظرة شاملة مفصلة لموقف الشيعة من التقية من خلال رواياتهم وأقوال أئمتهم وعلمائهم في القديم والحديث.

ولابد لنا أولا أن نستعرض أهم تعريفات علماء الشيعة للتقية لننتقل بعدها الى رواياتهم وفتاواهم في التقية التي هي عندهم من أهم العقائد.

وقد عرف أحد علماء الشيعة التقية لغة فقال:

(الاتقاء في الاصل أخذ الوقاية للخوف، ثم ربما استعمل بمعنى الخوف استعمالا للمسبب في مورد السبب، ولعل التقية في المورد من هذا القبيل)[1]

وهذا التعريف اللغوي من الطبيعي أن يكون موافقاً للتعريفات اللغوية عند أهل السنة. أما تعريف التقية اصطلاحا فلهم فيه أقوال عديدة، فالشيخ المفيد[2] (ت ٤١٣) يعرف التقية فيقول:

(التقية هي كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه، ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا)[3]

ونلحظ من هذا التعريف أن الشيخ المفيد أطلق لفظة (ضرراً) وجعلها نكرة، ولم يقيدها، وكأنه يقصد أن التقية يمكن استخدامها مهما كان الضرر طفيفاً، ولو كان ذلك الضرر في أي أمر من أمور الدنيا. فليس في تعريف الشيخ المفيد أي تحديد لنوع الضرر ولا أي ضابط لتمييز الضرورة عن غيرها.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن لمحمد حسين الطباطبائي ١٥٣/٣

(٢) سبقت ترجمته ص ٢١٨ من هذا البحث.

(٣) شرح عقائد الصدوق ص / ٦٦

ولننتقل الى تعريف آخر للتقية وهو تعريف الطوسي[١] الملقب عندهم بشيخ الطائفة (ت ٤٦٠هـ) حيث عرفها بقوله :

(الاظهار باللسان خلاف ما ينطوي عليه القلب، للخوف على النفس، إذا كان ما يبطنه هو الحق فإن كان ما يبطنه باطلاً كان ذلك نفاقاً)[٢].

في هذا التعريف نجد تحديداً أدق لمفهوم التقية وتفريقاً بينها وبين النفاق، فالتقية اظهار الباطل وكتمان الحق، والنفاق عكس ذلك فهو اظهار الحق وكتمان الباطل، ولابد من هذا التفريق لان الصورة الشكلية لكلا الفعلين واحدة، يُظهر الانسان فيهما خلاف ما يبطن، لكن الفرق بينهما كبير. وكذلك فالشيخ الطوسي حدد نوع الضرر بقوله : (للخوف على النفس) ولم يفعل مثلما فعل سلفه الشيخ المفيد الذى ترك الضرر بلا تحديد ولا تقييد.

وهناك تعريف آخر يختلف تماماً عن سابقَيْه، وهو تعريف لا يتحدث الا عن مجال واحد من مجالات التقية عندهم، وهو مجال كتمان الاسرار عن غير أهلها، وهو كما يقول الدكتور الشيبي خروج بالتقية عن معناها الاصطلاحي لتتقمص معنى آخر صوفياً[٣]

وقد ذكر ذلك التعريف الشيخ بهاء الدين حيدر الاملي[٤] (ت بعد ٧٨٢هـ) حيث

---

(١) سبقت ترجمته ص / ٢١٤ من هذا البحث

(٢) تفسير التبيان للطوسي ٢/ ٤٣٤

(٣) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية للدكتور كامل الشيبي - ص/ ١٢٥ مكتبة النهضة بغداد - الطبعة الاولى ١٩٦٦م

(٤) هو بهاء الدين حيدر بن على الاملي، من أهل (آمل) بطبرستان، نشأ بالحلة، واستقر ببغداد، وصنف كتباً منها : الكشكول فى بيان ماجرى على آل الرسول، الاركان فى فروع شرائع أهل الايمان، مدراج السالكين فى مراتب العارفين، لب الاصطلاحات الصوفية، نص النصوص فى شرح الفصوص لابن عربى، منبع الأسرار الالهية .. وغير ذلك.

قال عنه الخوانساري : (هو من أجلة علماء الظاهر والباطن)

راجع ترجمته في : روضات الجنات ٢/ ٣٧٧، الاعلام ٢/ ٢٩٠

يقول :

(التقية هى الاحتراز عن افشاء الاسرار الالهية) (١)

ويقصد بهذه الاسرار ماعندهم من عقائد لايجوز الافصاح بها حتى أمام عوام الشيعة لئلا يدخل الشك والريب إلى نفوسهم وينفروا من التشيع

ونستنتج من هذه التعريفات الثلاثه النقاط التالية :

١ ـ أن التقية تكون عند الخوف وتوقع الضرر (ولو كان هذا الضرر غير محدد عندهم) (٢)

٢ ـ أن فى التقية اخفاءً لما يعتقد الانسان واظهاراً لخلافه

٣ ـ أنه لابد للقلب أن يبقى مطمئنا بما يخفيه من اعتقاد

ولا يكاد القارئ يشعر بفرق واضح بين هذا الاستنتاج وبين تعريفات التقية عند أهل السنة التى سبق ذكرها فى مطلع الباب الاول ، ولعل ذلك يرجع الى خاصية التعريفات والحدود لانها تُجمل ولاتفصل ، كمايلاحظ أن التعريفات الثلاثه السابقة تدور حول المعنى اللغوى والشكل الظاهري للتقية ولاتتعرض للمعنى الاصطلاحي الذى يقصده الشيعة من حقيقة التقية كعقيدة أساسية من عقائدهم.ولكن الذى سيبين لنا حقيقة التقية عندهم ومقدار غلوهم فى شأنها واختلافهم فيها عن أهل السنة، إنما هي التفصيلات التى سنعرضها من خلال رواياتهم وأقوال علمائهم وأحكامهم فيها ومجالات استخدامهم لها،وسنرى حينئذ أن تعريفاتهم للتقية لاتنطبق على حالات ومجالات استخدامهم لها .

ولننتقل بعد ذلك الى تعريف التقية اصطلاحا عند علماء الشيعة المعاصرين :

---

(١) الفكر الشيعى للشيبي ص/ ١٢٦ ومقالة : التقية أصولها وتطورها للشيبي أيضاً ص/ ٢٥٧ . عن : (جامع الاسرار ومنبع الانوار فى أن عقائد الصوفية موافقة لمذاهب الامامية الاثنا عشرية) لمؤلفه : بهاء الدين حيدر الاملى ـ مخطوط(١٠٧ ب) فى مكتبة دائرة الهند بلندن .

(٢) سوف نرى تساهلهم فى تقدير الضرورة وترك تحديدها لدوافع الافراد النفسية راجع ص/ ٣٣١

فالشيخ محسن الامين [(١)] يعرف التقية فيقول :

(هى إظهار خلاف الواقع في الأمور الدينية بقول أوفعل خوفاً وحذراً على النفس أوالمال أوالعرض،على نفسه أوعلى غيره) [(٢)]

ويعرفها محمد جواد مغنيه [(٣)] بتعريف آخر قريب منه فيقول :

(هي الحيطه والحذر من القوى الظالم الذى يأخذ المتهم دون أن يحاكمه ويأذن له بالدفاع عن نفسه) [(٤)]

ويقول فى موضع آخر من كتابه معرفا التقية :

(هى أن تقول أو تفعل غير ماتعتقد لتدفع الضرر عن نفسك أو مالك أو لتحتفظ بكرامتك) [(٥)]

---

(١) هو محسن بن عبد الكريم الامين العاملي ، ولد فى قرية شقراء بجبل عامل فى لبنان عام (١٢٨٢هـ) وتعلم بها ، ثم فى النجف بالعراق ، ثم عاد الى سوريه ، فاستقر فى دمشق سنة (١٣١٩هـ) وعمل فى التدريس والوعظ ثم الافتاء ، وتوفي فيها سنة (١٣٧١هـ) وله مؤلفات كثيرة، أبرزها : أعيان الشيعة، طبع منه ٥٦ مجلدا والحصون المنيعة فى الرد على صاحب المنار، وكشف الارتياب، والشيعة بين الحقائق والاوهام فى الرد على صاحب الوشيعة ومعادن الجوهر، وله ديوان شعر.وسوف نتعرض لكثير من أقواله وآرائه بالمناقشة فى بحثنا هذا.راجع ترجمته في:أحسن الوديعة ٢/٣٤١ الاعلام ٥/٢٨٧

(٢) الشيعة بين الاوهام والحقائق ص/١٨٥

(٣) محمد جواد مغنية: أحد علماء الشيعة المعاصرين فى لبنان ، لم أجد له ترجمه ولكني وقفت على الكثير من كتبه ، وأبرزها التفسير الكاشف فى سبعة مجلدات، وقد ذكر فى مقدمته أسماء كتب صدرت له وهي : الله والعقل ، النبوة والعقل ، الاخرة والعقل ، إمامة على والعقل ، المهدي المنتظر والعقل ، علي والقرآن . . ، ومعالم الفلسفه الاسلامية، الفقه على المذاهب الخمسة، الشيعة والحاكمون ، كما وقفت على كتاب كبير له هو(فقه الامام جعفر الصادق)من ستة أجزاء،وكتاب(الشيعة فى الميزان) ويتضمن ثلاثةكتب هي : الشيعة والتشيع، ومع الشيعة الامامية، والاثنا عشرية.وسيجد القارئ اننا سنتعرض لكثير من أقوال مغنية وآرائه بالمناقشة فى بحثنا هذا

(٤) الشيعة فى الميزان ص/ ٣٤٥

(٥) المرجع السابق ص/٤٨

وهناك تعريفات أخرى للتقية ذكرها علماء معاصرون من الشيعة في كتبهم لا تخرج في نصوصها عن التعريفات السابقة ولذلك أغضينا الطرف عنها .

ويلاحظ على هذه التعريفات الدقة في تحديد الضرورة أكثر مما كان عند علماء الشيعة القدماء ، وإن لم تكن جامعة مانعة بما فيه الكفاية، وبذلك تقترب في ظاهرها من تعريفات أهل السنة اكثر، ويبقى الاختلاف الجوهري في حكم التقية ومجالات استخدامها . ولكن محمد جواد مغنيه اعتبر الاحتفاظ بالكرامة من مبررات استخدام التقية وهو هدم لتعريفه السابق وما وضعه فيه من شروط وقيود إذ ان كرامة الانسان تخدش لمجرد نظرة أو عتاب وكل هذا لا يدخل في الضرورة أبداً. ومع ذلك فأسباب الاقتراب في الشكل الظاهري من تعريفات أهل السنة لها عدة احتمالات :

١ - إما أن يكون علماء الشيعة المعاصرون قد تأثروا بما ذكره علماء أهل السنة من تعريفات للتقية ونقلوا عنهم .

٢ - وإما أن يكونوا قد توصلوا اليها بأنفسهم نتيجة اتفاقهم في فهم آيات التقية وأدلتها مع فهم أهل السنة لها، وبذلك يكون المعاصرون من علماء الشيعة قد تجاوزوا نظرة سلفهم الى التقية وأعرضوا عنها .

٣ - وإما أنهم اتخذوا هذا المسلك في صياغة تعريفات للتقية ظاهرها يوافق تعريفات أهل السنة فيكون هذا تقية أيضاً للدفاع عن أنفسهم ضد ما يتعرضون له من انتقادات لغلوهم في التقية وانحرافهم في فهمها. وسنلاحظ من خلال ما سيمر معنا من نصوص وأقوال لعلماء الشيعة المعاصرين أن الاحتمال الثالث هو الذي يقصده هؤلاء وهي محاولة منهم لذر الرماد في العيون إيهاماً للناس أن التقية بهذا الشكل متفق عليها إسلامياً وليست أمراً قاصراً عليهم أو انحرافاً في الدين يُلامون عليه .
والواقع أن هناك اختلافات جوهرية كثيرة بين أحكام التقية عند أهل السنة ونظائرها عند الشيعة كما أن هناك روايات كثيرة في أهمية التقية منتشرة في كتب الشيعة وهذا ما سنتعرض له تفصيلياً في المباحث القادمة إن شاء الله .

المبحث الثاني

أهمية التقية عندهم وارتباطها بالعقيدة وأدلتهم على ذلك

استدل الشيعة على فضل التقية ومنزلتها بأدلة كثيرة من القرآن الكريم والحديث النبوي والاقوال المنسوبه إلى أئمتهم الذين يصفونهم بالعصمة.

أما أدلتهم من القرآن الكريم فهي قسمان :

- قسم يصرح بالتقية ويرخص بها ، وهي الايات الكريمة التى سبق ذكرها فى الباب الاول من هذا البحث، والتى استدل بها أهل السنة على جواز التقية فى حالة الاكراه [1] ولكن هؤلاء لم يستدلوا بها لاثبات الجواز، وانما استدلوا بها لتأكيد مذهبهم في وجوب التقية وكونها من الأصول لا من الرخص العارضة.
- وقسم آخر ليس فيه تصريح أوذكر للتقية، وانما هى آيات قرآنية عامة تتحدث في موضوعات أخرى فقام الشيعة بتأويلها وإخراجها عن ظواهرها،وصرفها عن المعاني المرادة منها ليجعلوها أدلة على مذهبهم فى التقية.

وأما الأحاديث النبوية فهى قسمان أيضاً : قسم ورد من طريق أهل السنة وقد سبق ذكره [2] وقسم آخر ورد من طريقهم، وهى الروايات التى نسبوها لائمتهم، وكلها تأكيد على منزلة التقية وفرضيتها وأنها أصل من أصول الدين عندهم وعقيدة من أبرز عقائدهم.

ولذلك نجد شيخهم الكليني الذي يلقبونه (ثقة الاسلام) وضع باباً خاصاً للتقية من أبواب كتاب الايمان والكفر ضمن كتابه المعروف (الأصول من الكافي) الذى هو أصح كتب الحديث عندهم وأهمها .

---

(١) وهى قوله تعالى : (لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ الأأن تتقوا منهم تقاة ..)آل عمران /آية ٢٨
وقوله سبحانه : (من كفر بالله بعد إيمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ..) النحل / آيه ١٠٦
وقوله : (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ..) النساء آيه / ٩٨

(٢) راجع ص/ ٦٦ من هذا البحث

وجعله التقية باباً في كتاب الايمان والكفر يؤكد نظرتهم واعتبارهم لها ، وأنها عندهم أصل من أصول العقيدة والدين ، وليست فرعاً من الفروع.

ولو تأمل الباحث في روايات الباب الذي عقده الكليني في فضائل التقية لاصيب بالدهشة، وهو يرى هذه الهالة العظيمة من الفضائل والتقديس التي يضعها للتقية حتى كأن الاسلام لم يأت الا لتأكيد التقية، أو كأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يُبعث الا للحض عليها والامر بها والتحذير من تركها !!

وسنستعرض في هذا المبحث إن شاء الله هذه الروايات التي رويت في الكافي، وغيره من عشرات الكتب الشيعية الاخرى فيما يتعلق بأهمية التقية ومنزلتها ، وهناك روايات كثيرة أخرى لها صلة بالمباحث القادمة ولذلك رأينا عدم ذكرها هنا مع أنها تصلح أدلة من وجه آخر على أهمية التقية، ولكنها وثيقة الصلة أكثر بما سيرد من مباحث قادمة.

وحديثنا في هذا المبحث ينحصر في نقطتين :

١ - تأويلهم لبعض آيات القرآن الكريم للاستدلال على مذهبهم في التقية.

٢ - رواياتهم في أهمية التقية ومنزلتها .

---

(١) ذكر الكليني في هذا الباب ٢٣ حديثا عن أئمتهم، ثم أردفه بباب آخر له صلة بالتقية وهو (الكتمان) ذكر فيه ١٦ حديثا ، وذكر أحاديث كثيرة قبلها في باب المداراة وباب الرفق ، وبعد أبواب كثيرة رجع الكليني ثانية للحديث عن التقية في باب خاص سماه (باب الإذاعة) ج ٢ ص ٣٦٩ - ٣٧٢ وفيه الأمر بكتمان عقائدهم والتحذير من إذاعتها .

١ - تأويلهم بعض آيات القرآن الكريم للاستدلال على مذهبهم فى التقية :

لم يكتف الشيعة بالاستدلال بما ورد من آيات القرآن الكريم الصريحة فى جواز التقية لعلمهم أن هذه الايات الكريمة لا تكفي في إظهار غلوهم بالتقية، ولا تدل على الوجوب أو الفرضية الذي يريدون تأكيده وانما تدل على الجواز والرخصة .

لذلك قاموا بتأويل بعض الايات القرآنية الاخرى وصرفها عن معانيها الظاهرة البيِّنة الى معان أخرى لا يحتملها المعنى ، ولم يبالوا بخروج اللفظ القرآني عن معناه الذى وُضع له وسيق من أجله .

والباطنية (غلاة الشيعة) هم الذين اشتهروا بهذا العمل وتميزوا به حتى وصلوا الى الادعاء بأن لظواهر القرآن الكريم بواطن تجرى فى الظواهر مجرى اللب من القشر .(١)

فالمعاني الظاهرة لايات القرآن الكريم هى كالقشور عند الباطنية، أما الحقائق فانما توجد فى اللب الذى هو باطن المعنى ، ويقولون (إن من تقاعد عقله عن الغوص على الخفايا والاسرار، والبواطن والاغوار، وقنع بظواهرها مسارعاً إلى الاغترار كان تحت الأواصر والأغلال)(٢)

ويقصدون بالاغلال التكاليف الشرعية، إذ أن غرضهم من التأويل الباطني اسقاط التكاليف، والانسلاخ عن قواعد الدين ، واذا سقطت الثقة بالالفاظ الصريحة لآيات القرآن الكريم لم يبقَ للشرع عصام يُرجع اليه ويُعوَّل عليه .(٣)

والشيعة الامامية الاثنا عشرية تأثروا بهذا المنهج الباطنى ، فأخذوا ينزلون نصوص القرآن الكريم على ماقرروه من عقائد حرصاً منهم على ايجاد المستند لما يعتقدونه ، وذلك باستخدام التأويل الكلامي أحياناً والتأويل الباطنى فى أحيان أخرى(٤)

---

(١) فضائح الباطنية للغزالي ص/ ١١

(٢) ، (٣) المرجع السابق ص/ ١٢

(٤) راجع تفصيل ذلك فى كتاب التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي المجلد الثانى صفحة (٢١-٢٣) وقد خصص قسما كبيراً من المجلد الثاني للحديث عن تفاسير الشيعة ومنهجهم فى التفسير بما يوافق عقائدهم.

والعجب فى ذلك أنهم نسبوا هذا التفسير الفاسد الى أئمتهم ونقلوا ذلك بروايات ذكرها كثير من علماء الشيعة.(١)

وأهم مانقلو ونسبو للائمة فى هذا المجال الروايات التالية:

الرواية الاولى - روى الكليني بسنده (عن هشام بن سالم وغيره عن أبى عبد الله (ع) فى قول الله عز وجل " اولئك يؤتون أجرهم مرتين بماصبروا " قال : بماصبروا على التقية.
" ويدرؤن بالحسنة السيئة" قال : الحسنة التقية والسيئة الاذاعة)(٢)

الرواية الثانية - وروى أيضاً بسنده (عن حريز عمن أخبره عن أبي عبد الله (ع) فى قول الله عز وجل " ولا تستوي الحسنة ولا السيئة " قال : الحسنة التقية والسيئة الاذاعة. وقوله عز وجل " ادفع بالتى هى أحسن " قال : التي هى أحسن التقية
" فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ")(٣)

والملاحظ فى هاتين الروايتين أنهما تفسران معنى الايتين الكريمتين فى التقية وتخرجان كلام الله تعالى عن ظاهره المراد منه، وأن الشيعة يلوون أعناق النصوص ليًّا ليؤكدوا ويدعموا آراءهم .

ولذلك لابد من الوقوف هنا قليلاً لايضاح الأمر:

فقوله تعالى :(أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون)(٤)

وقوله سبحانه :(ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين .
ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا ومايلقاها إلا ذو حظ عظيم)(٥) .

هذه الايات ليس فيها مايدل على التقية أبداً ، بل إن السياق واضح فى أن المراد بقوله

(١) أمثال الكليني والعياشي والقمي وغيرهم .
(٢) الاصول من الكافى ٢١٧/٢
(٣) المرجع السابق ٢١٨/٢ وأورد هذه الرواية الشيخ المفيد فى كتابه (الاختصاص) ص/ ٢٥
(٤) سورة القصص / آية ٥٤
(٥) سورة فصلت / الايات ٣٢ - ٣٥

تعالى (ادفع بالتى هى أحسن) أي: ادفع السيئة والاساءة التي تنالك بالعفو والحلم والصبر وخاصة فى مجال الدعوة الى الله، لأن الاية التى قبلها تذكر فضل ومنزلة من دعا الى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين.[1]

فالدعوة الى الله والصدع بالحق هو الذى يحتاج الى صبر ويتطلب الحكمة ودفع السيئة بالحسنة، ولكن الشيعة قلبوا مفهوم هذه الآيات وجعلوا المراد منها الأمر بالتقية وكتمان الحق .

ولو كانت الحسنة فى التقية، والسيئة فى الاذاعة لما امتدح الله الذين يدعون الى دينه ويعتزون بالاسلام فى الاية السابقة لها .

والروايتان السابقتان تحصران معنى الصبر فى الايتين بأنه الصبر على التقية. وهذه زيادة فى المعنى لا يحتملها النص، بل إن الذى يستخدم التقية ليبعد الخطر عنه وليخفي عقيدته لا حاجة له بالصبر فى هذا المجال ، اذ الصبر يكون على ما يصيب المسلم من أذى وبلاء من جراء تمسكه بعقيدته ودعوته الى دينه، وهذا من أهم مجالات الصبر .

ولا يمكن أن نصف من يستعمل التقية إيثاراً للسلامة وابتعاداً عن الاخطار بأنه صابر، لان هذه التقية ستؤدي به الى النجاة من المخاوف والبعد عن الاخطار، ولكن الأولى بصفة الصبر من يدعو إلى الله ويجاهد فى سبيله ويضحي بنفسه لاعلاء كلمة الله.

والعجيب أن معظم مفسري الشيعة لم يلتفتوا إلى الروايتين السابقتين في تفسير الحسنة والسيئة، وانما أبقوا المعنى على ظاهره المراد منه ، وفسروا المراد من الصبر بأنه الصبر على فعل الطاعة والامتناع عن المعصية والصبر على الأذى فى جنب الله.[2]

والفيض الكاشاني فى تفسيره (الصافى)[3] ذكر ذلك أيضاً وأكد العموم فى معنى الآيتين، ولكنه عاد لينقل لنا رواية الكافي بأن الحسنة هي التقية والسيئة هي الاذاعة مخالفاً بذلك ما ذهب اليه المفسرون الآخرون من الشيعة.

---

(١) راجع تفسير ابن كثير ٤/١٠١

(٢) راجع تفسير التبيان للطوسي ٨/٤٣١ ، ٨/١٢٤ - مجمع البيان للطبرسي ٢٠/٣٠٤ ، ٢٤/٢٢ التفسير الكاشف لمحمد جواد مغنيه ٦/٧٤ ، ٦/٤٩٢

(٣) راجع : تفسير الصافي ٢/٢٦٧ ، ٢/٥٠٠

والواقع أن عدم التفات معظم المفسرين الى هاتين الروايتين وعدم استخدامهما في بيان المعنى يدل على أحد احتمالين :

١ - أن يكون ذلك اعتقاداً منهم بأن المعنى عام، ولا دليل على تخصيصه أو تأويله بالتقية،فكأنهم بإغفال هذه الروايات ينكرونها ، ويكون موقفهم هذا كاف للرد على الذين أخذوا بها أو أشاروا إليها ، بل هو كاف لإبطال هاتين الروايتين من أساسهما .

٢ - وإما أنهم يعتقدون بصحة هاتين الروايتين وأمثالهما سنداً ومعنى ، ولكنهم لم يشيروا إليها بسبب التقية لئلا يظهروا أمام أهل السنة أنهم ينحرفون في تفسير آيات القرآن (وهذا هو الراجح). ولننتقل بعد ذلك إلى الرواية الثالثة في تفسير بعض آيات القرآن الكريم بما يوافق ويؤيد مذهبهم في التقية .

الرواية الثالثة :

روى ابن بابويه القمي بسنده عن أبي بصير قال :

(سألت أبا عبد الله - ع - عن قول الله عز وجل : " يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا " قال : اصبروا على المصائب، وصابروهم على التقية، ورابطوا على من تقتدون به واتقوا الله لعلكم تفلحون)[1]

ويكفي للرد على هذه الرواية أن نذكر قول الشيخ الطبرسي في تفسير هذه الاية فقد أورد في معناها ثلاثة أقوال نعرضها بايجاز وهي :

١ - اصبروا على دينكم، أي اثبتوا عليه وقاتلوا العدو واصبروا على قتالهم كما يصبرون على قتالكم في الباطل .

٢ - اصبروا على دينكم، وصابروا وعدي إياكم، ورابطوا عدوي وعدوكم.

٣ - اصبروا على الجهاد ، ورابطوا على الصلوات أي انتظروها واحدة بعد واحدة.

ثم قال : (وهذه الاية تتضمن جميع مايتناوله المكلف، لأن قول اصبروا يتناول لزوم العبادات واجتناب المحرمات، وصابروا يتناول مايتصل بالغير كمجاهدة الجن والانس، ورابطوا

(١) وسائل الشيعة ٤٦٣/٦ وراجع تفسير الصافي ٣٢٣/١ - والآية في سورة آل عمران آية / ٢٠٠

يدخل فيه الدفاع عن المسلمين والذب عن الدين ، واتقوا الله يتناول الانتهاء عن جميع المناهي والزواجر والائتمار بجميع الأوامر ، ثم يتبع ذلك الفلاح والنجاح)[(١)]

وكذلك الشيخ الطوسي - الذي هو شيخ الطائفة عندهم - لم يتعرض لذكر التقية في تفسير هذه الاية وانما قال : (المصابرة صبر على جهاد العدو ويقابل صبره لأن المفاعلة بين اثنين)[(٢)] ولكنه ذكر الرواية بطريقة أخرى ليس فيها أي إشارة الى التقية.

فقال : (روى عن أبي جعفر - ع - أنه قال : اصبروا على المصائب، وصابروا على عدوكم ورابطوا عدوكم)[(٣)]. وهي رواية تختلف تماماً عن رواية ابن بابويه القمي وليس فيها تحديد معنى المصابرة بالتقية كما في الرواية السابقة.

نعود فنقول : يكفي إعراض مفسري الشيعة عن هذه الرواية لاثبات بطلانها وتهافتها لاسيما وانها جعلت معنى الاية معكوساً ، فالاية تأمر بجهاد الأعداء والصبر على كل ما ينال المسلم في سبيل ذلك مهما اشتدت قوتهم. ولكن الرواية السابقة قلبت المعنى ليدل على التخفي والتكتم والتقية !! ثم أين المصابرة في التقية وهي تؤدي - كما يقولون - إلى السلامة والى الصديق الحميم ؟!

الرواية الرابعة :

روى البرقي في (المحاسن) بسنده (عن عبدالله بن حبيب عن أبي الحسن - ع - في قول الله عز وجل " إن أكرمكم عند الله أتقاكم "[(٤)] قال : أشدكم تقية)[(٥)]

والآية الكريمة تتحدث عن مقياس التفاضل بين البشر عند الله سبحانه وأن الانسان كلما ازداد في التقوى والخشية من ربه كلما زادت كرامته ومنزلته عند الله تعالى .

---

(١) مجمع البيان للطبرسي ٣١٣/٤ - ٣١٤

وقد قال أحمد مغنية - وهو أحد كتاب الشيعة المعاصرين - ممتدحاً تفسير الطبرسي : (إن الشيعة الامامية تثق وثوقاً كاملاً بتفسير مجمع البيان للشيخ أبو علي الطبرسي من أكابر علماء الامامية في القرن السادس) راجع كتابه : الجبهان سليل الشيطان ص/ ٧٩ وانظر ترجمة الطبرسي ص/ ٣١٢ من هذا البحث

(٢) (٣) تفسير التبيان للطوسي ٩٦/٣

(٤) سورة الحجرات آية / ١٣

(٥) وسائل الشيعة ٤٦٦/٦

فالمراد بالتقوى الخشية من الله ، وليس التقية التي هي الخشية والخوف من البشر، لكن هذه الرواية قلبت المعنى رأساً على عقب، وهذا تحريف خطير للمراد من الآية الكريمة وكأنهم يقصدون بذلك أن الانسان كلما توسع فى التقية وتمسك بها وزاد فى الكتمان والسرية كان أعلى منزلة عند الله وأرفع شأناً !! هذا هو إذاً مقياسهم للتفاضل !

وتفسير الصافي مع غلو وانحرافاته ذكر أن المراد بالتقوى هنا الخشية من الله تعالى وبعد كلام طويل عن فضيلة التقوى ومنزلة المتقين عقَّب صاحب تفسير الصافي بنقل الرواية السابقة التى تجعل المقصود بكلمة (أتقاكم) أشدكم تقية (١)

أما الطوسي والطبرسي وغيرهما من مفسري الشيعة فانهم لم يلتفتوا إلى هذه الرواية (٢) وهذا كما قلنا مراراً أبلغ رد عليها .

الرواية الخامسة :

روى العياشي عن حذيفة عن أبي عبد الله قال :

(" ولا تلقوا بأيدكم الى التهلكة" قال : هذا فى التقية) (٣).

والملاحظ فى هذه الرواية التى ينسبها العياشي إلى الامام الصادق أنها تجعل الاقبال على الجهاد والصدع بالحق وترك التقية إهلاك للنفس، وقد نهى الله عن ذلك، وحرم على الانسان أن يرمي بنفسه فى المهالك ، فيكون هذا نهي عن ترك التقية وتأكيد على أهميتها. ولكي نناقش هذا التفسير المنحرف للآية الكريمة لابد من معرفة سبب نزولها كما ورد فى كتب أهل السنة :

روى الامام الترمذي عن أسلم أبي عمران قال :

(كنا بمدينة الروم ، فأخرجوا إلينا صفاً عظيماً من الروم . . . فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل عليهم ، فصاح الناس وقالوا سبحان الله ، يُلقي بيده إلى التهلكة ، فقام أبو أيوب الانصاري فقال :

---

(١) تفسير الصافي ٢/٥٩٥

(٢) تفسير التبيان للطوسي ٩/٣٥٠ - مجمع البيان للطبرسي ٢٦/٩٧ التفسير الكاشف لمغنية ٧/١٢٤

(٣) وسائل الشيعة ٦/٤٦٧

يا أيها الناس إنكم لتأوّلون هذه الاية هذا التأويل ، وانما نزلت هذه الاية فينا معشر الانصار لما أعز الله الاسلام وكثّر ناصروه ، فقال بعضنا لبعض .. : إن أموالنا قد ضاعت وان الله قد أعز الاسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا فى أموالنا فأصلحنا منها ، فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم : " وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيدكم الى التهلكة "(١) فكانت التهلكةُ الإقامةَ على الأموال وإصلاحَها وتركَنا الغزو ، فمازال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم)(٢)

ولو تركنا سبب نزول الاية جانباً ونظرنا الى عموم لفظها نجد أنها لا تدل على التقية بحال من الاحوال ، بل إن صدر الاية الكريمة يأمر بالانفاق فى سبيل الله وهذا نوع من الجهاد ، والتهلكة تكون إذا أتلف الانسان نفسه بدون مبرر ، أما من يُقدّم روحه فى سبيل الله مجاهداً وثابتاً على الحق فإنه قد باع نفسه بأغلى ثمن ، كما قال تعالى :

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيَقْتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراه والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)(٣)

فليست التهلكة فى الجهاد وإعلان الحق ونبذ التقية وإنما هي فى التخاذل والركون إلى الدنيا وترك الانفاق فى سبيل الله .

وهذا المعنى هو الذى أكده مفسرو الشيعة أنفسهم(٤) ، حتى الكاشاني في تفسيره الصافي لم يلتفت الى رواية العياشي هذه المرة ، وانما أبقى الاية على عمومها وإطلاقها(٥) .

---

(١) سورة البقرة . آية / ١٩٥

(٢) رواه الترمذي فى سننه ٤ / ٢٨٠ وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح ، ورواه أبو داود فى سننه ٣ / ٢٧ ، والحاكم فى مستدركه ٢ / ٢٧٥ وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

(٣) سورة التوبة . آية / ١١١

(٤) تفسير الطوسي ٢ / ٥٣   الطبرسي ٢ / ٥٣

(٥) تفسير الصافي ١ / ١٧٣

الرواية السادسة:

أورد الحسن بن علي العسكري - الامام الحادي عشر عندهم - فى تفسيره فى قوله تعالى (وعملوا الصالحات) قال : (قضوا الفرائض كلها بعد التوحيد واعتقاد النبوة والامامة، قال : وأعظمها فرضان :

قضاء حقوق الاخوان فى الله ، واستعمال التقية من أعداء الله عز وجل) (١)

وأورد كذلك فى قوله تعالى " والهكم اله واحد لااله الا هوالرحمن الرحيم" (٢)

قال : (الرحيم بعباده المؤمنين من شيعة آل محمد ، وسّع لهم في التقية، يجاهرون بإظهار موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه إذا قدروا ، ويسرّون بها اذا عجزوا) (٣)

وأهم مايلاحظ على الكلام السابق المنسوب للامام الحسن العسكرى أنه يحاول أن يشد معاني الايات الكريمة بتعنت ظاهر لتؤيد عقائد الشيعة،وذلك عن طريق تحميل النصوص القرآنية مالا يمكن أن تتحمله من المعاني .

فالذي يستحق وصف القيام بالعمل الصالح - على رأي هذه الرواية - هوالمتمسك بغرض التقية،والذين تشملهم رحمة الله هم الشيعة المتمسكون بالتقية، وهكذا تقتصر رحمة الله الواسعة عليهم - كما تزعم الرواية - وتصبح قاصرة على أمور الدنيا ومختصة بأهل التقية . . فالرحمة تنال شيعتهم ويُحرم منها غيرهم لانهم لايختصون بإتقان فن التقية!

ولا يخفى تهافت وبطلان هذا الادعاء، وشابهته لدعوى اليهود من قبل الذين زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه . وبالتالي لاحاجة للاطالة فى مناقشته والرد عليه.

الرواية السابعة:

روى العياشي فى تفسيره عن جابر عن أبي عبدالله قال :

(اجعل بيننا وبينهم سداً ، فمااسطاعوا أن يظهرو وما استطاعوا له نقباً .

---

(١) وسائل الشيعة ٦/ ٤٧٣

(٢) سورة البقرة. آية / ١٦٣

(٣) وسائل الشيعة ٦/ ٤٧٥

قال : هو التقية.)[١]

وروى أيضاً عن المفضل قال : (سألت الصادق ـ ع ـ عن قوله : "اجعل بينكم وبينهم ردما"

قال : هو التقية.

"فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا"

قال : إذا علمت بالتقيه لم يقدروا لك على حيلة، وهو الحصن الحصين ، وصار بينك وبين أعداء الله سداً لا يستطيعون له نقباً .

قال : وسألته عن قوله "فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء" قال : رفع التقية عند الكشف فانتقم من أعداء الله)[٢] . ويقصدون بالكشف قيام قائمهم الذى هو الامام الغائب.

وهذا نوع جديد من انحرافهم فى التفسير ، فالروايات السابقة جاءت بزيادات فى معاني الايات دون أن تلغي ظواهرها .

أما هذه الرواية فهى داخلة فى التفسير الباطنى الذى يلغي المعنى الظاهري للاية ويحوِّل ألفاظها الى رموز وكنايات لمعاني خفيه لا تُفهم من الظاهر.

فالسد الذى بناه ذو القرنين هو التقية كما تقول الرواية السابقة، وكذلك الردم الذى أقامه ليحجز هؤلاء القوم عن أعدائهم.

فليس المراد بالسد ـ على حسب هذه الرواية ـ سداً حقيقياً من حجارة ونحاس وانما هو سد معنوى يُبعد الانسان عن المخاطر، ويستر مايعتقده ويحجزه عن أذى أعدائه وهذا السد هو التقية التي اذا تمسك بها الانسان سدَّ على أعدائه المنافذ ، ولم يقدروا على النيل منه مهما بذلوا من الحيل وصار فى حصن أمنع من حصن الحجارة والحديد .

لانه حصن لا يمكن نقبه واختراقه فضلاً عن تهديمه !

ويبقى سد التقية قائماً حتى عودة الامام المنتظر الذي تنتهي التقية بعودته وعندها يفصح الشيعة عن خبايا نفوسهم،وهذا هو تفسيرهم لقوله تعالى : (فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا)[٣].

---

(١) (٢) وسائل الشيعة ٦/٤٦٧

(٣) سورة الكهف. الاية / ٩٨

فانظر - أخي القارئ - كيف وصل بهم الغلو والانحراف الى هذا التفسير الباطني وكيف ينسبون الى ذي القرنين استعمال التقية والامر بها وهو الفاتح المنتصر !

ثم ما الذي يجعل هذا القائد يدعوهم للتمسك بالتقية وقد آتاه الله القوة والتمكين ؟!

قال تعالى مخبراً عنه : (ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا . إنا مكنّا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا)(١)

ثم ان الايات الكريمة التي تتحدث عن السد تصف كيفية البناء والمادة التي بُني منها هذا السد ، وتذكر الردم والحديد والنحاس، وكل هذه الالفاظ لا يمكن إخراجها عن حقيقتها وتأويلها تأويلا باطنيا يلغي معانيها الظاهرة .

قال تعالى وهو يصور بناء هذا السد ومراحل عمله والهدف منه :

(قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً . قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما .

آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله ناراً قال آتوني أُفرغ عليه قِطرا . فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا)(٢)

وأول ما نلحظ في الرواية السابقة الخطأ في إيراد الاية وهي قوله تعالى (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) فقد أوردها الراوي بقوله (اجعل بيننا وبينهم سدا) وهذا يدل على أن واضع الرواية قليل الدراية بكلام الله تعالى. ثم إن الهدف من السد أن يحجز قوم يأجوج ومأجوج الذين اعتدوا على من حولهم بالسلب والنهب وسائر وجوه الشر، فتطوع ذو القرنين ببناء هذا السد بما آتاه الله من مال .

وتم البناء بدقة فقد جمع قطع الحديد ووضع بعضها على بعض حتى صارت بحيث تسد ما بين الجبلين ثم سخّن ذلك الحديد بالنار وصب فوقه النحاس المذاب حتى صار كتلة واحدة وسداً منيعاً. هذا هو وصف الايات الكريمة لبناء السد فهل يمكن تأويل كل هذه

---

(١) سورة الكهف . الايتان / ٨٣ - ٨٤

(٢) سورة الكهف. الايات / ٩٤ - ٩٧

المراحل بالتقية؟!

إنه بناء حقيقي وليس كما تزعم الرواية السابقة التى رواها العياشى فى تفسيره.ولقد خالف كثير من مفسري الشيعة رواية العياشي وأكدوا أن المراد بالسد بناء حقيقي وليس رمزاً للتقية[(١)]

وتفسير الصافى أيضاً - وهو من التفاسير الشيعية الموغلة فى الغلو والتأويل الباطنى - أكد فى شرحه لمعاني الايات على ظاهر اللفظ وحقيقته ، ولكنه بعد شرح طويل عاد ليناقض نفسه وينقل عن العياشي مانسبه للامام الصادق من التأويل الباطنى لهذه الايات.[(٢)]

---

(١) راجع التبيان للطوسي ٧/٧٦- مجمع البيان للطبرسي ١٦/٢٠٨- التفسير الكاشف لمغنية ٥/١٥٧

(٢) تفسير الصافي للفيض الكاشاني ٢/٣٠ - ٣١ .

٢ - رواياتهم فى أهمية التقية ومنزلتها :

ا - التقية تسعة أعشار الدين :

أول ماينسبونه لائمتهم أن التقية تسعة أعشار الدين وأنه لادين لمن لاتقية لـــه

روى الكلينى بسنده عن أبى عمر الاعجمى قال : قال لي أبوعبدالله (جعفر الصادق) :

(ياأبا عمر إن تسعة أعشار الدين فى التقية ، ولادين لمن لاتقية له) (١)

فالذى يترك التقية ويجهر بما يعتقد أنه الحق يُعد على رأيهم مضيعاً تسعة أعشار الدين فماذا يبقى له من الدين لقاء جرأته فى حقه وصبره على مايناله من أذى فى سبيل ذلك ؟ بل ماهى القيمة التي بقيت لاركان الدين وفرائضه بعد أن أخذت التقية تسعة أعشاره ؟!

٢ - التقية أحب شيء عند أئمتهم :

هذه التقية هى أحب شيء عند أئمتهم - كما يزعمون - وليس فوق منزلتها منزلة بل هى الميزان الذى يتفاضل به الناس عند الله ، فمن كانت له تقية رفعه الله وأعلى منزلتـه ، ومن ترك التقية وأبرز مكنونات عقيدته فهو عند الله مهين ذليل ، وكأنه اقترف جريمة كبيرة وأتى عملاً فاحشاً !

روى الكلينى أيضاً بسنده عن حبيب بن بشر قال : قال أبوعبدالله : سمعت أبـــي (الباقر) يقول : (لا والله ماعلى وجه الارض شيء أحب إليّ من التقية ، ياحبيب إنه مـــن كانت له تقية رفعه الله ، ياحبيب مَنْ لم تكن له تقية وضعه الله) (٢)

٣ - التقية حجاب لعقائدهم أمام مخالفيهم : الهدف من الحض على التقية أن لايطلـــع غير الشيعة على مايخفيه الشيعي من عقائد ومبادئ مخالفة لعقيدة أهل السنة .

روى الكلينى بسنده عن عبدالله بن أبى يعفور ، عن أبي عبدالله قال :

(اتقوا على دينكم فاحجبوه بالتقية ، فانه لاإيمان لمن لاتقية له ، انما أنتم فى الناس كالنحل فى الطير ، لوأن الطير تعلم مافى أجواف النحل مابقى منها شئ إلاأكلتـــــه ، ولوأن الناس علموا مافى أجوافكم أنكم تحبونا أهل البيت لأكلوكم بألسنتهم ولنحلوكم (٣) فـــي

---

(١) (٢) الاصول من الكافى ٢١٧/٢

(٣) نَحلةُ القول : نسبةُ إليه ، ونَحَل فلاناً : سابَّه ، وفى بعض النسخ (نجلوكـــــم بالجيم ، أصلها من : نجل فلانا ضربه بمقدم رجله . (من التعليق على الكافى)

السر والعلانية ، رحم الله عبداً منكم كان على ولايتنا) [١]

ولا ندري ما الحاجة الى اخفاء حب أهل البيت فى قلوبهم فأهل السنة أشد حباً لاهل البيت منهم ، فالذى يخفونه إذاً هو ما يخالفون فيه أهل السنة ، مما يعتقدونه من ضلالات وخاصة تكفيرهم لكثير من الصحابة الكرام وزعمهم وقوع التحريف فى القرآن الكريم وأمثال ذلك [٢]

ومن أجل تلك الاختلافات يصرون على كتمان عقائدهم وعلى التظاهر تقية بخلافها إنجاءً لانفسهم من سيف العدل ولكي يُتاح لهم المجال بنشر ضلالاتهم سراً بين بسطاء الناس فى خفية وتستر ، ولذلك نجدهم يُكثرون من نسبة الروايات لائمتهم - وهم بريئون من ذلك - فى الحض على التقية والتأكيد على الالتزام بها ، فمن استجاب لذلك وكتم عقيدته فلهُ الجنة ومن أذاع تلك العقيدة فعقوبته الذلُّ فى الدنيا والعمى فى الآخرة، ويدَّعون أن الله يحب أن يُعبد فى السر كما يحب أن يُعبد فى العلانية.

روى الكليني بسنده عن معلّى بن خنيس قال : قال أبو عبد الله :

(يامعلّى اكتم أمرنا ولاتُذعه ، فإنه من كتم أمرنا ولم يذعه أعزه الله به فى الدنيا ، وجعله نوراً بين عينيه فى الاخره ، يقوده الى الجنة ، يامعلّى من أذاع أمرنا ولم يكتمه أذله الله به فى الدنيا ونزع النور من بين عينيه فى الاخرة وجعله ظلمة تقوده الى النار، يامعلّى إن التقية من ديني ودين آبائي ، ولادين لمن لاتقية له ، يامعلّى إن الله يحب أن يُعبد فى السر كما يحب أن يُعبد فى العلانية ، يامعلّى إن المذيع لأمرنا كالجاحد له) !! [٣]

وهكذا يصبح صاحب التقية رفيع القدر ، سامي الدرجات ، ينال الاجر العظيم !!

٤ - التقية دين النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة من بعده :

رواياتهم التى يزعمون فيها أن التقية دين النبي صلى الله عليه وسلم والائمة من بعده كثيرة جداً أهمها : ما رواه الكليني بسنده عن مَعمر بن خلّاد قال :

---

(١) الاصول من الكافي ٢ / ٢١٨
وذكر المفيد فى كتابه الامالي ص/ ١٣١ رواية أخرى مشابهة لرواية الكليني .

(٢) راجع ذلك تفصيلياً ص/ ٣٤١ من هذا البحث.

(٣) الاصول من الكافي ٢ / ٢٢٣

(سألت أبا الحسن - علي الرضا - عن القيام للولاة فقال : قال أبو جعفر - محمد الباقر - التقية من ديني ودين أبائي ، ولا إيمان لمن لا تقية له)(١)

وروى البرقي فى المحاسن بسنده عن أبي بصير عن أبي عبدالله - جعفر الصادق - قال : (لا خير فيمن لا تقية له ، ولا إيمان لمن لا تقية له)(٢)

وليست هذه الرواية منسوبة عندهم للائمة فحسب بل نسبوها أيضاً للرسول صلى الله عليه وسلم فقد روى العياشي فى تفسيره عن الحسن بن زيد بن علي ، عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا إيمان لمن لا تقية له ، ويقول قال الله : إلا أن تتقوا منهم تقاه .)(٣) !!

فالرسول صلى الله عليه وسلم - على حسب زعمهم - ينفي الايمان عمن ترك التقية وجهر بالحق وضحّى بنفسه صابراً محتسباً فهذا عندهم لا إيمان له !!.

٥- التقيـــة أفضل عمل تقر له أعين أئمتهم : ولذلك يستعملونها عن حب ورغبة لا عن خوف ورهبة.

روى الكليني بسنده عن محمد بن مروان عن أبي عبدالله - جعفر الصادق - قال : (كان أبي عليه السلام يقول : وأي شئ أقرُّ لعيني من التقية، إن التقية جُنَّة المؤمن)(٤)

وروى الصدوق القمي بسنده عن أبي عبدالله قال : كان أبي يقول : (يا بني ما خلق الله شيئاً أقرّ لعين أبيك من التقية)(٥) !!

وهكذا يوصى الائمة بعضهم بعضاً بالتقية - كما يزعمون - مع أنهم من أشجع النـــاس وأجرأهم فى الحق(٦)

---

(١) المرجع السابق ٢ / ٢١٩

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملى ٦ / ٤٦٦

(٣) وسائل الشيعة ٦ / ٤٦٧

(٤) الاصول من الكافى ٢ / ٢٢٠

(٥) الخصال للصدوق ابن بابويه القمى ص / ٢٢

(٦) سبق أن تحدثنا فى بداية هذا الباب عن توثيق علماء أهل السنة لهؤلاء الائمـة وثنائهم على دينهم وعلمهم وخلقهم . راجع ص/ ٢٠٣

بل إن اعتزازهم بالتقية وغلوهم فيها جعلهم ينسبون الى جعفر الصادق قوله (ليس منا من لم يلزم التقية ويصوننا عن سفلة الرعية (١)

٦- التقيـــــــة جهاد في سبيل الله: والواقع أنها الصورة العكسية للجهاد لكن اجتماع المتناقضات سهل عندهم

روى الكليني بسنده عن عيسى بن منصور قال: سمعت أبا عبد الله يقول:

(نفس المهموم لنا المغتمّ لظلمنا تسبيح ، وهمُّه لأمرنا عبادة ، وكتمانه لسرِّنا جهاد في سبيل الله ، قال لي محمد بن سعيد - وهو أحد الرواه - : اكتب هذا بالذهب ، فما كتبتَ شيئاً أحسن منه) !! (٢)

وحقا ليس هناك أحسن لراحة النفس وبعدها عن الاخطار من جعل التقية التي هي أمر سلبي جهاداً في سبيل الله ، فيجلس الانسان في بيته ويغلق عليه بابه وقد نال شرف الجهاد وحظي بأجره!

وروى الصدوق القمي بسنده عن محمد بن عمارة قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد يقول:

(المؤمن مجاهد ، لانه يجاهد أعداء الله عزوجل في دولة الباطل بالتقية ، وفي دولة الحق بالسيف) (٣)

فالمؤمن - أي الشيعي في قصدهم - مجاهد في كل أحواله لانه مجاهد بالتقية في دولة الباطل - أي دولة أهل السنة - وهكذا تصبح التقية والجهاد مترادفتان في نظر الشيعة ويبقى فرض الجهاد الذي شرعه الاسلام معطلاً وقد حلّت محله التقية حتى يرجع القائم - وهو الامام الغائب - فتقوم دولة الحق ويجاهدون معه أعداءهم (٤)

٧- التقية بمنزلة الصلاة:

لزيادة أهمية التقية عندهم وشغفهم بإيجاد الفضائل لها بكل ما يخطر على عقولهم خطوا بها خطوة أخرى حتى صارت بمنزلة الصلاة التي هي عماد الدين من تركها فقد ترك الدين ، والتي هي بمنزلة الرأس من الجسد .

---

(١) وسائل الشيعة ٦/٤٦٦

(٢) الاصول من الكافي ٢/٢٢٦

(٣) وسائل الشيعة ٦/٤٦٤

(٤) راجع تفصيل ذلك ص/ ٣٣٥ عند الحديث عن دار التقية.

روى الحسن العسكرى ـ وهو الامام الحادى عشر عندهم ـ فى تفسيره . فقال :
(مثل مؤمن لا تقية له كمثل جسد لا رأس له)[١]

وروى محمد بن ادريس فى كتاب (السرائر) عن على بن محمد (وهو الامام العاشر عندهم)

أنه قال لداود الصّرمي :
(يا داود لو قلت إن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقاً)[٢] !!

وهكذا حازت التقية الشرف كله فهي من دين الله ، وتسعة أعشار الدين وهي جهاد فى سبيل الله ومن تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة !! وهل بقي من فضائل التقية أكثر من ذلك ؟!

٨- تارك التقية يعرّض نفسه لعذاب الله :

ما دام شأن التقية ومنزلتها قد وصلت الى هذا الحد فيا ويل من تركها وكان جريئاً فى الدعوة إلى الحق مجاهراً بما يعتقده ، إنه بذلك يعرض نفسه لعذاب الله !!

روى الكليني بسنده عن حريز عن أبي عبد الله قال : (التقية ترس الله بينه وبين خلقه)[٣]
وقد شرح هذه الرواية المعلق على الكافي فقال : (أى تمنع الخلق من عذاب الله أو من البلايا النازلة)[٤]

وروى الكليني أيضاً عن عبد الله بن أبي يعفور قال : سمعت أبا عبد الله يقول :
(التقية ترس المؤمن ، والتقية حرز المؤمن ، ولا إيمان لمن لا تقية له ، إن العبد ليقع اليه الحديث من حديثنا فيدين الله عز وجل به فيما بينه وبينه ، فيكون له عزاً فى الدنيا ونوراً فى الاخرة ، وإن العبد ليقع إليه الحديث من حديثنا فيذيعه فيكون له ذلاً فــي الدنيا ، وينزع الله عزوجل ذلك النور منه)[٥]

فمن جهر بعقائده الشيعية أذاقه الله ذل الدنيا وعذاب الاخرة ، ومن كتمها أعزه اللــه

---

(١) وسائل الشيعة ٤٧٣/٦
(٢) المرجع السابق ٤٦٦/٦
(٣) (٤) الاصول من الكافي ٢٢٠/٢ والمعلق على الكافى هو (علي أكبر الغفاري)
(٥) الاصول من الكافي ٢٢١/٢

في الدنيا والاخرة.

٩-التقية بمنزلة الشهادتين :

لم يبق لهم بعد كل هذا الغلو والتقديس للتقية الا أن يجعلوها بمنزلة الشهادتين وتوحيد الله الذى لايُقبل عمل بدونه ويجعلوا تركها كالشرك لايُغفر (إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء)[1]

وقد ارتفعوا بالتقية فعلاً الى هذه المنزلة واعتبروا تاركها كالمشرك لايُغفر له !

روى الحسن العسكرى فى تفسيره (وهو إمامهم الحادى عشر) عن علي بن الحسين (الامام الرابع) أنه قال : (يغفر الله للمؤمن كل ذنب، ويطهره منه فى الدنيا والاخرة ماخلا ذنبين : ترك التقية، وتضييع حقوق الاخوان)[2] !! وهذا معارض ومخالف للآية الكريمة سالفة الذكر.ويرون أن التقية أشرف خُلق يتحلى به أئمتهم (كما ينسبون اليهم)

فقد روى الحسن العسكرى عن محمد بن علي (الامام التاسع) أنه قال :

(أشرف أخلاق الائمة والفاضلين من شيعتنا استعمال التقية ، وأخذ النفس بحقوق الاخوان)[3] ! واذا ترك أحد أتباعهم التقية أو ضيَّع حق إخوانه فهي جريمة عقوبتها أن يُضرب بالسياط حتى يتوب، فيقام عليه الحد مائة سوط كأنه زانٍ!

قال الحسن العسكرى : (قيل لمحمد بن علي : إن فلانا أُخذ بتهمة فضربوه مائة سوط فقال محمد بن علي : إنه ضيَّع حق أخ مؤمن ، وترك التقية، فوجّه إليه فتاب)[4] !

وتتوالى التأكيدات على فرضية التقية وعقوبة من تركها ، فنجد أن التفسير المنسوب للحسن العسكرى هو أكثر كتبهم امتلاء بأمثال هذه الروايات التى ينسبها الحسن العسكرى بدوره إلى اباءه من الائمة -إذا صحت نسبة هذا التفسير للحسن العسكرى-[5] حتى إن بعض رواياته منسوبه للرسول صلى الله عليه وسلم،ولنستمع الى هذه الرواية:

قال الحسن العسكري : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) سورة النساء / آية ٤٨ ، آية ١١٦

(٢)، (٣) ،(٤) وسائل الشيعة ٤٧٤/٦

(٥) أورد الشيخ الذهبى في كتابه (التفسير والمفسرون) ٢ /٧٩ - ٩٨ أدلة كثيرة على أن هذا التفسير لا تصح نسبته للامام الصالح الحسن العسكرى ، وانما هو مفترى عليه .

(ولو شاء لحرّم عليكم التقية ، وأمركم بالصبر على ما ينالكم من أعدائكم عند إظهاركم الحق)

ثم قال : (ألا فأعظم فرائض الله عليكم بعد فرض موالاتنا ومعاداة أعدائكم استعمال التقية على أنفسكم وأموالكم ، ومعارفكم ، وقضاء حقوق إخوانكم ، وإن الله يغفر كل ذنب ولا يستقصي ، وأما هذان فقلّ من ينجو منهما إلا بعد مسّ عذاب شديد)

ثم قال : (فاتقوا الله ولا تتعرضوا لمقت الله بترك التقية ، والتقصير فى حقوق إخوانكم المؤمنين) (١) !!

١٠- المقصود باستخدامهم التقية أهل السنة :

روى الكليني بسنده عن هشام الكندي قال : سمعت أبا عبد الله يقول :

(إياكم أن تعملوا عملاً يعيّرونا به ، فإن ولد السوء يعيّر والده بعمله ، كونوا لمن انقطعتم إليه زيناً ولا تكونوا عليه شَيْناً ، صلّوا فى عشائرهم ، وعودوا مرضاهم ، واشهدوا جنائزهم ، ولا يسبقونكم إلى شيء من الخير فأنتم أَوْلى به منهم ، والله ما عُبد الله بشئ أحب اليه من الخبء . قلت : وما الخبء؟ قال : التقية .) (٢) !!

فالامام جعفر الصادق يأمرهم أن يشاركوا أهل السنة فى صلاتهم ويعودوا مرضاهم ويشهدوا جنائزهم ويتظاهروا أمامهم بكل ما يوافقهم ،وهذا هو قصدهم من التقية ، بل هذا مجال التقية عندهم ، أما التقية مع أعداء الله من الكفار وأهل الكتاب عند الاكراه فهذه لا يتحدثون عنها إلا نادراً ، والعجيب أن نجد المعلق على الكافي يتجاهل ذلك فيعلق على معنى (صلّوا فى عشائرهم) بقوله : (يعني عشائر المخالفين لكم فى الدين) (٣) !!

وكلامه هذا يحتمل أحد معنيين :

١- إما أنه يقصد بالمخالفين فى الدين : الكفار . ولكن كيف يصلي الشيعة فى عشائر الكفار ويَعدون هذا تقية؟ إنهم إن فعلوا ذلك كان جهاداً وتضحية لا تقية ،لان الكفار

---

(١) وسائل الشيعة ٦/٤٧٥ فى كتاب الأمالي للمفيد ص/١٠٠ رواية مشابهة منسوبة للامام الصادق وهي : (اتقوا الله وصونوا دينكم بالورع ، وقووه بالتقية)

(٢) الاصول من الكافي ٢/٢١٩ والخبء هو الإخفاء والستر

(٣) حاشية الكافي ٢/٢١٩ والمعلق هو : علي أكبر الغفاري

لن يتركوهم يعلنوا شعائرهم ويجهروا بصلاتهم أمامهم متحدّين لهم. وبالتالي لا يمكن أن يكون المقصود بذلك الكفار أبداً .

٢ـ وإما أنه يقصد بالمخالفين فى الدين : أهل السنة ، وهذا ما يُفهم من الرواية فعلاً فأهل السنة عندهم مخالفون في الدين. تلك هي حقيقة موقف الشيعة ، إنهم لا ينظرون إلى أهل السنة كمخالفين لهم فى المذهب بل يعتبرونهم مخالفين لهم فى قواعد الدين وأصوله..[١] ويذكر الكليني فى (الروضة) رواية أخرى ينسبها للامام الصادق قريبة من الرواية السابقة ، ويدعي أنها رسالة خرجت من أبي عبدالله الصادق الى أصحابه ، ومنها : (عليكم بمجاملة أهل الباطل ، تحمَّلوا الضيم منهم ، وإياكم ومماظّتهم[٢] دينوا فيما بينكم وبينهم إذا أنتم جالستموهم وخالطتموهم ونازعتموهم الكلام.. بالتقية التى أمركم اللهُ أن تأخذوا بها .. لا تحبونهم أبداً ولا يحبونكم ، غير أن الله تعالى أكرمكم بالحق وبصَّركموه ولم يجعلهم من أهله فتجاملونهم وتصبرون عليهم)[٣] .

وبما أنهم لم يتركوا طريقا يزيد فى أهمية التقية إلا سلكوه فقد عبَّروا عن هذه التقية بأسلوب غريب طريف مسجوع ، ونسبوا ذلك الى أحد أئمتهم .

روى الكليني بسنده عن أبي بصير قال : قال أبوجعفر (الباقر) :

(خالطوهم بالبرَّانية وخالفوهم بالجوَّانية إذا كانت الإمرة صبيانية)[٤]

وينسبون إلى علي (رضى الله عنه) أنه كان يأمر أصحابه بالتقية ويحذرهم من تركها ويوصيهم بالحرص عليها لإخفاء تلك العلوم التي تلقوها منه ومن أبنائه الائمة ـ كما يزعمون ـ روى الطبرسي فى الاحتجاج (عن أمير المؤمنين (ع) قال :

---

(١) ومع ذلك نجد صيحات بعضهم تنادي بالتقارب مع أهل السنة لأن الرب واحد والدين واحد ولا خلاف إلا فى الفروع!!. ولكي تعرف حقيقة هذه الدعوى راجع ص٥٦٧ من هذا البحث.

(٢) المماظّة: شدة المنازعة والمخاصمة.

(٣) الروضة من الكافي ص/٢ ـ ٣

(٤) الأصول من الكافي ٢ / ٢٢٠ . قال المعلق على الكافي : (البرانية : العلانية ، والالف والنون من زيادات النسب، كما قالوا فى صنعاء صنعاني ، وأصله من =

وآمرك أن تصون دينك ، وعلمنا الذي أودعناك ، فلا تُبد علومنا لمن يقابلها بالعناد ، ولا تُفشِ سرنا الى من يُشنِّع علينا ، وآمرك أن تستعمل التقية فى دينك ..

وإياك ثم إياك أن تترك التقية التي أمرتك بها فإنك شائط بدمك ودماء إخوانك معرِّض لنعمتك ونعمتهم للزوال ، مُذلّ لهم فى أيدي أعداء دين الله ، وقد أمرك الله بإعزازهم فإنك إن خالفت وصيتي كان ضررك على إخوانك ونفسك أشد من ضرر الناصب لنا الكافر بنا) !! (١)

وهناك روايات أخرى فى كتبهم فى الامر بالتقية وبيان أهميتها ومنزلتها ، لكن ما ذكرنا من روايات يغني عنها، ولذلك أغفلنا ذكرها تجنباً للتكرار ، كما أن هناك الكثير من الروايات التي سنذكرها في الفقرات والمباحث القادمة لاتصالها بما سيرد من موضوعات .

= قولهم خرج فلان براً ، أي خرج الى البر والصحراء. والجوانية : الباطن ، منسوبة الى جوّ البيت وهو داخله ، وزيادة الالف والنون للتأكيد) ا. هـ ملخصاً .

(١) وسائل الشيعة ٦/ ٤٧٨ - ٤٧٩

مناقشة هذه الروايات :

بعد أن استعرضنا الروايات الشيعية المنسوبة لأئمتهم في تأكيد فضائل التقيـــة ومنزلتها ، وفي تأويل بعض آيات القرآن الكريم لتأييد غلوهم وانحرافهم في التقية ، وبعد أن رأينا أن هذه الروايات لم يكتف الشيعة بنسبتها للائمة وانما نسبوا بعضها للرســول صلى الله عليه وسلم .. نتساءل هل يمكن أن يصدر مثل هذا الكلام عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه وذوي الفضل من أئمة أهل البيت ؟

وهل يمكن لهؤلاء أن يصلوا بالتقية الى هذا الحد ، حتى تصبح بمنزلة الصـــلاة والشهادتين وتكون أفضل أعمال المؤمنين ويصبح تاركها تاركا لدين الله ؟!

إن القارئ سيدرك بلا شك كذب هذه الروايات ، وأنها مما افتراه الشيعة وأن الائمة من ذلك براء ، وأنه لا يمكن أن يصح من هذه الروايات شيء أبداً .

ومع أن الحكم بكذب هذه الروايات واضح لا يحتاج الى برهان لأنها تخالف صريـح القرآن الكريم ، وتتناقض مع روح الشريعة الاسلامية التي تدعو للعزة وتؤكد على الدعـوة إلى هذا الدين ونشره والجهاد في سبيله والتضحية من أجله ، إلا أننا سنذكر بايجـاز أبرز الادلة التي تثبت بطلان الروايات السابقة وتؤكد كذبها :

١- رواياتهم المزعومة تتعارض مع صريح آيات القرآن الكريم :

استدلالهم بآيات القرآن الكريم لتأكيد غلوهم في التقية ، وقولهم بوجوبها وفرضيتها لا يصح أبداً ، لان ما ورد في القرآن الكريم في ذلك يدل على اباحة التقية كرخصـــة عارضة في حالة الضرورة ، ولا يدل على الوجوب .

ولذلك جاءت هذه الرخصة في قوله تعالى : (إلا أن تتقوا منهم تقاه) وقولــــه سبحانه : (إلا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان) على طريقة الاستثناء من الامر العام وهـــو عدم جواز اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، والتحذير من الردة .

ولو كانت التقية واجبة وأصلاً من أصول الدين لأمر الله بها في القرآن الكريم ، ولم يذكرها في معرض الاستثناء الذي لا يباح إلا في حالة الاكراه .

وقد ذكرنا في الباب الاول أن الاستثناء من الخطر يقتضي الاباحة ، الذي هـــو

رفع الخطر عن الشئ الممنوع فى حالة خاصة ، وهى حالة الاكراه .

فكيف يكون الاستثناء فى هذه الحالة تسعة أعشار الدين ؟!

وكيف يجعل الشيعة من هذه الرخصة العارضة أصلاً من أصول الدين ؟!

إن استدلال الشيعة على غلوهم فى التقية بآيات القرآن الكريم مغالطة واضحة ، يتعمدون فعلها لتلمس المبررات لانحرافهم هذا .

ولذلك نجد أحد علمائهم المعاصرين يتبجح قائلاً :

(التقية على ما عليه الشيعة . . هى عين ماأمر الله به فى كتابه وعلى لسان نبيه وأوصيائه) ! (١)

ويدعي أن الشيعة لاتتبع الا مارسمه لها الدليل فى أمر التقية ، وأنهم قالوا سمعنا وأطعنا ، سمعوا قول الله تعالى "الامن اكره" وأطاعوا ، أما المخالفون لهم من أهل السنة الذين ينتقدون التقية الشيعية فانهم ـ كما يزعمون ـ قالوا سمعنا وعصينا ! (٢)

وهكذا يحاول علماء الشيعة المعاصرون أن يجدوا لانحرافهم فى مفهوم التقية الصبغة الشرعية فهل التقية الشيعية هى عين ما أمر الله به ؟

وهل أمر الله في القرآن الكريم بأن يكتم الانسان دينه ويخفي معتقده ويتظاهر فى معظم أحواله بموافقة المخالفين ، واذا لم يفعل ذلك بل جهر وصدع بما يعتقد ، فهو آثم خارج عن دين الله ؟!

إن الذي أمر به الله سبحانه فى القرآن الكريم عكس ذلك تماماً ، فقد أمر بالحض على الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الى دين الله والصبر على مايصيب الداعية فى سبيل ذلك ، وبيان فضل ومنزلة من يدعوإلى الله ويضحي في سبيل عقيدته .

ـ قال تعالى : (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين) (٣)

ولكن روايات الشيعة جعلت من يجهر بعقيدته ويُظهر دعوته آثما تاركاً لتسعة أعشار الدين .

---

(١) الشيعة بين الحقائق والاوهام لمحسن الامين ـ ص / ٢٠١

(٢) المرجع السابق ص/ ٢٠٢

(٣) سورة فصلت / آية ٣٤

- وقال تعالى على لسان لقمان الحكيم وهو يوصي ولده :

(يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانهَ عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الامور)(١) .

فالصبر على مايصيب المسلم من أذى أثناء دعوته ، وماينا له من مشقة واضطهاد من أجل ذلك هو من عزم الامور أي من الأمور الواجبة التى أمر بها الله سبحانه .

ولكن روايات الشيعة فى التقية جعلت ذلك من أكبر الكبائر وأعظم الموبقات !!

- وقال تعالى مخبراً عن سَحَرة فرعون الذين آمنوا بموسى عليه السلام ، وما نالوه من الفضل لأنهم أصروا على الجهر بالايمان رغم تهديد فرعون لهم بالقتل :

(قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى وهارون . قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين . قالوا لاضير إنا إلى ربنا منقلبون)(٢) .

(قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا)(٣) .

لقد أظهر هؤلاء إيمانهم ، ولم يخطر ببالهم أن يتظاهروا أمام فرعون بكلمة ترضيه وصدعوا بالحق وهم يعلمون أن ذلك سيؤدي بهم الى القتل ، وأصروا على ذلك دون أن يحفلوا بتهديدات فرعون وهو الطاغية المتجبر الذي يملك تنفيذ مايقول . فهل غفل هؤلاء عن فضائل التقية حتى يسارعوا اليها وينالوا الأجر العظيم بالتمسك بها !!

- والمؤمنون الذين حكى لنا الله سبحانه قصتهم فى سورة البروج هل غفلوا كذلك عن فضائل التقية ؟ وهل هم فى نظر الشيعة آثمون لانهم ضحوا بأنفسهم فى سبيل عقيدتهم ولم يرضوا باستخدام التقية والتظاهر أمام ملكهم الجبار بما يبعد عنهم الموت ؟

لقد ذكر لنا الله سبحانه خبرهم وأثنى عليهم وبيّن أن جزاءهم على صبرهم وتضحيتهم

---

(١) سورة لقمان / آية ١٧

(٢) سورة الشعراء الايات / ٤٧ - ٥٠

(٣) سورة طه آية / ٧٢

هو الجنة وسماهم المؤمنين : فقال تعالى :

(قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود)[1]

إلى قوله تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير)[2]

لقد نال هؤلاء هذه البشارة واستحقوا هذا الثناء لتخليهم عن التقية وهم فى أشد الحاجة اليها ، والاصرار على الجهر بالحق وعدم كتمانه حتى أُلقي بهم فى أخاديد النار. والرسول صلى الله عليه وسلم يذكر فى قصتهم أن امرأة كانت تحمل ابناً لها ترضعه فكأنما تقاعست أن تقع فى النار فأنطق الله الصبى فقال لأمه : اصبرى يا أماه فإنك على الحق[3]

وهذا يدل على فضل ترك التقية والأخذ بالعزيمة ، ويبطل كل ما أورده الشيعة من روايات مكذوبة على أئمة أهل البيت فى بيان وجوب التقية والتحذير من تركها ، لأنها تتعارض مع ثناء الله عزوجل على هؤلاء المؤمنين الذين ضحوا بأنفسهم وتركوا العمل بالتقية .

٢- رواياتهم تتعارض مع واقع حياة الرسل عليهم السلام وتضحيات الصحابة الكرام :

لو تمسك الانبياء والرسل عليهم السلام بالتقية وجعلوها أصلاً فى حياتهم لما قام للدين قائمة على هذه الارض ، ولاستحكم الكفر واستبد .

ولكنهم عليهم السلام كانوا أبعد الناس عن التقية،[4] فقد بذلوا وضحوا وصبروا على الاذى وتحملوا المشاق فى سبيل دعوتهم ، فلم يتظاهر أحدهم بموافقة الكفار مهما اشتد به الاذى فلو كان للتقية كل هذه المنزلة التى يدعيها الشيعة لما أعرض عنها الانبياء

(١) سورة البروج . الايات / ٤ - ٧

(٢) سورة البروج . آية / ١١

(٣) راجع تفصيل القصة فى تفسير ابن كثير ٤ / ٤٩٣ ، وانظر: مسلم مع النووي ١٨/ ١٣٠

(٤) سوف نرى فى البحث القادم دعوى جديدة يدعيها الشيعة وهى نسبة التقية للرسل عليهم السلام ، حاشاهم من ذلك . راجع ص/٢٦٦

والرسل وهم فى أحلك الظروف ؟ ولسارعوا اليها ليحظوا بشرف التمسك بها وينالوا تسعة أعشار الدين ؟ والا فلماذا أُلقي ابراهيم عليه السلام فى النار ، وقُتل كثير من أنبياء بنى اسرائيل ، وأُمر محمد صلى الله عليه وسلم بالصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ؟ وهل غفل هؤلاء بصبرهم وجهادهم وتضحياتهم عن فضائل التقية ؟ وهل نسوا أنها أفضل أعمال المؤمنين وأن تاركها بمنزلة من ترك الصلاة وأنه لادين لمن لاتقية له ؟!

- والرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم الذي كانت حياته حافلة بالتضحية والصبر والصدع بالدعوة وكان يغشى المشركين فى مجالسهم يدعوهم إلى الله تعالى ويتحمل فى سبيل ذلك الاذى والابتلاء، هل غفل أيضاً عن فضائل التقية التي ينسبها الشيعة كذباً إليه والى أئمة آل بيته ؟!

- والصحابة الكرام رضى الله عنهم الذين تحملوا الشدائد والاذى وصبروا على التعذيب هل هم آثمون فى نظر الشيعة لانهم تركوا العمل بالتقية.

وما هو حال الكثيرين منهم[(١)] كبلال الذي كانوا يُخرجونه إذا حميت الظهيرة ويطرحونه علّى ظهره فى بطحاء مكة ويضعون الصخرة العظيمة على صدره وهو مع كل هذا البلاء يقول أَحد أَحد ولا يتظاهر بكلمة ترضي المشركين وتُبعد عنه بطشهم.

وخباب بن الارت الذى أوقد له المشركون ناراً ثم ألقوه فيها فما أطفأها الا شحم ظهره ، بل ماهو حال والدي عمار اللذين قضيا شهيدين تحت التعذيب ولم ينل المشركون منهما كلمة واحدة . هل هما آثمان لادين لهما ولا ايمان ؟!

وماذا يفعل الشيعة بقول الرسول صلى الله عليه وسلم لآل ياسر وهو يراهم يُعذَّبون : (أبشروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة)[(٢)]

أنصدق قول الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يبشرهم بالجنة إذا صبروا أم نصدق روايات الشيعة التى تجعل مَنْ صبر وترك العمل بالتقية آثما وهو بمنزلة من ترك الصلاة؟!

---

(١) تحدثنا سابقا عن صبر الصحابة الكرام وثباتهم رغم ماتعرضوا له من تعذيب راجع ص / ٣٤ من هذا البحث.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث . راجع ص/٣٥

وكيف يبشر الرسول صلى الله عليه وسلم ياسراً وسمية بالجنة وقد تركا تسعة أعشار الدين ، وخالفا الله ورسوله بترك التقية وهما فى أشد الحاجة إليها ليتخلصا من عذاب المشركين ؟! وعمار رضي الله عنه الذي يقول عنه الشيعة (إنه بطل التقية الأول)(١) لم يسارع الى التقية بمجرد أنه توقع حصول الاذى له .

بل لقد صبر على أشد أنواع التعذيب ، فكانوا يحرقونه بالنار ويغطونه فى الماء(٢) ورأى أمامه استشهاد أبيه وأمه تحت التعذيب ، وكل ذلك لم يغيِّر من موقفه، وخاصة أنه كان يسمع بشرى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يبشر آل ياسر بالجنة . . لكنه بعد طول التعذيب ووحشيته وجد نفسه مضطراً الى التقية ، فلما خلُّوا عنه سارع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم باكياً خشية أن تكون هذه الكلمة التى قالها قد أخرجته من الاسلام أو أوقعته فى الإثم ، فطمأنه الرسول صلى الله عليه وسلم وجعل يمسح عينيه ويخفف عنه ويقول :(فان عادوا فعد)(٣) .

ولو كان عمار رضى الله عنه يدرك أنه بكلمته هذه أصبح بطلاً - كما يقول الشيعة - وأنه نال تسعة أعشار الدين وتقرب الى الله بأحب شئ اليه وقام بأعظم الفرائض، لما جزع وبكى ، ولما تأخر عن استعمال التقية ولما صبر على التعذيب ، وانما كان يسارع اليها ويحض أبويه عليها ويفرح بما أكرمه الله من فضل ومنزلته لاستخدام التقية !

وهكذا تبطل مزاعم الشيعة ، وتتهاوى رواياتهم المكذوبة ، وتظهر التقية على حقيقتها رخصة عارضة يجوز استخدامها فى حالة الاكراه ومن تركها وأخذ بالعزيمة فهو أفضل عند الله .

٣- رواياتهم فى فضائل التقية تتعارض مع روايات أخرى نسبوها لائمتهم :

كيف يمكن التوفيق بين هذا الحشد الكبير من الروايات التى ترفع من شأن التقية

---

(١) يقول محمد جواد مغنية فى التفسير الكاشف ٢ / ٤١ : (يبتدئ تاريخ التقية بتاريخ الاسلام يوم كان هذا الدين ضعيفاً وبطلها الأول الصحابي الشهير عمار بن ياسر) !

(٢) راجع : تفسير التبيان للطوسي ٦ /٤٢٨

(٣) سبق تخريج هذا الحديث ص / ٦٦ من هذا البحث .

وتجعلها تسعة أعشار الدين ، وتحذر من تركها ، وتجعله بمنزلة من ترك الصلاة ، الى غير ذلك ..

مع ما يرويه الشيعة عن الامام علي رضي الله عنه أنه قال :

(الايمان أن تُؤْثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك) (١)

إن هذه الرواية تعني أن من علامات الايمان أن يلتزم الانسان بالصدق فى أقواله وأفعاله ولو كان ذلك سيؤدي الى ضرر وأذى يلحق به ، وهذا ما تجعله روايات الشيعة السابقة من علامات التخلي عن الايمان لأنهم يروون أنه لا إيمان لمن لا تقية له ..

وهناك رواية أخرى ترويها كتب الشيعة عن الامام موسى الكاظم رحمه الله وهي قوله لأحد أتباعه :(أى فلان ، اتق الله وقل الحق وإن كان فيه هلاكك ، فإن فيه نجاتك . أي فلان ، اتق الله ودع الباطل وإن كان فيه نجاتك ، فإن فيه هلاكك) (٢)

هذه الرواية وما قبلها بعض ما بقي من بصيص النور الخافت فى كتب الشيعة بعد أن طغى السيل من الروايات المكذوبة عليها ، وضاع الحق من كلام الأئمة فى لجة الباطل .

---

(١) نهج البلاغة - شرح الشيخ محمد عبده - ص/ ٧٦٢ - دار البلاغة بيروت - ط١ - ١٤٠٥هـ

(٢) تحف العقول عن آل الرسول للشيخ الحسن بن على بن الحسين بن شعبة الحراني (توفي في القرن الرابع الهجري) - تقديم : محمد الحسين الاعلمي ص / ٣٠١ - مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت - ط٥ - ١٣٩٤هـ

مغالطات الدكتور الشيبي في حديثه عن التقية :

تحدث الدكتور كامل الشيبي عن التقية كثيراً فى كتابيه (الصله بين التصوف والتشيع) و(الفكر الشيعى والنزعات الصوفية) ، كما أنه أفرد هذا الموضوع بمقالة خاصة بعنوان : (التقية أصولها وتطورها) نشرت فى مجلة كلية الاداب بجامعة الاسكندريه .[1]

وقد أبرز التقية على أنها مبدأ إسلامى قرره القرآن وأن الاسلام جاء ليدافع عنها ويروّض الناس على قبولها .. إلى غير ذلك من الانحرافات الخطيرة فى مفهوم التقية.

ومع أننا لا نعرف شيئا عن انتماء الشيبي ، وهل هو شيعى أم لا ، الا أننا آثرنا أن نجعل الرد عليه ومناقشة انحرافاته هذه ضمن الحديث عن أهمية التقية ومنزلتها عند الشيعة لان أفكاره توافق الشيعة وتؤيد غلوهم وتبرر شذوذهم وانحرافهم فى مفهوم التقية.

ولنستعرض أبرز دعاوى الشيبي في هذا المجال :

- يقول وهو يذكر فضائل عمار بن ياسر : (إنه كان السابقة الشيعية للتقية)[2]
- ثم يقول : (وهكذا يقرر الرسول بنفسه مبدأ التقية التي بدأت بعمار وصارت تقليداً للشيعة فيما بعد).[3]
- ويقول : (إن التقية مبدأ إسلامي ظهر أول ما ظهر من عمار بن ياسر .. ولكن فروسية العرب على العموم أبت على كثير منهم أن ينزلوا على حكم التقية ، ففضّلوا أن يعرّضوا أنفسهم للمكروه لأنهم اعتبروا إخفاء مافي نفوسهم نفاقاً يأباه الطبع العربي والكرامة الانسانية عموماً . مهما يكن من أمر التقية ومدى تقبُّل العرب لها فقد نادى الاسلام بها ، وكان أحد السابقين إلى الاسلام مثلاً واضحاً لها) !![4]

---

(١) العدد /١٦ - سنة ١٩٦٢ - ١٩٦٣م

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع ص/ ٤٤

(٣) المرجع السابق ص/ ٤٥

(٤) المرجع السابق ص/ ٤٠٢

- ويقول : (إن تخيير الكفار المقهورين بين الاسلام أو السيف أو الجزية تدخل فى باب إقرار التقية .ـ لأن الدخول فى الدين الجديد على هذه الصورة تحت حد السيف أو ما لا يمكن توخيره من مال ، يعني دفع كلا الضررين بتحمل أهون الثلاثة وهو الدخول فى دين القاهرين ، فلا يمكن أحد أن يتصور أن معتنق الاسلام على هذه الصورة جادٌّ فى إسلامه . . . فالاسلام من هذه الناحية يغرى بالتقية، ويقدمها الى الجاهلين به ثقة منه فى كسبهم متى آمنوا واطمأنوا . . فهذه تقية لا جدال فيها كما يبدو) !!(١)

- ثم يحاول أن يتلمس المبررات لتمسك الشيعة بالتقية، ويذكر بعض الامثلة يستنتج منها رسوخ التقية فى العالم السني أيضاً وأن بعضهم كان يتقي على صورة فيها ازراء بالانسانية والخلق النبيل.(٢)

ويصل فى النتيجة أن التقية لا تختص بالشيعة فقط بل هى دين القرآن فعلاً(٣)

وأن المجتمع السني ـ الذي كان ينعي على الشيعة تمسكهم بالتقية ـ يلتزم بها(٤)

ويختم حديثه بقوله : (هذه هي التقية فى بدئها وتطورها عقيدة اسلامية انسانية طبقتها المذاهب الاسلامية على اختلافها . . ولم تكن عقيدة شيعية) !(٥)

مناقشة هذه الدعاوى :

- يستند الشيبي في مزاعمه إلى الرخصة التى فعلها عمار رض الله عنه مضطراً اليها كارهاً لها فتلفظ بكلمة الكفر بعد عذاب شديد لم يعد يطيقه ، ثم سارع حزيناً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره الخبر فطمأنه الرسول صلى الله عليه وسلم ونزل قوله تعالى : (من كفر بالله بعد ايمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان)(٦)

(١) التقية أصولها وتطورها ص/٢٣٧- ٢٣٨
(٢) المرجع السابق ص/ ٢٤١
(٣) المرجع السابق ص/٢٤٣
(٤) المرجع السابق ص/ ٢٦١
(٥) المرجع السابق ص/٢٦٧
(٦) سورة النحل آية/١٠٦ وراجع مانقلته في تفسير هذه الاية وسبب نزولها ص/٥٩ من هذا البحث.

ولكن الشيبي جعل هذه الرخصة العارضة التى لم يبحها الاسلام إلافي حالة الضرورة، عقيدةً إسلامية ومبدأ دعا اليه الاسلام،وألبسها هالة من التعظيم حتى وصفها بأنها (دين القرآن) وكأن الاسلام لم يأت الا ليدافع عنها ويغرسها فى النفوس!!

- ثم إنه يحاول بطريقة مبطنة أن يعلي من أخلاق العرب فى الجاهلية ويجعلها أسمى من قيم ومبادئ الاسلام فيدعي أن فروسية العرب أبت على الكثير منهم أن ينزلوا على حكم التقية واعتبروها نفاقاً يأباه الطبع العربي ولكن الاسلام حضّهم عليها وروّض طباعهم حتى قبلوها !!.

وهذا كذب صريح لايُقدم عليه مسلم ، وقلب للحقائق لا يفعله مَنْ له أدنى معرفة بحقيقة هذا الدين،فما هودليله على هذه الدعوى التى تريد أن تُعلي من شأن العروبة الجاهلية وتشوه حقيقة الاسلام ؟!

هل أكره الاسلام ياسراً وسمية - والدي عمار - على قبول التقية وأغراهما بها ؟أم أن العكس هو الصحيح ؟

لقد بشرهما الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة إذا صبرا وتحملا العذاب ، كمابشّر كثيراً من المستضعفين وأمرهما بالصبر والثبات على الاسلام.

واذا كانت الدعوة للتقية أهم أهداف الاسلام فكيف انتشر وفتح العالم ؟

ولماذا كان موقف عمار - وهو مضطر اليه - موقفاً اسلامياً قرآنياً ومبدأ دعا اليه الاسلام وأغرى الناس به .. ولم يكن موقف العشرات الاخرين الصابرين على التعذيب الثابتين على الرغم من كل ما أصابهم (١) أمثال بلال وصهيب وخباب وخبيب .. موقفاً اسلامياً أيضاً ؟

وهل نسي الشيبي الآيات الكثيرة التى وردت فى القرآن الكريم فى الأمر بالصبر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحمل الشدائد فى سبيل الدعوة الى الاسلام (٢) .!! وغيرذلك.

إنها دعوى خطيرة لاتصدر الامن جاهل أو حاقد على الاسلام.

- ثم نجد الشيبي يردد مزاعم المستشرقين الذين صوّروا الاسلام حركة قهر بالسيف

---

(١) راجع ما ذكرته من مواقف . ص/ ٣٤ من هذا البحث .

(٢) راجع ما أوردته ص/ ٤١ من هذا البحث.

للاكراه على العقيدة وهدفهم من ذلك تشويه صورة الجهاد فى الاسلام وزعزعة العقيدة الاسلامية فى نفوس أبنائها وتشويه التاريخ الاسلامى المجيد .

واذا بالشيبي يكرر هذه المزاعم ويربطها بالتقية مدعياً أن الاسلام يضطر الناس الى الدخول فيه هرباً من السيف ومن الجزية ، وأن هؤلاء سيعلنون الاسلام تقية وتظاهراً فقط وهكذا يغرى الاسلام بالتقية !!

وهذه مغالطة واضحة ليس الهدف منها أن يُعلي من شأن التقية فحسب وانما الهدف منها تشويه صورة الاسلام .

ألم يقرأ الشيبي قوله تعالى : (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي)(١) وقوله تعالى : (ولو شاء ربك لآمن مَنْ في الارض كلهم جميعاً أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)(٢) ؟

فالاسلام لايُكرِه أحداً على الدخول فيه ، ولكنه يأمر بالجهاد لازالة الحواجز والعقبات التي تمنع الناس من حرية التفكير ، ويحارب الطواغيت الذين يتسلطون على رقاب العباد ويمنعونهم من الايمان ويقفون فى وجه دعاة الاسلام الفاتحين .

فإذا أصبح الناس أحراراً فإنهم يختارون بمحض إرادتهم العقيدة التى يريدونها (٣) .
والتاريخ الاسلامي يشهد كيف كان الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً عن رضىً وقناعة وكيف كانت الشعوب المحكومة من قبل الفرس والرومان ينتظرون المسلمين الفاتحين بلهفة ويقولون : أنتم أرحم بنا من أبناء جلدتنا .

بل إن كثيراً من البلاد التى دخلها الاسلام لم يصل اليها جيش المسلمين وانما دخلها عن طريق التجار المسلمين الذى كانوا دعاة إلى الله بأقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم .

---

(١) سورة البقرة . آية/ ٢٥٦

(٢) سورة يونس. آية / ٩٩

(٣) راجع ماكتبه الشهيد سيد قطب فى هذا الموضوع فى كتابه : معالم فى الطريق ص / ٦٣ - ٦٦

والجزية التى يدفعها مَنْ لا يدخل فى الاسلام ويعيش فى دولة المسلمين ليست عبئاً ثقيلاً حتى يندفع الناس إلى الاسلام تخلصاً منها - كما يقول الشيبي -

فهي من ناحية القيمة تقارب الزكاة التي يدفعها المسلم،[١] وهذه الجزية ينال الذمي بها حماية الدولة الاسلامية له واعترافها بحقوقه ، وهو بنفس الوقت لا يشارك بأعمال الجهاد لصدِّ الهجمات ضد أمن هذه الدولة.

فما الذي يدفعه الى التظاهر بالاسلام تقية ليتخلص من هذه الجزية مادام سيدفع الزكاة عندما يتظاهر بالاسلام ؟

وهكذا تبطل مزاعم الشيبي ، وتظهر دعاواه على حقيقتها .

- ثم انه لا يكتفى بذلك بل نجده يتهجم على كبار الصحابة رضي الله عنهم ، فتارة يطعن فى عثمان رضي الله عنه ،[٢] وتارة يطعن فى معاوية رضي الله عنه ويعتبره مستغلاً استعاد عرش أبيه[٣] وتارة يشنع على من يطالب بتجنب البحث فى هفوات الصحابة وما بدر منهم ، ويدّعي أن ذلك يشبه الميثولوجيا اليونانية التي تسرد قصص الخلاف بين الآلهة وتطلب إلى الناس أن يعبدوها ..!![٤]

فما هو هدفه من وراء ذلك ؟!

ألم يجد فى التاريخ الاسلامى الحافل إلا هذه الأحداث التي هى مواقف اجتهادية اختلف فيها الصحابة رضى الله عنهم ؟

إن دعوة الشيبي الى إبراز ماحصل بين الصحابة الكرام وتجليته للصغير والكبير والحديث عنه فى كل محفل .. دعوة خطيرة هدامة هدفها تشويه صورة التاريخ الاسلامى ومحو اعتزاز المسلمين به ، وإشعار الناشئة أن تاريخهم أسود ليس فيه إلا الخلافات

---

(١) اختلف العلماء فى تحديد مقدار الجزية، فقال بعضهم هى دينار، وان طوحوا على اكثر منه جاز، وقال بعضهم لا توقيت فيها ، وهى تؤخذ من الرجال المقاتلين دون النساء والاطفال والشيخ الفاني . (راجع تفصيل ذلك فى تفسير القرطبى ٨ / ١١١)

(٢) التقية أصولها وتطورها ص/ ٢٤٩ والصلة بين التصوف والتشيع ص/ ٤٤

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع ص / ٤٤

(٤) التقية أصولها وتطورها ص / ٢٥٤

والدماء منذ بداية الاسلام.

وكأني أراها دعوة مبطنة إلى نبذ التشريع الاسلامي ، وأنه ليس صالحاً لقيادة الناس من جديد مادام القرن الاول وهم خير القرون كانوا على هذه الصورة .

ولهذا يتلمس الشيبي بعض الأحداث ثم يستنتج أن هذا هو حال العالم الاسلامي في أواخر القرن الاول الهجرى .

وهكذا يظهر تأثر الشيبي بالأفكار العلمانية ، وترويجه لمزاعم المستشرقين الحاقدين على الاسلام التي تهدف الى زعزعة الاسلام في نفوس أهله حتى يسهل عليهم اقتلاع جذوره من القلوب " والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون " (١)

- وأما ادعاء الشيبي أن التقية لا تختص بالشيعة فقط ، وأن أهل السنة تمسكوا بها فهذه دعوة سيظهر للقارئ بطلانها وهو يتصفح مباحث هذا الموضوع ، حيث يتبين أن التقية التي استعملها الشيعة لها مدلول خاص ومعنى متميز ومجالات تختلف تماماً عما رخص به الاسلام في أمر التقية.

بل لقد ذكرنا في بداية هذا المبحث ما تميز به الشيعة من الغلو في التقية واعتبارها أصلاً من أصول الدين ، وفرضاً من الفروض اللازمة ، وأنها تسعة أعشار الدين ، ومن تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة . . إلى غير ذلك .

وهذا الانحراف والغلو الخطير في التقية تميز به الشيعة حتى أصبحت تلك التقية عقيدة شيعية ، أما التقية التي رخص بها الاسلام وأباحها عند الضرورة فهي التي أخذ بها بعض أهل السنة عندما اضطروا اليها واعتبروها باب رخصةٍ لا باب فضلٍ وأجرٍ ومثوبة.

---

(١) سورة يوسف . آية / ٢١

المبحث الثالث
نسبتهم التقية للرسل والأئمة وبعض الصالحين

أولا : نسبة التقية للرسل عليهم السلام

نسب الشيعة التقية -على مذهبهم فيها- الى الرسل (عليهم الصلاة والسلام) تدعيما لغلوهم فى التقية وتأصيلاً له ، ولم يكتفوا بذلك بل اعتبروا التقية سنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام.وأبرز ماتمسكوا به وجعلوه مستنداً لهم فى إثبات التقية للانبياء (عليهم الصلاة والسلام) قول ابراهيم لقومه : (إني سقيم) ، ولم يكن كذلك ، وقوله لهم بعد أن حطَّم الأصنام : (بل فعله كبيرهم هذا) ، وقوله عن زوجته : (هي أختي) وكذلك ما فعله يوسف عليه السلام من إخفاء صواع الملك واتهام اخوته بسرقته وهو يعلم براءتهم من هذه التهمة.

ولنستعرض نصوصهم فى ذلك بشئ من التفصيل والمناقشة :

١ - نسبة التقية لابراهيم عليه السلام :

- روى الكليني بسنده عن أبي بصير قال : (قال أبو عبد الله (ع) التقية من دين الله . قلت: من دين الله ؟ قال : إي والله من دين الله . ولقد قال يوسف "أيتها العير إنكم لسارقون" والله ما كانوا سرقوا شيئا . ولقد قال ابراهيم "انى سقيم" والله ما كان سقيماً)(١)

- وروى ابن بابويه فى (معاني الاخبار) بسنده عن سفيان بن سعيد قال : (سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد يقول : عليك بالتقية فإنها سنة ابراهيم الخليل عليه السلام)(٢)

ونلاحظ من هاتين الروايتين أن الشيعة استندوا على قول ابراهيم لقومه (إني سقيم)

---

(١) الأصول من الكافي ٢١٧/٢ ، وروى ذلك أيضاً ابن بابويه القمي في (علل الشرائع) ص/ ٥١

(٢) معاني الأخبار ص/ ١٠٩ نقلاً عن:وسائل الشيعة للحر العاملي ٤٦٣/٦

وجعلوا ذلك دليلاً على وجوب التقية، وأنها من دين الله وهدي الأنبياء.

وهذه مغالطة خطيرة وتغيير للحقائق ، لان هذا القول من ابراهيم عليه السلام لا يُعد تقية وانما هو من المعاريض الجائزة .

فقوله عليه السلام : (إني سقيم) يحتمل عدة معانٍ كلها حق وصدق ، وأبرزها كما قال المفسرون (١) :

١ - أنه سقيم القلب لكفر قومه وإصرارهم على الشرك .

٢ - أنه مستعد للسقم، لأن الانسان لا ينفكّ في أكثر أحواله عن حصول حالة مكروهة ، إما في بدنه وإما في قلبه ، وكل ذلك سقم.

٣ - أنه سيسقم ، لأن الانسان لابد أن يأتيه السقم في يوم ما ، وذلك كقوله تعالى : " انك ميت " أي ستموت.

ثم إن ابراهيم عليه السلام لم يكن قصده من هذه التورية النجاة من أذى قومه والتخلص من بطشهم ، وانما كان يهدف إلى أن يخلو وحده بعد أن يذهب قومه إلى عيدهم ، وعندئذ يتمكن من تحطيم الاصنام .

ولو لم يقتنع قومه باعتذاره عن التخلف لشكّوا في سبب بقائه ، وخافوا من أن يقصد آلهتهم بسوء ، وبخاصة أنه كان يطعن فيها ويسفّه أحلامهم في عبادتهم لها .

وبالتالي لم يكونوا ليسمحوا له بالبقاء ، وهذا يفوّت المصلحة العظيمة التي جناها إبراهيم لدعوته من تحطيم الاصنام وإظهار عجزها .

ولو كان ابراهيم عليه السلام يقصد بقوله (إني سقيم) التقية ودفع الاذى عن نفسه، وأن التقية هي سنته وهديه - كما يزعمون - . . فما الذى يدعو للتخلف عن قومه ؟ لقد كان بإمكانه أن يشاركهم في عيدهم ، وتلك أعظم تقية !!

ولو كان ابراهيم عليه السلام خائفا من قومه ، يستخدم التقية لينجو من شرهم ، لقعد في بيته بعد ذهابهم ، ولما ضحّى بنفسه وقام بتحطيم الأصنام ، وهو عمل يمكن أن يؤدي به الى القتل ، وهذا ما حاول قومه أن يقوموا به فعلاً .

---

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٦ / ١٤٧ - ١٤٨ روح المعاني للألوسي ٢٣ / ١٠١ والاية هي قوله تعالى : (فنظر نظرة في النجوم فقال انى سقيم) سورة الصافات / آية ٨٩

فالمعاريض التى استخدمها ابراهيم عليه السلام بقوله (إني سقيم) كانت تدبيراً حسناً وطريقاً لجلب مصلحة هامة للدعوة ، وإفحام قومه بدليل علمي يحطم قدسية الأصنام فى نفوسهم ويزعزع عقائدهم الباطلة .

ولذلك قال (وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين)[١] . ولم يكن هدف ابراهيم عليه السلام الانتقام من الاصنام كحجارة ، وانما كان هدفه إقامة الدليل العملي على بطلان مزاعم قومه الذين خوّفوه من بطش الآلهة به إذا أساء اليها ، فها هو ذا لم يكتف بالاساءة الى تلك الآلهة بالكلام لكنه حطمها شر تحطيم فلم تنله بسوء أو تمنع عن نفسها السوء .

ولكى تقام الحجة ، وتكتمل صورة ذلك الدليل العملي ، قال لهم وهم مجتمعون حول الاصنام المحطمة وقد ذعروا ودهشوا وتساءلوا :(من فعل هذا بآلهتنا ؟)
(قال : بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون)[٢] ولم يقصد من هذه الاجابة درء الخطر عن نفسه لأنه يعرف أنهم ينكرون أن يفعل هذا الفعل حجر أصم ويعلمون أن ابراهيم هو الذى تخلف عن الذهاب معهم وهو الذى كان يذكر آلهتهم بسوء .

إذن قول ابراهيم : (بل فعله كبيرهم هذا) لم يكن تقية أيضاً ، بل كان لإقامة الحجة عليهم واجبارهم على الاعتراف بأن آلهتهم حجارة صماء لا تسمع ولا تبصر ولا تتكلم ولا تضر ولا تنفع .

وهذا ما اعترفوا به فعلاً فقالوا : (لقد علمتَ ما هؤلاء ينطقون)[٣] .
وكانت الحجة قوية ، والحق ناصعاً فى يد ابراهيم بعد هذا الاعتراف منهم ، فقال لهم موبخاً : (قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون)[٤] .

---

(١) سورة الانبياء آية / ٥٧
(٢) الانبياء / آية ٦٣
(٣) الانبياء / آية ٦٥
(٤) الانبياء / آية ٦٦ - ٦٧

فأين موضع التقية هنا ؟ وكيف تكون التقية سنة ابراهيم الخليل ومنهجه وهو يقف هذا الموقف الذى يتحدى به جبروت قومه ويصدع بالحق أمامهم ولا يبالي بما يتهدده من قتل ؟ إن سنة ابراهيم وهديه هو الدعوة الى الحق ومجادلة أهل الباطل ودحض عقائدهم .

لقد كانت حياته عليه السلام سلسلة متلاحقة من الصبر على الاذى ومجابهة الطغيان ، ولم يكن فى يوم من الأيام ليهادن أعداءه أو يتخلى عن دعوته حتى يدّعى الشيعة أن سنته التقية !!

وكيف ينسب هؤلاء التقيةَ الى ابراهيم الخليل؟وهو يقول لقومه الذين هددوه وخوّفوه : (ولا أخاف ماتشركون به الا أن يشاء ربي شيئا)(١)

وأخيراً هل يصدق عاقل أن تخفى تلك المعانى عن الامام جعفر الصادق رحمه الله على جلالة قدره وعلمه ؟ وهل يمكن لمثل ذلك الامام أن يعتبر ماقام به ابراهيم تقية وخوفا ؟

إن هذا يكفى لابطال نسبة تلك الرواية المتهافته إلى الامام الصادق ، وأنها من وضع الشيعة كغيرها من الروايات التى تغصُّ بها كتبهم ، والصادق برئ منها .

٢ - نسبة التقية ليوسف عليه السلام

- ذكرنا رواية الكلينى فى الفقرة السابقة ، وهى مانسبه للامام الصادق أنه قال : (التقية من دين الله . قلت : من دين الله ؟ قال : أى والله من دين الله ولقد قال يوسف "أيتها العير انكم لسارقون" والله ماكانوا سرقوا شيئاً)(٢) .

- وروى ابن بابويه فى (علل الشرائع) بسنده (عن صالح بن سعيد عن رجل من أصحابنا عن أبى عبدالله (ع) قال :

سألته عن قول الله عزوجل فى يوسف "أيتها العير إنكم لسارقون "

---

(١) سورة الانعام / الاية ٨٠

(٢) الاصول من الكافي ٢/٢١٧ - وقوله تعالى : (ثم أذّن مؤذن بينهم أيتها العير إنكم لسارقون) سورة يوسف / آية ٧٠

قال : إنهم سرقوا يوسف من أبيه ، ألا تر أنه قال لهم حين قالوا : ماذا تفقدون ؟ قالوا : نفقد صواع الملك ، ولم يقولوا سرقتم صواع الملك ، إنما عني انكم سرقتم يوسف من أبيه [(١)])

- وروى أيضاً بسنده (عن أبي بصير قال : سمعت أبا جعفر (ع) يقول : لا خير فيمن لا تقية له ، ولقد قال يوسف أيتها العير إنكم لسارقون ، وما سرقوا [(٢)])

ولنقف قليلاً عند هذا الفعل من يوسف عليه السلام وهل يُعتبر تقية أوْ لا ؟

فلو رجعنا الى كتب التفسير لوجدنا أن المفسرين قد ذكروا فى معنى الاية قولين :

القول الاول : ذكره المفسرون من السنة والشيعة [(٣)] . وهو أن المقصود بالسرقة أخْذهم ليوسف من أبيه على وجه الخيانة كالسراق ، ولذلك لما سألوا (ماذا تفقدون ؟) قالوا (نفقد صواع الملك) ولم يقولوا سرقتمو أو سُرق .

القول الثاني : ذكره صاحب البحر المحيط فقال :

(الذى يظهر أن هذا التحايل ورمي البرآء بالسرقة وإدخال الهمِّ على يعقوب عليه السلام بوحي من الله تعالى لِما علم سبحانه في ذلك من الصلاح ولِما أراد من محنتهم بذلك ، ويؤيده قوله سبحانه "كذلك كدنا ليوسف") [(٤)] .

أما القول الاول : فالمقصود منه أن يوسف عليه السلام استعمل المعاريض وذلك بكلام يَقصِد منه شيئاً ويفهم منه المستمعون (وهم أخوته) معنى آخر ، وهذه المعاريض التي استعملها يوسف عليه السلام كانت لتحقيق منفعة وهى الاحتفاظ بأخيه عنده

(١) علل الشرائع ص/ ٥٢

(٢) المرجع السابق ص/ ٥١ وراجع وسائل الشيعة للحر العاملى ٦/ ٤٦٤
وقد قال المعلق على وسائل الشيعة (عبد الرحيم الربانى الشيرازى) عند هذا الخبر المنسوب للامام جعفر : (فيه تقية الأنبياء ، ومثله كثير فتأمل منه) وهذا يدل على أن علماءهم المعاصرين لا زالوا متمسكين بهذا الغلو.

(٣) راجع: أحكام القرآن لابن العربى ٣/ ١٠٩٥ ، تفسير ابن كثير ٢/ ٤٨٥ روح المعانى للالوسى ١٣/ ٢٤ ومن تفاسير الشيعة: تفسير الصافى ١/ ٨٤٤

(٤) البحر المحيط لابى حيان الاندلسى ٥/ ٣٢٩

وليست لدفع الخوف ، ومن يخاف يوسف عليه السلام وهو على خزائن مصر يتصرف فيها كيف يشاء ؟ وهل يخاف ويحذر ويضطر للتقية أمام فقراء معدمين جاؤو يرجونه أكيالا من الطعام فى زمن القحط الشديد ؟ وقد مسهم الضر والفاقة (قالوا ياأيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا)(١) .

والقول الثاني : لايُعتبر من المعاريض بل هو تدبير حسن وفعل مباح لأنه بأمر الله ووحيه حتى يحتفظ يوسف بأخيه ويترتب على ذلك بتدبير الله تعالى مجئ والديه واخوته من البدو إلى مصر (وجاء بكم من البدو)(٢) ، وهى بداية انتقال بني اسرائيل الى مصر تمهيداً لتاريخ طويل كان لهم بعد ذلك الدور الأكبر فيه .

وعلى هذا القول فى تأويل الاية لا يعد كلام يوسف من المعاريض أبداً فضلاً عن أن يكون من التقية .

---

(١) سورة يوسف / آية ٨٨

(٢) سورة يوسف / جزء من الاية ١٠٠

٣ ـ نسبة التقية للرسول صلى الله عليه وسلم

وللزيادة من أهمية التقية ومنزلتها فإن الشيعة لم يكتفوا بجعلها سنة ابراهيم عليه السلام بل اعتبروها فرضاً من فرائض الاسلام أمر الله به رسوله كما أمره بسائر الفرائض ، وأدّبه ربه بالتقية حتى صارت خُلقاً من أخلاق ذلك الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم !!

وليس هذا فقط بل إن التقية ارتفعت الى الذروة العليا من القرآن !!

وهذه هي روايتهم في ذلك منسوبة للامام جعفر الصادق :

ـ روى ابن بابويه القمي بسنده (عن سفيان بن سعيد قال سمعت أبا عبد الله جعفر ابن محمد يقول : عليك بالتقية فإنها سنة ابراهيم الخليل عليه السلام .

إلى أن قال : وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد سفراً ورّى بغيره وقال صلى الله عليه وسلم : أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني باقامة الفرائض .

ولقد أدبه الله عزوجل بالتقية فقال : (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا)(١) . الآية

يا سفيان من استعمل التقية في دين الله فقد تسنم الذروة العليا من القرآن ، وان عز المؤمن في حفظ لسانه ، ومن لم يملك لسانه ندم)(٢) .

وبما أن هذه الرواية تشمل عدة جوانب فلابد من الرد على كل جانب منها ومناقشته تفصيليا من خلال سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته الصحيحة .

فالملاحظ هنا أنهم استندوا الى بعض الاقوال والافعال الصادرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتبروا ذلك دليلا على تأكيد التقية وأهميتها .

ـ وأول شئ استدلوا به أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد سفرا ورّى بغيره وهذا الاطلاق لايصح أبداً لان السفر الذي كان يورّي فيه هو سفر الحرب ، والحرب خدعة ، ولم يكن يفعل ذلك في أسفاره كلها ، فعندما سافر لعمرة القضاء مثلا حدد

---

(١) سورة فصلت / آية ٣٤

(٢) معاني الاخبار لابن بابويه ص/ ١٠٩ نقلا عن وسائل الشيعة للحر العاملي ٦/ ٤٦٣
وقد تقدم تخريج الحديث والإشارة إلى أنه ضعيف . راجع ص/ ١٥٢

جهته ، بل انه عندما سافر الى تبوك لغزو الروم بيّن مقصده أيضا .

فالأمر يختلف بحسب مايراه الرسول صلى الله عليه وسلم من مصلحة القتال ومباغتة العدو.

ولا يمكن أن نستدل من ذلك على وجوب التقية ومنزلتها ، لأن هذا لا يعد تقية بل هو من قبيل إخفاء أسرار الحرب .

- ثم ذكرت الرواية قولاً منسوباً للرسول صلى الله عليه وسلم وهو: (أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني باقامة الفرائض)

ويقصد من ذلك أن استعمال التقية نزل الأمر به من قِبل الله فهو كالفرائض وليس رخصة واستثناء .

وهذا الحديث لا تصح نسبته للرسول صلى الله عليه وسلم فهو حديث ضعيف (١)

ومع ذلك فالمداراة تختلف عن التقية ، والرسول صلى الله عليه وسلم كان يداري بعض الكبراء أحيانا طمعاً فى إسلامهم أو إسلام من وراءهم من القبائل وليس خوفاً منهم.

وهذه المداراة خُلق حسن ، وحكمة فى الدعوة ، ولين فى الكلام وبشاشة فى الوجه .

وأهم فرق بين المداراة والتقية أن المداراة يبذل فيها الانسان شيئا من دنياه، أما التقية فإنه يبذل فيها شيئا من دينه بقول أو فعل وشتان بينهما . (٢)

ولكن الشيعة جعلوا المداراة من التقية لكي يتوصلوا الى تأكيد نسبة التقية للرسل عليهم السلام .

- أما قوله تعالى (ادفع بالتى هى أحسن ..)

فليس فى هذه الآية مايدل على أنها خاصة في التقية ، ولكن الشيعة جعلوها - وآيات أخرى كثيرة - خاصة فى الأمر بالتقية وأوّلوا ألفاظها بما لا تحتمله ظواهر تلك الآيات

---

(١) راجع تخريجه ص/ ١٥٢ من هذا البحث

(٢) راجع فصل : (المداراة والمداهنة وصلتهما بالتقية) فى الباب الأول من هذا البحث ص/ ١٤٥ لتجد الفرق تفصيلياً بين المداراة والتقية .

الكريمة مطلقا .[١]

مع أن الاية الكريمة تحث على مقابلة السيئة بالحسنة ليكون ذلك أقرب الى التأثير في قلوب الناس واستجابتهم لدعوة الاسلام .

ونلاحظ أن الشيعة استندوا على تأويلهم المنحرف لتلك الاية الكريمة - وأمثالها - لكى يقرروا قاعدتهم الخطيرة وهي : (من استعمل التقية فقد تسنم الذروة العليا من القرآن) !!

وهكذا يُضفون على تقيتهم هالة من التقديس ويجعلون منها ركناً أصيلاً من أركان هذا الدين بل هي رأس الدين وذروة سنام الاسلام ، والذروة العليا من القرآن !

لقد انقلبت المفاهيم عندهم وأصبحت التقية هى ذروة سنام الاسلام وليس الجهاد - كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم -[٢]

وبهذا تحظى التقية عندهم بمنزلة الصدارة ، وكأن القرآن الكريم ما نزل إلا ليدعو إليها ويحض على التمسك بها ويحذر من تركها . . وتصبح التقية من أبرز أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وشمائله - كما يزعمون -

وحاشاه أن يكون كذلك ، بل خلقه عليه الصلاة والسلام الصدع بالحق والجهاد فى سبيل الله والحرص على هداية الناس وانقاذهم من الضلال .

لقد أدبه ربه بذلك فقال سبحانه (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين)[٣]

وامتدحه ربه هو وصحابته الكرام بجهادهم وشدتهم على الأعداء .

فقال تعالى : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم)[٤]

---

(١) تحدثنا عن ذلك فى مبحث سابق من هذا الفصل . راجع ص/٢٢٣

(٢) وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل : (رأس الامر الاسلام ، وعمود الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ، ورواه الامام أحمد فى المسند ، وابن ماجة فى سننه (راجع: جامع الاصول لابن الأثير ٩/٥٣٥)

(٣) سورة الحجر / آية ٩٤

(٤) سورة الفتح / آية ٢٩

- والغلو اذا بدأ لا يقف عند حد ، لذلك نجدهم يُفرعون آخر سهم في جعبتهم ، ويُفصحون بحقيقة ما يكنُّونه من عقائد فاسدة ، فينسبون التقية لمن بيده الملك ألا وهو الله عزوجل !! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

فالله سبحانه - على زعمهم - أسرَّ ولايته الى جبريل عليه السلام ، وأسرَّها جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم ، وأسرَّها محمد إلى علي . . وهكذا !!.

وهذه ليست تهمة نلصقها بهم ، بل هي عقيدة ثابتة عندهم وموجودة في أهم كتبهم وأصحها عندهم وهو الكافي . واليك روايتهم في ذلك :

روى الكليني بسنده عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال :

(سألت أبا الحسن الرضا - ع - عن مسألة فأبى وأمسك ، ثم قال : لو أعطيناكم كلما تريدون كان شراً لكم . . ثم قال : قال أبو جعفر - ع - :

ولاية الله أسرَّها إلى جبرائيل عليه السلام ، وأسرها جبرائيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وأسرَّها محمد الى علي ، وأسرَّها علي الى من شاء الله ، ثم أنتم تذيعون ذلك؟ثم قال : فاتقوا الله ولا تذيعوا حديثنا) ! (١)

ويقصد الشيعة بهذا النص - الذي يُعبِّر عن مذهبهم في الإمامة - أن الوصاية بالإمامة وتعيين الخليفة لابد أن يكون منزَّلاً من السماء ، وأن الله هو الذي حدَّد الائمة بأسمائهم وأسرَّ بذلك الى جبريل ، ثم انتقلت منه عن طريق السرِّ والخفية الى الرسول صلى الله عليه وسلم ثم الى علي رضي الله عنه ومنه الى باقي أئمتهم الاثنى عشر واحداً بعد واحد ، فعرف كل إمام نفسه بتعيين من السماء .

واذا كان تعيين الائمة قد تم عن طريق السر والخفية فكيف يعرف الناس إمامة هؤلاء حتى يتبعوهم ويستمعوا الى أقوالهم؟ أليس هذا تناقضاً ؟

بل ما الحاجة الى الخفية في أمر لو عُرف جهراً بالنص لانتهى الخلاف وسار الجميع على هداه ؟

واذا كان الائمة يخفون ذلك خوفاً من الأذى فلماذا يخفي الله هذه الوصاية ويسرُّ

---

(١) الاصول من الكافي ٢ / ٢٢٤

بها الى جبريل ؟

ممن يخاف الله وهو مالك الملك حتى يكتم السر عن خلقه فى أمر لو عُلم لكان فيه صلاح الناس ؟ تعالى الله عما يقولون وتنزه سبحانه عما يفتريه الشيعة من أباطيل .

والواقع أن حب الشيعة للتقية وغرامهم بها هو الذي أوصلهم الى هذا المستوى من الغلو ولم يبالوا بخطر ماتوصلوا اليه عن طريق رواياتهم التى لم يحسنوا عرضها ولم يحسنوا وضعها حتى أضحت عاراً يخجل كثيرون منهم من التصريح بها واعلانها أمام الناس .

وهذا مانجده واضحاً فى كتابات علمائهم المعاصرين الذين بدأوا يتظاهرون بإنكار كثير من العقائد الثابته فى كتبهم والواردة فى رواياتهم .

فها هو عبد الحسين الاميني النجفي ينكر أن تكون الشيعة تعتقد أن الرسول كتم شيئا على سبيل التقية ، ويعتبر ذلك فرية ويتحدى أن يكون لهذا الكلام أصل فى كتبهم ، ويعتبر أن هذا الافتراء هدفه تشويه سمعة الشيعة والاساءة اليهم .(١)

ولكن القارئ المنصف الذى رأى روايتهم الصريحة فى نسبة الكتمان والتقية الى الرسول صلى الله عليه وسلم بل الى رب العزة . . يدرك حقيقة هذا الانكار من هذا العالم الشيعى .

ولو أنه طعن فى الرواية وأبطلها لكان خيراً له ولكنه تناسى وجودها وقام يتحدى علماء أهل السنة أن يأتوه باسم عالِم ذكرها أو مؤلَف تضمنها .

ويكفي فى رد كلامه أن هذه الرواية موجودة فى أصح كتبهم وهو الكافي كما أشرنا ، وأنها صريحة فى نسبة الكتمان للرسول صلى الله عليه وسلم .

- وقبل أن نختم استعراضنا لروايات الشيعة التي تؤكد نسبة التقية للرسل عليهم السلام نذكر الرواية التالية التى يدّعون فيها أن الرسول صلى الله عليه وسلم حضر جنازة زعيم المنافقين ابن سلول وتظاهر تقية بأنه يدعو له ولكنه كان فى الحقيقة يدعو

---

(١) الغدير فى الكتاب والسنة والأدب - عبد الحسين الاميني ٢٢٨/١

عليه .

روى الكليني (عن الحلبي عن أبي عبد الله ـ ع ـ قال :

لما مات عبد الله بن أبي بن سلول حضر النبي صلى الله عليه وسلم جنازته فقال عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ألم ينهك الله أن تقوم على قبره ؟ فسكت . فقال : يارسول الله ألم ينهك الله أن تقوم على قبره ؟ فقال له ويلك وما يدريك ماقلت، انى قلت: اللهم احش جوفه ناراً ، واملأ قبره ناراً ، وأصله ناراً)[1] .

فالرسول صلى الله عليه وسلم ـ على حسب زعمهم ـ يخادع أصحابه ويتظاهر أمامهم بأنه يدعو لهذا المنافق ويترحم عليه ولكنه يدعو عليه بصوت لم يسمعه أحد من أصحابه الذين كانوا يقتدون به في أقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم .

ولا أدرى ما الذى يدعو الرسول عليه الصلاة والسلام لهذه التقية التي يزعمون نسبتها اليه ؟ هل كان يخاف من هذا المنافق الذى هو أمامه جثة هامدة ؟ أم كان يخاف من أتباعه الذين كانوا يتظاهرون بالاسلام رهبة من قوة المسلمين وطمعا في المنافع.

لان المنافق في أى زمان ومكان هو في حقيقته كافر ، الا أنه يظهر الاسلام . ولا يفعل أحد ذلك الا اذا كان في موقف الضعف بازاء المسلمين في مجتمع مسلم تحكمه سلطة اسلامية .

فلا يعقل أن تتقى هذه السلطة القائمة اولئك المنافقين الضعفاء . فكيف يقال هذا عن الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

ومما يكذب هذه الرواية ، ويرد على الافتراء ، ويبطل ادعاءهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعو على هذا المنافق ولم يكن يدعو له . . ماصرحت به الاية القرآنية من أن الرسول صلى الله عليه وسلم استغفر للمنافقين فعلا ، حتى نهاه الله عن ذلك بقوله سبحانه :(استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم)[2] .

---

(١) الفروع من الكافي ـ كتاب الجنائز ـ باب الصلاة على الناصب ٣ / ١٨٨

(٢) سورة التوبة / آية ٨٠

والرواية السابقة تشير الى أن الرسول صلى الله عليه وسلم خالف أمر ربه بالصلاة على هذا المنافق والوقوف عند قبره ولذلك اعترض عمر رضى الله عنه على فعله .

ومما يرد قولهم أن الاية الكريمة (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون)(١) نزلت تعقيبا على صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا المنافق ولم تنزل قبل ذلك، وبالتالى لم يكن هناك نهى سابق من الله لرسوله أن يصلى على أحد من المنافقين فلما نزلت هذه الاية لم يصل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها على منافق حتى قبضه الله(٢) .

فانظر الى هذه الجرأة من الشيعة على مقام الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا الافتراء عليه والادعاء بأنه صلى الله عليه وسلم خالف أمر ربه خوفا من بعض المنافقين فصلى تقية على زعيمهم وتظاهر بالدعاء له !!.

ان هذه الرواية المتهافتة التى ينسبونها كذبا للامام الصادق ، تخالف صريح القرآن الكريم ، وتطعن فى أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وتنتقص من قدره .

ان هذا لا يقوله عاقل فضلا عن أن يقوله مسلم ولكن هؤلاء لا يعرفون قدر هذا النبى العظيم صلى الله عليه وسلم ولا يتورعون عن نسبة هذه الاباطيل اليه .

والآن وبعد أن ناقشنا رواياتهم فى نسبة التقية للرسل وقمنا بابطالها وردها واحدة واحدة نريد أن نطرح على بساط البحث التساؤل التالى :

هل تصح نسبة التقية للرسل عليهم السلام ؟

سنتناول هذا الموضوع بالبحث والمناقشة من خلال استعراضنا لانواع التقية وجوانبها ثم نصل بعد مناقشتنا لهذه الجزئية الى حكم عام نستنتج من خلاله حقيقة ادعاءات الشيعة فى هذا المجال :

١ ـ الصدق سجية وخلق للانبياء والمرسلين جميعا ، ولقد وصفهم بذلك ربهم فى

---

(١) سورة التوبة / آية ٨٤

(٢) تفسير ابن كثير ٢ / ٣٧٨ ـ ٣٧٩ وراجع: تفسير الطبري ١٠/٢٠٤ والقرطبي ٨/٢١٨

القرآن الكريم .

فقال فى ادريس عليه السلام (واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا)[١]

وقال فى ابراهيم عليه السلام (واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا)[٢]

وفى اسماعيل عليه السلام (انه كان صادق الوعد)[٣]

وقال فى الرسول صلى الله عليه وسلم (والذى جاء بالصدق وصدق به)[٤]

وقال فى رسله جميعا (هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون)[٥]

وهذا ماكان اعداؤهم يعترفون به حتى لقب الرسول صلى الله عليه وسلم بالصادق الامين . وقد اعترف أبوسفيان قبل اسلامه أمام هرقل بذلك فقال : ماجربنا عليه كذبا قط.[٦]

فالانبياء معصومون من التقول وقول الكذب والبهتان مطلقا عمدا كان أو سهوا ، قبل النبوة أو بعدها ،[٧] ولوجاز على الانبياء التقية فى الإخبار بشئ على خلاف الحقيقة لم يبق هناك من يثق بأقوالهم ويستمع لما يبلغونه عن الله عزوجل ، ولما أمكن تبليغ أحكام الله تعالى للناس ، لان الاحتياج الى التقية فى أول الامر الذى لايكون لهم فيه مُمِّد وناصر أكثر وأمسّ ، ولوأظهروا فى ذلك الوقت خلاف حكم الله تعالى مخافة ايذاء القوم، متى يُعلم حكم الله بعد ذلك ؟ وكيف يتصور علمه ؟[٨]

---

(١) سورة مريم / آية ٥٦

(٢) سورة مريم / آية ٤١

(٣) سورة مريم / آية ٥٤

(٤) سورة الزمر / آية ٣٣

(٥) سورة يسن / آية ٥٢

(٦) راجع قصة أبى سفيان مع هرقل فى صحيح البخارى ٢ / ١٦٠

(٧) وهذا ماأكده أحد علماء الشيعة وهوالشيخ الطوسى فى تفسيره التبيان ٧ / ٢٣٠ اذ يقول : (الكذب قبيح لكونه كذبا ، فلا يحسن على وجه . فلا يجوز للانبياء القبائح ، ولا يجوز أيضا عليهم التعمية فى الاخبار ، ولا التقية فى أخبارهم ، لانه يؤدى الى التشكيك فى أخبارهم)

(٨) راجع مختصر الاثنى عشرية للالوسي ـ تحقيق محب الدين الخطيب ص / ١٠٥

٢ ـ التقية في كتمان شئ من الدين لا تصح نسبتها للرسل أيضا ، لان من أهم صفاتهم عليهم السلام تبليغ شرع الله وعدم كتمان شئ منه ، وهذا ما كان يحرص عليه الرسل جميعا كما أخبر عنهم . فذكر عن نوح عليه السلام قوله (أبلغكم رسالات ربي) (١) .

وأخبر عن هود أنه قال (أبلغكم رسالات ربي) (٢) .

وعن صالح (لقد أبلغتكم رسالة ربي) (٣) .

وعن شعيب (لقد أبلغتكم رسالات ربي) (٤) .

وبيّن سبحانه أن مهمة الرسل جميعاً تبليغ رسالات الله الى خلقه ،فقال تعالى :

(فهل على الرسل الا البلاغ المبين) (٥) .

وقال سبحانه : (عالم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً . ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) (٦) .

ومهما أصاب الانبياء والمرسلين من مشقة وايذاء ،فلا يمكن لأحدهم أن يتهاون في تبليغ شئ من دين الله ،أو يُخفي أمرًا منه .

وهذا ما وصفهم به ربهم فقال : (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً الا الله) (٧) .

وقد أمر الله سبحانه رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم بتبليغ هذا الدين وتكفل سبحانه بحمايته من أن يُقتل،فقال عز وجل :

(يا أيها الرسول بلغ ما أُنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) (٨) .

---

(١) سورة الاعراف / آية ٦٢

(٢) سورة الاعراف / آية ٦٨

(٣) سورة الاعراف/ آية ٧٩

(٤) سورة الاعراف / آية ٩٣

(٥) سورة النحل / آية ٣٥

(٦) سورة الجن/ آية ٢٦ ـ ٢٧ وجزء من الآية ٢٨

(٧) سورة الاحزاب / آية ٣٩

(٨) سورة المائدة/ آية ٦٧

وهذا ماكان يفعله صلى الله عليه وسلم فى كل احواله ،فقد كان يحرص حرصا شديدا على تبليغ أحكام الدين فى كل موقف ومناسبة ولذلك كان يقول وهو يخطب فى حجة الوداع: (ألا هل بلغت ،اللهم فاشهد) (١)

ومع كل هذه الادلة الصريحة تصرُّ روايات الشيعة على نسبة التقية للرسول صلى الله عليه وسلم وخاصة فى مجال كتمان بعض هذا الدين وإظهار خلاف مايرضي الله كما رأينا فى الصفحات السابقة .

بل ان احد علماء الشيعة المعاصرين يؤكد أيضا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتم جزءا من الدين ، ويزعم أن الداعي لهذا الكتمان هو حكمة التدرج فى التشريع وهذا مااقتضى من النبى صلى الله عليه وسلم أن يُظهر جملة من الأحكام ويكتم جملة أخرى منها ليودعها عند أوصيائه الذين ينشرونها فى الوقت المناسب لها (٢) :

وهذه الدعوى الخطيرة معناها أن الدين لم يتم بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن احكامه لم يطلع عليها الناس ولم يعلموا بها إلا بعد مدة ، وهذا يناقض قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) (٣) .

كما يناقض الأمر الجازم من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بتبليغ جميع ماأنزل اليه من ربه :(ياأيها الرسول بلغ ماأُنزل اليك من ربك) .

والأخطر من ذلك أن هذه الدعوى تفتح الباب لدعاة التشيع أن يُدخلوا فى الدين ماليس منه وينسبوه لائمتهم ، ويدّعون أن هذا مما كتمه الرسول وأودعه عند أوصيائه .

٣ ـ التقية فى إجراء كلمة الكفر على اللسان أو التظاهر بمشاركة الكفار بطقوسهم وشعائرهم لا يُنسب للرسل أبداً ولا يجوز لأحدهم أن يفعل ذلك مهما أُكره عليه

---

(١) صحيح البخاري ٣ / ٨٤ كتاب المغازي ، باب حجة الوداع

(٢) أصل الشيعة وأصولها / لمحمد حسين آل كاشف الغطاء ص/ ١١٨

(٣) سورة المائدة آية / ٣

لان ذلك يشوّه صورة الدعوة التي يدعون اليها ، ولا يُعرف بعدها الحق من الباطل فكل مايقوله أو يفعله الرسول شريعة يُحتمل أن يكون للتقية ، والقول بهذا محال.(١)

ثم كيف يطلب الرسول من قومه الاقلاع عن شركهم وكفرهم ثم يشاركهم - ولو تظاهراً - بما كان ينهاهم عنه من قبل ؟!

ولذلك لما طلب المشركون من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعبد آلهتهم يوماً ويعبدون إلههُ يوماً رفض ذلك بقوة ، وأنزل الله قوله تعالى :(قل ياأيها الكافرون لاأعبد ماتعبدون ولاأنتم عابدون ماأعبد ، ولا أنا عابد ماعبدتم ، ولاأنتم عابدون ماأعبد ، لكم دينكم وليَ دين)(٢)

٤ - مدارة الأشرار والتلطف بهم والاحسان اليهم ومقابلة اساءتهم بالصفح ليس عن جبن وتقية من الرسل عليهم السلام ، ولا يدخل هذا في باب التقية ابداً لان الهدف منه استمالة قلوبهم للايمان واستجلابهم للدعوة ، والشرط الأساسي في التقية أن تكون بسبب الخوف .

ومن أمثلة ذلك مامرّ بنا في الباب الأول أثناء الحديث عن المداراة وصلتها بالتقية(٣) وقد رأينا أن تبسم الرسول صلى الله عليه وسلم في وجه الأعرابي الذي قال عنه بئس أخو العشيرة ليس من التقية ولا بسبب الخوف منه وانما لكي يستجلبه للاسلام رغبة في إسلام قومه باعتباره سيداً منهم .

٥ - اعتماد الرسول صلى الله عليه وسلم على أسلوب الدعوة الفردية في بداية الامر وعدم اعلان دعوته أمام الناس هل يصح أن يسمى تقية ؟

إن الشيعة يستدلون بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم هذا على نسبة التقية إليه . يقول محمد الحسين المظفري :

---

(١) راجع المبسوط للسرخسي ٢٤ / ٤٥

(٢) سورة الكافرون

(٣) راجع ص/١٤٤ من هذا البحث

(لو استعرضت تاريخ الاسلام من البدء لوجدت أن التقية كانت ضرورة يُلتجأ اليها فقد أخفى النبى صلى الله عليه وسلم فى بدء الدعوة أمره حتى دعا بنى هاشم وأمرَه الله سبحانه ان يصدع بأمره ، وتكتم المسلمون فى اسلامهم قبل ظهوره وانتشاره)(١) .

ونتساءل : لماذا يستخدم الرسول صلى الله عليه وسلم التقية فى بدء الدعوة ؟

فهو صلى الله عليه وسلم لم يكن يخاف على نفسه ، لانه موقن بأن الله الذى ابتعثه قادر على أن يحميه ويعصمه من الناس(٢) ، ولم يكن خائفاً على دعوته أن تـوأد فى مهدها لأنه موقن بنصر الله وحمايته لهذا الدين ولهذه الرسالة التى هى خاتمة الرسالات ، ولكن ذلك كان بأمر الله وحكمته ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يختار لدعوته من يتوقع منهم الاستجابة له وخاصة ممن كانت تشده اليه صلة قرابة أو معرفة سابقة ، وهذا تعليم للدعاة من بعده وارشاد لهم الى مشروعية الأخذ بالحيطة والاسباب الظاهرة(٣) ، لان طريقة عرض الدعوة على الافراد بروِيَّة وحكمة فى بداية الدعوة أمر أساسى فى نجاحها .

أما مافعله الرسول صلى الله عليه وسلم من اتخاذ دار الارقم بن أبى الارقم مقراً لدعوته فليس الهدف منه أن يستخفي عن أعين قريش بل لكى يتمكن الضعفاء والعبيد من الاجتماع به بعيداً عن المشركين ، الذين لا يعلمون باسلامهم ودخولهم فى هذا الدين الجديد ، فالسرية اذا ليست فى إخفاء الدعوة عن قريش التى كانت تعلم بها منذ أول وهلة ـ وخاصة عمه أبو لهب ـ وانما هى سرية للضعفاء الذين يخشون الاذى(٤)

---

(١) الامام الصادق لمظفرى ١/ ٩١

(٢) (٣) راجع فقه السيرة للبوطى ص/٩٠ - ٩٤

(٤) ومما يؤكد أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يخفي دعوته عن قريش ، أنه كان يصلي عند الكعبة فى بعض الاحيان ويراه المشركون . وقد ذكر الامام ابن الاثير فى كتابه الكامل (٢/ ٣٧) قصة فى ذلك فقال :

(قال عفيف الكندي : كنت امرأ تاجراً ، فقدمت مكة أيام الحج ، فأتيت =

وبذلك لا يمكن اعتبار هذا العمل دليلا على نسبة التقية للرسل لانه لا يدخل في تقية الرسل أصلاً ، ولم يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه المرحلة مايدل على نسبة التقية اليه .

والرسول صلى الله عليه وسلم كان يجاهد المشركين بالحجة والبيان منذ بداية بعثته ولم يكن يتقي منهم ، ولما فرض الجهاد القتالي على المسلمين كان ذلك مرحلة جديدة في حياتهم ، ولكن هذا لايعني أن ما قبلها كان عهد تقية بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

وكيف يستخدم الرسول صلى الله عليه وسلم التقية خوفا على نفسه .

وقد قال الله سبحانه مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم :

(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس) (١) .

ولكن علماء الشيعة يثبتون خوف الرسل على أنفسهم ليتمكنوا بعد ذلك من إثبات استخدامهم للتقية .

يقول محسن الامين في معرض حديثه عن التقية :

(لو كان في خوف نبي أو إمام عيب عليه لكان في فرار رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ليلة الغار خوفاً على نفسه من قريش ، وفرار موسى من فرعون وقومه

= العباس ، فبينما نحن عنده إذ خرج رجل فقام تجاه الكعبة يصلي ، ثم خرجت امرأة تصلي معه ، ثم خرج غلام فقام يصلي معه ، فقلت : يا عباس ماهذا الدين ؟ فقال : هذا محمد بن عبدالله ، ابن أخي ، زعم أن الله أرسله ، وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة آمنت به ، وهذا الغلام علي بن أبي طالب آمن به . وايم الله ماأعلم على ظهر الارض أحداً على هذا الدين الا هؤلاء الثلاثة) .

(١) المائدة / آية ٦٧

لما خافهم وخروجه من مصر خائفا يترقب ، وقول لوط : (لو أنَّ لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد)

وقول هارون : (إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني " .. عيباً عليهم، وحاشاهم) [1] .

ويقول في موضع آخر رداً على موسى جارالله الذي قال انه يجلُّ ائمة أهل البيت عن هذا الغلو في التقية .

يقول رداً عليه : (هل كان الائمة أعظم عنده من موسى كليم الله وهو نبي من أولي العزم حين قال : ففررت منكم لما خفتكم ، وحين خرج من مصر خائفاً يترقب ؟

أو أعظم من نبي الله شعيب حين قال : لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد ؟ [2]

أو أعظم من هارون وزير موسى وشريكه في الرسالة حين قال : إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ؟ لماذا لم يكلَّفوا أن يجاهدوا أعداءهم ولا يخافوهم، ويخشوا الله ولا يخشوا أحدا الا هو؟ أو أعظم من محمد صلى الله عليه وسلم حين كان يعبد ربه سرا في أول الرسالة وحين اختفى ثلاثا في الغار ثم فر هاربا الى المدينة مستخفيا ؟ فلماذا لم يكلف أن يجاهد المشركين يومئذ ولا يخافهم ويخشى الله ولا يخشى غيره ؟) [3]

فانظر كيف ينسب هؤلاء للرسل عليهم السلام تمكن الخوف منهم؟

إن كلامهم هذا مردود لأن الرسل أقوى الناس ايمانا بربهم ، وأشدهم خوفاً منه لا من سواه ،وهم أعلى الناس درجات يوم القيامة .

وإذا كان هناك من المؤمنين من لا يخاف في الله لومة لائم ، ومن يبذل نفسه في سبيل الله ويتمنى الشهادة ، فالرسل أولى بذلك من سائر المؤمنين ، وأجدر أن يضحوا بأنفسهم بلا خوف ولا وجل .

---

(١) الشيعة بين الحقائق والاوهام ص/ ٣٣

(٢) هذا لم يقله نبي الله شعيب ، وانما قاله لوط كما ذكر الأمين في النص السابق ويبدو أنه خطأ غير مقصود .

(٣) المرجع السابق ص/ ١٩٥ - ١٩٦

ومعلوم ان الخوف طبيعة من طبائع البشر ، والرسل بشر فيهم صفات البشر وغرائزهم لكن الله يمنح رسله من القوة والتثبيت مايُذهب اي خاطر من خواطر الخوف التي قد ترد على قلوبهم .

ويظهر هذا جليا في قوله تعالى :

(فأوجس في نفسه خيفة موسى ، قلنا لا تخف انك أنت الاعلى)(١)

فالله سبحانه يثبت رسله في مواطن الشدة ويبدل خوفهم أمنا فلا يستقر الخوف في قلوبهم ولا يحتاجون ابدا لاستخدام التقية أو مداهنة اعدائهم بل هم اقوى الناس ايمانا واكثرهم صبراً وثباتاً وجرأة في الحق .

وما اكثر الادلة والشواهد على شجاعتهم وجرأتهم وتضحياتهم في سبيل دعوتهم ولكن محسن الأمين تغاضى عن ذلك كله وتلمّس بعض الأدلة التي يظن أنها تؤيد مذهبه ومذهب فرقته في إثبات خوف الرسل على أنفسهم،غير أن ماذكره لا يؤيد ذلك بل هو دليل على عكس مايرمي اليه ، وهذا ماستراه من خلال مناقشة أدلته :

١ - تسمية انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة فراراً هو قلة أدب وافتراء باطل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لان هجرة الرسول كانت بأمر الله تعالى لإقامة المجتمع الاسلامي الاول في المدينة المنورة،والهجرة بهذه الصفة عمل ايجابي وجهاد وليست هروباً ولا خوفاً ،إنها أمر رباني بتغيير منهج الدعوة واسلوبها وتدبير إلهي لنصرة دينه .

وكيف يخاف الرسول صلى الله عليه وسلم من هؤلاء المشركين الذين اجتمعوا حول داره ليقتلوه وقد خرج أمامهم من بيته بأمر الله عز وجل واخترق صفوفهم فلم يروه وهو موقن بحماية الله له من بطشهم وأنهم لن يمسوه بسوء .

ولذلك قال لصاحبه ابي بكر الصديق وهما في الغار (يا أبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما يااباً بكر لا تحزن إن الله معنا)(٢) فهل يقول هذا القول رجل خائف على نفسه ؟

---

(١) سورة طه آية/ ٦٦- ٦٧

(٢) صحيح البخاري ٢/٢٨٨ باب مناقب المهاجرين وفضلهم

ومع كل هذا يأبى الشيعة الا ان ينسبوا الخوف والتقية للرسول صلى الله عليه وسلم وأنَّ هجرته كانت فراراً وهزيمة !! وحاشاه ذلك .

٢ - واستدل كذلك لاثبات خوف الرسل عليهم السلام على أنفسهم ، وان الخوف من طبيعتهم ، بقصة خروج موسى خائفا يترقب بعد ان وقع منه القتل الخطأ وهذا ايضا لادليل فيه على مايريد اثباته .

لان من الطبيعي لأي بشر أن يفرَّ ممن يأتمر به ليقتله، ولذلك خرج موسى خائفاً بصفته بشراً عادياً وليس بصفته نبياً ، ولم يكن ذلك في أمر من أمور الدعوة ، بل انه فعل ذلك قبل أن يوحى اليه بالرسالة (١)

٣ - وقول لوط عليه السلام (لو ان لى بكم قوة أو آوي الى ركن شديد) (٢)

لا يدل على الخوف ابداً بل هو دليل على جرأته عليه السلام وتحديه لقومه ، وبيان لحاله الذى ينطوي على الضعف عن منعهم مما يفعلونه ، ولكنه مع ضعفه هذا لم يكن خائفا بدليل قوله : لو أنَّ لى بكم قوة ، حيث يتضمن هذا القول الانكار عليهم والتحدي لهم كما يقول القائل لخصمه: لو قدرتُ عليك لقتلتك ، فهذه غاية فى الشجاعة حتى فى حالة الضعف

وهذا ينفي مايزعمه محسن الأمين من خوف لوط عليه السلام على نفسه ، ويدل بوضوح على بطلان ادعائه ، ويبين كيف أن هولاء يستخدمون النصوص ليستدلوا بها على عكس المعانى المرادة منها إيهاماً وتضليلاً :

٤ - وهارون عليه السلام ايضا لم يكن خائفا على نفسه - كما يزعم محسن الامين - بل لقد كان جريئاً فى إنكاره على قومه عبادتهم للعجل وبيان ضلالهم حتى كادوا يقتلوه ولكنه اكتفى بالانكار ولم يمنعهم بالقوة خشية وقوع الفتنة والحرب والتفرقة بينهم فاجتهد ان ينتظر عودة موسى عليه السلام حفاظاً على وحدة بنى اسرائيل .

---

(١) وذلك لانه بعد أن خرج من مصر تزوج ابنة شعيب عليه السلام، وعمل عند والدها عشر سنوات راعيا وبعد ذلك سار بأهله عائدا فأوحى الله اليه بالنبوة .
قال تعالى : (فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا) الى قوله (فلما أتاها نودى من شاطئ الواد الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين) سورة القصص / ٢٩ - ٣٠ (راجع تفسير ابن كثير ٣٨٧/٣)

(٢) سورة هود / آية ٨٠

ولذلك لما عاتبه موسى أبدى وجهة نظره بقوله : (انى خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقُب قولي) (١)

وقال مبيناً حقيقة الامر لأخيه موسى وموضحاً انه لم يسكت بل أنكر عليهم فعلهم حتى أنهم كادوا يقتلوه بسبب هذا الانكار :

(إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى) (٢)

ولم يقل هذا القول ليُظهر خوفه وجبنه،بل لتبرئه ساحته أمام موسى عليه السلام لانه كان فى موضع المساءلة والعتاب .

فأين خوف هارون على نفسه فى هذه القصة ؟ وهو الذى أخبر عنه الله سبحانه أنه أنكر على قومه ووقف بينهم وحده معترضا على عبادتهم العجل . قال تعالى :

(ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم إنما فُتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمري) (٣)

وهكذا نجد كيف تحولت جرأة هارون عليه السلام الى خوف فى نظر الشيعة ، وكيف انهم يقومون مرة اخرى بتحويل معانى الآيات القرآنية عن حقيقتها ليتخذوا من ذلك مستنداً ودليلاً على نسبة التقية للرسل عليهم السلام ، وهذا أمرهم فى نظرهم لانه يجعل للتقية أصولا منذ عهود الانبياء والمرسلين ، ويغيِّر حقيقتها من رخصة لا يُقدم عليها الا مضطر الى أصل ثابت من أصول الدين،وسنة من سنن الانبياء وهديهم !

وعند ذلك يجدون لأنفسهم المبررات فى غلوهم بالتقية وتوسعهم فى مجالاتها وانحرافهم فى فهمها وتطبيقها .

* وقد كان الشيخ الطوسي قريباً من أهل السنة فى هذا المجال حينما نفى نسبة التقية للرسل فيما لا يُعرف الا من جهتهم من الأحكام التى يبلغونها عن الله سبحانه .

يقول الطوسي فى تفسيره :

(انا لا نجوِّز على الامام التقية فيما لا يُعرف الا من جهته ،كالنبي ، وانما تجوز

(١) سورة طه آية / ٩٤

(٢) الاعراف آية / ١٥٠

(٣) سورة طه آية / ٩٠

التقية عليه فيما يكون عليه دلالة قاطعة موصلة الى العلم .... وأما مالا يُعرف الا من جهته فهو والامام فيه سواء لا يجوز فيها التقية فى شئ من الاحكام) (١)

فالشيخ الطوسى يعتبر أقوال النبى والائمة وأفعالهم قسمين :

- قسم لا يُعرف فيه الحكم الا من جهتهم واستنادا الى أقوالهم وأفعالهم .

- وقسم آخر يُعرف منه الحكم بدلائل قاطعة توصل الى العلم به - كما يقول - وهو يُجيز تقية الرسل والائمة فى القسم الثانى ويمنعها فى القسم الاول .

ولكننا لا نعرف مايقصده فى القسم الثانى الذى لا تحتاج فيه الأحكام الى بيان من الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الدلالة عليها قاطعة وموصلة الى العلم !

وعلى كل فالطوسي هنا يخالف الشيعة الذين نسبوا التقية للرسل بشكل عام حتى فى مجال تبليغ أحكام الله وتعليم الناس أمور الدين كما رأينا فى روايتهم عن صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم على المنافق ابن سلول ، وادعاء الشيعة أن الرسول صلى الله عليه وسلم خالف أمر ربه فصلى عليه تقية ! وغير ذلك من الروايات التى استعرضناها فى بداية هذا الموضوع .

- ونريد هنا أن نتساءل بعد ان ناقشنا النصوص التى يتخذها الشيعة ذريعة فى نسبة التقية للرسل ، وقد استدلوا بها لتأييد غلوهم فى التقية

نقول : اذا نفينا عن الرسل التقية بأشكالها واحتمالاتها السابقة فماذا بقى من الاحتمالات التى قد يتلمسها من يريد المجادلة فى الباطل ؟

ان الحق الذى لا مِراء فيه أن الأنبياء والرسل عليهم السلام معصومون عن كل نوع من أنواع التقية فيما يخص دعوتهم ،فلا يجوز لاحد منهم كتمان شئ من الدين تقية ولا التظاهر بموافقة الكفار تقية ، ولا الإخبار بخلاف مايرضي الله أو فعل ماينهى الله عنه تقية. سواء كان ذلك الفعل أو القول دلالته قاطعة وحكمهُ بيِّن لا يختلط الحق فيه بالتقية .أوْ كان لا يُعرف حكمه الا من جهة ذلك النبى .

فلا تجوز نسبة التقية للرسل ابداً فيما يتصل بدعوتهم ، وليس هناك أي حادثة فى حياتهم تدل على نسبة التقية اليهم فى الدعوة .

---

(١) تفسير التبيان ٤/١٦٥

أما قول ابراهيم عليه السلام عن زوجته سارة : (هى أختى) فهذا فى أمر خاص فيه وليس فى شأن من شؤون الدعوة ، ومع ذلك ليست هذه الكلمة تقية بل هى من المعاريض المباحة ، وانَّ فى المعارض لمندوحة عن الكذب[(١)] أما فيما يتعلق بدعوته فقد جاهد الكفار بالحجة والبيان وصبر على أذاهم حتى ألقوا به فى النار .

(ولو كان الانبياء يستعملون التقية لما عاداهم الكفار وكذبوهم وآذوهم ، وقد جادلوا قومهم ليلاً ونهاراً ، وصبروا على ما اصابهم من القتل والضرب والشتم وغير ذلك ، فثبت ان التقية ليست جائزة لهم أصلاً)[(٢)]

---

(١) تحدثنا فى الباب الاول عن المعارض وصلتها بالتقية . راجع ص/ ١٥٣

(٢) مختصر التحفة الاثنى عشرية للالوسي ص/ ١٠٦ .

ثانيا ـ نسبة التقية للأئمة المعصومين عندهم .

للأئمة عند الشيعة منزلة ومكانة عالية تكاد أن تصل الى منزلة الرسل عليهم السلام ، وأهم مايعتقدونه فيهم العصمة عن الخطأ وأنهم يعلمون كثيراً من الغيب ويعلمون متى يموتون ، ولا يموتون الا باختيارهم الى غير ذلك من أوصاف الغلو والتقديس (١)

(ويعتقدون أن أقوال الامام في الشريعة هي عين أقوال جده رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء أأسندها اليه أم أرسلها بدون إسناد وأن الكذب والخطأ محال فى حقه) (٢)

ومع ذلك فقد نسبوا التقية لأئمتهم بل اعتبروها خُلُقاً من أخلاقهم وأدباً من الآداب التى تمسكوا بها ودعوا اليها أتباعهم وحذروهم من تركها .

وقد مر بنا في أثناء استعراض رواياتهم كيف نسبوا لأئمتهم الأمر بالتقية وأنها من دين الله ودين الائمة وأنه لادين لمن لاتقية له .

وسيمر بنا تباعاً أمثلة كثيرة يتضح من خلالها كيف نسب الشيعة للأئمة العمل بالتقية فى كل المجالات بما فى ذلك مجال الفقه والفتوى ومجال العبادة ،

وأهم من ذلك مجال رواية الاخبار ونسبتها تقية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع العلم بكذب تلك النسبة وبطلانها .

وسنناقش ذلك في موضعه عند الحديث عن مجالات التقية عندهم إن شاء الله .

والواقع أن الذى دعاني لإفراد هذا الموضوع فى فقرة خاصة ـ مع أن شواهده متغلغله وموزعة على فقرات البحث ومنتشرة فى ثناياه ـ هو أن يدرك القارئ ما قام به الشيعة من تأصيل التقية ودعمها بما يزيد من أهميتها ولذلك نسبوا للرسل العمل بها ثم نسبوا ذلك للأئمة الذين هم عندهم بعد الرسل في المنزلة ، وفوق الصحابة وباقي علماء الأمة والصالحين ، بل جعلهم بعض الشيعة بمنزلة أعلى من منزلة الرسل والانبياء

ولذلك جعلت الحديث عنهم فى فقرة خاصة لابراز هذا الجانب ولحرصي على تسلسل أفكار وفقرات البحث

---

(١) سوف أتحدث تفصيلياً عن غلوهم فى أئمتهم وتناقضاتهم فى ذلك ودور التقية فى اخفاء هذا الغلو راجع ص/ ٤٤٤

(٢) الشيعة فى الميزان . لمحمد جواد مغنية ص/ ٨١

واذا كان الشيعة قد نسبوا للرسل العمل بالتقية فى بعض حالاتهم ، فانهم بالنسبة للائمة زادوا على ذلك حتى جعلوا حياتهم كلها سلسلة متلاحقة من المخاوف والتستر والتخفي وإظهار خلاف ما يعتقدونه والثناء على من يعاديهم [١] وإلزام أتباعهم بذلك فى سلوكهم وأعمالهم مع أنهم فى مقام القدوة ، بل هم كما يقولون حجج الله على خلقه

والمتأمل للروايات التى سبق ذكرها عند الحديث عن أهمية التقية ومنزلتها عندهم يجد أن التقية من أبرز الصفات والخصال التى يتصف بها أئمتهم ــ فيما يزعمون ــ

ولذلك ينسبون إلى محمد بن علي (الامام التاسع عندهم) قوله :

(أشرف أخلاق الأئمة والفاضلين من شيعتنا استعمال التقية) [٢]

واذا كنا سابقاً قد أبطلنا نسبة التقية للرسل عليهم السلام بكل مجالاتها ، لأنها تتنافى مع عصمتهم ومهمتهم التى شرفهم الله بها ، فإننا هنا لا ننفي أن يضطر الامام الى شيء من التقية ــ بضوابطها الشرعية ــ فيستخدمها ويأخذ بها ، لأنه بشر كسائر البشر وليس نبياً معصوماً مهما بلغت منزلته وسما قدره . ولكننا هنا نركز على جانبين :

١ - إن ما ينسبه الشيعة لأئمتهم من العصمة وما يدّعونه لهم من علم كثير من المغيبات يتعارض مع ما ينسبونه اليهم من التقية والكتمان والخوف على حياتهم

إذ كيف يخاف المعصوم الذي يعلم متى يموت ولا يموت الا باختياره ؟

وكيف يخفي أقواله وعلمه وقد أُمر بارشاد الناس وهدايتهم ؟

٢ - إن الشيعة لم يكتفوا بنسبة جوانب التقية المعروفة لأئمتهم بل توسعوا فى ذلك حتى شملت تقيتهم مجالات كثيرة أخرى ليست من موارد التقية أصلاً ولا تجوز فيها التقية لمن هم ورثة الأنبياء وحملة العلم ، كالتقية فى الفقه والفتوى ورواية الأخبار وغير ذلك .

وسوف يرى القارئ هذين الجانبين بارزين أثناء مناقشاتنا لروايات الشيعة ونصوصهم فى المباحث القادمة ، والتي يؤكدون فيها على نسبة التقية لائمتهم ويجعلونها أصلاً من أصولهم .

---

(١) أفردت فصلاً خاصاً للحديث عن مواقف أئمتهم وأقوالهم التي فسرها الشيعة على أساس التقية . راجع ص/ ٥٠٦ من هذا البحث .

(٢) وسائل الشيعة ٦ / ٤٧٤

والواقع أن هذا الغلو فى التقية أصبح عند هم جزءاً في النظرية التى بُني عليها التشيع ، وهى القول بعصمة الأئمة والنص عليهم ، فإذا ما ظهر فى أقوالهم وأفعالهم شئ مما يخالف العصمة نسبوه الى التقية ، واذا ظهر فى فتاواهم من الاختلاف والتناقض نسبوه الى التقية لئلا تُنقض نظرية العصمة عند هم والتي من مستلزماتها اتفاق أقوال الأئمة وانسجامها لانها ليست عن اجتهاد منهم بل عن إلهام وتلق عن آبائهم المعصومين،وأقوالهم كالقرآن يدور الحق معها حيث دار ، والحديث عند هم هو عين ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم مع الصراحة والوضوح — كما يقول محمد جواد مغنية (١)

إذاً فماذا يفعلون وهم يواجهون الكثير من أقوال أئمتهم تخالف هذه النظره ، وتحمل فى طياتها ما ينقض نظرية العصمة ؟ لقد وجدوا الحل فى التقية لأنه بسقوط دعوى العصمة يسقط مذهب الشيعة كله.ولهذا قال سليمان بن جرير : (إن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبداً ، وهما القول بالبداء (٢) واجازة التقية) (٣)

---

(١) راجع الشيعة فى الميزان ص/ ٤٥

(٢) سبق الحديث عن البداء عند التعريف بعقائد الشيعة - راجع ص/ ٢٠٩

(٣) فرق الشيعة للنوبختي ص/ ٦٤

ثالثاً : نسبة التقية لبعض الصالحين :

١ - نسبة التقية لأصحاب الكهف :

ولزيادة التأكيد على وجوب التقية وعظم منزلتها نسب الشيعة الى أصحاب الكهف أنهم استعملوا التقية فأخفوا ايمانهم عن قومهم ، بل كانوا يشهدون أعياد هم و يشاركونهم في طقوسهم .

وبسبب هذه التقية ضاعف الله أجرهم مرتين ، ولو جهروا بالحق لما كان لهم هذا الأجر الكبير، ولقد بلغت تقيتهم مبلغاً كبيراً لم يبلغه أحد غيرهم

ومن أهم روايات الشيعة في ذلك الروايات التالية التي نسبوها الى الامام جعفر الصادق (أبو عبد الله) :

١ - روى الكليني بسنده عن درست الواسطي قال : قال أبو عبد الله :

(ما بلغت تقية أحد تقية أصحاب الكهف ، إن كانوا ليشهدون الأعياد ويشدّون الزنانير (١) فأعطاهم الله أجرهم مرتين) (٢)

٢ - وعن عبد الله بن يحيى عن أبي عبد الله أنه ذكر أصحاب الكهف فقال :

(لو كلفكم قومكم ما كلفهم قومهم ، فقيل له : وما كلفهم قومهم؟ فقال : كلفوهم الشرك بالله العظيم ، فأظهروا لهم الشرك ، وأسرّوا الايمان حتى جاءهم الفرج) (٣)

٣ - وعن الكاهلي عن أبي عبد الله قال :

(إن أصحاب الكهف أسرّوا الايمان وأظهروا الكفر ، وكانوا على إجهار الكفر أعظم أجراً منهم على إسرار الايمان) (٤)

ولمناقشة هذه الروايات لابد لنا أن نعود إلى قصة أصحاب الكهف كما وردت في القرآن الكريم :

---

(١) الزنانير : ج زنار وهو ما يُشد على الوسط

(٢) أصول الكافي ٢ / ٢١٨

(٣) (٤) وسائل الشيعة ٦ / ٤٨٠

قال تعالى :

(نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ، وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً . هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بيّن فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً) (١)

فهل في هذه الآيات ما يدل على أن أصحاب الكهف استعملوا التقية فأسرُّوا الايمان وأظهروا الكفر ؟ وهل فيها ما يدل على أنهم شاركوا قومهم في طقوسهم فضاعف الله لهم الأجر ؟ إن الآيات الكريمة تدل على عكس ذلك تماماً ، فقد صدع أصحاب الكهف بالحق وجهروا بعقيدتهم أمام الملك الجبار ، وهذا هو معنى قوله تعالى :

(وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها)

إن الثبات على الحق والتمسك به أمام تهديدات هذا الطاغية يحتاج إلى قوة وصبر وعزيمة ولكن أصحاب الكهف قوّاهم الله وربط على قلوبهم فلم يزعجها الخوف من ملكهم الجبار (وربطنا على قلوبهم) وعند ذلك قويت نفوسهم فقاموا بين يديه أقوياء مؤمنين لا يخافون في الله لومة لائم ورفضوا دعوته لهم ليرجعوا عن دينهم قائلين :

(لن ندعو من دونه إلهاً) . والنفي بـ(لن) أبلغ من النفي بغيرها لأنها تنفي المستقبل أيضاً ، فالمقصود: لا نعبد أبداً من دونه معبوداً آخر ، ولو عبدنا غيره لضللنا (لقد قلنا إذاً شططاً)

وفي هذا دلالة على أن الفتية دُعوا لعبادة الأصنام فرفضوا ، وهُدِّدوا إن لم يرجعوا عن دينهم فأبَوْا ، ولذلك توعدهم الملك بأشد العقوبات ففروا بدينهم وهاجروا الى كهف مظلم لئلا يقعوا في مشاركة قومهم بعبادة الأصنام . (٢)

ولو أنهم استعملوا التقية ، وعبدوا الأصنام ، وتظاهروا بالكفر ، لما كان هناك حاجة لتهديدهم بالعقاب ، ولما اضطروا الى اللجوء للكهف المظلم وترك بلدهم وأهليهم وبيوتهم .

---

(١) سورة الكهف / الآيات ١٣-١٥

(٢) راجع : روح المعاني للألوسي ١٥ / ٢١٦ — ٢١٩

وبذلك يظهر جليا أن أصحاب الكهف أبعد الناس عن استعمال التقية ، وأنهم لما هُدِّدوا بالقتل لم يتراجعوا عن عقيدتهم ولم يصرّحوا بما يرضي ذلك الطاغية

وقد ذكر المفسرون (١) أن هؤلاء الفتية كانوا من خواص الملك ولذلك لم يعجل في قتلهم بل هددهم وأمهلهم ليروا رأيهم ففروا بدينهم الى الكهف تاركين وراءهم الجاه والمال والأوطان

فلو كان استعمال هؤلاء الفتية للتقية يضاعف أجرهم لما ترددوا لحظة فى إظهار الكفر والتظاهر أمام ملكهم بما يريد والبقاء فى أوطانهم وبين أهليهم ابتغاء مرضات الله !!

ولما كانوا بحاجة إلى هذا الموقف الصعب الذي وقفوا فيه بين يدى الطاغية ، بل لا حاجة لهجرتهم أصلاً ما داموا يستخدمون التقية ويشاركون الكفار فى أعمالهم .

فهل يستطيع الشيعة أن ينكروا هجرة أصحاب الكهف ؟

إذن لماذا هاجروا ؟

لقد علموا أن الهجرة واجبة عليهم وأن التقية لا تجوز الا إذا اضطر المؤمن اليها وسُدَّت عليه المنافذ . (٢) ولكن الهجرة تيسرت لهم فخرجوا مهاجرين بدينهم

وهكذا نرى تهافت هذه الروايات التى جعلت أصحاب الكهف أكثر الناس استعمالا للتقية،ونعلم كيف تنقلب الحقائق عند الشيعة لدعم ما يزعمونه من عقائد

وبالتالي لا يمكن أن تكون تلك الروايات صحيحة النسبة للامام الصادق لأنها تخالف صريح القرآن الكريم وتتنافى مع آياته .

ولذلك نجد أن بعض مفسري الشيعة قد أنكر نسبة التقية لأصحاب الكهف لأن ذلك يتنافى مع صريح الآيات الكريمة

فهذا الطوسي (شيخ الطائفة عندهم) يقول فى تفسيره (٣) :

(إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض) : (معناه حين قاموا بحضرة الملك الجبار ، فقالوا هذا القول الذي أفصحوا فيه عن الحق فى الديانة ولم يستعملوا التقية)

---

(١) جامع البيان للطبرى ١٥ / ٢٠٧ تفسير ابن كثير ٣ / ٧٤ تفسير الفخر الرازى ٩٩/٢١

(٢) راجع تفصيل ذلك فى الباب الأول عند الحديث عن (الهجرة) ص / ٢٦ من هذا البحث

(٣) تفسير التبيان ٧ / ١٣ — ١٤

ثم قال : (وفى قصة أصحاب الكهف دلالة على أنه لا يجوز المقام فى دار الكفر اذا كان لا يمكن المقام فيها الا باظهار كلمة الكفر ، وأنه يجب الهجرة الى دار الاسلام أو بحيث لا يحتاجون الى التلفظ بكلمة الكفر)

ولكنه بعد أن يصل الى هذه النتيجة يسكت عن الروايات المنسوبة لجعفر الصادق مع أنها تتعارض مع قوله ، ولا يشير اليها أبدا . وهو بذلك يستخدم التقية .

وكذلك الطبرسي يؤكد أن أصحاب الكهف جهروا بدينهم بين يدى ملكهم ولم يستعملوا التقية فيقول فى تفسيره (١) :

("إذ قاموا " أي حين قاموا بين يدي ملكهم الجبار دقيانوس الذي كان يفتن أهل الايمان عن دينهم . "فقالوا " بين يديه " ربنا رب السموات والارض")

ثم يقول : (وفي هذا دلالة على عظم منزلة الهجرة فى الدين ، وعلى قبح المقام فى دار الكفر ، إذا كان لا يمكن المقام فيها إلا باظهار كلمة الكفر)

ويقول تعليقاً على قوله تعالى (إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً) :

(من أكره على الكفر فأظهره فإنه مفلح ، فكيف تصح الآية ؟

الجواب : يجوز أن يكون أراد يعيدوكم إلى دينهم بالاستدعاء دون الاكراه ،ويجوز أن يكون فى ذلك الوقت كان لا يجوز التقية فى إظهار الكفر) (٢)

وهكذا يظهر جلياً خطأ نسبة التقية لأصحاب الكهف، وهذا ما أجمع عليه المفسرون من علماء أهل السنة ، وقال به اثنان من أكبر مفسرى الشيعة وهما شيخ الطائفة الطوسي ، والشيخ الطبرسي. ولكن بعض مفسريهم الآخرين يصرّون على نسبة التقية لأصحاب الكهف ولو خالف ذلك آيات القرآن الكريم،فإنهم بارعون فى صرف معاني الآيات عن ظاهرها وحقيقتها لتتمشى مع آرائهم وعقائدهم .

---

(١) مجمع البيان ١٥ / ١٢٦ — ١٢٧

(٢) المرجع السابق ١٥ / ١٣٤

ولا حاجة لحمل الآية على هذين الاحتمالين إذ المقصود بقوله تعالى (يعيدوكم فى ملتهم) ليس التظاهر بالكفر بل الدخول الحقيقي فيه ولو كان سبب ذلك ابتداءً الاكراه ،إذ التظاهر بالكفر قد يؤدي الى استحسانه والاستمرار عليه بسبب استدراج الشيطان .(راجع : روح المعاني للألوسي ١٥/٢٣٢)

وهذا مافعله (الفيض الكاشاني) في تفسيره اذ اضطر لكي يوافق الروايات التي تنسب التقية لأصحاب الكهف، أن يصرف معنى الآية عن ظاهرها المتبادر الى الذهن ويأتي بمعنى جديد لا دليل عليه فقال في تفسير قوله تعالى (إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض) :

(قالوه سراً من الكفار، ليس كما زعمه المفسرون أنهم جهروا به بين يدي دقيانوس الجبار، ومافعلوه أعظم أجراً) !

ثم نقل الروايات التي تذكر نسبة التقية لأصحاب الكهف، ولم يذكر لنا لماذا هاجر هؤلاء ماداموا في أمان واستقرار في ظل التقية؟ ولا كيف استنتج أن هذا القول كان في السر والخفاء. وهكذا يظهر بطلان هذا الادعاء، وتبقى قصة أصحاب الكهف مثلاً أعلى للجرأة في الحق والثبات على العقيدة وتحمل المشاق في سبيل الله، وتظهر من هذه القصة حقيقة الصراع بين الحق والباطل.

---

(١) الصافي في تفسير القرآن للكاشاني ٢/٦

٢ ـ نسبة التقية لمؤمن آل فرعون :

قال تعالى مخبراً عن مؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه ، والذي وقف مدافعاً عن موسى عليه السلام حينما تآمروا على قتله :

(وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب. ياقوم لكم المُلك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أُريكم الا ما أرى وما أَهديكم إلا سبيل الرشاد)(١)

وتتوالى الآيات القرآنية في عرض دفاع هذا المؤمن عن موسى عليه السلام ،وفي نصحه لقومه أن يكفوا عن عداء موسى وأن يخشوا بأس الله وعذابه،في تفصيل ذُكر في ثماني عشرة آية من سورة غافر.

والمشهور عند المفسرين من أهل السنة والشيعة أن هذا المؤمن كان من قوم فرعون ومن المقربين اليه ،(٢) وقال السدّي : (هو ابن عم فرعون)(٣) وكان جارياً مجرى ولي العهد ومجرى صاحب الشرطة.(٤)

والآيات الكريمة تشير إلى أن فرعون طلب من مساعديه في الحكم أن يؤيدوه بالموافقة على قتل موسى عليه السلام. وهذا واضح من قوله تعالى (وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدْعُ ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يُظهر في الأرض الفساد)(٥)

ويبدو أن هذا المؤمن ـ الذي يكتم إيمانه ـ كان حاضراً في هذا المجلس الذي استشار فيه فرعون خواصه في قتل موسى.

فما كان منه الا أن دافع عن موسى واعترض على محاولة قتله وبالغ في تسكين تلك الفتنة.

---

(١) سورة غافر آية / ٢٨- ٢٩

(٢) راجع: الطبري ٢٤/ ٥٩ ـ ابن كثير ٤/ ٧٧ ـ الفخر الرازي ٢٧/ ٥٨
وراجع من تفاسير الشيعة : التبيان للطوسي ٩ / ٧١ مجمع البيان للطبرسي ٤/ ٢ ١٩٤
الصافي للفيض الكاشاني ٢/ ٤٨٢

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٦٠

(٤) الفخر الرازي ٢٧/ ٥٨

(٥) سورة غافر آية / ٢٦

واذا كان واضحا من نص الآية الكريمة أن هذا المؤمن كان يكتم إيمانه فهل استمر على كتمان الايمان وهو يعترض على طلب فرعون أم أفصح عن إيمانه للدفاع عن موسى ؟

هناك قولان للمفسرين في ذلك :(١)

القول الأول :

أنه استمر على كتمان الايمان ، ولذلك كانت الأدلة التي ساقها لفرعون وقومه توحي بأنه مشفق عليهم وكأنه واحد منهم . وهذا واضح من قوله : (فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا ؟)

وعلى هذا القول يكون المعنى في الآيات السابقة التي تصوّر إنكار هذا المؤمن واعتراضه على فرعون . كمايلي :

قوله (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) أي انها كلمة لا تستحق القتل ، ولم يكن فرعون وقومه ينكرون وجود الله وانما كانوا مشركين يعبدون معه آلهة أخرى .

ومما استدل به على خطأ الإقدام على قتله بأن موسى جاء بالبينات والأدلة المؤيدة لدعواه،ثم ذكر حجة ثانية فى أن الإقدام على قتله غير جائز ، وهى حجة مذكورة على طريقة التقسيم فقال : إن كان هذا الرجل كاذباً كان وبال كذبه عائداً عليه فاتركوه ، وإن كان صادقًا يصبكم بعض الذى يعدكم(٢) ، فثبت أنه على كلا التقديرين كان الأولى إبقاؤه حياً .

ثم حكى الله تعالى عن هذا المؤمن حكاية ثالثة فى أنه لا يجوز إيذاء موسى عليه السلام فقال : (إن الله لا يهدى من هو مسرف مرتاب) وتقدير هذا الدليل أنه يقال : إن الله هدى موسى الى الاتيان بهذه المعجزات الباهرة ، ومن هداه الله الى الاتيان بالمعجزات لا يكون مسرفاً كذاباً فهذا يدل على أن موسى ليس من الكذابين ، فهو إشارة الى علو شأن موسى عن طريق الرمز والتعريض .

ويحتمل أيضاً أن يكون المراد أن فرعون مسرف فى عزمه على قتل موسى ، كذاب في اقدامه على ادعاء الألوهية ، والله لا يهدى من هذا شأنه وصفته .

---

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٧ / ٦١

(٢) أي أقل ما يكون فى صدقه أن يصيبكم بعض الذى يعدكم به من العذاب ، وفي بعض ذلك هلاككم وهــذا باب من النظر يذهب فيه المُناظر إلى إلزام الحجة بأيسر ما في الأمر . راجع زاد المسير لابن الجوزي ٧ / ٢١٨

وكل هذه الأدلة التى ساقها هذا المؤمن لا تصرح بأنه قد أظهر ايمانه بل تشير الى أنه يتظاهر بأنه مع فرعون لكن المصلحة تقتضي ترك قتل موسى ، لأن عمله لا يوجب القتل . وعلى هذا القول أوهم بقوله (إن الله لا يهدى من هو مسرف مرتاب) أنه يريد موسى ، وهو إنما كان يقصد به فرعون .

وقد أيد أبو حيان فى البحر المحيط هذا القول وبيّن أن هذا المؤمن أراد الانتصار لموسى عليه السلام بطريق يخفى عليهم بها أنه متعصب له وأنه من أتباعه ، فجاءهم من طريق النصح والملاطفة فقال : اتقتلون رجلا . . . ولم يذكر اسمه ، بل قال : رجلا يوهم أنه لا يعرفه .(١)

القول الثانى :

أن هذا المؤمن أظهر إيمانه حين قال فرعون (ذروني أقتل موسى) فوقف مدافعاً عن موسى عليه السلام وقد أخذَته غضبة لله عز وجل (٢)

وبذلك يكون هذا المؤمن قد أزال الكتمان وشافَهَ فرعون بالحق دفاعا عن موسى عليه السلام ولذلك هدده فرعون بالقتل وأراد به السوء فنجاه الله تعالى وأهلك فرعون وقومه .

وهذا ما أخبر عنه سبحانه وتعالى بقوله : (فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب) (٣)

وعليه يكون قول هذا المؤمن : (إن الله لا يهدى من هو مسرف مرتاب) أنه لو كان موسى كاذباً لما هداه الله بالمعجزات ولكنه صادق.وقد استمر هذا المؤمن فى نصحه لقومه وهو يعرض عليهم الايمان بالله واتباع موسى ويخوِّفهم من عذاب الله ، قال تعالى وهو يقص علينا نصيحة هذا المؤمن لقومه :

(وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد) إلى قوله تعالى مخبراً عنه : (ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار . تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) (٤)

---

(١) راجع البحر المحيط ٧ / ٤٦١

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ٧٧

(٣) سورة غافر آية / ٤٥

(٤) سورة غافر الايات / ٣٨ - ٤٢

وهذه الآيات صريحة في أن هذا المؤمن أفصح عن ايمانه وأزال الكتمان لأنه يدعو قومه الى اتباع دعوة موسى ويحذرهم من الشرك بالله والاعراض عن دعوة الحق .

وعلى القول الأول تكون هذه الآيات تصويراً لمرحلة ثالثة من المراحل التى مر بها هذا المؤمن فى موقفه من قومه حيث أفصح عن إيمانه بعد ما رأى إصرارهم على باطلهم وعدم استجابتهم لنصحه

فهو أولا كان يكتم إيمانه . وهذا بنص الآية ولا خلاف فيه

ثم دافع عن موسى عندما علم بقصد فرعون وعزمه على قتل موسى عليه السلام

وفى هذا الدفاع قولان : إما انه استمر على كتمان الايمان أو أزال الكتمان وصرح بايمانه — وبعدها قام بدور الداعي الى الايمان فانتقل من دفاعه عن موسى عليه السلام الى ارشادهم ودعوتهم للايمان به والتمسك بطريقته .

ونريد هنا أن نسأل : هل كان مؤمن آل فرعون يكتم إيمانه خوفاً على نفسه ؟

وبالتالي هل يُعد هذا الكتمان تقية ؟

ذكر الطبري فى تفسيره أن هذا المؤمن (كان يُسِّر إيمانه من فرعون وقومه خوفاً على نفسه) (١)

ولكننا من خلال استعراضنا السابق لمعنى الآيات الكريمة نلمح معنى آخر من هذا الكتمان ولعله هو الأرجح والله أعلم .

فالكتمان هنا لم يكن بسبب خوف هذا المؤمن على نفسه وإنما هو طريقة لايصال نصحه الى قومه على أنه واحد منهم وليس عدواً لهم وبذلك يحقق من المصالح ما يعجز غيره عنها (٢) فهو كتمان لمصلحة الدعوة وخاصة أنه واحد من الأسرة الحاكمة بحيث لا يشك أحد فى ولائه لهم واهتمامه ببقاء حكمهم ، بل هو كما رأينا ابن عم فرعون وولى عهده .

---

(١) تفسير الطبرى ٢٤ / ٥٧

(٢) وأبرز ما يقاس على هذا قصة نعيم بن مسعود فى غزوة الخندق حيث أسلم ولم يعلم المشركون باسلامه فطلب من الرسول أن يكتم إسلامه وقال له : خذِّل عنا . فقام بدور مهم أدى الى التفريق بين الأحزاب المحاصرة للمدينة وايقاع الخلاف بينهم وكان ذلك من أسباب هزيمتهم

وهذا ما بحثناه تفصيليا فى الباب الأول

وبينا أن هذه لا تسمى تقية وانما خدعة فى الحرب . راجع ص/ ١٦٢

ولو كان هذا المؤمن خائفاً على نفسه من بطش فرعون لما وقف هذا الموقف الجريء في الاعتراض على طلب فرعون والدفاع عن موسى . هذا على القول الأول بأن هذا المؤمن استمر فى كتمانه .

أما على القول الثانى الذي يرى أنه أفصح عن إيمانه وأزال الكتمان ففيه دليل أيضاً، إذ لو كان هذا المؤمن خائفاً على نفسه لاستمر فى الكتمان وزاد فيه وهو يرى إصرار فرعون على قتل موسى وجزمه فى التخلص منه وبالتالي يخشى أن يُقتل ويبطش بأتباعه .

فهذه الوقفة الجريئة من هذا المؤمن فى أشد لحظات الغضب عند فرعون تدل على أنه لم يكن يكتم ايمانه خوفاً على نفسه إذ إن الخوف في تلك اللحظة أولى

ثم لا يكتفي هذا المؤمن بالاعتراض على قتل موسى بل يخوّفهم من عذاب الله ويدعوهم الى الايمان به واتباع نبي الله موسى عليه السلام .

وبالتالى لا يمكن أن نستدل بهذه الآيات على جواز التقية لأنها ليست صريحة فى استعمال هذا المؤمن للتقية ، والدليل اذا تطرق اليه الاحتمال بطل به الاستدلال .

حتى ولو كان يصلح دليلاً للتقية فهو ليس كما يقول الشيعة من جعل التقية أصلاً من أصول الدين وتأكيد وجوبها ومنزلتها ، بل هو دليل على جواز التقية على أنها رخصة .

بل لو كان أول الآيات يحتمل التأويل على وجه التقية فإن آخرها ينقض هذا التأويل ، ويُظهر فضل الجهر بالحق والدعوة اليه .

فقد وقف يحذرهم من عذاب الله ويقول لهم : (فستذكرون ما أقول لكم) كما بيّن لهم أنه لا يخشى مكرهم وأنه فوّض أمره إلى الله :(وأفوض أمرى الى الله إن الله بصير بالعباد) ولكن الشيعة أضافوا على قصة هذا المؤمن اضافات تدعوا للاستغراب :

فقد روى الطبرسى فى الاحتجاج عن الامام الحسن العسكرى أن الامام الصادق قال :

(لقد كان لحزقيل المؤمن مع قوم فرعون الذين وشوا به الى فرعون هذه التورية .

كان حزقيل يدعوهم الى توحيد الله ، ونبوة موسى ، وتفضيل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جميع رسل الله وخلقه ، وتفضيل علي بن أبي طالب عليه السلام والخيار من الأئمة على سائر أوصياء النبيين ، والى البراءة من فرعون .

فوشى بـه واشون الى فرعون ، وقالوا ان حزقيل يدعو الى مخالفتك ، ويعين أعداءك على مضادتك .

فقال لهم فرعون : ابن عمي ، وخليفتي في ملكي ، وولي عهدي ، ان كان قد فعل ما قلتم فقد استحق العذاب على كفره نعمتي ، وان كنتم عليه كاذبين فقد استحققتم أشد العذاب لإيثاركم الدخول في مساءته .

فجاء بحزقيل وجاء بهم فكاشفوه وقالوا : أنت تجحد ربوبية فرعون الملك ، وتكفر نعماءه فقال حزقيل : أيها الملك هل جربت عليّ كذباً قط ؟ قال : لا

قال : فسلهم من ربهم ؟ قالوا : فرعون .

قال : ومن خلقكم ؟ قالوا : فرعون هذا

قال : ومن رازقكم الكافل لمعاشكم ، والدافع عنكم مكارهكم ؟ قالوا : فرعون هذا

قال حزقيل : أيها الملك فأشهدك وكل من حضرك ان ربهم هو ربي ، وخالقهم هو خالقي ورازقهم هو رازقي ، ومصلح معايشهم هو مصلح معايشي ، لا رب لي ولا خالق غير ربهم وخالقهم ....

يقول حزقيل هذا وهو يعني أن ربهم هو الله ربي ولم يقل إن الذي قالوا هم إنه ربهم هو ربي.وخفي هذا المعنى على فرعون ومن حضره ، وتوهموا أنه يقول : فرعون ربي وخالقي ورازقي .

فقال لهم : يارجال السوء ... أنتم المستحقون لعذابي ، لإرادتكم فساد أمري ، وهلاك ابن عمي والفتّ في عضدي .

ثم أمر بالأوتاد فجعل في ساق كل واحد منهم وتد وفي صدره وتد ، وأمر أصحاب أمشاط الحديد فشقوا بها لحومهم من أبدانهم ، فذلك ما قال الله تعالى : (فوقاه الله سيئات ما مكروا) لما وشوا به الى فرعون ليهلكوه (وحاق بآل فرعون سوء العذاب) وهم الذين وشوا بحزقيل إليه لما أوتد فيهم الأوتاد ، ومشط عن أبدانهم لحومها بالامشاط) . (١)

ومع وضوح بطلان هذه الرواية وكذب نسبتها إلى الامام الصادق فإننا سنشير الى بعض جوانب تناقضها الظاهر مع آيات القرآن الكريم .

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ٢ / ١٣١ — ١٣٢
وتفسير الصافي ٢ / ٤٨٦ — ٤٨٧

فقد مرت بنا فى الآيات الكريمة السابقة صورة الحوار الذى دار بين هذا المؤمن وبين فرعون وكيف كان موقف هذا المؤمن جريئاً فى دعوة فرعون وقومه الى الايمان وتخويفهم من عذاب الله تعالى ولكن واضع هذه الرواية المتهافتة عدل عن هذه الصورة المشرقة التى أبرزتها الآيات الكريمة ، وجاءنا بصورة جديدة يظهر فيها هذا المؤمن بموقف ذليل مهين ، يداهن فى دينه ويخشى على نفسه ، ويتظاهر أمام فرعون بالاقرار له بالربوبية والألوهية ، وشتان بين الموقفين .

وأعجب شئ فى هذه الرواية أن واضعها أراد أن يحشر فيها بتكلف شديد عقيدته الشيعية فنسب الى مؤمن آل فرعون أنه كان يدعو الى تفضيل علي بن أبى طالب والخيار من الأئمة على سائر أوصياء النبيين !!

وأين كان علي رضي الله عنه يومها ؟ وهل كان أئمة الشيعة الأثني عشر على قيد الحياة فى زمن موسى عليه السلام ؟ ؟ لعل الطبرسى فى روايته هذه يريد أن يبرز لنا عقيدة جديدة لم يقل بها أحد قبله ولا بعده !

وأمر آخر : وهو أن الله سبحانه أخبر عن العذاب الذى حل بآل فرعون ،بقوله تعالى : (وحاق بآل فرعون سوء العذاب . النار يُعرضون عليها غدواً وعشياً) (١)

فالعذاب الذى حل بهم هو عذاب القبر الذي يتعرضون له ليل نهار بعد أن أغرقهم الله سبحانه . ولكن هذه الرواية حوّلت معنى الآية لتجعل المقصود بالعذاب ما حل بالوشاة من عذاب على يد فرعون الذى شق لحومهم بأمشاط الحديد ، وأوتد فيهم الأوتاد .

ولا نملك حيال هذا التحريف الواضح لمعنى الآية الكريمة إلا أن نقول : لو كان هذا الراوي يحسن الوضع لما أقحم نفسه فى هذه التناقضات الظاهرة مع كلام الله عز وجل ونحن نربأ بالامام الصادق أن تصدر عنه مثل هذه الرواية المتهافتة التي هى أقرب للأساطير .

---

(١) سورة غافر آية / ٤٥ — ٤٦

وبعد أن اطلع القارئ على ماأورده الشيعة من روايات فى التأكيد على أهمية التقية ووجوبها والتعظيم من شأنها ، واعتبارها أفضل أعمال المؤمنين ، والافتراء على الرسل عليهم السلام أنهم حرصوا عليها أشد الحرص حتى غدت من هديهم وسنتهم .. بعد ذلك كله نتساءل :

ما هو موقف علماء الشيعة قديما وحديثا من هذه الروايات ، وماهى أحكام التقية عندهم؟

وللاجابة على ذلك ننتقل بالقارئ الى المبحث الرابع من هذا الفصل .

المبحث الرابع

أحكام التقية عند الشيعة

بعد أن استعرضنا ما أورده الشيعة من روايات في أهمية التقية وارتباطها بالعقيدة ، وجعلها من الأصول ، نريد أن نبحث في فتاوى علمائهم في حكم العمل بالتقية ، لنرى : هل وافقت تلك الفتاوى مانسبوه الى أئمتهم من روايات في منزلة التقية ، أو اتجهت اتجاها آخر ؟

ولقد رأينا أنهم أوردوا على ألسنة أئمتهم أن التقية تسعة أعشار الدين ، وأن من لا تقية له لا دين له ، وأن من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة ، وأن تارك العمل بالتقية لا يغفر ذنبه ، الى غير ذلك من الروايات التي تؤكد وجوب العمل بالتقية وفرضية التمسك بها .

ولكن الباحث يفاجأ أن فتاوى علماء الشيعة لم توافق تلك الروايات التي يعتقدون بصحة نسبتها لأئمتهم ، بل ان الكثير من تلك الفتاوى تجاهلتها تماما ، وسلكت مسلكا آخر يجعل الباحث في حيرة واستغراب ، ونستطيع أن نميِّز بين أربع اتجاهات في أقوال علمائهم القدماء وفتاواهم في حكم التقية :

الاتجاه الأول : القول بفرضيه التقية وخروج تاركها عن دين الله :

وهذا مايوافق تماماً مانسبوه لأئمتهم من روايات في منزلة التقية وجعلها من الأصول وهو مايتوقع كل باحث أن يراه من فتاوى علمائهم بعد أن يستعرض ذلك الحشد الهائل من الروايات والنصوص التي أوردوها في منزلة التقية وأهميتها .

ويمثل هذا الاتجاه الشيخ أبوجعفر ابن بابوية القمي (١) (ت ٣٨١هـ) ، الذي

---

(١) هو صاحب كتاب (من لا يحضره الفقيه) أحد الصحاح الأربعة عندهم ، وقد سبقت ترجمته ص / ٢١٣ من هذا البحث ، ونضيف هنا نصاً آخر في الثناء عليه ليعرف القارىء منزلته عند الشيعة .

يقول الحر العاملي في كتابه أمل الآمل - الذي هو أشهر كتبهم في التراجم - (٢ / ٢٨٣ - ٢٨٤) يقول في الثناء على ابن بابويه : (كان جليلا حافظا =

يسمونه الشيخ الصدوق فقد قال : " اعتقادنا في التقية أنها واجبة ، من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة ، لا يجوز رفعها الى أن يخرج القائم ، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله ودين الامامية وخالف الله ورسوله " (١)

وهذه الفتوى من أكبر شيوخ الشيعة ورئيس محدثيهم تدلنا بوضوح على حقيقة اعتقادهم في التقية ، وهي موافقة تماماً لما أوردوه من روايات نسبوها للأئمة المعصومين عندهم. (٢)

وهكذا نجد أن شيخهم الصدوق جعل تارك العمل بالتقية خارجا عن دين الله . وحكم بكفره لأن قوله (فقد خرج عن دين الله) يعني نسبة الكفر لمن ترك التقية .

وبذلك ترتفع التقية عندهم من كونها احدى الواجبات الى مستوى الشهادتين اللتين لا يصح اسلام المرء الا بهما .

ولكن الشيخ الصدوق لم يلتزم بهذه الفتوى الخطيرة ، ولم يستخدم التقية في اخفاء آرائه وعقائده ، بل كانت له دروسه ومجالسه العامة وتصنيفاته الكثيرة التي كشف بها عن عقائده .

ولذلك نجد أن تلميذه المباشر (الشيخ المفيد) أنكر ذلك عليه واعتبر عمله مناقضاً لفتواه المطلقة بوجوب التقية دون أن يضع لذلك أى ضابط أو قيد ، ولو وضع القول في التقية موضعه لسلم من المناقضة . (٣)

= للأحاديث بصيراً بالرجال ناقداً للأخبار ، لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه ، له نحو من ثلاثمائة مصنف) .

(١) الصلة بين التصوف والتشيع للدكتور الشيبي (ص ٥٢٢) ـ عن : اعتقادات الصدوق / ص ٤٣ .

(٢) ذكرناها بالتفصيل في المبحث السابق ومن أبرزها : (لا دين لمن لا تقيه له) (لو قلت ان تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقا) .

(٣) راجع : شرح عقائد الصدوق للشيخ المفيد ص / ٦٧ .

الاتجاه الثاني : القول بوجوب التقية :

وهذا القول رجّحه مفسر الشيعة الشيخ (أبوجعفر الطوسي)[١] فقال :

" التقية - عندنا - واجبة عند الخوف على النفس ، وقد رُوي رخصة في جواز الافصاح بالحق عندها".

ثم قال : " وظاهر أخبارنا يدل على أنها واجبة ، وخلافها خطأ".[٢]

وهكذا نجد أن الطوسي الذى يسمونه (شيخ الطائفة) يؤكد القول بوجوب التقية ، ويرد القول بأنها رخصة جائزة استدلالاً بالأخبار التي وردت عندهم والتي تؤكد وجوب التقية كما أننا نلاحظ فرقا واضحا بين هذا الاتجاه والاتجاه الاول، حيث خفّف الطوسي الحكم على تارك التقية فأكتفى بالوجوب واعتبر خلاف هذا الحكم خطأ ولم يوصل تارك التقية الى مرتبة الكفر كما فعل الصدوق صاحب الاتجاه الأول .

ثم إن الطوسي جعل وجوب التقية مقيداً في حالة الخوف على النفس بينما أطلق الصدوق حكمه وجعله عاماً في كل الحالات والازمان حتى يخرج القائم المنتظر.

الاتجاه الثالث : القول بأن للتقية أحكامها الثلاثة : الوجوب والجواز والحرمة .

فالتقية على هذا القول واجبة في بعض الحالات وجائزة فى حالات أخرى ومحرمة أحيانا .

ويمثل هذا الاتجاه الشيخ المفيد[٣] وهو أحد أئمة الشيعة الكبار ومرجع من مراجعهم المعتمدة وسنستعرض أقواله فى التقية من خلال النصوص الثلاثة التالية :-

النص الاول :-

" وأقول إن التقية جائزة في الدين عند الخوف على النفس وقد تجوز في حال دون حال للخوف على المال ولضروب من الاستصلاح ، وأقول إنها قد تجب ويكون

---

(١) سبقت ترجمته ص / ٢١٤ من هذا البحث.

(٢) تفسير التبيان ٢ / ٤٣٥ .

(٣) سبقت ترجمته ص / ٢١٨ من هذا البحث .

فرضا ، وتجوز أحيانا من غير وجوب ، وتكون في وقت أفضل من تركها ، ويكون تركها أفضل وان كان فاعلها معذوراً أو معفواً عنه متفضلا عليه بترك اللوم عليها".(١)

النص الثاني :-

" وأقول إنها جائزة في الأقوال كلها عند الضرورة ، وربما وجبت فيها لضرب من اللطف والاستصلاح ، وليس يجوز من الأفعال في قتل المؤمنين ولا فيما يعلم أو يغلب أنه استفساد في الدين".

واذا كان النص الثاني ذكر ثلاثة أحكام للتقيه وهي : الجواز والوجوب والحرمة فان النص الاول أضاف الى هذه الأحكام الثلاثةحكما رابعا هو الندب وذلك بقول الشيخ المفيد في حكم التقية : " تكون في وقت أفضل من تركها".(٢)

والملاحِظ لهذه الفتوى يجد أنها لا تعطي حكماً واضحاً للتقية وتجعل الباحث في حيرة إذ إنه لا يعرف من هذا النص الحالات التي تكون فيها التقية واجبة أو جائزة أو محرمة.

وكل مايمكن معرفته من هذه الفتوى أن التقية تتبع الأحكام الثلاثة دون تحديد لمجالات كل حكم ، وأنها محرمة في احدى حالتين : في قتل المؤمنين - وفيما يؤدي الى فساد في الدين.

النص الثالث :

يقول الشيخ المفيد بعد أن عرف التقية :

" وفرض ذلك - أي العمل بالتقية - اذا علم بالضرورة أو قوى في الظن ، فمتى لم يعلم ضررا باظهار الحق ، ولا قوى في الظن ذلك لم يجب فرض التقية ، وقد أمر الصادقون (ع) جماعة من أشياعهم بالكف والامساك عن اظهار الحق والمباطنة والستر له عن أعداء الدين والمظاهرة لهم بما يزيل الريب عنهم في خلافهم ، وكان ذلك هو الأصلح لهم.

وأمروا طائفة أخرى من شيعتهم بمكالمة الخصوم ومظاهرتهم ودعائهم الى الحق

(١)(٢) أوائل المقالات في المذاهب المختارات للشيخ المفيد ص/٩٦ - ٩٧

لعلمهم بأنه لا ضرر عليهم". [١] اهـ.

وهذا النص يحدد لنا الحالة التي تكون فيها التقية فرضاً ، وهو اذا علم بوجود الضرر أو قوي ذلك في ظنه ، فاذا انتفى الضرر لم تجب التقيه ، أي أصبحت جائزة فالشيخ المفيد يعتبر التقية فرضاً وواجباً لمجرد وجود الضرر ، ويعتبرها جائزة في حالات الأمن وانتفاء الخوف والضرر.

وهذا يعني أن التقية عنده من المباحات في أحوال الناس العادية عند الأمن ، فاذا وقع الخوف أصبحت واجبة .

والسؤال الذى يفرض نفسه علينا الآن هو :

عند ما يكون الانسان في حالة الأمن فما الذى يبيح له أن يخفي مايعتقد أنه حق ؟ وما الذي يتقيه بهذا الإخفاء ؟

إن من لوازم معنى التقية وجود الضرر الذى يُتقى ، فاذا لم يكن هناك ضرر ولجأ الانسان مع ذلك الى إخفاء مايعتقد أنه حق ، واظهار موافقته للمخالفين واقراره لهم فلا تفسير لذلك سوى أنه ضرب من النفاق .

وهذا أحد أوجه الخلاف الجوهرية بين الشيعة وأهل السنة في التقية ، إذ ان التقية لا تجوز أبداً في حالة الأمن عند أهل السنة ، وهذا مايتفق مع نصوص الكتاب والسنة ، ومع وجوب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولكن قول الشيعة بجواز التقية في غير ضرورة يتعارض مع وجوب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويؤدي بالمسلمين إلى تركهما ، مما يدل على بطلان هذا الحكم.ثم إن الشيعة أنفسهم اعتبروا وجود الضرر عنصراً رئيساً في تعريفاتهم للتقية التي استعرضناها في المبحث الاول من هذا الفصل ، فكيف يُدخلون هنا حالة الأمن في التقية ؟!

واذا قمنا باجراء مقارنة بين هذه النصوص الثلاثة للشيخ المفيد في حكم التقية

---

(١) شرح عقائد الصدوق . صفحة / ٦٦ .

فاننا نجد أنه فى النص الاول يجعل التقية جائزة في حالة الضرورة وقد تجب ، وكذلك في النص الثاني ولكنه في النص الثالث يجعل التقيه فرضاً واجباً عند الخوف والضرورة وجائزة في الأمن فقط وهكذا يتبين لنا حيرة الرجل واضطرابه وتناقضه مع أنه امام كبير عند الشيعة ومرجع معتمد من مراجعهم.

ومن ثم نجد أن العلامة الألوسي كان على حق عند ما قال في تفسيره وهو يستعرض أحكام التقية عند الشيعة : (أما الشيعة فكلامهم مضطرب في هذا المقام)[١]. وهل هناك أعظم من هذا الاضطراب ؟!

وقد تابع الشيخ المفيد في هذا الاضطراب الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي[٢] في تفسيره (مجمع البيان)[٣] حيث ذكر فتوى الشيخ المفيد في حكم التقية معتبراً أن التقية قد تجب وتكون فرضا ، وتجوز أحيانا من غير وجوب ، ولكنه بعدها نقل فتوى الشيخ ابي جعفر الطوسي الذى رجح الوجوب عند الخوف على النفس استدلالاً بظاهر الروايات الواردة عند هم.

الاتجاه الرابع : القول بأن التقية رخصة والأفضل تركها

وهذا القول موافق لقول أهل السنة في التقية وهو الذى دلت عليه نصوص الكتاب

---

(١) روح المعاني للألوسي ١٢٣/١.

(٢) هو أبوعلي الفضل بن الحسن الطبرسي ، توفي سنة ٥٤٨هـ في سبزوار إحدى مدن خراسان ، ونقل الى المشهد الرضوى ، له مصنفات عديدة أبرزها : (مجمع البيان) في التفسير ،و(جمع الجوامع) في التفسير أيضا ، و(إعلام الورى بأعلام الهدى) .
قال عنه البحراني في لؤلؤة البحرين : (كان هذا الشيخ عالماً فاضلاً ثقة جليل القدر في أصحابنا) وقال عن تفسيره مجمع البيان : (هو تفسير حسن جامع لجميع الفنون من اللغة والنحو والتصريف والمعنى والنزول ، الأ أنه أكثر النقل فيه عن مفسري العامة ، ولم ينقل من تفسير أهل البيت عليهم السلام الا القليل)
وقال عنه محمد كلانتر في تعليقه على اللمعة الد مشقيه : (كان علماً من الاعلام، وآيه من الآيات ، من وجوه الطائفة وأعيانهم، ثقة جليلاً عظيم القدر رفيع المنزلة كثير العلم واسع الاطلاع) . راجع ترجمته فى : لؤلؤة البحرين ص ٣٤٦ - ٣٤٧ ، اللمعة الدمشقية ٣٥٢/٧ - ٣٥٣ ،الاعلام ١٤٨/٥.

(٣) صفحة ٥٦ ـ المجلد ٣.

والسنة وأفعال الصحابة (رضي الله عنهم) .

وانفرد بهذا القول (الشريف الرضي) (١) في كتابه (حقائق التأويل في

---

(١) الشريف الرضي : هو محمد بن الحسين بن موسى أبوالحسن الرضي . ولد في بغداد ٣٥٩هـ وتوفي فيها سنة ٤٠٦هـ، كان أبوه يتولى نقابة الطالبيين ويحكم فيهم وينظر في مظالمهم ثم ردت هذه الأعمال الى ولده المذكور سنة ٣٨٣هـ وأبوه حي فصار نقيب الطالبيين .

وهو شاعر مجيد ، ويقال انه أشعر قريش ، ومن كتبه : المجازات النبوية - مجاز القرآن - حقائق التأويل في متشابه التنزيل - خصائص أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب - ديوان شعر

ومن غرر شعره ماكتبه الى الامام القادر بالله من جملة قصيدة :

عطفاً أمير المؤمنين فاننا .. في دوحة العلياء لا نتفرق

مابيننا يوم الفخار تفاوت .. أبدا كلانا في المعالي مغرق

الا الخلافة ميّزتك فانني .. أنا عاطل منها وأنت مطوّق

ولما توفي صلى عليه الوزير فخر الملك في جماعة كثيرة وولي أخوه المرتضى نقابة الطالبيين بعده .

أما بالنسبة لعقيدته فيذكر ابن العماد في شذرات الذهب أنه كان شيعيا ، ويذكر ابن كثير في البداية والنهاية انه قد نسب الي الرضي قصيدة يتمنى فيها أن يكون عند الحاكم العبيدى بمصر وأن الخليفة القادر لما بلغه أمر هذه القصيدة أنزعج وبعث الى أبيه الموسوى يعاتبه فأرسل الى ابنه الرضي فأنكر أن يكون قالها بالمرة ، ثم قال ابن كثير تعليقا على ذلك : " والروافض من شأنهم التزوير " وهذا يدل على أن الشريف الرضي من الروافض الشيعة ، ومما يؤكد ذلك ماقاله الامام الذهبي في كتابه (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) حيث وصفه بقوله :

" الشريف الرضي ، أبوالحسن ، شاعر بغداد ، رافضي جلد " .

وكذلك ماقاله الامام ابن حجر في (لسان الميزان) حيث قال " كان مشهورا بالرفض "

ووصفه ابن تغري في (النجوم الزاهرة) بقوله : " كان على مذهب القوم إماماً للشيعة هو وأبوه وأخوه " .

=

متشابه التنزيل)[١] اذ يقول : " اعطاء التقية رخصة ، والأفضل ترك اظهارها ".

واعتبر الشريف الرضي أن خبيب بن عدي حين قتل كان أفضل من عمار بن ياسر الذى استعمل التقية .

وقال أيضاً : (إقامة المرء عليه - على الاسلام - حتى يقتل أفضل من الأخذ بالرخصة في العدول عنه حتى يَسْلم) .

وقال : (التقية إنما تكون قولاً باللسان) ثم نقل قول أبي العاليه (التقية باللسان لا بالعمل) . واذا كان هذا الاتجاه في حكم التقية يوافق ماعليه أهل السنة فإن هذا لا يمثل نظرة الشيعة للتقية بل هو رأي خاص انفرد به (الشريف الرضي) ولم يتابعه عليه أحد بعده .

ولذلك نجد الدكتور الشيبي يؤكد أن هذا الرأي لا يمثل الشيعة وأن الشريف الرضي لما أصدر هذه الفتوى لم يكن ذهنه متجهاً الى الظروف الصعبة التي تمر بالشيعة بل عبّر عن أفقه الواسع ونفسه المطمئنة،أي أنه لم يتعرض لما تعرض له الشيعة من أذى وضغوط بل كان على صلة طيبة مع الخلفاء .

= وقد اعتبره الشيعة أحد شيوخهم وأئمتهم في العلم ووصفه الخوانساري في كتابه (روضات الجنات) بقوله : (لم يبصر بمثله إلى الآن عين الزمان) وذكر أن الشريف الرضي كان شيخاً في الرواية،وممن روى عنه الشيخ الطوسي ، واعتبره تلميذاً للشيخ المفيد في الرواية .

راجع : شذرات الذهب ٣ / ١٨٢ ، البداية والنهاية ١٢ / ٣ ، ميزان الاعتدال ٣ / ٥٢٣ ، لسان الميزان ٥ / ١٤١ ، النجوم الزاهرة ٤ / ٢٤٠ ، تاريخ بغداد ٢ / ٢٤٦ ، الأعلام ٦ / ٩٩ .

ومن كتب التراجم الشيعية : روضات الجنات للخوانسارى ٦ / ١٩٠ ، جامع الرواة للحائري ٢ / ٩٩ ، الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي ٢ / ٢٧٢ .

(١) صفحة / ٧٥ نقلا عن الدكتور الشيبي في مقالته (التقية أصولها وتطورها) مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية - العدد ١٦ - سنة ١٩٦٢ - ١٩٦٣ - صفحة / ٢٤٧ .

وسبب آخر يضيفه الشيبي وهو أن الشريف الرضي كان بمعزل عن شؤون الشيعة وأن نقابته للطالبين كانت تتصل بأرحامه وذوي قرباه دون سواد الشيعة وأمتهم في العراق ، وأن ذلك كله كان موكولاً بالشيخ المفيد وبالطوسي من بعده وغيرهما ممن كان الشيعة يتلقون منهم النصح والارشاد ويأخذون عنهم أمور دينهم ودنياهم.(١)

بل إن الدكتور الشيبي يعتبر أن الشريف الرضي في فتواه هذه لم يشأ أن يحاول الوصل بين ما في القرآن وما تأتي به الظروف ، ولا أدري كيف يكون الوصل بينهما في رأي الشيبي (٢) ؟! أيكون ذلك بأن يفتي الشريف الرضي بوجوب التقية مثلما فعل سائر علماء الشيعة ؟ وأن من يأبى التقية ويضحي بنفسه في سبيل الله آثم عاص !!

وهل هناك ظروف أقسى مما مر بخبيب رضي الله عنه وقد أحاط به المشركون يذيقونه من العذاب ألوانا لكي ينطق بكلمة تُرضي أهواءهم وهو مصرٌّ على النطق بالحق حتى لاقى ربه شهيداً ؟.

إذن لا يمكن للظروف أن تغيِّر من أحكام الاسلام الثابتة شيئاً ، ولا يمكن للتقية أن تصبح فرضاً يأثم تاركها بسبب ظرف من الظروف مهما كان شأنه.

وبهذا نستنتج أن فتوى الشريف الرضي هذه لا تمثل الشيعة ولا تعدو أن تكون رأياً شخصياً تظاهر به بموافقة أهل السنة (٣) ، والظاهر أن هذا القول صدر منه تقية

---

(١) التقية أصولها وتطورها للدكتور الشيبي - ص / ٢٤٨ - مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية.

(٢) تحدثنا تفصيلياً عن شذوذ الدكتور الشيبي في مجال التقية وما يتصل بها. راجع ص/ ٢٦٠ من هذا البحث

(٣) وقد اغتر الاستاذ أحمد شاكر بفتوى الشريف الرضي فقال في تعليقه على دائرة المعارف الاسلامية : (أما ما نسب إلى الشيعة الامامية من الغلو في التقية ، فما نظن كله صحيحاً) ثم قال معلقا على الفتوى: (هذا وغيره يؤيد ما ذهبنا اليه من تبرئة الائمة من الشيعة من عار هذه التهمة التي ألصقت بهم وأن خطأ من أخطأ من علمائهم أو من عامتهم لا يجيز أن ينسب الى فرقهم وشيعتهم)

=

والخلاصة اذن في حكم التقية عند الشيعة أنها واجبة يأثم من ترك العمل بها قبل قيام القائم وعودته من غيبته .

وهذا الحكم هو الذي أطلقه شيخهم الصدوق ، ومن بعده شيخ الطائفة الطوسي ، وقيده شيخهم المفيد ، واستثنى منه بعض حالات تعتبر التقية فيها جائزة لا واجبة .

ولكنه لم يحدد لنا تلك الحالات بدقة فبقي حكمه مبهماً ، أو حددها تحديدات يظهر منها الاضطراب ، ولا يُفهم منها الا أنه يقصد بالجواز حالة الأمن من الخوف والضرر ، فاذا وجد الضرر وجبت التقية .

أما حالات تحريم التقية فهي حالتان عند الشيخ المفيد :

١ - في قتل المؤمنين : وهذه الحالة لا أظن أن الشيخ الصدوق يخالفها ، لأن فتواه اقتصرت على بيان حكم التقية دون التطرق الى الأفعال التي يمكن فعلها تقية ، والأفعال التي يحرم فعلها حتى في حالة التقية ، ولأنه ورد بتحريم القتل تقية أكثر من رواية صريحة عندهم أوردها الحر العاملي تحت عنوان (باب عدم جواز التقية في الدم)(١) وأهم ماذكر : روى الكليني بسنده عن أبي جعفر الباقر أنه قال :

(إنما جعلت التقية ليحقن بها الدم ، فاذا بلغ الدم فليس تقية)

= دائرة المعارف الاسلامية - المجلد العاشر - صفحة / ٩ .
ولعل الاستاذ أحمد شاكر لم يطلع على روايات الكليني فى تأكيد فرضية التقية وفتاوى الصدوق والطوسي والمفيد وغيرهم . . وكلها تؤكد صحة ماينسب الى الشيعة في هذا المجال وتناقض فتوى الشريف الرضي الذى لا يعدو قوله أن يكون رأياً خاصاً به خالف فيه جمهور علماء الشيعة .

(١) وسائل الشيعة ٦/ ٤٨٣ .

وروى الطوسي بسنده عن أبي عبد الله (جعفر الصادق) أنه قال :

(انما جعلت التقية ليحقن بها الدم ، فاذا بلغت التقية الدم فلا تقية) .

ولذلك قال الشيخ زين الدين الجبعي العاملي (ت ٩٦٥هـ)

(ولو اضطره السلطان الى اقامة حد ، أو قصاص ظلماً ، أو اضطره لحكم مخالف للمشروع جاز لمكان الضرورة ، الا القتل فلا تقية فيه) .(١) وهذا ماقاله أيضاً من قبل أبوالقاسم الحلي (ت ٦٧٦هـ) .(٢)

٢ - فيما يعلم أو يغلب أنه استفساد في الدين : ولكن هذا الاستثناء بقي حكماً نظرياً عندهم ولم يعملوا به ، فقد وسّعوا العمل بالتقية حتى في مجال رواية الاخبار الكاذبة التي يعتقدون عدم صحة نسبتها للنبي صلى الله عليه وسلم وللائمة الاطهار ، وحتى في مجال الفتوى بما يعتقدون عدم صحته ، ولكن العوام يأخذون هذه الاقوال وهم لا يعلمون أنها قيلت للتقية فيعملون بها ، فهل هناك أكبر من هذا الافساد في الدين ؟!

---

(١) الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية . لزين الدين الجبعي العاملي ٢ / ٤٢٠

(٢) راجع : المختصر النافع في فقه الامامية . للحلي ص / ١٤٣ .

حكم التقية عند علماء الشيعة المتأخرين

١ - الحر العاملي - (ت ١١٠٤هـ)

برز عند بعض علماء الشيعة في القرن الثاني عشر تفريق جديد بين حالات وجوب التقية وحالات جوازها من غير وجوب.

فقام هؤلاء بحصر حالات الجواز اذا كانت التقية بإزاء الكفار المخالفين في الدين أما إذا كانت لا خفاء غلوهم واعتقاداتهم المنحرفة أمام أهل السنة فالتقية هنا واجبة،ولذلك نرى شيخهم الحر العاملي (١) الذى جمع في كتابه (وسائل الشيعة) أمهات كتبهم المعتمدة عندهم،قد عقد في كتابه هذا عناوين كثيرة نرى منها بوضوح تمييزه بين حالات وجوب التقية وجوازها .

والأبواب التالية تبين حالات التقية الواجبة عنده :

١ - باب وجوب التقية مع الخوف الى خروج صاحب الزمان عليه السلام (٢)
٢ - باب وجوب التقية في كل ضرورة بقدرها . (٣)
٣ - باب وجوب عشرة العامة بالتقية (٤) - ويقصد بالعامة أهل السنة -
٤ - باب وجوب طاعة السلطان للتقية (٥)
٥ - باب وجوب الاعتناء والاهتمام بالتقية وقضاء حقوق الاخوان المؤمنين . (٦)
٦ - باب وجوب التقية في الفتوى مع الضرورة . (٧)
٧ - باب وجوب كتم الدين عن غير أهله مع التقية (٨)

---

(١) سبقت ترجمته ص / ٢١٥ من هذا البحث.
(٢) وسائل الشيعة ٦/٤٥٩.
(٣) المرجع السابق ٦/٤٦٧
(٤) المرجع السابق ٦/٤٧٠.
(٥) المرجع السابق ٦/٤٧١
(٦) نفسه ٦/٤٧٢.
(٧) نفسه ٦/٤٨٢.
(٨) نفسه ٦/٤٨٣.

- ويقصد بالدين مذهب الشيعة ، وغير أهله هم أهل السنة على الخصوص -

٨ - باب تحريم تسمية المهدي وسائر الائمة وذكرهم وقت التقية ، وجواز ذلك مع عدم الخوف (١)

٩ - باب تحريم اذاعة الحق مع الخوف به (٢) - ويقصد بالحق مذهبهم وآراءهم -

١٠ - باب وجوب كف اللسان عن المخالفين وعن أئمتهم مع التقية (٣)

وهكذا نجد أن عشرة أبواب عقدها شيخهم الحر العاملي في كتابه لتأكيد وجوب التقية وأورد خلالها عشرات الروايات - وقد سبق ذكرها في المباحث الماضية - وكلها تؤكد ان استعمال التقية لاخفاء عقائدهم وما يميزهم من عبادات وأعمال واجب لا يجوز التخلي عنه ، وهذا لا يكون الا مع أهل السنة ، والذين يطلقون عليهم ألفاظا عديدة مثل : العامة - المخالفون - النواصب .

أما اليهود والنصارى وسائر الكفار فالتقية في إخفاء المعتقد أمامهم جائزة مهما بلغت الضرورة ولا تصبح واجبة حتى وان تيقن القتل .

وقد خصص الحر العاملي لهذا الموضوع باباً خاصاً من أبواب التقية في كتابه وجعله تحت عنوان :(باب جواز التقية في إظهار كلمة الكفر كسبِّ الانبياء والائمة عليهم السلام والبراءة منهم ، وعدم وجوب التقية في ذلك ، وان تيقن القتل) (٤) .

فمهما بلغت الضرورة في هذه الحالة فالتقية ليست واجبة ، والسبب في اعتبارهم أن هذا المجال تجوز فيه التقية دون وجوب لأنه لا يصدر من أحد من أهل السنة إكراه على سبِّ نبي أو إمام ، فأئمة أهل البيت لهم فضلهم ومنزلتهم عند أهل السنة ولا يكون الاكراه في هذا المجال الا من كافر.

وجعلُ التقية رخصة جائزة مع المخالفين في الدين والكافرين بالاسلام ، وفرضاً

---

(١) وسائل الشيعة ٦/٤٨٥.

(٢) نفسه ٦/٤٩٢.

(٣) نفسه ٦/٤٩٨.

(٤) نفسه ٦/٤٧٥.

واجباً مع أهل السنة المخالفين في المذهب .. هذا يدل على أنهم يعدّون أهل السنة أكثر بعداً عنهم من اليهود والنصارى وسائر الكفار ، وينظرون الى أهل السنة نظرة عداء أكثر من نظرتهم للكفار .

ثم ان هذا الباب الذى عقده الحر العاملي وخصصه لحالات جواز التقية من غير وجوب أورد فيه روايات تؤكد الوجوب وتحذر من ترك التقية ، وهذا يدل على التخبط والتناقض،فمن الروايات التي أوردها في هذا الباب :

(إن التقية ترس المؤمن ، ولا إيمان لمن لا تقية له)(١)

(وآمرك أن تستعمل التقية في دينك .. واياك ثم اياك أن تترك التقية ..)(٢)

وغير ذلك من الروايات وكلها صريحة في التأكيد على وجوب التقية والتحذير من تركها فكيف يستدل بها على عدم الوجوب الذى أبرزه الحر العاملي هنا ؟!

ولننتقل الى عالم شيعي آخر لنجده ينص بصراحة على التفريق بين حالات الوجوب والجواز . وهو :

٢ - أحمد الجزائري(٣) (ت ١١٥١ هـ)

وقد ذكر في كتابه (قلائد الدرر في بيان آيات الأحكام بالأثر) أن التقية ثلاثة أقسام فقال : (وأصحابنا قسموا التقية الى ثلاثة أقسام :

الاول : حرام ، وهو في الدماء فانه لا تقية فيها ، فكل مايستلزم اباحة دم لا يجوز قتله شرعاً لا يجوز التقية فيه ، لأنها إنما وضعت لحقن الدم فلا تكون سبباً لاباحته

---

(١) وسائل الشيعة ٦/٤٧٧ الرواية رقم ٦ .

(٢) نفسه ٦/٤٧٨ - ٤٧٩ الرواية رقم ١١ .

(٣) هو أحمد بن اسماعيل الجزائري النجفي ، أصله من جزائر خوزستان ، يقول عنه البحراني : (كان فاضلا محققاً مدققاً له جملة من التصانيف، منها كتاب آيات الأحكام ، جيد نفيس راعى فيه الأخذ بالروايات،وكتاب شرح التهذيب) راجع ترجمته في : لؤلؤة البحرين للبحراني ص ١١١ - ١١٧ ، الأعلام للزركلي ١/٩٨ .

الثاني : اباحتها ، وهو في اظهار كلمة الكفر.

الثالث : وجوبها ، وهو ماعدا القسمين المذكورين ، والادلة الدالة على ذلك كثيرة . .

ونُقل على ذلك إجماع الطائفة المحقة ، وهذا مع تحقق الضرر بتركها وأما مع عدمه فقد تكون مستحبة) .(١)

ولنناقش هذا النص من خلال النقاط التالية :

١ - التقية عند الجزائرى تتردد بين الأحكام الأربعة التالية :

فهي محرمة : اذا كانت ستؤدي الى قتل النفس بغير الحق

ومباحة : في إظهار كلمة الكفر عند الاكراه (وهو اكراه لا يصدر الا من كافر) .

وواجبة : فيما عدا هذين القسمين عند تحقق الضرر (أى من جهة أهل السنة .

ومستحبة : اذا انتفى الضرر .(٢)

ويلاحظ على الاحكام السابقة أن حالات التحريم والاباحة محددة بدقة ومستثناه من الوجوب الذى يعتبر حالة عامة فى نظرهم.

٢ - ادعاؤه اجماع الشيعة (الذين يسميهم الطائفة المحقة) على هذه الأحكام ادعاء لا أساس له من الصحة ، فقد ثبت لنا اختلاف علمائهم المتقدمين في أحكام التقية وعدم اتفاقهم على قول واحد فيها من خلال ما استعرضناه من فتاوى .

---

(١) قلائد الدرر ٢/١٩٧ .

(٢) سوف نتعرض لقولهم باستحباب أو جواز التقية في حالات الأمن ونناقش ذلك تفصيليا . راجع الفقرة القادمة : حد الضرورة فى استخدام التقية عندهم. ص / ٣٣١ من هذا البحث.

٣ - ان ايجابه للتقية مع أهل السنة وجعلها جائزة من غير وجوب مع الكفار ولو تيقن القتل تفريق لا دليل عليه أبدا ، فالأدلة تدل على جواز التقية وأنها رخصة فقط.

وليس هناك من الأدلة الصحيحة مايدل على الوجوب أبدا [١]، الا ما اخترعوه من روايات امتلأت بها كتبهم وادعوا نسبتها لأئمة أهل البيت.

واذا قال قائل منهم ان هذا التفريق سببه أن الشيعة تعرضوا للاضطهاد على يد أهل السنة أكثر مما تعرضوا له من جهة الكفار ، فهذا ليس بحجة تدعوهم للتفريق بين الجواز والوجوب في حكم التقية ، لأن الذى يؤمن بأن مايعتقده هو الحق حريٌ به أن يتحمل في سبيله الاذى ولا يثنه عن دعوته أنواع الاضطهاد مهما كان سببه ومصدره سواء كان من أعدائه في المذهب أوأعدائه في الدين .

والامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعرض للايذاء الشديد ليرجع عن عقيدته في القرآن الكريم وكان هذا الاضطهاد بتحريكٍ وكيدٍ من المعتزلة أعدائه في المذهب، ومع ذلك لم يتراجع عما يعتقد بل ثبت،وكانوا يطلبون منه كلمة واحدة [٢] ولكنه آثر رضاء الله على رضاء الناس وآثر عذاب الدنيا على أن يضل الناس بقول فينا له عذاب الآخرة .

نعود فنقول : يكفي لاثبات التناقض والتضارب بين أحكامهم أنهم يفرقون بين الوجوب والجواز دون سبب لهذا التفريق مادام الجامع لكل ذلك الخوف.

وهكذا يتبين لنا أن القول بوجوب التقية هو الأصل في أحكامها عند علماء

---

(١) راجع ذلك عند الحديث عن أدلة جواز التقية عند أهل السنة ص / ٥٥

(٢) تعرضنا للقصة تفصيلياً . وهي محنة القول بخلق القرآن الكريم. راجع ص/ ١١٢ من هذا البحث.

الشيعة وبهذا قال كثير من علمائهم القدماء ، كما قال بذلك اثنان من أبرز علمائهم المتأخرين وهما الحر العاملي والجزائري ، وكل الحالات الأخرى ماهي الا حالات مستثناه من الوجوب الذي يوافق رواياتهم الكثيرة في ذلك .

والآن لنرى ماهو موقف علمائهم المعاصرين من هذه الفتاوى التي نص عليها اسلافهم ؟

حكم التقية عند علماء الشيعة المعاصرين :

علماء الشيعة المعاصرون واجهوا انتقادات كثيرة من علماء أهل السنة فيما يتعلق بعقائدهم وآرائهم ووجدوا أنفسهم أمام موروثات كبيرة من عقائد سطرها أسلافهم ونادوا بها ولكنها اليوم مرفوضة لا يقبلها عاقل،فماذا يفعلون وهم تابعون لمن قبلهم لا يستطيعون أن ينكروا ما أورده أسلافهم من روايات على ألسنة الأئمة وما نسجوه من عقائد ميزت الشيعة على مر العصور،ومن هذه العقائد قولهم بوجوب التقية وأنها من الأصول وأنه لا دين لمن لا تقية له وأنها تسعة أعشار الدين وغير ذلك . . .

اذن فماذا فعلوا ؟ وكيف كانت فتاواهم في حكم التقية ؟

لقد تعددت مسالكهم في ذلك وبرزت تناقضاتهم في محاولة إخفاء حقيقة غلوهم بالتقية .

ولم نجد أحدا منهم وهو يتحدث عن التقية ذكر لنا ذلك الحشد الضخم من الروايات التي كان يذكرها أسلافهم في فضل التقية ومنزلتها ومكانتها السامية ، وانما كان جهدهم الأكبر هو محاولة إظهار التقية مبدءاً متفقاً عليه إسلامياً ، وتجميع ماعند أهل السنة من نصوص في هذا المجال مع التوفيق قدر المستطاع بين تلك النصوص عند أهل السنة وبين قولهم بوجوب التقية ، وقد تعددت مسالكهم في هذا المجال وأبرزها :

المسلك الأول : القول بوجوب التقية عند الخوف

وقد سلك هذا المسلك الشيخ (محسن الأمين) حين رأى أن التقية واجبة عند حصول الخوف محرمة عند عدمه فقال :

(حكم التقية أنها واجبة عند حصول الخوف محرمة عند عدمه)

ثم قال : (والدليل عليها : العقل والنقل ، فقد قضى العقل بجواز دفع الضرر بها بل بلزومه واتفق عليها جميع العقلاء ، ونص عليها الكتاب العزيز والسنة المطهرة) (١) .

(١) الشيعة بين الحقائق والاوهام ص / ١٨٦ .

ثم أورد بعض الأدلة التي سبق ذكرها عند الحديث عن موقف أهل السنة من التقية وأورد أقوال علماء أهل السنة بجواز التقية عند الاكراه محاولاً اظهار التوافق بين أهل السنة والشيعة في حكم التقية.إلى أن قال : (ظهر بما تلوناه عليك أن التقية مما قضى به العقل وفعله كافة العقلاء واجازه وأمر به النقل حتى في أفظع الأفعال والأقوال وأشنعها - يقصد التلفظ بكلمة الكفر عند الاكراه - وأن في تركها مخالفة لقوله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة)(١) وأنها نوع من أنواع الضرورات التي تباح لأجلها المحظورات)(٢) .

ونلاحظ أن الشيخ محسن الأمين يورد الأدلة على جواز التقية في معرض دفاعه عن الشيعة وكأنه يرد على من ينكر جوازها كلية ، ثم يستخدم هذه الأدلة للوصول الى النتيجة التي توافق مذهبه وهو وجوب التقية ، وبذلك يوافق أسلافه من علماء الشيعة القدماء الذين أطلقوا القول بوجوب التقية وخاصة الشيخان الصدوق والطوسي لكنه يعرض هذا الوجوب بأسلوب آخر مع إخفاء الحشد الكبير من الروايات التي ترفع من شأن التقية وتعلي من قدرها ومنزلتها (٣) .

المسلك الثاني : تقييد وجوب التقية :

وهو مسلك يشابه ما سار عليه الشيخ المفيد من قبل حيث اعتبر أن للتقية أحكاما ثلاثة الوجوب والجواز والحرمة .

---

(١) سورة البقرة آية / ١٩٥ - وانظر ص/ ٢٣٨ لابطال الاستدلال بهذه الاية على وجوب التقية

(٢) الشيعة بين الحقائق والأوهام ص / ١٨٦ .

(٣) يهدف محسن الأمين من ذلك الى التخفيف من حقيقة غلوهم بالتقية واظهارها بلباس اسلامي يوافق أهل السنة ، لأنه في معرض الرد على موسى جار الله الذي كشف الحقائق الخفية من عقائد الشيعة وألف كتابا أسماه (الوشيعة في نقد عقائد الشيعة) . فجاء كتاب (الشيعة بين الحقائق والاوهام) لمحسن الأمين رداً عليه .

وأبرز من قال بذلك من علماء الشيعة المعاصرين الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، والشيخ محمد رضا المظفر مع اختلافات طفيفة في الفتوى بينهما .

فالشيخ كاشف الغطاء [(١)] يذكر الأحكام الثلاثة للتقية دون أن يرجح حكماً على غيره،أما المظفر فانه يجعل الوجوب هو الأصل كما سنرى .

يقول الشيخ كاشف الغطاء :

(العمل بالتقية له أحكامه الثلاثة : فتارة يجب ، كما اذا كان تركها يستوجب تلف النفس من غير فائدة . وأخرى : يكون رخصة كما لو كان في تركها والتظاهر بالحق نوع تقوية له فله أن يضحي بنفسه وله أن يحافظ عليها . وثالثة : يحرم العمل بها كما لو كان ذلك موجباً لرواج الباطل واضلال الخلق واحياء الظلم والجور) [(٢)]

ثم يقول :

(لا يغيبن عنك ذكر الحسين وأصحابه . . هؤلاء وجدوا العمل بالتقية حراماً عليهم ، وقد يجد غيرهم العمل بها واجبا ، ويجد الآخرون العمل بها رخصة وجوازاً ، حسب اختلاف المقامات وخصوصيات الموارد) [(٣)] .

وأهم مايلاحظ على هذه الفتوى محاولة عدم ترجيح حكم على آخر ، حيث اعتبر الوجوب أحد أحكام التقية وليس هو الأصل في حكمها،وهذا لم يفعله أحد من علماء الشيعة القدماء لأن الشيخ المفيد الذي ذكر للتقية أحكاما ثلاثة جعل الأصل في حكمها الوجوب عند خوف الضرر فاذا انتفى الضرر صارت جائزة .

---

(١) محمد حسين بن علي كاشف الغطاء فقيه إمامي عراقي من أهل النجف ، ولد عام ١٢٩٤هـ وتوفي ١٣٧٣هـ، انتهت اليه الرئاسة في الفتوى والاجتهاد بعد وفاة أخيه أحمد بن علي . صنف كتبا كثيرة منها : الدين والاسلام - الآيات البينات - التوضيح في بيان ماهو الانجيل ومن هو المسيح - أصل الشيعة وأصولها - وله ديوان شعر . (الأعلام للزركلي ٦/١٠٦) .

(٢) أصل الشيعة وأصولها ص /١٩٣ .

(٣) المرجع السابق ص /١٩٥ .

والظاهر أن هذا القول من كاشف الغطاء صدر تقية وليس اجتهاداً تميّز به عن باقي علماء الشيعة .

ولذلك لا نجد كاشف الغطاء يعرج على شئ من الروايات التي تتحدث عن منزلة التقية ووجوبها ولا نجده يذكر شيئاً من فتاوى أسلافه الذين هم عمدة المذهب عند الشيعة .

أما الشيخ محمد رضا المظفر (١) فإنه فتح باب الربط بالقديم من رواياتهم وفتاواهم كما سنرى من خلال فتواه التالية :

(للتقية أحكام من حيث وجوبها وعدم وجوبها بحسب اختلاف مواقع خوف الضرر . وليست هي بواجبة على كل حال ، بل قد يجوز أو يجب خلافها في بعض الأحوال ، كما اذا كان في اظهار الحق والتظاهر به نصرة للدين وخدمة للاسلام وجهاد في سبيله فانه عند ذلك يُستهان بالأموال ولا تعز النفوس .

وقد تحرم التقية في الأعمال التي تستوجب قتل النفوس المحرمة ، أو رواجاً للباطل ، أو فساداً في الدين ، أو ضرراً بالغاً على المسلمين باضلالهم أو افشاء الظلم والجور فيهم) (٢) .

وبعد أن ذكر الأحكام الثلاثة للتقية رجّح وجوبها وفرضيتها إتباعا لأوامر الأئمة فقال :

(واذا كان طعن من أراد أن يطعن يستند الى زعم عدم مشروعيتها من ناحية دينية فاننا نقول له :

---

(١) محمد رضا المظفر : فقيه إمامي من أهل النجف ،ولد عام ١٣٢٢ هـ ،وتوفى عام ١٣٨٤ هـ وله كتب كثيرة منها : أصول الفقه - السقيفة - عقائد الامامية - كتاب في المنطق . (راجع الأعلام للزركلى ٦ / ١٢٧) .

وله أخوان من علماء النجف أيضًا هما : محمد حسن ، محمد حسين (الأعلام ٦ / ١٠٧) .

(٢) عقائد الامامية ص / ٨٧

إننا متبعون لأئمتنا عليهم السلام ،ونحن نهتدى بهداهم ، وهم أمرونا بها وفرضوها علينا وقت الحاجة ، وهى عندهم من الدين ، وقد سمعتَ قول الصادق عليه السلام "من لا تقية له لا دين له") (١)

فالنتيجة التى توصل اليها إذاً أن التقية واجبة وأن الشيعة متبعون فى ذلك للأئمة الذين أمروهم بها وفرضوها عليهم وجعلوها من الدين .

أما الجواز والحرمة فهى بعض حالات مستثناه من الوجوب ، وفى غير هذه الحالات تعتبر التقية عندهم من الفرائض التى لا يتم دين المرء إلا بالأخذ بها والحرص عليها .

المسلك الثالث :

التغاضي الكامل عن روايات اسلافهم وفتاواهم وكأنها غير موجودة ، والادعاء بأن حكم التقية هو الجواز وأن هذا يتفق عليه السنة والشيعة .

والذى سلك هذا المسلك هو : (محمد جواد مغنية) (٢) فى(التفسير الكاشف) فقد قال :

(استناداً الى كتاب الله وسنة نبيه المتواترة أجمع السنة والشيعة قولاً واحداً على جواز التقية) (٣)

وبعد أن نقل أقوال أئمة أهل السنة فى حكم التقية أراد أن يبرز أن فقهاء الشيعة لم يشذوا فى ذلك ، وانما وافقوا أهل السنة فى حكم التقية . فقال :

(خلاصة ما قالوه - أى فقهاء الشيعة - أنها تجوز لرفع الضرر عن النفس ، ولا تجوز لجلب المنفعة ولا لإدخال الضرر على الغير) (٤)

وفى كتابه (الشيعة فى الميزان) نقل حكم التقية من كتب أهل السنة ثم قال معلقاً على ذلك : (وهذا الذي قالوه هو بعينه ما تقوله الامامية) !! (٥)

---

(١) المرجع السابق ص / ٨٨

(٢) سبقت ترجمته ص / ٢٢٩ من هذا البحث

(٣) التفسير الكاشف ٢ / ٤٢

(٤) المرجع السابق ٢ / ٤٢

(٥) الشيعة فى الميزان / ص ٥١

ولا يدري الباحث كيف سيعلق على هذا الكلام ويردّ على هذا الكذب المفضوح [١] الذي يصدر ممن ينصّب نفسه مفسراً لكتاب الله وناشراً لعلوم أهل البيت

ولو نسب هذا القول لنفسه لكان الأمر هيناً ، ولقلنا لعله اجتهد في ذلك الحكم بما يوافق أهل السنة ويخالف مذهبه الشيعي ،

ولكنه لم يعتبر هذه الفتوى اجتهاداً خاصاً به بل جعلها قولاً وعقيدة للشيعة الامامية وكأنهم اتفقوا على ذلك منذ أقدم عصورهم لم يشذ منهم أحد !!

ولو كان مغنية يريد أن يُظهر لأهل السنة عدم غلو الشيعة في التقية ، ليزداد التقارب بينهما وتزول الجفوة ، فالواجب أن لا يسلك سبيل الخداع الذي لا يخفى على أي باحث يطلع على روايات الشيعة في منزلة التقية ، ويرى فتاواهم في وجوبها وأهميتها

وهذا إنما يدلّ على أن علماء الشيعة المعاصرين قد تقهقروا كثيراً أمام كتابات علماء أهل السنة وكشفهم لخفايا العقائد الشيعية ، مما جعلهم يشعرون بالخطر على مستقبل التشيع من خلال تهافت عقائدهم ، وخاصة غلوهم بالتقية

والأغرب من ذلك أن مغنية الذى يستخدم هذه التقية لاخفاء شذوذ الشيعة في التقية هو نفسه الذى يدّعي في أكثر من موضع في كتبه أن عهد التقية اليوم قد ولّى ، ولم يعد الشيعة بحاجة الى استخدامها ، حيث لا خوف عليهم ولا هم يرهبون !! [٢]

---

(١) لعل القارئ يستنكر هذه الكلمة التي لا تليق بطبيعة البحث العلمي الجاد ، ولكنني في الواقع لم أجد كلمة غيرها تليق بوصف هذا الخداع الذى يقوم به مغنية ظناً منه بأن القراء والباحثين لن يتعرفوا على عقائد الشيعة الا من خلال كتاباته ، وأظن أن القارئ لم يغب عن ذهنه ما ذكرناه عن التقية الشيعية في المباحث السابقة وان من تركها فهو بمنزلة من ترك الصلاة ، كما اننا سنذكر استخدامهم التقية في مجال الرواية والفقه والفتوى ، وغير ذلك مما يؤدي الى تهديم الدين وتضييع أحكامه .

فهل يبقى بعد ذلك شك في أن التقية الشيعية شئ آخر يختلف تماماً عن قول أهل السنة فيها ؟

(٢) التفسير الكاشف ٢ / ٤٤ - الشيعة في الميزان ص/ ٣٤٥

ويبلغ التناقض أشده إذا قارنّا قول مغنيـة الذى يدّعي فيه التوافق بين أهل السـنة والشيعة فى حكم التقيـة ــ أي أنها عند الشيعة رخصة جائزة وليست واجبة ــ بقــول عالم آخـر من علماء الشيعة المعاصرين الذى يؤكـد على أن الشيعة أجمعوا قولاً واحـداً على وجوب التقية ولزومها. يقول محمد حسين المظفري :

(أما إجماع الشيعة على المشروعية ، بل الوجوب فلا نقاش فيه لنذكر مصادره ،لأن أمر التقية ولزومها عند أهل البيت وشيعتهم لا يختلف فيه اثنان) (١) .

وليحكم القارئ بعدئذ بنفسه على مزاعم مغنيـة .

---

(١) الامام الصادق المظفري ١ / ٩١

حد الضرورة في استخدام التقية عندهم

الروايات التي ذكرناها في المبحث الثاني الخاص بأهمية التقية والحض عليها والتحذير من تركها . . . كل هذه الروايات لا نجد فيها تحديداً للحالات التي تسوِّغ للشيعي استخدام التقية والتمسك بها ، وهل هي حالة الضرورة والشدة أم في كل الحالات والظروف ؟

ثم بعد أن استعرضنا رواياتهم في التقية انتقلنا الى فتاواهم ، وهي كما قلنا مضطربة فبعضها لا يتكلم عن الضرورة إطلاقا وبعضها يتكلم عنها بدون تحديد .

والذي استوقفنا في هذه الفتاوى قول الشيخ المفيد :

" فمتى لم يعلم ضرراً باظهار الحق ، ولا قويَ في الظن ذلك لم يجب فرض التقية "(١)

أي أن التقية واجبة عند الضرورة مباحة في حالات الأمن وانتفاء الضرر

فاستخدام التقية عندهم ليس قاصراً على حالات الضرورة ، بل هو عام حتى في الحالات العادية .

ومما يؤكد ذلك الرواية التالية التي ينسبونها للامام جعفر الصادق :

روى الحسن بن محمد الطوسي في (مجالسه) بسنده عن الامام الصادق أنه قال :

(عليكم بالتقية فإنه ليس منا من لم يجعلها شعاره ودثاره مع مَنْ يأمنه لتكون سجيته مع من يحذره)(٢) !

وهذه رواية صريحة في التأكيد والحث على استخدام التقية حتى في حالات الأمن وانتفاء الخطر .

وما هذا الذي ينسبونه الى الامام الصادق — وحاشاه من ذلك — إلا الأمر بالكذب والتدريب على النفاق حتى يصير ذلك الكذب سجية وطبيعة عند الشيعي ولو مع أهل مذهبه لكي يعتاد على التقية ويألفها ولا ينفر منها ، فاذا فوجئ بخوف و انتقل الى حالة الضرورة تحول حكم التقية بالنسبة له من الاباحة والندب الى الوجوب ، فلم يجد عناء من استعمالها لأنه اعتاد عليها وصارت طبيعة من طبائعه وسجية من سجاياه !!

---

(١) شرح عقائد الصدوق ص/٦٦ وقد ذكرنا سابقاً نص الفتوى مع مناقشتها والتعليق عليها . راجع ص/٣١٠ من هذا البحث .

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي ٦ / ٤٦٦ .

وهذا ما ذكره فعلاً أحد علمائهم في مطلع القرن الثاني عشر الهجري وهو الشيخ أحمد الجزائري (ت ١١٥١هـ) في فتواه التي مرت بنا قبل صفحات ، والتي نص فيها على اجماع الطائفة عندهم على وجوب التقية ـ فيما عدا القتل واظهار كلمة الكفر ـ عند تحقق الضرر ، وأما مع عدمه فقد تكون مستحبة (١)

ولكن الغريب حقا أن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ) بعد أن ينقل لنا الرواية السابقة عن الصادق والتي فيها الحث على استعمال التقية في حالة الأمن ، نجده في الصفحة المقابلة لها تماماً يضع عنواناً لباب جديد وهو (باب وجوب التقية في كل ضرورة بقدرها ،وتحريم التقية مع عدمها) (٢) ثم يذكر بعض الروايات التي ليس فيها أيُّ نص على تحريم التقية عند عدم الضرر،فماذا يكون موقف الباحث تجاه هذا التناقض الذي يثير الدهشة ؟!

كيف ينقل لنا هذا الشيخ قول الصادق في الحض على التقية عند الأمن ثم يضع بجانب هذه الرواية عنواناً بارزاً بتحريم التقية عند الأمن ؟!

وهل هناك تفسير لهذا التناقض الا أنه يريد استخدام هذه التقية في إخفاء حقيقة حكمهم فيها حتى اذا رجع أي باحث الى كتابه هذا استخلص من هذه العناوين البارزة حكمهم في التقية وخفيَ عليه حقيقة غلوهم فيها !! فهي تقية على التقية .

حتى الروايات التي أتى بها ونسبها الى الأئمة في تقدير الضرورة ، ليس فيها أي تقدير لحد الضرورة التي تصبح من أجله التقية واجبة

فقد نقل عن الكليني الذي روى بسنده عن أبي جعفر (ع) أنه قال :

" التقية في كل ضرورة ، وصاحبها أعلم بها حين تنزل به " (٣)

وروى الكليني أيضا عن أبي جعفر قال :

" التقية في كل شئ يضطر اليه ابن آدم فقد أحله الله له " (٤)

---

(١) قلائد الدرر للجزائري ٢ / ١٩٧ وراجع نص فتواه ص / ٣٢٠ في هذا البحث

(٢) وسائل الشيعة ٦ / ٤٦٧

(٣) (٤) المرجع السابق ٦ / ٤٦٨ وراجع الكافي للكليني ٢ / ٢١٩-٢٢٠

وهاتان الروايتان لا تذكران للضرورة أى ضابط بل هى متروكة لمزاج الأفراد وتقديرهم الشخصى وهذا ما صرح به محمد جواد مغنية ـ وهو أحد علماء الشيعة المعاصرين حين قال :

(ليس للاضطرار ضابط خاص يرجع اليه الفقيه ، وانما يختلف باختلاف الاشخاص والعوامل الخارجية ، والدوافع النفسية ، فرُب حالة تعد اضطراراً بالقياس إلى انسان دون غيره ، بل رُب حالة تكون اضطراراً لانسان فى مورد ولا تكون اضطراراً له فى مورد آخر ، ولذا قيل : لكل مقام مقال ، ولكل سؤال جواب ، ولكل حادث حديث)(١)

ثم عرف لنا الاضطرار بتعريف لا يزيده إلا إبهاما وخفاء فقال :

(وعلى أى الاحوال فليس معنى الاضطرار أن يكون الانسان مجبراً على الفعل ، على نحو لا يكون له معه مندوحة الى الترك ، فان الفعل ـ والحالة هذه ـ لا يتصف بحسن أو قبح ، ولا يحكم عليه بحل أو تحريم ، لأنه خارج عن القدرة والاختيار . وانما المقصود من الاضطرار أن يكون الانسان قادراً على الفعل والترك معا ، لكنه يختار الفعل لعامل خارجي أو دافع نفسي)(٢) !!

والمتأمل لهذا التعريف يجد أن الضرورة عندهم ليس لها ضوابط شرعية وانما تخضع للعوامل الخارجية والدوافع النفسية والرغبات الشخصية ، ويستقل كل انسان بتقديرها لنفسه دون أن نجد عند فقهائهم تحديداً لحالات الضرورة الرئيسة بحيث يقيس كل مضطر حالته عليها ، كما هى مفصلة عند أهل السنة .(٣)

وهكذا ينتهى المذهب الشيعى الى تفويض الأفراد لأنفسهم وأهوائهم فى أخطر مسائل الشريعة وهى قضية الحلال والحرام ، إذ ان الضرورات تبيح المحظورات ، وما داموا قد تركوا للفرد تقدير الضرورة التى يحل له فيها فعل المحرمات ، فانهم يكونون بذلك قد

---

(١) (٢) الشيعة فى الميزان ، لمحمد جواد مغنية ص / ٣٦١ ـ ٣٦٢

(٣) رأينا فى الباب الأول ـ عند الكلام على موقف أهل السنة من التقية ـ كيف فصل أهل السنة البحث فى حالات الاضطرار وأحكامها ، ووضعوا لها ضوابط دقيقة حتى لا يصبح أمر الحلال والحرام تبعاً لأهواء الناس .

أباحوا لأتباعهم فعلها بناء على تقديراتهم الشخصية التي غالباً ما تكون خاضعة للأهواء، ولا شك أن في هذا هدم للشريعة .

ولا يقدح في هذه النتيجة التي توصلنا اليها ذكر محمد جواد مغنية للمثال التالي عقب تعريفه للضرورة حيث يقول : (كمن لا يملك الا ثوبا واحداً يتستر به ،فاضطره الجوع الى بيعه ليشتري بثمنه رغيفاً يسد رمقه ، ويقيم أوده) (١)

فلا يعدو أن يكون هذا القول مثلاً من أمثلة الضرورة ، وليس فيه تحديداً لمعنى الدوافع النفسية التي أطلق لفظها دون تحديد أو تقييد .

ولا شك أن هذا المثل مما يدخل في حالات الضرورة التي حددها أهل السنة ، مع أن الخلاف الجوهري الذي يبرز من أقوال مغنية هو ترك الضرورة لتقدير الأفراد بحسب العوامل الخارجية والدوافع النفسية على حد تعبيره

ولعل تغاضيهم عن تفصيل حالات الضرورة ، والبحث فيها ، وبيان أحوالها ،يرجع الى أن ذلك سيؤدي الى جعل استخدام التقية استثناء في حياة الانسان ،وليست أصلاً . وبذلك تخرج التقية من كونها أصلاً من أصول الدين الى حالة استثنائية ورخصة وهذا ما يخالف الحكم الذي قرروه ابتداء بالنسبة للتقية حيث جعلوها تسعة أعشار الدين ، وأنه لا دين لمن لا تقية له !

---

(١) الشيعة في الميزان ص / ٣٦٢

دار التقية وأحكامها :

ويقصدون بدار التقية كل دار قبل قيام القائم ، الذي هو إمامهم الغائب (محمد بن الحسن) فالواجب على كل شيعي أن يلتزم بالتقية حتى يرجع هذا الغائب فيملأ الأرض عدلاً ، ويدافع عن الشيعة (كما يزعمون) وينتصر لهم ويقتص من أعدائهم .

ولا يجوز للشيعي أبداً أن يترك التقية قبل خروج القائم وعودته من غيبته

(روى علي بن الحسين بن خالد قال : قال الرضا (ع) :
لا دين لمن لا ورع له ، ولا ايمان لمن لا تقية له ، وان أكرمكم عند الله أتقاكم وأعلمكم بالتقية ،فقيل له : يابن رسول الله الى متى ؟
قال : إلى يوم الوقت المعلوم ،وهو يوم خروج قائمنا ، فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا)[(١)]

فلا يجوز عندهم ترك التقية حتى يخرج القائم ، وهناك روايات أخرى صرحت بذلك وأكدت على ضرورة الالتزام بالتقية في دار التقية ، ومنها :
ما رواه الكليني بسنده (عن حبيب بن بشر قال : قال أبو عبد الله (ع) :
سمعت أبي يقول : لا والله ما على وجه الأرض شئ أحب الى من التقية . . . .
الى أن قال : يا حبيب إن الناس إنما هم في هدنة فلو قد كان ذلك كان هذا)[(٢)]
أي:فلو كان ظهور القائم كان ترك التقية والاستغناء عنها لأن الهدنة تنتهي ويرفع الشيعة السلاح في وجه مخالفيهم .
والعمل بالتقية في دار التقية تشتد الحاجة اليه كلما اقترب وقت ظهور القائم وهذا ما رواه الكليني بسنده (عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله (ع) قال :

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى ، للفضل بن الحسن الطبرسي ص / ٤٠٨
وروواه أيضاً شيخهم الصدوق ابن بابويه القمي في كتابه : إكمال الدين واتمام النعمة في إثبات الرجعة ص / ٢١٠

(٢) الأصول من الكافي ٢ / ٢١٧

(كلما تقارب هذا الأمر كان أشد للتقية) [(١)] ويقصدون بهذا الأمر ظهور القائم وعودته من غيبته .

ومادام الشيعة فى دار التقية فهناك أحكام لهذه الدار يجب عليهم أن يتقيدوا بها لأن أئمتهم المعصومين (فى نظرهم) أمروهم بها ، ومن هذه الأحكام :

١- عدم رفع راية قتال ضد عدو في دار التقية :

بل يجب عليهم الخضوع والطاعة لمن يحكمهم من أعدائهم ،ويعتبرون هذا الخضوع مؤقتاً لأنهم يأملون فى رجعة الامام الحق الذي سيسترد لهم حقهم المسلوب

وكل من يرفض هذا الخضوع ويرفع راية للقتال قبل خروج القائم فهو عندهم طاغوت يُعبد من دون الله . ولنستمع إلى روايتهم فى ذلك :

عن أبى عبد الله جعفر الصادق قال : (كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يُعبد من دون الله) [(٢)] !!

---

(١) الأصول من الكافى ٢/ ٢٢٠

(٢) وسائل الشيعة ٦/ ٣٧

وإذا كانت كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يُعبد من دون الله فما ندري كيف يرفع الشيعة الامامية اليوم فى إيران بقيادة الخميني رايتهم ويقيمون ثورة ودولة ؟

فهل يئس الخمينى وأتباعه من قيام القائم بعد أن طال انتظارهم له ؟ أو أن تحولا فى عقيدة الشيعة حدث اليوم على يد الخمينى الذى تخلى عن هذا المبدأ المهم والعقيدة الأساسية من عقائد الشيعة ؟ أم أن هذه العقيدة - وهى عدم رفع السلاح حتى يقوم القائم - يُظهرونها تقية أمام مخالفيهم ليأمنوا جانبهم ،والشيعة فى أثناء ذلك يُعدون العدة ليكونوا على أتم الاستعداد كلما واتتهم الظروف للقيام بثورتهم والتمكين لفرقتهم .

ولعل الذى يشهد على هذا الاحتمال الأخير الدول الشيعية العديدة التى قامت عبر التاريخ ومنها الدولة الفاطمية فى مصر،والدولة الحمدانية فى حلب ، والدولة البويهية والصفوية وكلها دول قامت قبل عودة القائم فى أثناء الفترة التى =

فلا بد لكل شيعي من اتخاذ التقية شعاراً له حتى يرجع القائم فتزول الشدة ويأتي الفرج .وانتظار هذا الفرج هو أفضل الأعمال عندهم

روى عبد العظيم الحسني قال :(دخلت على سيدى محمد بن علي ـ وهو الامـــام التاسع عندهم ـ . . فقال :

إن القائم منا هو المهدي الذي يجب أن يُنتظر فى غيبته ،ويُطاع فى ظهوره ، وهو الثالث من ولدي . . ثم قال : أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج) (١)

وهكذا يبقى فرض الجهاد معطلاً فى عقيدة الشيعة حتى يرجع القائم فيجاهـــدون معه أعداءهم ولا يبقى للتقية أثر ولا لدار التقية وجود

روى أبو بكر الحضرمي عن أبى جعفر الباقر قال : (كأنى بالقائم على نجف الكوفـة ، وقد سار اليها من مكة فى خمسة آلاف من الملائكة،جبرئيل عن يمينه ،وميكائيل عن شماله ، والمؤمنون بين يديه ،وهو يفرق الجنود فى الأمصار)! (٢)

٢- حرمة الدماء والأموال فى دار التقية :

روى الصدوق القمى باسناده عن جعفر بن محمد قال :

(لا يحل قتل أحد من الكفار والنصاب فى التقية الا قاتل أوساع فى فساد ،وذلك اذا لم تخف على نفسك ولا على أصحابك) (٣)

وعن الرضا فى كتابه الى المأمون قال : (لا يحل قتل أحد من الكفار فى دار التقية الا قاتل أو باغ ،وذلك اذا لم تحذر على نفسك ،ولا أكل أموال الناس من المخالفين وغيرهم) (٤)

فالواجب على الشيعي أن لا يهدر دماً لأحد من أعدائه مادام فى دار التقية الا اذا كان قاتلاً فيُقتل أو باغياً يريد الفساد فى الأرض .

= يطلقون عليها دار التقية

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى للطبرسي . ص/ ٤٠٨

(٢) المرجع السابق . ص/ ٤٣٠

(٣) وسائل الشيعة ٦/ ٤٦٤

(٤) وسائل الشيعة ٦/ ٣٥ وراجع ٦/ ٤٦٤

ولذلك لا يحل للشيعي أخذ مال أحد من مخالفية بغير حق حتى ترفع التقية بعودة القائم:(عن العلا بن رزين أنه سأل أبا جعفر - ع - عن جمهور الناس فقال : هم اليوم أهل هدنة ، ترد ضالتهم ، وتؤدى أماناتهم وتحقن دماءهم) (١)

وبانتهاء هذه الهدنة تحل للشيعة دماء وأموال مخالفيهم لأنه بقيام القائم تنتهي التقية وتتحول ديار المخالفين لهم من المسلمين إلى ديار حرب .

روى الكليني بسنده عن أبي جعفر - الباقر - قال : (إذا قام القائم عرض الايمان على كل ناصب فان دخل فيه بحقيقته والا ضرب عنقه أو يؤدي الجزية كما يؤديها أهل الذمة) (٢)

٣ - لا حنث ولا كفارة فى يمين التقية :

اذا حلف الشيعى كاذباً فى دار التقية فلا يحنث ولا يكفّر عن يمينه ، لأن هذا القَسَم كان تقية فيباح له أن يكذب في حلفه وقَسَمه ليدفع الأذى عن نفسه

روى الصدوق القمى باسناده عن جعفر بن محمد قال :

(استعمال التقية فى دار التقية واجب ، ولا حنث ولا كفارة على من حلف تقية يدفع بذلك ظلماً عن نفسه) (٣)

والذي يعيش فى دار التقية ويصبر على ما يناله من ظلم فأجره عظيم ومنزلته عند الله كبيرة ولذلك ارتفعت منزلة أئمتهم حتى أقسم الله ببعضهم فى القرآن الكريم - كما يزعمون - فى قوله تعالى : (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين) (٤) فقد قال ابن حرب:(إن الله تعالى لم يكن ليضع التين المأكول ، والزيتون المعصور بهذا الوضع من الشرف والقدر ، فهما لا يعرفان الاحسان)،ثم اعتبر أن المقصود بهذه الأسماء هم علي والحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ، وقال : (إن الله

---

(١) وسائل الشيعة ٧ / ٤٣٣

(٢) الروضة من الكافى ص / ٢٢٧

(٣) وسائل الشيعة ٦ / ٣٥ وراجع ٦ / ٤٦٤

(٤) سورة التين / الآيات ١ - ٣

أقسم بهم دون الرسول صلى الله عليه وسلم وان كان أحق بالتعظيم منهم ،لأن محمداً صلى الله عليه وسلم كان فى دار العلانية ،وكانت كلمته هى العليا بينما كانوا هم فى دار التقية وقد ظُلموا ، وأُخذت حقوقهم منهم)![1]

وهكذا يظهر أن استخدام الشيعي للتقية فى دار التقية من أفضل القربات الى الله ، وأنهم يتطلعون الى اليوم الذى ينفضون فيه عن أنفسهم الخوف والتقية ويُظهرون العداء السافر لأهل السنة بعد أن كانوا من قبل متظاهرين بالتقرب منهم وانهم فرقة من فرق المسلمين ومذهب من مذاهبهم .

---

(١) المقالات والفرق لسعد القمي ص/ ٣٠

الفرق بين المداهنة والتقية عندهم :

ذكرنا في الباب الاول عند الحديث عن موقف أهل السنة من التقية أن المداهنة محرمة شرعا وأنها تعني معاشرة الفاسق أو الكافر مع اظهار الرضا بما هو فيه واقراره على باطله وأن المسلم اذا اضطر الى شيء من ذلك بسبب الاكراه فأظهر للكافر الموافقة فهذه هي التقيه .

أما المدارة فانها مشروعة بل مستحبة لانها تعني الرفق بالجاهل في التعليم والفاسق في النهي عن فعله والتلطف به حتى يستخرج الحق منه أو يرده عن باطله[1] .

لكن علماء الشيعة جعلوا التقية أقرب للمدارة، وذلك لانها مشروعة في الاصل عندهم وليست رخصة لحالة خاصة هي حالة الاكراه .

يقول الشيخ محمد بن مكي العاملي (ت٧٨٦هـ) المعروف عندهم بالشهيد الاول :

(المداهنة معصية والتقية غير معصية، والفرق بينهما أن الاول تعظيم غير المستحق لاجتلاب نفعه أو لتحصيل صداقته ، كمن يثني على ظالم بسبب ظلمه ، ويصوره بصوره العدل او مبتدع على بدعته ويصورها بصوره الحق .

والتقيه : مجامله الناس بما يعرفون ، وترك ماينكرون حذرًا من غوائلهم)[2] .

ثم أورد بعض الادلة والروايات المنسوبة لأئمة أهل البيت في التأكيد على مشروعية التقية وفضلها ومنزلتها عندهم .

وهكذا نجد أن التقية ليست عندهم باب رخصه مستثناه من أصل محرم، وانما هي أصل مشروع بذاته ، ولذلك نجد الشيخ العاملي يقسم التقيه من حيث الحكم الى خمسة اقسام فهي واجبة في حالة الضرر ، ومستحبة اذا كان الضرر سهلا أو كانت تقية في المستحب، ومكروهة اذا خاف الالتباس على العوام ، ومحرمة في القتل ، ومباحة في المباحات التي ترجحها العامة[3] .

---

(١) راجع ص / ١٤٥ من هذا البحث

(٢) القواعد والفوائد للعاملي ٢/١٥٥ تحقيق الدكتور عبد الهادى الحكيم - طبع النجف ١٩٨٠م .

(٣) المرجع السابق ٢/١٥٨

الفصل الثالث

تمسك الشيعة بالتقية في إخفاء عقائدهم المنحرفة

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : حرص الشيعة على كتمان عقائدهم

المبحث الثاني : تمسك الشيعة بالتقية لإخفاء قولهم بتحريف القرآن الكريم

المبحث الثالث: تمسك الشيعة بالتقية لإخفاء طعنهم في الصحابة الكرام

المبحث الرابع: تمسك الشيعة بالتقية لإخفاء غلوهم في أئمتهم

توطئة

تحدثنا في الفصل الماضي عن أهمية التقية عند الشيعة الامامية ، وما أوردوه من روايات في منزلتها والحض على التمسك بها والتحذير من تركها ، كما ناقشنا افتراءاتهم على أنبياء الله عليهم السلام بنسبة التقيه اليهم ، ثم استعرضنا أقوال علمائهم في أحكام التقية ومايتصل بها .

وكل ماذكرناه عن التقية عند الشيعة ، مع شدة مافيه من غلو وانحراف ، الا أنه لا يُبرز الصورة الحقيقية لمعتقدهم في التقية وانحرافاتهم في استخدامها ، لأن هناك جانبا آخر من هذه الصورة سيظهر للقارئ في هذا الفصل ، ومابعده من فصول ، وهذا الجانب هو مجالات استخدام التقية عندهم .

ويمكن أن نحصر هذه المجالات في النقاط التالية :

١ - استخدامهم التقية في إخفاء عقائدهم المنحرفة .

٢ - استخدامهم التقية في مجالي الرواية والفقه

٣ - استخدامهم التقية في تفسير بعض المواقف التاريخية التي تعارض انحرافاتهم.

ولكل مجال من هذه المجالات أسلوب خاص في استخدام التقية عندهم ، كما أن لهم في كل مجال روايات منسوبة لائمتهم يتخذونها مستنداً لانحرافاتهم وغلوهم .

وسنتحدث في هذا الفصل عن المجال الأول ، وهو استخدامهم التقية في إخفاء تلك العقائد الشاذة التي تسللت الى التشيع بفعل أيدٍ خفية حاقدة على الاسلام، ثم انتشرت بين الشيعة وأصبحت ذات جذور ثابتة ، وتحولت إلى أصول لعقيدتهم ، وامتلأت كتبهم بالروايات والنصوص المؤكدة لها والمدافعة عنها .

وسنختار من هذه العقائد المنحرفة أخطرها وأكثرها شذوذاً وانحرافاً ، وهي :

١ - قولهم بتحريف القرآن الكريم .

٢ - طعنهم في الصحابة الكرام .

٣ - غلوُّهم في أئمتهم وتقديسهم لهم .

وإذا كان علماء الشيعة القدماء قد أخفوا هذه العقائد تقية فى بعض المواطن ، فانهم كانوا فى مواطن أخرى يظهرونها ويدعون اليها ويؤلفون الكتب فى الحديث عنها وذلك لما كان هؤلاء يتمتعون به من تأييد الدول الشيعية وحمايتها لهم .

أما علماء الشيعة المعاصرون فانهم كانوا بارعين فى إخفاء هذه العقائد والتظاهر بانكارها ولم يكن دافعهم فى ذلك الخوف على أنفسهم فحسب ، وانما كان لهم هدف أهم ، وهو الخوف على فرقتهم وعقائدهم ، لأن الكثيرين من السذج والبسطاء يلتفون حولهم بدعوى محبة أهل البيت ، ولو اطلعوا على الانحرافات الخطيرة فى العقيدة الشيعية لما ترددوا لحظة فى التخلي عن التشيع والابتعاد عنه .

ولكى تنجح خطتهم فى إخفاء هذه العقائد المنحرفة والتظاهر بإنكار وجودها ، ولا يساور أحداً أي شك فى أن هذا الانكار منهم كان تقية ، طلعوا علينا بقول جديد ، وهو أن عهد التقيه اليوم قد ولّى بعد أن ولّى زمن الخوف والاضطهاد ، وأنه لا أثر للتقية اليوم عند الشيعة حيث لا خوف عليهم ولا هم يرهبون !! (١)

وأبرز من قام بهذا الدور محمد جواد مغنية ، الذي بذل كل مافي وسعه لإخفاء الوجه الحقيقي للفكر الشيعى ، والتظاهر بمطابقة هذا الفكر أو مقاربته لعقيدة أهل السنة .

ولذلك كان لزاماً علينا أن نميط اللثام عن هذا الدور الخطير الذى يهدف علماء الشيعة من ورائه الى إعادة ثقة الناس بهم ، بعد أن عرف الناس أن التقية الشيعية تبيح لكل فرد من الشيعة أن ينكر أي شئ وأن يقر بأي شئ دون حرج ولا تردد ، مادام هذا الإنكار أو الإقرار داخلاً فى باب التقية ، بل إن هذا العمل عندهم عبادة جليلة يتقربون بها الى الله ، لانه لا دين لمن لا تقية له ! .

---

(١) راجع : التفسير الكاشف لمغنية ٢ / ٤٤ ـ الشيعة فى الميزان لمغنية ص/ ٣٤٥ ـ الامام الصادق لمحمد حسين المظفري ص/ ٩٩ ـ أضواء على خطوط محب الدين العريضة لعبد الواحد الانصاري ص / ١٦٨

ولكي يثبت للقارئ أن إنكار علماء الشيعة المعاصرين لهذه العقائد المنحرفة ليس على حقيقته بل هو للتقية ، لابد لنا من إثبات رسوخ هذه العقائد الباطلة عند الشيعة ، والسير مع تاريخ انتشارها بينهم جيلاً بعد جيل حتى غدت عندهم من ضرورات التشيع ومميزاته .

ولعلنا لا نكون قد خرجنا عن موضوع البحث ونحن نستعرض تأصل هذه الانحرافات عندهم ، لأن هذا أمر لابد منه لإثبات استخدامهم التقية في هذا المجال .

وقبل أن أبدأ الحديث عن استخدامهم التقية في إخفاء عقائدهم المنحرفة ، لابد من الحديث عن أهمية كتمان العقائد عندهم وحرصهم على التستر والتخفي ، وما نسبوه لأئمتهم من روايات في الحض على كتمان أسرار الدين عن غير الشيعة وعمن لا تتحمله عقولهم من عامة الشيعة وهذا ما سنجده في المبحث الأول من هذا الفصل :

المبحث الأول
حرصهم على كتمان عقائدهم

يعرِّف علماء الشيعة الكتمان بأنه (إخفاء أحاديث الأئمة وأسرارهم عن المخالفين عند خوف الضرر عليهم وعلى شيعتهم ، وكتمان أسرارهم وغوامض أخبارهم عمن لا يحتمله عقله) (١)

فالكتمان نوعان : كتمان لأحاديث الأئمة عن المخالفين للشيعة ، وكتمان لغوامض أخبار الأئمة عن كل مَنْ لا يحتملها عقله من عامة الشيعة .

والبحث في كتمان روايات الأئمة سيرد عند الحديث عن التقية في مجال الرواية، ولكننا هنا سنبرز ما يسمونه أسرار الأئمة وغوامض أخبارهم ، وهذه الأسرار والأخبار هي العقائد المنحرفة التي ينسبونها للأئمة ويحرصون على التستر عليها واخفائها حتى عن عامة الشيعة ، وأمثال هذه العقائد والأسرار هي الدين الذي يتمسك به الشيعة .

ولذلك نجد الحر العاملي أفرد باباً خاصاً من أبواب التقية ، وجعله بعنوان :

(باب وجوب كتم الدين عن غير أهله) (٢) وقد سبقه الكليني إلى ذلك في كتابه الكافي حينما أفرد باباً خاصاً للكتمان (٣) ، أورد فيه ستة عشر رواية منسوبة لأئمتهم في الحث على كتمان الدين والتحذير من إذاعته .

فمن ذلك ما رواه بسنده عن سليمان بن خالد قال :

(قال أبو عبد الله ــ ع ــ : يا سليمان إنكم على دين من كتمه أعزَّه الله ، ومن أذاعه أذله الله) (٤) .

ولا يجد المرء من تبرير لهذا الحرص الشديد على الكتمان الا أن يكون عندهم من العقائد والأسرار ما لا يقدرون على إظهارها خشية افتضاح أمرهم ، ولذلك يسترونها حتى أمام العوام من أتباعهم لئلا ينفروا منهم ويتفرقوا عنهم ، ولأجل ذلك كان علماؤهم يتقون عامتهم بهذا الكتمان أكثر من اتقائهم للمخالفين .

---

(١) ذكر هذا التعريف المعلق على أصول الكافي علي أكبر الغفاري ٢ / ٢٢٢
(٢) وسائل الشيعة ٦ / ٤٨٣
(٣) الاصول من الكافي ٢ / ٢٢١
(٤) المرجع السابق ٢ / ٢٢٢

والكتمان والتستر على الأخبار والعقائد المنسوبة للأئمة يعتبر فرضاً لازماً عندهم وهذا ما نجده واضحاً فى كثير من الروايات التى يذكرها الكلينى وغيره فى الحض على الكتمان والتحذير من تركه . ولنستعرض بعضاً منها :

١ - روى الكليني بسنده عن خالد بن نجيح قال :

(قال أبو عبد الله - ع - : إن أمرنا مستور مقنع بالميثاق فمن هتك علينا أذله الله) (١)

ويوضح المعلق على الكافي ما يقصدونه بالميثاق فيقول :

(أي العهد الذي أخذ الله ورسوله والأئمة عليهم السلام أن يكتموه عن غير أهله) (٢)

ولا نملك حيال هذا النص الا أن نتساءل :

أين هو هذا الميثاق والعهد المزعوم ؟ ومن أين جاءوا به ؟

إننا نجد فى كتاب ربنا سبحانه ميثاقاً آخر يناقض ميثاقهم هذا ويُظهر كذبه وهو قوله تعالى : (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون) (٣)

فقد أخذ الله الميثاق على أهل الكتاب أن يبينوا الدين وينشروه ولا يكتموه ، ولكنهم خالفوا هذا الميثاق فاستحقوا غضب الله ولعنته .

وهذا ما أخبر عنه سبحانه بقوله : (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) (٤)

فالميثاق الذى يزعمه الشيعة هو ما حذَّر منه الله سبحانه وتعالى وبيَّن جرم من عمل به

٢ - وروى الكليني بسنده عن عبد الأعلى قال :

(سمعت أبا عبد الله - ع - يقول : إنه ليس مِنْ احتمال أمرنا التصديق له والقبول فقط ، مِنْ احتمال أمرنا ستره وصيانته من غير أهله . . . حدثوهم بما يعرفون واستروا عنهم ما ينكرون ، ثم قال : واللهِ ما الناصبُ لنا حرباً بأشد علينا مؤونة من الناطق علينا بما نكره) !! (٥)

---

(١) الأصول من الكافى ٢ / ٢٢٦
(٢) المرجع السابق - نفس الصفحة . والمعلق هو على أكبر الغفارى
(٣) سورة ال عمران / آية ١٨٧
(٤) سورة البقرة / آية ١٥٩
(٥) الاصول من الكافى ٢/٢٢٢

وهذه الرواية تؤكد على ستر العقيدة وصيانتها وتجعل ذلك أهم من التصديق بها وترسم للشيعي طريقة فى التعامل مع مخالفته بأن يُحدِّث كلاً منهم على حسب مايوافقه ويَظهر أمام كل مخالف بوجهٍ يناسبه ، فإذا لم يفعل ذلك كان أشد ضرراً على الشيعة من أعدائهم ، وهذه فكرة باطنية انتقلت الى الاماميه الاثني عشرية

٣ - وروى أيضاً بسنده (عن نصر بن صاعد مولى أبي عبد الله - ع - عن أبيه قال :

سمعت أبا عبد الله - ع - يقول : مذيع السر شاك،وقائله عند غير أهله كافر ، ومن تمسك بالعروة الوثقى فهو ناج . قلت: ماهو؟ قال : التسليم) (١)

ويعلل شارح الكافي السبب فى وصف مذيع السر بالشك لأن الموقن لا يخالف الامام فى شيئ ويحتاط فى عدم إيصال الضرر إليه . ثم يقول : (ويمكن حمله على الأسرار التي لا تقبلها عقول عامة الخلق) (٢)

وهكذا نعود من جديد لما يُسمى الأسرار ، ويصبح الدين عندهم قسمان : قسم لعامة الخلق وقسم للخواص الذين يُطلب منهم الحفاظ على هذه الأسرار بعد أن أصبحوا أهلاً لحملها ، واذا أفشى أحدهم شيئاً منها فهذا يدل على شكٍّ وعدم تسليمه بل يدل على كفره وهذا ماتؤكده روايات كثيرة أخرى ينسبونها للامام الصادق منها :

(من أذاع علينا حديثنا فهو بمنزلة من جحدنا حقنا) (٣)

(من أذاع علينا حديثنا سلبه الله الايمان) (٤)

(المذيع لما أراد الله ستره مارق من الدين) (٥)

(من استفتح نهاره باذاعة سرنا سلّط الله عليه حرَّ الحديد وضيق المحابس) (٦)

وهذه الأسرار تحتاج صنفاً خاصاً من الناس الذين يؤمنون بها وتتحملها عقولهم لأنها لا تصلح لعامة الناس ولا يطيقون تحملها . ولنستمع الى الرواية التالية التى يدَّعون نسبتها للرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) المرجع السابق ٢ / ٣٧١

(٢) الشافي شرح أصول الكافي لعبد الحسين المظفر ٥/ ٤٩٠

(٣) الاصول من الكافى ٢ / ٣٧٠

(٤) المرجع السابق ٢ / ٣٧٠

(٥) (٦) المرجع السابق ٢ / ٣٧٢

روى الكليني بسنده عن جابر قال : (قال جعفر ـ ع ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن حديث آل محمد صعب مستصعب لا يؤمن به الا مَلَك مُقرَّب أو نبي مُرسل أو عبد امتحن الله قلبه للايمان ،فما ورد عليكم من حديث آل محمد صلى الله عليه وسلم فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه ، وما اشمأزت منه قلوبكم وأنكرتموه فردُّوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالِم من آل محمد ، وانما الهالك أن يحدِّث أحدكم بشيء منه لايحتمله فيقول : واللهِ ماكان هذا ، واللهِ ماكان هذا ، والانكار هو الكفر) (١)

بل إن الكليني يذكر رواية أخرى أشد منها وأخطر فلنستمع إليها :

روى الكليني بسنده عن محمد بن عبد الخالق وأبي بصير قال :

(قال أبو عبد الله ـ ع ـ : ياأبا محمد إن عندنا واللهِ سراً من سر الله ، وعلماً من علم الله والله مايحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للايمان ، والله ماكلَّف الله ذلك أحداً غيرنا) (٢) !!

فاذا كان أمر هؤلاء يثقل حتى على الانبياء والمرسلين والملائكة فما هو هذا العلم ومن الذى أوصل هذه العقيدة اليهم ؟!

إن هذا اعتراف خطير بأن ماعندهم من أسرار وعقائد لاصلة له أبداً بالدين الحق الذي نزل به أمين الوحي جبريل عليه السلام على الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم والذى أحيىٰ الله به القلوب وشرح به الصدور وأنار به العقول .

الدين الحق لاغموض فيه ولاأسرار ، بل هو دين الفطرة السليمة والطباع المستقيمة وقد أنزله الله لهداية جميع البشر ولم ينزله لطائفة خاصة ممن تتحمله عقولهم

واذا كان حديث الشيعة صعب مستصعب فدين الله يسر لاصعوبة فيه ولا تعقيد قال تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) (٣)

وقال سبحانه (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) (٤)

---

(١) الاصول من الكافى ـ باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب ١/ ٤٠١

(٢) المرجع السابق ١/ ٤٠٢

(٣) سورة البقرة / آيه ١٨٥

(٤) سورة الحج / آيه ٧٨

وقال عز وجل مخبراً عن حقيقة هذا الدين وموافقته للفطرة :

(فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (١)

والفرق المنحرفة عن هذا الدين الحق يشملهم قوله سبحانه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) لأنهم أبوا إلا مناهضة الفطرة ومخالفة العقول بما نسبوه لهذا الدين من عقائد وضلالات تشمئز منها النفوس وتنفر منها القلوب .

وقد اعترف المجلسي بذلك فأورد الرواية التالية :

(إن حديثنا تشمئز منه القلوب ، فمن عرف فزيدوهم ، ومن أنكر فذروهم) (٢)

وهذا يذكّرنا بقوله تعالى : (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون) (٣)

فالقلوب لا تشمئز الا فى إحدى حالتين :

ـ إذا كانت كافرة وذُكر أمامها الحق

ـ أو كانت مؤمنة وذكر أمامها الباطل

وقد شهد المجلسى على نفسه بأن عقائدهم تشمئز منها القلوب ، فليختر لنفسه إحدى الحالتين السابقتين .

لأن الدين الحق تميل إليه النفوس المؤمنة وتجد سكينتها وراحتها فى تعاليمه وهو مُعلَن أمام كل الناس لمن يرغب الاستنارة بهديه ، وليس فيه سر وعلن ، وظاهر وباطن .

ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك) (٤)

ولكن الفرق الضالة تخفي عقائدها وتُحيلها الى أسرار وألغاز ، وهذا الكتمان يفعله كل من يدرك أن عقائده مليئة بالتناقضات والمنفرات ، فيحاول إخفاء حقيقتها ، وتغطيتها بأقنعة برّاقة ، حتى إذا أَنِسَ المغرورون بها واطمأنوا إليها ووثقوا بمروّجيها الثقة العمياء لم يضر بعد ذلك لو عرفوا حقيقتها .

---

(١) سورة الروم / آية ٣٠
(٢) بحار الانوار للمجلسي ٢/١٩٢ نقلا عن رسالة التقريب للقفارى ص/٣٠٧
(٣) سورة الزمر / آية ٤٥
(٤) رواه الامام أحمد عن العرباض بن سارية (مسند الامام أحمد ٤/١٢٦)
وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب ١/٨٨ .

فالحق أبلج ، والباطل لجلج ، ووضوحُ الحق دليلُ صدقه ، وغموض الباطل وتستره دليلُ تزعزعه حتى فى نفوس أصحابه ، إذ لو كان فى قلوبهم يقيناً لما تحرَّجوا من إظهاره .

ـ ولننتقل بالقارئ إلى رواية أخرى من رواياتهم فى هذا المجال :

فقد روى الكليني بسنده (عن مسعدة بن صدقة عن أبى عبد الله ـ ع ـ قال : ذكرت التقية يوماً عند علي بن الحسين ـ ع ـ فقال :

والله لوعلم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله ، ولقد آخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما ، فما ظنكم بسائر الخلق ، إن علم العلماء صعب مستصعب . . . .

إلى أن قال : وإنما صار سلمان من العلماء لأنه امرؤ منا أهل البيت . .) !! (١)

وما هذه الرواية المنكَرة إلا محاولة من الشيعة لتلبس الأدلة التى تصبغ تقيتهم بالصبغة الشرعية وتجعل لها أصولاً وقواعد تطبيقية منذ صدر الاسلام .

فكأنهم يريدون أن يقولوا إن فى قلب سلمان رضى الله عنه إيماناً يختلف عن الايمان الذي في قلب أبي ذر رضي الله عنه ، وهذا الاختلاف كبير لدرجة تدعو الى أن يقتل أبو ذر سلمان رضى الله عنهما إنكاراً لما يعتقده ، أو حسداً لما يحمله فى قلبه من علم ومعرفة وأسرار ليست عند أبي ذر رضى الله عنه !! وهذا العمل لايُقدم عليه مسلم .

وكأنهم بذلك يجيزون على هؤلاء الصحابة أفعالا لاتصدر من أي مسلم ، وخاصة أن أبا ذر وسلمان كليهما لايطعن الشيعة فيهما ، بل يعدونهما من شيعة علي وأتباعه ، (٢) وهذا يدل على أن مذهبهم يؤدي بهم الى التطاول على جميع الصحابة بلا استثناء .

والدكتور الشيبي يعقد صلة بين النزعات الصوفيه المغالية والفكر الشيعي مستدلاً بفكرة كتمان الأسرار التى توجد عند الطرفين

---

(١) الأصول فن الكافى ١/ ٤٠١

ومع ورود هذه الرواية فى أصح كتبهم وهو الكافي نجد أحد علمائهم المعاصرين وهو : (محسن الأمين) يحاول التملص من نسبتها إليهم، ثم يجد المبررات بأن هذا الكلام يُحمل على تفاوت درجات الايمان والمعرفة !! (راجع : الشيعة بين الحقائق والأوهام ص/ ١٢١)

(٢) راجع : موقف الشيعة من الصحابة الكرام ص/ ٩٩ من هذا البحث

ويشير الى أحد الشخصيات الشيعية وهو (رضي الدين علي بن طاووس) الذى ناقض الشيخ المفيد فى إخراجه (محمد بن سنان) الغالي من التشيع المعتدل ، ودافع عن الغلاة مدعياً أن الأئمة لشدة اختصاصهم بهؤلاء الغلاة أطلعوهم على الأسرار المصونه عن الأغيار، وخاطبوهم بما لا يحتمله أكثر الشيعة[(١)]

وهكذا نجد أن الداعي إلى التقية فى هذا المجال هو خشية خاصة الشيعة من افتضاح أمرهم وانكشاف حقيقة عقائدهم التي يحرصون على إبرازها للآخرين مغطاة بأثواب الخداع والتدليس .

فالهدف من التقية هنا صيانة التشيع أولاً وهذا أهم عندهم من صيانة النفوس لأن أسرار التشيع لو انكشفت فهذا إيذان بانهيار بنيانه وتفرق الجموع من حوله .

---

(١) طرائق الحقائق لمعصوم الشيرازي ١١٦/١ نقلا عن : الفكر الشيعي لكامل الشيبي ص/ ١١٢

المبحث الثاني

تمسك الشيعة بالتقية لإخفاء قولهم بتحريف القرآن الكريم

البحث فى هذا الموضوع هو البحث فى الاصل الاول لجميع المسلمين ، والمصدر الاساسى لهذا الدين الخالد ، وكلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وقد تكفّل الله سبحانه بحفظه من كل تحريف أو تغيير، وسلامته من أى نقص أو زيادة فقال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) (١) .

وقال سبحانه : (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (٢) .

وقال عز وجل مبيناً لأهمية هذا الكتاب المجيد وأنه الحق من عند الله لا ريب فيه :(آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) (٣) .

وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتمسك به والاعتصام بهديه

فقال صلى الله عليه وسلم : (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة نبيه) (٤) .

ومهما حاول البشر أن يأتوا بمثل هذا القرآن فلن يستطيعوا ولو اجتمعوا وتعاضدوا .

قال تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) (٥) .

ولذلك أجمعت الأمة على أن القرآن الكريم محفوظ بعناية الله لن يناله أي تحريف وأن من حاول أن يغيّر فيه شيئاً فلا بد أن تبوء محاولته بالفشل .

ويصدّقه هذا الواقع المشاهد ، فالقرآن الكريم من شرق الأرض الى غربها محفوظ بعناية الله كلماته وحروفه .

ومن ادعى ان القرآن الكريم قد دخله أيُ تحريف بزيادة أو نقصان ، فهو كافر لأنه يناقض صريح القرآن الكريم وينكر معلوماً من الدين بالضرورة . (٦)

---

(١) سورة الحجر / آية ٩ .

(٢) سورة فصلت / آية ٤١ - ٤٢ .

(٣) سورة البقرة / آية ١ - ٢ .

(٤) رواه مالك في الموطأ ٨٩٩/٢ في كتاب القدر [باب النهي عن القول بالقدر حديث (٢)] بسند حسن (راجع : جامع الأصول لابن الاثير بتحقيق عبد القادر الارناؤوط ٢٧٧/١) .

(٥) سورة الاسراء / آية ٨٨

(٦) راجع : الفصل في الملل والاهواء والنحل لابن حزم ١٨٢/٤ ، الصارم المسلول =

قال الامام ابن تيمية رحمه الله : (من زعم ان القرآن نقص منه آيات وكتمت ، أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الاعمال المشروعة ونحو ذلك . . لا خلاف في كفرهم)[1]

ولقد برز اهتمام المسلمين بالقرآن الكريم واعتزازهم به منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام ومن بعدهم فسادوا العالم وقادوه الى الخير.

وأعداء الاسلام يعلمون أن تمسك المسلمين بكتابهم هو طريق عزتهم وسيادتهم ولذلك حاولوا ان ينالوا منه ويزعزعوا ثقة المسلمين به ، وما تركوا وسيلة تمكنهم من ذلك الا سلكوها .

ومن ذلك أنهم استغلوا بعض الفرق المنحرفة عن الاسلام ليبثوا عن طريقها سمومهم وأحقادهم ومن هنا ظهر القول بتحريف القرآن الكريم بين صفوف الشيعة مستغلين بذلك عقيدتهم في الامامة والنص على علي رضي الله عنه .

فالشيعة الامامية زعموا لتثبيت معتقدهم في الامامة أن القرآن جله أو كله وارد في أئمتهم والاعلان بهم والأمر بموافقتهم والنهي عن مخالفتهم.[2] وأخذوا ينزلون نصوص القرآن الكريم على ماقرروه ، ولكنهم وجدوا مع هذا أن القرآن الكريم لم يأت بشيء من ذلك صريحا ولم تنص آية واحدة منه بصراحة على الوصاية لعلي والنص عليه وعلى الائمة من بعده فكيف يكون القرآن جله أو كله وارداً في شأن الائمة وشيعتهم وليس فيه شيء صريح من ذلك ؟

ومن هنا وجدوا ان القول بتحريف القرآن وتبديله هو الطريق لتخلصهم من هذا التناقض. فادعوا أن القرآن الصحيح هو الذى جمعه علي رضي الله عنه وتوارثه الأئمة

= على شاتم الرسول لابن تيمية ص / ٥٨٦ ، القوانين الفقهيه لابن جزي ص/ ٣٧٠ السيف الباتر لأقارب الشيعة الرافضة الكوافر ـ لعلي بن أحمد الهيتمي ص/ ٣١٠ - ٣١١ ، رسالة فى الرد على الرافضة لابن عبد الوهاب ص / ١٥ .

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم ص / ٥٨٦ ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب - ١٤٠٣ هـ.

(٢) انظر : الروضة من الكافي ص/ ٣٦

من بعده ، أما ماعداه فمحرف ومبدل . .

ووجدت هذه الفرية مكانها في الفكر الشيعي حتى سيطرت عليه منذ بواكيره وبدأت تنمو جيلا بعد جيل مقنعة بستار التقية .

وانتشر بين صفوفهم الادعاء بأن القرآن الكريم ليس هو مابين أيدى المسلمين لأنه قد دخله التحريف والنقص وأن الصحابة رضي الله عنهم بدلوا وغيروا . .

وهذه الخرافة لم يقل بها أفراد قلائل منهم وانما كانت منتشرة بين عامة علمائهم ومراجعهم الدينية على مر العصور ومدعمة بالروايات المنسوبة كذباً لأئمة أهل البيت.

بل لقد اتفقت كلمة علمائهم قبل ابن بابويه القمي (الذى يلقبونه بالصدوق) على القول بهذه الخرافة وتسطيرها في كتبهم بكل صراحة ووقاحة مما يدل على حقيقة هؤلاء ونواياهم.

ولنبدأ بالكليني[1] - (ت ٣٢٩هـ) صاحب كتاب الكافي . والذى قالوا عنه : (ثقة الاسلام ، قدوة الأعلام والبدر التمام ، جامع السنن والآثار فى حضور سفراء الامام عليه أفضل السلام . . محيي طريقة أهل البيت على رأس المائة الثالثة ، المؤلف لجامع الكافي فى مدة عشرين سنة ، المتوفى قبل وقوع الغيبة الكبرى[2] ، رضى الله عنه

---

(١) سبقت ترجمته ص / ٢١٢ من هذا البحث.
ونضيف هنا نبذة أخرى من ثنائهم عليه وتوثيقهم له . فقد قال فيه الخونسارى: (انه امين الاسلام . . دليل الأعلام . . جليل مقدام ، ليس في وثاقته لأحد كلام ، ولا في مكانته عند أئمة الانام) . روضات الجنات ٦ / ١١٢ .

(٢) يزعم الشيعة الامامية أن امامهم الثانى عشر محمد بن الحسن غاب غيبته الصغرى وعمره خمس سنوات سنة ٢٦٠هـ ولم يعد يظهر الا لنوابه ، ثم غاب غيبته الكبرى التى انقطع فيها عن الظهور سنة ٣٢٩هـ.
(راجع : كشف الاستار عن وجه الغائب عن الابصار / للميرزا حسين النورى الطبرسى) .

في الآخرة والأولى ، وكتابه مستغن عن الاطراء) [١] ، وقد عرض بزعمهم على امامهم الغائب فاستحسنه وقال : كاف لشيعتنا [٢]

ولا نجد واحدا من علمائهم قديما أو حديثا الا ويثني عليه ويحشد في ذلك كل مايمكنه حشده من أوصاف المدح والتبجيل والتعظيم مما يضيق المجال عن ذكره ، ويكفي أن كتابه الكافي يعتبر عندهم بمثابة صحيح البخارى عند أهل السنة بل ان له تميزا لاستحسان وتوثيق الامام الغائب - المزعوم - له وثنائه عليه ، وبذلك أصبح - كما يقولون - القطب الذى عليه مدار روايات الثقات المعروفين بالضبط والاتقان ، وقد انتهت الى الكليني رئاسة فقهاء الامامية في أيام المقتدر.

ويكفينا هنا ان نختار القول التالي من بين مئات أقوال الثناء التي يصبونها جزافا على الكليني فقد قال عنه رضي الدين ابن طاوس :

(الشيخ المتفق على ثقته وأمانته .. أبلغ فيما يرويه ، وأصدق في الدراية) [٣].

والآن وبعد أن عرف القارئ مكانة هذا الرجل وأهمية كتابه بين الشيعة ما علينا الا أن نلقي نظرة متجردة في صفحات ذلك الكتاب.

وأبرز مايطالعنا الباب التالي الذى جعله بعنوان :

(باب : انه لم يجمع القرآن كله الا الائمة) وذكر فيه ست روايات ادعى نسبتها للباقر والصادق وغيرهما .. أبرزها الرواية التالية :

- عن جابر قال : سمعت أبا جعفر - الباقر - يقول :

(ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل الا كذاب ، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى الا علي بن أبى طالب - ع - والائمة من بعده - ع -) [٤].

فالقرآن الكريم الذى جمعه الصحابة رضي الله عنهم بأمر أبي بكر رضي الله عنه لا يعترف به الكليني وأمثاله بل يعدونه ناقصا لأنه لم يصرح بأسماء أئمتهم ولم ينص

---

(١) روضات الجنات للخونساري ٦ / ١١٦ ، ومقدمة الكافي ص / ١٣ - ١٤.

(٢) مقدمة أصول الكافي ص / ٢٥.

(٣) مقدمة الكافي ص / ٢٠.

(٤) الاصول من الكافي ١ / ٢٢٨ .

على ماعندهم من عقائد منحرفة .

وفي المجلد الثاني من الكافي نجد عشرات الروايات المصرحة بهذه الفرية أبرزها الروايات التالية :

- (عن محمد بن سليمان عن بعض أصحابه عن أبي الحسن - ع - قال : قلت له : جعلت فداك انا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم ، فهل نأثم ؟ فقال : لا ، اقرؤوا كما تعلمتم فسيجيئكم من يعلمكم) (١)

فالأئمة - في زعم الكليني - كانوا يعلمون اتباعهم آيات من القرآن ليست موجودة في المصحف الذي بين يدي المسلمين ، ولكنهم كانوا يأمرونهم بالاكتفاء بقراءة المصحف الموجود دون زيادة عليه ماداموا في دار التقية قبل قيام قائمهم الذي سيحمل معه قرآنهم المزعوم ويظهره للناس.

والرواية الثانية من الكافي تزيد الأمر وضوحا وتفصح عن وجود مصحف عندهم يخالف مصحف المسلمين :(عن سالم بن سلمة قال : قرأ رجل علي أبي عبد الله - ع - وأنا استمع حروفا من القرآن ليس على مايقرؤها الناس ، فقال أبوعبد الله - ع - كف عن هذه القراءة اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم ، فاذا قام القائم - ع - قرأ كتاب الله عز وجل على حده ، وأخرج المصحف الذي كتبه عليّ - ع - وقال : أخرجه علي - ع - الى الناس حين فرغ منه وكتبه فقال لهم : هذا كتاب الله عز وجل كما أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم وقد جمعته من اللوحين فقالوا : هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه ، فقال : أما والله ماترونه بعد يومكم هذا أبدا ، إنما كان علي أن أخبركم حين جمعته لتقرؤوه) (٢) .

ويدل هذا النص على أن الكليني يزعم أن هناك قرآن آخر لا يوجد عند الناس

---

(١) الاصول من الكافي ٢/٦١٩ .
(٢) المرجع السابق ٢/٦٣٣ .

لكنه محفوظ عند أئمتهم وأن هذا القرآن كان بعض خواصهم يطلعون عليه ويقرأون فيه وأن الذى جمعه كما يزعمون هو علي رضي الله عنه ويختلف عن القرآن الذى جمعه الصحابة الكرام برئاسة أبى بكر رضي الله عنه وأن قرآنهم المزعوم سيخرجه الامام الغائب للناس بعد عودته من غيبته .

كل هذه الأوهام توجد في عقل الكلينى وأمثاله من شيوخ الشيعة وقد سطروها في كتبهم ونسبوها الى أئمة أهل البيت الأطهار ، مع أن القرآن الكريم كتاب هداية للناس أجمعين ، فكيف يهتدى به الناس اذا كان مخفيا عند امامهم ، وما فائدة نزوله ؟ .

ولننتقل مع الكلينى الى رواية أخرى من رواياته المزعومة :

- (عن أبى عبد الله - ع - قال : ان القرآن الذى جاء به جبريل عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم سبعة عشر ألف آية) .(١)

أى أن القرآن الموجود بين يدى المسلمين قد حذف منه قريبا من ثلثيه لأن آياته كما هو معلوم ستة آلاف ومائتان وثلاث وستون آية .

فالحذف الذى يتصوره الكلينى وأمثاله ليس في بعض آيات القرآن الكريم بل في معظمه والذى يدعون حذفه هو مايبينه الكليني في الرواية التالية المنسوبة كذبا الى الامام علي رضي الله عنه (عن الأصبغ بن نباته قال : سمعت أمير المؤمنين - ع - يقول :

نزل القرآن أثلاثا : ثلث فينا وفى عدونا ، وثلث سنن وأمثال ، وثلث فرائض وأحكام)(٢) بل انه أورد رواية أخرى زعم نسبتها للامام الباقر وهي :

(عن ابى جعفر - ع - قال : نزل القرآن أربعة أرباع : ربع فينا ، وربع في عدونا وربع سنن وأمثال ، وربع فرائض وأحكام) .(٣)

---

(١) الاصول من الكافى ٢ / ٦٣٤ .

(٢) المرجع السابق ٢ / ٦٢٧ .

(٣) نفسه ٢ / ٦٢٨ .

واذا تذكرنا أنهم يقصدون بعدٍّ وهم أجلاء الصحابة رضى الله عنهم الذين حملوا راية الاسلام وضحوا في سبيله فانظر الى قرآنهم المزعوم هذا الذى حوى هـــذه الاباطيل ، وليس في أثلاثه أو أرباعه أى اشارة الى التوحيد الذى يملأ سور القرآن .

وقد ذكر الكليني فى رواياته بعض الأمثلة لما هو في قرآنهم من ألفاظ ما أنزل الله بها من سلطان (عن عبد الله بن سنان عن أبى عبد الله - ع - فى قوله : ولقد عهدنا الى آدم من قبل كلمات في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والائمة عليهم السلام من ذريتهم فنسي . هكذا والله نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم) .(١)

وروى أيضا (عن أحمد بن محمد بن أبى نصر قال : دفع الى أبوالحسن - ع - مصحفا وقال : لا تنظر فيه ، ففتحته وقرأت فيه " لم يكن الذين كفروا " فوجدت فيها اسم سبعين رجلا من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم . قال : فبعث اليّ : ابعث إليّ بالمصحف) .(٢)

فالكتاب الذى يزعمون أنه القرآن فيه ذكر لأسماء أئمتهم وفضح لأعدائهم

بل إن الكثير من آيات القرآن الكريم التى نزلت فى الكفار أو المنافقين تزيد عليها رواياتهم بعض الألفاظ والأسماء لتكون خاصة بالشيخين أبى بكر وعمر وأجلاء الصحابة الذين ينقم الشيعة عليهم لأنهم حطموا عروش أسلافهم من الفرس .(٣)

ولو أن الكليني وحده هو القائل بهذه الخرافة لكان ذلك أكبر وصمة عار للشيعة لعظيم منزلته عند هم وثقتهم بكتابه وتوثيق غائبهم له .

لكن ليس الكليني منفردا فى هذه المزاعم بل لقد سبقه الى ذلك علماء آخرون من الشيعة وجاء بعده الكثيرون بل ان معظم من جاء بعده تمسك بهذه الفرية ودافع عنها .

---

(١) الاصول من الكافى ١/ ١٦٠ .

(٢) نفسه ٢/ ٦٣١ .

(٣) سوف نتحدث في أواخر هذا البحث عن موقف الشيعة من الصحابة الكـــرام . راجع ص / ٣٩٩

- وأبرز من سبق الكليني الى ذلك شيخه علي بن ابراهيم القمي [1] (توفي بعد ٣٠٧هـ) في تفسيره الذي أورد فيه نماذج لما في أذهان القوم من تخيلات وافتراءات على القرآن الكريم فقال : (وأما ما هو محرّف ، فهو قوله " لكن الله يشهد بما أنزل اليك / في عليّ / أنزله بعلمه والملائكة يشهدون " وقوله : " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك / في علي / وان لم تفعل فما بلغت رسالته " وقوله : " ان الذين كفروا وظلموا / آل محمد حقهم / لم يكن الله ليغفر لهم " . . .) [2] الى غير ذلك من الخبط والضلال والافتراء على الله عز وجل .

وكأن القرآن الكريم لم ينزل الا لرفع مكانة علي رضي الله عنه وتبليغ وصايته وامامته للخلق .

- وممن سبق الكليني الى هذه المزاعم : محمد بن الحسن بن فروخ الصفار [3]

---

(١) هو أبو الحسن علي بن ابراهيم القمي شيخ مشائخ الشيعة في الحديث وفي التفسير ، ويعد الكليني تلميذا له . وقد قال عنه النجاشي : (ص ١٨٣) : " ثقة في الحديث ، ثبت معتمد صحيح المذهب ، سمع فأكثر " وقال عباس القمي في الكنى والألقاب (٣/ ٦٨) : " هو من أجل رواة أصحابنا ، ويروي عنه مشايخ أهل الحديث ، ولم نقف على تاريخ وفاته الا أنه كان حيا في سنة ٣٠٧هـ "

(٢) نقل ذلك عنه المفسر الشيعي في تفسيره البرهان / ص / ٣١ - ٣٤ تحت عنوان (باب فيما ذكره الشيخ علي بن ابراهيم في مطلع تفسيره) وراجع تفسير القمي ١٠/١ نقلا عن : الشيعة وتحريف القرآن لمحمد مال الله ص / ٥٩ ، والشيعة والقرآن لاحسان الهي ظهير ص / ٣٥ - ٣٦ .

(٣) يقولون عنه انه ثقة عظيم القدر راجحا قليل السقط في الرواية ، ومن أعاظم المحدثين والعلماء ، ويذكرون له من المؤلفات حوالى ٣٨ كتابا ، أبرزها كتابه (بصائر الدرجات) المكون من عشرة أجزاء طبعت في ايران بمجلد واحد كبير - وقد اعتمد من جاء بعد الصفار على رواياته فمنهم من روى عنه مباشرة كالكليني ومنهم من روى عنه بالواسطة كالصدوق والطوسي ، وكل هذا يدل على توثيقهم له وثقتهم بما عنده ، توفي في قم سنة ٢٩٠هـ . راجع مقدمة =

(ت ٢٩٠) الذى يقولون انه من أصحاب الامام الحسن العسكرى [١] - الامام الحادى عشر عندهم - فقد أورد فى كتابه (بصائر الدرجات) عدة روايات تفصح عن اعتقاده بتحريف القرآن منها (عن جابر قال : قال ابوجعفر - ع - : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بمنى فقال : يا أيها الناس انى تارك فيكم حرمات الله كتاب الله وعترتي والكعبة البيت الحرام. ثم قال ابوجعفر : أما كتاب الله فحرفوا ، وأما الكعبة فهدموا ، وأما العترة فقتلوا وكل ودايع الله فقد تبرؤا) [٢]

- ومن طبقة الكليني : فرات بن ابراهيم الكوفي [٣] (توفى فى أوائل القرن الرابع) وقد سرد فى تفسيره روايات كثيرة تدل على اعتقاده بهذه المزاعم حول القرآن الكريم.

- وكذلك : محمد بن مسعود العياشى السلمي [٤] (ت ٣٢٠هـ) الذى يعدونه أكبر أهل المشرق علما وفضلا فى زمانه وأوحد دهره فى غزارة العلم. نجده أيضا يصر

= بصائر الدرجات ص ٥ - ١٩. وراجع : رجال النجاشي ص / ٢٥١ ، الكنى والالقاب ٢ / ٣٧٩.

(١) رجال الطوسي ص / ٤٣٦.

(٢) بصائر الدرجات ص / ٤٣٣ - ٤٣٤ بتعليق الحاج ميرزا محسن (كوجه باغي) منشورات مؤسسة الأعلمي - طهران.

(٣) قال عنه الخوانسارى في روضات الجنات (٥ / ٣٥٣ - ٣٥٤) : " فرات بن ابراهيم . المحدث العميد والمفسر الحميد ، صاحب كتاب التفسير الكبير. . . وهو مذكور فى عداد تفسيرى العياشي وعلى بن ابراهيم القمي " ويروى هذا التفسير عن فرات والد الشيخ الصدوق المتوفى (٣٢٩هـ) .

(٤) يقولون عن العياشي انه ثقة صدوق عين من عيون الطائفة بصير بالرواية مضطلع بها ، وهو من أهل سمرقند له كتب كثيرة تزيد على مئتى مصنف ذكر معظمها ابن النديم فى الفهرست ، وقد كانت داره مرتعا للشيعة ، وهو أحد شيوخ الكشي صاحب كتاب الرجال المشهور الذى هذبه الطوسى (راجع : الفهرست لابن النديم ص / ٢٧٥ ، الكنى والالقاب ٢ / ٤٤٩ ، روضات الجنات ٦ / ١٢٩ ، جامع الرواة ٢ / ١٩٢ ، الأعلام ٧ / ٩٥.

فى تفسيره على ابراز هذه الأباطيل وتدعيمها بالروايات المكذوبة .[١]

- وكذلك : أبو القاسم الكوفى[٢] (ت ٣٥٢ هـ) فقد ذكر فى كتابه (الاغاثة فى بدع الثلاثة) ما يؤكد اعتقاده الصريح بتحريف القرآن الكريم .[٣]

ويقصد بالثلاثة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وقد وصفهم بأوصاف لا تليق بمسلم وهذا ما سنتعرض له بتفصيل أكثر عند الحديث عن موقف الشيعة من الصحابة الكرام رضى الله عنهم . فأبرز من روج لهذه الفرية من علماء الشيعة وسطرها فى كتبه هم :

الكلينى - على القمى - الصفار - فرات الكوفى - العياشى - أبو القاسم الكوفى ، وبعد هؤلاء نرى أن علماء الشيعة راحوا يتناقلون هذه الضلالات جيلا بعد جيل وكثر عدد المدافعين عنها حتى كادت كلمتهم تتفق عليها وأصبحت ضرورة من ضرورات التشيع واذا كنا فى هذه العجالة لا نستطيع أن نحصر أسماء علماء الشيعة الذين جاؤوا بعد هؤلاء الستة المعتقدين لهذه الفرية فاننا نذكر أبرزهم باجمال وهم :

- الشيخ المفيد[٤] (ت ٤١٣ هـ) والذى يعدونه

---

(١) ذكر كثيرا من رواياته البحرانى فى تفسير البرهان ١ / ٢١ والفيض الكاشانى فى تفسير الصافى ١ / ١٤ ونقل بعضا منها عن تفسير العياشى مباشرة احسان الهى ظهير فى كتابه : الشيعة والقرآن ص ٣٨ نقلا عن تفسير العياشى ج ١ ص ٩ - ١٣ .

(٢) هو أبو القاسم على بن أحمد بن موسى الكوفى ، أثنى عليه علماء الشيعة ومنهم الطوسى فى فهرسة حيث قال (كان اماميا مستقيم الطريقة وصنف كتبا كثيرة سديدة) وقد ذكر النجاشى فى رجاله (ص ١٨٨) العديد من كتبه ومؤلفاته .

(٣) راجع ص / ٢٥ من كتابه الاغاثة . وقد نقل بعضا منها محمد مال الله فى كتابه (الشيعة وتحريف القرآن) ص / ٦٥ .

(٤) سبقت ترجمته ص / ٢١٨ من هذا البحث

واسمه محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد ومن أشهر تلامذته =

مجدد القرن الخامس [١] والذى انتهت اليه رئاسة الامامية فى وقته ويقولون انـــه أوثق أهل زمانه بالحديث وأعرفهم بالفقه والكلام وكل من تأخر عنه استفاد منه [٢].

قال هذا الشيخ :

(اتفقوا ـ أى الامامية ـ على أن أئمة الضلال [٣] خالفوا فى كثير من تحريـــف القرآن ، وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبى صلى الله عليه وسلم) [٤] .

وقال أيضا فى رسائله ردا على سؤال : هل القرآن هو مابين الدفتين ؟

فأجاب : (لا شك أن ما بين الدفتين من القرآن كلام الله تعالى وتنزيله ، وليس فيه شئ من كلام البشر ، وهو جمهور المنزل ، والباقى مما أنزل الله تعالـــى عند المستحفظ للشريعة ـ أى الامام الغائب ـ) فالتحريف الذي يزعمه هو بالنقصان فقط

ثم قال : (فلذلك قال مولانا الصادق عليه السلام : " أما والله لو قرئ القرآن كمـا نزل لألفيتمونا فيه مسمون كما سمى من كان قبلنا " . . .

غير أن الخبر قد صح عن أئمتنا أنهم أمروا بقراءة ما بين الدفتين وأن لا يتعداه الى زيادة ولا نقصان منه حتى يقوم القائم عليه السلام فيقرأ القـــرآن على ما أنزل الله عز وجل وجمعه أمير المؤمنين) [٥]

وفى كتاب آخر لشيخهم المفيد وهو (الارشاد) نجد رواية خطيرة ينسبها الـــى أحد ائمتهم تدعو الى اهمال حفظ القرآن الكريم لأنه محرف يصعب حفظه (روى جابر عن أبى جعفر ـ ع ـ أنه قال : اذا قام قائم آل محمد صلى الله عليه وسلم ضـــــرب فساطيط ، ويعلم الناس القرآن على ما أنزل الله عز وجل ، فأصعب ما يكون على مـن حفظه اليوم لأنه يخالف فيه التأليف) [٦]

= الشريف المرضى والمرتضى والطوسى وغيرهم .

(١) ذكر ذلك المعلق على اللمعة الدمشقية السيد محمد كلانتر ١/٥٦ .

(٢) الكنى والألقاب لعباس القمى ٣/١٦٤ .

(٣) يقصد بذلك الصحابة الكرام وخاصة الخلفاء الراشدين الثلاثة .

(٤) أوائل المقالات للمفيد ص/ ١٣ وراجع ص/ ٥٤ - ٥٥ .

(٥) رسائل الشيخ المفيد ص/ ٥٩ - ٦٠ .

(٦) الارشاد ص/ ٣٦٥ .

وهذا الكلام الخطير الداعي الى هجر القرآن الكريم ينقله شيخهم المسمى عندهم بالمفيد والذى يقولون ان امامهم الغائب خاطبه بالأخ السديد والمولى الرشيد والناصر للحق الداعي اليه بكلمة الصدق .. ويقولون عنه أيضا انه فوق مستوى البشر بعد الائمة المعصومين (١). ومع كل هذه الشهرة وهذا المقام للمفيد عندهم فان كتابه الارشاد الذى يحوى هذه الافتراءات اكثر شهرة من مؤلفه ـ كما يقول المجلسي ـ (٢).

ـ أبو منصور الطبرسي (٣) (توفى في القرن السادس) صاحب كتاب الاحتجاج الذى امتلأ بالأوهام والافتراءات على الصحابة الكرام ومن جملتها أنهم رضى الله عنهم ردوا القرآن الذى جمعه علي لأنه يحمل فضائحهم ، وتواطأوا على تأليف قرآن يسقطون فيه تلك الفضائح وخططوا لقتل علي والتخلص منه (٤). الى غير ذلك من الأوهام .

---

(١) مقدمة الارشاد ص/ ٦ .

(٢) بحار الأنوار ١/ ٢٧ نقلا عن : فكرة التقريب للغفارى ص/ ١٨٧ .

(٣) هو أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي ، أبو منصور ، لم تحدد المصادر سنة ولادته ولا وفاته لكنه ممن أدرك أوائل القرن السادس للهجرة . قال عنه الحر العاملي في أمل الآمل (٢/ ١٧) : انه عالم فقيه فاضل محدث ثقة ، له كتاب الاحتجاج على أهل اللجاج ، حسن كثير الفوائد ". وقد اشتبه على كثير من كتاب التراجم التمييز بينه وبين أبي علي الطبرسي صاحب (تفسير مجمع البيان) وسبب الاشتباه اشتراكهما في عصر واحد ولقب واحد ، وقد نبه على ذلك الخوانساري في روضات الجنات (١/ ١٩) كما ذكر المعلق على الاحتجاج أسماء سبعة من علماء الشيعة يشتركون بهذا اللقب (الطبراسي) آخرهم الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي صاحب كتاب (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب) والذى سنتحدث عنه بالتفصيل . راجع : مقدمة الاحتجاج لمحمد السيد بحر العلوم .

(٤) الاحتجاج ١/ ٢٢٤ وراجع أيضا ١/ ٢٢٢ وكذلك ١/ ٣٧٠ ومواضع كثيرة أخرى جمعها محمد مال الله في كتابه (الشيعة وتحريف القرآن) ص/ ٧١ ـ ٧٩ ولم نذكرها هنا خشية الاطالة ، ولأنها سفاسف لا يلتفت اليها . =

وبعد أن يسود عشرات الصفحات بهذه الأباطيل يقف غيورا على الاسلام فيقول :

(وليس يسوغ مع عموم التقية التصريح بأسماء المبدلين ، ولا الزيادة فى آياته على ما أثبتوه من تلقائهم فى الكتاب ، لما فى ذلك من تقوية حجج أهل التعطيل والكفر ، والملل المنحرفة عن قبلتنا . . ولأن أهل الباطل فى القديم والحديث اكثر عددا من أهل الحق ، ولأن الصبر على ولاة الأمر مفروض . . فحسبك من الجواب عن هذا الموضع ما سميت فان شريعة التقية تحظر التصريح بأكثر منه)[1]

ثم يقول (ولو شرحت لك كل ما أسقط وحرف وبدل وما يجرى فى هذا المجال لطال ، وظهر ما تحظر التقية اظهاره من مناقب الأولياء ومثالب الأعداء)[2]

فالقصص التى ملأبها مئات الصفحات من كتابه باسلوب خرافى سمج كلها فى نظره قطرة من بحر علمه المتضارب . . ولذلك أخفى باقى علومه تقية ، لأن للتقية ، عنده وعند أمثاله شريعة ونظاما ينبغى الوقوف عندها عندما تتعرض عقائد الشيعة للخطر .

ومع أن معظم ما ذكره من قصص وأوهام مرسل لا سند له وهذا يكفى للطعن فى كتابه لكن علماء الشيعة الذين نال إعجابهم هذا المصنف الفريد دبروا لذلك المبررات . فقد قال مقدمة السيد بحر العلوم :

(ان الكتاب بمجموعه موضع اعتماد الأعلام والباحثين ، بالرغم من أن أكثر أحاديثه مراسيل الا أن الثقة الكبيرة التى يتمتع بها مؤلف الكتاب ، زرعت فى نفوس المؤلفين الاعتماد عليه والنقل عنه دون تمحيص وتحقيق وتدقيق فى إسناد الأخبار والأحاديث)[3] .

فالكتاب إذاً حجة عند الشيعة بل إنه عندهم بمنزلة الصدارة لما فيه من أقوال تؤيد عقائدهم ، وهى فى الواقع جرأة على الاسلام والقرآن وحملته الأولون الى درجة لا يمكن لعدو مجاهر بعداوته للاسلام أن يصل لمثلها .

= وراجع كذلك الشيعة والقرآن لاحسان الهى ظهير ص/ ٥٢ - ٥٧ .

(١) الاحتجاج ١ / ٣٧١ .

(٢) المرجع السابق ١ / ٣٧٧ .

(٣) مقدمة الاحتجاج / صفحة : و - ز .

- ثم جاء الأردبيلي [١] (ت ٩٩٣ هـ) فردد مفتريات سابقيه في كتابه (حديقة الشيعة) [٢] .

- وجاء بعده مفسر الشيعة المعروف الفيض الكاشاني [٣] فأطال الحديث في مقدمة تفسيره (الصافي) عن هذه الأباطيل وحشر كثيرا من الروايات المزعومة للاستدلال على عقيدتهم في تحريف القرآن وأن الصحابة حذفوا مناقب أهل البيت منه . ثم قال بعد كلام طويل :

(يستفاد من جميع هذه الأخبار . . أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله ، ومنه ما هو مغير محرف وأنه قد حذف عنه أشياء كثيرة) [٤] أي انه تحريف بالزيادة والنقصان .

ثم قال: (لم يبق لنا اعتماد على شيء من القرآن ، اذ على هذا يحتمل كل آية منه أن يكون محرفا ومغيرا ويكون على خلاف ما أنزل الله ، فلم يبق لنا في القرآن حجة أصلا فتنتفي فائدته وفائدة الأمر باتباعه والوصية بالتمسك به الى غير ذلك) [٥] .

---

(١) هو أحمد بن محمد الأردبيلي ، ذكره المجلسي في البحار من جملة من رأى القائم عليه السلام وانه انفتحت له أقفال الروضة المقدسة الغربية وكلّمة الامام عليه السلام .

وقال عنه الخوانساري : كان الشاه عباس الصفوي الموسوي يبالغ في تعظيمه وتبجيله في غيابه ويرسل له بكل جميل ويستدعي في التوجه الى أرض ايران . (روضات الجنات ١/ ٧٩) ولعل هذا يوضح السبب الذي دعا هؤلاء للافصاح عن عقائدهم المنحرفة استنادا منهم الى دعم الدولة الصفوية لآرائهم وحمايتها لعقائدهم . (وراجع ترجمته في أمل الآمل ٢/ ٢٣) .

(٢) حديقة الشيعة ص/ ١١٨ - ١١٩ فارسي - نقلا عن : الشيعة والسنة ص/ ١٣٧ .

(٣) الفيض الكاشاني سبقت ترجمته ص/ ٢١٦ من هذا البحث .

(٤) تفسير الصافي ١/ ٣٢ .

(٥) مقدمة تفسير الصافي ١/ ٣٣

ولكنه يحاول أن يوفق بين هذا القول الخطير وبين اعتماد الشيعة على آيات =

وهل يطمع أعداء الاسلام بأكثر من هذه النتيجة التي ينطق بها من يدعي الاسلام وينصب نفسه مفسرا لكتاب الله عز وجل ؟ وما الفرق بين هذا الكلام وبين أقوال المستشرقين في الطعن بالقرآن الكريم ولماذا إذاً لا يعلن هو وأمثاله رفضه صراحة لكل ما في القرآن وارتداده عن كل مبادئ الاسلام وعندئذ يكون خطرهم على الاسلام أقل مما هو عليه الآن .

ـ وبعد الفيض الكاشاني نجد أن الجرأة على كتاب الله ازدادت اكثر فأكثر وقد استغل هؤلاء ضعف السلطة الاسلامية وتفككها وتأييد الدولة الصفوية فأزاحوا عنهم ستار التقية وراحوا يصرحون بكل ما تمليه عليهم أهواؤهم من انحرافات عن عقيدة المسلمين (١) .

وقد كثر الحديث في كتب القوم عن هذه الأباطيل مما يضيق مجال هذا البحث عن التعرض لها ، ولا يليق بالباحث أن يبرزها ، ولعل أشهر من تحدث عن تلك المزاعم واعتقد بها بعد الكاشاني :

ـ البحراني (٢) (ت ١١٠٨ هـ) في مقدمة تفسيره (البرهان) (٣)

= القرآن الكريم في العقائد والفقه وغير ذلك فيقول : (لعل التغيير انما وقع فيما لا يخل بالمقصود كثير إخلال .. مع أن الأوصياء كانوا يتداركون ما فاتنا منه من هذا القبيل) ١/ ٣٤ .

(١) راجع ما ذكرناه عن الدولة الصفوية ص/ ٢١٩ من هذا البحث .

(٢) هو هاشم بن سليمان الحسيني البحراني التوبلي مفسر امامي ، نسبته الى (توبليّ) من قرى البحرين ، وقبره فيها ، وشهرته البحراني . من كتبه : (البرهان في تفسير القرآن) ، (الدر النضيد في فضائل الحسين الشهيد) (سلاسل الحديد) منتخب من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ... قال عنه الخونساري : (فاضل عالم ماهر مدقق فقيه عارف بالتفسير والعربية والرجال) . راجع : روضات الجنات ٨/ ١٨١ - الأعلام ٨/ ٦٦ .

(٣) ص / ١٥ تحت عنوان (باب في أن القرآن لم يجمعه كما أنزل الا الأئمة عليهم السلام) .

- والمجلسي[١] (ت ١١١١ هـ) فى كتابه (حياة القلوب)[٢]
- ونعمة الله الجزائرى[٣] (ت ١١١٢ هـ) فى كتابه الأنوار النعمانية[٤] .

ولعل أشنع هؤلاء وأشد هم خطرا على الاسلام وحقدا على أهل السنة بل على الصحابة الكرام حملة الاسلام وحفاظ القرآن . هو (نعمة الله الجزائرى) فقد أكد هذه الفرية فى كتابه (الأنوار النعمانية) وأصر على دعوى سابقية فى أن عليا هو الذى انفرد بجمع القرآن ثم قال : (ولما جلس أمير المؤمنين عليه السلام على سرير الخلافة لم يتمكن من اظهار ذلك القرآن واخفاء هذا لما فيه من اظهار الشنعة على سابقيه)[٥]

---

(١) هو محمد بن باقر بن مقصور على الشهير بالمجلسي، صاحب مؤلفات كثيرة منها بحار الأنوار ، وحياة القلوب ، ومرآة العقول ،
وقد سبقت ترجمته ص/ ٢١٥ من هذا البحث .
ولكننا نضيف هنا ما ذكره تلميذه الحر العاملى ، حيث أطنب فى الثناء عليه فقال فى أمل الآمل (٢/٢٤٨) : (عالم فاضل ، ماهر محقق ، مدقق علامة فهامة فقيه متكلم محدث ثقة ثقة جامع للمحاسن والفضائل جليل القدر عظيم الشأن) فانظر الى مكانة مروجى فرية التحريف فى كتب التراجم الشيعية !

(٢) ج ٢ ص/ ٦٨١ نقلا عن الشيعة وتحريف القرآن ص/ ٨٣ .

(٣) سبقت ترجمته ص/ ٢٢٢ من هذا البحث .
ونضيف هنا نصا آخر فى توثيقه والثناء عليه :
يقول عنه الخوانسارى : (كان من أعاظم علمائنا المتأخرين ، وأفاخم فضلائنا المتبحرين ، واحد عصره فى العربية والأدب والفقه والحديث .. صاحب قلب سليم ووجه وسيم وطبع مستقيم ، ومؤلفات مليحة) ..
روضات الجنات ٨/ ١٥٠

(٤) الجزء الثانى - الصفحات / ٣٦٠ - ٣٦٤ .

(٥) الأنوار النعمانية ٢/ ٣٦٢ وقد سود عشرات الصفحات فى اثبات هذه الفرية وتأكيدها .

- وهو تلفيق سمج سخيف اذ لو كان علي يعلم أن كتاب الله قد دخله التغيير لما تردد لحظة بعد أن أصبح خليفة.بل قبل أن يصبح خليفة.في إظهار الحق ولكان ذلك أول عمل ينبغي أن يقوم به ولا عذر له في تركه لكنه رضى الله عنه بريء من هذه الافتراءات ولعله لو سمع بمن يرددها في عصره لسارع الى قتله واحراقه كما فعل بالغلاة أتباع ابن سبأ اليهودى .(١)

وقد ادعى الجزائرى أن أخبار التحريف مستفيضة بل متواترة وأن أصحابه قد أطبقوا على صحتها والتصديق بها ، وكل هذه الدعاوى من الجزائرى تعد نزراً يسيراً مما يحويه كتابه (الأنوار النعمانية) من انحرافات لا يليق نقلها والتفوّه بها. والعجب أن هذا الرافضي يتبجح في مقدمة كتابه بالتزامه الدقة والأمانة والصدق في النقل والبعد عن تواريخ اليهود فيقول :

(وقد التزمنا أن لا نذكر فيه الا ما أخذنا عن أرباب العصمة الطاهرين عليهم السلام وما صح عندنا من كتب الناقلين ، فإن كتب التواريخ أكثرها قد نقله الجمهور من تواريخ اليهود ، ولهذا كان أكثر ما فيها الأكاذيب الفاسدة ، والحكايات الباردة)(٢)

- وأخيرا نعرض للقارئ المصب الأخير عندهم في هذا الموضوع وهو (حسين ابن محمد التقى النورى الطبرسى)(٣) (ت ١٣٢٠)

---

(١) يعترف الشيعة بهذه الحادثة وقد ذكرها الكشي في كتابه الرجال ص ٧٢/٠

(٢) الأنوار النعمانية ٢/ ٣٥٧ .

(٣) هو حسين بن الميرزا محمد تقي النورى الطبرسى ، ولد في ١٨ شوال ١٢٥٤ هـ في طبرستان ثم سافر الى النجف سنة ١٢٧٧ هـ . وقد اجمعت كلمة علماء الشيعة حتى المعاصرين منهم على توثيقه والثناء عليه ولم نجد أحدا منهم طعن فيه رغم تأليفه لهذا الكتاب (فصل الخطاب) .
فقد قال عباس القمى في (الكنى والالقاب) : ٢/٤٠٥ .
(شيخنا الأجل ثقة الاسلام .. شيخ الاسلام والمسلمين ، مروّج علوم الانبياء والمرسلين ، الثقة الجليل والعالم النبيل ، المتبحر الخبير ، والمحدث الناقد البصير ، ناشر الآثار ، وجامع شمل الأخبار ، صاحب =

الذى استهوته هذه الافتراءات على كتاب الله الكريم فراح يجمعها ويزيد عليها ويحتج على منكريها ويصول ويجول حتى اجتمع عنده فى ذلك كتاب كبير مكون من أربعمائة صفحة الا صفحتين عنوانه : (فصل الخطاب فى إثبات تحريف كتاب

= التصانيف الكثيرة الشهيرة والعلوم الغزيرة .. وهو أشهر من أن يذكر ، وفوق ما تحوم حوله العبارة ..) اهـ . وكذلك راجع مقدمة كتاب الطبرسي : (كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار) فقد حشد فيه مقدمه (على الحسينى الميلانى) أقوالا كثيرة فى الثناء على مؤلفه بكل ما يخطر على البال من ألفاظ المدح والتبجيل ، كما يلاحظ أن معظم من ترجم للطبرسى لم يذكر اسم كتاب (فصل الخطاب) بكامله بل اكتفى بالجزء الأول من اسم الكتاب لئلا يلفت الانظار الى عقيدة النوري الطبرسي فى الطعن في القرآن الكريم . راجع مثلا : مقدمة كشف الاستار ص / ٢٥ - ٢٦ - الفوائد الرضوية لعباس القمي ص / ١٥١ .

ولنتعرض لنموذج آخر من نماذج تقديسهم لهذا المنحرف عن الاسلام (النورى الطبرسى) فقد قال آغا بزرك الطهرانى فى كتابه (أعلام الشيعة) قبل البدء فى ترجمة النورى الطبرسى : (ارتعش القلم بيدى عند ما كتبت هذا الاسم ، واستوقفنى عند ما رأيت نفسي عازماً على ترجمة استاذي النوري . ودهشت هيبة له ، ولا غرابة فلو كان المترجم له غيره لهان الأمر ، ولكن كيف بى وهو من أولئك الأبطال غير المحدودة حياتهم وأعمالهم ..)

ثم قال : (كان الشيخ النوري أحد نماذج السلف الصالح التى ندر وجودها فى هذا العصر ، فقد امتاز بعبقرية فذة ، وكان آية من آيات الله العجيبة حتى ليظن الناظر فى تصانيفه أن الله شمله بخاصة ألطافه ومخصوص عنايته) ! ويدخل من جملة تلك التصانيف بالطبع كتابه (فصل الخطاب) وهذا يعنى أن لهذا الكتاب عند الشيعة منزلة عظيمة لا تقل عن منزلة مؤلفه المتبحر الخبير !

راجع (أعلام الشيعة) للطهرانى - الجزء الأول - من القسم الثانى ص ٥٤٤ الى ٥٥٥ نقلا عن الشيعة والقرآن لاحسان الهى ظهير ص / ١١٨ - ١٣١ والشيعة وتحريف القرآن لمحمد مال الله ص / ١١٣ - ١١٥ .

وهناك نصوص أخرى لعلمائهم المعاصرين فى الثناء على الطبرسى سوف نتعرض لها عند الحديث عن موقف علماء الشيعة المعاصرين من الطعن في القرآن الكريم .

رب الأرباب)[١]

وقد ألفه سنة ١٢٩٢ هـ (وعند طبعه قامت حوله ضجة ، لأنهم كانوا يريدون أن يبقى التشكيك فى صحة القرآن الكريم محصورا بين خاصتهم ، ومتفرقا فى مئات الكتب المعتبرة عندهم ، وأن لا يجمع ذلك كله فى كتاب واحد تطبع منه ألوف من النسخ ويطلع عليه خصومهم فيكون حجة عليهم ماثلة أمام أنظار الجميع ، ولما أبدى عقلاؤهم هذه الملاحظات خالفهم فيها مؤلفه ، وألف كتابا آخر سماه " رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب " وقد كتب هذا الدفاع فى أواخر حياته قبل موته بنحو سنتين)[٢]

وادعى النورى أن الأخبار الدالة على التحريف تزيد على ألفى حديث .[٣]

وكم فرح أعداء الاسلام بهذا الكتاب واستبشروا به بل لقد قاموا بترجمته ونشره وقد اعترف بذلك الأصفهانى أحد علماء الشيعة بقوله :

---

(١) وقد قسم هذا المدعي كتابه إلى ثلاث مقدمات وبابين وذكر فى الباب الأول الأدلة المزعومة على وقوع التغيير والنقصان فى القرآن ، وأن كلما وقع فى الأمم السالفة يقع فى هذه الأمة ، وأن القرآن كالتوراة والانجيل فى وقوع التغيير فيه ، وأنه كان لأمير المؤمنين قرآنا مخصوصا . كما ذكر مئات الروايات تبين ما عند الشيعة من زيادات على القرآن الموجود عند المسلمين وهى زيادات فى كلمات وآيات وسور . وذكر كل ذلك بحسب ترتيب سور القرآن الكريم .
وفى الباب الثانى ذكر أدلة القائلين بعدم تطرق التغيير من الآيات والأخبار وأجاب عنها ، واستفتح كتابه المظلم هذا بالثناء على الله سبحانه تمويها وتضليلا للناس فقال : (الحمد لله الذى أنزل على عبده كتابا جعله شفاء لما فى الصدور . . وبعد فيقول العبد المذنب المسيء حسين بن محمد تقى النورى الطبرسى جعله الله تعالى من الواقفين ببابه المتمسكين بكتابه : هذا كتاب لطيف وسفر شريف عطته فى اثبات تحريف القرآن وفضايح أهل الجور والعدوان . .)

(٢) الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب ص / ١١ وراجع الشيعة والقرآن ص / ١٣٣ .

(٣) فصل الخطاب ص / ٢٢٧ .

(أخبرني بعض الثقات أن المسيحيين ترجموا هذا الكتاب بلغاتهم ونشروها)[(١)]

وأبرز ما في كتاب (فصل الخطاب) من افتراء على كتاب الله عز وجل ما يسمونه سورة الولاية ويدعون أنها من القرآن الكريم ، وقد أثبت النوري هذه السورة في كتابه[(٢)] نقلا عن كتاب (دبستان مذاهب) باللغة الايرانية لمؤلفه محسن فاني الكشميري .

كما أن الشيخ محب الدين الخطيب ذكر أن كبير خبراء وزارة العدل بمصر اطلع على مصحف ايراني مخطوط عند المستشرق براين وفيه سورة الولاية المزعومة ، وفوق سطورها العربية ترجمتها باللغة الايرانية فنقل منه تلك السورة بالفوتوغراف ، ونشرها محب الدين الخطيب في كتابه (الخطوط العريضة)[(٣)] .

وقد اهتم المستشرقون كثيرا بها واعتبروها فرصة سانحة لهم للطعن بالاسلام ولذلك نقلها المستشرق (نولدكه) في كتابه تاريخ المصاحف (٢ / ١٠٢) ونشرتها الجريدة الآسيوية الفرنسية سنة ١٨٤٢ (ص ٤٣١ - ٤٣٩)[(٤)]

وهكذا يزرع في صفوف المسلمين من يحاول أن يطعنهم من الداخل ثم يتمسك الأعداء بذلك الطعن الذي كان بتحريض منهم فيواجهون به المسلمين ليطعنوهم به من جديد .

والنوري لم يؤلف هذا الكتاب الا بتحريض من أعداء الاسلام الذين يبذلون كل ما لديهم من طاقة وامكانات للكيد لهذا الدين . ولست بهذا القول متجنيا عليه بل إن أحد علمائهم قد اعترف بذلك أيضا وهو محمد علي القاضي الطباطبائي الذي قال في محاولة لتبرير هذا الجرم الخطير .

---

(١) أحسن الوديعة للأصفهاني ص / ٩٠ .

(٢) فصل الخطاب ص / ١٨٠

وقد عرض احسان الهي ظهير في كتابه (الشيعة والقرآن) هذه السورة المزعومة مصورة من صفحات كتاب (فصل الخطاب) فارجع اليها : صفحة / ٢٠ - ٢١ من كتاب الشيعة والقرآن .

(٣) الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الامامية ص / ١٢ .

(٤) المرجع السابق ص / ١٣ .

(يقال إن بعض أعداء الدين وخصماء المذهب حرضه على تأليف ذلك الكتاب ، وهو رحمه الله لم يشعر بذلك الغرض الفاسد ، وليس هذا الحدس أو النقل ببعيد)[(١)] . .

ومع أن هذا الاعتراف يعد في غاية الخطورة لكنه يحمل في طياته أيضا تخبطهم في محاولة ستر سوآت الطبرسي وأسلافه من علمائهم بأعذار هي أقبح من الجرم الذي أقدموا عليه بطعنهم في القرآن الكريم وافترائهم على الله ورسوله .

ومفاد كلام الطباطبائي أن النوري الذي وصفوه بالعالم الكامل المتبحر الخبير والناقد البصير أصبح ألعوبة في أيدي الأعداء وأداة مسخرة للطعن في الاسلام وهو لم يشعر بذلك . .

ويعتب الطباطبائي على النوري لتأليفه هذا الكتاب الذي كشف فيه عما كانوا يخفونه تقية فيقول : (ما أجاد في تأليفه ولا وافق الصواب في جمعه ، وليته لم يؤلفه ، وان ألفه لم ينشره ، وقد صار ضرره اكثر من نفعه ، بل لا نفع يتصور في نشره ، فإنه جهّز السلاح للعدو وهيأه وأدّاه الى أيدي خصماء الاسلام)[(٢)] . .

فالطباطبائي لا ينكر على النوري اعتقاده بهذه الفرية المكفرة ، ولكنه ينكر عليه تأليفه لهذا الكتاب الذي جمع به شتات هذه الفرية من أمهات كتبهم ونشره له ولذلك عتب عليه بقوله : (ليته لم يؤلفه وان ألفه لم ينشره) . .

وبعد هذا الاستعراض المجمل لأبرز من قال بهذه الفرية من علماء الشيعة يجد الباحث نفسه مضطرا للحكم بأن الطعن في القرآن الكريم فكرة أصيلة عند الشيعة وعقيدة من العقائد التي كادت كلمة علمائهم تتفق عليها ، وقد اعترف بذلك الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) كما أسلفنا بل لقد أكد البحراني (ت ١١٠٨هـ) وهو من أشهر مفسري الشيعة أن هذه العقيدة تُعد من ضروريات مذهب التشيع فقال :

(وعندي من وضوح صحة هذا القول ـ أي القول بتحريف القرآن ـ بعد تتبع الأخبار وتفحص الآثار بحيث يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع)[(٣)] .

---

(١) حاشية الأنوار النعمانية ٢ / ٣٦٤ .

(٢) المرجع السابق ـ نفس الصفحة .

(٣) تفسير البرهان ص / ٤٩ المقدمة

ومع ذلك فانهم لم يجمعوا على هذا الرأى ، فقد خالف أربعة من علماء الشيعة القدماء وصرحوا بأن القرآن الكريم لم ينله أى نقص أو تغيير ، ولنستعرض أراء هؤلاء :

القائلون من علمائهم القدماء بعدم التحريف :

إشتهر هذا القول عن أربعة من علماء الشيعة القدماء وهم :

ابن بابويه القمى الصدوق[(١)] (ت ٣٨١) - السيد المرتضى[(٢)] (ت ٤٣٦ هـ)

وأبو جعفر الطوسى[(٣)] (ت ٤٦٠ هـ) - وأبو على الطبرسي[(٤)] (ت ٥٤٨ هـ)

ويعد ابن بابويه أول من برز فى علماء الشيعة بهذا القول ولم يستند فى انكاره لهذه العقيدة الشيعية الى أى رواية من رواياتهم الصريحة فى ذلك بل اكتفى بالانكار فقال :

(اعتقادنا أن القرآن الذى أنزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم هو مابين الدفتين ، وهو ما فى أيدى الناس ليس بأكثر من ذلك .. ومن نسب الينا أنا نقول انه أكثر من ذلك فهو كاذب)[(٥)]

---

(١) سبقت ترجمته ص / ٢١٣ من هذا البحث -

(٢) السيد المرتضى : هو أبو القاسم على بن الحسين بن موسى ، يصل نسبه الى جعفر الصادق ، وقد كان أبوه عظيم المنزلة فى الدولة العباسية والدولة البويهية ، ولد فى سنة ٣٥٥ هـ وقرأ هو وأخوه الشريف الرضى على الشيخ المفيد ، وله مصنفات كثيرة منها : كتاب الشافى فى الامامة ، وكتاب الملخص فى الأصول ، وكتاب الأمالى ، وله المسائل الطرابلسية ، والمسائل الحلبية وله ديوان شعر وغير ذلك (لؤلؤة البحرين ص / ٣١٣ - ٣٢٣) .

(٣) سبقت ترجمته ص / ٢١٤

(٤) سبقت ترجمته ص / ٣١٢

(٥) الاعتقادات لابن بابويه - نقلا عن الشيعة والقرآن ص / ٦١ .

وكذلك الشيخ أبو جعفر الطوسى فقد قال :

(أما الكلام فى زيادة القرآن ونقصانه فلا يليق به ، لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها والنقصان منه الظاهر أيضا من مذهب المسلمين خلافه ، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا وهو الذى نصره المرتضى (رح) ، وهو الظاهر فى الروايات)(١) .

أما الروايات التى امتلأت بها كتبهم وهى صريحة فى القول بالتحريف ، فقد قال عنها الطوسي :

(الأولى الاعراض عنها وترك التشاغل بها ، لأنه يمكن تأويلها ، ولو صحت لما كان ذلك طعنا على ما هو موجود بين الدفتين ، فان ذلك معلوم صحته ، ولا يعترضه أحد من الأمة ولا يدفعه .

ورواياتنا متناصرة بالحث على قراءته والتمسك بما فيه ، وردّ ما يرد من اختلاف الأخبار فى الفروع اليه ، وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم رواية لا يدفعها أحد أنه قال : " انى مخلف فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا : كتاب الله وعترتى أهل بيتى(*) . . "

وهذا يدل على أنه موجود فى كل عصر ، لأنه لا يجوز أن يأمر بالتمسك بما لا نقدر على التمسك به ، واذا كان الموجود بيننا مجمعا على صحته فينبغى أن نتشاغل بتفسيره وبيان معانيه ونترك ما سواه)(٢)

وذكر قريبا من هذا المعنى الشيخ أبو على الطبرسى فى تفسيره ، كما حكى عن المرتضى أنه استوفى الكلام فى ذلك غاية الاستيفاء فى جواب المسائل الطرابلسيات(٣)

ويلاحظ أن انكار ابن بابويه كان جزما ، أما الطوسى فانه لم يجزم بتكذيب من ادعى النقص ، وغاية ما عنده تأكيد أن هذا الموجود هو من كلام الله تعالى ، وأن العمل به كاف لمن عمل .

---

(١) تفسير التبيان - المجلد الأول ص / ٣

(٢) المرجع السابق ص / ٣ - ٤

(٣) مجمع البيان للطبرسى ١/ ١٥ .

(*) ورد هذا الحديث من طرق أهل السنة ، وقد سبق تخريجه ص / ٢٥٢

أما الروايات التى ذكرت التحريف فلم يجزم الطوسى بتكذيبها وانكارها وانما بيّن أن الأولى الاعراض عنها وترك التشاغل بها .

- ونتساءل الآن : هل يُعد انكار هؤلاء العلماء الأربعة لتحريف القرآن إنكارا حقيقيا أم هو على سبيل التقية وخوفا من بطش أهل الحق ونفرة الناس عنهم وتجنبا عن العار والفضيحة ؟

- يرى نعمة الله الجزائرى : وهو أحد علماء الشيعة القائلين بالتحريف بأن إنكار هؤلاء الأربعة ليس على حقيقته بل هو للتقية .

فيقول :

(الظاهر أن هذا القول انما صدر منهم لأجل مصالح كثيرة ، منها سد باب الطعن عليهم بأنه اذا جاز هذا فى القرآن فكيف جاز العمل بقواعده وأحكامه مع جواز لحوق التحريف لها ، وهؤلاء الأعلام رووا فى مؤلفاتهم أخبارا كثيرة تشتمل على وقوع تلك الأمور فى القرآن وأن الآية هكذا أنزلت ثم غيرت الى هذا)(١)

- وهذا النورى الطبرسي يؤكد أن تفسير التبيان الذى ألفه أبو جعفر الطوسى وضمّنه قوله بنفي التحريف لم يكن تأليفه له الا على سبيل التقية والمماشاه مع أهل السنة فيقول : (لا يخفى على المتأمل فى كتاب التبيان أن طريقته فيه على نهاية المداراة والمماشاة مع المخالفين فانك تراه اقتصر فى تفسير الآيات على نقل كلام الحسن وقتادة والضحاك وأشالهم ولم ينقل عن أحد من مفسري الامامية ، ولم يذكر خبراً عن أحد من الأئمة - ع - الا قليلا فى بعض المواضع . . . وهو بمكان من الغرابة لو لم يكن على وجه المماشاة .

فمن المحتمل أن يكون هذا القول - أى نفى التحريف - منه فيه على نحو ذلك ، ومما يؤكد كون وضع هذا الكتاب على التقية ما ذكره السيد الجليل على بن طاوس فى (سعد السعود) وهذا لفظه : ونحن نذكر ما حكاه جدى أبو جعفر محمد بن الحسن

---

(١) الأنوار النعمانية ٢/٣٥٨ - ٣٥٩ .

الطوسى فى كتاب التبيان وحملته التقية على الاقتصار عليه من تفصيل المكى من المدنى ..)[١]

- وكذلك صرح أحد علماء الشيعة فى الهند وهو أحمد سلطان أن علماء الشيعة الذين أنكروا التحريف فى القرآن لا يحمل انكارهم الا على التقية .[٢]

ومع أن هذه النصوص من أقوال علماء الشيعة لهما أهمية بالغة فى هذا المقام لكننا لن نعّول عليها كثيراً ولن نستند اليها فى إثبات نسبة هذه العقيدة المنحرفة لهؤلاء الأربعة من علماء الشيعة ، لأننا مطالبون شرعا بأن نحاكم الناس الى ظاهر أقوالهم ونكِل سرائرهم الى الله عز وجل .

مع ذلك ينبغى ألا نخدع بتلك الظواهر بل لابد من تمحيص أقوالهم ومقارنتها بأقوال أخرى لهم وخاصة مع مثل هؤلاء الذين يعدون التقية دينهم ويجعلونها فرضا لازما كالصلاة وقد ذكر النورى الطبرسى عدة روايات فى كتابه (فصل الخطاب) نقلها عن ابن بابويه القمى الذى رواها بسنده عن أئمة أهل البيت[٣] ، وهذه الروايات صريحة فى ذكر وقوع التحريف فى القرآن الكريم ، واستند اليها النورى فى الاستدلال على أن عقيدة ابن بابويه فى ذلك لا تختلف عن عقيدة عامة علماء الشيعة ولكنه قال ما قاله تقيه .

---

(١) فصل الخطاب ص / ٣٤ .

(٢) ذكر ذلك احسان الهى ظهير فى كتابه الشيعة والقرآن ص / ٩١ نقلا عن كتاب : (تصحيف كاتبين) ص / ١٨ .

(٣) راجع فصل الخطاب ص / ٣٢ ، ١٤٥ ، ٢٨٢ .

كما أن احسان الهى ظهير ذكر تسع روايات لابن بابويه تؤكد اعتقاده بالتحريف ونقلها من كتبه : من لا يحضره الفقيه ٣/٤٥٩ - الخصال ص / ١٧٤ - معانى الأخبار ص / ٣١٣ - ٣١٤

راجع الشيعة والقرآن ص / ٦٨ - ٧٠ .

كما أن الطوسى قام بتهذيب كتاب (رجال الكشي)[١]

- الذى يحوي أخبارا صريحة فى وقوع التخريف - فلم يحذفها بل أثبتها مع كونها لا تخفى عليه .

وأبرزها رواية (أنزل الله في القرآن سبعة بأسمائهم فمحت قريش ستة وتركوا أبا لهب)[٢]

فهل هذه قرينة على أن إنكاره للتحريف كان من قبيل التقية ؟

يبدو أن الأمر كذلك والله أعلم .

أما الآخران (المرتضى وأبو علي الطبرسي) فمع أن بعض علمائهم عدّوا نفيهم تقية لكننا نقبل منهم علانيتهم فى نفي وقوع تحريف القرآن ونَكِل سرائرهم إلى الله ما لم نطلع على أقوال لهم تخالف ذلك .

موقف علماء الشيعة المعاصرين من طعن أسلافهم فى القرآن الكريم :

وجد علماء الشيعة المعاصرون أنفسهم أمام سيل كبير من النصوص والروايات التى امتلأت بها كتب أسلافهم فى تأكيد عقيدتهم فى الطعن في القرآن الكريم واتهام الصحابة الكرام بتحريفه والحذف منه ، فحاولوا أن ينفوا ذلك عن الشيعة .

ولكن كان بإمكان هؤلاء العلماء إن أرادوا الخير لأنفسهم ولطائفتهم ، وكانوا غيورين على الاسلام حريصين على تجنب سخط الله تعالى أن يعلنوا بصراحة عدم ثقتهم بكل من ثبت عنه القول بهذه الضلالة مهما كان شأنه ، وأن كل من سطَّر فى كتبه مثل هذه المزاعم أقواله مردوده لا ثقة بها ولا اعتماد عليها ، بل يعلنوا ويصرحوا بكفر من اجترأ على ذلك .

---

(١) سيرد الحديث عن هذا الكتاب عند الكلام عن التقية فى الرواية .

راجع ص / ٤٧٨ واسم الكتاب : (اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشى) لأبى جعفر الطوسى - تعليق : حسن المصطوفى .

(٢) رجال الكشى ص / ٢٩٠ .

كما أنه ينبغي عليهم أن يتوقفوا عن طبع كتب أولئك الأسلاف القائلين بهذا الغلو ويمنعوا نشرها لئلا تشوه عقيدة أتباعهم .

لكنهم لم يفعلوا شيئا من ذلك أبدا . وكيف يُقدِمون على الطعن بأسلافهم الذين كانوا الأسس الأولى للعقائد الشيعية والدعائم التى قام عليها الفكر الشيعى عبر القرون،بل لقد فعلوا عكس ذلك تماما فنشروا كتب هؤلاء الأسلاف وقدَّموها بمقدمات طويلة أشبعوا فيها مؤلفيها بالمدح والثناء ، ونشطت مطابع النجف وطهران وقم وبيروت وغيرها فى طباعة هذه الكتب ونشرها بإشراف وتحقيق أبرز علماء الشيعة المعاصرين .

ثم بعد ذلك قال لنا أولئك العلماء إننا ننكر دعوى تحريف القرآن ولا نرضى أن تتهم بالقول بها طائفة الشيعة ، وقاموا بتوجيه سيل من السباب والشتائم لكل من ينسب هذا الغلو إليهم من علماء أهل السنة .(١)

---

(١) والمعاصرون من الشيعة نشيطون جدا فى محاولات التصدى لكتابات أهل السنة التى تفضح عقائدهم ، ولا يملكون فى الدفاع عن أنفسهم الا التباكي على ما حل بآل البيت من ظلم والتحسر على تهدم وحدة المسلمين وتشتتهم إلى فرَق،وقد صدر فى ذلك كتب كثيرة أذكر منها ما وقع تحت يدى أثناء كتابة هذه السطور منها كتاب :(أضواء على خطوط محب الدين)- تأليف : عبد الواحد الأنصارى . وكتاب (مع الخطوط العريضة) للخاقانى وكلاهما رد على كتاب (الخطوط العريضة للأسس التى قام عليها دين الشيعة الامامية الاثنى عشرية) لمحب الدين الخطيب .
وكتاب : الشيعة بين الحقائق والأوهام / لمحسن الأمين ردا على كتاب الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة لموسى جار الله .
وكتاب : الحصون المنيعة فى رد ما أورده صاحب المنار فى حق الشيعة / لمحسن الحسيني العاملي،ردا على ما أورده محمد رشيد رضا فى مجلة (المنار) .
وكتاب : مع أحمد أمين فى حديث المهدي والمهدية / لمحمد أمين زين الدين ردا على الدكتور أحمد أمين .
=

وقاموا بنفس الوقت بابراز احترامهم واجلالهم لأسلافهم من القائلين بالتحريف، وسطروا فى كتبهم مئات الصفحات فى التمجيد بأولئك الأسلاف واظهار الولاء لهم والثقة بأقوالهم .

فماذا يكون موقف الباحث تجاه تلك التناقضات الخطيرة ؟

لقد اضطر كثير من الباحثين للقول بأن إنكار علماء الشيعة المعاصرين للتحريف يُعد تقية والذي ألجأهم الى هذا الحكم ما رأوه من المواقف المتضاربة فى إنكار التحريف حيناً والثناء على المعتقدين به حينا آخر ، فالعلماء المعاصرون من الشيعة يمثّلون دوراً مزدوجاً يُرضون به جميع الأطراف دون التخلي عن شيء من موروثاتهم السابقة .

هذا هو رأى كثير من الباحثين فى موقف علماء الشيعة المعاصرين من قضية التحريف .

= وكتاب : إلى مشيخه الأزهر / لعبد الله السبتي . ردا على كتاب : المهدوية فى الاسلام / لسعد محمد حسن ، وكتاب : الجبهان سليل الشيطان / لأحمد مغنية رداً على كتاب : تبديد الظلام وتنبيه النيام لابراهيم سليمان الجبهان .
وكتاب : عقيدة الشيعة فى الامام الصادق / لحسين يوسف مكي العاملي ردا على كتاب : الامام الصادق / للشيخ محمد أبو زهرة .
وكتاب : فى ظلال الوحي / لعلي فضل الله الحسني ردا على كتاب : لا سنة ولا شيعة / لمحمد علي الزعبي .
وكتاب : صوت الحق ودعوة الصدق / لطف الله الصافي ردا على كتب إحسان إلهي ظهير . . وغير ذلك كثير، وأهم من ذلك كتاب الغدير / لعبد الحسين الأميني النجفي - ١١ مجلد -
وفيه ردود طويلة على الامام ابن تيمية وكتابه منهاج السنة ، وعلى الامام ابن حزم وكتابه الفصل ، وعلى كتاب الملل والنحل للشهرستانى ، والفرق للبغدادي ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، والبداية والنهاية لابن كثير، ومحاضرات فى تاريخ الامم الاسلامية للخضرى ، وكتاب السنة والشيعة لمحمد رشيد رضا ، وكتاب الصراع للقصيمي ولكن هذه الردود لا تزيد على كونها =

ومن أبز القائلين بهذا الرأى : محب الدين الخطيب فى (الخطوط العريضة)[١] واحسان الهي ظهير في كتبه : (الشيعة والسنة)[٢] و (الشيعة والقرآن) و (الشيعة وأهل البيت)[٣] ومحمد مال الله في كتابه (الشيعة وتحريف القرآن)[٤][٥] ومحمد عبد الستار التونسوى فى كتابه (بطلان عقائد الشيعة)[٦]

ولكن هناك رأى آخر فى تفسير إنكار علماء الشيعة المعاصرين للطعن فى القرآن الكريم ويمثّل هذا الرأى : ناصر عبد الله القفاري في بحثه عن فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة[٧] .

فيقول :

(هذا الموقف من كبار علماء الشيعة فى ردّ وانكار ما ورد فى كتبهم مما يمس كتاب الله سبحانه ، لا نقول إنه تقية ، فلا سبيل الى معرفة ذلك على وجه اليقين ، وان كان البعض من السنة والشيعة قد ذهب إلى ذلك ، لكن أقول بأن من يتبرأ من هذا الكفر (بعد الايمان بالله ورسوله) نقبل ذلك منه والله يتولى السرائر ، وهذا الانكار - إن كان بصدق - خطوة يجب أن تتلوها خطوات ، وذلك بأن يعيدوا النظر فى سائر ما شذوا به عن جماعة المسلمين) .

= اتهامات فارغة لعلماء أهل السنة وتزييف لما أوردوه من حقائق عن الشيعة ومطالبة بعدم نبش الماضي .
أضف إلى ذلك مئات الشتائم التى أفرغوا عن طريقها ما فى نفوسهم على علماء أهل السنة قد تصل أحيانا الى القذف بأشنع الألفاظ التى لا يليق بأن ينطق بها مسلم - راجع مثلا ما أورده أحمد مغنية فى كتابه (الجبهان سليل الشيطان) ص / ١٩ ، ١٩٠ ..

(١) راجع ص / ١٠ - ١١

(٢) راجع ص / ١٢٤

(٣) راجع ص / ٥٨ - ٥٩

(٤) راجع ص / ٧

(٥) راجع ص / ٧٨ - ٧٩

(٦) راجع ص / ٤٣

(٧) هذا البحث عبارة عن رسالة ماجستير فى قسم العقيدة - جامعة الامام محمد =

ولعل القارئ لأول وهلة يوافق الباحث ناصر القفاري في موقفه هذا .

ولكن لا بد لنا قبل هذا الحكم أن ننظر نظرة متأنية نستعرض من خلالها نصوص أبرز علماء الشيعة المعاصرين في هذه القضية ، ثم نحكم على كل واحد منهم حكماً نستنتجه من مناقشة تلك النصوص .

ومن خلال استعراض شامل لنصوص أولئك المعاصرين في هذه المسألة نجد أنه من الممكن تقسيمها الى قسمين ، وكل منهما يعتبر مسلكاً مستقلاً في طريقة إنكار هؤلاء المعاصرين للتحريف :

= ابن سعود بالرياض باشراف الدكتور : صالح الغوزان - والبحث لم يطبع حتى الآن .

وقد عرض الباحث لفكرته هذه ص / ١٩١ - ١٩٢ من بحثه .

المسلك الأول :

النفي المطلق لوجود من يعتقد بالتحريف من الشيعة ، والحكم بالخطأ والضلال والشذوذ على كل من قال بهذا القول مع تبرئة الشيعة الامامية أن يكون أحد منهم قال بتحريف القرآن، ولنستعرض جانبا من أقوال من سلك هذا المسلك من علماء الشيعة المعاصرين :

وأولهم : محمد الحسين آل كاشف الغطاء(١) : وقد قال في كتابه (أصل الشيعة وأصولها)(٢) مانصه : (يعتقد الشيعة الامامية .. أن الكتاب الموجود بين أيدى المسلمين هو الكتاب الذى أنزله الله إليهم للاعجاز والتحدي ولتعليم الأحكام وتمييز الحلال من الحرام ، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة ، وعلى هذا إجماعهم ، ومن ذهب منهم أو من غيرهم من فرق المسلمين الى وجود نقص فيه أو تحريف فهو مخطئ)(٢) ولنناقش هذا القول من خلال النقاط التالية :

١ ـ أول ما يلفت الأنظار فى هذا القول أنه حكم باجماع الشيعة على نفي التحريف وهذا الحكم مردود بدليل ما أوردناه من نصوص تكاد تجعلهم يتفقون قديما على القول بالتحريف .

وقد وقع كاشف الغطاء بتناقض نتيجة محاولته إخفاء أقوال أسلافه فادعى الاجماع أولا وهذا يعنى عدم وجود من يخالف ثم قال : (ومن ذهب منهم أو من غيرهم .. الى وجود نقص) فاعترف بأن بعضا من الشيعة ذهب الى القول بوجود النقص . فأين الاجماع إذاً ؟

٢ ـ يلاحظ أنه حكم على القائل بالتحريف بأنه مخطئ ولم يزد على ذلك ، وكأنها مسألة اجتهادية قابلة للأخذ والرد وليست متعلقة بالأصل الأول من أصول المسلمين !!

---

(١) سبقت ترجمته ص / ٣٢٦ من هذا البحث

(٢) ص / ١٠٦

واذا كان كاشف الغطاء قد حكم بعد أسطر من هذا النص بأن من ادعى نبوةً بعد محمد صلى الله عليه وسلم أو نزول وحي أو كتاب فهو كافر يجب قتله (١) ..

فلماذا لم يحكم هذا الحكم أيضا على من يدعي تحريف القرآن الكريم ؟ مع أن الايمان بصحة القرآن الكريم في عقيدة المسلمين لا يختلف عن الايمان بختم النبوة ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن أنكر أيا منهما فهو كافر بإجماع من يُعتد به من المسلمين لكنه اكتفى بلفظة (مخطئ) صيانة لمكانة أسلافه من علماء الشيعة كالكليني والصفار والعياشي والكاشاني وغيرهم بل صيانة لشيخه المباشر صاحب كتاب (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) وهو النوري الطبرسي الذي يكنُّ له كل محبة واحترام .

٣ — لابد لنا من أن نقارن النص السابق لكاشف الغطاء مع نص آخر يثني فيه على شيخه النوري الطبرسي ، ويُمطره فيه بوابلٍ من كلمات التعظيم والتبجيل، فيقول عنه :

(علاّمة الفقهاء والمحدثين ، جامع أخبار الأئمة الطاهرين ، حائز علوم الأولين والآخرين حجة الله على اليقين ، من عقمت النساء عن أن تلد مثله ، وتقاعست أساطين الفضلاء فلا يُداني أحد فضله ونبله ، التقي الأواه ، المعجب ملائكة السماء بتقواه ، من لو تجلّى الله لخلقه لقال هذا نوري ، مولانا ثقة الاسلام الحاج ميرزا حسين النوري، أدام الله تعالى وجوده الشريف) (٢) .

هذه الألفاظ الرنانة والمسبوكة التي أشبع بها كاشف الغطاء شيخه النوري مدحاً وأوصله بها لدرجة تكاد تفوق درجة النبيين، ألا تدل على موافقته لدعواه في تحريف القرآن ؟

وكيف يجتمع في قلبٍ واحد الايمان بصحة القرآن الكريم وسلامته من أي تغيير، وهذه المحبة العظيمة لمن يطعن فيه ويزدريه ؟ وكيف يصبح النوري في رأيه مظهراً لتجلّيات

---

(١) ص/ ١٠٦

(٢) نقلا عن مقدمة (كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار) للنوري الطبرسي – ص/ ٢٤

نور الله وهو القائل بهذا القول الذى يناقض الاسلام فهل يلتقي الايمان والكفر معاً ؟

وأخيرا ألا يرى القارىء معنا أن هذه التناقضات التى ظهرت من خلال نفي كاشف الغطاء لتحريف القرآن تدل - وللأسف - على أن نفيه وانكاره كان تقيه ؟ حتى ولو افترضنا أنه لا يعتقد بالتحريف بتاتا أفلا يدل اخفاؤه بل وانكاره لوجود هذا الانحراف عند الشيعة على أنه يستخدم التقية دفعاً لهذه التهمة الخطيرة عن قومه وخوفا من أن يُطعن فى ايمانهم .

إنها تقية بلاشك .. وليس هذا الحكم ناتجاً من اطلاعنا على خفايا نفسه ولكنها كلماته الناطقة بذلك ، وعباراته التى تجعل الباحث مضطرا للتوصل الى هذه النتيجة المؤسفة !! وأمره الى الله ..

ولننتقل الى عالم شيعى آخر ممن سلك المسلك الأول فى الانكار المطلق لوجود من ادعى التحريف من علمائهم :

الثاني - محسن الأمين فى كتابه (الشيعة بين الحقائق والأوهام) اذ يقول :

(كُتب المحققين ومن يعتنى بقولهم من علماء الشيعة مجمعة على عدم وقوع تحريف فى القرآن لا بزيادة ولا نقصان) (١)

وهذا النص كسابقه يحاول تعمية الأبصار عن عشرات النصوص ومئات الروايات الواردة عندهم فى الطعن فى القرآن الكريم ، وادعائه اجماع من يعتنى بقولهم على عدم التحريف دعوى غير صحيحة ، وان استخدام التقية فيها واضح .

إذ كيف يعد من قال بالتحريف ممن لا يعتنى بقوله ، وهو نفسه قد اعتنى بأقوال الكليني وأمثاله من أسلاف الشيعة بل واعتنى أكثر بأقوال النوري صاحب (فصل الخطاب)؟ وهل يمكنه أن يزعم أن أقوال الكليني ورواياته فى الكافي لا وزن لها عند الشيعة ولا مكانة وأن الكلينى ليس من العلماء المحققين المعتد بأقوالهم ؟

ولنفعل هنا مثل ما فعلنا فى مناقشتنا لنص كاشف الغطاء ، فالأمين أيضا له كلام مهم فى الثناء على الشيخ المفيد وعلى كتابه (أوائل المقالات) الذى ادعى فيه اتفاق

---

(١) صفحة / ١٦٠

الا مامية على القول بالتحريف .

يقول محسن الأمين في الثناء على المفيد :

(فقيه الا مامية فى عصره ، وعالمهم ومتكلمهم ، ومن امتاز فى صناعة المناظرة،محمد ابن النعمان الطقب بالشيخ المفيد .. ومن مؤلفاته الممتعة (أوائل المقالات) (١)

كما أن للأمين كلاما آخر أخطر من سابقه فى تعظيم النوري الطبرسي والاشادة بعلومه وهذا نصه :

(كان - أى النوري - عالما فاضلا محدّثا متبحراً فى علمى الحديث والرجال عارفا بالسير والتاريخ منقّبا فاحصاً زاهداً عابداً لم تفته صلاة الليل ، وكان وحيد عصره فى الاحاطة والاطلاع على الأخبار والآثار والكتب) (٢)

فماذا يكون موقف الباحث تجاه هذا التناقض الذى أوجده التستر على مدعي التحريف عندهم ؟

ففى النص الأول ينفي أن يقول بهذه الفرية أحد الشيعة المحققين ومن يعتنى بقولهم وفى النص الثاني الذي يثني فيه على أبرز القائلين بالتحريف (وهو الطبرسي) نجده يصفه بالتبحر فى العلوم والتنقيب والفحص والاحاطة ويزيد على ذلك كله بأنه وحيد عصره !!

إذاً النوري ممن يعتنى بقولهم . ولكنه يخالف الاجماع الذى زعمه محسن الأمين بل إن عشرات السابقين من أسلافه المعتمدين والأركان عند الشيعة قالوا قبله بهذه الفرية .

فلماذا لم يكن محسن الأمين صريحا مع نفسه فى انكاره لهذه المطاعن بكتاب الله فيعترض على قائليها ويكفّ عن توثيقهم والثناء عليهم والاشادة بهم ؟

بيد وأننا سنضطر هنا أيضا - وللأسف - أن نحكم بأن هذا التناقض فى كلام

---

(١) مقدمة أوائل المقالات - صفحة / ز

(٢) أعيان الشيعة لمحسن الأمين ٢٧ / ١٣٩ . نقلا عن مقدمة كشف الأستار للنورى ص/ ٢٣ - ٢٤

محسن الأمين يدل على أن إنكاره لهذه الفرية يعد تقيه .

إذ كيف ينكرها ثم يثني على قائلها ثناء شديداً ، ويصفه بالزهد والفضل والصلاح ويوثّق أقواله وعلومه ؟

الثالث ـ محمد رضا المظفر [1]

يقول في كتابه (عقائد الامامية) تحت عنوان (عقيدتنا في القرآن الكريم) :

(نعتقد أن القرآن هو الوحي الالهي .. لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف ، وهذا الذى بين أيدينا نتلوه هو نفس القرآن المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم ومن ادعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط أو مشتبه ، وكلهم على غير هدى ، فانه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) [2]

ويلاحظ في هذا القول أنه لم يطلق كلمة الكفر على من ادعى تحريف القرآن من علماء الشيعة ، واكتفى بأنهم على خطأ واشتباه وهذا تبرير لهم ، بل إنه لم يشر الى وجود من قال بالتحريف من الشيعة وتغاضى عن نصوص أسلافه ورواياتهم ، وهذا ما فعله أيضاً كاشف الغطاء ومحسن الأمين كما رأينا .

---

(١) سبقت ترجمته ص / ٣٢٧ من هذا البحث

(٢) صفحة ٦٤

الرابع - عبد الحسين شرف الدين الموسوي (١)

يقول في كتابه :(الفصول المهمة في تأليف الأمة) ما نصه :

(كل من نسب اليهم - أي الامامية - تحريف القرآن فانه مفتر عليهم ظالم لهم ، لأن قداسة القرآن الحكيم من ضروريات دينهم الاسلامي ومذهبهم الامامي ، ومن شك فيها من المسلمين فهو مرتد باجماع الامامية .. والقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إنما هو ما بين الدفتين ، وهو ما في أيدي الناس لا يزيد حرفا ولا ينقص حرفا ، ولا تبديل فيه لكلمة بكلمة ولا لحرف بحرف .. وهذا كله من الأمور المعلومة الضرورية لدى المحققين من علماء الامامية ولا عبرة بالحشوية فانهم لا يفقهون) (٢)

ولننظر الى هذا النص الذي حاول فيه الموسوي أن يخفي مزاعم سابقية ويسترها تقية ، فنقول : كم نتمنى أن يكون كلام الموسوي صادقاً وأن تكون هذه هي عقيدة جميع علماء الشيعة منذ القدم في القرآن الكريم ، لكن الواقع عكس ذلك تماماً كما رأينا . والذين نسبوا ذلك الى الامامية ليسوا من أهل السنة بل هم من أبرز علماء الشيعة كالكليني الذي حشد الروايات لابراز هذه الفرية ، والمفيد الذي صرح بأن الامامية اتفقوا على ذلك ، والبحراني الذي عدَّ هذه الفرية من ضروريات مذهب التشيع ، والجزائري الذي دافع عنها بقوة وحماس،وغيرهم فهل هؤلاء في نظر عبد الحسين

---

(١) ولد عبد الحسين في الكاظمية سنة ١٢٩٠ هـ ودرس في النجف وسامراء على يد أعلام الشيعة ، أقام في صور ورحل الى سورية ففلسطين ثم عاد الى صور وتوفي فيها سنة ١٣٧٧ هـ ودفن في النجف ومؤلفاته كثيرة أبرزها : المراجعات - والفصول المهمة في تأليف الأمة - وأبو هريرة (يطعن فيه بالصحابي الجليل) وأجوبة مسائل جار الله .

راجع:مقدمة المراجعات ص / ٣ - ٢٣ - الأعلام ٣ / ٢٧٩ .

(٢) صفحة ١٦٥ - ١٦٦

ظالمون للشيعة مفترون عليهم ؟

الجواب على ذلك نجده في كلام عبد الحسين نفسه حيث يصف الكليني

- وهو من أبرز القائلين بالتحريف - بأنه ثقة الاسلام ويصفه مع غيره من علماء

الشيعة بأنهم (أبطال العلم وأبدال الأرض الذين قصروا أعمارهم على النصح

لله تعالى ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين ولعامتهم) (١) ..

ويصف كتبهم بأنها مقدسة وأنها مستودع علوم آل محمد صلى الله عليه وسلم (٢) ..

كما يصف المفيد أحد القائلين بالتحريف بقوله : (إمام الأمة ومثّل أهل العصمة

شيخنا ومولانا .. المعروف بالشيخ المفيد ، أعلى الله مقامه .. ولو وجبت العصمة

لغير الانبياء وأوصيائهم لكان أول من وجبت له بعدهم عليهم السلام فكتبه كلها

نور وهدى وشفاء لما في صدور) (٣) ..

وهذا الكلام يذكره الموسوي في تقريظه لكتاب (أوائل المقالات) الذي ادعى

فيه المفيد اتفاق الامامية على القول بتحريف القرآن .

فانظر أيها القارئ الى هذا التلون والخداع ، حيث يثني كل هذا الثناء على

مروّجي فرية التحريف ثم يدعي براءة الامامية من القول بالتحريف وأن من نسب ذلك

اليهم فهو مفتر عليهم ظالم لهم !!

بل ان النوري الطبرسي / صاحب (فصل الخطاب) هو استاذ عبد الحسين (٤) الذي

نناقش دعواه هنا فهل يعد أستاذه أيضا مفترياً وظالماً ؟

---

(١) المراجعات ص / ٦٨

(٢) المراجعات ص / ٦٨

(٣) مقدمة أوائل المقالات - صفحة / هـ

(٤) راجع مقدمة علي الحسيني الميلاني لكتاب (كشف الاستار) تأليف النوري الطبرسي . فقد ذكر ترجمة وافية للنوري في هذه المقدمة وعد كثيرا من تلاميذه أمثال محمد حسين كاشف الغطاء وعبد الحسين شرف الدين - ومحمد باقر الاصفهاني - وعباس القمي .. وغيرهم - أنظر ص / ٢٣ من كشف الاستار

وهؤلاء كلهم مع علي القمي والصفار والعياشي وعشرات آخرين من أساطين علمائهم وأعمدة مذهبهم هل هم عند الشيعة حشوية لا يفقهون ؟ وإذا كانوا كذلك فلماذا لا يفصحون عن أسمائهم ويطعنون في كتبهم ؟ بل لماذا لا يحكمون بكفرهم وردتهم طبقا لقول عبد الحسين في كل من ادعى التحريف ؟

والعجيب هنا أن عبد الحسين الموسوي يطلق لألفاظه العنان حتى يتجرأ على دعوى اجماع الامامية على أمرهم على نقيضه تماماً فكيف نوفق بين قوله هذا وبين قول شيخهم المفيد بأن الامامية اتفقوا على القول بالتحريف ؟

الخامس - ابراهيم الموسوي الزنجاني (١)

يقول في كتابه (عقائد الامامية الاثنى عشريه) ما نصه :

(قد أجمع علماء الامامية طراً على عدم وقوع التحريف في القرآن ، وأن الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي الأعظم) (٢)

وفي هذا النص نجد أن الزنجاني أيضا يتبجح بدعوى اجماع الامامية مردداً ما سبقه اليه عبد الحسين الموسوي لاخفاء أخطر عقيدة من عقائد الشيعة ، وهذه دعوى ظاهرة البطلان .

بل انها أيضا ظاهرة في استخفاف الزنجاني بالناس وتدليسه عليهم ظناً منه أن براعته في استخدام التقية تخفي على الآخرين ما قاله أسلاف الشيعة في هذا المجال .

---

(١) أحد علماء الشيعة المعاصرين ، ولد في قصبة صائن قلعة أبهر زنجان ودرس في قم وهاجر الى النجف سنة ١٣٦٤ هـ ، وكتابه هذا صدّره بعض علمائهم بتقاريظ عديدة قالوا فيها إنه جمع العقائد والآراء المشهورة بل المسلّمة عند الامامية ، وقال فيه مؤلفه بأنه : (تحقيقات شافيه وتدقيقات وافيه .. بالبراهين القطعية والأدلة اليقينية ..) راجع مقدمة الكتاب ص / ٤ وراجع كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد لابن المطهر الحلي . حيث علّق عليه الزنجاني وترجم فيه لنفسه ص / ١٠

(٢) عقائد الامامية الاثنى عشرية - صفحة / ٥٤ — مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - ط ٢ - ١٣٩٣ هـ

السادس ـ حسين يوسف مكى العاملى (١)

يقول فى كتابه (عقيدة الشيعة فى الامام الصادق وسائر الأئمة) ما نصه :

(نعتقد نحن الامامية الاثنى عشرية أن القرآن الذى بأيدينا اليوم ، الذى يقرأه العالم الاسلامى على ما هو عليه الآن ، هو القرآن الذى أنزله الله تعالى شأنه على نبيه صلى الله عليه وسلم لا نقص فيه ولا زيادة .. وقد أجمعت كلمة علمائنا خصوصا المحققين منهم على عدم النقص والزيادة فيه .. ولا عبرة بقول شاذ) (٢)

ثم يقول : (النقص لا يدعيه أحد من علماء الامامية حتى ثقة الاسلام الامام الكليني فانه يعتقد بنزاهة القرآن وصيانته عن النقص والزيادة) (٣) .

ويستدل على دعواه هذه بأن جميع الروايات التى ذكرها الامام الكلينى فى ذلك ضعيفة ولذلك جعلها تحت عنوان (باب النوادر) إشارة الى طعنه فيها (٤) .

ونوجز الرد على هذه الدعاوى فى النقاط التالية :

١ ـ ليست كل روايات القول بالتحريف مذكورة عند الكليني فى باب النوادر بل لقد ذكر في المجلد الاول من كتابه الكافي روايات فى ذلك تحت عنوان بارز يوضح قصده واعتقاده وهو : (باب أنه لم يجمع القرآن كله الا الأئمة عليهم السلام وأنهم يعلمون علمه كله) (٥) وذكر رواية أخرى فى موضع آخر من كتابه تحت عنوان : (باب أن القرآن يرفع كما أنزل) (٦) وروايات أخرى كثيرة منتشرة فى كتابه الأصول من الكافي، أما في كتابه روضة الكافي فقد استشهد

---

(١) لم أجد له ترجمة .

(٢) عقيدة الشيعة فى الامام الصادق ص / ١٦١

(٣) المرجع السابق ص / ١٦٢

(٤) المرجع السابق ص / ١٦٣

(٥) الأصول من الكافى ١/ ٢٢٨

(٦) المرجع السابق ٢/ ٦١٩

بكثير من الآيات المحرفة زاعماً أنها حذفت من القرآن الكريم [(١)] وبهـــذا تبطل دعوى العاملي بأن الكليني ذكر روايات التحريف في باب النوادر فقـط اشارةالى ضعفهـــا .

٢ ـ حتى باب النوادر ليس كل ما فيه ضعيف بل إن هناك روايات كثيرة ضمنـــه حكم علماء الشيعة بصحتها ومنها روايات خاصة بموضوعنا أبرزها رواية (ان القرآن . . سبعة عشر ألف آية) [(٢)] فقد قال المجلسي : الخبر صحيح [(٣)] ، وقال صاحب الشافي : إنه موثق كالصحيح [(٤)] وكذلك رواية (نزل القـــرآن أربعة أرباع : ربع فينا وربع فى عدونا . .) [(٥)]

٣ ـ ولو فرضنا جدلاً أن جميع الروايات التى أوردها الكلينى فى مزاعم التحريـــف ضعيفة فهل هذا التبرير يعفي الكلينى من مسئولية إيراده لهذه الروايـــات الناطقة بهذه الفرية التى تمس الأصل الأول لجميع المسلمين ، وليست فـــى أمور اجتهادية فرعية ، بل فى أمر أجمع المسلمون على أن من اعتقد به فهـــو كافـــر ؟

٤ ـ ثم ان الكلينى نفسه نص على أنه لم يورد فى كتابه الا ما يعتقد صحته ، وقـــد قال الكاشانى ـ وهو من أشهر مفسريهم ـ : (الظاهر من ثقة الاسلام محمد ابن يعقوب الكلينى طاب ثراه أنه كان يعتقد التحريف والنقصان فى القـــرآن لأنه كان روى روايات فى هذا المعنى فى كتابه الكافى ، ولم يتعرض لقـــدح فيها ، مع أنه ذكر فى أول الكتاب أنه كان يثق بما رواه فيه) [(٦)]

---

(١) راجع مثلا الصفحات / ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٠٥

(٢) سبقت هذه الرواية ، وهى أبلغ رد على ما ادعاه العاملى أن روايات الكلينى محمولة على النقص فى التأويل .

(٣) مرآة العقول للمجلسي ٢/٥٣٦ ، نقلا عن : التقريب بين السنة والشيعة للقفارى ص / ١٧٦ .

(٤) الشافي شرح أصول الكافي ٧/ ٢٢٧

(٥) سبقت هذه الرواية ـ وراجع الشافي ٧ / ٢١٧

(٦) تفسير الصافي للكاشاني ١ / ٣٤

٥ - ليس الكليني وحده هو القائل بهذه الفرية حتى يتلمس له العاملي الأعذار والمبررات بل ان هناك علماء آخرين سبق ذكرهم نصوا على ذلك بصراحة ودافعوا عن هذه الأباطيل بحماس وهم من أبرز علماء الشيعة وأشهرهم على مر العصور ، ولكن حسين مكي العاملي أخفى أسماءهم ظناً منه بأنهم يخفون على الناس وادعى اجماع علمائهم على عدم النقص وما أضطر لذكر الكليني الا لأنه في معرض الرد على الشيخ أبي زهرة (١) الذي طعن في الكليني وأظهر للناس حقيقته واعتقاداته الباطلة وخاصة قوله بتحريف القرآن الكريم .

فهل يخفى خداع علماء الشيعة المعاصرين في ذلك ؟ وهل يستطيعون مهما أوتوا من براعة في استخدام التقية من التستر على فضائح أسلافهم التي تطبع وتنشر الى يومنا هذا ؟

والعجيب أن العاملي يدعي الانصاف في دفاعه عن الكليني ويتهجم على الشيخ أبي زهرة بأشنع الألفاظ لانكاره هذه الفرية على الكليني ، ثم يقول :

(ولو كنا نعتقد أن الكليني يعتنق فكرة نقص القرآن لكنا نحمل عليه كما حمل عليه هو) (٢)

ونحن نطالبه الآن من منطق ادعائه الانصاف أن يعيد النظر من جديد مستأنسا بما أوردناه من ردود على أقواله في دفاعه عن الكليني وعندها سيجد نفسه وبدون تردد مقراً باتهام الكليني بهذا المعتقد الخطير ومعترفا بأن هذه الفرية اشترك في نشرها معظم علماء الشيعة منذ القدم ولا بدّ له بعد هذا أن يتخلى عن هذه التقية التي يستخدمها في إخفاء أخطر عقيدة لازمت التشيع منذ بداياته .

---

(١) انظر كتاب (الامام الصادق) لأبي زهرة ص/٣٢٣

(٢) عقيدة الشيعة في الامام الصادق ص/ ١٦٨ - ١٦٩

المسلك الثانى :

نفي وقوع التحريف مع الاعتراف بأن بعض علمائهم السابقين قال بغير ذلك ، وبالتالي القيام بمحاولة تأويل هذه الأقوال واخراجها عن حقيقتها أو التهوين من شأنها وأنها لا تمثل رأى علماء الشيعة . وأبرز من سلك هذا المسلك من علمائهم المعاصرين :

ـ محمد جواد مغنيه (١)

يقول فى كتابه (الشيعة فى الميزان) :

(اتفق المسلمون بكلمة واحدة على أنه لا زيادة فى القرآن . . ونحن لا نتردد ولا نتوقف فى تكفير من أنكر كلمة واحدة من القرآن ، وأن جحود البعض تماما كجحود الكل ، لأنه طعن صريح فيما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم بضرورة الدين واتفاق المسلمين ، وأما النقصان . . فقد قال به افراد من السنة والشيعة فى العصر البائد ، وأنكر عليهم يومذاك المحققون وشيوخ الاسلام من الفريقين ، وجزموا بكلمة قاطعة أن ما بين الدفتين هو القرآن المنزل دون زيادة أو نقصان) (٢)

ولنقف عند هذا النص قليلاً :

ـ فأول ما يلفت الأنظار فيه ادعاؤه بأن أفراداً من السنة بجانب الشيعة قالوا بالنقص فى القرآن وهذه محاولة يائسة من مغنية لابعاد تلك التهمة عن علماء الشيعة وتخفيف وطأتها من جانبين وهما :

أ ـ الادعاء بأن القائلين بذلك أفراد قلائل من الشيعة لا يعتمد قولهم وليسوا من علمائهم المحققين . وسنرى بطلان هذه الدعوى من كتاب مغنية نفسه .

---

(١) سبقت ترجمته ص / ٢٢٩ من هذا البحث .

(٢) الشيعة فى الميزان ص / ٥٨ .

ب ـ الادعاء بأن هذا القول موجود عند أهل السنة ، وهذا لم يقله الا بعض المستشرقين الحاقدين وقد حاول تأييد رأيه بتلمس نصوص من كتب أهل السنة فيها اشارة لآيات نسخت تلاوتها أو بيان لقراءة متواترة وغير ذلك .

وهو بهذا الافتراء يوجد لأسلافه المبررات بأنهم لم ينفردوا بمزاعمهم ولكن خاب ظنه فأهل السنة لا يحيد أحد منهم عن الاعتصام بكتاب الله والدفاع عنه .

ـ القائلون بهذه الفرية من علماء الشيعة وصفهم مغنية بأنهم أفراد وليسوا من المحققين أو الشيوخ ...

والقارئ لهذا الكلام يعتقد أن هؤلاء القائلين بالتحريف ليس لهم أى اعتبار عند الشيعة .

ولعل مغنية يظن أنه بقوله هذا يتمكن من خداع الناس ، بل لعله يتوقع أنّ الباحثين عن عقائد الشيعة لن يقرأوا الا كتبه ولن ينظروا فى مراجع الشيعة المعتمدة وأصولهم الموثقة !

ولذلك نجده فى موضع آخر من كتابه يقول :

(ونسب الى الامامية افتراء وتنكيلاً نقصان آيات من آى القرآن ، مع أن علماءهم المتقدمين والمتأخرين الذين هم الحجة والعمدة قد صرحوا بأن القرآن هو ما في أيدى الناس لا غيره) ..

إلى أن يقول : (إن القائلين بالنقصان هم أفراد من شذّاذ الشيعة) (١)

وقد سبق أن أطلعنا القراء على أسماء القائلين بهذه الفرية من علماء الشيعة ، وتبين للجميع أنهم ليسوا كما يدعي مغنية بل هم أساس مذهب التشيع وواضعوا عقائده أمثال الكليني والصفار والعياشي والمفيد وغيرهم .

فهل هؤلاء أفراد من شذاذ الشيعة لا يعتد بقولهم ؟

يجيبنا على ذلك مغنية وفى كتابه نفسه حيث يجعل الكلينى ـ وهو أشهر القائلين

---

(١) المرجع السابق ص/ ٣١٤

بالتحريف من علمائهم - أبرز وأول من ألّف في علم الحديث عند الشيعة في كتابه الكافي [١] .

فهل هذا من شذاذ الشيعة ؟

ثم إن الشيخ المفيد - الذي امتلأت كتبه بفرية القول بالتحريف وخاصة كتابه أوائل المقالات الذى ادعى فيه اتفاق الامامية على هذه الفرية .

يقول فيه مغنية :

(كتب العقائد المعتبرة عند الشيعة كثيرة ، ومطبوعة تتداولها الأيدى .. نذكر منها على سبيل المثال : أوائل المقالات والنكت الاعتقادية للشيخ المفيد ..)

الى أن يقول : (نكرر هنا ما قلناه .. إن الشيعة لا يقرون ولا يعترفون بشيء مما قيل عن عقيدتهم إذا لم تتفق مع ما جاء في الكتب المعتبرة عندهم ..) [٢]

وليضع القارئ هذا النص بجانب النص السابق وينظر اليهما ملياً ليرى حقيقة الدور الذى يلعبه مغنية متستراً بستار التقية مع أنه هو الذي نادى مراراً بأن عهد التقية اليوم قد ولى !!

ها قد التزمنا بما يطلب مغنية فرجعنا إلى كتاب أوائل المقالات الذى وضعه فى رأس قائمة الكتب المعتبرة لنأخذ منه عقيدة الشيعة فى القرآن الكريم واذا به يؤكد اتفاق الامامية على وقوع التحريف فى القرآن الكريم [٣] .

فهل هذا الكتاب أيضا مردود أم أنه معتمد ؟

وهل مؤلفه الذي خاطبه إمامهم الغائب بالأخ السديد والمولى الرشيد [٤] هو فى نظر مغنية من شذاذ الشيعة ؟

---

(١) المرجع السابق ص / ٣١٧

(٢) المرجع السابق ص / ١٤

(٣) أوائل المقالات ص / ١٣

(٤) راجع ما ذكرناه من نصوص فى ثنائهم على المفيد ص / ٢١٨ من هذا البحث

عجبا لهذا الافتراء ولهذه الدعوى العريضة المتلبسة بلباس التقية فى اخفاء وانكار عقيدة طفحت بها كتب القوم !!

وأظن ذلك كافيا فى اظهار حقيقة هذا الرجل وتفننه فى أساليب التقية .

— وهناك آخرون من علماء الشيعة المعاصرين سلكوا مسلك مغنية فى الدفاع عمن قال بتحريف القرآن من علمائهم وتبرير هذا القول لهم وتلمس الأعذار لما أقدموا عليه . ومن هؤلاء

— (الخاقاني) فى كتابه (مع الخطوط العريضة) حيث وصف النوري بأنه مجتهد أخطأ ، وأن المجتهد إذا أخطأ له حسنة وأجر على اجتهاده ..(١)

وأبلغ أجابة على هذا التبرير الواهي أن نقول : لعل شيعيا آخر ينكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيعدوه مجتهداً أخطأ فى اجتهاده .. وهل دعوى تحريف القرآن من المسائل الفرعية التى يصح فيها الخطأ والصواب ؟!

— (على أكبر الغفاري) فى تعليقه على أصول الكافى . حيث حاول تأويل الروايات التى أوردها الكلينى بأن المراد بالتحريف والتغيير انما هو من حيث المعنى دون اللفظ .(٢)

وهو تبرير لا يقول به عاقل وهو يطلع على عشرات الروايات الصريحة عند الكليني والتى تنص على زيادة أو تغيير فى كتاب الله عز وجل .

— (هبة الدين الشهرستاني) فى تعليقه على أوائل المقالات للمفيد .

حيث ذكر أن هناك روايات ضعيفة وضع قسما منها ذوو الأهواء من رؤساء الغرق فى صدر الاسلام فاغتر بها جماعة من الحشوية ونساك المحدثين فظنوا حدوث الزيادة والنقصان فى أى القرآن .(٣)

---

(١) ص / ٣٣ نقلا عن الشيعة وتحريف القرآن لمحمد مال الله ص / ١١٥

(٢) التعليق على أصول الكافى ٢ / ٦٣١

(٣) حاشية أوائل المقالات ص / ٥٥ - ٥٦

ومع أن كلام هبة الدين الشهرستانى هنا صريح فى اتهام عظماء المحدثين عند الشيعة بالخلط فى الروايات والنقل عن الأعداء وأصحاب الأهواء الا أنه لم يصرح بأنه يقصد بذلك أشياخه العظام أمثال الكليني والصفار والمفيد لأنه يكنّ لهم كل محبة وولاء .

ولكنه أطلقها كلمة عامة لذرّ الرماد فى العيون وابعاد الشبهة عن الشيعة فى القول بهذا المعتقد الخطير .

وهكذا نجد أن جميع من استعرضنا أقوالهم من علماء الشيعة المعاصرين ، وآخرين لم نستعرض أقوالهم (١) كل هؤلاء لم يفصحوا عن قول أسلافهم بهذه الفرية .

وتظاهروا بالبراءة من هذه التهمة مع أنها ثابتة ومتأصلة لديهم كما رأينا ، وهذا الإخفاء المتعمد لقول يجب فضح قائله والتبرؤ منه ، يعد تقية بلا شك .

وقد زاد بعضهم على هذا الاخفاء بأن امتدحوا قائلي تلك الفرية المكفرة وأطروهم بسيل من ألفاظ الثناء والتبجيل مع علمهم بما يعتقدونه من ضلالات .

وهؤلاء يميل الباحث إلى القول بأنهم يشاركون من يمتدحونه فى تلك الاعتقادات. لأنهم لو لم يكونوا مثلهم فى اعتقادها لما امتدحوهم ، والجنس يألفه الجنس .

وبذلك يعد انكار هؤلاء للتحريف تقية أخرى لاخفاء ما فى قلوبهم من اعتقاد بالاضافة إلى إخفاء معتقدات أسلافهم . وبعد هذا الحشد الكبير من علماء الشيعة الذين أجمعوا على التظاهر بانكار فرية التحريف نجد الخميني زعيم ثورة ايران يعود الى التصريح ثانية بهذه الفرية .

فيقول مبرراً عدم نص القرآن الكريم على الوصاية لعلي صراحة :

---

(١) أمثال : لطف الله الصافى فى كتابه : (صوت الحق) - وعبد الواحد الأنصاري فى كتابه : (أضواء على خطوط محب الدين العريضة) - وأحمد مغنية في كتابه (الجبهان سليل الشيطان) - وعلي فضل الله الحسني فى كتابه (في ظلال الوحي)

(لو كانت مسألة الامامة قد تم تثبيتها فى القرآن ، فإن أولئك الذين لا يعنون بالاسلام والقرآن الا الأغراض الدنيا والرئاسة ، كانوا يتخذون من القرآن وسيلة لتنفيذ أغراضهم المشبوهة ، ويحذفون تلك الآيات من صفحاته) (١)

وهذا النص فيه اشارة واضحة إلى اتهام خير جيل وأفضل قرن بأنهم طمعاً فى الرئاسة قد يُقدمون على حذف آيات من القرآن الكريم ، أو أنهم قد فعلوا ذلك !!

---

(١) كشف الأسرار للخمينى ص / ١٣١

المبحث الثالث

تمسك الشيعة بالتقية لإخفاء طعنهم في الصحابة الكرام رضي الله عنهم

لقد سعد الصحابة الكرام بتربية الرسول صلى الله عليه وسلم لهم ، تلك التربية العملية التي غيّرت سلوكهم وأخرجتهم من الظلمات الى النور ، فاستنارت عقولهم ، وأشرقت نفوسهم ، وزكت قلوبهم.

ولقد صوّر القرآن الكريم هذه التربية النبوية فقال تعالى :

(هو الذى بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)(١)

وهذه التزكية كان لها أكبر الأثر فى نفوسهم حتى أضحوا مفخرة للمسلمين ، وشرفاً للبشرية بما أتاهم الله من ايمان راسخ وعلم عميق وقلوب صادقة وتواضع وخشية لله سبحانه وجهاد فى سبيله وزهد فى الدنيا وتحرر من سلطانها وزخارفها.

وإزاء هذه النقلة الايمانية التى آل اليها حال الصحابة الكرام .. أثنى عليهم الله سبحانه فى آيات عديدة من القرآن الكريم.

فقال تعالى : (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم)(٢)

وقال سبحانه : (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم . والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله إن الله بكل شئ عليم)(٣)

وقال سبحانه :(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود)(٤)

---

(١) سورة الجمعة / آية ٤

(٢) سورة التوبة / آية ١٠٠

(٣) سورة الانفال / آية ٧٤ - ٧٥

(٤) سورة الفتح / آية ٢٩

ولقد بشرهم الله سبحانه بالرحمة والرضوان فقال تعالى :

(الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم) [1] .

ووردت آيات أخرى كثيرة فى الثناء عليهم وبيان منزلتهم وفضلهم .

كما وردت أحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فى امتداح أصحابه عموما ، والثناء على أفراد كثيرين منهم على وجه الخصوص منهم العشرة المبشرين بالجنة وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان والمهاجرين والانصار وغير ذلك مما يضيق مجال البحث عن تفصيله .

وقد ذكر البخارى فى صحيحه عشرات الاحاديث فى ذلك [2] تبرز فضائل الصحابة الكرام ومنزلتهم وامتداح الرسول صلى الله عليه وسلم لهم وتنهى عن الاساءة اليهم أو التنقيص من قدرهم أو الطعن فى أحد منهم .

منها مارواه البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : (لاتسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحِد ذهباً مابلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصيفَة) [3] . وما رواه أيضاً فى فضل الانصار قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (الانصار لايحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله) بالاضافة الى أحاديث كثيرة أوردها عن النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة التوبة / آية ٢٠ - ٢١

(٢) صحيح البخارى - كتاب فضائل الصحابة ٢ / ٢٩٢

(٣) المرجع السابق ٢ / ٢٩٢ ومعنى الحديث كما ذكر الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ٧ / ٣٤ (لاينال أحدكم بانفاق مثل أُحد ذهبًا من الفضل والاجر ماينال أحدهم بانفاق مُدِّ طعام أو نَصيفه) والنَصيف هو النصف وقيل هو مكيال دون المُد . وقال الامام الخطابي فى معالم السنن شرح مختصر سنن أبي داود في شرح هذا الحديث (٧ / ٣٤) : (المعنى أن جهد المُقلِّ منهم واليسير من النفقة الذي أنفقوا في سبيل الله مع شدة العيش والضيق الذي كانوا فيه ، أوفى عند الله وأزكى من الكثير الذى ينفقه مَنْ بعدهم)

فى الثناء على أفراد مخصوصين من الصحابة الكرام

أبرزها: ما رواه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(لوكنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبابكر ، ولكن أخي وصاحبي)

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : (إيهاً يا ابن الخطاب ، والذى نفسي بيده مالقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجّك)(٢)

وروى الترمذي عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه)(٣)

وروى أيضاً أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لعثمان رضى الله عنه حين جهز جيش العسرة : (ماضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم)(٤)

هذه هى مكانة الصحابة الكرام ، وهكذا كانت منزلتهم فى قلوب المسلمين جيلاً بعد جيل حتى إن كثيرا من الاعداء والمؤرخين الغربيين شهدوا بفضلهم وتمسكهم بالاسلام وتضحياتهم من أجله(٥) .

فماذا يقول الشيعة الامامية فى ذلك ؟

لقد كان موقف الشيعة على العكس تماما حيث أبرزوا الصحابة الكرام فى صورة مشوهة ولم يتركوا نقيصة الا واتهموهم بها ، وأجمعت رواياتهم ونصوصهم على إبراز الصحابة الذين هم خير جيل فى صورة كالحة سوداء يظهر منها الغدر والجفاء وإخفاء الحق وحب الجاه والمؤامرات والافتراءات لتحقيق مآرب النفس . . وغير ذلك من الاعمال الخسيسة !! . وحكموا على معظمهم بالردة والكفر !!

---

(١) صحيح البخارى ٢ / ٣١٠

(٢) المرجع السابق ٢ / ٢٩٤

(٣) رواه الترمذى فى باب مناقب عمر رضى الله عنه ، وقال هذا حديث حسن (سنن الترمذى ٥ / ٦١٧)

(٤) رواه الترمذى فى باب مناقب عثمان رضى الله عنه ، وقال : هذا حديث حسن (سنن الترمذى ٥ / ٦٢٦) ورواه أحمد فى المسند ٣ / ٦٣

(٥) راجع تفصيل ذلك في كتاب: صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول وسيرة الجيل المثالى عند أهل السنة والشيعة والامامية/ لأبى الحسن الندوى- ص/ ٢٣ - ٣٦ .

ويذكر سعد القمي[١] في كتابه (المقالات والفرق) وهو من أبرز كتب الفرق عند الشيعة أن عبد الله بن سبأ أول من أظهر الطعن على أبى بكر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم ، وادعى أن علياً أمره بذلك .. وأنه كان يهوديا فأسلم ووالى عليا[٢]. كما أقر بذلك الكشي وهو من مشاهير علماء الشيعة فى التراجم فى ترجمته لابن سبأ[٣]. والدكتور الشيبي - مع ميوله الشيعية - يذكر أن سبب انتشار سب الصحابة والحقد عليهم بين الشيعة مرجعه الى أن التشيع قد حوى خليطا من الناس وصار ستارا يختفي وراءه أصحاب الاطماع والاحقاد والبدع باعتباره أمراً يسهل جمع الناس حوله[٤].

ولكننا سوف نرى من خلال استعراض سريع لانتشار هذه الظاهرة الخطيرة بين الشيعة أنها لم تكن قاصرة على أناس من أدعياء التشيع بل لقد عمت علماء الشيعة قديما وحديثا وصارت سمة مميزة لكل عالم أو كتاب شيعي .

ولا يمكننا فى هذه الصفحات استقصاء جميع المفتريات والاباطيل التى يعف الانسان عن ذكرها ولا يرضى أن يتصفحها مسلم عادى فضلا عن أن يُتهم بها أجلاء الصحابة.

الا أننا سنذكر بعضها بايجاز شديد مضطرين الى ذلك لاثبات تأصل هذه الفرية فى صفوفهم وعدم تخليهم عنها منذ أقدم عهودهم حتى الان ، وأنهم لا ينكرونها إلا تقية وخداعاً .

وسنكتفى بالاشارة الى أبرز علمائهم كنماذج لهذا الغلو:

١ - علي بن ابراهيم القمي[٥] (توفي بعد ٣٠٧ هـ) وهو شيخ الكليني

- يتجرأ على الشيخين أبى بكر وعمر ويعتبرهما شيطانين كانا يؤذيان النبى صلى الله عليه وسلم ويؤذيان الناس بعده[٦] !!

---

(١) هو سعد بن عبد الله القمي ، فقيه إمامي من أهل قم ، توفي سنة ٣٠١ هـ . (الأعلام ٣/٨٦)

(٢) المقالات والفرق ص/ ٢٠ تحقيق د . محمد جواد مشكور - طبع طهران - ١٩٦٣

(٣) راجع رجال الكشي ص/ ١٠٨

(٤) التقية أصلها وتطورها للدكتور كامل الشيبي - ص/ ٢٤٩ - ٢٥٠ وهى مقالة فى مجلة كلية الاداب بجامعة الاسكندرية - العدد ١٦ - سنة ١٩٦٢ ١٩٦٣

(٥) سبقت ترجمته ص/ ٣٥٩

(٦) تفسير القمي ١/ ٢١٤ نقلا عن (الشيعة والسنة) ص/ ٣٥

- يزعم أن أبابكر وعمر وخالد بن الوليد[١] تآمروا فيما بينهم ليقتلوا على بن أبى طالب[٢] رضى الله عنهم أجمعين !.
- ويزعم أن قوله تعالى (ويوم يعض الظالم على يديه) يعنى به أبابكر . وقوله تعالى : (ياليتنى لم اتخذ فلانا خليلا) يعنى به عمر ![٣].
- ويزعم أن قوله تعالى : (إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط)[٤] أنها نزلت فى طلحه[٥] والزبير[٦] رضى الله عنهما ![٧].

---

(١) هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى ، وصفه الرسول بأنه سيف من سيوف الله وهو أشهر من أن يُترجم له . أسلم سنة سبع بعد خيبر ثم شهد غزوة مؤته وغزوة حنين وغيرها وكان له فى كل هذه الغزوات مواقف مشهورة ، كما أبلى بلاء حسنا فى قتال أهل الردة ثم فى حرب الروم ، واستخلفه أبو بكر رضى الله عنه على الشام ، ولما حضرته الوفاة سنة احدى وعشرين قال : (لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها ومافى جسمى موضع شبر الا وفيه ضربه أو طعنه أو رميه ، ثم هاأنا ذا أموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء) راجع الاصابة فى تمييز الصحابة ٤١٣/١ والاستيعاب (بحاشية الاصابة) ٤٠٩/١

(٢) المرجع السابق ١٥٨/٢ نقلا عن (الشيعة والسنة) ص/٤٦

(٣) المرجع السابق ١١٣/٢ نقلا عن (الشيعة والسنة) ص/٣٤

(٤) سورة الاعراف / آية ٤٠

(٥) هو طلحة بن عبيد الله ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الثمانية الذين سبقوا الى الاسلام ، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبى بكر ، وأحد الستة الذين جعلهم عمر بن الخطاب أصحاب الشورى لاختيار الخليفة بعده ، توفى يوم الجمل سنة ٣٦هـ متأثرا بجراحه . راجع ترجمته فى الاصابة ٢٢٠/٢ - ٢٢٢

(٦) هو الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ، أمه صفيه بنت عبد المطلب ، أسلم وعمره اثنتا عشرة سنه ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى قتل يوم الجمل سنة ٣٦هـ .
راجع ترجمته فى الاصابة ٥٢٦/١ - ٥٢٨

(٧) تفسير القمي ٢٣٠/١

هذا غيض من فيض مما حواه تفسير القمي من افتراءات على الصحابة الكرام ونسبة الكفر والضلال الى الكثيرين منهم،هذا مع أن القمى شيخ مشايخ الشيعة فى الحديث والتفسير!!

٢ - الكُليني [(١)] (ت ٣٢٩هـ)

يتهجم الكلينى كثيرًا فى كتابه الكافى - الذى هو أصح الكتب عندهم - على كبار الصحابة ، ويصفهم بالكفر والضلال ويطلق عليهم أسوأ الصفات مع كثير من السباب والشتائم واللعن والتجريح .

وأبرز من يفترى عليهم الكلينى هذه الافتراءات الخلفاء الثلاثة وآخرون من كبار الصحابة الذين شهد القرآن الكريم بايمانهم واخلاصهم.

- فها هو يزعم أن علياً رضى الله عنه قال عن الشيخين رضى الله عنهما : (لئن تقمصها دوني الأشقيان ونازعاني فيما ليس لهما حق . . فلبئس ما عليه وردا . . يتبرأ كل واحد منهما من صاحبه ويقول : ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ، فيجيبه الاشقى : ياليتنى لم أتخذ فلانا خليلا) ويزعم أنهما على شفا حفرة من النار وأنهما يتصارخان باللعنة!! [(٢)]

- كما يزعم أنهما ظلما حق آل البيت ، وأنه ما أهريق محجمة من دم ولا أُخذ مال من غير حِلّه ، ولا قُلب حَجَر على حجر إلا ذاك فى أعناقهما . [(٣)]

- ويزعم أنهما (فارقا الدنيا ولم يتوبا ولم يتذكرا ما صنعا بأمير المؤمنين - ع - فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) ! [(٤)]

- ولا يكتفى بذلك بل يعمم حكم الكفر والردة على جميع الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة وهم :

---

(١) سبقت ترجمته ص/ ٢١٢ من هذا البحث

(٢) الروضة من الكافى ص/ ٢٧ - ٢٨

(٣) المرجع السابق ص/١٠٢ - ١٠٣

(٤) المرجع السابق ص/ ٢٤٦

المقداد[1] و أبوذر[2] وسلمان[3] رضي الله عنهم[4]

ويكذب على علي رضى الله عنه فيزعم أنه قال عن الصحابة الكرام الذين شهد الله لهم بالمغفرة والرضوان انهم : (كذّبوا الله وكذّبوا رسوله وجحدوا كتاب الله الناطق بحقنا ومنعونا فرضاً فرضه الله لنا ، وما لقي أهل بيت نبي من أمته مالقينا بعد نبينا صلى الله عليه وسلم)[5] !

ولا يخفى أن هذه الافتراءات أسخف من أن يصدقها عاقل ، إذ كيف يرتد آلاف من خيرة الصحابة دفعة واحدة بمجرد موت الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يبقى الا ثلاثة ! وما هو مصير علي وأولاده وزوجته فاطمة وغيرهم من آل بيت النبوة ؟ وكيف تضيع الجهود العظيمة التى بذلها الرسول صلى الله عليه وسلم فى طرفة عين ؟ إن هذه الفرية ومئات الافتراءات التى سوّد بها الشيعة وجوههم قبل أن يسودوا بها صفحات كتبهم .. تقدم صورة مشوهة لذلك الجيل القرآنى الفريد بل انها تتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه أخفق فى دعوته بشكل لم يواجهه أى مصلح أو مرب خبير فضلا عن أن يكون رسولا مؤيدا من السماء . وهذا التشويه المتعمد هدفه أن يملأ النفوس باليأس من صلاحية هذا الدين لسعادة البشر[6]

---

(١) هو المقداد بن الاسود ، كان من السابقين للاسلام ، وزوجته بنت الزبير بن عبد المطلب ابنة عم النبى صلى الله عليه وسلم ، له مواقف مشهورة فى غزواته مع رسول الله صلى الله توفى سنة (٣٣هـ) راجع ترجمته فى الاصابة ٣/٤٣٣ - ٤٣٤

(٢) هو أبو ذر الغفارى ، اسمه جندب بن جنادة ، قصة اسلامه مشهورة ذكرها ابن حجر فى الاصابة وورد ت فى الصحيحين ، توفى بالربذة سنة (٣١هـ) .راجع ترجمة فى الاصابة ٤/٦٣/٦٥

(٣) هو سلمان أبو عبد الله الفارسى ، يقال له سلمان الخير ، أصله من رامهرمز وقيل من أصبهان ، قصة خروجه من بلاده مشهورة ، توفى سنة (٣٦هـ) راجع ترجمته فى الاصابة ٢/٦٠ - ٦١

(٤) الاصول من الكافى ٢/٢٤٤ والروضة ص/ ٢٤٥

(٥) الروضة ص/ ٦٣

(٦) راجع : صورتان متضادتان للندوى ص/ ٥٢

قال الامام مالك رحمه الله : (انما هؤلاء أقوام أرادوا القدح فى النبى صلى الله عليه وسلم فلم يمكنهم ذلك ، فقدحوا فى أصحابه حتى يقال : رجل سوء ، ولو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحين)(١)

هذا غيض من فيض مما سود به الكلينى صفحات كتابه من الافتراءات على هذا الجيل القرآنى الفريد والانحرافات التى لا ينطق بها مسلم ، ولا تصدر من عاقل(٢)

٣ ـ أبو القاسم الكوفى(٣) (ت ٣٥٢هـ) فى كتابه (الاغاثة فى بدع الثلاثة)

فى هذا الكتاب من الفظائع ما تقشعر منها الابدان ، وفيه حشد هائل من الاكاذيب والافتراءات على الكثير من أجلاء الصحابة رضى الله عنهم ، وخاصة الخلفاء الثلاثة.

ـ وقد ادعى مؤلفه أن الفساد والضلال الذى حصل بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ينبع كله من بدع الثلاثة المستولين على أحكام الدين !! . وأن كل واحد من الثلاثة قد ابتدع بدعًا على قدر طول عمره وتمكنه فى سلطانه مما يوجب على مبتدعه الهلاك والدمار(٤) !

ولعله يقصد بذلك ما قام به الخلفاء الثلاثة رضى الله عنهم من فتوحات ونشر لهذا الدين وازالة للطواغيت وتحطيم لسلطانهم . وهذا ما يغيظ كل عدو للاسلام ويملأ قلبه حقداً على هؤلاء الافاضل الاجلاء .

ـ ثم يتهم أبا بكر رضى الله عنه بالتآمر على الناس وطالبته لهم بالبيعة وأن المرتدين هم قبائل امتنعوا عن بيعته فقاتلهم!(٥) . ويحكم عليه بالكفر والضلال(٦) !!

ـ ويتهم عمر وعثمان رضى الله عنهما بتهم كثيرة أخرى ويصفهم بأسوأ الالفاظ وينكر كل ما ثبت فى فضائل الخلفاء الثلاثة بأسلوب يظهر منه الحقد الشديد والبغض الذى ملأ قلبه وأعمى بصيرته .

(١) الصارم المسلول لابن تيمية ص/ ٥٨٠

(٢) راجع مثلا : الاصول من الكافى ٢/ ٣٧٩ ، ٣٩٨ الروضة ص/ ١٨ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٥٠ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ١٨٠ ، ٢٩٦

(٣) راجع ترجمته ص/ ٣٦٠

(٤) مقدمة الاغاثة نقلا عن : تبديد الظلام للجيهان ص/ ٢٢٥

(٥) الاغاثة ص/ ٥ نقلا عن : تبديد الظلام ص/ ٢٢٧

(٦) المرجع السابق ص/ ٢٠ نقلا عن : تبديد الظلام ص/ ٢٣٧

- ومن ذلك أنه يدعى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه تظاهر بالاسلام نفاقا بالاتفاق مع أبى جهل ليقوم بتهديم الاسلام ..!! (١)

- ويفترى على أمين الامة أبى عبيده (٢) رضى الله عنه أنه سمى بذلك لانه كان أمين القوم الذين تحالفوا فى الكعبة المشرفة على أن لا يصير هذا الامر بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته وكتبوا بذلك صحيفة ولذلك سماه الرسول صلى الله عليه وسلم أمين هذه الامه على باطلها ..!! (٣)

وهكذا يظهر جليا حقيقة هذا العالم الشيعى، مع أن له المنزلة العظمى عند القوم، ومع أنهم يقولون عنه : (كان إماميًا مستقيم الطريقة وصنف كتبا كثيرة سديدة) .. (٤)

٤ - ابن بابويه القمي (٥) (ت ٣٨١هـ)

وهو الملقب عندهم بالصدوق ، ويعد من أبرز علمائهم المحققين ، وقد أشرنا فى معرض حديثنا عن اعتقاد الشيعة بتحريف القرآن أن الصدوق أول من أنكر دعوى التحريف ونص على سلامة القرآن من أى زيادة أو نقصان .

لكنه هنا لم يخالف سابقيه من علماء الشيعة بل سار على طريقتهم فى الطعن والتجريح والاتهام والافتراء على كبار الصحابة .. وهذه أبرز ادعاءاته :

- يزعم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال حين حضره الموت : أتوب الى الله من اغتصابى هذا الامر أنا وأبو بكر من دون الناس (٦)

---

(١) المرجع السابق ص/ ٧٤ نقلا عن تبديد الظلام ص/ ٣١٤

(٢) هو عامر بن عبد الله بن الجراح ، مشهور بكنيته ، هو أحد العشرة السابقين الى الاسلام، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيه : (لكل أمة أمين ، وأمين هذه الامة أبو عبيده) ، هاجر الهجرتين وشهد بدرا ومابعدها ، وكان قائد الجيش الاسلامى فى بلاد الروم توفى سنة (١٨هـ) بسبب الطاعون، راجع ترجمته فى الاصابة ٢/٢٤٣ - ٢٤٥

(٣) الاغاثة ص / ٦٦

(٤) راجع ماذكرناه فى ترجمته ص / ٣٦٠ من هذا البحث

(٥) سبقت ترجمته ص/ ٢١٣

(٦) الخصال لابن بابويه ص/ ٨١

- يدعى أن من أنكر امامة على رضى الله عنه فهو كمن أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأن من أطاع عليا والائمة من بعده فقد أطاع الرسول صلى الله عليه وسلم ومن عاداهم فقد عاداه (١).

وأبرز من يقصد هم بذلك الصحابة الكرام ابتداء من الخلفاء الثلاثة رضى الله عنهم.

- وينسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم قوله (من أنكر إمامة على - ع - بعدي كان كمن أنكر نبوتي فى حياتي ، ومن أنكر نبوتي ، كان كمن أنكر ربوبية الله عزوجل) (٢) !!

ولا يخفى أن هذا النص الذى ينسبه القمى للرسول صلى الله عليه وسلم يتضمن الحكم على معظم الصحابة بالكفر لانهم أنكروا امامة على بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ووصايته.

- ويضيف ابن بابويه الى زعمه بكفر معظم الصحابة .. قولا منسوبا الى الرسول صلى الله عليه وسلم : (لعن الله من خالف عليا .. من تقدم على علي فقد تقدم عليَّ ، ومن فارقه فقد فارقني) (٣) !!

- وينسب الى جعفر الصادق قوله : (ثلاثة كانوا يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو هريرة (٤) ، وأنس بن مالك (٥) ، وامرأة (٦)) !!

---

(١) اكمال الدين واتمام النعمة فى اثبات الرجعة - لابن بابويه ص/ ٣٩١

(٢) أمالى الصدوق ص/ ٥٨٦

(٣) المرجع السابق ص/ ٥٨٩ ويذكر فى كتاب الخصال ص/ ٤٦٢ أن الامة لما بايعت أبا بكر رضى الله عنه تركت قول نبيها وكذبت على ربها !

(٤) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي وقد كناه الرسول صلى الله عليه وسلم أبا هريرة ، أسلم عام خيبر ، ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أحفظ أصحابه لحرصه على العلم والحديث ومواظبته على حضور مجلسه صلى الله عليه وسلم وقد دعا ربه أن يرزقه علما لا ينسى وكان الرسول صلى الله عليه وسلم جالساً، فقال: آمين، فما نسي شيئا سمعه بعد ذلك، روى عنه أكثر من ثمانمائة صحابي وتابعي ، توفى سنة ٥٨ هـ.
راجع ترجمته فى الاصابة ٤/ ٢٠٠ - ٢٠٨

(٥) هو أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة الانصارى الخزرجي - خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحد المكثرين من الرواية عنه ، وقد خدمه عشر سنين وغزا معه ثماني غزوات وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة) يقول أنس: قد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة، توفى سنة ٩١هـ وعمره مائة سنه الا سنة.
راجع ترجمته فى الاصابة ١/ ٨٣ - ٨٥

(٦) الخصال لابن بابويه ص / ١٩٠

ويقصد بالمرأة السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها الصديقة بنت الصديق [(١)]

- ويزعم أن أبا سفيان [(٢)] ركب بعيرا له ومعاوية [(٣)] يقوده ويزيد [(٤)] يسوق به فلعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراكب والقائد والسائق ..!! [(٥)]

٥ - محمد بن محمد بن النعمان العكبري [(٦)] الملقب بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)

وقد سبق الحديث عن مكانته عند الشيعة وأن رئاسة الامامية انتهت اليه فى وقته وله مصنفات كثيرة لها منزلة الصدارة عند القوم ، ومن أبرزها (الافصاح فى امامة

---

(١) هى عائشة بنت أبى بكر الصديق ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عنها : (عائشة زوجتى فى الجنة) ، وهى من أفقه الصحابة وأعلمهم ، توفيت سنة ٥٨ هـ . راجع ترجمتها فى الاصابة ٣٤٨/٤ - ٣٥٠

(٢) هو صخر بن حرب بن أميه ، أمه صفية بنت حرب عمة ميمونه زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، أسلم عام الفتح وشهد حنينا والطائف ، أصيبت عينه يوم الطائف فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : هذه عينى أصيبت فى سبيل الله ، قال : ان شئت دعوت فردت عليك وان شئت فالجنه ، قال : الجنه . وقد قاتل يوم اليرموك تحت راية ابنه يزيد وأبلى بلاء حسنا ، توفى سنة ٣٤ هـ وعمره ٩٣ سنة . راجع ترجمته فى الاصابة ١٧٢/٢ - ١٧٣

(٣) هو معاوية بن أبى سفيان ، ولد قبل البعثه بخمس سنين ، أسلم عام الفتح ، وصحب النبى صلى الله عليه وسلم وكتب له وولاه عمر الشام ، وقد بايعه الناس بالخلافه بعد تنازل الحسن عنها سنة ٤١ هـ ، توفى سنة ٦٠ هـ . راجع ترجمته فى الاصابة ٤١٢/٣ - ٤١٤

(٤) يقصد به يزيد بن أبى سفيان أخو معاوية كما أشار الى ذلك المعلق على الخصال . وهو من فضلاء الصحابة من مسلمة الفتح ، أمّره عمر على فلسطين ثم دمشق ، توفى سنة ١٨ هـ . راجع ترجمته فى الاصابة ٦١٩/٣

(٥) الخصال لابن بابويه ص/ ١٩١

(٦) سبقت ترجمته ص/ ٢١٨

علي عليه السلام) وقد ملأه بالطعن فى الخلفاء الثلاثة والتنقيص من منزلتهم والافتراء على الكثير من الصحابة بأشنع الاكاذيب،[١] وأنهم كانوا يقاتلون طمعا فى الغنائم والاموال ولم يكن لهم نية فى نصره الاسلام[٢] وأنهم كانوا ينكثون العهود والرسول صلى الله عليه وسلم حي بين أظهرهم والوحي ينزل عليه بالتوبيخ لهم والتعنيف ولا يزجرهم ذلك عن أمثال ما ارتكبو من الاثام ..!![٣]

ولا يجد المفيد مستنداً لافتراءاته هذه إلا آيات القرآن الكريم التى نزلت فى شأن المنافقين ليجعلها حكما عاما على الصحابة الكرام بما فيهم الخلفاء الثلاثة رضى الله عنهم .

ثم يسود الصفحات الطويلة من كتابه (الافصاح) لاثبات كون محاربى على رضى الله عنه كفار[٤] وهو بهذا الحكم يقصد أجلاء الصحابة ، أمثال عائشه وطلحة والزبير ومعاوية رضى الله عنهم .

وليست هذه الافتراءات محصورة عند الشيخ المفيد فى كتابه الافصاح بل فى معظم كتبه الاخرى التى لها منزلة الصدارة عند القوم أمثال : الامالي[٥] وأوائل المقالات[٦] ، والاختصاص،[٧] .. وغيرها .

٦ - أبو جعفر الطوسي[٨] (ت ٤٦٠ هـ)

ولا يفوت القارئ مكانة هذا الرجل عند الشيعة فهو الملقب بشيخ الطائفة، وله

---

(١) راجع الافصاح ص/ ١٢ - ١٣

(٢) المرجع السابق ص/ ٢٤

(٣) المرجع السابق ص/ ٢٥ - ٢٦

(٤) المرجع السابق ص/ ٧٠ - ٩٥

(٥) راجع الصفحات :/ ٤٩ ، ٦٢ ، ٦٩

(٦) راجع الصفحات :/ ١٠ ، ١٤ ، ١٥ ، ٥٤

(٧) راجع الصفحه/ ٦ حيث يروى بسنده رواية : ارتد الناس بعد النبى صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة نفر ، وكذلك ص/ ١٠

(٨) سبقت ترجمته ص/ ٢١٤

كتابان من الصحاح الاربعة فى الحديث عندهم .[١]

والطوسي صاحب تفسير التبيان الذى أظهر فيه مخالفته للشيعة فى طعنهم فى القرآن الكريم كما أسلفنا ، لكنه هنا سار على طريقة من سبقه من علماء الشيعة فى الطعن والافتراء على الصحابة الكرام .

ويظهر هذا جليا فى كتابه (اختيار معرفة الرجال) الذى هو تهذيب لكتاب رجال الكشي[٢] ويفاجأ الباحث أن الطوسى الذى كان يتظاهر بانكار دعوى تحريف القرآن هو نفسه الذى ينقل لنا فى كتابه هذا الافتراءات الكبرى التى تقشعر لها الابدان ، ولا يمكن لمسلم أن يتصور كيف يجرؤ على ذلك من ينتسب للاسلام ، وهذه نماذج منها :

- فهو يردد مفتريات سلفه الكلينى بأن الناس ارتدوا بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة هم أبوزر وسلمان والمقداد .[٣] !!

- وتصل به الجرأة على أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ليفترى على لسان ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لها - وحاشاه ذلك - : ما أنتِ الا حشية من تسع حشايا خلفهن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لست بأبيضهن لونا ولا بأحسنهن وجها ولا .. (الى غير ذلك من الالفاظ التى هى أكبر جرأة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته) ثم يتهمها بأنها خرجت من بيتها ظالمة لنفسها ، عاتبه على ربها عاصية لرسول الله صلى الله عليه وسلم .[٤]

- ويفترى على الامام الباقر أنه قال عن الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما (ما أُهريق فى الاسلام محجمة من دم ، ولا اكتسب من غير حِله ، ولا نكح فرج حرام الا وذلك فى أعناقهما الى يوم يقوم قائمنا ، ونحن معاشر بنى هاشم نأمر كبارنا

---

(١) وهما التهذيب والاستبصار ويضاف اليهما الكافى للكلينى ، ومن لا يحضره الفقيه لابن بابويه .
(٢) سيرد الحديث عن هذا الكتاب فى مبحث (التقية في الرواية) ص/ ٤٦٠ من هذا البحث.
(٣) اختيار معرفة الرجال للطوسي ص / ١١
(٤) المرجع السابق ص/ ٥٩

وصفارنا بسبهما والبراءة منهما)..!![1]

- ويتهم ابن عباس رضى الله عنهما أنه سرق بيت مال المسلمين فى البصرة وهرب الى مكة وأن عليا رضى الله عنه لما علم بذلك صعد على المنبر وبكى وقال : (هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه فى علمه وقدره يفعل مثل هذا ، فكيف من كان دونه ، اللهم انى قد مللتهم ، فأرحنى منهم)..!![2]

- كما يكذب على الامام على رضى الله عنه ويزعم أنه لعن ابنى العباس - عبدالله وعبيدالله[3] - ودعا عليهما بأن يعمى الله أبصارهما ، وأن قوله تعالى (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الاخرة أعمى وأضل سبيلا) نزل فى العباس[4] وابنه عبدالله..!![5]

- ويزعم أن عليا رضى الله عنه دعا على البراء بن عازب[6] وأنس بن مالك فاستجاب

---

(١) المرجع السابق ص/ ٢٠٧

(٢) المرجع السابق ص/ ٥٧

(٣) عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات ، وقد دعا له رسول الله بقوله : اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ، ولذلك كان ابن عباس من أبرز علماء الصحابة حتى لقب بحبر الامه وترجمان القرآن ، توفي بالطائف سنة ٦٨هـ.(راجع ترجمته فى الاصابة ٢ / ٣٢٢- ٣٢٦) وأخوه عبيدالله أصغر منه بسنه وهو من فضلاء الصحابة أيضا (راجع ترجمته فى الاصابة ٢ / ٤٣٠ - ٤٣١)

(٤) هو العباس بن عبدالمطلب أبو الفضل عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد قبله بسنتين ، حضر بيعة العقبة مع الانصار قبل أن يسلم، وشهد بدرا مع المشركين مكرها ، كان ممن يكتم اسلامه بمكة، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : (من آذى العباس فقد آذانى) ، وكان الصحابة يعترفون بفضله ويشاورونه ويأخذون برأيه ، توفي بالمدينة سنة ٣٢هـ (راجع ترجمته فى الاصابة ٢ / ٢٦٣)

(٥) اختيار معرفة الرجال ص/ ٥٢

(٦) هو البراء بن عازب بن الحارث الانصارى الاوسى يكنى أبا عمارة، وقد رده الرسول صلى الله عليه وسلم يوم بدر لصغر سنه ، ولكنه غزا مع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أربعة عشرة غزوة، وشهد مع علي الجمل وصفين وقتال الخوارج توفي سنة ٧٢هـ(راجع ترجمته فى الاصابة ١/ ١٤٧)

الله دعاءه فعميَ البراء بن عازب وبرص قد ما أنس بن مالك .[١] !!

وهكذا تصبح الصورة المشرقة الوضاءة لجيل الصحابة الكرام فى نظر الطوسي والكشي صورة مليئة بالتناحر والعداوات ويتحول ايمان هؤلاء فى رأى الشيعة الى نفاق وردة وكفر !!.

* واستمر هذا الغلو بين علماء الشيعة ، وازداد طعنهم فى الصحابة وافتراؤهم عليهم جيلا بعد جيل حتى أصبح من مميزات التشيع ومن أهم عقائد الشيعة ، ولم يخل من ذلك كتاب من كتبهم .

ومن أبرز كتبهم التى امتلأت بالافتراء على الصحابة الكرام ونسبة النقائض والرذائل اليهم كتاب الاحتجاج لابى منصور الطبرسي[٢] ، وكتاب الأنوار النعمانيه لنعمة الله الجزائري[٣] . وقد وصل الحقد بالطبرسي أن يدّعي فى كتاب الاحتجاج أن الصحابة الكرام بقيادة أبى بكر وعمر تآمروا لقتل علي رضى الله عنه وحاولوا تنفيذ ذلك .[٤] !!

كما ادعى صاحب الانوار النعمانيه أن اليوم الذى قُتل فيه عمر بن الخطاب يعد عند الائمة يوم عيد يأمرون فيه جميع خدمهم أن يلبسوا الثياب الجدد ، وأن هذا اليوم أعظم الايام حرمة وأكثرها فرحا عندهم ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر عليا بذلك ، وقال للحسن والحسين : كُلا هنيئاً مريئاً لكما ببركة هذا اليوم وسعادته فانه اليوم الذى يقبض الله فيه عدوه !!.

وأن الله أمر الكرام الكاتبين أن يرفعوا القلم عن الخلق ثلاثة أيام من أجل ذلك اليوم ولا يكتب عليهم شيئا من خطاياهم ، وأن من وسّع في ذلك اليوم على أهله وأقاربه زاد الله فى عمره وماله وأعتقه من النار .[٥] !!

---

(١) المرجع السابق ص/ ٤٥
(٢) سبقت الاشارة للكتاب ومؤلفه ص/ ٣٦٢
(٣) سبقت الاشارة اليه ص/ ٣٦٧
(٤) الاحتجاج ١/ ١١٤ - ١١٨
(٥) الانوار النعمانية ١/ ١٠٨ - ١١١

بل وصلت به الجرأة أن يدعى أن الخليفة الاول - وهو الصديق رضى الله عنه - كان فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم يُظهر الاسلام ويبطن الكفر وكان يعلّق صنماً بخيط فى عنقه ويستره بثيابه فإذا سجد يقصد أن سجوده لذلك الصنم ..[1] !!

ويزعم أيضا أن عثمان رضى الله عنه كان ممن أظهر اسلامه وأبطن النفاق ، وأن أغلب الصحابة كانوا على النفاق ، لكن كانت نار نفاقهم كامنة فى زمان الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلما انتقل الى جوار ربه برزت نار نفاقهم لوصيه ..[2] !!

ويستمر هذا المدعي في مزاعمه وافتراءاته وينسج روايات يتخيلها فيزعم أن الشيطان يُغَلّ بسبعين غلاً من حديد جهنم بينما عمر بن الخطاب فإنه يغل بمائة وعشرين من أغلال جهنم حتى يدنو الشيطان منه ويقول : مافعل هذا الشقى حتى زاد على فى العذاب ؟!

ويعلل الجزائرى افتراءاته هذه على الخليفة الراشد رضى الله عنه فيقول :

(إن كل ماوقع فى الدنيا الى يوم القيامة من الكفر والنفاق واستيلاء أهل الجور والظلم إنما هو من فعلته هذه)[3] !!

.. إلى غير ذلك من الكلام المتهافت الذى هو صورة ناطقة عما فى قلب صاحبه من حقد على خيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين كرسوا كل حياتهم فى نشر هذا الدين والبذل فى سبيل الله حتى تهاوت فى عهود خلافاتهم عروش الطغاة وانطلقت الجيوش الاسلاميه فى طول البلاد وعرضها فاتحة ظافرة .

ولقد صدق الشاعر[4] وهو يصف الخليفة الراشد عمر بن الخطاب

يامن رأى عمر تكسوه بردته ... والزيت أدم له والكوخ مأواه

يهتز كسرى على كرسيه فزعاً ... من بأسه وملوك الروم تخشاه

ولقد كان هؤلاء الصحابة الكرام مثالا للتضحية والزهد والتجرد عن الدنيا والتفاني فى

(١) المرجع السابق ٢/ ١١١

(٢ ، ٣) المرجع السابق ١/ ٨١ - ٨٢

(٤) الشاعر محمود غنيم

خدمة هذا الدين .

ولذلك فان الباحث الذى يطلع على هذا السيل المنتشر فى كتب الشيعة من ألفاظ الاتهام والطعن والسب لهؤلاء الصحابة .. تمتلكه الدهشة ولا يجد سببا لما يقوم به الشيعة من قلب الحقائق وتشويهها بشكل خطير وامتلاء قلوبهم بالحقد على معظم صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ووصفهم بالكفر والنفاق ، لا يجد سببا لكل هذا الا أن يقول :

ان النزعة المجوسية الحاقدة على من حطم عروش كسرى تأبى الا أن تظهر من هؤلاء الذين اتخذوا من محبة آل البيت ستاراً يخفون وراءه خبايا نفوسهم ، وخاصة عندما وجدوا من الدولة الصفوية الشيعية درعاً يتترسون به .

ولقد ازداد هذا الغلو يوما بعد يوم حتى صار لعن الشيخين وسبهما والطعن فى كبار الصحابة يتردد على ألسنة الشيعة بلا حياء ولا خجل .

وحتى صار دعاؤهم الذي يرددونه زاعمين التقرب الى الله به هو لعن الشيخين .

ويظهر هذا واضحا في دعائهم المعروف باسم (تحفة العوام مقبول) والذى قالوا عنه إنه مطابق لفتاوى آياتهم ومراجعهم الدينية ومن أبرزهم روح الله خميني . ويستفتحون الدعاء بقولهم : (اللهم ألعن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وافكيهما وابنتيهما ... اللذَيْن خالفا أمرك وأنكرا وحيك وجحدا إنعامك وعصيا رسولك وقلبا دينك وحرّفا كتابك) إلى قولهم : (اللهم عذبهم عذابا يستغيث منه أهل النار .. آمين ..) (١) !!

وما هذا الدعاء إلا صورة لما فى قلوبهم من حقد متوارث على الصفوة المختارة من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم الذين أعز الله بهم الدين وأذل بهم كل عدو وحاقد .

ولذلك نجد الشيعة يتواصون بترديد هذا الدعاء ويجعلون من سب الشيخين ولعنهما عبادة جليلة يزعمون أنها تكفّر خطاياهم وترفع درجاتهم ..

ومن رواياتهم فى ذلك ماينسبونه للباقر أنه قال :

(١) تحفة العوام مقبول ص/ ٤٢٢ نقلاعن : الشيعة فى التصور الاسلامى لعمر علي فريج ص/ ٧١-٧٢ وقد نقل نص الدعاء بكامله مع صورة لبعض صفحاته .

(كل من لعنهما كل غداة مرة واحدة لم يُكتب عليه ذنب حتى يمسي ، ومن لعنهما في المساء لم يُكتب عليه ذنب حتى يصبح)[١] .

وإذا كان هذا هو موقفهم من الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فلا تسل عن موقفهم من الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ولا عن موقفهم من الصحابي الجليل كاتب الوحي معاوية بن أبي سفيان فإن لهم منهما مواقف تقشعر لها الابدان وألفاظ تشيب لهولها الولدان[٢] وقد أعرضنا عنها صيانة لابصار القراء وأسماعهم أن ينالها الاذى من مثل هذه الالفاظ التي لا يليق بالمسلمين التلفظ بها حتى مع أشد أعدائهم .

ولقد وصف الله تعالى أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم بأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم ، ولكن الشيعة أبوا ذلك فزعموا أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكونوا إخوانا في الله ، ولم يكونوا رحماء بينهم ، وانما كانوا أعداء يلعن بعضهم بعضاً ، ويمكر بعضهم ببعض ، وينافق بعضهم لبعض ، ويتآمر بعضهم على بعض[٣] .

وليست هذه الروايات والافتراءات قاصرة على كتب القوم التي ألفها علماؤهم ، بل هي منتشرة بين القاصي والداني في بلاد الشيعة حيث يعدون الطعن في الصحابة عملاً يزعمون التقرب الى الله به !!

وها هو موسى جارالله[٤] يحدثنا عن مشاهداته في ايران بعد أن زارها سنة

---

(١) ضياء الصالحين ص/ ٥١٣ نقلا عن : الشيعة في التصور الاسلامي ص/ ٧٤

(٢) راجع مثلا الروايات التي نقلها احسان الهي ظهير عن كتب الشيعة وأهل البيت ص/ ١٥٦ - ٢٠٧

(٣) راجع مقالة: حملة رسالة الاسلام الأولون وماكانوا عليه من المحبة والتعاون - لمحب الدين الخطيب ملحقة بكتاب : مختصر التحفة الاثني عشرية . ص/ ٣٠٨

(٤) سبقت ترجمته ص/ ٤٦

١٩٣٤م فيقول :

(جلت فى بلاد الشيعة طولا وعرضا سبعة أشهر وزيادة ... وأول شئ سمعته وأكره شئ أنكرته فى بلاد الشيعة هو لعن الصديق والفاروق وأمهات المؤمنين السيدة عائشة والسيدة حفصه ، ولعن العصر الاول كافة فى كل خطبة وفى كل حفلة ومجلس فى البدء والنهاية ، وفى ديابيج الكتب والرسائل ، وفى أدعية الزيارات كلها .

حتى فى الاسقية ما كان يسقي ساق الا ويلعن ، وما كان يشرب شارب الا ويلعن . وأول كل حركة وكل عمل هو الصلاة على محمد وآل محمد واللعن على الصديق والفاروق وعثمان الذين غصبوا حق أهل البيت وظلموهم .. وهو عندهم أعرف معروف يلتذ به الخطيب ويفرح عنده السامع، وترتاح اليه الجماعة ، ولا ترى فى مجلس أثر ارتياح الا اذا أخذ الخطيب فيه ، كأن الجماعة لا تسمع الا اياه ، ولا تفهم غيره) ..!![1]

هذا هو حال القوم ، وهذه هى كتبهم ونصوص رواياتهم . وكلها شاهدة بما لا يدع مجالا للشك أنهم موغلون فى الطعن والسب والحقد على خير قرن وأفضل جيل :

ولو تأدب هؤلاء بأدب علي رضى الله عنه وتخلَّقوا بأخلاقه لأقلعوا عن هذا المنكر ولاستجابوا لقوله رضي الله عنه عندما سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين فقال لهم - كما ترويه كتب الشيعة نفسها -:

---

(١) الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة.صفحة / ح - ط

(إني أكره لكم أن تكونوا سبابين ، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب فى القول وأبلغ فى العذر ، وقلتم مكان سبّكم إياهم : اللهم أحقن دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذات بيننا وبينهم ، واهدهم من ضلالهم ...)(١)

وقد روى الكليني أن رجلا قال لامير المؤمنين صف لنا المؤمن فقال : (هو الكيس الفطن .. لاحقود ولا حسود .. ولا سباب ولاعياب ولا مغتاب)(٢)

كما روى أيضا أن جعفر الصادق قال لاحد أتباعه : (اياك أن تكون فحاشا أو صخابا أو لعانا)(٣)

ولكن الشيعة الرافضة يأبون أن يستجيبوا لدعوة أئمتهم ، أو يتأدبوا بأدبهم وهم يزعمون أنهم معصومون وأن أقوالهم هى عين أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم .

ورحم الله شيخ الاسلام ابن تيميه حيث يقول :

(من أعظم خبث القلوب أن يكون فى قلب العبد غل لخيار المؤمنين ، وسادات أولياء الله بعد النبيين)(٤)

وهل هناك أعظم من هذا الافتراء والبهتان على أتقى جيل عرفته الانسانية والذين لم ينتشر الاسلام فى العالم الا على أيديهم وجهادهم وبذلهم وتفانيهم ، واذا بمصادر الشيعة تصورهم بأقبح صورة وكأنهم أشبه مايكونون بعصابة من اللصوص وقطاع الطرق همهم التآمر والتهالك على الدنيا وحيازة أموالها ولذائذها !!

ان هذا التشويه والقلب للحقائق لا يصدر ممن نور الله قلبه بالايمان .

ويأبى الله الا أن يُظهر الحق مهما حاول علماء الشيعة أن يخفوه ويشوهوا صورته ولذلك نجد فى أحد كتبهم المعتمده والتي تطفح بالغلو روايتين تنفي ادعاءات الشيعة وافتراءاتهم على الشيخين وسائر الصحابة رضوان الله عليهم .

---

(١) نهج البلاغة ص/٤٦٣ - ٤٦٤

(٢) الاصول من الكافى ٢/٢٢٦ - ٢٢٧

(٣) المرجع السابق ٢/٣٢٦

(٤) منهاج السنة ١/١٣ الطبعة المحققه .

فقد أورد الاربلي[١] (ت ٦٩٣هـ) في كتابه كشف الغمه في معرفة الائمة) الرواية التالية :

- (عن عروة بن عبد الله قال :

سألت أبا جعفر محمد بن علي -الباقر- عليهما السلام عن حلية السيف فقال : لا بأس به ، قد حلّى أبو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه .

قلت : تقول الصديق ؟

قال : فوثب وثبة، واستقبل القبلة، وقال : نعم الصديق ، نعم الصديق ، نعم الصديق ، فمن لم يقل الصديق فلا صدّق الله له قولا في الدنيا ولا في الاخرة)[٢]

وهذا نص صريح في إثبات فضائل الصديق رضى الله عنه ، وأن عقيدة أئمة أهل البيت هي محبة الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة وعدم الطعن في أحدهم ، وينفي ما افتراه الشيعة عليهم من روايات مكذوبة لتشويه عقيدة هؤلاء الائمة الكرام.

إن الحق يأبى الا أن يظهر مهما علا صوت الباطل ، ولذلك ظهرت هذه الرواية في أحد كتب الشيعة ولم نجد لهم أي تعليق عليها .

- بل إن الاربلي أورد رواية أخرى تبرز محبة علي زين العابدين رحمه الله لجميع الصحابة وتبطل كل ما افتراه الشيعة على لسان هؤلاء الائمة من مطاعن في الصحابة الكرام فقد ذكر أن (نفرا من أهل العراق قدم على الامام علي بن الحسين فقالوا في

---

(١) هو بهاء الدين أبو الحسن علي بن فخر الدين عيسى بن أبي الفتح الاربلي ، نسبة الى أربل مدينة في شمال العراق ، أثنى عليه علماء الشيعة وقالوا انه ثقة محدث جامع للفضائل والمحاسن. كما قالوا عن كتابه (كشف الغمة) بأنه خير كتاب في خير موضوع، فائق على كثير مما أُلف قبله في هذا الموضوع في جودة السرد ، ووضوح العبادة ، والامانه في النقل . توفي الاربلي في بغداد عام ٦٩٣هـ (راجع مقدمة جعفر التبريزي للكتاب وتعريفه بمؤلفه)

(٢) كشف الغمة ٢/ ١٤٧ بتعليق هاشم الرسولي - نشر مكتبة بني هاشم بتبريز طبع قم - ١٣٨١ هـ . ق

أبى بكر وعثمان وعمر رضى الله عنهم ـ أى طعنوا فيهم ـ فلما فرغوا من كلامهم قال لهم :

ألا تخبرونى،أنتم " المهاجرون الاولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون "؟ قالوا : لا

قال : فأنتم " الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة" ؟ قالوا : لا

قال : أما أنتم قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين ، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله فيهم" والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ".أخرجوا عني ، فعل الله بكم .)(١)

فالامام على بن الحسين زين العابدين ـ وهو الامام الرابع عندهم ـ يقف هذا الموقف ممن يطعن فى الخلفاء الثلاثة رضى الله عنهم ، ثم يدعو عليهم ويُخرجهم من مجلسه .

ولو أخذ الشيعة بهذه الرواية لطرحوا مئات الروايات التى نسبوها للائمة ، وحاولوا عن طريقها تشويه صورة الصحابة الكرام بل وتشويه الصورة النقية لائمة أهل البيت الذين هم أكثر الناس حباً وتقديراً لصحابة جدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولا يستطيع الشيعة أن يدّعوا أن الامام زين العابدين قال هذا الكلام تقية ، لان الذى يتقي يكتفي بالكلام العام ولا يسوق الحجج والادلة القرآنية المؤيدة لكلامه هذا .

ولذلك نجد المعلق على كشف الغمة قد مر بهذه الرواية ولم ينبس ببنت شفة ، وتجاهل التعليق عليها،مع أنها تتفق مع الرواية السابقة لتعارض مئات النصوص والروايات التى أسلفنا ذكرها من أمهات كتبهم المعتمدة .

فكيف يتجاهل الشيعة هذه الرواية وسابقتها ؟ بل كيف يتجاهلون الحجج القرآنية

---

(١) كشف الغمة ٢ / ٧٨

القطعية ويصرون على الطعن والتجريح والافتراء على خير القرون ؟ ان هذا عمـــل خطير وجرم شنيع فما هو حكم الاسلام فى ذلك ؟

حكم الاسلام فى الطعن فى الصحابة رضى الله عنهم :

لابد قبل أن نبرز دور التقية فى هذه العقيدة الشيعية الخطيرة . أن نستعرض أقوال بعض علماء أهل السنة فى حكم من يسلك هذا المسلك الشاذ ويُقدم على لعن الصحابة والطعن فيهم واتهامهم بأسوأ التهم .

وقد فصل الامام ابن تيميه رحمه الله القول فى ذلك ونقل عن كثير من علماء السلف الصالح نصوصاً فى هذا المجال .

ومما نقله عن الامام أحمد رحمه الله قوله فيمن سب أحداً من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال : يضرب ضرباً نكالاً ، وقال : ما أراه على الاسلام (١)

وقال اسحاق بن راهويه : من شتم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يعاقب ويحبس (٢)

وقال القاضى أبو يعلى : الذي عليه الفقهاء فى سب الصحابة : إن كان مستحلاً لذلك كفر وان لم يكن مستحلاً فسق ولم يكفر (٣) .

كما نقل عن كثير من أهل العلم أن من سب الشيخين سباً يقدح فى دينهم وعدالتهم كفر بذلك وان سبهم سباً لايقدح فى دينهم لم يكفر (٤)

وذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب قريباً من هذا الحكم فقال:(من اعتقد فسقهم - أى الصحابة - أو فسق مجموعهم أو ارتدادهم ، أو ارتداد معظمهم عن الدين ، أو اعتقد حقية سبهم واباحته . . فقد كفر بالله تعالى ورسوله فيما أخبر من فضائلهم وكمالاتهم المستلزمه لبراءتهم عما يوجب الفسق والارتداد) (٥)

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم لابن تيمية ص/ ٥٦٧ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

(٢) المرجع السابق ص/ ٥٦٨

(٣) المرجع السابق ص/ ٥٦٩

(٤) المرجع السابق ص/ ٥٧٠

(٥) رسالة فى الرد على الرافضة لابن عبد الوهاب ص/ ١٨ - ١٩

وما ذاك الا لان الطعن فى إيمان جمهور الصحابة الكرام يعد طعناً فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد أثنى الله تعالى على السابقين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ، ورضي عن الذين بايعوا تحت الشجرة وثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة) (١)

وأمرنا ربنا بالاستغفار للصحابة الكرام وعدم الخوض فيما بدر منهم .

فقال تعالى (والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولاتجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) (٢)

قالت عائشة رضى الله عنها : (أُمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم) (٣) . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : (أَمر الله تعالى بالاستغفار لاصحاب محمد وهو يعلم أن سيُفتتنون) (٤) . وقال الشعبى : (تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة ، سُئلت اليهود : من خير أهل ملتكم ؟ فقالوا : أصحاب موسى . وسئلت النصارى : من خير أهل ملتكم ؟ فقالوا : أصحاب عيسى . وسئلت الرافضة : من شر أهل ملتكم ؟ فقالوا : أصحاب محمد أُمروا بالاستغفار لهم فسبوهم) (٥) .

روى أبو عروة الزبيري من ولد الزبير قال : كنا عند مالك بن أنس فذكروا رجلا ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ مالك هذه الاية : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) حتى بلغ :(يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) (٦) فقال مالك : من أصبح من الناس فى قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ٥٨

(٢) سورة الحشر / آية ١٠

(٣) ، (٤) تفسير القرطبى ١٨/ ٣٣ وأخرج مسلم في صحيحه في كتاب التفسير (٨/ ٢٤١) عن عروة قال : قالت عائشة : (يابن أخي ، أُمروا أن يستغفروا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم)

(٥) تفسير القرطبي ١٨/ ٣٣ منهاج السنة لابن تيميه ١/ ١٧

(٦) سورة الفتح آية / ٢٩

صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الاية)[١]

قال الامام القرطبى تعليقاً على ذلك:(لقد أحسن مالك فى مقالته ، وأصاب فى تأويله . فمن نقص واحداً منهم أو طعن عليه فى روايته فقد ردّ على الله رب العالمين ، وأبطل شرائع المسلمين)[٢]

فالحكم الشرعي إذاً فيمن يقع فى تلك المطاعن ويعتقد هذا المعتقد في الصحابة الكرام أن ذلك يؤدي الى كفره وقتله ردة اذاً كان يستبيح سبّهم ويعتقد القربة الى الله فى ذلك وخاصة إذا كان ذلك السب والطعن ليس فى أشخاص الصحابة وانما فى دينهم وايمانهم وعدالتهم وتبليغهم للاسلام.قال الامام ابن تيميه : (من زعم أنهم ـ أي الصحابة الكرام ـ ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً ، أو أنهم فسقوا عامتهم ، فهذا لاريب فى كفره ، لانه مكذب لما نصه القرآن فى غير موضع من الرضى عنهم والثناء عليهم ، بل من يشك فى كفر مثل هذا فإن كفره متعين ، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أوفساق .... وأن سابقي هذه الامة هم شرارها ، وكُفر هذا مما يُعلم بالاضطرار من دين الاسلام)[٣]

---

(١) ، (٢) تفسير القرطبى ٢٩٧/١٦ وراجع : ابن كثير ٢٠٥/٤ ـ الالوسى ١٢٨/٢٦

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص/٥٨٦ ـ ٥٨٧

دور التقية فى اخفاء طعنهم فى الصحابة :

بعد أن ثبت لنا تأصل هذه العقيدة المنحرفة عند الشيعة ورسوخها عندهم ، وبعد أن عرفنا خطورة هذه الافتراءات والمطاعن التى لاتمس الصحابة الكرام فحسب وانما تمس شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وتطعن فى كفاءة تربيته،بل وتطعن فى صحة مـا حفظه لنا الصحابة الكرام من دين الله ..

بعد هذا كله نتسائل:هل كان الشيعة يدركون خطورة هذه المطاعن التى يلوكونها بألسنتهم ويسطرونها فى كتبهم ؟

بيد وأن كثيرا منهم على علم بذلك ، وأنهم يعرفون أيضاً حكم الاسلام فيمن يطعن فى إيمان الصحابة الكرام ويحكم على معظمهم بالردة والكفر وهو ما سبق أن أشرنا اليه وأنه قد يصل الى القتل ردة أو السجن والضرب والعقوبة الشديدة .

لذلك كانوا يلجأون الى التقية لاخفاء هذه العقيدة الخطيرة كلما هددتهم المخاطر أو خافوا من افتضاح أمرهم وتفرق الجموع من حولهم .

ولكى يدربوا أتباعهم على التقية فى هذا المجال نسبوا للامام الصادق أنه استعمل الحيلة والتقية وتظاهر بالثناء على أبي بكر وعمر أمام رجل من المخالفين .

- ومن رواياتهم فى ذلك:(أن رجلاً من المخالفين سأل الامام جعفر عن أبي بكر وعمر .

فقال هما إمامان عادلان قاسطان كانا على الحق وماتا عليه فعليهما رحمة الله يوم القيامة .

فلما انصرف الناس ، قال له رجل من خاصته : لقد تعجبت مما قلته في أبي بكر وعمر.

فقال : نعم ، هما إماما أهل النار ، كما قال تعالى " وجعلناهم أئمة يدعون الى النار "

وأما القاسطان ، فقد قال الله تعالى " وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا "

وأما العادلان فلعدولهما عن الحق ، كما قال تعالى " والذين كفروا بربهم يعدلون"

والمراد من الحق هو حق أمير المؤمنين الذي كانا مستولين عليه بالاغتصاب .

والمراد من موتهما على الحق أنهما ماتا على عداوته من غير ندامة.

والمراد من رحمة الله هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان رحمة الله للعالمين وسيكون خصماً لهما ساخطاً عليهما منتقماً منهما)[1] !!

- وهذه رواية أخرى ينسبونها لاحد أئمتهم في هذا المجال :

فقد أورد الطبرسي (عن أبي محمد الحسن العسكري - ع - قال : دخل على أبي الحسن الرضا - ع - رجل فقال : يابن رسول الله لقد رأيت اليوم شيئا عجبتُ منه . قال : وما هو؟

قال : رجل كان معنا يظهر لنا أنه من الموالين لال محمد المتبرئين من أعدائهم فرأيته اليوم وعليه ثياب قد خُلعت عليه ، وهو ذا يطاف به ببغداد ، وينادي المنادي بين يديه : معاشر المسلمين اسمعوا توبة هذا الرافضي . ثم يقول : قل

فقال : خير الناس بعد رسول الله أبا بكر .

فاذا قال ذلك ضجوا وقالوا : قد تاب ، وفضّل أبا بكر على علي بن أبي طالب - ع - فقال الرضا - ع - : إذا خلوت فأعد عليَّ هذا الحديث .

فلما خلى أعاد عليه ، فقال له :

إنما لم أفسر معنى كلام الرجل بحضرة هذا الخلق المنكوس ، كراهة أن ينقل اليهم فيعرفوه ويؤذوه . لم يقل الرجل خير الناس بعد رسول الله (أبوبكر) فيكون قد فضل أبا بكر على علي - ع - ، ولكن قال : خير الناس بعد رسول الله (أبا بكر) فجعله نداء لابي بكر ، ليُرضي من يمشي بين يديه من بعض هؤلاء الجهلة ، ليتوارى من شرورهم. إن الله جعل هذه التورية مما رحم به شيعتنا)[2] .

- ولنذكر رواية ثالثة ليظهر جلياً كيف يدرّب علماء الشيعة أتباعهم على استعمال التقية لا خفاء بغضهم للصحابة، ثم ينسبون ذلك لائمة أهل البيت، وحاشاهم.

---

(١) إحقاق الحق للقاضي نور الدين الشوشترى ص/ ١٦ نقلاً عن تبديد الظلام للجبهان ص/ ٣٣٣ وقد ذكر الحر العاملي في أمل الآمل (٢/ ٣٣٦) أن القاضي نور الدين قُتل في الهند سنة (١٠١٩ هـ) بسبب تأليف كتابه : إحقاق الحق، وهذا يبرز لنا ما فيه من غلو وانحراف .

(٢) الاحتجاج للطبرسي ٢/ ٢٣٦

فقد روى الطبرسي (عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري ـ ع ـ أنه قال :

قال بعض المخالفين بحضرة الصادق ـ ع ـ لرجل من الشيعة

ما تقول في العشرة من الصحابة ؟

قال : أقول فيهم القول الجميل الذى يحط الله به سيئاتي ، ويرفع به درجاتي

قال السائل : الحمد لله على ما أنقذني من بغضك ، كنت أظنك رافضيا تبغض الصحابة

فقال الرجل : ألا من أبغض واحداً من الصحابة فعليه لعنة الله .

قال : لعلك تتأول ما تقول ، فمن أبغض العشرة من الصحابة ؟

فقال : من أبغض العشرة من الصحابة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

فوثب فقبّل رأسه فقال : اجعلني في حل مما قذفتك به من الرفض قبل اليوم .

قال : أنت في حل وأنت أخي . ثم انصرف السائل .

فقال له الصادق ـ ع ـ : جوّدت لله درك ، لقد أعجبت الملائكة من حسن توريتك ، وتلفظك بما خلّصك ، ولم تثلم دينك ، زاد الله في قلوب مخالفينا غما إلى غم وحجب عنهم مراد منتحلي مودتنا في تقيتهم !!

فقال أصحاب الصادق ـ ع ـ : يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عقلنا من كلام هذا الا موافقته لهذا المتعنت الناصب .

فقال الصادق ـ ع ـ : لئن كنتم لم تفهموا ما عنى ، فقد فهمناه نحن ، فقد شكره الله له . إن صاحبكم هذا قال : من عاب واحداً منهم فعليه لعنة الله ، والواحد منهم هو أمير المؤمنين ـ ع ـ

وقال في الثانية : من عابهم وشتمهم فعليه لعنة الله ، وقد صدق لأن من عابهم فقد عاب علياً ـ ع ـ لأنه أحدهم ، فاذا لم يعب علياً ولم يذمه فلم يعبهم جميعاً وانما عاب بعضهم) !! (١)

ـ ولا يقتصر الامر في هذا المجال على الروايات المنسوبة للائمة وانما هناك قصص كثيرة امتلات بها كتبهم تصف استعمال بعض علمائهم للتقية في انكار طعنهم في الصحابة

---

(١) المرجع السابق ٢ / ١٣٠ - ١٣١

عند ما يتعرض أحد هم للخطر .

ولعل أبرز هذه القصص ما ذكرته كتب التراجم عند هم عن الشيخ الطوسي الملقب بشيخ الطائفة (ت ٤٦٠ هـ) صاحب الاستبصار والتهذيب ، وصاحب تفسير التبيان الذي هو أقرب تفاسير الشيعة الى الاعتدال .

فقد ذكروا أنه وُشي بالشيخ الى الخليفة العباسي (القائم بأمر الله) أنه وأصحابه يسبون الصحابة ، وكتابه المصباح يشهد بذلك ، فقد ذكر أن من دعاء يوم عاشوراء : اللهم خص أنت أول ظالم باللعن مني ، وابدأ به أولا ، ثم الثاني ، ثم الثالث، ثم الرابع ، اللهم العن يزيد بن معاوية خامساً .

فدعا الخليفة بالشيخ والكتاب ، فلما أحضر الشيخ ووقف على القصة ألهمه الله أن قال : ليس المراد من هذه الفقرات ما ظنه السعاه ، بل المراد بالاول قابيل قاتل هابيل ، وهو أول من سن الظلم والقتل ، وبالثانى قيدار عاقر ناقة صالح ، وبالثالث قاتل يحيى بن زكريا من أجل بغي من بغايا بني اسرائيل ، وبالرابع عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبى طالب . فلما سمع الخليفة من الشيخ تأويله وبيانه قبل منه ذلك، ورفع منزلته ، وانتقم من الساعي وأهانه) (١)

وان صحت هذه القصة فهذا يدل على التسامح الشديد الذي كان يلقاه علماء الشيعة من الخلفاء عند ما تظهر منهم أدنى بادرة للتخلي عن الغلو والرفض .

ومع أن التأويل الذي أوّل به الطوسى كلامه ودافع به عن نفسه ، تأويل لا يقبله العقل إذ ما علاقة قاتل هابيل وعاقر الناقة وقاتل يحيى .. بدعاء يوم عاشوراء ؟

مع هذا كله فقد أحسن الخليفة فيه الظن وقبل منه كلامه ، ولم يكتف بذلك بل رفع منزلته وانتقم من الساعي وأهانه كما تذكر القصة .

---

(١) روضات الجنات للخوانساري ٦/٢٢٦ ، وذكرها المعلق على كتاب الاستبصار فى مقدمة الكتاب نقلا عن القاضي فى المجالس ، والطباطبائى فى الرجال (راجع مقدمة الاستبصار - صفحة / ن)

- ونختم استعراضنا لهذه الروايات والقصص بما ذكره الشيخ عبدالله السويدي (ت ١١٧٤هـ) الذى ناقش بعض علماء الشيعة فى النجف بأمر من نادر شاه[١] (سنة ١١٥٦هـ) وأعلن فيه هؤلاء رجوعهم عن التشيع ثم حضروا صلاة الجمعة فى جامع الكوفه وأُمر أحدهم بالقاء الخطبة لاعلان تراجعه عن التشيع على المنبر ، فقام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال : (وعلى الخليفة الأول من بعده على التحقيق ، أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، وعلى الخليفة الثاني الناطق بالصدق والصواب ، سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ..) لكنه كسر الراء من (عمر) ، مع أن الخطيب -كما يقول السويدي- إمام فى العربية ، لكنه قصد دسيسه لا يفهمها الا الفحول ، وهي أن منع صرف عمر انما كان للعدل والمعرفة ، فصرفه هذا الخبيث قصداً الى أنه لاعدل فيه ولا معرفة)[٢]

وهكذا يحرص الشيعة على إخفاء غلوهم فى سب الصحابة كلما داهمهم الخطر ، ويتظاهرون أمام أهل السنة بانكار هذه العقيدة الخطيرة . ويبدو أن علماءهم المعاصرين يسيرون على قدم أسلافهم فى هذا المجال وسنعرض بايجاز لابرز علماء الشيعة المعاصرين لنرى براعتهم فى استخدام التقية لاخفاء حقيقة مافي نفوسهم من غل وحقد على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولعل القارئ لكتب أولئك المعاصرين يظن لاول وهلة براءتهم من ذلك ، لما يجد من عبارات وأقوال تنكر ما يُنسب اليهم وتنفي هذا الغلو عنهم .

ولكننا سندرس تلك الأقوال بدقة فى ضوء أقوال أخرى لأولئك العلماء المعاصرين ليطلع القارئ بنفسه على تأصل تلك المزاعم والعقائد المنحرفة عند معاصريهم أيضا وأنهم لم يتخلوا عنها أبداً .

وسنكتفي فى هذه الدراسة بمجموعة من أبرز علمائهم المعاصرين ، وهم :

---

(١) انظر ترجمته ص / ٥٧٣ من هذا البحث .

(٢) مؤتمر النجف للشيخ عبد الله السويدي ص/ ١٠٢ - ١٠٣ ملحق بكتاب الخطوط العريضة للخطيب .

١ - عبدالحسين شرف الدين الموسوي[1] :

يتظاهر بالثناء على الصحابة وعدم الطعن فيهم وينكر على من يقول ان الشيعة يسبون الشيخين فيقول : (لا يمكن إذعان الخصم ببراءة الشيعة من هذا الامر، ولو حلفنا له برب الكعبة بل لا يلتفت الى نفيه عنهم ولو جئناه بكل آية .. ولا حول ولا قوة الا بالله)[2].

ويقول رداً على من يتهم الشيعة بأنهم يطعنون فى السيدة عائشة رضى الله عنها : (إنها - أى عائشة - عند الامامية أنقى جيباً وأطهر ثوباً وأعلى نفساً وأغلى عِرضاً .... وأسمى مقاماً مِنْ أن يجوز عليها غير النزاهة .. وكُتب الامامية قديمها وحديثها شاهدُ عدل بما أقول)[3]

ثم يزداد جرأة فيزعم أن الشيعة لا تنكر خلافة الشيخين أبداً فيقول : (إنه لا ينكر استخلاف الشيخين رضي الله عنهما ذو شعور ، ولا يرتاب فيه ذو وجدان ، وقد امتدت امارتهما من سنة ١١ الى سنة ٢٣ ، وفتحت بها الفتوحات وضرب الدين فيها بجرانه)[4]

ويحاول أن يتلمس المبررات والاسباب التى جعلت أعداء الشيعة ينسبون اليهم هذا الغلو. فيقول : (إن بعض الغلاة من الفرق التى يطلق عليها لفظ الشيعة كالكاملية يتحاملون على الصحابة كافة رضي الله عنهم ، وينالون من جميع السلف، فيظن الجاهل أن ذلك رأي مطلق للشيعة ويتوهم أنه مذهب الجميع ، فيرمي الصالح بحجر الطالح ويأخذ البرئ بذنب المسيئ)[5]

---

(١) سبقت ترجمته ص/٣٨٧
(٢) الفصول المهمة فى تأليف الامة ص/١٤٧
(٣) المرجع السابق ص/١٤٥
(٤) المرجع السابق ص/١٤٢
(٥) المرجع السابق ص/١٧٨ - ١٧٩ .

ومع أن ظاهر هذه النصوص يؤكد براءة الشيعة من الطعن في الصحابة قديماً وحديثاً لكننا سنناقشها من خلال النقاط التالية لنرى كيف أصبحت التقية وسيلة للتخلص من عار هذه العقيدة الخطيرة :

١ - يلاحظ القارئ أن النص الأول ليس فيه تصريح بنفي تهمة السب عن الشيعة وانما يكتفي ببيان أن الخصم لن يصدق الشيعة مهما أعلنوا براءتهم من ذلك. ويبدو وأن مئات الكتب الشيعة المليئة بسب الصحابة كانت ماثلة أمام هذا العالم الشيعي وهو يسطر هذا الكلام ولذلك اعترف أن الخصم لن يصدق أقواله لأنه نفسه غير مصدق لها

٢ - يدَّعي المؤلف أن التحامل على الصحابة مقتصر على الغلاة ومعنى ذلك أن كل علماء الشيعة ومراجعهم الدينية ومؤسسي مذهبهم كالكليني والصدوق والمفيد والطوسي . . هم في نظره من الغلاة، ويبقى هو وحده من الشيعة الامامية !! فقد أثبتنا في بداية هذا الموضوع تأصل هذه الانحرافات لديهم وامتلاء كتبهم بالحديث عنها

٣ - ثم إن هذا المؤلف الذي يدَّعي البراءة من سب الصحابة وينادي بالتقريب . . هو نفسه الذي امتلأت صفحات كتبه بالطعن والسب والتجريح بالخلفاء الراشدين وعائشة أم المؤمنين رضى الله عنهم وهذه نماذج منها :

- في كتابه الفصول المهمة - وهو نفس الكتاب الذي نقلنا منه النصوص السابقة - يطعن في الشيخين رضى الله عنهما ويصور الحالة بين الصحابة الكرام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بأسوأ صورة ويدَّعي أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بتجهيز جيش أسامة رضى الله عنه وجعل فيه أبا بكر وعمر وهو في أيامه الاخيرة لأنه (أراد أن تخلو منهم العاصمة فيصفو الأمر من بعده لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب على سكون وطمأنينه فاذا رجعوا وقد أُبرم عهد الخلافة وأُحكم لعلي عقدها ، كانوا عن المنازعة والخلاف أبعد . . لكنهم فطنوا إلى كل ما دبَّر صلى الله عليه وسلم فطعنوا في تأمير أسامة وتثاقلوا عن السير معه ولم يبرحوا حتى لحق

الرسول صلى الله عليه وسلم بربه)[1] .. !!

فانظر كيف يصف هذا العالم الشيعي الرسولَ صلى الله عليه وسلم بالدهاء والمكر وتدبير الحيل لاستبعاد أبي بكر وعمر عن الخلافة بطريقة ملتويه ليخلو الأمر لابن عمه من بعده ، وكيف يشوِّه صورة الشيخين رضي الله عنهما ويصفهما بالطمع فى الرئاسة ومخادعة الرسول ورفض طاعته !

فهل يصدق الباحث المنصف بعد ذلك كلام هذا العالم الشيعي الذي ينفي فيه عن الشيعة سبهم للصحابة رضى الله عنهم ؟

وهل هناك أدنى شك فى أن كلامه السابق فى نفي سب الصحابة لم يكن على حقيقته بل هو للتقية والخداع والتضليل ؟

- ولمزيادة التأكيد ننقل نصاً آخر لهذا الرافضي في الطعن فى إيمان الصحابة عموماً والشيخين خصوصاً حيث يقول في تعليل عدم كتابة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل موته بالوصاية لعلي رضى الله عنه :

(اقتضت حكمته البالغة أن يضرب صلى الله عليه وسلم عن ذلك الكتاب صفحاً لئلا يفتح هؤلاء المعارضون وأولياؤهم باباً إلى الطعن فى نبوته .. ومن تأمل أحوالهم زمن النبى صلى الله عليه وسلم فضلاً عن أيام خلافتهم علم أنهم كانوا كما نبهناك إليه)[2] !!

وهذا النص أشد خطراً من سابقه ، فهو يتهم الخلفاء الثلاثة وجمهور الصحابة رضى الله عنهم أنهم قد يطعنون فى نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم اذا نص على الوصاية لعلي رضي الله عنه ، بل يزعم أنهم قد طعنوا فعلاً في نبوته قبل وفاته صلى الله عليه وسلم وفى أيام خلافتهم بعد وفاته .

ولشدة مكر هذا الرافضي فانه يدع آخر الكلام فيه شيء من الغموض ليدلس على القارئ حيث إنه يصف الخلفاء الثلاثة بقوله (كانوا كما نبهناك إليه) والرجوع إلى بداية النص

---

(١) المرجع السابق ص/ ٩٠

(٢) المرجع السابق ص/ ٩٥ - ٩٦

يتضح أنه يقصد بذلك اتهامهم بالطعن في نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وهذا الافتراء خطير جداً ، وأخطر منه أن يصدر ممن يدعي التقريب بين السنة والشيعة وينادي بوحدة الصف والتقاء الكلمة ويُقسِم أن الشيعة لا يطعنون في الصحابة رضى الله عنهم .

- ولا عجب بعد ذلك أن يفتري هذا الرافضي كتاباً كاملاً على لسان الشيخ سليم البشري شيخ الازهر ، ويسميه (المراجعات) ، ويدعي أن شيخ الازهر استأذنه ليسأله عن عقائد الشيعة ويستوضح رأيه عن حقيقتهم [(١)] ، وهكذا بدأ يسبك الحوار بدهاء ويقلب الحقائق حتى وصل الى غايته وهو الزعم بأن شيخ الازهر أعلن تشيعه واعجابه بعقيدة الشيعة وفرحه بما ساق الله اليه من فضل ونعمه وأن مذهب الشيعة أحق بالاتباع [(٢)] !!

- ولا عجب كذلك أن نرى هذا الرافضي الذى يدعي محبة الصحابة رضى الله عنهم وينفي عن الشيعة تهمة الطعن فيهم ثم يؤلف كتابا خطيراً آخر بعنوان (أبو هريرة) يطعن فيه في ذلك الصحابي الجليل ويتهمه بالكذب [(٣)] .

ثم يطعن في كتب الحديث عند أهل السنة. ويأتي المستشرقون ليتخذوا من هذه المطاعن حجة على الاسلام ومع ذلك يعد الشيعة هذا الكتاب من أجلّ ماتخرجه المطابع بحثاً وعمقاً وأسلوباً [(٤)] .. !!

---

(١) راجع كتاب البينات فى الرد على كتاب المراجعات ، تأليف (محمود الزعبي) ففيه اثبات براءة شيخ الازهر من ذلك ، والرد الوافي على مفتريات صاحب المراجعات وراجع كتاب: تبديد الظلام للجبهان ص/ ٣٦٤

(٢) المراجعات ص/ ٣٢٢ - الطبعة الخامسة - ١٩٦٨م - مطبعة النعمان - النجف.

(٣) راجع كتاب: دفاع عن أبي هريرة للاستاذ عبد المنعم صالح العلي العزي ، وكتاب أبو هريرة وأقلام الحاقدين للاستاذ عبد الرحمن الزرعي ، وكتاب السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامي للدكتور مصطفى السباعي .

(٤) ذكر ذلك الشيخ مرتضى آل ياسين في تقديمه لكتاب المراجعات ص / ١٥

هذه هي حقيقة موقف هذا الرجل في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذه هي التقية وقد برزت في أوضح صورها ستاراً للخداع والتضليل .

ولننتقل إلى عالِم شيعي آخر لنميط عن أقواله اللثام :

٢ - محسن الامين (١) :

يقول في معرِض دفاعه عن الشيعة :

(عمدة ما ينقمه غير الشيعة عليهم دعوى القدح في السلف أو أحد ممن يطلق عليه اسم الصحابي . والشيعة يقولون إن احترام أصحاب نبينا مِن احترام نبينا ، فنحن نحترمهم جميعاً لاحترامه ، وذلك لا يمنعنا من القول بتفاوت درجاتهم) (٢)

وللرد على هذه الدعوى نذكِّر القارئ بما نقلناه في بداية موضوعنا هذا من نماذج لافتراءات الشيعة على الصحابة الكرام واتهامهم لهم بالكفر والنفاق ووصفهم بما تشمئز منه النفوس .

فهل هذا هو ما يعنيه محسن الامين بأنه احترام أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؟!

ثم إن الشيعة تحكم على معظم الصحابة بالكفر سوى أفراد قلائل فهل هذا هو ما يسميه تفاوت درجات الايمان ؟!

وهل من الاحترام للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن يوصفوا بالردة بعده والتهالك على السلطة وإثارة الاحقاد والعداوات بينهم حتى وكأن تربية الرسول صلى الله عليه وسلم لم تؤت أي ثمرة من ثمارها .

ثم إن محسن الامين الذي يدّعي احترام الصحابة هو نفسه الذي يطعن فيهم وينتقص من فضائلهم،فهو ينفي عن أبي بكر رضي الله عنه سبقه للاسلام ومشاركته في الجهاد مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وينفي عنه فضله جمع القرآن الكريم زاعماً أن الذي جمعه

---

(١) سبقت ترجمته ص / ٢٢٩

(٢) أعيان الشيعة ص/ ٩٢ - نقلاً عن : الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثني عشرية تأليف : محمد حسن الاعظمي ص/ ٢٠٤ - الهيئة المصرية العامة للتأليف - ١٩٧٠م

هوعلي رضى الله عنه .

فهاهو يقول : (الجهاد الكامل كان لعلي وحده فى كل موقف ، ولم يُسمع عن الصديق أنه قتل أحداً فى حرب ، وهجرته كانت فى استخفاء مع النبي صلى الله عليه وسلم . .والقرآن جمعه مع تأويله علي بن أبى طالب)(١)

وهو بذلك يطعن في جمع أبي بكر رضي الله عنه للقرآن الكريم ، ويلمح بخفاء إلى أنه غيَّر فيه وبدَّل !

وهل هناك أعظم من هذا الطعن في صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهم شهدوا الجمع للقرآن الكريم وشاركوا فيه ! كما يكذب صريح القرآن الكريم فينفي أن يكون فى هجرة أبي بكر مع الرسول صلى الله عليه وسلم أي فضيلة ومنزلة لابي بكر(٢) . وهو بذلك يرد على الله تعالى قوله : (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا)(٣)

وهكذا يظهر دور التقية فى إنكار محسن الامين لدعوى القدح فى الصحابة ، ونرى كيف أنه كان على طريقة سابقيه فى القدح والطعن بصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن بشئ من الخداع .

٣ - عبدالواحد الانصاري(٤)

يقول في معرض رده على الشيخ محب الدين الخطيب الذى ذكر في كتابه الخطوط العريضة خطر عقيدة السب والطعن فى الصحابة عند الشيعة .

يقول رداً عليه : (عبثاً يحاول الشيعة اقناع خصومهم المتعصبين - بداعي العصبية لاغير - بالأدلة الصادقة والبراهين الساطعة بأن الشيعة الامامية لا يجيزون اللعن والسب مطلقاً للخليفتين وغيرهما إلا لمن لعنه الله ورسوله ، ونص على لعنه القرآن المجيد

---

(١) الشيعة بين الحقائق والاوهام لمحسن الامين ص/ ١٤٧

(٢) المرجع السابق ص/ ١٤٨

(٣) سورة التوبة / اية ٤٠

(٤) لم أجد له ترجمة .

ولا يزال المتعصبون يتمسكون بأقوال السفهاء والبسطاء ، وأفعال الجهلة والعوام من الشيعة)[١]

ونرد عليه من خلال النقاط التالية :

١ - أين الادلة الصادقة والبراهين الساطعة على نفي هذه التهمة عن الشيعة ؟ وهل الذى ينقل أقوال علماء الشيعة المحققين عندهم والمعتمدين لديهم والمؤسسين لمذهبهم يُعد في نظر الانصاري من المتعصبين ؟

٢ - لقد مرت بالقارئ في الصفحات السابقة مايثبت بكل تأكيد تأصُّل هذه الفرية عند الشيعة من خلال نصوص أبرز علمائهم المحققين كالكليني والصدوق والمفيد والطوسي والجزائري وغيرهم .فهل هؤلاء هم الذين يعدهم الانصاري من السفهاء والبسطاء والجهلة وعوام الشيعة ؟ وأين هم إذاً علماء الشيعة وعقلاؤهم !!

٣ - واذا كان الأنصاري من عقلاء الشيعة الذين لا يجيزون اللعن والطعن في الصحابة فلنستمع الى أقواله التى أبت الا أن تُظهر حقيقة مافي قلبه حيث أورد في مواضع أخرى من كتابه هذا الافتراءات التالية فى الصحابة الكرام :

فادعى أن أبا هريرة وسمرة بن جندب وعروة بن الزبير وعمرو بن العاص وأشباههم وضاعون ومزورون وكذابون[٢] وأنهم أتقنوا صياغة التلفيق والدس والكذب على أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم[٣] !!

- ووصف الصحابي الجليل سمرة بن جندب رضى الله عنه بأنه صعلوك وقح متصلب في جهله وكفره ونفاقه وتعطشه لاراقة الدماء ، من عملاء معاوية[٤] !!

- وقال عن عمرو بن العاص رضى الله عنه : إنه ولد سفاح وكافر وملحد[٥] !!

---

(١) أضواء على خطوط محب الدين العريضة ص/ ١٢٦ - ١٢٧

(٢) المرجع السابق ص/ ٤٨

(٣) المرجع السابق ص/ ٦٥

(٤) أضواء على خطوط محب الدين ص/ ٨٩

(٥) المرجع السابق ص/ ٨١

- وقال عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه : إنه مجرم سارق .. وانه بطل الغدر والكيد والدس .[1] ثم قال : (وحاشا الله تعالى أن يهدي أقواماً تتخذ من جيفة المغيرة وحفرته النتنه روضه من رياض الجنة)[2] !!

- وقال عن أبي موسى الاشعرى رضي الله عنه : إنه كذاب وراويه قرآن سجاح ، الذى أخذ يخلط بين قرآن الله وقرآن سجاح بعد أن ذهب عقله ودينه فى دومة الجندل[3] !!

فما رأي القارئ وهو يطلع على هذه المفتريات والقذف والسباب من هذا الرافضي الذي يتظاهر فى جانب آخر بالبراءة من ذلك !!.

إنه التلون والخداع الذي لا ينطلي إلا على البسطاء ، ويبدو أن هذه المفتريات الخبيثة هي الأدلة والبراهين الساطعة التى يريد هذا الرافضي أن يقدمها لنا لاثبات براءة الشيعة من الطعن في الصحابة ؟

٤ - محمد جواد مغنية[4]

أورد فى كتابه " التفسير الكاشف" قول زين العابدين علي بن الحسين فى الصحيفة السجادية فى دعائه : (اللهم وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحبة..) ثم قال (إن هذا رد مفحم لمن قال إن الشيعة ينالون من مقام الصحابة)[5]، كما ادعى فى كتاب آخر له أن الشيعة الامامية لا يكرهون الصحابة[6] .

وأبلغ رد عملي على هذه الدعوى ما نجده فى كتب مغنية الأخرى من الطعن والافتراء على الصحابة الكرام ، ووصفهم بأوصاف قبيحة ، والادعاء بأنهم يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه نبذ مما سطره مغنية فى كتبه :

---

(١) المرجع السابق ص/ ٨٦ - ٨٧

(٢) نفسه ص/ ٩٠

(٣) نفسه ص/ ٦٠

(٤) سبقت ترجمته ص/ ٢٢٩ من هذا البحث

(٥) التفسير الكاشف ١٠/ ٥١٥

(٦) الشيعة فى الميزان ص/ ٢٩٤

- فها هو يطعن فى عثمان رضي الله عنه ويفتري عليه ما هو برئ منه

فيقول : (إن عثمان انحرف عن سنة الرسول ، وخالف شريعة الاسلام ، واستأثر هو وذووه بأموال المسلمين)[١] !

- ويطعن فى الزبير وطلحة وأم المؤمنين عائشة رضى الله عنهم ويتهمهم في المشاركة بقتل عثمان رضى الله عنه .

فيقول : (كان الزبير وطلحة وعائشة وراء ما حدث لعثمان ، وعليهم تقع التبعة فى دمه)[٢] !

- كما يطعن فى أبي هريرة وسمرة رضي اللهّ عنهما ويفتري عليهما فرية عظيمة .

فيقول : (لقد وجد معاوية ، أبا هريرة ، وسمرة بن جندب يضعان الأحاديث المكذوبة على لسان رسول الله فى مدح معاوية والطعن على علي)[٣] !

وهكذا تذهب دعوى مغنية - فى تبرئة الشيعة من بغض الصحابة - أدراج الرياح ، ويتأكد للقارئ أن هذا الرافضي يتظاهر تقية بمحبة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يطعن فى خيارهم ويفتري عليهم الافتراءات الكاذبة ويصفهم بأوصاف تُظهر حقيقة ما في قلبه من كراهية لهم .

٥ - أحمد مغنية[٤]

يطلع علينا هذا الكاتب الشيعى بنمط جديد من الخداع ، ويستخدم التقية بأسلوب عجيب لاخفاء مطاعن الشيعة في الصحابة الكرام وخاصة الخلفاء الثلاثة .

فيقول : (إن أعداء الشيعة لم يتركوا وسيلة من وسائل التشويه والايذاء الا اتبعوها ، وأنهم وجدوا فى اتفاق الاسمين : عمر بن الخطاب الخليفة العظيم ، وعمر بن سعد قاتل

---

(١) فى ظلال نهج البلاغة - لمغنية ٢ / ٢٦٤ نقلاً عن رسالة التقريب للقفاري ص/ ٤٦١

(٢) المرجع السابق ١/ ٢٩٢

(٣) الشيعة والحاكمون - لمغنية ص/ ٢٨ نقلاً عن مقدمة كتاب الامامة والرد على الرافضة للاصبهانى - تحقيق وتقديم الدكتور علي بن محمد الفقيهي ص/ ٤٧

(٤) لم أجد له ترجمة .

الحسين ، ميداناً واسعاً يتسابقون فيه في تشويه الحقيقة والدس على الشيعة بأحط أنواع الدس .. وكان طبيعياً أن يكون لعنة اللعنات عمر بن سعد .. ولكن أولئك الآثمين المفرقين استغلوا كلمة (عمر) وقالوا إن الشيعة تنال من خليفة النبى عمر بن الخطاب رضى الله عنه) !!

ثم قال : (لا أنكر وجود أفراد من سواد الشيعة وسطائهم لا يفرقون بين هذين الاسمين ، بل لا يعرفون أن فى دنيا التاريخ الاسلامى عمرين : تقيا وشقيا)[1]

ونتساءل فى عجب :

ألم يطلع هذا الرافضي على مئات النصوص والروايات المنتشرة فى كتب الشيعة والمليئة بالسب والشتم والوصف بالكفر والنفاق للخلفاء الثلاثة،والادعاء بأنهم غصبوا الخلافة من على وظلموه حقه ؟!

فهل عمر بن سعد قاتل الحسين هو الذي غصب الخلافة من على ؟!

أيظن مغنية أن سذاجة القراء تصل الى هذا الحد، وأنهم لن يطلعوا على شئ مما يُطبع وينشر من كتب الشيعة المليئة بالطعن في أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة الكرام ؟

وهل الكليني والطوسي والقمي والمفيد و ... وجميع علماء الشيعة الذين طعنوا فى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب . هم أفراد من سواد الشيعة وسطائهم لانهم لم يفرقوا بين الاسمين أم هم أعمدة التشيع وأسسه وأركانه ؟!

وهكذا يظهر تهافت هذا الكلام ، ويتضح الخداع الذي يسلكه مغنية فى إخفاء شئ لم يعد اخفاؤه ممكناً ، لأنه أصبح عقيدة يدين بها الشيعة قديماً وحديثاً ولا يستغنون عنها .

وقبل أن نختم الكلام فى هذا الموضوع نعرض لطائفة من أبرز علماء الشيعة المعاصرين الذين سوّدوا صفحات كتبهم بالطعن فى الصحابة الكرام واتهامهم بالكذب والنفاق ليتأكد القارئ أن هذه العقيدة التى أسسها أسلافهم لا زالت تجد مكانها البارز

---

(١) الجبهان سليل الشيطان / لاحمد مغنية ص/ ٣٨ - ٣٩

بينهم الى اليوم . وأن كل مايتظاهرون به من نفي هذا الانحراف انما هو خداع وتقية - فهذا أحد علمائهم وهو محمد صادق الصدر يطعن بصراحة في خيرة أصحاب رسول الله "صلى الله عليه وسلم" ممن نقلوا لنا السنة ونذروا أنفسهم لخدمتها بأمانة واخلاص .

فيفتري على الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه بأنه وضع على لسان النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة وأنه كان كذاباً ولم يكن يحسن الوضع ، وأنه كان يضع السم بالدسم ويدس في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم (١) كما يتهم الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بتهم مماثلة (٢) ثم يدعي ان عائشة رضي الله عنها كانت مؤذية للنبي صلى الله عليه وسلم بأفعالها وأقوالها وسائر حركاتها وهذا مايدعو للتشكيك في رواياتها وعدم الاعتماد على أحاديثها ! (٣)

ويزعم أن أبا موسى الأشعري وأنس بن مالك منا فقان كذابان ! (٤)

ثم يستنتج بعد ذلك نتيجة خطيرة لطالما انتظرها أعداء الاسلام وهي أن صحاح أهل السنة كلها ساقطة لأن أكثر الروايات فيها لهؤلاء الصحابة ولانها مشتملة على الأكاذيب والخرافات ! (٥) ومن هنا ندرك الهدف الذي يرمي هؤلاء الوصول اليه وهو محاولة التشكيك في المصدر الثاني للتشريع الاسلامي وهي السنة النبوية (٦) بعد أن شكك كثير منهم في المصدر الاول وهو القرآن الكريم فهل يُقدم على هذا العمل الخطير من يخاف الله ؟!

---

(١) الشيعة لمحمد صادق الصدر ص/ ١٣٥ - ١٤٣ - طبع بغداد - ١٣٥٢هـ

(٢) المرجع السابق ص/ ١٤٣ - ١٥٠

(٣) المرجع السابق ص/ ١٥٠ - ١٥٢

(٤) نفسه ص/ ١٥٢

(٥) نفسه ص / ١٥٣ - ١٥٤

(٦) راجع كتاب (الذريعة لازالة شبه كتاب الشيعة) للشيخ محمد جمال الدين العاني طبع دمشق - ١٣٥٤ هـ فقد رد على كتاب (الشيعة) رداً وافياً وأبطل كل شبهاته وأوهامه

- وهذا محمد رضا المظفر يدّعي أن انقلابا عظيماً حصل بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم حيث انقلب المسلمون على أعقابهم وأن هؤلاء الذين قاتلهم أبو بكر رضى الله عنه لانهم منعوا الزكاة ليسوا مرتدين (وانما هؤلاء أنكروا بيعة أبي بكر التى كانت عن غير مشورة من المسلمين .. فلم يعترفوا له بإمامة ولا ولاية حتى يؤدوا له الزكاة ، ولعلهم كانوا يطالبون بخلافةِ مَنْ كان النص من النبي على خلافته فأهمل مطالبتهم التاريخ)[١] !

وأن الصحابة خالفوا أمر النبى صلى الله عليه وسلم من غير حياء ولا خجل وتواطئوا على غضبه ..[٢] !

وأن قلوبهم كانت مليئة بالتنافر والحسد والبغضاء الكامنة[٣] !

الى غير ذلك من الافتراءات والاوهام التى نسجتها خيالات الشيعة لتشوه الصورة المشرقة للجيل القرآني الفريد ، والتى يعلم كل مسلم صادق بطلانها وتهافتها .

- وهذا عباس القمي من أشهر علمائهم المعاصرين فى التراجم يثني على أبي لؤلؤة المجوسي قاتل عمر رضى الله عنه ، ويسميه (بابا شجاع الدين)[٤] !

---

(١) السقيفه لمحمد رضا المظفر ص/ ١٠ - ١٣

(٢) المرجع السابق ص/ ٥٤

(٣) المرجع السابق ص/ ٦٢ - ٦٤

(٤) الكنى والالقاب . لعباس القمي (ت ١٣٥٩ هـ) - ٢/ ٥٤ ويطلق المعلق على الكتاب ألقاباً كثيرة على مؤلفه منها : (شيخ المتتبعين فى عصره ، واستاذ المحدثين فى دهره ، سلمان زمانه فى الورع والتقى ، ووحيد أوانه فى نشر راية الهدى وهو شيخنا الأجل ركن الاسلام وغوث المسلمين حضرة الشيخ عباس القمي) !!.
كل هذه الالقاب ينالها عندهم من يرى مقتل عمر بن الخطاب شجاعة وظفراً !!
راجع الصفحة الاولى من الكتاب بتعليق حسن الحسيني النجفي)
(وراجع ترجمة القمي في :الأعلام ٣/ ٢٦٥)

ولا يخفى السبب الذى جعل هذا المجوسي المجرم شجاعاً فى نظر علماء الشيعة.

ومع هذا يتبجح عبدالواحد الأنصاري فى إنكار ذلك متستراً بالتقية فيقول :

(سبحانك اللهم لاعلم للشيعة بهذه الاسطورة ، ولا وجود لها فى دنيا الشيعة) ! (١)

ـ وهذا الخميني يطعن فى الصحابة فى أكثر من موضع من كتابيه الحكومة الاسلامية وكشف الأسرار فيتهم الشيخين رضي الله عنهما بمخالفة القرآن والتلاعب بأحكام الإله ! (٢)

ويطعن فى الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه بألفاظ قبيحة حيث يصفه بالمفتري ويدّعي أن كلماته نابعة من أعمال الكفر والزندقة وأنه أحدث تغييرات فى الدين الاسلامي ! (٣)

ويزعم أن الصحابي سمرة بن جندب رضي الله عنه يفتري على لسان النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث لم يقلها ! (٤)

ـ وهناك آخرون من علماء الشيعة المعاصرين ـ زيادة على ماذكرنا ـ أطلقوا لأقلامهم العنان وسطروا الصفحات فى الطعن والقدح والافتراء على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكننا أعرضنا عن الحديث عنهم رغبة فى الاختصار .

فهل يبقى بعد ذلك شك فى تأصل هذا الانحراف الخطير عند هؤلاء القوم وأن اللاحق منهم يسير على خطى السابق ؟

وهل هناك أبلغ من هذه الاقوال الخطيرة لتكون رداً عملياً على من يبرّئ الشيعة من هذه الانحرافات ؟

ونتسائل قائلين : أي فائدة يجنيها هؤلاء من إصرارهم على سب الصحابة والطعن فيهم ، وهم جيل قد مضى ؟ (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ماكسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) (٥) ؟

---

(١) أضواء على خطوط محب الدين العريضة ص/ ١٣٢

(٢) كشف الاسرار للخميني ص/ ١٢٦

(٣) المرجع السابق ص/ ١٣٧ - ١٣٨

(٤) الحكومة الاسلامية ص/ ٦٠

(٥) سورة البقرة / آية ١٣٤

ولا نجد أمامنا الا جواباً واحداً وهو أن هؤلاء الرافضة يهدفون إلى الطعن في القرآن والسنة عن طريق تشويه صورة حملته الأوائل ، والطعن في الاسلام وخصائصه وصلاحيته للتطبيق ، عن طريق تشويه تاريخه المجيد .

ولخطورة هذا الهدف نجدهم بين الحين والاخر يتسترون بستار التقية ويدعون براءتهم من الطعن في الصحابة ، لكي يتم لهم مايريدون في خفاء .

ويأبى الله ألا أن يتم نوره .

المبحث الرابع

تمسك الشيعة بالتقية لإخفاء غلوهم في أئمتهم

يعتقد الشيعة الامامية أن الامامة أصل من أصول الايمان ، وانها استمرار للنبوة ، وانها أمر الهى خصها الله فيمن ارتضاه (١) ، ومنصب الهي يختاره الله بسابق علمه بعباده. (٢)

والائمة عندهم يتصفون بصفات لابد منها ، أبرزها (٣) :

١ - العصمة : لأن الامام حافظ للشرع قائم به ، فحاله كحال النبى صلى الله عليه وسلم ، فلا تجوز عليه المعصية ولا الخطأ ولا النسيان. (٤)

٢ - ان يكون أفضل من جميع الأمة فى صفات الكمال كلها ، من الصدق والعدل والامانه وكرم الخلق ، وأفضل الناس من حيث العقل والعلم والحكمة .

٣ - ان يكون منصوصا عليه ، لأن العصمة أمر خفي لا يعلمها الا الله فلا بد من النص على المعصوم.كما يعتقدون (أ ن علم الائمة مأخوذ بالتعلم من النبى صلى الله عليه وسلم مباشرة ، كعلم علي والحسنين ، وبواسطة تعليم بعضهم لبعض ، كعلم بقية الائمة الذين لم يدركوا النبى صلى الله عليه وسلم ، وبالوصاية والاستيداع لأن جميع علوم الشريعة المقدسة وكل ما أفاده النبى صلى الله عليه وسلم من العلوم قد تعلمها منه علي وأودع كتبها عنده ، ثم من بعده صارت الى بنيه الائمة المعصومين ، وأن بعض علومهم يكون بالالهام . . وأن علمهم ثابت لهم على هذه الكيفية ، لا بكسب وتعلم من الناس وشد الرحال الى الأساتذة ، ولا بالاختلاط مع أهل الحلقات والحوزات العلمية) (٥)

---

(١) فى ظلال الوحي - علي فضل الله الحسني ص ١٣ .

(٢) أصل الشيعة وأصولها لكاشف الغطاء ص ١٠٧ .

(٣) عقائد الامامية للزنجاني ص ٧٧ - ٧٩ . وراجع أوائل المقالات للمفيد ص ٣٥ . وكشف المراد فى تجريد الاعتقاد لابن المطهر الحلى ص ٣٩٠ - ٣٩٣ .

(٤) تاريخ الامامية وأسلافهم من الشيعة - د . عبدالله فياض ص ١٥٤ .

(٥) عقيدة الشيعة فى الامام الصادق وسائر الائمة - حسين يوسف مكي العاملي ص ٧٦ - ٧٧ .

هذا الذى ذكرناه من صفات الائمة عند الشيعة يكاد أن يكون متفقا عليه قديما وحديثا ، وقلما نجد من علماء الشيعه المعاصرين من ينكر ذلك تقية ، أو يدعى براءة الامامية منه .[1]

هذا كله مع ماتتصف تلك الصفات من غلو وارتفاع بالائمة الى مستوى الأنبياء . ولكن هناك غلوا أشد وأخطر ينكره المعاصرون ويستخدمون التقيه فى اخفائه .

ولنستعرض نماذج منه من خلال روايات ونصوص أسلافهم من أساطين التشيع ، الذين ارتفعوا بالائمة الى مرتبة تفوق مرتبة النبوة ، وتكاد تصل الى درجة التأليه . وأبرز مانراه من غلوهم الافتراءات التالية :-

١ - الائمة يعلمون كثيراً من الغيب :

لقد نفى الله عن رسوله صلى الله عليه وسلم أن يعلم الغيب الا ما أطلعه الله عليه ، وبيَّن سبحانه أن الرسل لا يعلمون مافي غد ، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً الا باذن الله .

فقال تعالى مخبراً عن حال رسوله صلى الله عليه وسلم (قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون)[2]

وقال تعالى (قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون)[3] . والرسول صلى الله عليه وسلم ينفي عن نفسه علم الغيب كما قال تعالى :

---

(١) الا محمد جواد مغنية الذى أنكر أن يكون تعلم الائمة بالالهام وسنناقش قوله بعد صفحات .

(٢) سورة الأعراف / آية ١٨٨ .

(٣) سورة النمل / آية ٦٥ .

(قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك ، ان اتبع الا مايوحى الى)[(١)]

ولكن بعض علماء الشيعة القدماء يصفون أئمتهم بما نفاه الله عن رسله ، فيجعلونهم فى منزلة أعلى من منزلة الرسل .

فهذا هو الكليني يعقد بابا في كتابه أصول الكافي تحت عنوان :

(باب ان الائمة عليهم السلام يعلمون علم ماكان وما يكون وانه لا يخفى عليهم الشيء صلوات الله عليهم)[(٢)]

وبابا آخر تحت عنوان : (باب أن الائمة عليهم السلام يعلمون متى يموتون ، وانهم لا يموتون الا باختيار منهم)[(٣)] .

وبابا ثالثا بعنوان : (باب أن الأئمة عليهم السلام لو ستر عليهم لأخبروا كل امرىء بما له وما عليه)[(٤)]

وأبرز مايطالعنا في هذه الأبواب الروايات التالية :

(عن أبى بصير قال : قال أبوعبدالله -ع- : أى امام لا يعلم مايصيبه والى ما يصير ، فليس ذلك بحجة لله على خلقه)[(٥)] .

(وعن سيف التمار قال : قال ابوعبدالله -ع- . . لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنى أعلم منهما ، ولأنبئتهما بما ليس فى ايديهما ، لان موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ماكان ولم يعطيا علم مايكون وماهو كائن حتى تقوم الساعة ،

---

(١) سورة الأنعام / آية ٥٠ .

(٢) الأصول من الكافى ١/ ٢٦٠ .

(٣) المرجع السابق ١/ ٢٥٨

(٤) المرجع السابق ١/ ٢٦٤ .

(٥) المرجع السابق ١/ ٢٥٨ .

وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وراثة)[١]

(وعن عبد الواحد بن المختار قال : قال ابوجعفر - ع - : لو كان لألسنتكم أوكيه[٢] لحدثت كل امرئ بما له وعليه)[٣]

ونستخلص من الروايات السابقة الصفات التالية للأئمة :

١ - أنهم يعلمون ما يصيبهم والمصير الذى ينتظرهم

٢ - أنهم أعلم من موسى والخضر ، لأن علمهم يشمل علم ما كان وما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة ، فهم يعلمون الغيب فى الماضى والحاضر والمستقبل .

٣ - أنهم يعلمون أحوال جميع الناس وأخبارهم وكل ما يتعلق بهم من مغيبات.

وهكذا يصف الكليني الائمة بأنهم اطلعوا على الغيب الذى اختص الله بعلمه ، والذى لم يطلع عليه الأنبياء والرسل .

وهناك عشرات الروايات الاخرى التي يصف فيها الائمة بأنهم يعلمون أخبار السموات والأرض ،[٤] وأن عندهم علوم الاولين والآخرين .

كما أنه يدعى أن عند الائمة الجامعة ، وهى صحيفة طولها سبعون ذراعاً ، أملاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على علي رضى الله عنه فيها كل حلال وحرام وكل شىء يحتاج الناس اليه .

وعندهم الجفر ، وهو وعاء من أدم فيه زبور داود وتوراة موسى وانجيل عيسى وصحف ابراهيم وكتب الله الأولى .

وعندهم مصحف فاطمة ، وهو الذى كتبه علي رضي الله عنه من كلام جبريل عندما كان ينزل على فاطمة فيحسن عزاءها على أبيها ، ويخبرها بما يكون بعدها فى ذريتها

---

(١) الأصول من الكافى ١ / ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٢) أوكيه : جمع وكاء وهو رباط القربه ونحوه .

(٣) المرجع السابق ١ / ٢٦٤ .

(٤) نفسه ١ / ٢٦١ - ٢٦٢ .

وعندهم بالاضافة الى كل ماسبق الكثير من آثار الأنبياء وكتبهم ، فعندهم سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه ، وألواح موسى وعصاه ، وخاتم سليمان ، والطست الذى كان موسى يقرب بها القربان ، والتابوت الذى جاءت به الملائكة . . الى غير ذلك من الخيالات والافتراءات [١]

- وقد سبق الكليني الى هذه الافتراءات شيخ آخرمن اشهر شيوخهم ، وهو محمد ابن الحسن الصفار [٢] (ت ٢٩٠هـ) الذى يعدونه من أصحاب الإمام الحادى عشر الحسن العسكرى ،والذى قيل عنه انه المؤسس الحقيقى لفقه الامامية في بلاد العجم [٣].

ويقولون عنه انه (ثقة ، عظيم القدر ، راجحاً ، قليل السقط فى الرواية) [٤] وهو من أساتذة الكليني ، وكتابه (بصائر الدرجات الكبرى) يعد من الكتب المهمة والمعتمدة عند الشيعة ، وقد امتلأ هذا الكتاب بأخبار وروايات كثيرة ، فى ادعاء نزول الوحي على الائمة وأنهم يعلمون الغيب ، وغير ذلك من ألوان الغلو والأنحراف ومن أبرز أبواب هذا الكتاب :

(باب فى الائمة أنهم يعرفون بالاخبار من هو غائب عنهم) [٥]

(باب فى الامام بأنه ان شاء ان يعلم العلم لعلم) [٦]

(باب فى الائمة أنهم يزادون فى الليل والنهار . .) [٧] الى غير ذلك .

- كما أن الحر العاملي [٨] (ت ١١٠٤هـ) وهو من علمائهم المتأخرين يؤكد على

---

(١) راجع : أصول الكافى للكليني (١/ ٢٣٨ - ٢٤٢) ، الارشاد للمفيد ص٢٧٤ - ٢٧٥ ، الاحتجاج للطبرسي (٢/ ١٣٣ - ١٣٤) .

(٢) سبقت ترجمته ص / ٣٥٩ من هذا البحث.   (٣) تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٣/ ٣٣٧

(٤) الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي ٢ / ٣٧٩

(٥) بصائر الدرجات - الباب الحادى عشر - ص / ٤١٦ .

(٦) المرجع السابق- الباب الثانى من الجزء السابع - ص / ٣٣٩ .

(٧) المرجع السابق - الباب العاشر من الجزء الثامن ص / ٤١٥ .

(٨) سبقت ترجمته ص / ٢١٥

هذه الافتراءات ، فينص في كتابه (الفصول المهمة) على : (ان الملائكة ينزلون في ليلة القدر الى الارض ويخبرون الائمة عليهم السلام بجميع مايكون في تلك السنة من قضاء وقدر ، وانهم يعلمون كل علم الانبياء عليهم السلام)(١)

وليلاحظ القارئ كلمة (جميع مايكون) فهي تأكيد من الحر العاملي بأن علم الائمة يشمل كل المغيبات في تلك السنه ولا يختص بجزء منها .

وهو ادعاء خطير لا يمكن لمسلم أن يدعيه للرسول صلى الله عليه وسلم فكيف يدعيه هؤلاء لأئمتهم ؟ .

فماذا يقول علماؤهم المعاصرون في ذلك ؟

يقول مغنية :

(لقد ظلم الشيعة الامامية مَن نسب اليهم القول بأن الائمة يعلمون الغيب ، ولا نعلم أحدا منهم استجاز الوصف بعلم الغيب لأحد من الخلق)(٢)

ونتساءل قائلين : هل الكليني والصفار وأمثالهما يُعدون من الامامية أم من غيرهم؟ فكيف استجاز هؤلاء ان يصرحوا ويؤكدوا على نسبه علم الغيب للأئمة ؟

والجواب أن مغنية يخفي أقوال أسلافه تقية ، ويتظاهر بانكارها وهو يدرك تماما أن كثيرا من علماء الشيعة القدماء نصوا عليها في كتبهم.

وكما قلنا في مناقشة المدافعين عن الشيعة في دعوى تحريف القرآن والطعن في الصحابة . . نقول هنا : لو كان إنكار مغنية صادقاً لوجب عليه أن يعترف بان الكُليني وغيره من أساطين التشيع قد نصّوا على هذه الفرية ونسبوا علم الغيب للأئمة ، ثم يردّ ادعاءهم ويبطل أقوالهم ، أما الانكار المطلق والاخفاء المتعمد ، فلا تفسير له الا استخدامه للتقية لتغطية الوجه الحقيقي لعقائد الشيعة.

---

(١) الفصول المهمة ص / ١٤٥ - نقلا عن كتاب الرد الكافي على مغالطات الدكتور وافي - لاحسان الهي ظهير - ص / ١٤٦ .

(٢) الشيعة في الميزان ص / ٤٣ .

٢ ـ الأئمة يتلقون العلم عن طريق الملائكة :

أورد الكليني تحت عنوان : (باب جهات علوم الائمة عليهم السلام) روايات في ذلك أبرزها الرواية التالية :-

(عن أبي عبد الله ـ ع ـ قال : ان علمنا غابر ومزبور ونكت في القلوب ونقر في الاسماع قال : أما الغابر فما تقدم من علمنا ، وأما المزبور فما يأتينا ، وأما النكت في القلوب فالهام وأما النقر في الاسماع فأمر الملك)[1]

وذكر شيخهم المفيد تفصيلا في ذلك فنقل عن الامام الصادق أنه قال :

(أما الغابر فالعلم بما يكون ، وأما المزبور فالعلم بما كان ، وأما النكت في القلوب فهو الالهام ، والنقر في الاسماع حديث الملائكة نسمع كلامهم ولا نرى أشخاصهم)[2] !!

فالأئمة اذاً يتلقون العلم عن ثلاث وجهات :

١ ـ التلقي عن آبائهم الائمة وهذا ماسبقت الاشارة اليه

٢ ـ الالهام ، وهو مايسمونه النكت في القلوب

٣ ـ الملائكة الذين ينزلون عليهم فيسمعون أصواتهم ولا يرون أشخاصهم .

والجانب الثالث هو الذي يحرص علماء الشيعة المعاصرون على اخفائه ، ويصرون على انكاره وهو في الواقع من أخطر العقائد الشيعية اذ ان معناه اثبات استمرار الوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ولو سمي ذلك الوحي بغير اسمه .

فالرسول صلى الله عليه وسلم كان الوحي ينزل عليه أحيانا فيرى الملك ويسمع صوته ، واحيانا كان يسمع صوته ولا يراه ، وكلاهما وحي من الله ، وكلاهما انقطع نزوله بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم واذا كانت الرواية السابقة لا تذكر اسم الملك الذي ينزل على أئمتهم ، فان هناك رواية أخرى تذكر أن جبريل كان ينزل على فاطمة

---

(١) الاصول من الكافي ١ / ٢٦٤ .

(٢) الارشاد للمفيد ص / ٢٧٤ .

رضي الله عنها بعد وفاة أبيها ليحدثها ويواسيها .

فقد روى الكليني (عن ابى عبد الله - ع - قال : . . إن فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وسبعين يوما ، وكان دخلها حزن شديد على أبيها ، وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ، ويطيب نفسها ، ويخبرها عن أبيها ، ومكانه ، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها ، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك ، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام)(١)

ولا شك أن هذه الرواية تنص صراحة على نزول جبريل عليه السلام بالوحي على فاطمة رضي الله عنها ، اذ لو فرضنا ان كلام جبريل وهو يحسن عزاءها ويطيب نفسها لا يعد وحيا ، فان كلامه لها وهو يخبرها بما يكون بعدها في ذريتها ليس له اسم الا الوحي ، لانه إخبار بشيء من المغيبات التي ستحصل في المستقبل ، وهذا أمر لا علم لجبريل به .

فكأنهم يقولون إن الله أمر جبريل أن ينزل عليها ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها ، فماذا نسمي هذا النزول الذي يحمل فيه جبريل هذه الأخبار إلى فاطمة ؟ لا شك أنه الوحي وليس له اسم غير ذلك ، كما أن ادعاءهم نزول الملائكة بالعلوم على أئمتهم ليس له اسم الا الوحي ، ولا يكون ذلك الا لنبي .

ولذلك نجد الكليني يعقد بابا في أصول الكافي تحت عنوان : (باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدث) يذكر فيه روايات عديدة أبرزها :

عن زرارة قال : (سألت أبا جعفر - ع - عن قول الله عز وجل " وكان رسولا نبيا " ما الرسول وما النبي ؟ قال :

النبي الذي يرى في منامه ، ويسمع الصوت ولا يعاين الملك ، والرسول الذي يسمع الصوت ويرى المنام ويعاين الملك .

---

(١) الاصول من الكافي ١ / ٢٤١ .

قلت : الامام مامنزلته ؟ قال : يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك) (١)

فالخلاف بين الرسول والنبى والامام - كما يزعم الكليني - ليس في نزول الوحي أو عدمه وانما في مسأله جزئية ، وهي رؤية الملك أو عدم رؤيته ، اى فى كيفية تلقى الوحي .

وهذا أكبر دليل على أن الكلينى - وهو شيخ الشيعة فى الحديث - يعتقد نزول الوحي على الأئمة ، وفى ذلك خروج صريح على عقيدة ختم النبوة فى الاسلام ، ولا خلاف بين العلماء فى تكفير من يبطلها.ولو أن الكليني كان وحده هو المعتقد بهذه الافتراءات لكان ذلك كافيا في ادانة التشيع ، لعظيم منزلته عند الشيعة ، وثقتهم به وقولهم عن كتابه بأنه كاف لشيعتهم .

ولكنه ليس وحده فى هذا المجال ، بل سبقه الى ذلك آخرون لعل أبرزهم شيخه الصفار الذى أورد عشرات الروايات المنسوبة للائمة في تأكيد نزول الوحي عليهم . وهذه عناوين بعض أبواب كتابه المشهور (بصائر الدرجات) .

(باب فى أمير المؤمنين أن الله ناجاه بالطائف وغيرها ونزل بينهما جبريل) (٢) .

(باب فى الأئمة عليهم السلام أن روح القدس يتلقاهم إذا احتاجوا اليه) (٣) .

(باب الروح التى قال الله " ويسألونك عن الروح " أنها في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته عليهم السلام يسددهم ويوفقهم ويفقههم) (٤)

(باب الروح التى قال الله فى كتابه " وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا " انها فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الائمة يخبرهم ويسددهم ويوفقهم) (٥)

واذا كانت هذه هى عناوين الابواب فما بالك بالروايات المحشوة فى داخلها والتى تؤكد وتصر على فرية نزول الوحي على أئمتهم بالعلوم واخبارهم عن المغيبات .

---

(١) المرجع السابق

(٢) بصائر الدرجات ص / ٤٣٠ .

(٣) المرجع السابق ص / ٤٧١ .

(٤) المرجع السابق ص / ٤٨١ .

(٥) المرجع السابق ص / ٤٧٥ .

وماد ام هؤلاء الشيعة يزعمون نزول الوحي على الائمة ، فما هو الفرق في رأيهم بين الانبياء والائمة أليست هذه دعوة مبطنه لاستمرار النبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

ولذلك نجدهم ينصون على تفضيل أئمتهم على الرسل والأنبياء بما فيهم أولوا العزم من الرسل .

وقد بوّب الصفار باباً في ذلك بعنوان : (باب في أمير المؤمنين عليه السلام وأولوا العزم أيهم أعلم)(١)

وذكر ذلك ابن بابويه القمي بعنوان : (أفضلية النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة على جميع الملائكة والانبياء عليهم السلام)(٢)

كما نص عليه الحر العاملي بعنوان : (ان النبي والائمة الاثني عشر عليهم السلام أفضل من سائر المخلوقات من الانبياء والأوصياء السابقين)(٣).

وأكد ذلك أحد معاصريهم بقوله : (إن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، وبموجب مالدينا من الروايات والأحاديث فان الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم والائمة عليهم السلام كانوا قبل هذا العالم أنوارا فجعلهم الله بعرشه محدقين ، وجعل لهم من المنزلة والزلفى مالا يعلمه الا الله . . . وقد ورد عنهم عليهم السلام : إن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل)(٤)

واذا كانت منزلة الائمة عند الشيعة تفوق منزلة الأنبياء والرسل ، والائمة يتنزل عليهم الوحي كما يتنزل على الانبياء ، ويعلمون من الغيب أكثر مما يعلم الانبياء ، فماذا بقي إذاً ؟ بقي أن يصرحوا بأن أئمتهم أنبياء وأن النبوة لم تختم ببعثة الرسول

---

(١) بصائر الدرجات ص / ٢٤٧ .

(٢) عيون أخبار الرضا ـ ص/ ٢٦٢ .

(٣) الفصول المهمة ص / ١٥١ نقلا عن الرد الكافي لظهير ص / ١٥٤ .

(٤) الحكومة الاسلامية للخميني ص / ٥٢ .

صلى الله عليه وسلم وانما هي مستمرة في الائمة .

والواقع ان الكليني والصفار وغيرهما وان لم يصرحوا بذلك الا أن ما أوردوه من روايات يزيد على التصريح بذلك ، إذ يرفع الائمة فوق مستوى الانبياء .

ولذلك نجد الكليني في إحدى رواياته يكاد يصرح باستمرار النبوة في علي رضى الله عنه ، فقد روى بسنده (عن أبي عبد الله - ع - أنه قال :

كان أمير المؤمنين - ع - باب الله لا يؤتى الا منه ، وسبيله الذى من سلك بغيره هلك ، وكذلك يجري لأئمة الهدى واحدا بعد واحد ، جعلهم الله أركان الارض أن تميد بأهلها . . .

وكان أمير المؤمنين كثيرا مايقول : أنا قسيم الله بين الجنة والنار ، وأنا الفاروق الأكبر ، وأنا صاحب العصا والميسم ، ولقد أقرت لي جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقروا به لمحمد صلى الله عليه وسلم . . ولقد أعطيت خصالا ماسبقنى اليها أحد قبلي ، علمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب ، فلم يفتني ما سبقني ، ولم يعزب عني ماغاب عني) .(١)

وليلاحظ القارىء جملة : (ولقد أقرت لي جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقروا به لمحمد صلى الله عليه وسلم) فهل تعنى هذه العبارة الا ادعاء النبوة لعلي رضى الله عنه ؟ وحاشاه أن يدعي ذلك لنفسه ، أو يصف نفسه بأوصاف الغلو التي يصفه بها الكليني شيخ الشيعة وعمدتهم .

فماذا يقول علماؤهم المعاصرون في ذلك ؟

يقول محمد الحسين آل كاشف الغطاء :

(يعتقد الامامية ان كل من اعتقد أو ادعى نبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم أو نزول وحي أو كتاب فهو كافر يجب قتله).(٢)

---

(١) الاصول من الكافي ١٩٦/١ .

(٢) أصل الشيعة وأصولها ص / ١٠٦ .

ولو أخذنا قول كاشف الغطاء على ظاهره ، لكان أول من ينطبق عليهم هذا الحكم هو الكليني وشيخه الصفار وأمثالهما ممن أشرنا اليه من علماء الشيعة الذين صرحوا بنزول الملائكة على أئمتهم بالعلوم والمغيبات ، وهو كما قلنا لا يختلف عن الوحي شيئا . بل ان الكليني - كما رأينا - ألمح الى ادعاء النبوة في علي رضى الله عنه .

فهل هؤلاء - وهم مرتكز الشيعة - كفار يجب قتلهم ؟ .

إن هذا لا يقول به شيعي أبدا ، لكن كاشف الغطاء أراد باطلاقه لهذا الحكم أن يبعد الانظار عن دعاوى أسلافه ومفترياتهم صيانة لسمعة الشيعة وذراً للرماد في العيون ، تسلحا بسلاح التقية التي يجب على الشيعي أن يتمسك بها فى مثل هذه المواطن .

- وننتقل بعد كاشف الغطاء الى مغنية الذى نجده يذهب في التقية الى مدى أبعد فيقول : (بهذا يتبين الجهل أو الدس في قول من قال بأن الشيعة يزعمون ان علم الائمة الهامي وليس بكسبي ، وترقى بعضهم فنسب الى الشيعة القول بنزول الوحي على الائمة)(٢)

وهذا الانكار من مغنية يتضمن جانبين وهما :

- إنكار ماتدعيه الشيعة بأن علم الأئمة الهامي وليس بكسبي

- إنكار دعوى نزول الوحي على الائمة .

والجانب الاول الذى يتظاهر مغنيه بانكاره أقرَّ به علماؤهم من قبل ، كما مر بنا بل إن المعاصرين أقروا به أيضا ، فهذا حسين يوسف مكي يقول عن علوم الائمة :

(أن بعض علومهم يكون بالالهام . . . وأن علمهم ثابت لهم على هذه الكيفية لا بكسب وتعلم من الناس ، وشد الرحال إلى الأساتذة)(٣) .

---

(١) الشيعة في الميزان لمحمد جواد مغنية ص / ٤٤ - ٤٥ .

(٢) عقيدة الشيعة في الامام الصادق وسائر الائمة - حسين يوسف مكي العاملي ص ٧٦ - ٧٧ .

ويقول محمد الحسين المظفري :

(علم الدين الهامي وكسبي ، والكسبي يقع فيه الخطأ والصواب والصحة والغلط . . فمن هنا كان حتما ان يكون علم الانبياء وأوصيائهم من العلم الايحائي أو الالهامي صونا لهم وللأمم من الوقوع في المخالفة خطأ)[1]

ثم يقول : (فالصادق كسائر الأئمة لم يكن علمه كسبيا وأخذاً من أفواه الرجال ومدارستهم ، ولو كان،فمن أخذ وعلى من تخرج وليس في تاريخ واحد من الائمة عليهم السلام أنه تلمذ أو قرأ على واحد من الناس حتى في سن الطفولة)[2]

وبهذا يظهر كذب مغنية الذى لا ينسب هذه الافكار لرأيه الخاص ، وانما يجعله عقيدة للشيعة عامة تظاهرا منه بموافقة أهل السنة .

أما الجانب الثاني وهو إنكار دعوى نزول الوحي على الائمة ، فكم نتمنى أن يكون موقف مغنية هذا يمثل عقيدة علماء الشيعة قديماً وحديثاً .

لكن العكس هو الواقع ،فقد رأى القارىء ماذكرناه في اثبات تأصل هذه الغريبة عند كثير من علماء الشيعة الذين هم أركان مذهبهم ، كالكليني والصفار والحر العاملي وغيرهم.

واذا كان بعض علمائهم القدماء قد أنكروا هذه الغرية ، فلا يخفى أن البعض الآخر قد أثبتوها ودعموها بالروايات المنسوبة لأئمة أهل البيت.

وقد استدل مغنية بأقوال بعض المنكرين كالمفيد[3] وابى على الطبرسي[4]، وأخفى أقوال وروايات المثبتين الذين هم أبرز وأقدم كالكليني وشيخه الصفار.

ثم ان المفيد الذى أنكر دعوى نزول الوحي على الأئمة في كتابه (أوائل المقالات)

---

(١) الامام الصادق ـ لمحمد الحسين المظفرى ص / ١٤٨ .

(٢) المرجع السابق ص ١٥١ .

(٣) ذكر المفيد انكاره هذا فى كتابه (أوائل المقالات) ص ٣٩ تحت عنوان (القول فى الايحاء الى الائمة) .

(٤) ذكر ذلك فى تفسيره (مجمع البيان) ١٢/ ٢٣٩ فى تفسير قوله تعالى من سورة هود آية ١٢٣ " ولله غيب السموات والأرض " .

هو نفسه الذى يؤكد هذه الغريبة فى كتاب آخر له فيروى عن الامام الصادق أنه قال :

(ان علمنا غابر ومزبور ونكت في القلوب ونقر في الاسماع ، أما الغابر فالعلم بما يكون ، وأما المزبور فالعلم بما كان ، وأما النكت فى القلوب فهو الالهام ، والنقر فى الأسماع حديث الملائكة نسمع كلامهم ولا نرى أشخاصهم)[(١)].

فموقف المفيد إذاً مضطرب فى هذا المجال ، ينفي في كتاب مايثبته فى كتاب آخر ، وهذه الرواية التى ينسبها للامام الصادق تؤكد نزول الوحي على الائمة بالعلوم وإخبارهم بالمغيبات ، فكيف نقبل قوله الآخر : (إن العقل لا يمنع من نزول الوحي اليهم - أى الائمة - . . وانما منعت من نزول الوحي عليهم ، والا يحاء بالاشياء اليهم للاجماع على المنع من ذلك ، والاتفاق على أنه من يزعم أن أحدا بعد نبينا صلى الله عليه وسلم يوحى اليه فقد أخطأ وكفر . . والامامية جميعا على ماذكرت ليس بينها فيه على ماوصفت خلاف)[(٢)]

ولنيلاحظ القارىء الجملة الاخيرة من قول المفيد ، حيث يدعى اتفاق الامامية جميعا على ماذكره من منع الوحي على الائمة .

وهذا الادعاء ظاهر البطلان بما ذكرناه من الروايات التي حشدها الصفار والكليني وغيرهما لتأكيد نزول الوحي على الائمة وأنهم يسمعون صوت الملك ولا يرون شخصه .

فكيف نفسر موقف المفيد هذا ؟ ان التناقض والاضطراب وادعاء اتفاق الامامية على شيء لم يتفقوا عليه بل كادوا يتفقون على خلافه . . كل هذا يشكك فى صحة موقف المفيد وصدق إنكاره لهذا الغلو .

ولا يبقى بعد ذلك أى مستند لمغنية في نفى هذه التهمة عن جميع الشيعة مستدلا بنص المفيد الذى أثبتنا اضطرابه .

---

(١) الارشاد للمفيد ص / ٢٧٤ .

(٢) اوائل المقالات ص / ٣٩ .

ولو كان مغنية صادقا فى تبرئة الشيعة من هذا الغلو الخطير ، فإن الواجب عليه أن يسلك طريق الصراحة والوضوح ، فيقر بوجود كثير من علماء الشيعة البارزين الذين أثبتوا هذا الغلو فى كتبهم ، وبالتالي يرد عليهم ويطعن فى رواياتهم المنسوبة للائمة ، ويعلن تراجع الشيعة المعاصرين عن ذلك وبراءتهم منه .

أما الاخفاء المتعمد والتجاهل المقصود لهذه العقيدة الخطيرة المسطرة فى أمهات كتبهم المطبوعة والمنتشرة بين الناس . . فلا تفسير له الا التقية .

ـ واخيرا نقول :

كم نتمنى أن يسلك علماء الشيعة المعاصرون طريق الصراحة ، وان يطرحوا جانباً هذه الحيل والأساليب الملتوية فى التستر على عقائد أسلافهم التي لم تعد خافية عن الناس ، وأن يعلنوا بكل جرأة براءتهم منها ومن قائلها ، وأن يتوقفوا عن طبع ونشر هذه الكتب المشحونة بالغلو ، والمليئة بالانحرافات المخرجه عن دائرة الاسلام. ولا سبيل أمامهم الا أن يفعلوا ذلك ، إدراكا لخطر هذه الدعاوى المضلة والآراء المهلكة على فرقة الشيعة بل على المسلمين كلهم.

فليتهم يفعلون . . (١)

---

(١) قام أحد أعلام الشيعة المعاصرين في الآونة الأخيرة بحمل لواء الدعوة الى تصحيح عقائد الشيعة ، وهو الدكتور موسى الموسوى المولود فى النجف عام ١٩٣٠م والحاصل على الدكتوراه فى التشريع الاسلامي من جامعة طهران ، والدكتوراة فى الفلسفة من جامعة السوربون فى باريس . وقد ألف الموسوى فى ذلك كتبا عديدة أبرزها كتاب (الشيعة والتصحيح) الذى أعلن فيه عن ضرورة القيام بتصحيح عقائد الشيعة ، ولاسيما تلك العقائد التى سببت الخلاف مع الفرق الاسلامية الاخرى ، والتى كانت بحد ذاتها تتناقض مع روح الاسلام والمنطق السليم ، وكانت ولم تزل وبالا على المذهب الشيعي حيث أدت الى تشويه سمعته ومسخ معالمه فى العالم الاسلامي بل وفى العالم كله .

(راجع ص / ٦ من هذا الكتاب) .

الفصل الرابع

تمسك الشيعة بالتقية في مجالي الرواية والفقه

وفيه مبحثان.

المبحث الاول : التقية فى الرواية

١ - رد الروايات الثابتة عند هم والموافقة لأهل السنة

٢ - كتمان الروايات تقية

٣ - تعد يل الرواه وتجريحهم على سبيل التقية

المبحث الثاني : التقية فى الفقه والفتوى

- التأكيد على استخدام التقية في الفتوى

- بعض الأمثلة لاستخدامهم التقية فى الفقه والفتوى

أولا : نجاسة أهل الكتاب

ثانيا : بعض أحكام الصلاة

المبحث الأول

التقية في الرواية

من المتفق عليه عند علماء أهل السنة أن الرواية أمانة ومسؤولية .

فالراوى مؤتمن لا يجوز له أبداً أن ينسب لأحد قولا لم يقله ، فضلاً عن أن ينسب للرسول صلى الله عليه وسلم أو للصحابة الكرام قولا وهو يعلم كذبه وبطلانه .

ولقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال :

(من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار)

وفي رواية : (لا تكذبوا علي فانه من كذب علي فليلج النار) (١)

ولذلك حرص الصحابة الكرام على دقة الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم ونقل ما سمعوه من الرسول عليه الصلاة والسلام بأمانة وصدق ، وكذلك كان حال علماء الأمة ومحدّثيها الثقات جيلاً بعد جيل،حيث بذلوا كل جهودهم للنظر فى عدالة مَنْ ينقلون عنه والتأكد من أمانتهم .

وأئمة أهل البيت ابتداء من علي بن أبى طالب وولديه الحسن والحسين رضى الله عنهم ومَنْ بعدهم كانوا أحرص الناس على دقة الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبعد الناس عن التقوّل فى الرواية والخداع فيها .

ولذلك كان علي رضى الله عنه يقول : (إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأنْ أخرَّ من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه) (٢)

وفى رواية (أحب إلي من أن أقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل) .

ولكن علماء الشيعة ادعوا أن التقية فى الرواية جائزة ونسبوا ذلك لأئمتهم وعلمائهم ورواة الأحاديث عندهم . وهذا المجال من مجالات التقية يمثل أخطر انحراف عن المفهوم الصحيح للتقية كما سنرى ، وأبرز ما استعملوا فيه التقية فى مجال الرواية الجوانب التالية :

---

(١) صحيح البخارى ٣١/١ باب اثم من كذب على النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) أخرجه الامام أحمد فى مسنده ١١٣/١ وابن أبى شيبه فى المصنف ٥٣٠/١٢

١- رد الروايات الثابتة عندهم والموافقة لأهل السنة بحجة أنها وردت للتقية وأنه يجوز للراوي أن يروي رواية ينسبها الى الرسول صلى الله عليه وسلم أو أحد الائمة وهو موقن ببطلانها ولكنه يدعي نسبتها إلى قائلها تقية.

ويزعمون أن أئمتهم أمروهم بذلك، وأن هؤلاء الائمة كانوا يفعلون هذا أيضا،فيروي أحد الائمة رواية عن إمام سابق أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستمع الناس اليها ويأخذون بها ثقةً بقائلها، وهو يعلم بطلانها وكذبها،ولكن الذي دفعه الى روايتها هو التقية.

لأنها توافق مذهب العامة - أى أهل السنة - والرواية الصحيحة المعتمدة عندهم هى ماخالف أهل السنة.

وبهذه الحيلة استطاع علماء الشيعة أن يردوا كل رواية وردت من طريقهم وفيها موافقة لمذهب أهل السنة فى الأصول أو الفروع بحجة أن هذه الرواية قيلت للتقية.

روى الطبرسى فى الاحتجاج عن سماعة بن مهران قال :

(سألت أبا عبد الله - جعفر الصادق - قلت: يرد علينا حديثان، واحد يأمرنا بالأخذ به والآخر ينهانا عنه ؟

قال : لاتعمل بواحد منهما حتى تلقى صاحبك فتسأله عنه

قال : قلت: لابد من أن نعمل بأحدهما

قال : خذ بما فيه خلاف العامة، فقد أمر (عليه السلام) بترك ماوافق العامة لانه يحتمل أن يكون قد ورد مورد التقية، وما خالفهم لايحتمل ذلك)(١)

ثم قال الطبرسى : (وروى عنهم عليهم السلام - أنهم قالوا : اذا اختلفت أحاديثنا عليكم فخذوا بما اجمعت عليه شيعتنا، فانه لاريب فيه)(٢)

ومما يؤكدون عليه أنه ينبغي لمن يتبعهم أن يصدق بكل ما يسمع من الائمة وما ينقل اليه من أحاديثهم مهما كان فى هذه الأحاديث والروايات من تضارب وتناقض، ولا يجوز له أن يكشف عن حقيقة الروايات المزيفة التى قيلت تقية لئلا تضيع الفائدة من التقية وهي الدفاع عن الشيعة وابعاد الأخطار عنهم .

---

(١) (٢) الاحتجاج ٢/١٠٩

ولذلك ينسبون للامام جعفر الصادق أنه قال :

(من عرف أنا لا نقول الا حقا فليكتف بما يعلم منا ، فان سمع منا خلاف ما يعلم فليعلم أن ذلك دفاع منا عنه)(١).

والمطلوب من كل شيعي أن يسكت عن الروايات المتناقضة والمتضاربة التى تنقل عن الأئمة وتنسب اليهم ولو كان هذا التضارب يدعو للاشمئزاز والانكار .

روى الكلينى بسنده عن أبى عبيدة الحذّاء قال :

(سمعت أبا جعفر – ع – يقول : والله ان أحب أصحابي إليَّ أورعهم وأفقههم وأكتمهم لحديثنا ، وان أسوأهم عندي حالا وأمقتهم للذي اذا سمع الحديث ينسب الينا ويروى عنا فلم يقبله اشمأز منه وجحده وكفَّر من دان به ، وهو لا يدري لعل الحديث من عندنا خرج والينا أسند ، فيكون بذلك خارجاً عن ولايتنا)(٢)

وروى أيضا عن على بن سويد أن أبا الحسن موسى كتب اليه رسالة . وكان مما قال له فيها :

(لا تقل لما بلغك عنا ونسب الينا : هذا باطل ، وان كنت تعرف منا خلافه فانك لا تدري لم قلناه ، وعلى أى وجه وضعناه ، آمن بما أخبرتك ولا تُفشِ ما استكتمتك)(٣)

وبهذه الحيلة يتمكن علماء الشيعة من نسبة كل ما يريدونه الى الأئمة ولو أدى ذلك الى التناقض مع ما ثبت عنهم من أقوال لأن الأتباع ينبغى عليهم أن يصدقوا كل ما ينقل عن الأئمة بدون نقاش ولا تردد ، بحجة أن سبب هذا الاختلاف والتناقض هو التقية

ويعلل الدكتور كامل الشيبي هذا المنهج الشيعي فى مجال الرواية فيقول :

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملى ١٨ / ٧٦

(٢) الأصول من الكافى ٢ / ٢٢٣

(٣) الروضة من الكافى ص / ١٢٥ – ١٢٦

(لم ينهج الشيعة منهج أهل السنة من تسجيل الصحاح من الأحاديث، وانما اختاروا أن يكدسوا كل ماطرق سمعهم فيماعدا الصريح منه فى التأليه والحلول.

ثم يقول : وقد لاحظ الشيعة أنفسهم هذا المدى الواسع من الاختلاف والتناقض فى عقائدهم

ــ أى بسبب تكدس الروايات وعدم التمييز بين صحيحها وسقيمها ـ فلم يحاولوامعالجته بالحد منه واسقاط ما يتسبب فى ذلك ، وانما نسبوه الى التقية ، ورووا عن الائمة أنهم قالوا : " نحن أوقعنا الخلاف بين شيعتنا فانه أبقى لنا ولهم " (١) (٢) .)

ثم يذكر أن هذا الاختلاف كان حافزاً إلى دخول قوم كان هدفهم من الانضمام الى التشيع تحقيق مطامحهم وبث أفكارهم عن طريق هذه العقيدة، وكان ذلك أيضا مشجعا للشيعة من أصحاب التحرر من القيود أن يذهبوا الى المدى الذى يحلولهم.

وهذا كله بسبب اعتماد التشيع فى تكوين عقيدته على الأخبار والأقوال المروية عن الائمة ونفوره من القياس العقلي والتناقض الشديد بين أخباره (٣) .

وبذلك لا يستغرب الباحث عندما يجد الشيعة قد اعتمدوا فى الترجيح بين الروايات المختلفة بأن مايوافق أهل السنة منها فهو مردود لأنه قيل تقية.

وهكذا تتم ازاحة الروايات التى هى أقرب فى صحة نسبتها لأئمة أهل البيت وتوضع عوضا عنها روايات شاذة على أنها هى الروايات الصحيحة التى يجب تصديقها والعمل بها.

ولكي يظهر للقارئ جلياً صحة ذلك ، وأنهم يجعلون المقياس فى قبول أورد الرواية مدى موافقتها لأهل السنة، ننقل ماذكره شيخهم المفيد محمد بن النعمان فى شرحه لعقائد الصدوق تحت عنوان (الأحاديث المختلفة) فيقول :

---

(١) نقله الشيبي عن قصص العلماء للتنكابني ص/ ١٥٢

(٢) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية للدكتور كامل مصطفى الشيبي ص/ ٦٠- ٦١

(٣) المرجع السابق ص/ ٦٣

(جملة الأمر أنه ليس كل حديث عُزي الى الصادقين ـ ع ـ حقاً عنهم ، وقد أضيف اليهم ماليس بحق عنهم ، ومن لا معرفة له لا يفرق بين الحق والباطل ، وقد جاء عنهم عليهم السلام ألفاظ مختلفة فى معان مخصوصه ، فمنها مايتلازم معانيه وان اختلفت ألفاظه لدخول الخصوص فيه والعموم والندب والايجاب ، ولكون بعضه على أسباب لايتعداها الحكم الى غيرها ، والتعريض فى بعضها بمجاز الكلام لموضع التقية والمداراة وكل من ذلك مقترن بدليله غير خال من برهانه .

ثم يقول : وما خرج للتقية لا يكثر روايته عنهم كما تكثر رواية المعمول به . . . ولم تجمع العصابة على شئ كان الحكم فيه تقية ، ولا شئ دلّس فيه . . . فاذا وجدنا أحد الحديثين متفقاً على العمل به دون الآخر علمنا أن الذي اتفق على العمل به هو الحق فى ظاهره وباطنه ، وأن الآخر غير معمول به ، إما للقول فيه على وجه التقية ،أو لوقوع الكذب فيه .

واذا وجدنا حديثاً يرويه عشرة من أصحاب الائمة ـ ع ـ يخالفه حديث آخر فى لفظه ومعناه ولا يصح الجمع بينهما على حال . . . قضينا بما رواه العشرة ونحوهم . . وحملنا ما رواه القليل على وجه التقية أوتَوهُّم ناقله

واذا وجدنا حديثا قد تكرر العمل به من خاصة أصحاب الائمة ـ ع ـ فى زمان بعد زمان،وعصرٍ إمام بعد إمام قضينا به على مارواه غيرهم من خلافه .) (١)

وهكذا نجد من النص السابق الاشارة بأن من بين أسباب اختلاف الروايات عن الائمة أن بعضها قيل للتقية والمداراة ، وأن نسبتها الى الائمة صحيحة غير أنها غير مقبولة من ناحية العمل بها .

ونلاحظ أن الشيخ المفيد حاول أن يضع بعض المقاييس للتميز بين الروايات التي توجب العمل والروايات التى قيلت للتقية ، والجامع لهذه المقاييس أن الروايات الموجبة للعمل هى التى توافق ما عليه الشيعة من اعتقادات وآراء وماشاع عندهم من روايات توافق أصولهم .

---

(١) شرح عقائد الصدوق للشيخ المفيد ص/ ٧٠ - ٧١

وكل ما خالف ذلك فهو للتقية .

والشيخ المفيد لم يصرح هنا بأنه يقصد بهذه المقاييس أن ماكان موافقا لأهل السنة من روايات فهو مردود وماخالفهم ووافق الشيعة فهو مقبول .

لكن كلامه واضح الدلالة فى الاشارة الى هذا المعنى ، كما أن هذا ماتؤكده الروايات التى سبق الحديث عنها فى بداية هذه الفقرة ، والتى تأمر بأخذ ما فيه خلاف العامة (أى أهل السنة)

ـ والشيخ الطوسي يعترف أن اختلاف الروايات المنسوبة للائمة وتضاربها كان من أهم وأعظم أسباب الطعن فى الشيعة فيقول :

(ذاكرني بعض الأصدقاء . . . بأحاديث أصحابنا ، وما وقع فيها من الاختلاف والتباين والمنافاة والتضاد حتى لايكاد يوجد خبر إلا بإزائه مايضاده ، ولا يسلم حديث الا وفي مقابلته ماينافيه حتى جعل مخالفونا ذلك من أعظم الطعون على مذهبنا ، وتطرقوا بذلك إلى إبطال معتقدنا) (١)

ثم لم يجد الطوسي وسيلة لحل هذا التناقض إلا القول بأن كل مايوافق العامة ويخالف الشيعة ورد على سبيل التقية ، وأن كل رواية فى سندها رجال من أهل السنة أو الزيدية فهى محمولة على التقية (٢)

أخطار استخدامهم للتقية فى مجال الرواية :

هكذا تصبح التقية فى الرواية وسيلة لتشويه الصورة الصحيحة للروايات المنقولة عن هؤلاء الائمة رحمهم الله ، ولم تعد تلك الروايات تعطينا صورة واضحة عما يعتقده اولئك الأئمة أو يُفتون به ، لأن الكثير من أقوالهم قد رُدَّ وأُبطل حتى ولو ورد بطرق الشيعة وجيء بأقوال تطفح بالغلو والانحراف فنسبت إليهم وجعلت هى الأصل فى أقوالهم والذي يجعلنا نجزم بهذا ، أن علماء أهل البيت النبوي لم يكونوا بمعزل عن علماء الأمة بل كانوا جميعاً كاليد الواحدة فى حمل أمانة هذا الدين وتبليغه ونشره والدعوة اليه ، وقد أخذ بعضهم العلم عن بعض ، ونقل الكثير من علماء السلف الروايات والفتاوى عن علماء أهل البيت ، (٣)

---

(١) (٢) التهذيب للطوسي ١/ ٣ ـ نقلاً عن: فكرة التقريب بين السنة والشيعة لناصر القفاري ص/ ٤٦٥

(٣) راجع : الامام الصادق للشيخ محمد أبو زهرة ص/ ٣٧

ولكن الشيعة وجدوا أنفسهم أمام روايات كثيرة اشتهرت عن الائمة ونقلها رواتهم ، وهي توافق أهل السنة في الأصول وكثير من الفروع ، ولم يكن بوسعهم الطعن في صحة نسبتها لأنها وردت عن طريق رجالهم الذين يوثقونهم ، فاستطاعوا بدعوى التقية أن يردوها بحجة أن الائمة لم ينطقوا بها عن اعتقاد وقناعة بل عن خوف وخشية من أهل السنة .

وهذا الأمر خطير جداً للأسباب التالية :-

١ - انهم بذلك يتهمون أئمتهم بأنهم أدخلوا في الدين ماليس منه خوفاً وتقية ، ونُقل ذلك عنهم حتى وصل الى القاصي والداني وتناقلته الرواة وسُجِّل في الكتب .

والائمة - عندهم - ليسوا في مكانة القدوة فحسب ، بل هم في مقام يقارب مقام النبوة ، لأن الشيعة يعتقدون - كما يقول مغنية - (أن أقوال الامام في الشريعة هي عين أقوال جده رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء أأسندها اليه أم أرسلها بدون اسناد ، وأن الكذب والخطأ محال في حقه)(١) .

فما أشنع أن يقول مَنْ هذه صفته قولاً في الشريعة لا يعتقد صحته ولكن يجاري به المخالفين له تقية !!

وهكذا نجد أن الشيعة جعلوا الافتراء في الدين مجالاً من مجالات التقية وما هو الا كذب على الله ورسوله ، بل هو أخطر أنواع الكذب لأنه يضل الناس ويجرؤهم على التلاعب بالدين بحسب أهوائهم .

وتسمية هذا الكذب بغير اسمه لا يغير من حقيقته لأن تغيير الأسماء لا يغير المسميات .

ونحن نربأ بأئمة وعلماء البيت النبوي عن هذا الاتهام الذي يلصقه الشيعة بهم ، وما هو الا تحقير لهم وافتراء عليهم ، كما أنه تشويه للسنة النبوية التي هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم .

بل هو أكثر من ذلك لأنه يؤدي مع مرور الزمن الى تضييع أحكام الدين والقضاء عليه .

ثم ان حمل رواية الامام وأقواله على التقية طعن في عصمته - التي يصفونه بها - بل طعن في دينه وايمانه وغش في الدين وتدليس على الناس وهو طعن في عدالة الرواة الذين تناقلوا هذه الروايات ونشروها .

---

(١) الشيعة في الميزان لمحمد جواد مغنية ، ص ٨١ .

ومهما حاول الشيعة أن يحددوا من مقاييس للتمييز بين الروايات التى يحتج بها عندهم والروايات التى وردت للتقية فإنه سيشتبه فى كل قول أو فعل نسب الى الائمة أن يكون صدر عنهم على سبيل التقية، ويلزم من ذلك أن لا يكون أي أمر من أوامرهم يجب العمل بمقتضاه فتسقط نتيجة لذلك جميع الاقوال والافعال الصادرة منهم بسبب احتمال التقية (١)

يقول الامام ابن تيمية : (إن شعار الرافضة الذل، ودثارهم النفاق والتقية، ورأس مالهم الكذب والأيمان الفاجرة... وقد نزّه الله أهل البيت عن ذلك ولم يحوجهم إليه فكانوا من أصدق الناس وأعظمهم إيمانا، فدينهم التقوى لا التقية) (٢)

٢- انهم استخدموا التقية وسيلة لتثبيت الروايات المنسوبة كذباً للائمة والتي تطفح بالغلو والانحراف فى أصول الدين وفروعه، ولا يشك مسلم عاقل فى تبرئة أئمة أهل البيت منها .

وحيلتهم فى ذلك كما رأينا أنهم ردّوا ما هو ثابت عن أئمتهم لموافقته لأهل السنة وجاؤوا بهذه الروايات بديلاً لما ردّوه بعد أن أبعدوا الروايات الثابتة لئلا يظهر تناقضها مع ماوضعوه ومع كل هذا بقي التناقض فى تلك الروايات - التى ألصقوها بالائمة- قائماً فاضطروا إلى التقية ثانية وسيلة للتخفيف من هذا التناقض وتبريره ومحاولة رفعه بدعوى أنه تناقض ظاهري سببه التقية .

ولكن لن يزول هذا التناقض مهما بذلوا لأن سببه هذه العقائد/ التي لا تمتُّ إلى الدين بصلة بل هى من وضع البشر، وما كان كذلك لابد فيه من التناقض، أما الدين الحق فهومحكم مترابط تام لا يزاد عليه ولا ينقص منه .

قال تعالى : (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) (٣)

---

(١) بطلان عقائد الشيعة لمحمد عبد الستار التونسوي ص/ ٧٩ بتصرف

(٢) منهاج السنة النبوية ٣١/٢ الطبعة المحققة، والمنتقى للذهبي ص/ ٦٨

(٣) سورة النساء آية/ ٨٢

٣- أن التقية بهذا المفهوم أصبحت وسيلة لتقطيع أى خط من خطوط التقارب مع باقي المسلمين والزجّ بالشيعة بعيداً عن دائرة الحق الذي عليه الأمة والنأي بهم بعيداً عن جماعة المسلمين.[(١)] وهذه من أعظم مفاسد التقية وأخطارها ومع ذلك يدّعون أن التقية مصلحة للشيعة !!

دعاوى أحد علمائهم المعاصرين :

نذكر هنا نصيّن لأبرز علمائهم المعاصرين وهو محسن الأمين يدافع فيهما عن الشيعة ويبرر لهم انحرافهم :

١- قال محسن الأمين[(٢)] مدافعاً عن جواز التقية فى مجال النقل والرواية ما نصه :

(ومنعُ التقية فى النقل ما هو الا جهل ، فلا يجب على الانسان أن يسلم نفسه للقتل أو ما دونه تجنباً عن نقل كاذب ، وليس بأعظم من إظهار الكفر .

وشيوع الشبهة ودخولها فى الأدلة ممنوع فللشبهة ما يرفعها من أدلة العقل والنقل ، ولو سلم فليس بأعظم من شيوع الكفر)[(٣)]

ولنقف عند هذا النص قليلاً :

فالدفاع الذى يقوم به محسن الأمين عن جواز التقية فى مجال الرواية يستند الى قياسه على جواز التقية فى مجال الكفر

والتقية فى مجال الرواية أخف ضرراً — على حسب قوله — من التقية فى مجال الكفر التى تجوز بالاتفاق.وهذه مغالطة كبيرة لا بد من كشفها

---

(١) سوف نتحدث عن فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة ، والمحاولات التى بذلت فى ذلك . راجع ص / ٥٦٦ من هذا البحث .

(٢) سبقت ترجمته ص / ٢٢٩ من هذا البحث ، وقد بلغ من شهرته عندهم أن قال علي الميلاني في ترجمته حيث أثنى عليه قائلاً : (هو من أشهر علماء الامامية ، ومن أبهر مفاخر الشيعة ، فقيها جامعا ، مجتهدا فذا . . . بلغ الرتبة السامية والمرتبة الرفيعة) راجع : كشف الأستار للنوري الطبرسي ، بتعليق علي الميلاني (ص/ ٢٦٩- ٢٧٠)

(٣) الشيعة بين الحقائق والأوهام ص / ١٩٥

فالفرق كبير بين التظاهر بالكفر الذي يُقدم عليه المضطر وقلبه مطمئن بالايمان،وبين استخدام التقية فى افتراء روايات لا تمتُّ إلى الدين بصلة فيها شيء من العقائد والأحكام يسمعها الناس ممن يُقتدى بفعله ولا يُشك فى صدقه فيعدونها من الدين أو تلقي الحيرة فى نفوسهم !

فالتقية فى التظاهر بالكفر عمل خاص لا يتعدى ضرره الى الآخرين ولا تحصل به شبهة أما التقية فى الرواية فهى إفساد فى الدين وتغيير للاحكام،فالضرر فيها متعد، بل إن أخطر ما يمكن أن يحل بالأمة هو فساد الدين أو شيوع الشبهة فيه .

واذا كان الشيعة قد نصوا على تحريم التقية فى القتل (١) لأن ضرره متعد فلماذا لم يحرموا التقية فى الرواية مع أن الضرر فيها يتعدى إلى المجتمع بأسره لا إلى الافراد فقط ؟

وهكذا نجد أن التلبيس فى عبارة محسن الأمين هو قوله عن الكذب فى الرواية :

(ليس هو بأعظم من إظهار الكفر) ولكننا نقول بل هو أعظم وأخطر

لأن الكذب المتعمد فى الرواية والذي يؤدي الى تحريف العقيدة وتغيير الأحكام يُعدُّ كفراً حقيقياً وخروجاً عن الاسلام ، فهو أعظم بكثير من التظاهر بالكفر مع اطمئنان القلب بالايمان .

٢- وقال أيضاً فى محاولة للتنصل مما يفعله الشيعة من رد الروايات التي تَرِدُ عن طريقهم وهي موافقة لأهل السنة ومخالفة لما يعتقدونه من غلو وانحراف :

فقال :

(ما ردت الشيعة حديثاً ولا عملاً لأنه يوافق ما عليه الأمة ، ولا هذا رأيها ولا اعتقادها وجُلُّ الأحاديث والأعمال التي تأخذ بها الشيعة وتقتدي بالأئمة فيها موافق لعمل من يسميهم الأمة (٢) وانما ترجّح أحد الحديثين المتعارضين عند فقد جميع المرجحات فى السند والدلالة بموافقته لفتوى أئمة أهل البيت) (٣) .

---

(١) راجع ص/٣١٦ من هذا البحث

(٢) يقصد بذلك موسى جارالله ، لأنه فى معرض الرد عليه فيما أورده عن الشيعة فى كتابه (الوشيعة في نقد عقائد الشيعة)

(٣) الشيعة بين الحقائق والأوهام ص/ ١٩٥

ومع أن هذه الدعوى ظاهرة البطلان بما استعرضناه من نصوص وروايات تؤكد على مخالفة أهل السنة وعدم الأخذ بما وافقهم من روايات عند التعارض.

الا أننا سنرد عليه من نصوص علماء الشيعة المعاصرين الذين يناقضون مايدعيه محسن الأمين .

فقد أورد الهاشمي في كتابه (تعارض الأدلة الشرعية)[١] مايؤكد استخدامهم التقية في مجال الرواية فقال : (والتقية أيضاً كان لها دور مهم في نشوء التعارض بين الروايات ، فلقد عاش أكثر الأئمة المعصومين - ع - ظروفاً عصيبة فرضت عليهم التقية في القول أو السلوك) .

ثم قال : (إن التقية التي كان يعطها الائمة لم تكن تقية من حكام بني أمية وبني العباس فحسب ، بل كانوا يواجهون ظروفا اضطرتهم الى أن يتقوا أيضا من المسلمين والرأى العام عندهم) .

وقال : (وقد بلغ الامر بالائمة - ع - في التقية لا من الحكام فحسب بل من الأمة بصورة آكد أن جعلوا مخالفة العامة مقياساً لترجيح إحدى الروايتين على الاخرى)[٢] .

ثم أورد الهاشمي بعض الروايات التي تؤكد على استخدام التقية لرد الروايات الموافقة لأهل السنة ، والتي سبق ذكرها قبل صفحات.

وهكذا يتأكد بطلان دعوى محسن الأمين ، ويظهر للقارئ أن الشيعة لا يزالون على موقف أسلافهم في ردّ كل مايوافق أهل السنة عند التعارض ، بحجة أن ماخالف العامة فهو الحق !!

---

(١) وقد ذكر مؤلفه أن هذا الكتاب يُعدُّ (تقريراً لأبحاث سيدنا سماحة آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر) كما صدَّره بتقريظ لمحمد باقر الصدر قال فيه : (لاحظت ماكتبه من بحوثنا في الأصول ولدنا العزيز العلامة . . محمود الهاشمي . . فوجدته وافيا بما استوعبته بحوثنا من أفكار وآراء ، دقيقاً في عرض ما اشتملت عليه من نظريات ومناقشات . .).وهذا يُبرز أهمية الكتاب ومكانته عندهم.

(٢) تعارض الأدلة الشرعية - محمود الهاشمي - ص ٣٤ - ٣٨ ، دار الكتاب =

وسنعرض للقارىء أمثلة كثيرة فى هذا المجال عند الحديث عن التقية فى الفقه والفتوى لنرى كيف يردُّ الشيعة الروايات المنسوبة لأئمتهم وما فيها من فتاوى وأحكام بحجة موافقتها للعامة ، كما سنعرض أمثلة أخرى عند الحديث عن بعض المواقف المشهورة التي فسرها الشيعة بالتقية لأنها تخالف ما هم عليه من عقائد وتوافق عقيدة أهل السنة .

وهكذا تصبح التقية منفذاً للغلو ، ويصبح استخدامهم لها في مجال الرواية طريقاً لتعطيل كل إمكانية لاستفادتهم مما في كتبهم من روايات ونصوص توافق ما عند المسلمين وتخالف انحرافاتهم .

ولننتقل إلى نوع آخر من أنواع استخدامهم التقية في مجال الرواية .

= اللبناني ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٥م .

٢- كتمان الروايات تقية :

وهذا نوع آخر من أنواع التقية فى مجال الرواية عندهم، اذ يجب على الراوي أن يكتم مايسمعه من الأئمة أو من الرواة الذين ينقلون عنهم الروايات التى يخشى بانتشارها أن تظهر آراء أولئك واعتقاداتهم .

روى الكليني فى الروضة عن جابر بن يزيد قال :

(حدثني الباقر سبعين حديثا لم أحدّث بها ، فثقلت فى عنقي ، فأخبرت جعفر بن محمد عنها وقلت له : ضاق بها صدري فماذا تأمرني به ؟

فقال :إذا ضاق صدرك بشيء فأخرج إلى الجبانة -أي المقبرة- واحتفر حفرة ثم دلِّ رأسك فيها وقل : حدثني محمد بن علي بكذا وكذا ، ثم طمّه فإن الأرض تستر عليك .

ففعلت ذلك فخف عني ما كنت أجده) (١)

ولا يملك المرء حيال هذه الرواية الا أن يتساءل :

ماالداعي الى أن يروي الامام الباقر سبعين رواية لجابر مادام لن يخبر بها أحدا من الناس؟

ومادام كتمان هذه الروايات من الخير فلماذا لم يكتمها الامام الباقر نفسه ويكون الأسوة فى ذلك ؟

ثم كيف يأمر الامام الصادق بدفن هذه الروايات فى حفرة ضيقه بما فيها من علم ودين ؟

أليس هذا كتمانا للعلم بل تضييعا له ؟!

ويبدو أنه لم يعد هناك من يوثق به من الشيعة ليروي جابر له هذه الروايات حتى وجد فى هذه الحفرة خير كاتم وساتر لها !!

ولذلك نجد تكرر التحذيرات التى ينسبونها لأئمتهم من أن يتساهل أحد أتباعهم فى رواية ما يختص بهم من روايات الى من لا يوثق به

ومن خالف ذلك وأذاع شيئاً من الروايات حتى أدت الى قتل قائلها فهو شريك في القتل لأنه تسبب فيه .

---

(١) الروضة من الكافى ص/١٥٧

روى الكليني بسنده عن محمد بن مسلم قال :

(سمعت أبا جعفر - ع - يقول : يحشر العبد يوم القيامة، وما ندي دماً (١) فيدفع اليه شبه المحجمة أو فوق ذلك ، فيقال له : هذا سهمك من دم فلان

فيقول : يارب انك لتعلم أنك قبضتني وما سفكت دماً

فيقول : بلى سمعتَ من فلان رواية كذا وكذا فرويتها عليه فنقلت حتى صارت الى فلان الجبار فقتله عليها ، وهذا سهمك من دمه) (٢)

وما أوسع الفرق بين اهتمام أهل السنة بتبليغ الدين ونشره والتضحية من أجله وبين حرص الشيعة على كتمان ما عندهم محافظة على حياتهم .

لقد جعل أهل السنة المحافظة على الدين وتبليغ أحكامه المقصد الأول الذي يهون فى سبيله كل شيء ، ولذلك لا تجوز التقية عندهم أبدا إذا كانت ستؤدي الى افساد عقائد الناس وضياع الدين بصدورها ممن يُقتدى به .

أما الشيعة فاننا نلاحظ بوضوح انهم باسم التقية يجعلون المقصد الأول لديهم كتمان مذهبهم واخفاء أحكامه ورواياته وعدم تبليغه ، ويبرزون حرص الأئمة على حياتهم .

فمن كان سبباً فى تهديد حياة هؤلاء الأئمة بنشره لشيء من رواياتهم فهو شريك فى قتلهم . بل إن اتباع الأنبياء السابقين الذين حمّلهم الله واجب نشر الدين والدعوة اليه ، ونصرة أنبيائهم ، هم عند الشيعة قتلة مجرمون لأنهم أذاعوا أحاديثهم حتى وصلت الى أعدائهم وأدت الى قتل أولئك الأنبياء .

---

(١) قال الشيخ عبد الحسين المظفر فى كتابه (الشافي فى شرح أصول الكافي) ٥ / ٤٨٩ :

(ما ندِي دماً بكسر الدال مخففاً — أي ما ابتلي بدم ، وهو مجاز شائع . وكأنه لم تنله نداوة الدم وبلله)

(٢) الأصول من الكافي ٢ / ٣٧٠ - ٣٧١ .

روى الكليني بسنده (عن اسحق بن عمار عن أبى عبد الله – ع – وتلا هذه الآية :
(ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)(١)

قال : والله ما قتلوهم بايديهم ولا ضربوهم باسيافهم ، ولكنهم سمعوا أحاديثهم فأذاعوها فأُخذوا عليها فقُتلوا ، فصار قتلاً واعتداء ومعصية)(٢) .

وبهذا التأويل الباطل للآية الكريمة ينسبون قتل الأنبياء الى اتباعهم الذين كانوا يبلغون دعوتهم وينفون القتل عن الكافرين بهم والمكذبيم لهم .

---

(١) سورة البقرة / آية ٦١.

(٢) الشافى شرح أصول الكافى ٥ / ٤٨٩

٣ ـ تعديل الرواة وتجريحهم على سبيل التقية :

هذا أسلوب آخر من أساليب التلاعب بالروايات عندهم ، اذ إن معرفة حال الرواة الذين تناقلوا هذه الروايات ودراسة عدالتهم عنصر رئيس في رد الرواية أو قبولها . والشيعة لم يكتفوا بتجريح رواة الحديث عند أهل السنة ليردوا رواياتهم وانما قاموا أيضا بتجريح الرواة من شيعتهم والطعن فيهم مع توثيقهم لهم ، ويقصدون بهذا التجريح التقية حتى لا يعرف أن هذا الراوى موالٍ لهم .

ولا عجب بعد هذا أن نجد الكثير من رواتهم زادوا فى الثناء عليهم الى درجة كبيرة ثم طعنوا بهم الى درجة تكاد تصل الى الاتهام بالكفر . وكل ذلك فى وقت واحد، وخير مثال لذلك محدثهم الشهير (زرارة بن أعين) (١) صاحب الأئمة الثلاثة : موسى الكاظم وجعفر الصادق ومحمد الباقر .

ولو رجعنا الى أقدم كتب الرجال عندهم وهو رجال الكشي فإننا نجده يذكر عن زرارة ثمانية وعشرين صفحة تحوي اثنين وستين رواية بعضها فى الثناء عليه وتبشيره بالجنة من قِبل الأئمة وبعضها الآخر فى الطعن فيه ولعنه والدعاء عليه ونفي الايمان عنه .

ولنذكر بعض هذه الروايات بإيجاز كما يرويها الكشي بسنده عن أئمة أهل البيت:
فقد روى عن جعفر الصادق قوله : (يا زرارة ان اسمك فى أسامي أهل الجنة) (٢)
وقوله : (لولا زرارة لظننت أن أحاديث أبي ـ ع ـ ستذهب) (٣)

---

(١) زرارة بن أعين الشيباني ، يكنى أبا الحسن ، توفى سنة (١٥٠ هـ)
قال عنه الأردبلي في جامع الرواة : (شيخ من أصحابنا فى زمانه ، وكان قارئاً فقيهاً متكلماً شاعراً أديباً ، قد اجتمعت فيه خلال الفضل والدين ، صادقاً فيما يرويه ، ثقة اجتمعت العصابة على تصديقه والانقياد له) جامع الرواة ١/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥

(٢) (٣) رجال الكشي ص/ ١٣٣

وقال أبو عبد الله الصادق وهو يثني على زرارة ومن معه من رواة الحديث :

(هم أحب الناس إليّ أحياء وأمواتا) (١)

وقال عنهم: (هؤلاء حفاظ الدين وأمناء أبي – ع – على حلال الله وحرامه ، وهم السابقون إلينا في الدنيا والسابقون إلينا في الآخرة) (٢)

وبعد كل هذا الثناء على زرارة وبيان منزلته في نقل أحاديث الأئمة ، يذكر الكشي رواية عن جعفر الصادق يُقسِم فيها بكذب زرارة ويلعنه لأنه نقل عنه رواية في بعض مسائل الحج وهو لم يقلها فلما راجعوه تبرأ منها وقال :

(كذب عليّ والله ، كذب عليّ والله ، لعن الله زرارة ، لعن الله زرارة) (٣)

وينسب الكشي للامام الصادق قوله :(لا يموت زرارة الا تائهاً) (٤)

وقوله : (ما أحدث أحد في الاسلام ما أحدث زرارة من البدع ، عليه لعنة الله) (٥)

ويروى الكشي بسنده عن عمار الساباطي أنه قال : (... بينا أنا عند أبي عبد الله – ع – جالساً إذ دخل رجل فلما نظر أبو عبد الله إلى الرجل قال : ما أقبح الرجل ان يأتمنه رجل من اخوانه على حرمة من حرمته فيخونه فيها . قال : فولى الرجل .

فقال لي أبو عبد الله – ع – ياعمار أتعرف هذا الرجل ؟

قلت: لا والله إلا أني نزلت ذات ليلة في بعض المنازل فرأيته يصلي صلاة ما رأيت أحداً صلى مثلها ، ودعا بدعاء ما رأيت أحداً دعا بمثله .

فقال لي : هذا زرارة بن أعين ، هذا من الذين وصفهم الله عز وجل في كتابه فقال :

« وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً »). (٦)

---

(١) رجال الكشي ص / ١٣٥

(٢) المرجع السابق ص / ١٣٧

(٣) المرجع السابق ص / ١٤٧

(٤) (٥) المرجع السابق ص / ١٤٩

(٦) المرجع السابق ص / ١٥١ والآية في سورة الفرقان / آية ٢٣

ويروي الكشي أيضاً عن الامام الصادق قوله :

(إن قوما يعارون الايمان عارية ثم يسلبونه ، يقال لهم يوم القيامة المعارون ،أما ان زرارة بن أعين منهم)(١)

وقوله لبعض أصحابه :(متى عهدك بزارة؟ قال : قلت مارأيته منذ أيام.

قال : لاتبال وان مرض فلا تعده ، وان مات فلا تشهد جنازته

قال : قلت زرارة ؟ متعجباً مما قال .

قال : نعم زرارة ، زرارة شر من اليهود والنصارى ومن قال إن الله ثالث ثلاثة)(٢) !

ومما يزيد الطين بلة ماينقله الكشي دون حياء ولا خجل من كلام ينسبه لزرارة يصور فيه استهتاره بالامام الصادق وسخريته به وبأحاديثه :

روى الكشي بسنده عن زرارة قال :(سألت أبا عبد الله -ع- عن التشهد.فقال :أشهد أن لااله الا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، قلت: التحيات والصلوات ؟

قال : التحيات والصلوات . ثم يذكر الكشي أن زرارة سأل الامام الصادق فى اليوم الثاني والثالث عن هذا السؤال وأجابه الصادق بنفس الجواب

وبعدها ينسب الكشي الى زرارة قوله ساخراً بالامام الصادق : (فلما خرجت ضرطت فى لحيته وقلت لا يفلح أبداً)(٣) !!

هذه صورة موجزة لكتب الرجال والتراجم عندهم ! وهذه هى حقيقة أشهر رواتهم والذي يقول عنه الصادق إنه من أهل الجنة ، والأمين على حلال الله وحرامه ،ولولاه لذهبت أحاديث الأئمة واندرست أقوالهم !!

---

(١) المرجع السابق ص / ١٥٨

(٢) المرجع السابق ص / ١٦٠

(٣) المرجع السابق ص / ١٥٩

والكتاب الذى ننقل عنه هذه الروايات المتناقضة والذى يصف سخرية زرارة بالأئمة بكلام لا يتصور خروجه من السفهاء والسوقة،هو رجال الكشي [(١)] الذي يعدونه أهم واقدم كتب الرجال عندهم وقد قام بتهذيبه شيخ طائفتهم أبو جعفر الطوسي صاحب التهذيب والاستبصار .

ولكنه فى حاجة الى تهذيب جديد لتزول منه مثل هذه الألفاظ الدنيئة.والطبعة التي بين يدي من هذا الكتاب هي بتعليق (حسن المصطفوي) الذى التزم الصمت وهو يمر بتلك الروايات التى تنتقل بزرارة من أعالي الجنان الى أسفل الجحيم .

لكن هناك طبعة أخرى بتعليق كاتب شيعي آخر وهو (السيد أحمد الحسيني) اعتمد عليها إحسان إلهي ظهير رحمه الله وقد نقل عنه قوله معلقاً على الروايات السابقة :

(الروايات التى يوردها مؤلف هذا الكتاب فى شأن زرارة تنقسم الى قسمين : فبعض منها في المدح والثناء له والاشارة بمكانته السامية ومنزلته العظيمة عند الامام الصادق عليه السلام وأبيه ، وتقدمه على أصحابه فى العلم والمعرفة وحفظ أحاديث أهل البيت عن الضياع والتلف ، وبعض منها يدل على عكس ذلك ،وأنه كان كذاباً وضاعاً مرائياً ودساساً فى الأحاديث . . . .

---

(١) هو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي ، يكنى أبا عمرو ، يقولون عنه انه ثقة بصير بالأخبار وبالرجال مستقيم المذهب توفي سنة ٣٦٨ هـ ، وكتابه هذا يعد أقدم كتب الرجال ، وقد لخصه شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي وأخرج منه العامة - رجال أهل السنة - وهذبه وسماه اختيار الرجال ،وهو الموجود المطبوع اليوم

قال البحراني فى لؤلؤة البحرين: (وكتاب الكشي المذكور لم يصل الينا ، وانما الموجود المتداول كتاب اختيار الكشي للشيخ أبى جعفر الطوسي) .

راجع ترجمته فى : لؤلؤة البحرين ص/ ٤٠١ — ٤٠٤ ، الكنى والألقاب ٣/ ٩٤- — ٩٥ مقدمة حسن المصطفوي لكتاب الاختيار فى معرفة الرجال ص/ ١٢ — ١٧ .

ثم قال (ان الذم والتكفير انما صدرت للدفاع والمحافظة والتقية) [(١)].

وحكم بأن هذه الأخبار صدرت تقية

فانظر الى هذه الصورة الغريبة للتقية التى تجعلهم ينسبون لأئمتهم هذه المتناقضات المحيرة فى الثناء على أشهر رواتهم تارةوتجريحهم تارة أخرى

وكيف يبشّرون الرجل بالجنة ثم يسلبون عنه الايمان ويلعنونه ويصفونه بأقبح الأوصاف؟كيف يعتبرونه أميناً على أحاديثهم وعلى حلال الله وحرامه وأنه لولاه لاندرست أحاديثهم ثم يصفونه بالخيانة والكذب والكفر ؟!

ما الذي كان يخيف الأئمة من زرارة ؟ هل كان ملكاً من الملوك أو جباراً من الجبابرة حتى يسلكوا معه كل هذا الخداع والتضليل ؟!

وما هو موقف أتباعهم الذين ينقل لهم زرارة أحاديث الأئمة وهم يسمعون عنه هذه الأوصاف التى لا يوصف بها مسلم فضلاً عن أن يكون من رواة الحديث ونقلة أحكام الدين ؟

وليست هذه الأوصاف والتناقضات خاصة بزرارة بل إن هذا دأبهم مع الكثير من رواتهم المشهورين أمثال محمد بن مسلم (٢) وأبي بصير (٣) وغيرهما من كبار رجال الشيعة

---

(١) رجال الكشي ص / ١٤٣ — ١٤٤ نقلا عن : الشيعة والسنة ص / ١٧٧

(٢) هو محمد بن مسلم بن رباح الثقفي ، أبو جعفر الطحان الأعور ، توفى سنة ١٥٠ هـ وله نحو من سبعين سنة ، قال الكشي : (إنه ممن أجمعت العصابة على تصديقهم من أصحاب أبي جعفر وأبيه عبد الله عليهما السلام) ويقولون انه سمع من أبي جعفر ثلاثين ألف حديث ، ومن ابنه جعفر ستة عشر ألف حديث .

ومع ذلك ينسب الكشي الى جعفر الصادق قوله :(لعن الله محمد بن مسلم ، كان يقول إن الله لا يعلم الشيء حتى يكون) راجع : رجال الكشي ص / ١٦١— ١٦٩ جامع الرواة ٢ / ١٩٣ — ٢٠١

(٣) أبو بصير : هو ليث بن البختري المرادي ، روى عن الباقر والصادق والكاظم ، توفى سنة ١٥٠ هـ ، وقد روى الكشي عن أبي عبد الله أنه قال : (بشر المخبتين بالجنة ، يريد به معاوية ، وأبو بصير ومحمد بن مسلم وزرارة ،أربعة نجباء أمناء الله على حلاله وحرامه ولولا هؤلاء انقطعت آثار النبوة واندرست)، كما قال فيهم : (هم السابقون المقربون)

ثم ينقل الكشي ما يناقض ذلك فيقول:إنه كان مخلطا،ويتهمه أنه كان يطعن فى جعفر =

ورواتهم والذين هم الآن مدار أحاديث الشيعة الواردة فى كتبهم.ونترك للقارئ أن يحكم بنفسه على صحة هذه الروايات التي يوثقونها ويحتجون بها ثم يصفون رواتها بالخيانة والكفر والضلال !!

ومع ذلك نجد الموسوي صاحب المراجعات يتبجح مباهياً برواة الشيعة فيقول :

(لا نظير لمن اعتمدوا عليه من رجالهم في الصدق والأمانة ، ولا قرين لمن احتجوا به من أبطالهم فى الورع والاحتياط . . . . لا يبارون فى الحفظ والضبط والاتقان ، ولا يُجارون فى تمحيص الحقائق والبحث عنها بكل دقة واعتدال) ! (١)

لقد اطلع القارئ بنفسه على حقيقة هؤلاء الرواة الذين يعتزّ بهم الموسوي،وكيف اجتمعت فيهم المتناقضات ، ووصفهم أئمتهم بأسوأ الصفات .

وتبرز بذلك عظمة علم الحديث عند أهل السنة وما وضعوه من مقاييس وموازين للتمييز بين الصحيح والضعيف من الروايات بأسلوب دقيق يُعد مفخرة للمسلمين ومظهراً من مظاهر حفظ الله تعالى لهذا الدين .

= الصادق !! راجع الكشي ص /١٦٩ – ١٧٤ جامع الرواة ص/ ٢ /٣٤–٣٥ الكنى والألقاب ١ / ١٧ – ١٨

(١) المراجعات لعبد الحسين شرف الدين الموسوى – ص/ ٦٨

المبحث الثاني

التقية في الفقه والفتوى

أبواب الفقه كثيرة ومسائله متشعبة ، ومهما أحاط المجتهد بأدلة الفقه وبرع في استنباط الأحكام فإنه قد يعرض له من الأدلة ويترجح عنده ما يجعله يغيّر فتواه في مسألة من المسائل ويتراجع عن قوله السابق فيها .

وهذا لا يعيب المجتهد ، ولا يطعن فى علم الفقيه ، ما دام قد اتخذ من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أساساً فى اجتهاده وفتواه ، واضعاً نصب عينيه تقوى الله والخشية منه .

ولقد كان جعفر الصادق رحمه الله وآباؤه واخوانه من الأئمة أئمة هدى ورشاد وعلم وتقى ، ولكن الشيعة نسبوا اليهم العصمة من الخطأ وأضافوا اليهم من صفات الغلو والتقديس ما هم براء منها (١) ، وما دام هؤلاء الأئمة معصومين — على حسب قولهم — فلا يمكن أن تختلف أقوالهم أو فتاواهم ، ولكنها فى حقيقة الأمر كانت تختلف وكان الواحد منهم يجتهد بما يخالف غيره من الأئمة أو ربما اجتهد باجتهاد وأفتى بفتوى تخالف ما أفتى به من قبل ، وهذا ما يعارض العصمة التى نسبوها اليهم .

ولذلك كان لا بد للشيعة من مخرج للتخلص من هذا التناقض ، وكان أسهل طريق يحل لهم هذا الاشكال هو التقية ، لأنها أول ما يخطر ببالهم فى الأزمات والمآزق ، فقالوا إن اختلاف أقوال الأئمة وفتاواهم محمول على التقية ، والتقية رحمة للشيعة .

روى الطبرسي فى الاحتجاج عن ابن بابويه القمي أنه قال : (إن أهل البيت لا يختلفون ولكن يفتون الشيعة بمر الحق ، وربما أفتوهم بالتقية ، فما يخالف من قولهم فهو للتقية ، والتقية رحمة للشيعة) (٢)

وليس من الضروري أن يكون سبب التقية هنا الخوف من عدو، بل يمكن استعمال التقية فى الفتوى لالقاء الخلاف بين الشيعة حتى لا يُعرفوا بقول واحد

---

(١) انظر ص /٤٤٤ من هذا البحث لتطلع على رواياتهم فى تقديس أئمتهم ونسبة العصمة اليهم وأنهم يعلمون علوم الأولين والآخرين وأنهم يموتون باختيارهم وغير ذلك .

(٢) الاحتجاج ٢ / ١٠٦

ولنستمع الى مايقوله أحد كبار علماء الشيعة فى القرن الثالث الهجرى وهو الحسن بن موسى النوبختي [(١)] فى كتابه (فرق الشيعة) حيث يقول :

(أما التقية فانه لما كثرت على أئمتهم مسائل شيعتهم فى الحلال والحرام وغير ذلك من صنوف أبواب الدين فأجابوا فيها ، وحفظ عنهم شيعتهم جواب ماسألوه ، وكتبوه ودوّنوه ، ولم يحفظ أئمتهم تلك الأجوبة لتقادم العهد وتفاوت الأوقات، لأن مسائلهم لم ترد فى يوم واحد ولا فى شهر واحد بل فى سنين متباعدة وأشهر متباينة وأوقات متفرقة ، فوقع فى أيديهم فى المسألة الواحدة عدة أجوبة مختلفة متضادة ، وفى مسائل مختلفة أجوبة متفقة فلما وقفوا على ذلك منهم ردوا اليهم هذا الاختلاف والتخليط فى جواباتهم وسألوهم عنه وأنكروه عليهم ، فقالوا : من أين هذا الاختلاف وكيف جاز ذلك ؟ قالت لهم أئمتهم : إنما أجبنا بهذا للتقية ، ولنا أن نجيب بما أجبنا وكيف شئنا ، لأن ذلك إلينا ونحن نعلم بما يصلحكم ومافيه بقاؤنا وبقاؤكم ، وكفّ عدوكم عنا وعنكم) [(٢)]

ونحن نربأ بالأئمة من أهل البيت أن يكون اختلاف جوابهم وفتواهم للتقية ، بل هو اجتهاد ونظر - إذا صح وجود هذا الاختلاف - ولكن هذا كما قلت يتعارض مع ادعاء العصمة للأئمة ولذلك قالوا بأن أقوال الأئمة وفتاواهم لا تختلف، واذا اختلفت فذلك للتقية ونسبوا هذا القول للأئمة وهم منه براء .

---

(١) سبقت ترجمته ص/ ٢١٠

(٢) فرق الشيعة ص/ ٦٥ - ٦٦ دار الأضواء - بيروت - ط٢ - ١٤٠٤ هـ
وقد ذكر ذلك أيضاً عالم شيعي آخر معاصر للنوبختي وهو سعد بن عبد الله القمي (ت ٣٠١ هـ) فى كتابه المقالات والفرق ص/ ٧٨ ، وهذا الكتاب طبع فى ايران سنة ١٩٦٣م بتحقيق الدكتور محمد جواد مشكور .

واذا كان الأئمة يفعلون ذلك ، ويتعمدون إضلال من جاء مسترشداً سائلاً فكيف تكون الثقة بهم وبفتاواهم ؟ بل كيف يثق الناس بإمامتهم بعد أن رأوا منهم هذا الشغف في استعمال التقية لمجرد حب إلقاء الخلاف بين الناس ؟

ان هذا لا يمكن تسميته باسم التقية أبداً – ولو ادعى الشيعة انه من مجالات التقية – ولا يصح أن يسمى إلا بكتمان العلم وإفساد الشريعة وإضلال الناس .

ولذلك رجع البعض عن القول بإمامة الباقر – كما يقول النوبختي – لأنه كان يفتي بفتاوى متناقضة مما دعاهم الى الشك فيه وفي إمامته .

ذكر النوبختي (أن عمر بن رياح – وهو من أصحاب الامام الباقر – زعم أنه سأل أبا جعفر الباقر – عن مسألة فأجاب فيها بجواب ، ثم عاد اليه في عام آخر فسأله عن تلك المسألة بعينها فأجابه فيها بخلاف الجواب الأول ، فقال لأبي جعفر : هذا خلاف ما أجبتني في هذه المسألة العام الماضي ، فقال له : إن جوابنا ربما خرج على وجه التقية ، فشكَّ في أمره وإمامته ، فلقي رجلاً من أصحاب أبي جعفر يقال له (محمد ابن قيس) فقال له :إني سألت أبا جعفر عن مسألة فأجابني فيها بجواب ثم سألته عنها في عام آخر فأجابني فيها بخلاف جوابه الأول ،فقلت له : لمَ فعلت ذلك ؟ فقال:فعلته للتقية ، وقد علم الله أني ما سألته عنها الا وأنا صحيح العزم على التدين بما يفتيني به وقبوله والعمل به ، فلا وجه لاتقائه إياي ، وهذه حالي .

فقال له محمد بن قيس : فلعله حضرك من اتقاه .

فقال : ما حضر مجلسه في واحدة من المسألتين غيري ، لا ولكن جوابيه جميعاً خرجا على وجه التبخيت[1] ولم يحفظ ما أجاب به في العام الماضي فيجيب بمثله .

فرجع عن إمامته ،وقال : لا يكون إماماً من يفتي بالباطل على شيء بوجه من الوجوه ولا في حال من الأحوال ،ولا يكون إماماً من يفتي تقية بغير ما يجب عند الله .)[2]

---

(١) هكذا وردت ، ولم أجد لها في المعاجم معنى مناسباً .

(٢) فرق الشيعة ص/ ٦٠ – ٦١

وذكر القصة نفسها الشيخ سعد القمي (ت ٣٠١هـ) في كتابه (المقالات والفرق)=

....

= ص/ ٧٥ وهو من أئمة وعلماء الشيعة ، وقد قدم هذا الكتاب وعلق عليه أحد معاصريهم وهو : محمد جواد مشكور.

ومع أن هذه القصة ذكرها اثنان من أكبر علماء الشيعة وهما النوبختي ، وسعد القمي فإننا نجد أحد علماء الشيعة المعاصرين يتبجح في إنكار وجودها أصلا وهو الشيخ (عبد الحسين الأميني النجفي) الذي ألَّف كتابه (الغدير) كمحاولة منه لاسترداد بعض ماء الوجه بعد أن أطاح علماء أهل السنة قديماً وحديثاً بعقائد الشيعة وأظهروا تهافتها وتفاهتها .

يقول عبد الحسين وهو يرد على القصيمي صاحب كتاب (الصراع بين الاسلام والوثنية) الذى أورد القصة السابقة بمعناها دون أن يشير الى اسم السائل واسم الامام المسئول واسم المرجع الذي ذكرت فيه القصة .

يقول تحت عنوان : (فرية مكذوبة على إمام مجهول) (فى كتابه الغدير ٣/ ٣٠١) : (مسألة فاضحة مجهولة لا نعرفها ، عن سائلٍ هو أحد النكرات ،. . . وأسندَ ما يقول إلى كتب لم تؤلف بعد ، ثم طفق يشنُّ الغارة على ذلك الامام وشيعته على هذا الأساس الرصين . . . ولعمري لو كان المؤلف (القصيمي) يعرف الامام أو السائل أو المسألة أو شيئاً من تلك الكتب لذكرها بهوس وهياج ، لكنه لا يعرف ذلك كله ، كما أنا نعرف كذبه فى ذلك كله). ولا نريد أن نرد عليه بمثل هذا الأسلوب الساخر المتهكم الذي يدل على ضعف حجته غير أننا نقول له :

إذا كان القصيمي ذكر القصة بالمعنى دون الاشارة الى الأسماء والمراجع فاتخذتَ من ذلك وسيلة للطعن فيها ، فإن القصة الآن أمامك منقولة بنصها من أهم الكتب الشيعية فى الفرق ، وعلى لسان اثنين من أكبر علماء الشيعة فى القرن الثالث الهجرى ، وهاهو أمامك اسم السائل والامام المسئول ، فهل هى فرية مكذوبة على إمام مجهول ؟! أم حقيقة فاضحة ! وليس من المعقول لمن هو بمثل مستوى الشيخ الأمينى الذى هو من أهم مراجعهم الدينية أن يكون على غير اطلاع على هذين الكتابين لإمامين من أكبر أئمة الشيعة وعلمائهم ، فكتابه الكبير (الغدير فى الكتاب والسنة والأدب) وهو مكوَّن من / ١١ مجلداً / يدل على سعة اطلاعه وتخصصه فى هذا المجال .

وللقارئ أن يعرف الآن من الكاذب أهو الأميني أم القصيمي ؟!

فالقصة أمام القارئ بنصها ومرجعها ، ونحن لم نذكرها بهوس وهياج كما توقع الأميني بل عرضناها بأمانة وصدق وتركنا للقارئ التأمل والتدبر ، مع أن الأميني يعرف القصة وليس بحاجة الى من يرشده الى مكان وجودها ، ولكنه لما عجز عن الرد كان الانكار أسهل طريق يسلكه .

ونلاحظ فى هذه القصة أنهم ينسبون للامام الباقر استعمال التقية فى مجال الفتوى بدون وجود خوف أو توقع للضرر ، فالسائل صحيح العزم على قبول ما يفتيه به الباقر وهو من أصحابه المقربين وليس هناك شخص ثالث فى المجلسين .

فلماذا التقية اذن ؟

يجيب على ذلك المعلق على فرق الشيعة فيقول :

(لا يخفى على من راجع موارد التقية أنها لا تنحصر فى الخوف من السائل أو ثالث حاضر . . . . إذ التقية كما تكون من السائل أو من ثالث ، فهكذا تكون ممن يحضر العامل بالحكم حين عمله ، فيخاف عليه السلام منه عليه — أى يخاف أن يؤذى السائل إذا عمل بهذا الحكم أمام الآخرين فانكشف تشيعه ولذلك يفتيه تقية إشفاقاً عليه —

وقد تكون التقية لمجرد إلقاء الخلاف بين الشيعة كيلا يعرفوا فيصيبهم الضرر من أعدائهم . . . ولعل الخلاف فى جواب الامام عليه السلام من أحد الوجهين الأخيرين فلا مورد حينئذ لكلام عمر بن رياح ومحمد بن قيس) (١)

وهذا السبب الأخير من أسباب استعمالهم للتقية فى الفتوى هو السبب الرئيسى فى هذا المجال ، وهذا يظهر جلياً فى الرواية التالية التى يرويها الكليني فى أصول الكافى :

فقد روى بسنده عن زرارة بن أعين عن أبى جعفر — الباقر — قال زرارة :

(سألته عن مسألة فأجابني ، ثم جاءه رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابني ، ثم رجل آخر فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي

فلما خرج الرجلان قلت : يابن رسول الله ، رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت صاحبه ؟

قال : يازرارة : إن هذا خير لنا وأبقى لنا ولكم ، ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدّقكم الناس علينا ، ولكان أقل لبقائنا وبقائكم .

---

(١) حاشية فرق الشيعة ص / ٦٠

قال (أى زرارة) : ثم قلت لأبي عبد الله (الصادق) : شيعتكم لو حملتموهم على الأسنَّة أو على النار لمضوا ، وهم يخرجون من عندكم مختلفين !

قال : فأجابني بمثل جواب أبيه).[1]

وهكذا يصبح فى المسألة الواحدة ثلاث اجابات مختلفة وفى اللحظة نفسها،ولا هدف من ذلك الا إلقاء الخلاف بين الشيعة لئلا يعرفوا بقول واحد !!

كيف يعرف الناس أحكام دينهم ويثقون بأئمتهم وهم يواجهون هذا الاضطراب ؟لو كان هذا هو حقاً ما يفعله الباقر والصادق رحمهما الله وغيرهما من الأئمة لما التفتَ أحد اليهم فى ذلك العصر الذي كان يغصُّ بالعلماء ولأعرض الناس عنهم ، ولكن ثناء العلماء عليهم[2] واعترافهم بفضلهم يمنعنا من أن ننسب لهم شيئا من هذه الأباطيل.

وهذا الشك فى قلوب الأتباع يعترف الشيعة به ، بسبب هذا التضارب فى أقوال الأئمة وقد يصل الشك عند بعض الأتباع الى درجة كبيرة فيأتون له بالتقية كعلاج مسكِّن ، يخفف من وطأة هذا الشك فى النفس .

روى الكليني بسنده عن موسى بن أشيم قال : (كنت عند أبي عبد الله فسأله رجل عن آية من آيات الله فأخبره بها ، ثم دخل عليه داخل فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبر به الأول ، فدخلني من ذلك ما شاء الله ، حتى كأن قلبي يشرح بالسكاكين ، فقلت فى نفسي : تركت أبا قتادة بالشام لا يخطئ فى الواو وشبهه ، وجئت الى هذا يخطئ هذا الخطأ كله ، فبينما أنا كذلك إذ دخل عليه آخر فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبرني وأخبر صاحبي ، فسكنت نفسي ، فعلمت أن ذلك منه تقية) !![3]

السؤال هنا ليس فى حكم فقهي فرعي وانما هو فى تفسير آية من كتاب الله عز وجل يزعمون أن الامام جعفر الصادق يفسرها فى مجلس واحد بثلاث تفسيرات مختلفة وينسب ذلك لكتاب الله وهو يعتقد بطلان ما يقول فيضل الناس بقوله ويفهمون تلك الآية بخلاف معناها . . . . كل ذلك تقية !!

---

(١) أصول الكافى ١ / ٦٥

(٢) راجع مقدمة هذا الباب عند الحديث عن موقف أهل السنة من الأئمة الاثنى عشر

(٣) أصول الكافى ١ / ٢٦٥ — ٢٦٦

والنص يتضمن شهادة الراوي في وصفه لقلبه كأنه يشرح بالسكاكين ، وذلك لما لهذا الفعل من جرأة على كتاب الله تعالى وكان بامكانه أن يسكت فلا يجيب من يخشى بأسه ولكن جاءت التقية لتسكن قلب الرجل وليطمئن الى أن الامام معذور بإضلاله للناس وجرأته على كتاب الله لأن هذا كان تقية !!

ـ ومن مظاهر استعمال أئمتهم للتقية فى مجال الفتوى أن يصوِّب أحد أئمتهم قول غيره ويقسم على ذلك وهو لا يعتقد صواب ذلك القول ولكن يقصد بذلك التقية :

روى الكلينى عن محمد بن مسلم قال :

(دخلت على أبى عبد الله عليه السلام وعنده أبو حنيفة ، فقلت له : جُعلت فداك ، رأيت رؤيا عجيبة ، فقال لي يا ابن مسلم هاتها إن العالم بها جالس ، وأومأ بيده الى أبي حنيفة فقلت : رأيت كأني دخلت داري فاذا أهلي قد خرجت عليَّ فكسرت جوزاً كثيراً ونثرته عليَّ فتعجبت من هذه الرؤيا .

فقال أبو حنيفة : أنت رجل تخاصم وتجادل لئاما فى مواريث أهلك ، فبعد نَصَب شديد تنال حاجتك منها إن شاء الله .

فقال أبو عبد الله (ع) : أصبت والله يا أبا حنيفة .

ثم خرج أبو حنيفة من عنده فقلت له : جُعلت فداك إني كرهت تعبير هذا الناصب ، فقال : يا ابن مسلم ، لا يسوؤك الله فما يواطئ تعبيرهم تعبيرنا . . . وليس التعبير كما عبره. فقلت له : جعلت فداك ، فقولك أصبت وتحلف عليه وهو مخطئ !

قال : نعم ، حلفت عليه أنه أصاب الخطأ) !![1]

فالامام الصادق يكرم أبا حنيفة ويصفه بالعلم ويطلب من السائل أن يوجه سؤاله اليه ثم يثني على اجابته ويقسم على صحتها . . . وكل ذلك تقية على حسب زعمهم ، وما هذه التقية التى ينسبونها للامام الصادق الا لهدف إخفاء المودة التى كانت بينه وبين أبى حنيفة ، فلقد كانت المحبة والاجلال قائمة بين الامام الصادق وعلماء عصره[2] ولكن الشيعة جعلوا تفسير هذه المحبة وسببها التقية .

---

(١) الروضة من الكافى — ص / ٢٩٢

(٢) تحدثنا فى الفصل الأول من هذا الباب عن موقف علماء أهل السنة من أئمة أهل البيت وإجلالهم لهم . راجع ذلك ص / ٢٠٣ من هذا البحث .

وما الذي يخافه الامام الصادق من أبي حنيفة حتى يتظاهر بموافقة قوله ويقسم على تصويب رأيه ؟ إنهم بذلك يجعلون أئمتهم على درجة من النفاق ما وصلها ابن سلول !

ثم ان السائل لا يسأل عن عقيدة من العقائد أو مسألة من المسائل المهمة وانما يطلب تعبير رؤيا خاصة به فما الحاجة الى التقية في ذلك ؟

ليس هناك هدف من هذه القصة المنسوبة كذباً الى الامام الصادق الا تشويه صورته النقية واظهار حقدهم على الامام أبي حنيفة وغيره من أئمة أهل السنة ، وهذا واضح في تسميتهم له بالناصب . وحاشاه رحمه الله أن يناصب أئمة أهل البيت العداء حتى يصفوه بذلك . انه يعادي أهل الباطل والضلال ولذلك ظهر حقدهم عليه .

وهكذا تصبح التقية وسيلة لاضلال الناس وصدهم عن الحق واجابتهم بما يوافق هوى علمائهم ، وهذه الطريقة في الاضلال جزء من الدين عندهم لأنه لا دين لمن لا تقية له .

روى ابن فروخ الصفار في (بصائر الدرجات) (أن رجلا جاء الى أبي عبد الله (ع) فقال أبو عبد الله : والله لأضلنه ، والله لأوهمنه .

فسأله الرجل عن مسألة فأفتاه ، فلما خرج من عنده قال أفتيته بالضلالة .

ثم جاء الرجل الى ابي الحسن ،فلما رآه أبو الحسن قال : أما والله لأضلنه .

فسأله عن تلك المسألة فأجاب عنها بجواب آخر .

فقال الرجل : هيهات قد سألت أباك ، فأفتاني بغير هذا ، وما يجب عليَّ أن أدع قوله لقولك ثم خرج) (١) .

لقد أصبح هذا السائل ألعوبة ـ بحسب هذه الرواية ـ في يد الأئمة الذين حمَّلهم الله مسئولية نشر العلم ونصح الناس وارشادهم واذا بهم ـ على حسب زعم الشيعة ـ وسيلة للاضلال والايهام .

إمامان من أئمتهم يقسمان على إضلال هذا المسكين الذى صار في حيرة من أمره وهو يرى الاضطراب في جوابيهما ولا يدري أن هذا فعل مقصود وأنه هو الضحية !!

---

(١) بصائر الدرجات ص / ٧٧

اذا كانت هذه هى الصفات التى يفخرون بنسبتها لأئمتهم فلا تعجب بعد ذلك من هذا الرصيد الضخم من عقائدهم وموروثاتهم التى ينسبونها لأولئك الائمة !

أيجرؤ عاقل على وصف شخص يحبه ويقتدي به، بأنه يضل الناس ؟!

هل هذه هى محبتهم لأمتهم التى يعتزون بها ؟

إن أهل السنة هم أحق من يوصف بمحبة أولئك الاطهار من آل بيت النبوة فهم يعرفون قدرهم ومكانتهم وفضلهم وأنهم أئمة هدى وارشاد وليسوا أئمة اضلال وايهام - كما تزعم هذه الرواية —

إن الصفة التى تليق بهم وبأمثالهم من أئمة الهدى وعلماء الأمة هى كما قال تعالى : (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله) (١)

ولكن علماء الشيعة ينسبون لأئمتهم أن الأخذ بالتقية فى مجال الفتوى خير وأعظم أجراً .

روى الكلينى عن أبى عبيدة (عن أبى جعفر — ع — قال :

قال لى : يازياد ما تقول لو أفتينا رجلا ممن يتولانا بشئ من التقية ؟

قال : قلت له : أنت أعلم جعلت فداك

قال : إن أخذ به فهو خير له وأعظم أجرا .

وفى رواية : إن أخذ به أُجر وان تركه والله أثم) (٢)

وروى أيضا عن أبى عمرو الكناني قال :

(قال لى أبو عبد الله — ع — يا أبا عمرو أرأيت لو حدثتك بحديث أو أفتيتك بفتيا ثم جئتني بعد ذلك تسألنى عنه ، فأخبرتك بخلاف ما كنت أخبرتك ، أو أفتيتك بخلاف ذلك ، بأيهما كنت تأخذ ؟

قلت بأحدثهما وأدع الآخر .

فقال : قد أصبت يا أبا عمرو ، أبى الله الا أن يعبد سراً ، أما والله لئن فعلتم ذلك إنه لخير لى ولكم ، أبى الله عزوجل لنا فى دينه الا التقية) (٣)

---

(١) سورة الأحزاب / آية ٣٩

(٢) وسائل الشيعة ١٨ / ٧٦

(٣) المرجع السابق ١٨ / ٧٩ — ٨٠

ومما يصف بـه الشيعة أئمتهم أنهم يدرّبون أتباعهم على اتقان العمل بالتقية فى الفتـوى بحيث يفتون كل سائل بحسب ما يرون من اعتقاده فاذا جهلوا حقيقته ذكروا له أقـوالاً عديدة فى الاجابة ولم يقتصروا على قولهم .

وقد أورد الحر العاملى فى كتابه (وسائل الشيعة) تحت عنوان :(بـاب وجـوب التقية فى الفتوى مع الضرورة) (١) أورد روايتين عن جعفر الصادق فى هذا الشأن هما :

١ - روى الكشي في (كتاب الرجال) بسنده عن ابان بن تغلب قال :

(قلت لأبى عبد الله ــ ع ــ : إني أقعد فى المسجد فيجئ الناس فيسألونى فإن لم أجبهم لم يقبلوا مني ، وأكره أن أجيبهم بقولكم وما جاء عنكم .

قال لي : أنظر ما علمتَ أنه من قولهم فأخبرهم بذلك) (٢)

٢ - وروى أيضا عن معاذ بن مسلم النحوي عن أبي عبد الله (ع) قال :

(بلغني أنك تقعد فى الجامع فتفتي الناس)

قلت نعم ، وأردت أن أسألك عن ذلك قبل أن أخرج ، إني أقعد فى المسجد فيجئ الرجل فيسألنى عن الشئ فاذا عرفته بالخلاف لكم أخبرته بما يفعلون، ويجئ الرجل أعرفه بمودتكم فأخبره بما جاء عنكم ، ويجئ الرجل لا أعرفه ولا أدرى من هو ، فأقول : جـاء عن فلان كذا ، فأدخل قولكم فيما بين ذلك .

قال : فقال لى : اصنع كذا ، فاني كذا أصنع) (٣)

وبناء على ما تقدم نجد أن الطريقة التى اتبعوها هى إجابة كل سائل على حسـب مذهبه ، أو اجابته بما لا يكشف حقيقتهم . هذا اذا كان السائل ليس على مذهبهم أو كان يُشك فى ولائه لهم، أما ان كان السائل موثوقا عندهم ولا يشكون فيه أبدا فالتقية لها مجالها أيضا للاسباب التاليـة :

١ - خوفاً من ثالث يحضر المجلس

٢ - خوفاً على السائل من انكشاف تشيعه اذا عمل بتلك الفتوى أمام الآخـرين

٣ - لمجرد القاء الخلاف بين الشيعة حتى لا يُعرفوا بقول واحـد

---

(١) المرجع السابق ٦ / ٤٨٢

(٢) رجال الكشي ص / ٣٣٠ ترجمة ابان بن تغلب

(٣) المرجع السابق ص / ٢٥٢ — ٢٥٣ ترجمة معاذ بن مسلم - وراجع علل الشرائـع لابن بابويـه ص / ٥٣١

وهكذا انتشرت التقية فى معظم أبواب الفقه عندهم ، وصار كل قول أو حكم شرعى يوافق أهل السنة فلا تفسير لوجوده فى كتبهم ونسبته الى أئمتهم وعلمائهم الا التقية

ولذلك انبثق عندهم مبدأ ما خالف العامة فهو الحق ، ويدعون انحرافهم هذا بروايات ينسبونها لأئمتهم أبرزها : ما رواه ابن بابويه القمي عن علي بن أسباط قال :

(قلت للرضا — ع — حدث الأمر من أمري لا أجد بداً من معرفته ، وليس في البلد الذى أنا فيه أحد أستفتيه من مواليك .

قال : فقال عليه السلام : ائت فقيه البلد — يعني من أهل السنة — فاذا كان ذلك فاستفته فى أمرك فاذا أفتاك بشئ فخذ بخلافه فإن الحق فيه) (١) .

وهكذا أصبحت التقية طريقاً لتغيير أحكام الدين وتحويل الحلال الى حرام ، وهذه بعض الأمثلة فى ذلك :

---

(١) علل الشرائع لابن بابويه القمي ص / ٥٣١

بعض الأمثلة لاستخدامهم التقية فى الفقه والفتوى :

أولا ـ نجاسة أهل الكتاب :

اليهود والنصارى وسائر الكفار ـ بل وأهل السنة أيضاً ـ هم عند الشيعة من النجاسات العينية، ونجاستهم كنجاسة الكلب والخنزير . وهذا ما اتفق عليه علماؤهم القدماء

قال أبو جعفر الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ـ شيخ الطائفة عندهم ـ :

(من صافح ذمياً أو ناصباً معلناً بعداوة آل محمد ، وجب عليه غسل يده إن كان رطباً ،وان كان يابساً مسحها بالتراب)(١)

وذكر الحلي (ت ٦٧٦ هـ) فى كتابه شرائع الاسلام أنواع النجاسات وعدَّ منها :

(كل من خرج عن الاسلام ،أو من انتحله وجحد ما يعلم من الدين ضرورة كالخوارج والغلاة)(٢)

ورواياتهم فى ذلك كثيرة، وكلها تؤكد نجاسة جسم الكافر وسؤره والنهي عن مخالطته . غير أنه وردت عندهم بعض الروايات التى تذكر عكس ذلك والتى تنص على فتاوى بعض أئمتهم بطهارة جسم الكافر مادام لا يحمل نجاسة أخرى على بدنه(٣)

وبما أن هذه الروايات توافق قول أهل السنة بأن نجاسة الكافر نجاسة معنوية وليست نجاسة حسية فهى محمولة على التقية عندهم .

وقد بيَّن الجزائري في (قلائد الدرر) موقف الشيعة من الروايات الدالة على طهارة الكافر فقال :

(وحملُ الأخبار الدالة على الطهارة على التقية أظهر،لأن القول بالطهارة مذهب الفقهاء الأربعة . . . وهم القائلون بتلك المقالات الفاسدة المزيدة لكفرهم كفراً لعنهم الله تعالى)(٤) !!

---

(١) النهاية فى مجرد الفقه والفتوى للطوسي ص/ ٥٢

(٢) شرائع الاسلام للحلي ١/ ٥٣

(٣) راجع مثلا : الفروع من الكافى ٣/ ١٠ ـ من لا يحضره الفقيه ١/ ١٠ ـ الاستبصار ١/ ٨٩

وراجع وسائل الشيعة ١/ ١٦٥ باب : نجاسة أسئار أصناف الكفار

١/ ١٠١٨ باب: نجاسة الكافر ولو ذمياً أو ناصبياً .

(٤) قلائد الدرر فى بيان آيات الأحكام بالأثر لأحمد الجزائري (ت ١١٥١ هـ) - ١/ ٥٦

وقال مؤكداً على نجاستهم :

(ما ورد من الأخبار بخلاف ذلك يُجاب عنه بضعف السند أو بالحمل على التقية لما نقل الشيخ -أى الطوسي -فى الاستبصار والتهذيب أن جميع من خالفنا يذهب الى الجواز) (١) .

بيد أن هذا الحكم أعيد النظر فيه في العصر الحديث وظهرت فتاوى لبعض علمائهم بطهارة أهل الكتاب وأن نجاستهم معنوية وليست حسية ، فوافقوا بذلك أهل السنة .

وسبب ذلك كما قال محمد جواد مغنيه (أن القول بنجاسة أهل الكتاب أحدث مشكلة اجتماعية للشيعة أوقعهم فى ضيق وشدة ، بخاصة إذا سافروا الى بلد مسيحي كالغرب ، أو كان فيه مسيحيون كلبنان) (٢) .

واعتبر مغنيه هذا السبب كافياً للتراجع عن القول بنجاسة أهل الكتاب الذي كان متفقاً عليه عندهم من قبل ، ولكي يستند هذا القول الجديد لدليل فقد تمسكوا بالروايات التى كانت مردودة عندهم لأنها قيلت تقية ، واذا بها تعود للحياة من جديد وتصبح أدلة على هذا الحكم مع اعتراف مغنية بأن الروايات الدالة على نجاسة أهل الكتاب صحيحة السند واضحة الدلالة (٣)

ولكن هذا الحكم بعدم النجاسة فيه طعن صريح بمراجعهم المعتمدة وعلمائهم الذين هم عمدة مذهبهم كالكليني والطوسي والصدوق والحلي وغيرهم وهذا يثير عليهم عامة الشيعة (٤)

فماذا يفعلون ؟ لقد لجأوا الى التقية التى هى ملاذهم دائماً

---

(١) المرجع السابق ٣/ ١١٩

(٢) فقه الامام جعفر الصادق ١/ ٣٢-وبعد صفحات من الكتاب نفسه يصرُّ مغنية على نجاسة الناصبى ، ويقصد به أعداء الشيعة ، فما هو القول فى انسان يحكم بطهارة اليهودي والنصراني ويصر على نجاسة أهل السنة؟! (راجع فقه الامام جعفر ١/ ٣٥-٣٦)

(٣) المرجع السابق ١/ ٣٣

(٤) الغريب جداً أن نجد علماء الشيعة يخافون من أتباعهم مع أن المركز الدينى لهؤلاء العلماء يفرض على الأتباع طاعتهم وقبول أقوالهم ، ولكن يبدو أن الذى يخافه علماؤهم هو انقطاع ما يدفعه الاتباع لهم من أموال باسم الخمس - كما يقول ناصر ==

يقول مغنية : (وقد عاصرت ثلاثة مراجع كبار من أهل الفتيا والتقليد ، الأول كان في النجف الأشرف، وهو الشيخ محمد رضا آل ياسين ، والثاني في قم ، وهو السيد صدر الدين الصدر ، والثالث في لبنان ، وهو السيد محسن الأمين ، وقد أفتوا جميعاً بالطهارة وأسرُّوا بذلك إلى من يثقون به ، ولم يعلنوا خوفا من المهوِّشين) !!

ثم يقول : (وأنا على يقين بأن كثيراً من فقهاء اليوم والأمس يقولون بالطهارة ،ولكنهم يخشون أهل الجهل ، والله أحق أن يخشوه) !! (١)

وهذا الاعتراف من مغنية خطيرا جداً !

فهو على يقين أن علماء الشيعة - حتى القدماء منهم - كانوا يقولون بما يوافق أهل السنة في ذلك ولكنهم لم يقدروا أن يفصحوا عن هذه الفتوى فأخفوها تقية وخوفاً من أتباعهم ثم زادوا على ذلك بأن اعتبروا الروايات التي توافق تلك الفتوى المخفيَّة غير صحيحة بل وردت للتقية ، فانظر كيف استعملوا التقية في إخفاء الحكم الشرعي والفتوى بنقيضه،ثم في ردِّ الروايات الموافقة لما يخفونه،وبذلك تصبح التقية عملة ذات وجهين يتلاعبون بواسطتها بالأحكام الشرعية كيف يشاؤون فهل هناك أكبر من هذا الافساد والتضليل باسم الدين ؟!

== القفاري - راجع : رسالة التقريب بين السنة والشيعة ص/ ٤٧٤

(١) فقه الامام جعفر ١/ ٣٣ - ٣٤

ثانياً ـ التقية فى بعض أحكام الصلاة

والمقصود هنا إخفاء الأفعال التى يتميزون بأحكامها ، ويختلفون فيها عن أهل السنة، والتى لو فعلها أحدهم يُعرف أنه من الشيعة .

فيجب عليهم عندئذ إسرار مثل هذه الأفعال عن أهل السنة ،حتى يبقى الشيعى متخفياً لا يعلم حقيقة تشيعة الا الثقات من أصحابه .

وقد عقد الحر العاملى فى كتابه (وسائل الشيعة) باباً فى ذلك بعنوان : (باب جواز التقية فى العبادات، ووجوبها عند خوف الضرر) ذكر فيه رواية منسوبة لعلي بن الحسين المرتضى (عن علي عليه السلام قال : ..إن الله نهى المؤمن أن يتخذ الكافر ولياً ، ثم منَّ عليه بإطلاق الرخصة له عند التقية فى الظاهر أن يصوم بصيامه ، ويفطر بإفطاره ويصلي بصلاته ويعمل بعمله ..) (١)

ومن هو الكافر الذي يصوم ويصلي إلا أن يكون قصدهم به مَنْ خالفهم من المسلمين !

ولذلك نجدهم يؤكدون على فضيلة صلاة الشيعي خلف السني تقية ،مع قولهم بعدم صحة صلاة أهل السنة وعدم جواز الاقتداء بهم الا للتقية .

ولا بد لصحة الاقتداء بالإمام عندهم أن يكون ذلك الامام شيعياً يوالي علياً ويتبرأ من الصحابة الآخرين (الذين هم أعداؤه كما يزعمون) فإذا لم يتبرأ منهم فلا تصح الصلاة خلفه الا للتقية

روى شيخهم الصدوق ابن بابويه القمي عن اسماعيل الجعفي قال :(قلت لابى جعفر عليه السلام : رجل يحب أمير المؤمنين (ع) ولا يتبرأ من عدوه ، ويقول : وهو أحب اليَّ ممن خالفه فقال : هذا مخلِّط وهو عدو ،فلا تصلِّ خلفه ولاكرامة إلا أن تتقيه) (٢)

---

(١) وسائل الشيعة ١/ ٨١

(٢) من لا يحضره الفقيه للطوسي ١/ ٢٤٩ وهو أحد الكتب الأربعة فى الحديث عندهم. وقد عقد الحر العاملى فى وسائل الشيعة باباً خاصاً بذلك تحت عنوان (باب اشتراط كون إمام الجماعة مؤمناً موالياً للأئمة ،وعدم جواز الاقتداء بالمخالف في الاعتقادات الصحيحة الأصوليه إلا للتقية) (وسائل الشيعه ٣/ ٣٨٨)
وهم بذلك يعتبرون أن صلاة علي رضي الله عنه خلف أبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم كانت على سبيل التقية،وسوف نناقش ذلك تفصيلياً فى الفصل القادم. راجع ص/٥٢٧من هذا البحث

وهكذا يظهر أنهم يعتبرون التبرؤ من كبار الصحابة أصلاً من أصول الدين، أما هذا الرجل الذى اكتفى بتفضيل علي على غيره ولم يتبرأ من مخالفيه فلا تصح الصلاة خلفه إلا للتقية وكأنهم يقصدون بذلك الزيدية

ومع أنهم يروون عن الامام الباقر قوله : (لا تصل الا خلف من تثق بدينه) (١) فانهم يجعلون أجر من صلى تقية مع المخالفين كمن صلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى الصدوق عن أبي عبد الله (ع) أنه قال :

(من صلى معهم فى الصف الاول كان كمن صلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصف الأول) (٢)

وروى أيضاً عنه أنه قال :

(ما منكم أحد يصلي صلاة فريضة فى وقتها ثم يصلي معهم صلاة تقية وهو متوضئ الا كتب الله له بها خمساً وعشرين درجة فارغبوا فى ذلك) (٣)

وروى كذلك عنه أنه قال : (إذا صليتَ معهم غُفر لك بعدد من خالفك) (٤)

وقال :(من صلى فى مسجده ثم أتى مسجداً من مساجدهم فصلى معهم خرج بحسناتهم) (٥)

ومن رواياتهم أيضاً :

(المصلي معهم فى الصف الاول كالشاهر سيفه فى سبيل الله) (٦)

و يتحدث الشيخ الصدوق عن كيفية اقتداء الشيعي بإمام من المخالفين فيقول :

(صلِّ خلفه على سبيل التقية والمداراة ،وأذِّن لنفسك ، وأقم ، واقرألها ، غير مؤتم به فإن فرغت من قراءة السورة قبله فبقِّ آية ومجِّد الله عز وجل ،فاذا ركع الامام فاقرأ الآية

---

(١) الفروع من الكافى للكلينى .

(٢) من لا يحضره الفقيه ١/ ٢٥٠ - ٢٥١

(٣) المرجع السابق ١/ ٢٥١

(٤) (٥) المرجع السابق ١/ ٢٦٥

(٦) وسائل الشيعة ٣/ ٣٨٢

واركع بها ، فان لم تلحق القراءة وخشيت أن يركع فقل ما حذفه الامام من الأذان والاقامة واركع) . (١) فكأن الصدوق بذلك يوجد للشيعة مخرجاً بحيث يقتدي أحدهم بالمخالف ظاهراً ولكنه منفرد عنه في النية

وهكذا تصبح هذه الصلاة — من أعظم العبادات عندهم فهي كالصلاة خلف رسول الله وكالجهاد في سبيل الله ، فيها الأجر العظيم ومغفرة الخطايا !!

ويجعلون العبادة بالتقية أحب الأعمال إلى الله عز وجل :

— روى الصدوق بسنده عن أبي عبد الله (ع) قال : (ما عُبد الله بشيء أحب اليه من الخباء قلت : وما الخباء؟ قال : التقية) . (٢)

بل ان العبادة سراً والتظاهر أمام المخالفين تقية بعبادات أخرى — تخالف ما يراه الشيعة — هي الطريق الذي لا يقبل الله غيره ولا يرتضي سواه — كما يزعمون —

— روى الكليني بسنده عن أبي عبد الله (ع) قال :

(أبى الله الا أن يُعبد سرًا .... أبى الله عز وجل لنا ولكم في دينه الا التقية) (٣)

ولنقف عند هاتين الروايتين وقفة تأمل .

فكلاهما يفيد أن التقية في العبادة أصل وليس استثناء ، وأن هذه التقية أحب الأعمال الى الله عز وجل ، وذلك في كل زمان ومكان .

وهذا واضح من عموم الروايتين ، وبارز أكثر في صيغة الحصر في الرواية الثانية :

(أبى الله الا أن يُعبد سرا) فالعبادة اذاً لا تكون الا اذا صاحبتها التقية ، سواء وُجد الاكراه والخوف أو انتفى .

ولا ندري ماذا يفعل الشيعة بهذين النصين وهم يقولون إن التقية تنتهي عند قيام القائم ، فهل تنتهي تقية العبادة أيضا ؟

وكيف يأبى الله العبادة بدون تقية ثم يرضاها ؟

إن هذا التناقض بين عموم الروايتين وقولهم بانتهاء عهد التقية عند قيام القائم يشير إلى حقيقة ما لديهم من اضطراب في تقرير عقائدهم .

---

(١) من لا يحضره الفقية ١/ ٢٤٩ وراجع الفروع من الكافي - باب الصلاة خلف من لا يُقتدى به — ٣ / ٣٧٣

(٢) وسائل الشيعة ١١ / ٤٦٢

(٣) الأصول من الكافي ٢ / ٢١٨

كما أن هذا يدل بوضوح على كذب هاتين الرايتين وعدم صحة نسبتها للامام الصادق وأنهما مع عشرات بل مئات الروايات من انتحال وافتراء رجال الشيعة ، وخاصة الكليني الذى يلقبونه بثقة الاسلام ، والقمي الذى يلقبونه بالصدوق وغيرهما !!

* وليست التقية فى العبادة قاصرة على مجال صلاة الشيعي خلف إمام من أهل السنة بل إن كثيرا من أعمال الصلاة الأخرى تجب فيها التقية خشية أن ينكشف أمر الشيعى إذا قام بعمل يخالف ما عليه أهل السنة ، وإليك بعض الأمثلة :

١ - غسل الرجلين فى الوضوء :

الواجب عندهم مسح ظاهر القدمين فى الوضوء أما غسلهما فلا يصح أبداً ، وينسبون عشرات الروايات لأئمتهم وكلها تأكيد على وجوب المسح وتحريم الغسل وأن الله لا يقبل صلاة مَنْ غَسلَ رجليه فى الوضوء

روى الكلينى بسنده (عن محمد بن مروان قال : قال أبو عبد الله (ع) :

إنه يأتى على الرجل ستون وسبعون سنة ما قبل الله منه صلاة ، قلت : كيف ذاك ؟ قال لأنه يغسل ما أمر الله بمسحه) !! (١)

فاذا خاف الشيعي من انكشاف أمره أمام الآخرين جاز له أن يغسل رجليه فى الوضوء تقية لكن هذا الغسل لا يكفى فلا بد أن يمسحهما بعد ذلك ليحقق الفروض (٢)

ولا يجزيء المسح الا إذا كان لظاهر القدمين فقط ، وقد وردت عندهم روايات تأمر بمسح ظاهر القدمين وباطنها لكنهم حملوها كذلك على التقية (٣)

وأغرب من ذلك أن بعض الروايات وردت عندهم تذكر أن علياً رضى الله عنه غسل رجليه فى الوضوء أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنهم أيضاً حملوها على التقية :

فقد روى الطوسي (عن زيد بن على عن آبائه عن علي عليه السلام قال : جلست أتوضأ فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ابتدأت الوضوء

فقال لى : تمضمض واستنشق واستن . (٤)

---

(١) الفروع من الكافى ٣ / ٣١ ورواه أيضا الطوسى فى الاستبصار ١ / ٦٤ والصدوق فى الفقية ١ / ٢٤ وراجع : النهاية فى مجرد الفقه والفتاوى للطوسي ص/ ١٣

(٢) وسائل الشيعة ١ / ٢٩٦ وراجع فروع الكافي ٣ / ٣١

(٣) راجع وسائل الشيعة ١ / ٢٩٢ — ٢٩٣

(٤) الاستنان : استعمال السواك

ثم غسلت ثلاثاً . فقال : قد يجزيك من ذلك المرتان

ففسلت ذراعي ومسحت برأسي مرتين فقال : قد يجزيك من ذلك المرة،وغسلت قدمي

فقال لي : ياعلي خلّل بين الأصابع لا تُخل بالنار) (١)

وهذه الرواية زعم الطوسي أنها وردت للتقية (١)

ونتساءل هنا : من الذي أوردها تقية ؟

هل هو علي رضى الله عنه يرويها كذباً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أم زيد بن علي بن الحسن أم الرواة الآخرون ؟

وكيف ينقلون عن الامام علي رضي الله عنه صفة الوضوء هذه التى فعلها أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقره عليها ثم يُكذّبون هذا النقل ويطعنون فى هذا الوضوء لا لشئ الا لأنه يوافق أهل السنة ؟! (٢)

إن هذا الافتراء طعن فى عبادة علي رضى الله عنه وكذب على دين الله .

٢ - مسح الرأس والأذنين :

الواجب عند الشيعة مسح مقدم الرأس ببقية البلل ، ويبطل المسح إذا كان بماء جديد،فلو جف ماء الوضوء قبله أخذ من لحيته وحاجبيه وأشفار عينيه ومسح به ، فإن لم يبق شئ من البلل أعاد الوضوء من جديد ، (٣)

ولا يجوز غير ذلك الا أن يكون للتقية موافقة لمذهب أهل السنة الذين يسمونهم العامة (٤)

أما الأذنان فلا يجوز مسحهما أبداً عندهم فى أثناء الوضوء فإذا مسحهما فلا طهارة له . (٥)

وينسبون للامام الباقر قوله :(ليس عليهما غسل ولا مسح) . (٦) الا أن يكون المسح للتقية فيجوز عندئذ موافقة للعامة . (٧)

---

(١) الاستبصار للطوسي ١ / ٦٥ — ٦٦

(٢) راجع مختصر التحفة الاثني عشرية ص / ٢٥ — ٢٨ لتجد فيه الرد الكافي على ادعاء الشيعة أن الواجب فى الوضوء مسح الرجلين وإبطال أدلتهم فى ذلك .

(٣) راجع تفصيل ذلك فى كتاب فقه الشيعة الامامية للدكتور علي السالوس ص/ ٩٨ ولا مجال هنا لتفصيل الأدلة التى استدل بها هؤلاء ، إذ المقصود من الحديث إبراز دور التقية في العبادات عندهم .

(٤) النهاية فى مجرد الفقه والفتاوى للطوسي ص / ١٤

(٥) الاستبصار ١ / ٦٠

(٦) (٧) المرجع السابق ١ / ٦٣ — ٦٤

٣ ـ السجود على البساط :

روى الصدوق القمي عن أبي عبد الله الصادق قال :

(السجود لا يجوز الا على ماأنبتت الأرض إلا ماأُكل أو لُبِس) (١)

فإذا وجد الشيعي بين قوم من أهل السنة ، ولم يتمكن من السجود على الأرض أو الحصير لخوفه منهم فإنه يسجد على البساط تقية ولا حرج عليه .

(روى القمي أن علي بن يقطين سأل أبا الحسن الأول "على الرضا" عن الرجل يسجد على المِسْح (٢) والبساط فقال لا بأس إذا كان فى حال التقية) (٣)

٤ ـ الجهر بصلاة الظهر يوم الجمعة فى السفر :

أورد الحر العاملى عدة روايات فى ذلك منها :

ماروا‌ه الكليني بسنده عن محمد بن مسلم (عن أبى عبد الله ـ ع ـ قال :

صلوا فى السفر صلاة الجمعة جماعة بغير خطبة ، واجهروا بالقراءة

فقلت : إنه ينكر علينا الجهر بها فى السفر ، فقال : اجهروا بها) (٤)

وروى أيضا عن محمد بن مسلم قال :

(سألته عن صلاة الجمعة فى السفر ، قال : تصنعون كما تصنعون فى الظهر ، ولا يجهر الامام فيها بالقراءة ، وإنما يجهر اذا كانت خطبة) (٥)

وهذه الرواية الثانية موافقة لأهل السنة ولذلك يسارعون إلى ردها

قال الحر العاملى : المراد بهذا الحديث حال التقية والخوف. (٦)

والملاحظ أن الروايتين ينقلهما عن جعفر الصادق راوٍ واحد هو محمد بن مسلم فأين موضع التقية هنا ؟!

---

(١) من لا يحضره الفقيه ١٧٧/١

(٢) المِسْح : بكسر الميم وسكون السين ، هو اللباس يُقعد عليه ،

(٣) من لا يحضره الفقيه ١٧٦/١

(٤ -٦) وسائل الشيعة ٨٢٠/٢

٥ - حكم قول (أمين) بعد الفاتحة

روى الكليني بسنده عن جميل (عن أبى عبد الله - ع - قال :

إذا كنت خلف إمام، فقرأ الحمد وفرغ من قراءتها ،فقل أنت: الحمد الله رب العالمين ولا تقل أمين) (١)

وعن جميل قال : (سألت أبا عبد الله - ع - عن قول الناس فى الصلاة جماعة ،حين يقرأ فاتحة الكتاب: آمين. قال : ماأحسنها ، وأخفض الصوت بها) (٢)

قال الحر العاملي : هذا محمول على التقية لاجماع الطائفة على ترك العمل به (٣)

وكذلك نجد هنا أن الراوى فى الحالتين واحد فلماذا يتقي الصادق منه فى فتواه الثانية،وإذا كانت الفتوى الثانية توافق أهل السنة فلماذا يخفض الصادق صوته بها ؟!

٦ - الشك فى عدد ركعات الصلاة

أورد الحر العاملي عدة روايات فى ذلك أبرزها (٤) :

(عن عمار بن موسى قال : قال أبو عبد الله - ع - : كلما دخل عليك من الشك فى صلاتك فأعمل على الأكثر)

(وعن محمد بن سهل عن أبيه قال : سألت أبا الحسن عن رجل لا يدرى أثلاثاً صلى أم اثنين ، قال : يبني على النقصان ويأخذ بالجزم)

قال الحر العاملى : هذه الرواية محمولة على التقية

والغريب هنا أنهم يعملون بالرواية الأولى مع إقرارهم أن المصلي عندما يشك هل صلى ثلاثاً أو أربعاً فيعدها ثلاثاً ويبنى على النقصان فإنه يكون قد أخذ بالجزم ، لأن الركعة الرابعة مشكوك فيها .

لكن هذا الحكم مردود عندهم ، وليس لذلك من سبب الا أنه يوافق أهل السنة !!

٧ - عدد التكبيرات فى صلاة الجنازة

أجمع الامامية على أن الواجب فى صلاة الجنازة خمس تكبيرات ولا يجوز الاقتصار على أربع الا للتقية (٥)

---

(١) الفروع من الكافى ٣/٣١٣

(٢)(٣) وسائل الشيعة ٢/٧٥٢ - ٧٥٣

(٤) المرجع السابق ٣/٣١٨ - ٣١٩

(٥) قلائد الدرر لأحمد الجزائري ١/٢٣٣ وراجع الروضة البهية فى شرح اللمعة ==

وقد عقد الحر العاملى باباً خاصاً فى ذلك بعنوان (باب وجوب تكبيرات الخمس فى صلاة الجنازة وإجزاء الأربع مع التقية أو كون الميت مخالفاً) (١)

وقد نسبوا للرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يفعل ذلك :

روى الكلينى بسنده عن أبى عبد الله قال :

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكبر على قوم خمساً وعلى قوم آخرين أربعاً فاذا كبَّر على رجل أربعاً اتهم ، يعنى بالنفاق) (٢) ، ويرون أنه ليس في الصلاة على الميت تسليم إلا في حال التقية (٣)

٨ - رد السلام وتشميت العاطس أثناء الصلاة

عقد الحر العاملى باباً بعنوان (باب جواز رد المصلي السلام بل وجوبه ، ويرد كما قيل له) (٤)

وباباً آخر بعنوان (باب جواز تشميت المصلي للعاطس) (٥)

ثم قال : ويجوز الرد خفية إذا كان تقية ، وحكم على الروايات التى نصت على عدم الجواز بأنها وردت للتقية . (٦)

* يضاف إلى ذلك أنهم يستخدمون التقية فى كثير من الأحكام مع أنها موافقة لبعض المذاهب الأربعة عند أهل السنة وليست مما يميز الشيعة ، ولكنهم جعلوا التقية شعارهم فى كل صغيرة وكبيرة

ومن ذلك أنهم يرون فى التيمم مسح الوجه والكفين، وحملوا الروايات التي تنص على مسح الوجه واليدين إلى المرفقين بأنها وردت للتقية (٧)

=== الدمشقية لزين الدين الجبعى العاملى ١/١٣٨

(١) وسائل الشيعة ١/٧٧٢ (٢) الفروع من الكافى ٣/١٨١ (٣) من لا يحضره الفقيه ١/١٠١

(٤) وسائل الشيعة ٢/١٢٦٦

(٥) (٦) المرجع السابق ٢/١٢٦٨ وراجع: الفروع من الكافى ٣/٣٦٦ (باب التسلم على المصلي والعطاس فى الصلاة)

(٧) الاستبصار للطوسي ١/١٧٠ - ١٧١

فما الذي يدعوهم الى استخدام التقية فى هذا المجال وإفتاء الناس بما يرونه باطلا مع أن بعض المذاهب الفقهية عند أهل السنة يرون مثل هذا الرأى ؟

وما هي الضرورة التى تلجئهم لترك مايرون صحته والتعبد بما يعتقدون خطأه ؟!

من الواضح أنه لاحاجة الى هذه التقية أبداً ، لكنهم لشدة تمسكهم بها أصبحت أمراً لايستغنون عنه ولا يفكرون فى سواه !

ولذلك نجد أنه قلما يخلو باب من أبواب الفقه عندهم من الاشارة الى هذه التقية ، وتفسير كل مايعارض رأيهم من روايات أو فتاوى وردت فى كتبهم بأنها تقية.

ولو نظرنا الى كتاب الحر العاملي (وسائل الشيعة) على سبيل المثال،فاننا نجد فى فهارس مجلداته مواضع كثيرة تشير الى استخدامهم التقية فى ردّ الروايات والفتاوى وهذه نبذة منها :

- باب أقل مايقطع فيه السارق . . ،وفيه معارض حُمل على التقية (١)
- باب السرقة لاتثبت الا بالاقرار . . ،وفيه معارض حُمل على التقية (٢)
- باب تحريم نكاح البهيمة . . ، وفيه حديث حُمل على التقية (٣)
- باب أقل الحمل وأكثره . . ،وفيه معارض للأكثر حُمل على التقية (٤)
- باب أنه يشترط فى صحة الطلاق التلفظ بالصيغة فلا يقع بالكتابة . . ،وفيه معارض حُمل على التقية (٥)
- باب أن عدة الأَمَة من الوفاة مثل عدة الحرة . . وفيه معارضات حملت على التقية (٦) ...

ونختم حديثنا بالتوقف قليلاً عند المثالين التاليين لنرىٰ إلى أى مدى وصل هؤلاء في افترائهم على أئمتهم :

١- روى الكليني بسنده عن ابان بن تغلب قال :

---

(١) (٢) وسائل الشيعة ١٨/ ٣١

(٣) المرجع السابق ١٨/ ٣٧

(٤) المرجع السابق ٧ / ١١

(٥) المرجع السابق ٧ / ٢٣

(٦) المرجع السابق ٧/ ٣٥

(سمعت أبا عبد الله - ع - يقول : كان أبي - أى الباقر - يفتي في زمن بني أمية أن ماقتل البازي والصقر فهو حلال ، وكان يتقيهم ، وأنا لا أتقيهم ، وهو حرام ما قتل) [١] !!

فما كان يفتي به الباقر أنه حرام أصبح حلالا فى فتوى الصادق - كما يزعمون -

وليس الامر لاختلاف الاجتهاد بينهما بل بسبب التقية التى شوّهوا بها صورة أئمتهم !

٢ - وروى الطوسي روايات كثيرة فى تحديد أيام النفاس عن أئمتهم منها ما رووه عن الامام علي قال : النفساء تقعد أربعين يوما ، وعن جعفر الصادق : سبع عشرة ، وثماني عشرة وتسع عشرة ، وثلاثين أوأربعين الى الخمسين . . . وعن أبى جعفر ثمانى عشرة [٢]

ولكن كل هذه الروايات تخالف مذهبهم ، فهم يقولون إن أيام الحيض مثل أيام النفاس

لذلك نجد الطوسي يقول : (الوجه . . أن نحمل هذه الأخبار على ضرب من التقية لأنها موافقة مذهب العامة ، ولأجل ذلك اختلفت كاختلاف العامة فى أكثر أيام النفاس فكأنهم - أي الائمة - أفتوا كلاً منهم بمذهبه الذى يعتقده) [٣] !!

وحاشا للأئمة أن يفعلوا ذلك ، وأن يكذبوا على الناس ويُخفوا أحكام الدين عنهم وهم حملة العلم وأئمة الهدى ، ولكن هذا من افتراءات الشيعه عليهم ، وقد ضيعوا بذلك المذهب الفقهي الحقيقي لجعفر الصادق وغيّروا معالمه .

وإن المرء ليتساءل : إذا أراد هؤلاء تأليف كتاب فى الفقه لطلاب العلم عندهم هل يكون فيه تقية مخافة أن يطلع عليه غيرهم فيحرمون الحلال ويحلون الحرام ؟!

وأين يجد طالب الفتوى الحكم الحقيقي العاري عن التقية ليعمل به ؟

إن مايفعله الشيعه فى هذا المجال ليس من مواضع التقية أبداً بل هو ترويج للباطل وتضييع للحق وتشويه لأحكام الدين .

---

(١) الفروع من الكافى ٦/٢٠٨

(٢) الاستبصار ١/١٥١ - ١٥٣

(٣) المرجع السابق ١/١٥٣

الفصل الخامس

مواقف تاريخية فسرها الشيعة الإمامية على أساس التقية

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : موقف أبي طالب من الاسلام

المبحث الثاني : مواقف علي من الخلفاء الثلاثة

١ - بيعة علي للخلفاء الثلاثة وسكوته عن المطالبة بالخلافة

٢ - ثناء علي على الخلفاء الثلاثة واعترافه بفضلهم وخلافتهم

٣ - تزويج علي ابنته ام كلثوم لعمر بن الخطاب

المبحث الثالث : تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية.

المبحث الرابع : ادعاؤهم غيبة الامام الثاني عشر وتفسير ذلك بالتقية

توطئة

هناك مواقف تاريخية كثيرة وقفت حجر عثرة فى طريق غلو الشيعة وما نسبوه لأئمتهم من انحرافات ، واذا بهم يسارعون الى تفسيرها وتبريرها بالتقية ليبعدوا عن طريق غلوهم هذه المواقف التى أثيرت ضدهم ورأوها منافية لما ذهبوا اليه من غلو ، وأبرز هذه المواقف :

- موقف أبي طالب من الاسلام ، وهو والد علي رضى الله عنه الذي يقدسونه ويغلون فيه .
- مواقف علي رضى الله عنه من الخلفاء الثلاثة ، وهى المواقف التى لا يمكن لأحد أن ينكرها وكلها تشهد على محبته رضي الله عنه لهم واعترافه بفضلهم وخلافتهم .
- تنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية رضى الله عنه ، مع أن الحسن فى رأى الشيعة منصوص على امامته ولا يسعه التخلي عنها .
- الغيبة التى ادعوها لامام لم يولد ولا وجود له ، ما سببها ؟ ولماذا لا يبقى ظاهرا ينتفع به الناس ؟

كل هذه التساؤلات أجاب عنها الشيعة بأنها تقية ، وبذلك تدخل التقية مجالاً جديداً عندهم وهو مجال تفسير التاريخ .

والواقع أن التاريخ لا يفسر الا بأصول العقائد ، فالماديون أوجدوا التفسير المادي للتاريخ ، وكل أصحاب عقيدة يفسرون التاريخ بما يوافق عقائدهم .

ومن هنا نعلم أن الشيعة بتفسيرهم بعض أحداث التاريخ على أساس التقية ، يؤكدون على أن التقية عندهم من أصول الدين وأسسه ، وهذا دليل يضاف الى أدلتهم التى سبق ذكرها ، ونظرا لأهمية هذا الموضوع ، ولما له من صبغة شبه مستقله ، ولأن الباحثين المعاصرين تحدثوا عن جانب تفسير التاريخ حديثاً مستقلاً ، رأيت أن أفرد له فصلاً خاصاً فى موضوعي هذا .

المبحث الأول

موقف أبي طالب من الإسلام

لقد كان أبو طالب[١] عم النبى صلى الله عليه وسلم يدافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويردُّ عنه كل من يؤذيه،ويحوطه وينصره ، ويقف دونه فى وجه قريش ، ويحتمل فى سبيل ذلك مقاطعة قريش له ولبني هاشم وحصارهم فى الشعب ، ومع ذلك بقي على دين قومه ولم يسلم .

فلقد كان حبه للرسول صلى الله عليه وسلم ودفاعه عنه بدافع الحمية والاباء والقرابة وليس بدافع العقيدة[٢] . روى البخارى بسنده عن ابن المسيب عن أبيه (أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وعنده أبو جهل ، فقال : أي عم ، قل لا اله الا الله كلمة أحاج بها عند الله .

فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية : يا أبا طالب ، ترغب عن ملة عبد المطلب؟

فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيئ كلمهم به : على ملة عبد المطلب .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنه .

فنزلت " ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم "[٣] ونزلت " إنك لا تهدى من أحببت "[٤])[٥]

---

(١) أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عم الرسول صلى الله عليه وسلم شقيق أبيه ، اشتهر بكنيته ، واسمه عبد مناف على المشهور ، ولد قبل النبى صلى الله عليه وسلم بخمس وثلاثين سنة ، ولما مات عبد المطلب أوصى بالرسول صلى الله عليه وسلم الى أبى طالب فكفله ، مات أبو طالب فى السنة العاشرة من البعثة ، وكان له يوم ، مات بضع وثمانون سنة .

راجع الاصابة ٤/١١٥-١١٩ .

(٢) فى ظلال القرآن ٥/٢٧٠٢ بتصرف .

(٣) سورة التوبة / آية ١١٣ .

(٤) سورة القصص / آية ٥٦ .

(٥) صحيح البخارى بحاشية السندى ٢/٢٢٦

=←

وفى رواية :

(فقال أبو طالب : لولا أن تعيرني قريش يقولون ما حمله عليه الا جزع الموت لأقررت بها عينك)(١)

ومع أن أبا طالب مات مشركا الا أن الله يخفف عنه العذاب يوم القيامة لما فعله من الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا مما يختص به لورود الأدلة المصرحة بذلك ومنها :

١ ـ ما رواه البخارى وسلم عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم : (ما أغنيتَ عن عمك ، فانه كان يحوطك ويغضب لك ، قال : هو فى ضحضاح(٢) من نار ، ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار)(٣) .

٢ ـ وما رواه البخاري ومسلم أيضا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه :

(أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم ـ وذكر عنده عمه ـ فقال : لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه)(٤)

= وأورد ابن كثير فى تفسيره (٢/١٢٧) أن قوله تعالى : " وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا أنفسهم وما يشعرون " (سورة الانعام آية/ ٢٦) نزل كذلك فى شأن أبي طالب على أحد القولين فى تفسير الآية الكريمة . فالقول الأول : أن المراد بالآية المشركون الذين ينهون الناس عن اتباع الحق ويبعدونهم عنه ولا يدعون أحداً ينتفع به . والقول الثانى : أن الآية نزلت فى أبى طالب كان ينهى الناس عن إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم ولا يؤمن به،ونقل هذا القول عن ابن عباس رضى الله عنهما . ولكن ابن كثير وابن جرير قبله ـ رجحا القول الأول وهو أن الآية عامة فى المشركين وليست فى أبي طالب (تفسير الطبري ٥/١٧٤) .

(١) فتح الباري ٧/١٩٥

(٢) الضحضاح : ما رق من الماء على وجه الأرض الى نحو الكعبين ، واستعير فى النار ليدل على تخفيف العذاب .

(٣)(٤) البخارى ٢/٣٢٦ مسلم بشرح النووي ٣/٨٤ ـ ٨٥ واللفظ فى الحديثين للبخاري .

٣ ــ وروى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه)(١)

وكل هذه الأحاديث الصحيحة تؤكد عدم اسلام أبي طالب وأنه فارق الحياة دون أن ينطق بالشهادتين،(٢) وهذا هو الحق الذى عليه أهل السنة .

أما الشيعة :

فانهم يقولون إن أبا طالب مات مسلماً موحداً ويطعنون فى الروايات سالفة الذكر لأنها وردت من طرق أهل السنة .

قال الشيخ المفيد :

(أجمعوا ـ أى الامامية ـ على أن عمه أبا طالب رحمه الله مات مومنا)(٣)

ونقل الزنجاني عن الشيخ المفيد قوله : (من الدليل على إيمان أبي طالب رضي الله عنه ما اشتهر عنه من الولاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمحبة والنصرة)(٤)

---

(١) مسلم بشرح النووي ٣/٨٥ .

(٢) أما ما أخرجه ابن اسحاق (أن أبا طالب لما تقارب منه الموت بعد أن عرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول لا اله الا الله فأبى ، قال : فنظر العباس اليه وهو يحرك شفتيه فأصغى اليه فقال : يا ابن أخى ، والله لقد قال أخي الكلمة التى أمرته أن يقولها) فهذا حديث لا يصح ، كما قال الحافظ ابن حجر فى الفتح لأن فى سنده من لم يسمَّ،والعباس نفسه هو الذى سأل عن حال أبي طالب كما ورد فى الصحيحين .
راجع فتح الباري ٧/١٩٤ - ١٩٥ .

(٣) أوائل المقالات ص/ ١٣ .

(٤) عقائد الامامية الاثني عشرية ــ لابراهيم الموسوي الزنجاني ـ ص/١٣٢ .

وقال الشيخ الطوسي :

(دل الدليل على إيمان أبى طالب بما ثبت عنه من شعره المعروف وأقاويله المشهورة الداله على اعترافه بالنبي صلى الله عليه وسلم) (١)

وبما أن الشيعة لا يحتجون بروايات أهل السنة فإن من السهل عليهم عدم قبول الروايات التى أوردوها فى ذلك وخاصة ما ورد فى سبب نزول الآية : (إنك لا تهدى من أحببت) بحجة أن الآية لم تنص على أبى طالب ولا غيره (٢).

وهى حجة واهية لأن معظم آيات القرآن الكريم التى ورد بشأنها أسباب نزول معينة لم تنص على أسماء من نزلت فيهم .

بل إن الآيات القرآنية التى يأتون بها للاستدلال على مذهبهم فى النص على علي رضي الله عنه بالخلافة لم يذكر فيها اسم علي رضى الله عنه صراحة فكيف يقبلون الاستدلال بها ؟

ثم إن ما اشتهر عن أبي طالب من محبته للرسول صلى الله عليه وسلم والذّب عنه وما نقل عنه من شعر فى ذلك لا يدل على ايمانه لأن تلك المحبة والنصرة لم تكن بدافع ايمانه بل بسبب رابطة الأبوّة - لأنه كفل الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبيه وأمه - وبدافع الرابطة القبلية التى كان أهل الجاهلية يقاتلون بسببها كل عدو وتسيل بسببها أنهار الدماء .

ومن أجل ذلك انحاز بنو هاشم مع الرسول صلى الله عليه وسلم الى الشعب وضحوا بمصالحهم ليس من أجل الاسلام وانما للحفاظ على تلك الرابطة ، ولو أنهم لم يفعلوا ذلك لعُيِّروا بأنهم تخلوا عن أحد أبنائهم وأسلموه لعدوِّه جبناً وخوراً .

وقد ذكر ابن كثير أبياتا لأبي طالب تدل بوضوح على مقدار ما كان عليه من نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه بل تدل أيضا على قناعته بأن الاسلام دين الحق ولكن الذى منعه من اتباعه خوف العار من قريش :

---

(١) تفسير التبيان ٤/١٠٦ .

(٢) التفسير الكاشف لمحمد جواد مغنية ٦/٧٦ .

والله لن يصلوا اليك بجمعهم — حتى أوسَّد فى التراب دفينا
فأمضي لأمرك ما عليك غضاضة — أبشرْ وقرَّ بذاك منك عيونا
ودعوتني وعلمتُ أنك ناصحي — فلقد صدقتَ وكنتَ قبل أمينا
وعرضتَ ديناً قد عرفتُ بأنه — من خير أديان البريَّة دينا
لولا الملامة أو حذاري سبة — لوجدتني سمحاً بذاك مبينا (١)

بل إن ابن كثير ينقل عن ابن هشام قصيدة طويلة أخرى بلغت حوالي مائة بيت برز فيها دفاع أبي طالب عن الرسول صلى الله عليه وسلم ومحبته له .

ثم يقول ابن هشام : (هذا ما صح لي من هذه القصيدة وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها) ولكن ابن كثير يعلق قائلا : (هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع يقولها الا من نسبت اليه) (٢)

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٣/٤٢ ، وراجع فتح البارى ٧/١٩٤ والاصابة ٤/١١٦ .

(٢) المرجع السابق ٣/٥٣ - ٥٧ وراجع سيرة ابن هشام .

ومن أبيات هذه القصيدة قوله فى مطلعها :

ولما رأيت القوم لا ود فيهم — وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى — وقد طاوعوا أمر العدو المزايل
صبرت لهم نفسى بسمراء سَمْحةٍ — وأبيض عَضْبٍ من تراث المقاول
وأحضرت عند البيت رهطي وأخوتي — وأمسكت من أثوابه بالوصائل

وقوله :

كذبتم وبيت الله نُبزي محمداً — ولمَّا نطاعن دونه ونناضل
ونُسلمه حتى نصرَّعَ حوله — ونذهل عن أبنائنا والحلائل

الى أن يقول :

فوالله لولا أن أجيء بسبَّةٍ — تجر على أشياخنا فى المحافل
لكنا تبعناه على كل حالةٍ — من الدهر جداً غير قول التهازل

وهذه الأبيات تؤكد عدم ايمانه وتبرز سبب دفاعه عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

والشيعة يذكرون هذه القصائد ويجعلونها دليلاً على ايمان أبى طالب بعد أن يحذفوا منها ما يدل صراحة على عدم إيمانه ، كما أنهم يضيفون أبياتا وقصائد أخرى لدعم موقفهم هذا .(١)

دور التقية فى ذلك :

لعل الخلاف بين أهل السنة والشيعة فى ايمان أبى طالب يبقى الى هذا الحد مقبولا لولا أن الشيعة نهجوا منهجاً آخر فيما أوردوه من روايات على ألسنة أئمتهم تنص على أن أبا طالب كان يكتم اسلامه تقية وأن عمله هذا ضاعف أجره مرتين وبذلك يفسرون موقف أبى طالب تفسيرًا يبرز اهتمامهم بالتقية وولعهم بها . وهذه رواياتهم فى ذلك :

- روى الكلينى بسنده عن هشام بن سالم عن أبى عبد الله قال :

(إن مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسرُّوا الايمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين)(٢)

- وروى ابن بابويه باسناده عن أبى عبد الله قال :

---

(١) أورد الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي قصائد كثيرة فى ايمان أبى طالب ودافع عن موقف الشيعة فى ذلك في أكثر من سبعين صفحة من كتابه (الغدير فى الكتاب والسنة والأدب) وذلك فى أواخر المجلد السابع وأوائل المجلد الثامن .

بل إن عبد الله الشيخ علي الخنيزى يؤلف كتابا كبيرا فى ذلك بعنوان (أبو طالب مؤمن قريش) يدافع فيه عن موقفهم هذا . وقد ذكر الزنجانى فى كتابه عقائد الامامية (ص/ ١٣٢) أن للشيخ المفيد كتابا خاصا فى ايمان أبى طالب ، كما ذكر الحر العاملى فى وسائل الشيعة (١١/ ٤٨٠) اسم كتاب آخر فى هذا الموضوع وهو (الحجة على الذاهب الى تكفير أبى طالب) لفخار بن معد الموسوى . وهناك كتب كثيرة أخرى وكلها تدل على اهتمامهم الشديد بهذا الموضوع لأن القول بعدم إيمان أبى طالب يمس فى نظرهم شخصية ولده علي رضى الله عنه، وهذا من غلوهم وانحرافهم .

(٢) وسائل الشيعة ٦/ ٤٧٦ ، والاختصاص للمفيد ص/ ٢٤١ .

(ان أبا طالب أسر الايمان وأظهر الشرك فآتاه الله أجره مرتين ، وما خرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله بالجنة) (١)

- وعن الشعبي يرفعه (عن أمير المؤمنين - ع - قال :

(كان والله أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب مؤمنا مسلما يكتم ايمانه مخافة على بني هاشم أن تنابذها قريش) (٢)

- وروى ابن بابويه باسناده (عن العسكرى - ع - قال :

(إن أبا طالب كمؤ من آل فرعون يكتم ايمانه) (٣)

ولا يملك الباحث حيال هذه الروايات الا أن يتساءل :

من يخاف أبو طالب حتى يسلك هذا المسلك وهو من سادات قريش ؟

وهؤلاء هم المستضعفون من أمثال عمار وصهيب وبلال قد جهروا بإسلامهم وأصابهم فى سبيله الأذى والابتلاء ؟

يجيبنا على ذلك الشيخ الأمينى وهو يحاول تأويل قول أبى طالب :

لولا الملامة أو حذاري سبة ... لوجدتنى سمحاً بذاك مبينا

فيقول : (هب أن البيت الأخير من صلب ما نظمه أبو طالب - عليه السلام - فان أقصى ما فيه أن العار والسبة اللذين كان أبو طالب - عليه السلام - يحذرهما خيفة أن يسقط محله عند قريش فلا تتسنى له نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم) (٤)

ويقول الخنيزي فى تأويل هذا البيت من شعر أبى طالب :

(لوسلمنا أن هذا البيت قد قاله أبو طالب - وهو لم يقله - ... فمعناه أنه لولا ما يخشاه من اللوم ، ويحذره من المسبة ، لوجده جاهرا بقبول الدعوة مبيّناً ايمانه على الملأ من قريش ، غير كاتم) (٥)

(١ - ٣) وسائل الشيعة ٦/ ٤٨٠ - ٤٨١ .

(٤) الغدير ٧/ ٣٣٥ .

(٥) أبو طالب مؤمن قريش ص/ ١٦٤ .

فالذي كان يمنع أبا طالب من إظهار ايمانه هو خشية العار والمسبة من قريش وخشية سقوط محله عندهم ولذلك كان يكتم ايمانه .

ولكن الشيعة بهذا التبرير يقعون في تناقض،إذ كيف استدلوا سابقا على ايمان أبي طالب بمواقفه المشهورة في نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم وقصائده في ذلك التي كان يتحدى بها قريشا ثم قالوا إنه كان يكتم ايمانه عن قريش ؟

فالمواقف المعلنة التي جعلوها دليلا على ايمانه لا تتفق مع قولهم انه كان يكتم ايمانه ، ولنعد الى كلام الخنيزي فقد نقل عن ابن الاثير أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما عرض الاسلام على عشيرته الأقربين قال له أبو طالب :

(فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك ، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب)[1]

يقول الخنيزي معلقا على ذلك :

(ان أبا طالب بعد أن أظهر لعتاة قريش أنه قد انصاع لدعوة محمد صلى الله عليه وسلم رأى عيونا شزراء ، تلتهمه بنظرها فرأى أن يعمي على هؤلاء موقفه)[2] !

وهل كان يتوقع من أمثال أبي لهب الفرح والاستبشار لاسلامه ؟

واذا كان خوفه من هذه النظرات منعه من اظهار الاسلام فما أشد خوره وأضعف نفسه بالمقارنة مع الضعفاء من الصحابة الذين لم يتعرضوا لنظرات قاسية فقط بل تعرضوا للسياط والنار ومع ذلك أصروا على الجهر باسلامهم أمام أسيادهم .

وفي ختام حديثنا يجدر أن نشير الى أحد علماء الامامية في القرن السادس وهو الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي[3] ـ صاحب تفسير مجمع البيان ـ ذكر في كتابه (إعلام الورى بأعلام الهدى) أن الرسول صلى الله عليه وسلم (دخل على أبي طالب وهو يجود بنفسه فقال : ياعم ربيتَ صغيراً ونصرتَ كبيراً ، وكفلتَ يتيماً ،

---

(١) الكامل لابن كثير ٢ / ٤١

(٢) أبو طالب مؤمن قريش ص / ١٥٠

(٣) راجع ترجمته ص/ ٣١٢ من هذا البحث

فجزاك الله عني خير الجزاء ، أعطني كلمة أشفع بها لك عند ربي ، فقال : يا ابن أخي لولا أني أكره أن يعيروا بعدي لأقررت عينك . ثم مات) ثم يقول الطبرسي : (وقد روي أنه لم يخرج من الدنيا حتى أعطى رسول الله الرضا) (١) .

والمتأمل لهذه القصة التي ذكرها الطبرسي وللقول الذي ذكره بعدها بصيغة التضعيف (روي) يستنتج أن الطبرسي يميل الى مخالفة الشيعة في هذه المسألة ، ويرى أن أبا طالب مات ولم يسلم .

ولكن المعلق على كتاب (إعلام الورى) اعترض على كلام الطبرسي قائلا :

(هذا الكلام مع فرض صحته لا يدل على عدم ايمان أبي طالب وانما يدل على كتمانه الايمان ، وقد جاء في أخبار كثيرة أنه أظهر الكفر وأسرَّ الايمان) (٢) .

فوا عجبا من هذا الاصرار على الباطل !

إن ما فائدة كتمان الايمان على فراش الموت ؟ وهل بقي شبح خوفه من قريش ونظرتهم القاسية يلاحقه الى تلك اللحظة التي ينقطع فيها أمل الانسان من الدنيا وما فيها ؟!

واذا كان كتمانه لتعزيز موقفه في مؤازرة الرسول صلى الله عليه وسلم فلماذا استمر على الكتمان وهو يرى نفسه قاب قوسين أو أدنى من الموت ولم يعد بمقدوره أن يدفع عن ابن أخيه أذى المشركين ؟

إن استمرار كتمانه للايمان في موقف لا حاجة فيه الى الكتمان بل في تلك اللحظات التي يودع الانسان فيها الدنيا وأهلها ومع كثرة الالحاح عليه أن ينطق بكلمة التوحيد ليس له تفسير الا أن نقول إن هذا الايمان مفقود من أساسه .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

(١ ، ٢) اعلام الورى ص/ ٦٢ - ٦٣ تصحيح وتعليق : على أكبر الغفاري .

(أبو طالب وغيره كانوا يحبون النبى صلى الله عليه وسلم ، ويحبون علو كلمته ، وليس عندهم حسد له ، وكانوا يعلمون صدقه ، ولكن كانوا يعلمون أن فى متابعته فراق دين آبائهم وذم قريش لهم ، فما احتملت نفوسهم ترك تلك العادة واحتمال هذا الذم ، فلم يتركوا الايمان لعدم العلم بصدق الايمان به ، بل لهوى النفس)[1]

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/١٩٢ - ١٩٣ .

المبحث الثاني

مواقف علي رضي الله عنه من الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم

هناك مواقف كثيرة للامام علي رضى الله عنه لم يستطع الشيعة انكارها ، وتعدّ من أكبر الأدلة على اعتراف علي رضى الله عنه بخلافة الخلفاء الراشدين الثلاثة رضى الله عنهم ومحبتهم،وتنفي كل ما ينسبه الشيعة له من بغض أولئك الخلفاء وعدائه لهم والحكم عليهم بأنهم كفرة غاصبون معتدون على حقه .

فماذا يفعل الشيعة أمام تلك المواقف التى تنسف أهم عقائدهم نسفاً ، وتقيم الحجة عليهم مِنْ أفعالِ مَنْ يُعدُّ عندهم الامام الأول المعصوم ؟

لقد وجد هؤلاء فى التقية بغيتهم ، محاولة للتخلص من هذا التناقض بين ما هم عليه من عقائد وبين ما كان يفعله علي رضى الله عنه مما لا يمكنهم انكاره .

وسنناقش ذلك من خلال أشهر مواقف الامام علي رضى اللهِ عنه وهى :

١ - بيعة علي رضى الله عنه للخلفاء الثلاثة وسكوته عن المطالبة بالخلافة .

٢ - ثناء علي رضى الله عنه على الخلفاء الثلاثة واعترافه بفضلهم وخلافتهم .

٣ - تزويج علي ابنته ام كلثوم لعمر رضي الله عنهم .

ولنبدأ بالموضوع الأول :

أولا : بيعة علي رضي الله عنه للخلفاء الثلاثة وسكوته عن المطالبة بالخلافة :

بعد أن انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى اضطرب حال المسلمين وألمَّ بهم حزن شديد على فراقه صلى الله عليه وسلم، وما كان هذا ليشغلهم عن اختيار خليفة بعده صلى الله عليه وسلم كراهة أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة (١).

فاجتمعوا في سقيفة بني ساعدة وتداولوا الأمر بينهم ثم اتفقوا على بيعة أبي بكر رضي الله عنه وبذلك تدارك الله الاسلام وأسرع الناس يبايعونه (٢).

أما علي رضي الله عنه فقد تأخر عن البيعة ستة أشهر - كما تذكر رواية البخاري - فلم يبايع حتى توفيت زوجته فاطمة رضي الله عنها فأرسل الى أبي بكر أن ائتنا، فجاءه أبو بكر، فتشهد علي فقال : (إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله اليك ولكنك استبددت علينا بالأمر وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نصيباً. حتى فاضت عينا أبي بكر. فلما تكلم أبو بكر قال :

والذي نفسي بيده، لَقرابةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليَّ أن أصل من قرابتي، وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فلم آل فيه عن الخير، ولم أترك أمراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيها الا صنعته.

فقال علي لأبي بكر : موعدك العشية للبيعة.

فلما صلى أبو بكر الظهر رقى على المنبر فتشهد، وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة وعذَرهُ بالذي اعتذر به، ثم استغفر.

---

(١) (٢) راجع تفصيل ذلك في كتاب العواصم من القواصم للقاضي ابن العربي - تحقيق الشيخ محبّ الدين الخطيب ص/ ٥٤ - ٦٣ فقد أجاد فيه مؤلفه رحمه الله وزاد من أهميته التحقيقات النفيسة للشيخ محب الدين الخطيب.

وتشهّد علي فعظّم حق أبي بكر ، وحدّث أنه لم يحمله على الذى صنع نفاسةً على أبي بكر ، ولا انكاراً للذي فضّله الله به ، ولكننا نرى لنا فى هذا الأمر نصيباً فاستبد علينا ، فوجدنا فى أنفسنا ، فسُرَّ بذلك المسلمون ، وقالوا : أصبت)[1]

قال الحافظ ابن حجر نقلاً عن الامام القرطبي :

(من تأمل ما دار بين أبي بكر وعلي من المعاتبة ومن الاعتذار ، وما تضمن ذلك من الانصاف عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر ، وأن قلوبهم كانت متفقة على الاحترام والمحبة وإن كان الطبع البشري قد يغلب أحيانا لكن الديانة تردُّ ذلك)[2] .

ويظهر من الرواية السابقة أن علياً رضي الله عنه لم يكن يطلب الخلافة لنفسه ، وهذا معنى قوله (لم ننفس عليك خيراً ساقه الله إليك) أي لم نحسدك على الخلافة.

لكن الذى أنكره أنه لم يُستشر فى عقد الخلافة ، والعذر لأبي بكر رضى الله عنه أنه خشي من التأخر عن البيعة الاختلاف لما كان وقع من الأنصار فى السقيفة فلم ينتظروه[3] .

كما أن عليا تأخر عن البيعة بسبب تأثر فاطمة رضى الله عنها التى وجدت فى نفسها على أبى بكر بعد أن طلبت ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها أبو بكر : (إن رسول الله قال : لا نورَث،، ما تركنا صدقة . . وانى والله لا أغيِّر شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التى كانت عليها فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم)[4]

ويذكر الحافظ ابن حجر نقلا عن بعض الروايات أن علياً بايع أبا بكر فى أول الأمر ، وأن هذه البيعة تعد بيعة ثانية مؤكدة للأولى لازالة ما كان وقع بسبب الميراث ، وبسبب ذلك أظهر علي المبايعة التى بعد موت فاطمة رضى الله عنها لازالة هذه

---

(١) صحيح البخارى بحاشية السندى ٣/٥٥ — ٥٦ .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٧/ ٤٩٥ .

(٣) المرجع السابق ٧/٤٩٤ - ٤٩٥ .

(٤) صحيح البخارى ٣/٥٥ .

الشبهة .[1]

وسواء كانت هذه البيعة للتأكيد على البيعة السابقة ، أو كانت بيعة أولى . فالمهم فى الأمر أن علياً رضي الله عنه بايع الخليفة الصديق طائعاً مختاراً غير مُكره ، وأنه لم يكن ينازعه فى الخلافة ، ولو كان عنده نص سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي له بالخلافة لذكره لأبى بكر وجعله حجة قوية فى تأخره عن البيعة ولكنه لم يذكر شيئاً من ذلك .

- واستخلف أبو بكر عمراً من بعده فلم يتخلف علي رضى الله عنه عن بيعته ونصحه ونصرته، ثم جعلها عمر شورى بين الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ،[2] وكان علي أحد هؤلاء الستة ، فاتفقوا بعد تشاورهم ثلاثة أيام على بيعة عثمان رضى الله عنه ، وكان علي رضى الله عنه من أول المبايعين .[3]

ولم يكن علي رضى الله عنه فى يوم من الأيام يحرص أن يتولى هذا الأمر ، لأنه يدرك عظيم ما فيه من مسؤوليه .

ولذلك نجده لم يسرع الى تولي الخلافة بعد استشهاد عثمان رضى الله عنه وانما قال للصحابة رضى الله عنهم - كما تعترف بذلك الشيعة : -

(دعوني والتمسوا غيري . . . وان تركتموني فأنا كأحدكم ، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم ، وأنا لكم وزيرا خير لكم مني أميرا)[4]

هذه هى حقيقة موقف هذا الصحابي الجليل من الخلفاء الثلاثة ، ويظهر للقارئ أن هذا الموقف يتلاءم تماما مع ما يتصف به رضي الله عنه من ايمان راسخ وزهد فى الدنيا ومحبة لاخوانه الصحابة رضي الله عنهم .

---

(١) فتح البارى ٧/٤٩٥ وقد أكد ذلك أيضا الامام أبو حامد المقدسي فى كتابه (رسالة فى الرد على الرافضة) ص/٢٧٩ - تحقيق عبد الوهاب خليل الرحمن .

(٢) وهم: عثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد ابن أبى وقاص ، وطلحة والزبير (راجع صحيح البخارى ٢/٢٩٩) .

(٣) راجع : العواصم من القواصم ص/٦٨ - ٦٩ .

(٤) نهج البلاغة ص/٢٣٣ .

— فماذا يقول الشيعة فى ذلك ؟

من الغريب حقا أن يفسر الشيعة بيعة علي رضى الله عنه للخلفاء الثلاثة ونصحه لهم بأنه كان تقية منه ، وأنه اضطر الى مبايعتهم لقلة أعوانه ، ولو وجد فئة لقاتلهم وأن بيعته لأبى بكر كانت بسبب التهديد والاكراه . .

وهذه بعض رواياتهم فى ذلك :

— روى ابن بابويه القمى بسنده عن الهيثم بن عبد الله قال : (سألت علي بن موسى الرضا - ع - فقلت له : يا ابن رسول الله أخبرني عن علي بن أبى طالب لمَ لمْ يجاهد أعداءه خمسا وعشرين سنة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاهد فى أيام ولايته ؟

فقال : لأنه اقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى تركه جهاد المشركين بمكة ثلاث عشرة سنة بعد النبوة وبالمدينة تسعة عشر شهراً ، وذلك لقلة أعوانه عليهم ، وكذلك علي - ع - ترك مجاهدة أعدائه لقلة أعوانه عليهم) (١)

- وروى أيضا عن ابن أبي عمر (عن بعض أصحابنا أنه سئل أبو عبد الله (ع) : ما بال أمير المؤمنين - ع - لم يقاتلهم ؟ قال : الذى سبق فى علم الله أن يكون ، وما كان له أن يقاتلهم وليس معه الا ثلاثة رهط من المؤمنين) (٢)

- وروى رواية أخرى طويلة مختصرها أن عليا سئل فى مسجد الكوفة : ما بال أمير المؤمنين - ع - لم ينازع الثلاثة ؟ فصعد المنبر واحتج على سكوته عن منازعة الثلاثة بأن له بسنة الانبياء أسوة . ومن بينهم موسى - ع - اذ قال : ففررت منكم لما خفتكم ، وقول هارون - ع - : يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني . (٣)

— وروى الكليني أن أبا جعفر قال : (إن الناس لما صنعوا ماصنعوا اذ بايعوا أبا بكر لم يمنع أمير المؤمنين- ع - من أن يدعو الى نفسه إلا نظراً للناس. . . ولذلك كتم علي - ع- أمره ، وبايع مكرهاً حيث لم يجد أعواناً) (٤)

(١ - ٣) علل الشرائع لابن بابويه ص/ ١٤٨ - ١٤٩

(٤) الروضة من الكافى ص/ ٢٩٥ - ٢٩٦

– وهناك قصص مطولة فى كتبهم تصف كيف تمت بيعة علي رضي الله عنه لأبى بكر رضى الله عنه بالاكراه والتهديد والوعيد ، وتصور الصحابة رضى الله عنهم وكأنهم وحوش فى غاية همهم البطش والارهاب ، ومفاد هذه القصص الوهمية أن أبا بكر وعمر أرسلا رجلاً فظاً غليظاً اسمه قنفذ ليقتحم بيت علي ويكرهه على البيعة . وأن هذا الرجل اقتحم مع بعض أصحابه البيت فبادر علي إلى سيفه ليأخذه فسبقوه اليه فتناول بعض سيوفهم فكثروا عليه وربطوه بحبل أسود فى عنقه ، وحالت فاطمة بين زوجها وبينهم فضربها قنفذ بالسوط على عضدها وكسر ضلعا من جنبها وألقت جنيناً من بطنها ، ثم انطلقوا بعلي حتى انتهوا به الى أبى بكر ، وعمر قائم بالسيف على رأسه وسائر الناس قعود حوله عليهم السلاح فقال له عمر : بايع . فقال : وان لم أفعل ؟ قال : اذاً نقتلك ذلاً وصغاراً .

وتذكر تلك القصص حواراً طويلاً دار بين علي والصحابة وأنهم هددوه وتوعدوه وحطوا الحطب ليحرقوا داره فنادى قبل أن يبايع : يا أبن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى ، ثم تناول يد أبى بكر فبايعه وأنهم فعلوا مثل ذلك مع الزبير وسلمان وأبي ذر والمقداد ، وينسبون الى سلمان أنه قال : ما من الأمة أحد بايع مكرها غير علي وأربعتنا .(١)

– كما روى ابن بابويه بسنده (عن زيد بن وهب أن أناسا أتوا عليا فقالوا : يا أمير المؤمنين ضيَّعتَ نفسك وتركت حقا أنت أولى به . .

فقال : لقد شاورت فى ذلك أهل بيتى فأبوا الا السكوت لما تعلمون من وغر صدور القوم . . وقد قهرونى وغلبونى على نفسي ولببوني (٢) وقالوا لى : بايع

---

(١) وردت هذه القصة وقصص أخرى مماثلة فى كتاب سليم بن قيس العامرى ص/ ٨٢-٩٣ وكذلك ص/ ٢٥٣ ويسمى هذا الكتاب عندهم أبجد الشيعة . كما وردت فى كتاب الاحتجاج لأبى منصور الطبرسى ١/ ١٠٨ - ١١٤ ، وذكر قريبا من ذلك ابن أبى الحديد فى شرحه على نهج البلاغة ٢/ ١٨ - ١٩

(٢) أى : أخذوا بتلابيبي وجرونى .

والا قتلناك فلم أجد حيلة الا أن أدفع القوم عن نفسي ..)[١]

ـ وهذا شيخ المحققين عندهم الملقب بالشيخ المفيد يُسأل عن سبب سكوت علي رضى الله عنه عن قتال أعدائه الذين غصبوا الخلافة فيجيب بأنه قعد عن جهاد أعدائه لقلة أعوانه وأنصاره ولأنه يعلم أن في المخالفين من يرجع عن الباطل الى الحق وأن في ظهورهم مؤمنين لا يجوز قتلهم وتضييع ما في أصلابهم.[٢] وينسب للامام الصادق قوله : (لما بايع الناس أبا بكر أتى بأمير المؤمنين ملببا ليبايع)[٣]

ويزعم اكثر من ذلك فيقول : (كانت امامة أمير المؤمنين بعد النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين سنة ، منها أربع وعشرون سنة وستة أشهر كان ممنوعاً من التصرف في أحكامها مستعملا للتقية والمداراة . ومنها خمس سنين وستة أشهر ممتحناً بجهاد المنافقين)[٤].

ـ وليس القدماء من علماء الشيعة هم القائلون بهذه الغرية فقط بل ان الكثيرين من المعاصرين رددوها في كتبهم وذكروا أن عليا بايع مكرهاً مقهوراً وأنهم أخرجوه كرها للبيعة.ومن أبرزهم عبد الحسين شرف الدين الذي قال : (إن عليا قعد في بيته ولم يبايع حتى أخرجوه كرها)[٥]

ومحمد رضا المظفر الذى قال : (إن عليا لم يبايع أبا بكر حتى ماتت فاطمة فبايع مقهوراً)[٦]

ومحمد حسين الزين الذى ذكر بعض الروايات في ذلك،[٧] أما علي فضل الله الحسني فانه يحاول أن يتملص من هذه الغرية وينفي ذلك عن الشيعة مدعيا أن عليا لم يسكت عن حقه خوفاً على نفسه .. ولكنه يناقض نفسه فيقول :

---

(١) الخصال لابن بابويه ص/ ٤٦١ - ٤٦٢ .

(٢) رسائل الشيخ المفيد ص/ ١٥ - ١٦ والافصاح في امامة علي بن أبي طالب عليه السلام للشيخ المفيد ص/ ١٧ .

(٣) الاختصاص للمفيد ص/ ١١ .

(٤) الارشاد للمفيد ص/ ١٢ .

(٥) المراجعات ص / ٢٦٢ .

(٦) السقيفة ص / ٦٢ .

(٧) الشيعة في التاريخ ص / ١٢٨ .

(فسكت عن حقه ، وهو مجبر على السكوت ، ولم ينبس ببنت شفة)[١]

بل ان محمد حسين المظفرى يصرح بأكثر من ذلك فيقول :

(ما كانت تقية الشيعة مبتدأة من عصر الصادق - ع - بل كانت من عهد أمير المؤمنين -ع- حتى انه كان قد استعمل التقية بنفسه فى اكثر أيامه ، إنك لتعلم أنه من بدء الخلافة كان يرى أن الخلافة له ، ويراها ثلة من الناس فيه ، ولكنه لما لم يجد أنصاراً وادع وصمت هو وأصحابه)[٢] .

- وهكذا يتبين أن بيعة علي رضى الله عنه فى نظر الشيعة لم تكن عن قناعة ورضى وانما كانت عن اكراه وقهر ، وأن بيعته لا تعنى عندهم تصحيحه وموافقته على خلافة من سبقه ، وانما تظاهر بها أمام الناس تقية لقلة أعوانه وعدم تمكنه من جهاد مخالفيه .

وتبطل بذلك دعاوى من حاول أن ينفى عن الشيعة هذه التهمة ، وزعم أن الشيعة يقولون بأن علياً بايع عن رضا وقناعة ولم تكن بيعته بالاكراه والقهر[٣] . فهذه رواياتهم وأقوال علمائهم تؤكد ثبوت هذا الانحراف عندهم وأنهم يستخدمون التقية لتفسير هذه البيعة لأنهم لو لم يفعلوا ذلك لتهدم أساس عقيدتهم .

مناقشة هذا الموقف من الشيعة :

سبق أن ذكرنا أن علياً رضي الله عنه لما أراد أن يبايع أبا بكر رضى الله عنه أرسل اليه أن ائتنا وأنه كلاً منهما ذكر فضل الآخر ومنزلته وأن المسلمين فرحوا ببيعة علي رضى الله عنه . ولكن الشيعة بموقفهم الشاذ ونسجهم للروايات الباطلة التى سبق ذكرها يحاولون تشويه صورة الصحابة الكرام بل وتشويه صورة علي رضى الله عنه

---

(١) فى ظلال الوحى ص/ ٥٨ .

(٢) الامام الصادق المظفرى ١/ ٩٢ .

(٣) ادعى ذلك محمد الحسين آل كاشف الغطاء فى كتابه (أصل الشيعة وأصولها) ص/ ١٠٨ ، وعلي فضل الله الحسني فى كتاب (فى ظلال الوحي) ص/ ١٠٢ - ١٠٣ وكذلك ص/ ١١١ .

حينما أبرزوه ملبّباً بالحبال وهو يساق الى البيعة سوقا ويكره عليها حتى يتظاهر بها دون رغبة أو رضى ، ويبايع تقية وخوفاً .

فيقال لهم : كيف يوصف علي بهذا وهو - كما تقولون - أعلم الصحابة وأشجعهم وأسبقهم الى الجهاد وأن الاسلام لم يقم الا بسيفه ،[١] وأنه فارس الاسلام وأسده ، وباني ركن الايمان وشيده ، ومفرق جموع الكفار وحاصد خضرائهم ، الى غير ذلك من صفات الثبات والنجدة والشجاعة والحماسة ،[٢] حتى قال بعضهم : (إن كل شجاع في الدنيا اليه ينتهي .. ولو تجسمت الشجاعة وتمثلت في شخص لكان ذلك الشخص هو أمير المؤمنين ، بل لو عرف قدماء اليونان لا تخذوه إلهاً للشجاعة في جملة آلهتهم التي عبدوها)[٣] !!

هذا الشجاع الموصوف بتلك الأوصاف في كتب الشيعة هو نفسه الذى تصفه كتبهم وهو يُساق إلى البيعة ذليلاً ملبّباً بالحمال فلا يمتنع وانما يتظاهر بالموافقة إيثاراً للسلامة .

قال الامام الملطي : (اذا قالوا ذلك - أي سكت عن المطالبة بالخلافة - تقية منه وخوفاً من القتل ، وهكذا يقولون .. يقال لهم : قد نقضتهم أصلكم ، إن الله تعالى أقام علياً رضى الله عنه ليظهر به الدين ، وكيف يكون ذلك كذلك ، وعلي كاتم دينه ، متقٍ على نفسه وعلى الأمة)[٤]

---

(١) راجع : الشيعة بين الحقائق والأوهام لمحسن الأمين ص / ١١٠ - ١١٢ .

(٢) راجع : كشف الغمة في معرفة الأئمة لأبى الحسن علي بن عيسى الأربلي (ت ٦٩٣ هـ) - طبع تبريز ١ / ١٧٨ - ١٧٩ .

(٣) عقائد الامامية الاثنى عشرية للزنجاني ص / ١٣٥ .

(٤) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للامام أبى الحسين محمد بن أحمد الملطي الشافعي (ت ٣٧٧ هـ) - ص / ٢٤ .

ويذكر الفخر الرازي السبب الذى جعل الشيعة ينسبون بيعة علي للتقية فيقول :

(ثم ان على هذا المذهب اعتراضاً وهو أن عليا رضى الله عنه وأولاده لو كانوا أئمة فلمَ لمْ يشتغلوا بالامامة وحاربوا الظلم لأجلها ؟ فعند هذا قررت الشيعة قاعدة أخرى وهو القول بجواز التقية)[1]

ولكنهم بهذه الطريقة لم يتخلصوا من التناقض اذ لو كان علي رضى الله عنه يعلم بأنه هو الخليفة المنصوص عليه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الخلفاء الثلاثة غاصبون كفرة لما جاز له أبدا أن يبايعهم ويكتم الحق تقية وهو الأسد الشجاع.

ان نسبة التقية لعلي رضى الله عنه يستلزم نسبة الذل والجبن له ، وحاشاه من ذلك ، بل يستلزم نسبة ذلك لجميع بني هاشم ، فان علياً رضى الله عنه كان في قوة بهم لو أراد الخلافة زمن الخلفاء الثلاثة قبله ، أو كان عنده نص ،[2] ولوجد من يقوم معه وينصره في ذلك لو كان عنده عهد من الرسول صلى الله عليه وسلم .

وكيف يجوز اتفاق اكثر من عشرين ألف انسان متنابذي الهمم والنيات والأنساب على طي عهد عهده رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم ؟[3]

إن من المحال اتفاق أهواء هذا العدد العظيم على ما يعرفون أنه باطل دون خوف يضطرهم الى ذلك ، وتسليم الأمر لرجل لا منعة له ولا حاجب ولا حرس على بابه ولا سطوة له ،[4] واذا كان الشيعة يرون أن الشورى التى عقدها عمر رضى الله عنه لاختيار الخليفة بعده هي شورى باطلة فكيف حلَّ لعلي أن يشارك بنفسه فيها ويغر الأمة هذا الغرور ؟[5]

ان هذا كله يرد مزاعم الشيعة وادعاءهم أن عليا رضى الله عنه هو الخليفة

---

(١) محصل آراء المتقدمين والمتأخرين للرازى ص/ ١٨١ .

(٢) رسالة فى كيفية المناظرة مع الشيعة — للشيخ أحمد زيني دحلان ص/٤٧ .

(٣) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٤/ ٩٦ .

(٤) المرجع السابق ٤/ ٩٨ .

(٥) المرجع السابق ٤/٩٦ .

المنصوص عليه وأنه سكت عن حقه تقية . ويثبت أن الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم على الحق وأن بيعتهم كانت باجماع الصحابة رضى الله عنهم وأن عليا رضى الله عنه لما تأخر عن بيعة أبى بكر رضى الله عنه كان ذلك بسبب كبوة عرضت له لكنه عاد الى الحق ، وشارك مع اخوانه الصحابة فى حمل أمانة هذا الدين وكان ينصح للخلفاء ويعاونهم ويواليهم حتى آلت الخلافة اليه وهو زاهد فيها معرض عنها .

ولنستعرض فى الفقرة التالية نماذج من تلك المحبة والنصرة وغير ذلك مما يدل على اعتراف علي رضى الله عنه بخلافة من سبقه . . ونرى موقف الشيعة منها :

ثانيا : ثناء علي رضي الله عنه على الخلفاء الثلاثة واعترافه بفضلهم وخلافتهم :

لقد صور الشيعة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصة الخلفاء الثلاثة بصورة سوداء قاتمة ووصفوهم بأنهم ماكرون مغتصبون للخلافة معتدون على حق علي متآمرون عليه ، كما وصفوهم بالنفاق والكفر والضلال والسعى لتهديم الاسلام . . الى غير ذلك من الأوصاف.وقد سبق أن تعرضنا لهذا الانحراف الخطير عند الشيعة ورأينا أنه ليس قاصراً على بعض أفرادهم وانما هو عام منتشر بين صفوف علمائهم وعامتهم (١) .

ولكن هذا الانحراف الذى كان يزداد جيلاً بعد جيل كانت تعترضه مسألة مهمة وهي : اذا كان علي رضى الله عنه - وهو الامام المعصوم الذى يدعي الشيعة استمداد عقيدتهم منه - يرى أن الخلفاء الثلاثة كفرة غاصبون فلماذا كان يثني عليهم ويصلي خلفهم وينصحهم ويتشاور معهم ويعترف بفضلهم وخلافتهم ؟

وهذا مما نصت عليه كتب السنة والشيعة فقد أورد البخارى روايات كثيرة فى ذلك أبرزها :

- ما رواه بسنده عن محمد بن الحنفية قال : (قلت لأبي : أى الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أبو بكر ، قلت : ثم من . قال : عمر . وخشيت أن يقول عثمان قلت : ثم أنت قال : ما أنا الا رجل من المسلمين) (٢)

---

(١) راجع تفصيل ذلك ص/ ٣٩٩ من هذا البحث .

(٢) صحيح البخاري باب فضل أبي بكر ٢/ ٢٩١ .

ـ وروى أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

(إني لواقف فى قوم فدَعَوا الله لعمر بن الخطاب وقد وضع على سريره ـ أى بعد موته ـ ، اذا رجل خلفي قد وضع مرفقه على منكبى يقول : رحمك الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك لأني كثيراً ما كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كنت وأبو بكر وعمر ، وفعلت وأبو بكر وعمر ، وانطلقت وأبو بكر وعمر ، فان كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما . فالتفت فاذا هو علي بن أبى طالب)[(١)]

وفى رواية أخرى للبخارى أن عليا (ترحَّم على عمر وقال : ما خلَّفتُ أحداً أحبَّ اليّ أن ألقى الله بمثل عمله منك)[(٢)]

ـ ولما حاصر الناس عثمان رضى الله عنه ومنعوه الماء . قال : ألا أحد يبلغ علياً فيسقينا الماء فبلغ ذلك علياً ، فبعث اليه بثلاث قُرب مملوءة ماء ، فما وصلت اليه حتى جرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية ، وبلغ علياً أن عثمان يُراد قتله فقال للحسن والحسين : اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل اليه ، ثم بعث بالحسن ومولاه قنبراً فلما رمى الناس عثمان بالسهام خضب الحسن بالدماء على بابه وشج قنبر مولى علي ولم يتمكن الناس من الدخول على عثمان من ذلك الباب الذى كان عليه الحسن ، وتسوروا عليه الجدار من خلفه ودخلوا عليه ، وقتلوه وهو يتلو القرآن)[(٣)]

ـ وتواتر عن أمير المؤمنين علي رضى الله عنه أنه كان يقول على منبر الكوفة :

(خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر)[(٤)] وقد رُوي هذا عنه من اكثر من

---

(١) البخارى ٢ / ٢٩٣ .

(٢) البخارى ٢ / ٢٩٤ ، ورواه الامام أحمد فى المسند ١/١١٢ .

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص / ١٥٩ - ١٦٠

ولقد شرع كثير من الصحابة فى الدفاع عن عثمان رضى الله عنه لكنه منعهم لئلا يراق بسببه محجم من دم ـ ، راجع تفصيل ذلك فى : العواصم من القواصم لابن العربى ص/ ١٣٨ - ١٤٣ ، وكتاب الامامة والرد على الرافضة لابى نعيم الأصبهانى ص / ٣٣١ - ٣٣٣ .

(٤) مسند الامام أحمد ١/١١٠ ، وقد أورد الامام أحمد روايات كثيرة فى ذلك (١/١١٠ - ١٢٦) .

ثمانين وجهاً .[١] ولذلك كان اتباع علي رضى الله عنه الصادقين فى محبته واتّباعه يفضّلون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما .

كما ورد عن شريك بن عبد الله أنه كان يفضل أبا بكر وعمر فقيل له :

(أنت من شيعة علي ، وأنت تفضل أبا بكر وعمر ؟ فقال : كل شيعة علي على هذا وهو يقول على أعواد هذا المنبر : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، أفكنا نكذبه ؟ والله ما كان كذاباً)[٢]

هذه النماذج القليلة تشهد بمحبة علي رضى الله عنه للخلفاء الثلاثة واعترافه بفضلهم وخلافتهم.وهناك روايات كثيرة أخرى وردت فى كتب أهل السنة تؤكد ذلك[٣] ، وتُظهر المحبة العظيمة المتبادلة بين علي رضى الله عنه والخلفاء الثلاثة ومعاضدته لهم فى أعباء الخلافة.ولقد كانوا رضى الله عنهم لا يستغنون عن رأى علي رضى الله عنه ومشاورته

لقد كان بامكان الشيعة أن ينكروا كل ذلك لو كان ثبوته قاصراً على كتب أهل السنة ولكنهم وجدوا أن ذلك مدوّن أيضا فى كتبهم على كثرة ما فيها من أباطيل ، وأن ذلك منقول بالتواتر جيلاً عن جيل لا يمكن طمسه واخفاء حقيقته .

فماذا يفعلون : لقد وجدوا فى التقية بغيتهم ، وهى عندهم المنفذ لكل غلو وانحراف فقالوا : إن عليا فعل كل ذلك تقية ،وان ثناءه على الخلفاء الثلاثة وصلاته خلفهم لا يعني اعترافه بخلافتهم وايمانهم وانما هو تظاهر منه واستجلاب لقلوبهم . ولنستعرض أولا بعض النصوص من كتب الشيعة ـ وخاصة نهج البلاغة الذى ينسبونه للامام علي رضى الله عنه ـ لنرى منها ثناء علي على الخلفاء الثلاثة ومحبته لهم

---

(١) راجع رسالة : حملة الاسلام الأولون / لمحب الدين الخطيب ـ ملحقة بمختصر التحفة ص / ٣١٠ .

(٢) كتاب النبوات لابن تيمية ـ ص / ١٣٢ ، وراجع : منهاج السنة ١ / ٨ الطبعة المحققة .

(٣) راجع : جامع الأصول ٨/٥٧٢ ، ٥٨٠ ، مجمع الزوائد ٥/١٧٨ - ١٨٩ .

وتشاوره معهم ثم نرى بعد ذلك تعليق الشيعة على هذه النصوص :

ـ فها هو يقول فى مدح عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

(لله بلاء(١) فلان فقد قوَّم الأود(٢) وداوى العمد(٣) ، خلَّف الفتنة وأقام السنة ، ذهب نقي الثوب قليل العيب ، أصاب خيرها وسبق شرها ، أدى الى الله طاعته واتقاه بحقه ، رحل وتركهم فى طرق متشعبة لا يهتدي فيها الضال ولا يستيقن المهتدي)(٤)

ويصرح ابن ميثم البحراني في شرحه على نهج البلاغة أن المراد بفلان عمر وقد يكون المقصود به أبو بكر ، ثم يتساءل فيقول :

(إن هذه النماذج التى ذكرها عليه السلام فى حق أحد الرجلين تنافى ما أجمعنا عليه من تخطئتهم وأخذهما لمنصب الخلافة ، فأما أن يكون هذا الكلام من كلامه عليه السلام ، أو يكون اجماعنا خطأ)(٥) وأجاب عن ذلك :(بأن هذا المدح على وجه استصلاح من يعتقد صحة خلافة الشيخين واستجلاب قلوبهم بمثل هذا الكلام ، أو أنه ذكره فى معرض توبيخ عثمان بوقوع الفتنة فى خلافته)(٦)

كما ذكر ابن أبي الحديد تفسير الامامية لهذا الموقف من علي رضى الله عنه فقال : (أما الامامية فيقولون ان ذلك من التقية واستصلاح أصحابه)(٧)

ونتساءل فنقول : أى ضرورة تلجئ علياً رضي الله عنه أن يمدح الشيخين إذا كان يعتقد بكفرهما وغصبهما لحقه ؟

---

(١) هكذا وردت فى نهج البلاغة بشرح محمد عبده ص/ ٤٩٨ ، وقد أوردها البحراني فى شرحه (٩٧/٤) بلفظ : (لله بلاد فلان) بالدال ، وقال إن هذا لفظ يقال فى معرض المدح كقولهم لله دره . (وراجع شرح ابن أبى الحديد ٩٢/٣) .

(٢) كناية عن تقويمه لاعوجاج الخلق عن طريق الاستقامة .

(٣) استعار لفظ العمد لأمراض القلوب ، ومداواتها : ارشادها بالمواعظ والزواجر.

(٤) نهج البلاغة . بشرح محمد عبده ص / ٤٩٨ .

(٥) شرح نهج البلاغة لكمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩ هـ) طبع طهران - ١٣٧٨ هـ ، ٩٧/٤ - ٩٨ .

(٦) المرجع السابق ص / ٩٨ .

(٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ / ٩٢ .

وهل هناك أعظم من هذا الاعتراف منه بأن عمراً - أو أبا بكر - أقام السنة وذهب نقي الثوب قليل العيب ، وأنه أدى الى الله طاعته ؟. فهذا غاية ما يكون من المدح .

وكيف نسب الشيعة للامام علي رضى الله عنه الكذب فى المدح لاستجلاب قلوب الناس من أجل غرض مظنون الحصول ؟

وأى ضرورة تلجئه الى كل هذه التأكيدات والمبالغات لو كان يعتقد كفرهما ؟ فقد كان يكفيه أن يقول : لله بلاء فلان قد جاهد الكفار والمرتدين ووضع الجزية وبنى المساجد .. الى غير ذلك من الأعمال ولكن علياً لم يكتف بوصف أعمالهما وانما وصف ايمانهما وتقاهما واخلاصهما لله عز وجل .

والامام علي رضى الله عنه - وهو المعصوم عند الشيعة - كان ينبغي عليه أن يذكر الفاجر بما فيه حتى يحذره الناس لا أن يمدحه ويكون سبباً فى تضليل الأمة وترويج الباطل !

والاحتمال الثانى الذى ذكره الشيعة فى أن المقصود بالمدح توبيخ عثمان .. هذا الاحتمال أضعف من سابقه .

اذ أن التوبيخ يحصل بدون هذه الكذبات فما الحاجة اليها ؟

ثم إن سيرة الشيخين ان كانت محمودة فقد ثبت فضلهما وامامتهما ، وان كانت غير ذلك فالتوبيخ على عثمان بتركها لا ينبغى .(١)

وهكذا يستبين الحق ويظهر أن عليا رضى الله عنه لم يقصد بثنائه على الشيخين التظاهر والتقية وانما كان يعرب عما فى نفسه من حب لهما واعتراف بفضلهما ومنزلتهما .

وليس النص السابق هو الوحيد الذي ورد عند الشيعة فى هذا المقام بل ان هناك نصوصا كثيرة أخرى تؤكد محبة علي رضى الله عنه للخلفاء الثلاثة :

- منها جوابه لعمر رضى الله عنه الذى استشاره فى الذهاب مع جيش المسلمين لقتال الفرس بنفسه فأشار عليه بعدم الذهاب وقال له :

---

(١) راجع : مختصر التحفة الاثنى عشرية ص/ ١٣٣ ، وقد اقتبست معظم هذه الردود منه .

(ان هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة ... ومكان القيِّم بالأمر مكانُ النظام من الخرز يجمعه ويضمّه[١] ، فان انقطع النظام تفرق وذهب ، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً والعرب اليوم وان كانوا قليلاً فهم كثيرون بالاسلام عزيزون بالاجتماع فكن قطباً واستدر الرحى بالعرب[٢] ، وأصلهم دونك نار الحرب ، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها .. إن الأعاجم إن ينظروا اليك غداً يقولوا هذا أصل العرب فاذا قطعتموه استرحتم ..)[٣]

وهذا النص صريح فى إبراز المحبة المتبادلة بين عمر وعلي رضى الله عنهما ، وحرص كل منهما على ما فيه مصلحة الاسلام ونصرة المسلمين .

فقد أشار علي على عمر بعدم الخروج بنفسه للقتال لأن المسلمين اذا انقهروا كان عمر مرجعا لهم وسندا يقوي ظهورهم ، ولو خرج بنفسه للقتال فان الأعاجم يطمعون فى قتله لأنه الرجل الذى اقضّ مضجعهم وسيّر الجيوش إليهم .

نتساءل هنا فنقول : هل يُعد هذا النصح من علي رضى الله عنه تقية وتظاهراً ؟ إن عليا لا يكتفي بنصح عمر فقط وانما يصفه بأنه القيِّم بالأمر وهذا اعتراف بخلافته ويخشى لو ذهب أن ينفرط عقد المسلمين ، ويأمره أن يكون قطباً للناس يجتمعون حوله، ويبرز مكانته عند المسلمين وسطوته فى قلوب الأعداء .

فهل هناك أكبر من هذا المدح والثناء ؟

ـ وكما استشار عمر عليا فى الخروج الى قتال الفرس فقد استشاره أيضا فى الخروج الى غزو الروم بنفسه فأشار عليه بعدم الخروج حماية لحوزة الدين من تغلب الأعداء[٤] .

---

(١) القيم بالأمر هو القائم به ، وهو الخليفة . والنظام : السلك ينظم فيه الخرز.

(٢) قطباً : أى مرجعاً للعرب تؤول اليه وتدور عليه .

(٣) نهج البلاغة بشرح محمد عبده ص/ ٣١٦ ، وراجع : شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ٤/١٩٤ - ١٩٧ ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ / ٤٠٥ - ٤٠٧ .

(٤) راجع : نهج البلاغة بشرح محمد عبده ص/ ٣٠٤ .

ولو كان علي يرى أنه أحق بالخلافة وأن عمراً قد اغتصبها واستبد بها لكان ذلك فرصة سانحة له أن يستعيد حقه بعد أن يخرج عمر لقتال الفرس أو الروم ، ولكنه أشار عليه بالبقاء إدراكاً لمنزلته بين المسلمين وأهمية وجوده باعتباره خليفة لهم ..

وهذا كله ينفي مزاعم الشيعة .

— وعلي رضى الله عنه كان يحضر الجماعات مقتدياً خلف أبى بكر وعمر وعثمان ، وخلف غيرهم ، وكان يقصدبها وجه الله فقط ، ولم يكن يصلي الا تقرباً وتقوى وأداء . ولم يكن لمثله أن يتقي بعباداته أحداً غير الله ، وحملها على التقية طعن في دين علي أمير المؤمنين وفضله.(١) ولوكان يعلم أنهم كفار منافقون لما صلى خلفهم ، ولكان من الواجب عليه أن يُظهر كفرهم للناس ليبرئ ذمته أمام الله .

— ومن شدة محبة علي لاخوانه الخلفاء الثلاثة رضى الله عنهم فقد سمى أولاده بأسمائهم كما أقرت بذلك كتب الشيعة فلقد كان له سبعة وعشرون ولداً ذكراً وانثى ومن بينهم الحسن والحسين ومحمد وأبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم .(٢)

فهل أكرهه أحد على تسمية أولاده بذلك ؟

أم أن هذا يدل على عظيم محبته لاخوانه الخلفاء ، والمرء يختار لولده اسماً يحبه ليتذكره به .

— وهناك عشرات القضايا التى استشار فيها الخلفاء الثلاثة علياً رضى الله عنهم أجمعين فى بعض الأحكام كالقتل والزنى والارث والزواج وغير ذلك ، وقد كان الخلفاء الثلاثة فى كثير من الأحيان يسارعون الى علي لاستشارته فى بعض القضايا

---

(١) الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة لموسى جار الله ص/ ٢٩ .

(٢) راجع كتاب : الارشاد للشيخ المفيد (ت ٤١٣) ص/ ١٨٦ ، وكتاب : إعلام الورى بأعلام الهدى لأبي علي الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) ص/ ٢٠٣ ، وكشف الغمة فى معرفة الائمة لأبى الحسن علي بن عيسى الاربلى (ت ٦٩٣هـ) ١/ ٤٤٠ - ٤٤١ .

مما يرفع اليهم من الخصومات (١) ولم يكن رضى الله عنه يبخل بما آتاه الله من علم بل كان يشاركهم فى بيان أحكام هذه القضايا ويدلى برأيه فيها . وهذا كله اعتراف بخلافتهم ومشاركة منه فى أعبائها .

— ثم إن علياً رضى الله عنه تسرَّى بأم محمد بن الحنفية (٢) التى جاءته من الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه مع أنه كان يستطيع أن يبيعها ولا يجبر على التسري بها ، فاذا كان لا يقبل حكمهم وخلافتهم فالتسري بها زنى ، فكيف يفعله علي رضى الله عنه ؟

— ثم لما تولى علي رضى الله عنه الخلافة لم يغير حكما من أحكام أبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ولا أبطل عهدا من عهودهم ، ولو كان ذلك عنده باطلاً لما كان فى سعة من أن يمضي الباطل وينفذه وقد ارتفعت التقية عنه (٣) .

— كل ما سبق جعل أحد علماء الشيعة المعاصرين (٤) يقول :

(إن عليا بايع أبا بكر بعد ستة أشهر من وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، وصلى خلفه ، وصلى خلف عمر وسدَّده فى كثير من شبهه وأخطائه ، حتى قال : لولا علي لهلك عمر ، وصلى خلف عثمان ..)

ثم قال متسائلا : (واذا كانوا مستحقين للسب واللعن ، فكيف يبايعهم علي ويصلى خلفهم ويسددهم ؟ هذه هى الحيرة ، وهذه هى الرزية)

---

(١) ذكر المفيد فى كتابه الارشاد أمثلة كثيرة لذلك استغرقت عدة صفحات من كتابه . راجع ص / ١٠٧ - ١١٣ .

(٢) اسمها خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية ، كما ذكر ذلك الطبرسي فى إعلام الورى ص / ٢٠٣ .

(٣) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٤ / ٩٧ .

(٤) هو محمد مهدي الخالصي (ت ١٣٤٤ هـ) أحد علماء النجف ، وقد ذكر كلامه هذا فى رسالة أرسلها الى العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار يدافع فيها عن عقائد الشيعة ، فألَّف الشيخ محمد بهجة البيطار كتابه (الاسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة) رداً عليه .

ثم أجاب بأن (علماء الشيعة المتبعين لأهل البيت ، الواقفين على السنة من طرقهم ، اختاروا التوقف في هذه المسألة ، وأنا من المتوقفين لا أمدح أبا بكر وعمر والصحابة وأخرج عن مدلول كتاب الله ، ولا أذمهم هيبة لهم واحتراما ، بل أسكت جبنا وفرقا)[1]

والعجب من هذا التناقض ، إذ كيف يجعل هذا الرافضي هيبة الصحابة أعظم من كتاب الله ؟ وأين هو هذا الذي يزعم أنه كتاب الله وفيه ذم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ؟!

إن هذا العالم الشيعي اتضح له الحق ، وعلم في قرارة نفسه أن المواقف الصادقة التي وقفها علي رضى الله عنه من الخلفاء الثلاثة تدل على محبته لهم واعترافه بفضلهم وخلافتهم .

لكنه خاف جبناً وفرقاً - كما يقول - من أن يعلن ما استقر في نفسه فاختار التوقف ايثاراً للسلامة ، وما أعظم جرم من يكتم الحق وهو يعلمه !

ثالثا : تزويج علي ابنته أم كلثوم لعمر رضى الله عنهم :

من أبرز مظاهر محبة علي لعمر رضي الله عنه أنه زوّجه ابنته أم كلثوم لتزداد أواصر الأخوة بينهما ، كما أن عمراً رضى الله عنه حرص على هذا الزواج للتقرب من علي رضى الله عنه وليكون صهراً لآل النبي صلى الله عليه وسلم .

لكن الشيعة قلبوا ذلك المفهوم وجاؤوا بالتقية التي هي منفذهم في كل غلو ليفسروا بها هذا الزواج الطيب المبارك .

وأول ما يلفت الانظار رواية الكليني في تفسير هذا الزواج فقد أورد بسنده (عن زرارة عن أبي عبد الله - ع - في تزويج أم كلثوم فقال : (إن ذلك فرج غُصبناه)

وأورد رواية أخرى (عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله - ع - قال : لما خطب اليه قال له أمير المؤمنين : انها صبيّة ، قال : فلقي العباس فقال له : ما لي أبي بأس ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : خطبت الى ابن أخيك فردّني ، أما

---

(١) الاسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة ص / ١٢ - ١٣ .

(٢) الفروع من الكافي ٥ / ٣٤٦ .

والله لأعوّرنّ زمزم ، ولا أدع لكم مكرمة الا هدمتها ولا أقيمن عليه شاهدين بأنه سرق ولأقطّعن يمينه.فأتاه العباس فأخبره وسأله أن يجعل الأمر اليه فجعله اليه) (١)

ـ وعقد الحر العاملى فى وسائل الشيعة باباً فى هذا بعنوان :(باب جواز مناكحة الناصب عند الضرورة والتقية) أورد فيه رواية الكافى السابقة.كما أورد تزويج الرسول صلى الله عليه وسلم ابنتيه لعثمان رضى الله عنه تحت عنوان :(باب حكم تزويج المنافقة على المؤمنة وبالعكس ، وتزويج المنافق)

وذكر فيه رواية عن محمد بن قيس الأسدى :

(قال أبو جعفر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم زوّج منافقَيْن أبا العاص بن الربيع ، وسكت عن الآخر) (٢)

ويقصد بالآخر عثمان بن عفان رضى الله عنه .

ـ وهذا شيخهم المفيد يجيب على سؤال حول تزويج أمير المؤمنين بنته من عمر ابن الخطاب وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم بنتيه زينب ورقية من عثمان ،

فيحاول أولا انكار زواج أم كلثوم متعللاً باختلاف الروايات ثم يقول :

(إنه لو صح لكان له وجهان لا ينافيان مذهب الشيعة فى ضلال المتقدمين على أمير المؤمنين ـ ع ـ أحدهما : أن النكاح انما هو على ظاهر الاسلام الذى هو الشهادتان والصلاة الى الكعبة ....

وأن الضرورة متى قادت الى مناكحة الضال مع اظهاره كلمة الاسلام زالت الكراهة من ذلك .. وأمير المؤمنين كان محتاجا الى التأليف وحقن الدماء ..

والثانى : أن مناكحة هذا الضال كجحد الامامة وادعائها لمن لا يستحقها حرام، الا أن يخاف الانسان على دينه ودمه فيجوز له ذلك كما يجوز له اظهار كلمة الكفر المضادة لكلمة الايمان ... وأمير المؤمنين كان مضطرا الى مناكحة الرجل لأنه يهدده ويواعده) (٣)

---

(١) المرجع السابق ٥ / ٣٤٦

(٢) وسائل الشيعة ٧ / ٤٣٣ - ٤٣٤

(٣) رسائل الشيخ المفيد ص/ ٦٠ - ٦٢

أما زواج عثمان رضى الله عنه بابنتى الرسول صلى الله عليه وسلم فيدعي هـذا الشيعى أن الرسول صلى الله عليه وسلم زوج عثمان على ظاهر الاسلام ثم انه تغير بعد ذلك ، أو أن الله أباح له مناكحة مَنْ باطنه النفاق وجعل ذلك خصوصية له كما خصه بأن يجمع بين أكثر من أربع حرائر فى النكاح .(١)

ـ وبعد المفيد نجد الطبرسي يؤكد هذه الفرية فيقول :

(وأما أم كلثوم فهى التى تزوجها عمر بن الخطاب . وقال أصحابنا : انه عليه السلام انما زوجها منه بعد مدافعة كثيرة وامتناع شديد واعتلال عليه بشيئ بعد شئ حتى الجأته الضرورة الى أن رد أمرها الى العباس بن عبد المطلب فزوجها اياه)(٢)

ـ ثم يأتى نعمة الله الجزائري ليزيد فى صياغة الافتراءات حول هذا الموضوع وليظهر منه الحقد الشديد على الخليفة الراشد وأمير المؤمنين عمر رضى الله عنه .

حيث يقول (الاشكال فى تزويج علي ـ ع ـ أم كلثوم لعمر بن الخطاب وقت تخلفه لأنه قد ظهرت منه المناكير ، وارتد عن الدين ارتدادا أعظم من كل من ارتد)(٣)

ويجيب عن ذلك بوجهين :

(أحدهما : أنه قد استفاض عن الصادق لما سئل عن هذه المناكحة فقال انه أول فرج غصبناه وأن الخلافة كانت أعز على أمير المؤمنين من الأولاد والبنات . . فاذا قبلنا منه العذر فى تركها كان معذورا فى ذلك أيضا . والتقية باب فتحه الله سبحانه للعباد وأمرهم بارتكابه وألزمهم به كما أوجب عليهم الصلاة والصيام حتى أنه ورد عن الأئمة الطاهرين ـ ع ـ لا دين لمن لا تقية له .

الثاني : وهو الوجه الخاصيّ . . أن علياً لما رأى تهديد عمر وإلحاح العباس أرسل إلى جنيّة من أهل نجران يهودية يقال لها سحيقة بنت حريريّة فأمرها فتمثلت فى مثال أم كلثوم وحجبت الأبصار عن أم كلثوم بها ، وبعث بها الى الرجل فلم تزل عنده

---

(١) المرجع السابق ص / ٦٣

(٢) اعلام الورى بأعلام الهدى لأبى علي الطبرسى ص / ٢٠٤

(٣) الأنوار النعمانية ١ / ٨١

حتى انه استراب بها يوما .. ثم أراد أن يظهر للناس فقُتل ، فأخذت الميراث وانصرفت الى نجران ، وأظهر أمير المؤمنين - ع - أم كلثوم . أقول : وعلى هذا فحديث : أول فرج غصبناه ، محمول على التقية والاتقاء من عوام الشيعة كما لا يخفى)[1]

- ونتساءل الآن :

هل يظن الشيعة أنهم بكل هذه الافتراءات والأكاذيب يستطيعون أن يغيّروا من الحقائق شيئا ؟

وهل هناك أكبر من هذا الطعن والافتراء والاهانة للامام علي رضى الله عنه حتى يصفوه وقد سلَّم ابنته ذليلة لعدوه اتقاء شره وخوفا من بطشه ؟

وأين شجاعته وشكيمته وسيفه الذى لا يُغلب وقوله الذي نسبوه اليه بأنه الجبل الذى لا تحركه القواصف ولا تزيله العواصف .[2]

ولنستمع الى المناقشة التى دارت بين الشيخ عبد الله السويدي[3] وعلماء الشيعة فى عهد السلطان نادر شاه فى سنة/ ١١٥٦ هـ ، فى المؤتمر المسمى بمؤتمر النجف:

فقد سأل الشيخ السويدي أحدهم : كيف حكم الصحابة عند الشيعة ؟

فقال : ارتدوا الا خمسة : علياً والمقداد وأبا ذر وسلمان الفارسى وعمار بن ياسر . حيث لم يبايعوا عليا على الخلافة .

فقال الشيخ : إن كان الأمر كذلك ، فكيف زوَّج علي بنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب؟

فقال : إنه مُكره .

فقال الشيخ : والله انكم اعتقدتم فى علي منقصة لا يرضى بها أدنى العرب ، فضلا

---

(١) المرجع السابق ١ / ٨٢ - ٨٤ .

(٢) ورد هذا الكلام منسوباً للامام علي فى نهج البلاغة ص/ ١٤٢ ، وقد سبق ذكر بعض أوصاف الشجاعة التى يصف بها الشيعة علياً رضى الله عنه فى بداية هذا المبحث . راجع ص/٥٢٥

(٣) هو أبو البركات عبد الله بن حسين بن مرعى بن ناصر الدين البغدادى السويدى . ولد سنة ١١٠٤هـ فى كرخ بغداد ،وتوفى والده وهو طفل فكفله عمه لأمه (الشيخ أحمد سويد) وتعلم واشتهر ،ورحل الى بلاد الشام والحجاز وعاد الى بغداد فتوفى فيها سنة ١١٧٤هـ . (راجع : المسك الأذفر فى نشر مزايا القرن الثانى عشر والثالث عشر للألوسى ص/ ١٢٥ — ١٣١ الأعلام للزركلى ٤ / ٨٠)

عن بني هاشم الذين هم سادات العرب .. وأعظمها مروءة وحمية ، وان أدنى العرب يبذل نفسه دون عرضه ، ويقتل دون حرمه ، ولا تعز نفسه على حرمه وأهله ، فكيف تثبتون لعلي - وهو الشجاع الصنديد ، ليث بني غالب ، أسد الله في المشارق والمغارب - مثل هذه المنقصة التي لا يرضى بها أجلاف العرب ؟ بل كم رأينا من قاتل دون عياله فقتل .

قال : يحتمل أن تكون زفت لعمر جنيّة تصورت بصورة أم كلثوم !

قال الشيخ : هذا أشنع من الأول ، فكيف يعقل مثل هذا ؟!

ولو فتحنا هذا الباب ، لانسدت جميع أبواب الشريعة حتى لو أن الرجل جاء الى زوجته لاحتمل أن تقول : أنت جني تصورت بصورة زوجي ، فتمنعه من الاتيان اليها فان أتى بشاهدين عدلين على أنه فلان ، لاحتمل أن يقال فيهما انهما جنيان .. وهلم جرا .. بل ويحتمل أن يكون جعفر الصادق - الذى تزعمون أن عبادتكم موافقة لمذهبه - جنيا تصور بصورته ، وألقى اليكم هذه الأحكام .. (١)

وهكذا يظهر بطلان افتراءات الرافضة ، وشناعة أقوالهم ، ولقد كان من المفروض أن يترك هؤلاء الحقائق تنطق بنفسها ، وتظهر محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لعثمان ذى النورين حتى زوّجه ابنتيه ، ومحبة علي رضى الله عنه لعمر الفاروق حتى زوّجه ابنته .

ولكنهم يأبون ذلك، وقد امتلأت قلوبهم بالغل على هؤلاء الصحابة الكرام فحاولوا تلمس الميررات الوهمية لزواج عثمان وهم أول من يعلم بطلانها اذ كيف يختار الرسول صلى الله عليه وسلم لابنته زوجاً منافقا ليكون شريك حياتها ومصدر سعادتها ثم يزوجه بعد موتها ابنته الأخرى ؟

وهل يعقل أن يفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ثم يجعلون هذا العمل السيء خصوصية له تميّز بها عن غيره ! سبحانك يارب هذا بهتان عظيم !

---

(١) مؤتمر النجف للسويدى ص / ٨٦ - ٨٧ ، ملحق بكتاب الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب .

ـ أما زواج أم كلثوم فالتلفيق فيه أضعف ، ولعل أطرف شيء قصة الجنية التي تعاون معها علي رض الله عنه وهي يهودية كافرة لتتشبه بابنته الصالحة وتكون زوجة لعمر بن الخطاب !! ومن الذى أخبرهم بذلك ؟

ـ ثم ان هذا الزواج ليس هو الوحيد فى تاريخ أهل بيت النبوة ، بل ان عشرات مثله حصلت ، وكلها شاهدة على إبطال مزاعم الشيعة ورد افتراءاتهم .

ولنذكر باختصار أبرز حالات الزواج لهذه الأسرة الكريمة لنرى منها عظيم محبتهم للخلفاء الراشدين وحرصهم على التسمية بأسمائهم وعظيم تقديرهم لمن تدّعي الشيعة أنهم أعداؤهم ، فلقد ذكرنا أن عليا رض الله عنه سمى بعض أبنائه بأسماء الخلفاء أبى بكر وعمر وعثمان رض الله عنهم ، ونضيف هنا أن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب سمى أحد ابنيه باسم (أبى بكر) وسمى ابنا آخر له باسم (معاوية) ، ومعاوية هذا سمى أحد بنيه باسم (يزيد) .

والحسن السبط بن علي رض الله عنهما سمى أحد بنيه (أبا بكر) وآخر باسم (عمر) وثالثا باسم (طلحة) .

وزين العابدين علي بن الحسين سمى أحد أولاده باسم (عمر)

وسكينة بنت الحسين السبط كانت زوجاً لزيد بن عمر بن عثمان بن عفان

واختها فاطمة بنت الحسين كانت زوجاً لعبد الله الاكبر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وأم أبيها بنت عبد الله بن جعفر بن أبى طالب كانت زوجة لأمير المؤمنين عبد الملك ابن مروان، وأم كلثوم بنت جعفر كانت زوجة للحجاج بن يوسف ، وتزوجها بعد ذلك أبان بن عثمان بن عفان .

والسيدة نفيسة بنت حسن بن زيد بن الحسن السبط كانت زوجة لأمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، الى غير ذلك مما يضيق المجال عن حصره . (١)

---

(١) راجع رسالة : حطة رسالة الاسلام الأولون ، وما كانوا عليه من المحبة والتعاون ـ لمحب الدين الخطيب ملحقة بكتاب مختصر التحفة الاثنى عشرية ص / ٣٠٩ - ٣١٠ ، وقد ذكر زين الدين العاملى الذى يلقبه الشيعة =

فهل كانت حالات الزواج السابقة تقية ومداراة أم أنها كانت بنساء من الجان تشبهن بنساء من آل البيت كما ادعى الجزائري في أم كلثوم ؟

أليست كل الأمثلة السابقة دليلاً وافيا على عظيم المحبة المتبادلة بين هؤلاء الأقارب المتلاحمين المتراحمين الذين يتخيرون مثل هذه الأمهات لأنسالهم ، ومثل هذه الأسماء لفلذات أكبادهم ؟ وهل يبقى بعد ذلك شك في بطلان افتراءات الشيعة ، وتهافت تقيتهم المزعومة التي هي منفذ كل غلو وانحراف عندهم .

ورحم الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب حيث يقول معلقا على هذا الغلو عند الشيعة :

(بنوا على هذه التقية المشئومة كتم علي نص خلافته ومبايعة الخلفاء الثلاثة ، وعدم تخليصه حق فاطمة رضى الله عنها من ارثها على زعمهم ، وعدم التعرض لعمر حين اغتصب بنته من فاطمة وغير ذلك ، قالوا : فعل ذلك تقية ، قبحهم الله ، وقد وردت نصوص كثيرة عن علي وأهل بيته دالة على براءتهم عنها ، وانما افتراها عليهم الرافضة لترويج مذهبهم الباطل) (١)

= بالشهيد الثاني في كتابه (مسالك الأفهام) الجزء الأول - كتاب النكاح ، ذكر كثيرا من حالات الزواج التي ذكرها محب الدين وأشرنا اليها هنا
راجع : الشيعة والسنة لظهير ص / ١٩٥ .

(١) رسالة في الرد على الرافضة لابن عبد الوهاب ص / ٢١ .

المبحث الثالث

تنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه

استشهد علي رضى الله عنه وتولى بعده الخلافة ابنه الحسن رضى الله عنه بمبايعة أهل الكوفة فأقام بها ستة أشهر وأياما (١) ثم صالح معاوية وتنازل له عن الخلافة وحقنت بذلك دماء المسلمين. ويروي البخاري قصة هذا الصلح عن الامام الحسن البصري. قال :

(استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال . فقال عمرو ابن العاص : إني لأرى كتائب لا تُولّي حتى تَقتُل أقرانَها . فقال له معاوية : أى عمرو انْ قَتل هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس ، من لى بنسائهم ، من لى بضيعتهم . فبعث اليه رجلين من قريش ، . فقال : اذهبا الى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا اليه ، فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالا له فطلبا اليه ، فقال لهما الحسن بن علي : إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال وان هذه الأمة قد عاثت فى دمائها .

قالا : فانه يعرض عليك كذا وكذا ، ويطلب اليك ، ويسألك .

قال : فمن لى بهذا ؟

قالا : نحن لك به . فما سألهما شيئا الا قالا : نحن لك به . فصالحه .

فقال الحسن (البصري) : ولقد سمعت أبا بكرة يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ، والحسن بن علي الى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول : ان ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) (٢)

---

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي ص / ٢٠٨

(٢) صحيح البخارى - كتاب الصلح ، ٢/١١٤ ، وأورد البخاري فى فضائل الحسن ٢/٣٠٦ حديث (ان ابنى هذا سيد ..) .

وهكذا تحققت بشارة الرسول صلى الله عليه وسلم واجتمع المسلمون بعد الفرقة وكان ذلك فى ربيع الأول/سنة احدى وأربعين، وسمي ذلك العام (عام الجماعة) (١)

وكتب الحسن الى معاوية بكتاب الصلح ، ونص له فيه بأنه سلّم اليه ولاية المسلمين على أن يعمل فيها بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين . (٢)

كما خطب الناس ليعلمهم أنه قد بايع معاوية وسلّم اليه الأمر حقناً لدماء المسلمين . (٣)

ولا شك أن هذا العمل الذى قام به الحسن رضى الله عنه يعد من أفضل الأعمال ولذلك استحق بشارة الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله :(ان ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين).قال الامام ابن تيمية رحمه الله : (هذا يبين أن الاصلاح بين الطائفتين كان مدوحاً يحبه الله ورسوله ، وأن ما فعله الحسن من ذلك كان من أعظم فضائله ومناقبه التي اثنى بها عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، ولو كان القتال واجباً أو مستحباً لم يثن النبي صلى الله عليه وسلم بترك واجب أو مستحب) (٤)

وهكذا نزل الحسن باختياره ورضاه عن الخلافة مع كثرة أتباعه وأعوانه ، (٥) ومع غلبة الظن بأنه لو حارب معاوية لغلبه ، فلم يكن لنزوله سبب الا خشيته رضي الله عنه على دماء المسلمين فقد علم أن الفئتين متكافئتان فلا يقع ظفر واحدة الا بعد فناء معظم الأخرى ، والترك لأجل ذلك من أعظم مناقبه رضى الله عنه ، ولذلك أثنى عليه جده صلى الله عليه وسلم على المنبر على رؤوس الأشهاد إعلاماً لهم بما سيقع

---

(١) راجع : تعليق محب الدين الخطيب على العواصم لابن العربى ص/ ٢٠٨
وراجع : تفصيل حادث الصلح فى كتاب البداية والنهاية لابن كثير ٨/ ١٤-١٩

(٢) (٣) راجع نص كتاب الصلح ونص خطبة الحق فى : الصواعق المحرقة لابن حجر ص/ ٢٠٩ .

(٤) منهاج السنة ٢/ ٢٤٢ .

(٥) ذكر ابن كثير فى البداية والنهاية ٨/ ١٤ أنه كان تحت يد الحسن أربعون ألف مقاتل قد بايعوا على الموت .

منه لئلا يظن الجاهل أن الحامل له على ذلك الصلح جبن أو نحوه.(١)

فماذا يقول الشيعة فى ذلك ؟

لقد ثارت ثائرة بعض المتسترين بالتشيع وموالاة أهل البيت فى جيش الحسن رضى الله عنه ونقموا عليه (وقالوا له : مسوِّد وجوه المؤمنين ، وفسَّقته جماعة من الرافضة وكفَّرته طائفة لأجل ذلك)(٢)

(كما أن بعضهم قال له : يا عار المؤمنين . فكان يقول : العار خير من النار ، وقال له رجل : السلام عليك يا مذل المؤمنين ، فقال : لست بمذل المؤمنين ، ولكنى كرهت أن أقتلكم على الملك)(٣)

ويذكر سعد بن عبد الله القمى (ت ٣٠١ هـ) - وهو من أبرز علماء الشيعة في الفرق - (أنه لما وادع الحسن بن علي معاوية وأخذ منه المال الذى بعث به اليه على الصلح أزْروا - أي بعض الشيعة على الحسن وطعنوا فيه وخالفوه ورجعوا عن إمامته وشكُّوا فيها ، ودخلوا فى مقالة الجمهور ، وبقي سائرهم على القول بامامته)(٤)

ويحدثنا عن بعض الأيادي الخفية التى أغاظها هذا الصلح وأقضَّ مضجعها حتى قام أحد هؤلاء بمحاولة قتل الحسن واثارة الفتنة من جديد .

فيقول (لما انتهى - أى الحسن رضى الله عنه - الى مظلم ساباط ، وثب عليه رجل من بنى أسد ، يقال له الجراح بن سنان فأخذ بلجام دابته ، ثم قال :

---

(١) راجع : تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب سيدنا معاوية ابن أبى سفيان - للامام ابن حجر الهيثمي ص/ ٢١ ، ملحق بكتاب الصواعق المحرقة للمؤلف نفسه .

(٢) العواصم من القواصم لابن العربى ص/ ٢٠٥ .

(٣) الصواعق المحرقة ص/ ٢١٠ - ٢١١ .

(٤) المقالات والفرق للقمي ص/ ٢٣ - ٢٤ - تحقيق د . محمد جواد مشكور - طبع ايران ١٩٦٣م - وراجع : فرق الشيعة للحسن بن موسى النوبختي ص/ ٢٤ - طبع لبنان - ١٤٠٤ هـ ، وذكر أبو الفرج الأصفهانى فى مقاتل الطالبيين أن الحسن رضى الله عنه مات مسموماً ، وكان ذلك سنة ٥٠ هـ =

الله اكبر ، أشركت كما أشرك أبوك من قبل فطعنه بمغول فى أصل فخذه فقطع الفخذ الى العظم ، واعتنقه الحسن فخرّا جميعا ، واجتمع الناس على الجراح فوطأوه حتى قتلوه ، ثم حملوا الحسن على سرير قد أثخنته الجراحة فاتوا به المدائن . . . . . . ثم انصرف الى المدينة فلم يزل جريحاً من طعنته سقيماً فى جسمه كاظماً لغيظه متجرعاً لريقه على الشجا والأذى من أهل دعوته حتى توفي رحمه الله عليه) (١)

ـ ولما قتل الحسين رضى الله عنه ثارت قضية صلح الحسن لمعاوية من جديد (كما يذكر القمي والنوبختي) حيث قالت فرقة من أصحاب الحسين : (قد اختلف فعل الحسن وفعل الحسين ، لأنه إن كان الذى فعله الحسن حقاً واجباً صواباً من موادعته معاوية وتسليمه له عند عجزه عن القيام بمحاربته مع كثرة أنصار الحسن وقوتهم ، فما فعله الحسين من محاربته يزيد بن معاوية مع قلة أنصار الحسين وضعفهم ، وكثرة أصحاب يزيد حتى قُتل وقُتل أصحابه جميعاً باطل غير واجب ، لأن الحسين كان أعذر فى القعود عن محاربة يزيد وطلب الصلح والموادعة من الحسن فى القعود عن محاربة معاوية ، وإن كان ما فعله الحسين حقاً واجباً صواباً من مجاهدته يزيد ابن معاوية حتى قُتل وقُتل ولده وأصحابه فقعود الحسن وتركه مجاهدة معاوية وقتاله ومعه العدد الكثير باطل ، فشكّوا لذلك في امامتهما ورجعوا فدخلوا فى مقالة العوام) (٢)

ـ وبما أن الاساس فى عقيدة الشيعة نسبة العصمة لأئمتهم وأن أفعالهم لا توصف بالخطأ أبدا ولا يحصل بينها اختلاف لذلك كان لا بد من تفسير يوجد ونه لهذا البون الشاسع فى المنهج بين الحسن والحسين مع أنهما امامان معصومان عندهم .

= وعمره ست وأربعون أو ثمان وأربعون سنة . (راجع ص/ ٤٨ - ٥٠)

(١) المقالات والفرق ص/ ٢٣ - ٢٤

(٢) المقالات والفرق للقمي ص/ ٢٥ ، وفرق الشيعة للنوبختى ص / ٢٥ - ٢٦ .

ولذلك سارع الشيعة الى تطبيق مبدأ التقية لتفسير هذا التناقض فقالوا ان الحسن صالح معاوية تقية وانه خالط مخالفيه وأخفى عداوته لهم خوفا على نفسه وعلى شيعته .

ويرى بعض الباحثين أن مبدأ التقية بدأ في الظهور إحدى العقائد الشيعية بعد تنازل الحسن عن الخلافة لانهم وجدوه أنسب حل للاشكال القائم عن عصمة الحسن من ناحية والنص الالهي على امامته من ناحية أخرى .(١)

وجاؤوا بما يصبغ فعل الحسن بالصبغة الشرعية عندهم فزعموا أن أباه عليا رضي الله عنه أوصى بذلك فقال : (صن دينك وعلمنا الذى أودعناك ، ولا تُبد علومنا لمن يقابلها بالعناد ، واستعمل التقية في دينك . . وقد أذنت لك في تفضيل أعدائنا إن ألجأك الخوف اليه ، وفي اظهار البراءة ان حملك الوجل عليه . . واياكَ ثم اياك ان تترك التقية التى أمرتك بها ، فانك شائط بدمك ودماء اخوانك ، معرض نعمتك ونعمتهم للزوال ، مذلّ لهم في أيدى أعداء الله .

وقد أمرك الله باعزازهم ، فانك ان خالفت وصيتي كان ضررك على اخوانك ونفسك أشد من ضرر الناصب لنا الكافر بنا)(٢)

وهكذا أصبحت التقية بعد تنازل الحسن ضمن العقائد الشيعية وفسروا على أساسها عمل الحسن هذا .

ولنستعرض بعض نصوص علمائهم لتأكيد استخدامهم لمبدأ التقية في تفسير تنازل الحسن عن الخلافة .

ـ فها هو الطبرسي يذكر عند تفسير قوله تعالى : (وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيدكم الى التهلكة)(٣)

(الاستدلال على تحريم الاقدام على ما يُخاف منه على النفس . . . وعلى جواز الصلح

---

(١) راجع : نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنى عشرية للدكتور أحمد محمد صبحي ص / ٣٢٦ .

(٢) مستدرك نهج البلاغة للهادي كاشف الغطاء ص / ١٣١ .

(٣) سورة البقرة / آية ١٩٥ .

مع الكفار والبغاة اذا خاف الامام على نفسه أو على المسلمين ، كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية ، وفعله أمير المؤمنين بصفين ، وفعله الحسن مع معاوية من المصالحة لما تشتت أمره وخاف على نفسه وشيعته) (١) .

والمتأمل لكلام الطبرسي يلاحظ أنه جعل السبب في صلح الحديبية ، وقبول علي بالتحكيم ، وصلح الحسن لمعاوية . هو الخوف على النفس والأتباع .

فالرسول صلى الله عليه وسلم خاف على نفسه وأتباعه فسارع الى مصالحة المشركين ، وعلي فعل ذلك في صفين خوفا على نفسه وشيعته وكذلك الحسن لما صالح معاوية ولا يخفى ما في هذا الادعاء من مغالطة ظاهرة وخاصة في وصف صلح الحديبية بأنه تم بسبب الخوف ، وقد سماه الله فتحاً مبيناً (٢) .

والذي يهمنا هنا تفسير الطبرسي لصلح الحسن مع معاوية بأنه كان بسبب الخوف ولم يكن عن قناعة ورضى .

وحتى يقطع الطبرسي باب التساؤل بأن الحسين كان أولى بالخوف من أخيه فلماذا قاتل ؟ أجاب (بأن فعله يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه ظن أنهم لا يقتلونه لمكانه من رسول الله .

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن ٢ / ١٤٨ .

(٢) حيث نزل قوله تعالى :(انا فتحنا لك فتحا مبينا) وقد رجَّح ابن كثير وغيره أنها نزلت في صلح الحديبية لما ترتب عليه من الآثار العظيمة من بيعة الرضوان ، ومن دخول كثير في الاسلام ، ونقل عن جابر أنه قال : ما كنا نعد الفتح الا يوم الحديبية (تفسير ابن كثير ٤/١٨٢) .
فكيف يدعي الطبرسي أن هذا الصلح كان بسبب خوف الرسول على نفسه وأتباعه مع أنه كان إعزازاً لهذا الدين وتمكيناً لجانبه ؟ ثم إن المشركين هم الذين أرسلوا يطلبون الصلح عند ما علموا بأن الرسول قدم اليهم يريد العمرة في جماعة من أصحابه . فكيف يكون الرسول صلى الله عليه وسلم خائفاً منهم وهو الذي قدم اليهم ؟
راجع تفصيل صلح الحديبية في سيرة ابن هشام ٢/٣٠٨ ، وتفسير ابن كثير ٤/١٨٢ - ١٨٩ وغيرهما .

والآخر : أنه غلب على ظنه أنه لو ترك قتالهم قَتَلَه الملعون ابن زياد صبراً كما فعل بابن عمه مسلم ، فكان القتل مع عز النفس والجهاد أهون عليه)[١]

والتناقض واضح بين هذين الاحتمالين اذ كيف يظن الحسين أنهم لن يقتلوه ويظن أيضاً أنه لو ترك قتالهم سيقتلوه ؟!

وكل هذه المحاولات التي يبذلها الطبرسي سببها محاولة إزالة الاختلاف بين ما فعله الحسن وما فعله الحسين انطلاقا من مبدأ أنهما معصومان لا يختلفان .

ولو ترك الأمر على حقيقته لعلم أن كلا منهما قد اجتهد وبذل جهده في تحقيق ما يراه أنه أقرب لرضى الله وان كلا منهما له الأجر العظيم .

ـ ولننتقل بعد الطبرسي الى ابن بابويه القمي لنجده يحاول إنكار بيعة الحسن لمعاوية وأن ما تم هو هدنة فقط .[٢] وهذه الدعوى تردها النصوص التاريخية التي تثبت وجود هذه البيعة وأن الحسن لم يهادن معاوية وانما تنازل له عن الخلافة وكتب له كتاباً بذلك وضَمَّنه شروطاً أبرزها أنه سلَّم له ولاية المسلمين على أن يعمل فيها بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء .وقد استعرضنا ذلك في بداية حديثنا عن هذا الموضوع .

ومع هذا الانكار من القمي نجده ينقل لنا روايات تؤكد عكس ما يدّعي من بينها : ما رواه عن سدير قال : (قال أبو جعفر ـ ع ـ إن العلم الذي وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند علي ـ ع ـ من عرفه كان مؤمنا ومن جحده كان كافرا ، ثم كان من بعده الحسن ـ ع ـ قلت : كيف يكون بذلك المنزلة وقد كان منه ما كان دفعها الى معاوية ؟

فقال : اسكت فانه أعلم بما صنع ، لولا ما صنع لكان أمر عظيم)[٣]

ويلاحظ على هذه الرواية أمران :

---

(١) مجمع البيان للطبرسي ٢ / ١٤٨ .

(٢) علل الشرائع للصدوق القمي ص / ٢١٢ .

(٣) المرجع السابق ص / ٢١٠ - ٢١١ .

الأول : قوله(وقد دفعها الى معاوية)، يقصد بذلك الخلافة . فهذا تصريح بأن الذى فعله الحسن ليس هدنة وانما تنازل عن الخلافة لمعاوية وهكذا تُرد دعوى القمي من خلال روايته التى ينقلها [1] .

الثاني : قوله(لولا ما صنع لكان أمر عظيم)، وهذا يعني أن الحسن تنازل عن الخلافة خوفاً وجزعاً من بطش معاوية به وبأتباعه وأنه بايع تقية .

وهذا ما سبق لنا مناقشته وما ثبت تهافته من خلال الروايات التاريخية .

والواقع أن الشيعة لم يتمكنوا من التوفيق بين ما فعله الحسن وما فعله أخوه الحسين رضى الله عنهما رغم استخدامهم لمبدأ التقية فى حل هذا الاشكال .

وبقي التساؤل يطرح نفسه :

إذا كان كلاهما إماماً معصوماً فكيف اختلفت أفعالهما وتناقضت ؟

بل كيف أقدم الحسن على الصلح مع ما لديه من قوة ، ورفع الحسين السيف وقاتل وليس معه قوة تذكر ؟

ثم إن الحسن رضي الله عنه لو كان إماماً منصوصاً عليه - كما يزعم الشيعة - لما كان فى سعة من أن يسلمها لمعاوية فيعينه على الضلال وعلى إبطال الحق وهدم الدين ، فيكون شريكه فى كل مظلمة ويبطل عهد الرسول [2] صلى الله عليه وسلم .

وهكذا نعلم أن الحسن رضى الله عنه لما سلم الخلافة لمعاوية لم يكن خائفاً جزعاً وانما كان فى منعه وقوة ومعه أكثر من أربعين ألف ولكنه كان حريصاً على اجتماع كلمة المسلمين وعصمة دمائهم ، ولو كان الشيعة متبعين للحسن رضى الله عنه حق الاتباع لدخلوا فى تلك البيعة كما دخل إمامهم .

---

(١) ومما يرد دعوى القمى كذلك ، ما رواه الطبرسي فى كتابه الاحتجاج ٢/٢٨٤ نقلا عن توقيعات إمامهم الغائب أنه سئل عن علة غيبته فأجاب :
(إنه لم يكن أحد من أبائى الا وقد وقعت فى عنقه بيعة لطاغية زمانة ، وإنـي أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت فى عنقي) فالطبرسي يعترف وهو يذكر هذا الكلام أن جميع الائمة بايعوا ، ومن جملتهم الحسن رضى الله عنه .

(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٤ / ١٠٥ .

المبحث الرابع

ادعاؤهم غيبة الإمام الثاني عشر وتفسير ذلك بالتقية

بالرغم من أن هذه الغيبة ليست حدثاً تاريخياً وانما هو وهمٌ اعتقد به الشيعة الا أننا نذكره باعتباره حدثاً تاريخياً عندهم فسروه بالتقية ، فقد توفي الحسن العسكرى وهو الامام الحادي عشر عندهم - في سنة ٢٦٠ هـ وليس له ولد يخلفه فادعى بعض الغلاة أن للحسن العسكري ابناً وُلد قبل وفاته بخمس سنين وأنه مختبئ في سرداب بيته في سامراء ، وانتشرت هذه الدعوى بين الشيعة حتى أصبحت عقيدة ثابتة عندهم وبدأ بعض هؤلاء الغلاة يزعمون أنهم وسطاء بين الامام وشيعته .(١)

ولقد قسم الشيعة هذه الغيبة الى قسمين :(٢)

- غيبة صغرى : زعموا أن الامام كان يظهر فيها لخواص أتباعه وتمتد هذه الغيبة من وقت ولادته الى انقطاع السفارة بينه وبين الشيعة سنة ٣٢٩ هـ .

- غيبة كبرى : تبدأ بعد الأولى وتمتد الى وقت ظهوره

وقالوا إن هذا الامام الغائب سيظهر ثانية ، وهو المهدي الذى ذكرته كتب السنة وأنه سيملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً ويطلقون عليه ألقاباً كثيرة منها إمام الزمان والقائم والمهدي المنتظر والامام الغائب، ويفسر الشيعة سبب هذه الغيبة بالتقية ويقولون إن الامام استتر خوفا على نفسه من الظالمين .(٣) ولهم في ذلك

---

(١) راجع : تعليق الشيخ محب الدين الخطيب على كتاب المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ص/ ٩٧ . وقد ذكر علماء الشيعة أن هذا المهدى الغائب ولد في شعبان سنة ٢٥٥ هـ في سامراء بدار أبيه وبعضهم قال انه ولد في رمضان ٢٥٨ هـ

راجع: الارشاد للمفيد ص/ ٣٤٦ - كشف الغمة في معرفة الأئمة للأربلي ٢ / ٤٣٧

(٢) الارشاد ص/ ٣٤٦ - عقائد الامامية للزنجانى ص/ ٢٤٢ .

(٣) إكمال الدين وإتمام النعمة في إثبات الرجعة لابن بابويه القمي - ص/ ١٠٩ - تقديم محمد مهدى الموسوى الخرسان - طبع النجف - ١٣٨٩ هـ .

روايات كثيرة ينسبونها لأئمتهم . أبرزها :

ما رواه ابن بابويه بسنده عن زرارة قال : (قال أبو عبد الله - ع - :

يا زرارة لابد للقائم من غيبة . قلت : ولمَ ؟ قال : يخاف على نفسه ، وأومى بيده على بطنه) وفي رواية قال : (قلت ولمَ ؟ قال : يخاف على نفسه الذبح)

- ويذكر أبو علي الطبرسي ذلك السبب بتفصيل فيقول :

(الوجه في غيبته هو خوفه على نفسه ، ومن خاف على نفسه احتاج الى الاستتار .. وانما يجب عليه الظهور وإن أدى الى قتله كما ظهر كثير من الأنبياء وإن قتلوا ، لأن هناك كان في المعلوم أن غير ذلك النبي يقوم مقامه في تحمل أعباء النبوة ، أو أن المصالح التي كان يؤديها ذلك النبي قد تغيرت ، وليس كذلك حال إمام الزمان فإن الله تعالى قد علم أنه ليس بعده من يقوم مقامه في باب الامامة والشريعة على ما كانت عليه .. فلا يجوز ظهوره اذا أدى الى قتله ، وانما كان آباؤه ظاهرين بين الناس يفتونهم و يعاشرونهم ولم يظهر هو لأن خوفه اكثر ، فان الائمة الماضين من آبائه أخبروا بأن الامام صاحب السيف هو الثاني عشر منهم وأنه الذي يملأ الارض عدلاً ، وشاع ذلك القول منهم حتى ظهر ذلك القول بين أعدائهم ، فكانت السلاطين الظلمة يتوقفون عن قتل آبائه لعلمهم بأنهم لا يخرجون بالسيف ويتشوقون إلى حصول الثاني عشر ليقتلوه ويبيدوه)(٢)

ثم قال :

(فان قالوا : اذا كانت العلة في غيبة الامام خوفه من الظالمين من أعدائه والمخالفين فهذه العلة منفية عن أوليائه فيجب أن يكون ظاهراً لهم ...)

الجواب : قد أجاب أصحابنا عن هذا السؤال بأجوبة :

أحدهما : أن الامام ليس في تقية من أوليائه ، وان غاب عنهم كغيبته من أعدائه لخوفه من ايقاعهم الضرر به ، وعلمه بأنه لو ظهر لهم لسفكوا دمه .

---

(١) المرجع السابق ص/ ٤٤٩

(٢) إعلام الورى بأعلام الهدى للطبرسي ص/ ٤٣٧

وغيبته عن أوليائه لغير هذه العلة وهو أنه أشفق من إشاعتهم خبره والتحدث منهم كذلك على وجه التشرف بذكره والاحتجاج بوجوده فيؤدي ذلك الى علم أعدائه بمكانه فيعقب علمهم بذلك ما ذكرناه من وقوع الضرر به .

وثانيها : أن غيبته عن أعدائه للتقية منهم ، وغيبته عن أوليائه للتقية عليهم ، والاشفاق من ايقاع الضرر بهم إذ لو ظهر للقائمين بامامته وشاهده بعض أعدائه وأذاع خبره طولب أولياؤه به ، فإذا فات الطلب بالاستتار أعقب ذلك عظيم المكروه والضرر بأوليائه)[1] .

ونرد على هذه الدعوى من خلال النقاط التالية :

١ ـ تذكر روايات الشيعة أن الائمة يعلمون متى يموتون ، وأنهم لا يموتون الا باختيار منهم[2] وأنهم يعلمون علم ما كان وما يكون ولا يخفى عليهم شيء[3] ، فمن كانت هذه صفته لماذا يخاف من الموت ؟ ولماذا يختفي حتى ينجو من القتل ؟ .

ان كل محاولة لقتله لن تفلح لأنه يكشف أمرها قبل أن تقع مادام لا يخفى عليه شيء وبامكانه أن يرمي بنفسه في المهالك ويبرز لمخالفيه ما دام موته باختياره ! ولماذا يفر من تحمل المشاق في سبيل الله ومكابدة الأهوال وهو في هذه المنزلة العظيمة ؟

٢ ـ الامام الثاني عشر هذا ما دام يعلم أنه سيعيش الى نزول عيسى ولا يقدر أحد على قتله وأنه سيملك الأرض بحذافيرها ، فلماذا يخاف من القتل ويختفي في سرداب ؟[4]

---

(١) المرجع السابق ص / ٤٣٩ - ٤٤٠

(٢) الأصول من الكافي ١ / ٢٥٨

(٣) المرجع السابق ١ / ٢٦٠

(٤) مختصر التحفة الاثنى عشرية ص / ١١٨ .

٣ ـ لو فرضنا أن هذا الغائب اختفى خوفا من أعدائه فما ذنب شيعته حتى يُحرموا منه ؟

إن تعليل الطبرسي الذي سبق ذكره يزيد الأمر غموضاً

إذ كيف يُعقل أن لا يثق هذا الغائب بأحد من خواص شيعته طيلة اكثر من ألف عام فيظهر له ويتحدث اليه ؟

٤ ـ واذا كان هذا الغائب قد اختفى خوفاً من الايقاع به في زمن ضعف الشيعة فلماذا لم يظهر عند ما قامت للشيعة دول عديدة (١) وانتفى الظلم المزعوم عن الشيعة وأئمتهم ؟ فكان بامكانه أن يأوي الى احدى هذه الدول الشيعية ويعود الى الظهور بعد أن زال سبب الاختفاء .

٥ ـ وما الفائدة من بقائه مختفياً لا يُنتفع به في دين ولا علم ولا دنيا (٢) ؟ ولو خرج لكشف الغمة وأصلح حال الأمة ، فهو على تقدير وجوده كالمعدوم لا يستفاد منه .

---

(١) راجع العرض المختصر لتاريخ أبرز تلك الدول الشيعية ص / ٣١٧ من هذا البحث .

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ص / ١٧٤ .

الفصل السادس

الآثار السيئة للتقية عند الشيعة

وفيه مبحثان :

المبحث الاول : الاثار العامة للتقية عند الشيعه

١ - التقيه الشيعيه منفذ للغلو .

٢ - التقيه الشيعيه باب من أبواب الكذب .

٣ - التقية الشيعية طريق للخنوع .

٤ - التقيه الشيعية دعوة للميكافيلية .

المبحث الثاني : أثر التقيه الشيعية على دعوى التقارب بين أهل السنة والشيعه .

الحواجز في وجه التقريب

١ - العقائد المكفره

٢ - الادعاء بأن جميع مخالفيهم كفار

٣ - التقيه

أبرز محاولات التقريب

نماذج من استخدام التقيه عند دعاة التقريب من علماء الشيعة المعاصرين

المبحث الأول

الآثار العامة للتقية عند الشيعة

فى ختام حديثنا عن التقية عند الشيعة الامامية ، وبعد أن استعرضنا رواياتهم فى أهمية التقية ووجوبها ، ومجالات استخدامهم لها ، وأحكامها عند علمائهم، وبعد أن رأينا عدم تخلى علمائهم المعاصرين عنها بل زيادة تمسكهم بها . . نلخص فى هذه الصفحات أبرز النتائج التى توصلنا اليها فى ابراز التقية الشيعية على حقيقتها خالية من التزييف ومعراة عن أثواب الخداع الذى يحرص علماء الشيعة أن يعرضوها بها .

١ ـ التقية الشيعية منفذ للغلو:

رأينا فى المباحث السابقة أن التقية عند الشيعة ليست هى التقية الشرعية المنوطه بالضرورة بل هى تقية الخداع والتحايل فى ترويج الباطل ، وتحليل الحرام وتحريم الحلال وتغيير شرع الله فالغلو فى التقية أصبح عند الشيعة مناخا ملائما لايجاد غلو اكبر فى أهم أمور العقيدة ومسائل الفقه كما أصبح مرتعا خصبا للغلاه حيث استخدموها لكتمان معتقداتهم الباطلة التى لا يتقبلها مسلم لانها ضلال فاضح ، ولا يجروؤن على التظاهر بها أمام العوام من أهل السنة ، ولكنهم اذا ما استمالوا اليهم سنيا تحت ستار محبة أهل البيت راحوا يلقنونه تلك الضلالات تدريجيا على مراحل ليسهل تقبلها .

كما أن التقية لم تعد قاصرة عندهم على اخفاء المعتقدات الباطلة خوفا من ايذاء الاخرين وانما أصبحت وسيلة لاخفات صوت الاعتدال بينهم ، وابطال كل ما من شأنه أن يدحض غلوهم ويبطل مزاعمهم .

ولذلك رأينا أنهم ردوا ماصدر عن الائمة من أفعال وأقوال توافق أهل السنة وتدل على براءة الائمة من الغلو.. ردوا ذلك للتقية .

وهي محاولة منهم لقطع الطريق على من يرفض غلوهم مستدلا بأقوال الائمة وأفعالهم .

ومع ذلك نجد بعض علماء الشيعة المعاصرين يدافعون عن التقية ويتلمسون المبررات لتمسك الشيعة بها بسبب ما حل بهم من اضطهاد وتعذيب وايذاء عبر التاريخ .

يقول كاشف الغطاء :

(ان اللوم والتعيير بالتقية - ان كانت تستحق اللوم والتعيير - ليس على الشيعة بل على من سلبهم موهبة الحرية ، وألجأهم الى العمل بالتقية)[١]

ويقول محسن الامين :

(كان العلم أو الظن أو التهمة بأن الرجل من أتباع أهل البيت كافيا فى ايصال أنواع الاذى والضرر بالقتل فما دونه .. فالباقر والصادق عليهما السلام مصيبان كل الاصابة فى تشديدهما الامر بالتقية فى دولة الباطل .. وفى قولهما : التقية دينى ودين أبائى ، ولا دين لمن لا تقية له)[٢].

ونقول : لو تخلى الشيعة عن غلوهم وانحرافاتهم الخطيرة لما كانوا فى حاجة للتقية ، ولا لتلمس المبررات لها .

وهل يتوقع هؤلاء أن يلقوا من حكام المسلمين وأمرائهم الرضا والقبول والتكريم وهم يعتقدون بفرية تحريف القرآن ويطعنون فى خيار الصحابة وفضلائهم ، ويشوهون صورة التاريخ الاسلامى المجيد ؟

وهل يرضى مسلم عاقل أن يُترك من يعيث فى الارض فسادا ويزعم اتفاق الامة على الضلال .. ثم لا يُؤخذ على يديه ؟

ان ماناله الشيعة من أذى واضطهاد لا يعود وزره على حكام المسلمين من أهل السنة ، وانما يعود على هؤلاء الخارجين عن الجماعة ، والمنحرفين عن عقيدة الامة والطاعنين فى كتابها وسنة نبيها .

ولولا ماكان يخافه هؤلاء من سطوة الحكام لجهروا بلا حياء بأباطيلهم ، ولأُبتُلِيَ

---

(١) أصل الشيعة وأصولها ص/ ١٩٣

(٢) الشيعة بين الحقائق والاوهام ص/ ١٩٩

المسلمون بهم أشد البلاء . وهذا مارأيناه فعلا عند ما تكون القوة والسلطة لهم .

وينطبق على هؤلاء حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن القوم الذين أرادوا أن يخرقوا في السفينة خرقا ليستقوا الماء ، وهم بعملهم هذا لا يؤذون أنفسهم فحسب بل يغرقون السفينة بمن فيها ولذلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالاخذ على أيديهم ومنعهم من عملهم الذى يتعدى ضرره الى المجتمع بأسره .

فقال صلى الله عليه وسلم : (فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) (١)

٢ ـ التقية الشيعية باب من أبواب الكذب :

لم يكتف الشيعة باستخدام التقية في حالات الضرورة وانما صارت عادة في جميع أحوالهم لانها لاتعد في عقيدتهم استثناء خاصا في حالات معينة ، وانما هى أصل ومبدأ يؤمنون به ولذلك وجدنا أنهم يقولون باباحة التقية في حالات الامن لتصبح عادة عند الشيعى يسهل عليه استخدامها عند الخطر. (٢)

والنتيجة التى ينالها الشيعى من هذا التعود الدائم على استخدام التقية هو أن يعتاد دوما أو غالب أحيانه على التظاهر بخلاف مايراه ، والإخبار بخلاف الواقع وهذا هو الكذب بعينة ، وبالتالى نستنتج أن مذهبهم فى التقية سوغ لهم الكذب ورغبهم فيه .

ومن اجل ذلك اشتهرت فرقة الشيعة بالكذب منذ القدم .

ـ أخرج الحافظ ابن عساكر أن الحسن المثنى ابن الحسن السبط، ابن علي بن أبى طالب قال لرجل من الرافضة: (والله لئن أمكننا الله منكم لنقطعن أيديكم وأرجلكم ثم لا تقبل منكم توبة) .

---

(١) رواه البخارى ٢ / ٧٥ فى الشركة ـ باب هل يقرع فى القسمة

(٢) راجع فقرة : حد الضرورة فى استخدام التقية عند هم ص/٣٣١ من هذا البحث ، وقد نقلنا هناك رواية نسبوها للامام الصادق فى الحض على التقية فى حالة الأمن وهى (عليكم بالتقية ، فإنه ليس منا من لم يجعلها شعاره ودثاره مع من يأمنه لتكون سجيته مع من يحذره)

فقال له رجل : لم لا تقبل منهم توبة ؟

قال : نحن أعلم بهؤلاء منكم ، ان هؤلاء ان شاؤا صدقوكم ، وان شاؤا كذبوكم ، وزعموا أن ذلك يستقيم لهم فى التقية .

ويلك : إن التقية هى باب رخصة للمسلم اذا اضطر اليها وخاف من ذى سلطان أعطاه غير مافى نفسه يدرأ عن ذمة الله ، وليست باب فضل ، انما الفضل فى القيام بأمر الله وقول الحق .

وايم الله مابلغ من التقية أن يجعل الله بها لعبد من عباد الله أن يضل عباد الله) (١)

- ويقول الامام ابن تيمية :

(إن أساس النفاق الذى بني عليه الكذب أن يقول الرجل بلسانه ماليس فى قلبه ، كما أخبر الله تعالى عن المنافقين أنهم يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم والرافضة تجعل هذا من اصول دينها ، وتسميه التقية ، وتحكى هذا عن أئمة اهل البيت الذين برأهم الله عن ذلك ، حتى يحكوا ذلك عن جعفر الصادق أنه قال التقية دينى ودين آبائى .

وقد نزه الله المؤمنين من أهل البيت وغيرهم عن ذلك ، بل كانوا من أعظم الناس صدقا وتحقيقاً للايمان ، وكان دينهم التقوى لا التقية .

وقول الله تعالى " لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ الا أن تتقوا منهم تقاة " انما هو الامر بالاتقاء من الكفار لا الأمر بالنفاق والكذب) (٢)

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٤/ ١٦٥ نقلاً عن حاشية المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبى - تعليق محب الدين الخطيب ص/ ٢٣

(٢) منهاج السنة ١/ ١٥٩

- ولم يقتصر الكذب عند الرافضة على مجال التقية بل تعداه الى ما هو أخطر منه وهو مجال رواية الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته .

يقول الامام ابن تيمية : (وقد اتفق اهل العلم بالنقد والرواية والاسناد على ان الرافضة أكذب الطوائف ، والكذب فيهم قديم ، ولهذا كان أئمة الاسلام يعلمون امتيازهم بكثرة الكذب) (١)

ويقول الامام الذهبي فى حديثه عن كذب الرافضة :

(ماأستحضر الآن فى هذا الضرب رجلا صادقا ولا مأمونا ، بل الكذب شعارهم والتقية والنفاق دثارهم) (٢)

ويقول الامام أبو حامد المقدسي:

(هم أشد ضررا على الدين واهله ، وأبعد عن شرائع الاسلام من الخوارج ولهذا كانوا أكذب فرق الأمة ، فليس فى الطوائف المنتسبة الى القبلة أكثر كذبا ولا أكثر تصديقا للكذب وتكذيبا للصدق منهم) (٣)

- ولذلك كان أئمة أهل البيت يتبرؤون منهم ، لكثرة ما اتصفوا بالكذب وخاصة فى ادعائهم محبة هؤلاء الأئمة مع أنهم أبعد الناس عن هديهم .

وهذا ما اعترف به الكليني شيخ الحديث عندهم - فقد روى بسنده عن أبي الحسن علي الرضا أنه قال :

(لو ميزت شيعتي لم أجدهم الا واصفة، ولو امتحنتهم لما وجدتهم الا مرتدين ولو تمحصتهم لما خلص من الالف واحد ، ولو غربلتهم غربلة لم يبق منهم الا ما كان لي، انهم طالما اتّكوا على الارائك فقالوا : نحن شيعة علي ، انما شيعة علي من صدّق قوله فعله) (٤)

---

(١) منهاج السنة ١/١٦

(٢) ميزان الاعتدال ١/٦

(٣) رسالة فى الرد على الرافضة للمقدسي ص/ ٤٢٧

(٤) الروضة من الكافي ص/ ٢٢٨

فاذا كان هذا هو حال الشيعة فى ايام الامام الرضا (الذى توفى سنة ٢٠٣ هـ) فهل يظن أن يكون حالهم أفضل بعد ذلك بقرون طويلة ؟

ان الكذب والتلون والخداع لابد انه زاد فيهم حتى عم السيل وطم .

والنصوص فى ذلك كثيرة وكلها[(١)] تدل على تاصل هذه الصفة عند الرافضة .

ولقد مر بنا شواهد كثيرة لهذا الكذب فى ثنايا البحث ، بل ان بعضها من الكذب المفضوح الذى لا يخفى على الناس، ولكنهم يصرون عليه دفاعا منهم عن عقائد الشيعة وسترا لمخازيها ، ويظهر هذا أكثر عند علمائهم المعاصرين .

فهذا مغنية يدعى أن الذى يقوله أهل السنة فى التقية هو بعينه ماتقوله الامامية[(٢)] وهذا كاشف الغطاء يدعى اجماع الامامية على القول بعدم وقوع التحريف فى القرآن الكريم[(٣)] وهذا عبد الحسين الموسوى يدعى ذلك ايضا ويقول ان من نسب الى الامامية القول بالتحريف فهو مفتر عليهم ظالم لهم[(٤)] ، ويبرئ الامامية من جرم الطعن فى الصحابة ولكنه يطعن فيهم فى مواضع كثيرة فيكشف كذبه بنفسه[(٥)] .

وهناك عشرات الامثلة على تفنن هؤلاء فى الكذب سبق تفصيلها والحديث عنها فى ثنايا هذا البحث .

- والشيعة بعد أن كثر التظاهر بالتقية بينهم واستخدام الكذب وسيلة للدفاع عن عقائدهم .

اذا بهم يستخدمون الكذب أيضا وسيلة للدعاية لفرقتهم وترويج مذهبهم .

ويبرز هذا فى جانبين :

١ - تأليفهم كتبا ثم نسبتها كذبا لبعض أئمة وعلماء أهل السنة .

---

(١) راجع ماأورده الدكتور نهاد عبيد من نصوص فى رسالته للدكتوراه : الأحاديث المرفوعة فى فضل الامام على رضى الله عنه ودراستها بين السنة والشيعة (١/ ٢٩- ٣٨

(٢) الشيعة فى الميزان ص/ ٥١ وراجع ص/ ٣٢٨ من هذا البحث

(٣) اصل الشيعة واصولها ص/١٠٦ ، وراجع ص/ ٣٨٢ من هذا البحث

(٤) الفصول المهمة فى تاليف الامة ص/ ١٦٥ ، وراجع ص/ ٣٨٧ من هذا البحث

(٥) المرجع السابق ص/ ١٤٥ ، وراجع ص/ ٤٣٠ - ٤٣٣ من هذا البحث

فقد ألفوا مختصرا فى الفقة نسبوه للامام مالك ، وألفوا كتابا سموه (سر العالمين) نسبوه للامام الغزالى يشتمل على مطاعن فى الصحابة (١) وألفوا كتاب (الامامة والسياسة) ونسبوه لابن قتية ، (٢) وزادوا في أبيات بعض شعراء أهل السنة لتوافق غلوهم (٣)

بل ان من أكبر الكذب مانسبوه للامام على رضى الله عنه من أقوال هو برئ من أكثرها وقد قام بجمعها الشريف الرضي في كتاب : (نهج البلاغة) . (٤)

ويطلع علينا احد معاصريهم الذى يسير على خطى أسلافه بكذبه جديدة فى هذا المجال حيث يؤلف كتابا يسميه (المراجعات) يدعي كذبا أنه مناظرة تمت بينه وبين شيخ الازهر وأنها انتهت باعجاب شيخ الازهر بعقيدة الشيعة واستسلامه لحجج هذا الرافضي (٥)

ب ـ دعواهم الكاذبة أن بعض علماء أهل السنة هم من الشيعة ، وانهم يخفون تشيعهم تقية ويذكر الشيعة فى هذا المجال علماء عدة أبرزهم :

الامام الشافعى : فقد قالوا عنه انه كان شديداً فى التشيع ، ونسبوا له كثيراً من الأشعار والأقوال الموافقة لغلو الشيعة (٦)

الامام ابو نعيم الاصبهانى : فقد قالوا عنه إنه من خلّص الشيعة فى باطن أمره وكان يتقي ظاهراً على وفق مااقتضته الحال (٧)

---

(١) مختصر التحفة الاثنى عشرية ص/ ٣٣ ـ ٣٤

(٢) المرجع السابق ص/ ٣٢ ، وراجع فى إبطال نسبة هذا الكتاب لابن قتية ماكتبه عبد الله عسيلان فى رسالته : (كتاب الامامة والسياسة فى ميزان التحقيق العلمى)

(٣) مختصر التحفة ص/ ٣٤

(٤) المرجع السابق ص/ ٣٤ وراجع فى إبطال نسبة هذا الكتاب للامام علي ، ماكتبه الذهبي فى ميزان الاعتدال ١/ ١٢٤ ولسان الميزان ٤/ ٢٢٣ وماكتبه احمد أمين فى فجر الاسلام ص/ ١٤٩

(٥) راجع فى الرد على هذه الدعوى : كتاب (البينات فى الرد على كتاب المراجعات وكتاب تبديد الظلام للجبهان ص/ ٣٦٤

(٦) الكنى والالقاب لعباس القمى ٢/ ٣١٣ ـ ٣١٦

(٧) روضات الجنات للخوانسارى ١/ ٢٧٣

الامام أبو حامد الغزالي : ذكر بعضهم أنه شيعي يخفي تشيعه .(١)

وبطلان هذه الدعاوى ظاهرة ، وخاصة أن الامام أبا نعيم له كتاب خاص في الرد على الرافضة هو (الامامة والرد على الرافضة) ، وكذلك الامام الغزالي له كتاب (فضائح الباطنية) ولكن هؤلاء الرافضة اعتادوا الكذب حتى تطبعوا عليه .

ألم يعلموا ان الله سبحانه قد حرم الكذب وحذر منه ؟

قال تعالى : (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون)(٢)

وقد أورد شيخهم المفيد رواية في التحذير من الكذب ليتهم يتأملونها ويلتزمون بها :

(عن الحسن بن محبوب قال : قلت لابي عبد الله - ع - يكون المؤمن بخيلا ؟ قال : نعم

قلت : فيكون جبانا ؟ قال : نعم

قلت : فيكون كذابا ؟ قال : لا ولا جافيا ، ثم قال : يُجبل المؤمن على كل طبيعة الا الخيانة والكذب)(٣)

وروى الكليني بسنده عن أبي جعفر قال : (ان الكذب هو خراب الايمان)(٤)

وروى أيضا عن أبي عبد الله قال : (من لقي المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة وله لسانان من نار)(٥)

وروى الكليني ان الله تعالى قال لعيسى بن مريم : (ياعيسى ليكن لسانك في السر والعلانية لساناً واحداً وكذلك قلبك ، إني أحذرك نفسك وكفى بي خبيرا ، لا يصلح لسانان في فم واحد ولا سيفان في غمد واحد) .(٦) وأورد ابن شعبة عن الامام الكاظم قوله (بئس العبد عبد يكون ذا وجهين ولسانين)(٧)

فما هو موقف محترفي الكذب من علماء الشيعة وهم يقرأون هذه الروايات ؟

---

(١) المرجع السابق ٨/٤

(٢) سورة النحل - آية / ١٠٥

(٣) الاختصاص للمفيد ص/ ٢٣١

(٤) الاصول من الكافي ٢/ ٣٣٩

(٥ ، ٦) المرجع السابق ٢/ ٣٤٣

(٧) تحف العقول عن آل الرسول لابن شعبة الحراني ص/ ٢٩١

٣ ـ التقية الشيعية طريق للخنوع

هل يمكن للدين أن ينتشر، وللدعوة الاسلامية أن تعم بنورها العالم لو أن الصحابة والتابعين والسلف الصالح كانوا يأخذون بالتقية بمفهومها الشيعي الداعى الى التخاذل والخنوع ؟

انهم لو تمسكوا بالتقية كما تراه الشيعة لذهبت ريحهم وتسلط عليهم الأعداء ولم تقم للدين قائمة ولكانوا أول الأمم وأبعدها عن ركب الحضارة .

ولقد اعترف أحد علمائهم أن الشيعة بجعلهم التقية أصلا وعقيدة أذلوا أنفسهم حتى أصبحوا أذل الطوائف والأمم .

يقول الدكتور موسى الموسوى :

(اننى اعتقد جازماً أنه لاتوجد أمة فى العالم أذلت نفسها وأهانتها بقدر ماأذلت الشيعة نفسها في قبولها لفكرة التقية والعمل بها) (١)

ويقول :

(إننى لاأشك من أن التقية كانت من أهم الأسباب التى أدت الى التخلف الفكرى والاجتماعى والسياسى للمجتمعات الشيعية أينما وجدت ، فقد سرت فى دمائهم ومنعتهم من الظهور بالمظهر الذى كانوا عليه خوفاً أو خجلاً . . . وهكذا تميز الشعب الايرانى الشيعي كسائر نظراته من الشيعة بازدواجية الشخصية) (٢)

والأصل فى صاحب المبدأ أن يعتز بمبدئه ويفخر به ، ولكن إصرار الشيعة على التقية دليل على عدم رسوخ عقائدهم فى قلوبهم ، وأنهم لا يتمسكون بها عن قناعة وايمان وانما عن تعصب وهوى ، وبالتالى يسهل على أحدهم التظاهر بخلاف مايعتقد ولو لم تدعه الضرورة لذلك .

---

(١) الشيعة والتصحيح ص/ ٥١ وراجع ماذكرناه ص/ ٤٥٨ من هذا البحث عن الدعوة التى نادى بها الدكتور الموسوى لتصحيح عقائد الشيعة ولاسيما تلك العقائد التى سبَّبت الخلاف مع باقي المسلمين ، والتي تتناقض مع روح الاسلام والمنطق السيم

(٢) المرجع السابق ص/٥٦ - ٥٧

(٣) المرجع السابق ص/ ٥٩

أما أصحاب المبادئ الراسخة فانهم يضحون فى سبيلها ولا يرضى أحدهم أن يتفوه بكلمة تخالف مايعتقده الا فى أشد حالات الضرورة .

يقول الدكتور موسى الموسوى وهو يتظاهر بالدعوة إلى تصحيح موقف الشيعة من التقية :

(ينبغي على الشيعة فى كل الارض أن تقف من التقية موقف الانسان الكريم الذى يحترم عقيدته وذاته ... وأن يفكر مليا فى الآثار النفسية التى تحدث له هذه الازدواجية فى الشخصية والاضطراب بين القول والفعل ، والتى تتنافى مع الصدق وتتناقض مع صفات المسلم المخلص)(١)

٤ ـ التقية الشيعية دعوة للميكافيلية(٢) :

والأغرب من ذلك أن نجد أحد علماء الشيعة المعاصرين يعترف في معرض دفاعه عن التقية أنها لا تختلف عن مبدأ ميكافيلي (الغاية تبرر الواسطة) :

يقول مغنية :

(هذه هى التقية فى حقيقتها وواقعها عند الشيعة ، وماهي بالشئ الجديد ولا من البدع التى يأباها العقل والشرع .

فقد تكلم عنها الفلاسفة وعلماء الأخلاق قبل الاسلام وبعده ، تكلموا عنها وأطالوا ، ولكن لابعنوان التقية ،بل بعنوان " هل الغاية تبرر الواسطة؟ " وما الى ذلك ، وتكلم عنها الفقهاء وأهل التشريع فى الشرق والغرب بعنوان " هل يجوز التوصل الى غاية مشروعه من طريق غير مشروع" ؟

الى أن يقول :(وهذه العناوين ونظائرها تحكي التقية كما هى عند الامامية ولا تختلف عنها الا فى الأسلوب والتعبير)(٣) !!

---

(١) المرجع السابق ص/ ٥٩

(٢) الميكافيلية : أسلوب فى المعاملات يتسم بالخداع والمراوغة والغدر والانانية مبني على مبدأ : الغاية تبرر الواسطة، وهو ينسب الى المفكر الايطالى (نيكولا ميكافيلى) (١٤٦٩-١٥٢٧ م) رائد هذا المبدأ والذى سجله فى كتابه الأمير وقدمه لأحد ملوك أوربا في القرون الوسطى . راجع :القاموس السياسى لاحمد عطية ص/ ١١٠٥

(٣) الشيعة فى الميزان ص/ ٤٩

هذه هى صورة التقية الشيعة باعتراف أحد علمائهم

انها لا تختلف عن مبدأ ميكيافيلى الا فى الاسلوب والتعبير !!

وهذا المبدأ الضال يُضرب به المثل فى الخسة وفقدان القيم وهو من أخطر المبادىء على الأخلاق والأمم حيث يبيح التوصل الى الغاية ولو بأسوأ الوسائل وأشنعها .

وقد التزم الغرب الذى لا يعرف الأخلاق بهذا المبدأ الضال فكان ماكان من هضم للحقوق وتضييع للكرامات ونقض للعهود والمواثيق وتفنن فى أساليب خداع الناس .

واذا كانت التقية الشيعية لا تختلف عن هذا المبدأ فهذا يعنى انها لا تمت الى الاسلام بصلة لان الاسلام يدعو الى الالتزام بالعهود والمواثيق ويحذر من الخيانة والنفاق .

يقول الدكتور موسى الموسوى وهو يتظاهر بالدعوة الى تصحيح عقيدة التقية عند الشيعة :

(إن على القواعد الشيعية ولاسيما المثقفين منهم أن يحاسبوا زعاماتهم المذهبية حساباً عسيراً فى سوقهم إياهم على هذا الدرب الشائك لأغراض فى نفوسهم .

ان على الشيعة أن تجعل نصب أعينها تلك القاعدة الاخلاقية التى فرضها الاسلام على المسلمين وهى ان المسلم لا يخادع ولا يداهن ، ولا يعمل الا الحق ، ولا يقول الا الحق ولو كان عليه ، وأن العمل الحسن حسن في كل مكان ، والعمل القبيح قبيح فى كل مكان .

وليعلموا أيضاً أن مانسبوه الى الامام الصادق من أنه قال "التقية دينى ودين آبائى" إن هو إلا كذب وزور وبهتان على ذلك الامام العظيم) .[1]

---

(١) الشيعة والتصحيح ص/٥٩

المبحث الثاني

أثر التقية الشيعية على دعوى التقارب بين أهل السنة والشيعة

نسمع بين الحين والآخر من يدعو الى التقريب بين أهل السنة والشيعة ، وتترد د هذه الدعوة على ألسنة بعض علماء الفريقين .

ويقول هؤلاء : (إن الحالة المؤسفة التى وصل اليها المسلمون اليوم سببها تفرق كلمتهم وشتات شملهم ، نتيجة لتفرق مذاهبهم وعقائدهم ، حتى أصبح السني يخاصم الشيعي ، والشيعي يلعن السنى ، وهى مذاهب مختلفة فى ظل دين واحد ، ورسول واحد ، يستغلها ذوو النيات السيئة ، وأصحاب المقاصد الدنيئة فى ضرب المسلمين بعضهم ببعض) (١) ، (فالكل يدين بالاسلام ويتوجه بقلبه الى الله وبوجهه الى القبلة ، وهذه التى سموها فروقاً ترجع فى الحقيقة الى عوامل سياسية قديمة تأثرت بها الأجيال أو آراء فقهية لا تستدعي هذا الخلاف والشقاق) (٢) .

وقد بذلت محاولات عديدة فى هذا المجال ، ورحب علماء أهل السنة بهذه البادرة من علماء الشيعة ، وطبعت من أجل ذلك الكتب ونظمت الندوات ، وصدرت المجلات ، وافتتح لهذه الدعوة دار أطلق عليها دار التقريب ، فهل تحقق شئ من ذلك ؟

إن كل هذه المحاولات باءت بالفشل . فما هو السبب ؟

السبب فى ذلك أن التقريب بين الفريقين لا يتم إلا برفع الحواجز والموانع أما أن يقوم التقريب مع بقاء هذه الحواجز ، واستمرار هذه الموانع ، فإن هذا غير ممكن .

وعلماء الشيعة الذين نادوا بالتقريب لم يبذلوا أى جهد فى رفع وازالة شئ من هذه الحواجز ، وانما أرادوا التظاهر بالدعوة للتقريب ليخرجوا أنفسهم من العزلة عن المجتمع الاسلامي ، ويكسبوا صبغة الشرعية لفرقتهم ، ويبعدوا عن أنفسهم المطاعن والانتقادات التى توجه إليهم من علماء أهل السنة .

---

(١) اسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة ص / ٣٢ — ٣٣

(٢) الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثني عشر / لمحمد حسن الأعظمى — ص/ ١٩٣ — ١٩٥ وراجع : عقائد الامامية/لمحمد رضا المظفر ص/ ٧-٩ ، وعقيدة الشيعة فى الامام الصادق / لحسين يوسف مكي- ص / ٢٠ - ٢٢ وكشف الارتياب / لمحسن الأمين — ص / ٦٦ — ٦٧

فما هى هذه الحواجز التى كانت حجر عثرة فى وجه التقريب ؟

يمكننا أن نجملها فى النقاط التالية :

١ - العقائد المكفرة التي سطرها كثير من علماء الشيعة القدامى فى كتبهم ، وردد ها بعض المعاصرين ، ولا تزال الكتب التى تنادى بهذه العقائد تطبع وتنشر باشراف علماء الشيعة المعاصرين وتعليقاتهم ، وكل هذا يؤكد اصرارهم على استمرار هذا الغلو عند الشيعة وعدم تخليهم عنه ، ولعل أبرز هذه العقائد :

زعمهم وقوع التحريف فى القرآن الكريم ،وطعنهم فى معظم الصحابة وخاصة الخلفاء الثلاثة ،وهذا الانحراف الخطير عندهم — والذى فصلنا الحديث فيه يؤدي الى الطعن بالمصدرين الرئيسيين عند المسلمين وهما الكتاب والسنة ،وهذا ما يسد باب التقارب نهائياً ، ويصيب الشيعة فى صميم دينهم ، وفى أصول اعتقادهم ،ويؤكد أن الخلاف بين أهل السنة والشيعة ليس فى الفروع وانما هو فى الاصول والعقائد الرئيسية التى شذ فيها الشيعة عن الامة الاسلامية .

ولا يتم ازالة هذا الحاجز الا بأن يعلن علماء الشيعة براءتهم الصادقة من هذه العقائد الخطيرة ويمنعوا نشر الكتب الداعية والمروجة لها ، كما يعلنوا براءتهم من قائليها وعدم وثوقهم بهم ولو كانوا أمثال الكلينى وابن بابويه والمفيد وغيرهم من أساطين التشيع .

إذ كيف يتم التقارب مع وجود هذه الانحرافات التى لو اطلع عليها دعاة التقريب من أهل السنة لما مدوا يد التقارب الى الشيعة أبدا لأنها طعن فى صميم الاسلام .

ولذلك نجد أن معظم دعاة التقريب من أهل السنة لم يكونوا على علم بهذه الانحرافات عند الشيعة ، بل كان غالب ظنهم أنها مما نُسب اليهم ظلماً ،أو أنه من عقائد الغلاة والباطنية .

ولكننا نرى — وقد أثبتنا تأصل هذه الانحرافات عند الشيعة الامامية — أنه ليس هناك طريق للتقريب حتى يهدم هذا الحاجز نهائياً ، ويتخلى الشيعة عن طعنهم فى الصحابة الكرام الذين هم حملة الكتاب والسنة .

وهيهات أن يفعلوا ذلك بصدق !!

يقول الدكتور موسى الموسوي :

(قد وصلت الى نتيجة حاسمة في تتبعي للخلاف بين الشيعة الامامية والفرق الاسلامية الأخرى ، وهو أن الخلاف بينهما ليس بسبب الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أن الامام علياً أولى بالخلافة من غيره ، لأنني أرى الشيعة الزيدية ، وهي تؤلف طائفة كبيرة تربو على الملايين تعتقد بأحقية علي بالخلافة بعد الرسول الكريم ،ولكن الوئام والأخوة والمحبة يسود بينهما وبين أهل السنة والجماعة . فإذاً إن السبب الأساسي في الخلاف بين الشيعة الامامية والفرق الاسلامية الأخرى ليس هو موضوع الخلافة ، بل هو موقف الشيعة من الخلفاء الراشدين وتجريحهم إياهم ، الأمر الذي لا نجده عند الشيعة الزيدية)[١]

ويقول أيضاً :

(إن من أهم عناصر الخلاف الموجودة بين الشيعة والسنة هو تجريح الشيعة للخلفاء الراشدين وصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض أزواجه واذا لم يرفع هذا العائق من قائمة الخلاف فسيبقى الخلاف مستحكماً بين الفريقين إلى أبد الآبدين ،فلا المؤتمرات الاسلامية تجدي ولا الكلمات الاصلاحية الرنانة تنفع)[٢]

٢ ـ الادعاء بأن جميع مخالفيهم كفار

من أخطر العقائد الشيعية التي نص عليها علماؤهم القدامى وساقوا الرواياتلتأكيدها كما رددها علماؤهم المعاصرون . . . دعوى أن الشيعة هم وحدهم أهل الايمان وأن جميع مخالفيهم كفار مخلدون فى النار لانكارهم الأساسى الأول فى عقيدة الشيعة وهو الامامة .

ولا يمكننا هنا أن نفصل الحديث عن هذا الموضوع الخطير ، وانما نكتفى باشارات موجزة :

فقد روى الكلينى بسنده عن حنان (عن أبى عبد الله ـ ع ـ أنه قال :

(لا يبالي الناصب صلى أم زنا ، وهذه الآية نزلت فيهم "عاملة ناصبة ، تصلى ناراً حامية "[٣])[٤].

---

(١) الشيعة والتصحيح ـ ص / ٦

(٢) المرجع السابق ص / ٥٨

(٣) سورة الغاشية / آية ٣ ـ ٤

(٤) الروضة من الكافى ص / ١٦٠

أى أن المخالفين للشيعة لا يُقبل منهم صلاة بل إن صلاتهم محرمة كالزنا يعاقبون على فعلها.وقد فسر المعلق هذه الرواية بقوله : (اذ هو معاقب بأعماله الباطله لإخلاله بما هو من أعظم شروطها ، وهو الولاية ، فهو كمن صلى بغير وضوء) (١)

ـ وروى أيضاً عن أبى حمزة قال :

(سمعت أبا جعفر ـ ع ـ يقول : إن علياصلوات الله عليه باب فتحه الله ، من دخله كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً) (٢)

ـ وروى أيضاً عن جابر بن يزيد قال :

(دخلت على أبى جعفر ـ ع ـ . . فقال : ياجابر ، إن الجاحد لصاحب الزمان كالجاحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أيامه) (٣)

وصاحب الزمان هو الامام الغائب عندهم .

ـ وروى أيضاً عن أبى بصير أن جعفر الصادق قال له :

(من لم يأت الله عز وجل بما أنتم عليه يوم القيامة لم يتقبل منه حسنة ولم يتجاوز له عن سيئة) (٤)

وعلى ذلك فالشيعة وحدهم أهل الايمان والنجاة وجميع مخالفيهم مخلدون فى النار لا تقبل حسناتهم .

ـ ويزداد هذا الغلو حتى يتجرأ الكلينى أن ينسب لجعفر الصادق أن قال :

(مامن آية نزلت تقود الى الجنة وتذكر أهلها بخير الا وهى فينا وفى شيعتنا ، وما من آية نزلت تذكر أهلها بشرٍّ وتسوق الى النار الا وهي فى عدونا ومن خالفنا)!! (٥)

---

(١) الروضة من الكافى ص/ ١٦٠

(٢) الأصول من الكافى ٢ / ٣٨٨

(٣) الروضة من الكافى ص/ ١٨

(٤) المرجع السابق ص/ ٣٤

(٥) المرجع السابق ص/ ٣٦

ـ وقد نصّ على ذلك المفيد شيخ المحققين عندهم ، فقال :

(اتفقت الامامية على أن أصحاب البدع ـ أي المخالفين للشيعة ـ كلهم كفار ، وأن على الامام أن يستتيبهم عند التمكن . . . فان تابوا عن بدعهم وصاروا على الصواب ، والا قتلهم لردتهم عن الايمان) (١) ولذلك لا تحل عندهم ذبيحة المخالف لأنه كافر ولا يحل الزواج منهم (٢)

وما دام هؤلاء الروافض يكفرون مخالفيهم فمن السهل عليهم بعد ذلك احتقارهم وازدرائهم وقذفهم ولعنهم ، ورواياتهم في ذلك كثيرة :

فقد روى الكليني (عن أبى حمزة عن أبى جعفر ـ ع ـ قال :

قلت له إن بعض أصحابنا يقذفون مَن خالفهم . فقال : والله يا أبا حمزة ، ان الناس كلهم أولاد بغايا ما خلا شيعتنا)! (٣)

ولا يكتفي هؤلاء بالقذف المحرم الذى يوجب الحد ، ولكنهم يزيدون فى الغلو فيدعون أن جميع مخالفيهم خائنون لله ورسوله ويصبّون عليهم اللعنات

(روى الكشي بسنده عن علي بن سويد السائى قال : كتب الى أبو الحسن الاول وهو فى السجن : وأما ماذكرت يا على ممن تأخذ معالم دينك : لا تأخذن معالم دينك عن غير شيعتنا ، فانك ان تعديتهم أخذت دينك عن الخائنين الذين خانوا الله ورسوله وخانوا أماناتهم ، انهم أوتمنوا على كتاب الله جل وعلا فحرفوه وبدلوه ، فعليهم لعنة الله ولعنة رسوله ولعنة ملائكته ولعنة آبائى الكرام البررة ولعنتى ولعنة شيعتى الى يوم القيامة) (٤)

ويزداد هذا الغلو عندهم يوما بعد يوم ، حتى يبلغ أوجه فى عهد الدولة الصفوية واذا بنا نفاجأ بشيخهم نعمة الله الجزائرى (٥) ذى المكانة العاليه والمنزلة السامية

---

(١) أوائل المقالات ص/ ١٥ - ١٦

(٢) ذكر الطوسى فى الاستبصار روايات كثيرة فى ذلك منها ماروا‌ه عن أبى جعفر أنه ذكر النصاب فقال : (لا تناكحهم ولا تأكل ذبيحتهم ولا تسكن معهم) راجع: ٣ / ١٨٣ - ١٨٥ ، ٤ / ٨٧ - ٨٨

(٣) الروضة من الكافى ص/ ٢٣٩

(٤) رجال الكشى ص/ ٤

(٥) سبقت ترجمته ص/ ٢٢٢ من هذا البحث

عندهم يطلع علينا بدعوى عجيبة، يصاب القارئ لهولها بالذهول ، حيث يقول :

(إنا لم نجتمع معهم ـ أى المخالفين للشيعة ـ على إله ولا على نبي ولا على إمام وذلك أنهم يقولون : إن ربهم هو الذى كان محمداً صلى الله عليه وسلم نبيه وخليفته أبو بكر ، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذاك النبى ، ان الرب الذى خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذاك النبى نبينا)(١)

فما رأى القارئ بهذا الاعتراف الخطير من هذا الرافضى الذى اتخذ لنفسه رباً غير الله سبحانه وتعالى، ونبياً غير محمد صلى الله عليه وسلم لئلا يبقى له أى صلة تربطه بجمهور المسلمين ، ولا ندري من هو هذا الرب الذي يعبده وهو يسمى نفسه نعمة الله ؟!

ولا يظنن أحد أن هذا الرافضي أحد شواذ الشيعة ، وأنه غير موثوق عندهم فقد صرح بتوثيقه كبار العلماء عندهم وأثنوا عليه كثيرا وعظموا من شأنه .(٢)

وبعد هذا كله نجد من يقول إن الخلاف بين الشيعة وأهل السنة فى الفروع فقط ونجد من ينادي بالتقريب دون أن يطالب بإزالة هذا الغلو الخطير من كتب الشيعة .

إن التقريب الحقيقى لا يتم إلا برفع هذا الحاجز الضخم الذى يفصل الشيعة عن جسم الأمة ويجعل منهم طائفة ترى نفسها شعب الله المختار ، وتنظر لمخالفيها على أنهم كفار خائنون .

ـ كيف يتم التقريب ، والشيعة يزعمون أن الامام الصادق قال :

(ما من آية نزلت تقود الى الجنة ، ولا تذكر أهلها بخير ، الا وهى فينا وفى شيعتنا ، وما من آية نزلت تذكر أهلها بشر ، ولا تسوق الى النار الا وهى في عدونا ومن خالفنا)(٣)!

---

(١) الأنوار النعمانية ١ / ٢٧٨ ـ ٢٧٩
(٢) أشرنا سابقا الى بعض النصوص فى توثيق علماء الشيعة له . فقد قال عنه البحرانى فى لؤلؤة البحريه ص / ١١١ : (كان هذا السيد فاضلا محدثا مدققا واسع الدائرة فى الاطلاع على أخبار الامامية)
وقال عنه الخوانساري في روضات الجنات ٨ / ١٥٠ (كان من أعظم علمائنا المتأخرين وأفاخم فضلائنا المتبحرين ، واحد عصره .. صاحب قلب سليم ووجه وسيم وطبع مستقيم ، ومؤلفات مايحة)!!
(٣) الروضة من الكافي ص / ٣٦

- كيف يتم التقريب ، والشيعة يزعمون أن رجلاً جاء الى أبى جعفر الباقر فقال له :
(إن لنا جارا ينتهك المحارم كلها حتى إنه ليترك الصلاة فضلاً عن غيرها فقال أبو جعفر : ألا أخبركم بمن هُو أَشر منه ؟ قلت بلى ، قال : الناصب لنا شر منه)!(١)

- كيف يتم التقريب ، وهؤلاء يزعمون أن أئمتهم قد اقتطعوا للشيعة قطعاً من الجنة وأخرجوا جميع المخالفين منها وأحلّوا عليهم غضب الله ؟!

ويزعمون أن الامام الصادق قال لهم : (قد ضمنا لكم الجنة .... فوالله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على أمته ساخط الا الشيعة ، ألا وان لكل شئ عزاً وعز الاسلام الشيعة ... كل ناصب وان تعبد واجتهد ...فعمله هباء)!(٢)

- وكل ما ذكرناه من نصوص فى ذلك هو غيض من فيض ، فمن تصفح كتب الشيعة - وخاصة ما أُلف منها فى عهد الدولة الصفوية - يجد الطامات الكبرى التى لا يبقى معها أيُ خط للتقارب أو الالتقاء ، فما هو موقف دعاة التقريب من علمائهم المعاصرين ؟

هذا ما سنراه ونحن نتحدث عن الحاجز الثالث فى وجه التقريب :

٣ - التقية :

يُعَد تمسك الشيعة بالتقية أحد الموانع الرئيسية فى وجه التقريب ، وقد جعلها الشيخ محب الدين الخطيب أول الموانع ، فقال :

(أول موانع التجاوب الصادق باخلاص بيننا وبينهم ما يسمونه التقية ، فانها عقيدة دينية تبيح لهم التظاهر لنا بغير ما يبطنون ، فينخدع سليم القلب منا بما يتظاهرون له به من رغبتهم فى التفاهم والتقارب وهم لا يريدون ذلك ،ولا يرضون به ولا يعملون له الا على أن يبقى من الطرف الواحد ... ولو توصل ممثلوا دور التقية منهم الى إقناعنا بأنهم خطوا نحونا بعض الخطوات فان جمهور الشيعة كلهم من خاصة وعامة يبقى منفصلا عن ممثلى هذه المهزلة)(٣)

فالتقية - وقد رأينا حيلهم فى استخدامها - حاجز كبير فى وجه التقارب ، لأنها تؤدي الى فقدان الثقة بأقوالهم ، وإيجاد الشك فى صدق نواياهم نحو التقريب .

---

(١) المرجع السابق ص/ ١٠١ والناصب : كلمة يقصدون بها المخالفين لهم وخاصة أهل السنة .
(٢) المرجع السابق ص/ ٢١٣
(٣) الخطوط العريضة ص/ ٩ - ١٠

والأصل فى المسلم أن يقبل من الآخرين ظواهرهم ويكِل سرائرهم لله عز وجل ، ولكن الشيعة ـ وهم يرون التقية ديناً ـ لا يمكن أن نقف منهم هذا الموقف وخاصة أن أقوالهم التى تنادي بالتقريب تعارضها أقوال كثيرة لهم تبرز استمرار الغلو عندهم ، وان ما نادوا به كان تظاهراً فقط .

ولكى يبرز دور التقية فى هذا المجال لا بد من استعراض سريع لأبرز محاولات التقريب بين الفريقين عبر التاريخ :

أبرز محاولات التقريب :

١- ذكر ابن كثير أنه فى سنة ٤٤٢ هـ (اصطلح الروافض والسُّنّة ببغداد ، وذهبوا كلهم لزيارة مشهد علي ومشهد الحسين ، وترضوا ـ أي الروافض ـ فى الكرخ على الصحابة كلهم وترحموا عليهم)

ثم علق على ذلك قائلاً : (وهذا عجيب جداً ، الا أن يكون من باب التقية) (١)

وواضح أن سبب هذا الصلح ليس الرغبة الصادقة من الرافضة فى التخلى عن غلوهم وانما بسبب شعورهم بالهزيمة فى الحرب والقتال بينهم وبين أهل السنة ، ومصدر هذا القتال غالباً هو استفزازهم لأهل السنة بالطعن فى الصحابة وسبهم والاساءة اليهم

حتى اذا ماقويت شوكتهم ثانية تخلوا عن هذا التقارب الظاهرى وعادوا الى غلوهم من جديد وهذا ما حصل فعلا بعد سنة واحدة ، حيث قام الروافض سنة ٤٤٣هـ بنصب ابراج كتبوا عليها بالذهب : (محمد وعلي خير البشر ، فمن رضي فقد شكر ، ومن أبى فقد كفر) ، فأنكرت السنّة ذلك لأن فيه تكفير لمن قدّم الخلفاء الثلاثة على علي ، فنشبت الحرب بينهم من جديد (٢)

٢- وفى عهد السلطان نادر شاه ، (٣) الذى تسلم السلطة عام ١١٤٨هـ ، قامت أكبر محاولة

---

(١) البداية والنهاية ١٢/ ٦١ (٢) المرجع السابق ١٢/ ٦٢

(٣) ولد نادر شاه عام ١١٠٠ هـ وتسلم السلطة بعد زوال الدولة الصفوية عام ١١٤٨هـ وقد خضعت له بلاد كثيرة بمدة وجيزة منها : ايران والهند والعراق والبحرين والافغان وبخارى ، وكان فى أول عهده على مذهب الشيعة لما قدم بغداد أراد أن يفرض فيها التشيع ولكنه لما رأى الخلاف الشديد بين السنة والشيعة دعا الى اقامة المناظرة والتفاهم بينهم وأن يقيم كل فريق الدلائل على صحة مذهبه فمن غلب يكون مذهبه ==

للتقريب بين السنة والشيعة حيث أمر باقامة مؤتمر للتفاهم بين علماء الفريقين نتيجة لما رأى من الصراع الذى يحدث بين السنة والشيعة فى مملكته ، وتكفير كل فريق للآخر.

وقد أقيم هذا المؤتمر فى شوال ١١٥٦ هـ فى النجف برئاسة علامة العراق الشيخ عبد الله السويدي (١) وبحضور مجتهدى الشيعة فى ايران والنجف ، وعلماء أهل السنة ، وقد استمع لهذا المؤتمر أعداد كبيرة من الفريقين يبلغ عددهم نحو ستين ألفا. (٢)

ولما رأى علماء الشيعة قوة الشيخ السويدي فى الحجة والمناظرة سارعوا الى التخلي عن عقائدهم وأعلنوا توقفهم عن سب الشيخين والطعن فى الصحابة ، وقالوا : أفضل الخلق بعد النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر فعثمان فعلي ، وإن المتعة حرام لا يقبلها الا السفهاء منا (٣)

= هو المقرر ، ولذلك رأينا أن نادر شاه لما رأى نتيجة مؤتمر النجف تراجع عن تشيعه وصار سنيا بعد أن كان شيعيا ورفع عن أهل السنة المظالم . توفى نادر شاه فى جمادى الأولى ١١٦٠ هـ.
(راجع ترجمته فى : المسك الأذفر فى نشر مزايا القرن الثانى عشر والثالث عشر للألوسي ص/ ١٢٨ ، مؤتمر النجف للسويدى ص/ ٦٩ ، تاريخ الشيعة لمحمد حسين المظفري ص/ ٢٢٥

(١) سبقت ترجمته ص/ ٥٣٨ وقد قال عنه العلامة محمود شكرى الألوسى : (له مناقب لا تعد ولا تحصى ، ولا يُدرَك أدناها ولا يستقصى ، منها تشييده للشريعة الأحمدية وتأييده للسنة النبوية ، وذلك حين مجئ نادر شاه الى سواد العراق مع جم غفير من الأعاجم . . ومباحثتهم ، فأخمد الله تعالى على يده نيران ضلالتهم وألبسهم ثوب الخزى بين عامتهم ، فلما علموا أنه بحر علم لا يمكن الوصول الى أصله صاروا له أطوع من شراك نعله . .) المسك الأذفر ص/ ١٢٥

(٢) راجع: مؤتمر النجف ص/ ٩٥

(٣) المرجع السابق ص/ ٩١ — ٩٢

ثم قام أحد علماء الرافضة وأعلن ذلك على منبر الكوفة فى خطبة الجمعة بحضور نادر شاه وجميع علماء ايران (١)

ولا يعقل أن يتخلى الشيعة عن عقائدهم الاساسية بهذه السهولة الا أن يكون ذلك تظاهرا منهم .

ولكى نتعرف على حقيقة موقف علماء الشيعة ، وأن موافقتهم على التقارب كانت تقية ، نستمع الى قول أحد علمائهم المعاصرين حيث يقول : (لما جاء — أى نادر شاه — الى العراق جمع بين علماء الفريقين — الشيعة والسنة — وأمرهم بالمناظرة وتوحيد المذهب وتم له ما أراد من الاجتماع والمحاجة ، ولم يفلح فى الثانية وإن أظهروا الوحدة زمنا قصيراً حذراً من بطشه) (٢)

٣ - محاولات التقريب فى العصر الحديث :

أبرز هذه المحاولات ما قام به أحد علماء الشيعة بايران وهو محمد تقي القمي فى عام ١٣٦٤هـ حيث دعا إلى التقريب بين المذاهب الاسلامية ، واستجابت لدعوته ثلة من علماء مصر ومن زيدية اليمن ، وتم انشاء جماعة سُميت (دار التقريب بين المذاهب الاسلامية) مقرها القاهرة وأصدرت هذه الجماعة مجلة باسم (رسالة الاسلام)

وتتالت اللقاءات والاجتماعات فى هذه الدار فماذا تم فيها ؟

يذكر الشيخ عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء بمصر وعضو جماعة التقريب . وصفاً لما كان يبحث خلال هذه الاجتماعات فيقول :

(ماذا أجْدَتْ جماعتنا وقد مضى عليها أربع سنوات تقريبا ؟ . . . تعاقبت الاجتماعات ، فمرة للتعارف واختيار الرئيس والوكيل والسكرتير — الخ ، ومرة ثانية لاستقبال ضيف مسلم سيزور دارنا ، دار التقريب ، وثالثة لسماع رسائل وردت من جهات اسلامية ، ومن بينها رسالة من النجف يطلب مرسلوها كلمة تلقى هناك فى الذكرى الموسمية للامام الحسين بن علي رضى الله عنهما ، ثم يقترح علينا فى هذه الجلسة أن تطلب الجماعة الى الأزهر تدريس الفقه الشيعى الى جانب مذاهب أهل السنة . . وبعد ذلك توقفت الاجتماعات ، وانحصرت الجهود فى مجلة تصدرها دار التقريب هذه ، وتسميها رسالة الاسلام) .

---

(١) المرجع السابق ص / ١٠٢

(٢) تاريخ الشيعة لمحمد حسين المظفرى ص / ٢٢٥ — ٢٢٦

ثم يقول : (ورابني ويجب أن يرتاب معي كل عضو برئ أنها - أي دار التقريب - تنفق عن سخاء دون أن نعرف لها موردا من المال ، ودون أن يطلب منا دفع اشتراكات ... وتنفق على مجلتها فتكافئ القائمين عليها ، وتكافئ الكاتبين فيها وتتأنق في طبع أعدادها ، وتغليف ما يطبع ، الى غير ذلك مما يحتاج الى مورد فياض ... فمن أين ذلك وعلى حساب من يا ترى ؟!) (١)

وهكذا يظهر أن الشيعة كانوا من وراء ذلك .

ولذلك كان من أبرز أعمال دار التقريب الدعاية للتشيع عن طريق نشر الكتب الشيعية وترويجها بين أهل السنة ووضع مقدمات لها بأقلام أهل السنة البارزين ممن لم ينتبهوا الى خطر هذه الدعوة ، ومن أبرز الكتب الشيعية التى نشرتها دار التقريب : المختصر النافع فى فقه الامامية لنجم الدين الحلي - تذكرة الفقهاء لابن المطهر المحلي - وسائل الشيعة للحر العاملي - مستدرك الوسائل للنوري الطبرسي (صاحب كتاب فصل الخطاب فى تحريف كتاب رب الأرباب) - تفسير مجمع البيان للطبرسي - .. وغير ذلك . (٢)

وكانت مجلة دار التقريب تقيم الحفلات وتصدر النشرات فى المناسبات الشيعية . (٣)

وأخيراً تمكن الشيعة فى ظل دعوة التقريب من خداع شيخ الأزهر محمد شلتوت وطلبوا منه أن يصدر فتوى بجواز التعبد بالمذهب الجعفرى ، فأصدر فتواه فى ذلك سنة / ١٣٦٨ هـ ، فطار الروافض بهذه الفتوى فرحاً ، واعتبروها الثمرة الكبرى لدعوة التقريب ، لأنها أعطتهم - فيما يظنون - الشرعية فى الدعوة الى التشيع بين أهل السنة .

وعند ذلك تتابع الأعضاء المخلصون فى الانسحاب من هذه الجماعة بعد أن رأوها وسيلة لخداع السذج من أهل السنة وترويج المذهب الشيعي في بلادهم . (٤)

---

(١) مجلة الأزهر / المجلد ٢٤ - ص / ٢٨٥ - ٢٨٦

(٢) (٣) فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة - رسالة ماجستير من إعداد : ناصر عبد الله القفاري ص / ٧ : ٥ - ٥١٨

(٤) المرجع السابق ص / ٥٢٢

وكان من بين هؤلاء الشيخ محمد البهي الذي يقول عن هذه الجماعة :

(بدلاً من أن تركز نشاطها على الدعوة إلى ما دعا اليه القرآن . . . ركزت نشاطها على إحياء ما للشيعة من فقه وأصول وتفسير ، ونشر المقالات التى تدعو دعوة عامة إلى عدم التفرقة بين المسلمين) (١)

واقتصر بعد ذلك عمل الجماعة على اصدار مجلة التقريب (رسالة الاسلام) التي استمر صدورها حتى العدد / ٦٠ في رمضان ١٣٩٢ هـ ثم انقطعت . (٢)

أما علماء الشيعة المنتشرون آنذاك في ايران والعراق وسوريا ولبنان فقد رأوا من دعوة التقريب فرصة سانحة لهم فنشطوا فى الدعوة الى التشيع تحت ستار التقريب وأدوا دوراً متقناً فى خداع الناس ، وهرعوا إلى التقية ليخفوا عن طريقها حقيقة غلو فرقة الشيعة حتى يتم خداع البسطاء بها .

وسنعرض لأبرز هؤلاء ، ونكشف النقاب عن الدور الخطير الذى كانوا يقومون به باسم التقريب وتحت ستار التقية .

---

(١) الفكر الاسلامى والمجتمعات المعاصرة للدكتور البهي ص / ٤٣٩

(٢) فكرة التقريب ص / ٥٢٣

نماذج من استخدام التقية عند دعاة التقريب من علماء الشيعة المعاصرين :

١ - محمد الحسين آل كاشف الغطاء :[١]

هو من أبرز الدعاة الى التقريب، وقد ألّف كتابه (أصل الشيعة وأصولها) لهذا الهدف.

يقول فيه : (مابرحنا منذ خمسين عاماً نسعى جهدنا في التقريب بين المذاهب الاسلامية وندعو إلى وحدة أهل التوحيد)[٢]

ويقول : (لم يبق ذو حس وشعور في شرق الأرض وغربها إلا وقد أحس وشعر بضرورة الاتحاد والاتفاق، ومضرة الفرقة والاختلاف)[٣]

ويقول : (وأول شرط ذلك سدُّ باب المجادلات المذهبية واغلاقها تماماً، فإن أراد أحد التنويه عن مذهبه فعلى شرط أن لا يمس مذهب غيره بسوء ولاغميزة)[٤]

ويقول : (ولو عرف المسلمون حقيقة مذهب الشيعة وأنصفوا أنفسهم وإخوانهم لأماتوا تلك النشرات الخبيثة التي تثير الحفيظة وتزرع الضغينة... وتجرح عاطفة أمة تُعد بالملايين)[٥]

ثم يقول بعد أن يعرض شيئاً من عقائد الشيعة التي لايختلفون فيها عن باقي المسلمين الا بشيء يسير. يقول :

(فياعلماء الدين، ويارجال المسلمين، هل رأيتم فيما ذكرناه عن هذه الطائفة مايوجب هدم الاسلام... وهل في شيء من تلك المباحث شذوذ عن أصل قواعد الاسلام، وخروج عن منطقة الكتاب والسنة ؟)[٦]

ويكاد الباحث وهو يطلع على هذه الأقوال، ويقرأ ما كتبه كاشف الغطاء فى كتابه (أصل الشيعة وأصولها)، أن يجزم بصدقه وإخلاصه فى الدعوة إلى التقريب، وأن يعتقد بأن الحاجز الذى يفصل بين السنة والشيعة أصبح حاجزاً وهمياً، وأن عقائد علماء الشيعة المعاصرين لم تعد تختلف كثيراً عما عليه أهل السنة.

(١) سبقت ترجمته ص/ ٣٢٦ من هذا البحث

(٢) أصل الشيعة وأصولها ص/ ٥٨

(٣) المرجع السابق ص/ ٥٧

(٤) المرجع السابق ص/ ٦٩

(٥) المرجع السابق ص/ ٨١

(٦) المرجع السابق ص/ ٢٢٩

ولكن نظرة تأمل واحدة تجعل الباحث يصاب بخيبة أمل عظيمة ، ويدرك أن كل ماتظاهر به كاشف الغطاء من محبة لأهل السنة واحترام لعقائدهم وبراءة من الغلو ، كان تقية وخداعا

— فها هو يطعن في السنة النبوية ويتهجم على الصحابة الكرام ويرفض كل ماورد عن طريق أهل السنة من الأحاديث النبوية ، فيقول في حديثه عن عقائد الشيعة :

(إنهم لا يعتبرون من السنة - أعني الأحاديث النبوية - إلا ماصحّ لهم من طريق أهل البيت عن جدهم . . . أما مايرويه مثل أبي هريرة وسمرة بن جندب ومروان بن الحكم وعمران بن حطان الخارجي وعمرو بن العاص ونظائرهم فليس لهم عند الامامية من الاعتبار مقدار بعوضة ، وأمرهم أشهر من أن يُذكر) [١] !!

وهكذا يتبين للقارئ كذب كاشف الغطاء في دعوى التقارب مع أهل السنة ودعوته سد باب المجادلات المذهبية التى تثير الحفيظة وتزرع الضغينة

ويظهر جلياً أن الشيعة يشذون عن السنة النبوية التي عليها جمهور المسلمين ويرفضونها جملة وتفصيلاً وهذا خروج منهم عن أصل الاسلام وقواعده .

— والأشد من ذلك أن كاشف الغطاء الذي يزعم أنه مابرح منذ خمسين عاماً يسعى للتقريب والذي يحاول جاهدا أن يبرز عقائد الشيعة بصورة قريبة من عقائد أهل السنة واذا به يغلو في أئمته أشد من غلو النصارى الذين جعلوا المسيح إلهاً من دون الله .

فيقول في الثناء على أئمة الشيعة :

يا كعبة لك إن حجّت الـ ... أملاك منه فعرشه ميقاتها

أنتم مشيئته التي خُلقت بها الـ ... أشياء بل ذُرئت بها ذراتها

أنا في الورى قالٍ لكم إن لم أقل ... مالم تقله في المسيح غُلاتها [٢]

فها هو يتعهد في البيت الأخير أنه سيقول في أئمته مالم تقله غلاة النصرانية في المسيح !!

وما ندري هل بعد غلو النصارى غلو ؟!

---

(١) أصل الشيعة وأصولها ص/ ١٢١

(٢) ديوان شعراء الحسين لمحمد باقر النجفي - ص/ ١٢ نقلاً عن فكرة التقريب للقفاري - ص/ ٤١٩

هذه هى حقيقة كاشف الغطاء وقد ظهرت عياناً بعد أن كُشف عنها الغطاء وهكذا هو حال باقي دعاة التقريب الذين تظاهروا بالحسرات والزفرات على تفرق كلمة المسلمين .

ولعل القارئ يتذكر ما أوردناه من ثناء كاشف الغطاء على شيخه النوري صاحب كتاب (فصل الخطاب فى تحريف كتاب رب الأرباب) ووصفِهِ له بأنه (حائزُ علوم الأولين والآخرين مَنْ عقمت النساء أن تلد مثله . . . المعجِب ملائكة السماء بتقواه ، مَنْ لو تجلى الله لخلقه لقال هذا نوري . .)(١)!!

فإذا كان ثناء كاشف الغطاء - على من كرّس حياته لترويج فريه التحريف - يصل إلى هذا الحد فاعلم بعدُ ذلك حقيقة خداع هذا الرافضي الذي لم يتخل عن غلو أسلافه ، وانما أزاد بتظاهره بدعوى التقريب أن يخدع البسطاء ويذر الرماد في العيون .

٢- عبد الحسين شرف الدين الموسوي(٢)

وهو أيضاً من أبرز علماء الشيعة الذين تظاهروا بالدعوة للتقريب ، وقد ألف كتاباً في ذلك سماه :(الفصول المهمة فى تأليف الأمة) وقال فى مقدمته :

(لا تتسق أمور العمران ،ولا تستتب أسباب الارتقاء . . . إلا باتفاق الكلمة واجتماع الافئدة وترادف القلوب واتحاد العزائم والاجتماع على النهضة . . . وبذلك تهتز الأرض طرباً ، وتمطر السماء ذهباً . . أما إذا كانت الأمة أوزاعاً متباينة وشيعاً متباغضة . . . لا تأوي الى جناح دعوة ، ولا تعتصم بظل منعه ، فحذار حذار من بقاء الفرقة وتشتت الألفة واختلاف الكلمة وتنافر الأفئدة)(٣)

وهكذا نجد أن عبد الحسين يؤكد بإلحاح على الدعوة إلى التقارب ويحذر من الفرقة والخلاف ولكنه بعد أن يسطر هذه الألفاظ المنمقة فى الصفحات الأولى من كتابه إذا به يطعن في الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة الكرام ، وذلك فى الكتاب نفسه ،

---

(١) من تقريظ كاشف الغطاء لكتاب النوري : (كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار) ص/ ٢٤ وراجع ص/ ٢٨٣ من هذا البحث

(٢) سبقت ترجمته ص/٢٨٧ من هذا البحث

(٣) الفصول المهمة ص/ ٣

حيث يصور الحالة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بأسوأصورة، ويدّعي أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بتجهيز جيش أسامة وجعل فيه أبا بكر وعمر وهو فى أيامه الاخيرة لأنه (أراد أن تخلو منهم العاصمة فيصفو الأمر من بعده لأمير المؤمنين علي . . لكنهم فطنوا إلى كل مادبّر صلى الله عليه وسلم فطعنوا فى تأمير أسامة وتثاقلوا عن السير معه)[١] !!

فأين ذهبت صيحات التقريب التي استفتح بها هذا الرافضى كتابه ؟

ــ ويقول فى تعليل عدم كتابة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل موته بالوصاية لعلي رضى الله عنه :

(لئلا يفتح هؤلاء المعارضون وأولياؤهم باباً إلى الطعن فى نبوته . . ومن تأمل أحوالهم زمن النبى صلى الله عليه وسلم فضلاً عن أيام خلافتهم علم أنهم كانوا كما نبهناك إليه)[٢] !

ويقصد بالجملة الأخيره ـ كما هو واضح ـ أن الخلفاء الثلاثة كانوا يطعنون فى نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ويخالفون أمره !!

هذا هو حال هذا الرافضي الذى ينادي بالتقريب ويحذر من التفرقة .

إنه يعتقد أن الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم كفار وأصحاب مكائد وأهواء

وبذلك يسفر عبد الحسين عن وجهه الرافضي ، وتذهب صيحات التقريب التى استفتح بها كتابه أدراج الرياح ، حيث يظهر أنه لم يكن يقصد منها التقارب الحقيقي وإزالة الحواجز التى أوجدتها هذه العقائد الشيعية المنحرفة لا سيما تكفيرهم وبغضهم للصحابة الكرام ، وإنما كان يتصنع الدعوة للتقريب ليتخذ منها مطية لنشر غلوّه وضلاله .

ــ ولندع الدكتور مصطفى السباعي[٣] رحمه الله ـ وهو من أبرز علماء السنة الذين عايشوا هذه الفترة وكشفوا خداع علماء الشيعة في دعوتهم للتقريب ـ يحدثنا عن زيارته لعبد الحسين وحديثه معه عن ضرورة التقريب ، فيقول :

(١) الفصول المهمة ص/ ٩٠ وراجع ص/ ٤٣٢ من هذا البحث

(٢) المرجع السابق ص/ ٩٥ - ٩٦

(٣) هو مصطفى بن حسين السباعى عالم إسلامى ، ولد بحمص فى سورية سنة (١٩٠٥م) وتعلم بها وبالأزهر ، واعتقله الانكليز فى مصر وفلسطين ستة أشهر ، وأسلموه إلى الفرنسيين فسجنوه فى لبنان ٣٠ شهراً ، وكان له شرف الاشتراك فى كتائب الدفاع عن بيت المقدس عام ١٩٤٨م ، وقد حاز على درجة الدكتوراه من الأزهر ثم استقر ==

(فى عام ١٩٥٣م زرت عبد الحسين شرف الدين فى بيته بمدينة (صور) فى جبل عامل ، وكان عنده بعض علماء الشيعة ، فتحدثنا عن ضرورة جمع الكلمة وإشاعة الوئام بين فريقي الشيعة وأهل السنة . . وكان عبد الحسين رحمه الله متحمساً لهذه الفكرة ومؤمناً بها ، وتم الاتفاق على عقد مؤتمر لعلماء السنة والشيعة لهذا الغرض، وخرجتُ من عنده وأنا فرح بما حصلت عليه من نتيجة ، . . ثم ماهي الافترة من الزمن حتى فوجئت بأن عبد الحسين أصدر كتاباً فى أبي هريرة مليئاً بالسبب والشتائم) (١)

ويقول الدكتور السباعي بعد اطلاعه على هذا الكتاب :-

(لقد انتهى مؤلفه إلى القول بأن أبا هريرة كان منافقاً كافراً ، وأن الرسول قد أخبر عنه بأنه من أهل النار)! (٢)

ثم يقول تعليقاً على ذلك :

(لقد عجبت من موقف عبد الحسين فى كلامه وفي كتابه معاً ، وذلك الموقف الذى لا يدل على رغبة صادقة فى التقارب ونسيان الماضي ، وأرى الآن نفس الموقف من فريق دعاة التقريب من علماء الشيعة ، إذ هم بينما يقيمون لهذه الدعوة الدور ، وينشئون المجلات فى القاهرة ويستكتبون فريقاً من علماء الأزهر لهذه الغاية ، لم نر أثراً لهم فى الدعوة لهذا التقارب بين علماء الشيعة فى العراق وايران وغيرهما ، فلا يزال القوم مصرّين على ما في كتبهم من ذلك الطعن الجارح والتصوير المكذوب لما كان بين الصحابة من خلاف ، كأن المقصود من دعوة التقريب هي تقريب أهل السنة إلى مذهب الشيعة) (٣)

فالدكتور السباعي رحمه الله خُدع بكلام عبد الحسين وتظاهره كذباً بالدعوة الى التقريب لكنه بعد ذلك عرف حقيقة هؤلاء الرافضة الذين توجب عليهم تقيّتهم أن يظهروا بوجهين ولسانين .

= فى دمشق مدرساً وعالماً ومجاهداً وعميداً لكلية الشريعة وكاتباً بارعاً حتى توفاه الله سنة (١٩٦٤م)،وله مؤلفات كثيرة طبع منها ٢١ كتابا ورسالة ، كما أنه أنشأ مجلة حضارة الاسلام. رحمه الله تعالى . راجع ترجمته في العدد الخاص من مجلة حضارة الاسلام ١٩٦٤م — والأعلام ٧ / ٢٣١ — ٢٣٢

(١) (٢) السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامي ص/ ٩ - المكتب الاسلامي - الطبعة الرابعة — ١٤٠٥ هـ .

(٣) المرجع السابق ص/ ١٠

وليس الأمر فى هذا المجال متوقفاً عند كاشف الغطاء وعبد الحسين ، بل هو عام في معظم علماء الشيعة الذين عاشوا فى تلك الفترة وتظاهروا بالدعوة الى التقريب .

ولنستعرض بايجاز أبرز هؤلاء :

ـ فها هو محسن الأمين (١) يدعو الى التقريب وجمع الكلمة ، ويدعي أنه ليس بين الشيعة وأهل السنة نزاع الا فى أمور يسيرة (٢)، ثم نجده يطعن فى الصحابة الكرام ويلمح الى أن علياً هو الذي جمع القرآن الصحيح وليس أبا بكر (٣)، وبذلك يطعن في المصدر الأول عند المسلمين

ـ وها هو محمد جواد مغنية (٤) يدعو الى دفن الماضى وازالة الخلاف (٥) ثم هو بعد ذلك يطعن فى عثمان رضى الله عنه ويزعم أنه انحرف عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وخالف شريعة الاسلام ، ويطعن فى الزبير وطلحة وعائشة وأبى هريرة وغيرهم من أجلاء الصحابة رضى الله عنهم (٦) ويصر على القول بنجاسة الناصبي (٧) ـ ويقصد به أهل السنة ـ مع أنه يحكم بطهارة اليهود والنصارى (٨). بل إنه يكفر أهل السنة زاعماً أن من أنكر عيد الغدير فقد أنكر الاسلام (٩)

ـ وها هو عبد الواحد الأنصاري يدعو الى حل الخلافات المذهبية واقامة التقريب بين السنة والشيعة ، و يشنع على محب الدين الخطيب لأنه أظهر كذب علماء الشيعة فى دعوتهم للتقريب (١٠)، ثم نجده بعد ذلك يطعن فى الصحابة الكرام بأشد الطعون ويزعم أن كثيراً منهم وضاعون ومزورون وكذابون ومتعطشون للدماء (١١) !!

---

(١) سبقت ترجمته ص/ ٢٢٩ من هذا البحث

(٢) الشيعة بين الحقائق والأوهام ص/ ٥ وكشف الارتياب ص/ ٦٧

(٣) الشيعة بين الحقائق والأوهام ص/ ١٤٧ وراجع ص/ ٤٣٥ من هذا البحث

(٤) سبقت ترجمته ص/ ٢٢٩ من هذا البحث

(٥) الشيعة فى الميزان ص/ ٦

(٦) راجع النصوص التى ذكرناها فى ذلك ص/ ٤٣٨ من هذا البحث

(٧) فقه الامام جعفر الصادق لمغنية ١ / ٣٥

(٨) راجع ص/ ٤٩٢ من هذا البحث (٩) الشيعة فى الميزان ص/ ٢٥٨

(١٠) أضواء على خطوط محب الدين العريضة ص/ ٥ ـ ١٠

(١١) راجع النصوص التى أوردناها من كلام الأنصارى ص/ ٤٣٦ من هذا البحث.

ــ وها هو محمد رضا المظفر يؤكد أن فكرة التقريب بين المذاهب أصبحت اليوم حاجة ملحة وهدفاً رفيعاً لكل مسلم (١). ثم هو يصرّ على الانحرافات الشيعية التى تسد طريق التقريب فيزعم أن المسلمين ارتدوا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حينما لم يستخلفوا علياً وأنهم انقلبوا على أعقابهم وخالفوا أمر النبى صلى الله عليه وسلم من غير حياء ولا خجل وأن قلوبهم كانت مليئة بالتنافر والحسد! (٢)

وهكذا يصرّ علماء الشيعة على غلوهم وانحرافاتهم ، ويتظاهرون أمام أهل السنة بالدعوة الى التقريب ليس حباً في التقريب وإنما يدفعهم الى ذلك ما يرونه من انكشاف زيفهم وكساد بضاعتهم فأرادوا عن طريق الدعوة إلى التقريب أن يكسروا طوق العزلة الذى أحاط بالشيعة وأن يعطوا الصبغة الشرعية لعقائدهم وآرائهم وأن يكفوا الألسن عنهم .

ولذلك وجدنا أنهم كلما صدر بحث أو كتاب لا يتفق مع وجهة نظرهم ، ويكشف شيئاً من انحرافاتهم ، تقوم قيامتهم ويفزعون إلى دعوة التقريب ويتهمون كاتبه بأنه يفرق الأمة وينبش دفائن الماضي (٣)

أما هم فانهم مهما كتبوا من كتب ، ونشروا من مؤلفات أسلافهم المليئة بالطعن على الصحابة الكرام وغيرها من انحرافات الشيعة فإن ذلك فى نظرهم لا يعرقل جهود التقريب.

وهذا ما تم فعلاً ، إذ بينما كان علماؤهم يتظاهرون بمودة أهل السنة والدعوة الى التقارب معهم ونبذ الخلافات ، إذا بهم بنفس الوقت يقومون بحركة نشطة لطبع ونشر التراث الشيعي القديم وتعريف الناس به وترويجه بينهم ، وهذا التراث مليء باللعن والتكفير والتخليد بالنار لرجال الصدر الأول فى الاسلام ، وغير ذلك من المفتريات والانحرافات التى سبق الحديث عنها ،وقد صدّر هؤلاء كثيراً من هذه الكتب بمقدمات وتقريظات وتعليقات ،ونشطت مطابع النجف وايران ولبنان فى طباعة هذه الكتب ونشرها .

كل هذا يتم والمسلمون ينظرون وبعضهم لا يزال يحسن الظن في أولئك ويهتف بالدعوة الى التقريب

---

(١) عقائد الامامية ص/ ٣١

(٢) راجع ماأوردناه من نصوص فى ذلك ص/٤٤١ من هذا البحث

(٣) راجع الأمثلة التى ذكرناها من الكتب الشيعية التى ألفها علماء الشيعة للرد على بعض علماء أهل السنة ، ص/٣٧٨ من هذا البحث

وتمت الخطة ، ونجح علماء الشيعة في جعل التقية ستاراً في كل مراحلها ، ودخل بعض المغفلين والجهلة في التشيع أفواجاً .

ولكن اذا كانت دعوة التقريب التي تحدثنا عنها ، والتي اتخذها علماء الشيعة مطية لأغراضهم ، وقد ثبت فشلها ، وتأكد خبث نوايا الداعين اليها من علماء الشيعة ، فهل يعني هذا أن التقريب مستحيل وأن الخلاف أبدي ؟

لا بد لنا لكي نجيب على هذا السؤال من أن نذكّر القارئ بما سبق ذكره في بداية حديثنا هذا ، حيث بيّنا أن هناك ثلاثة حواجز رئيسية لا بد من إزالتها نهائيا حتى يتم التقريب وهي : ١- العقائد المكفّرة : وأخطرها فرية تحريف القرآن ، والطعن في الصحابة الكرام .

٢- الادعاء بأن مخالفيهم مخلدون في النار .

٣- التقية التي تبيح لهم التظاهر بخلاف ما يعتقدون وما يريدون .

فاذا تم ذلك ، وأقلع الشيعة عن الطعن في صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم بشكل خاص ، فإن التقريب الصادق أمل الجميع .

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي في حديثه عن التقريب :

(إنه إذا تم هذا العمل أحدث انقلاباً لا يوجد له نظير في تاريخ الانقلابات الفكرية ، والتجديد الاسلامي)[١]

ويقول وهو يحدّد أبرز شروط هذا التقريب :

(يجب أن يتغير نظر إخواننا الجعفريين إلى صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم وأزواجه أمهات المؤمنين)[٢]

ثم يقول : (وكل محاولة لهذا التقريب من غير هذا التغيير النفسي محاولة غير ناجحة وغير طبيعية . . . إن التقريب ليس بشيء صناعي ميكانيكي ، إنه عمل القلب قبل أن يكون عمل اللسان . . . . إنه لم يُكتشف إلى الآن مادة غرائية تُلصق بها القلوب كما تُلصق الأوراق ، فيجب أن ينبع هذا من القلب ويفيض حتى تشعر القلوب بقوته وحرارته)[٣]

---

(١) من نهر كابل إلى نهر اليرموك ص / ٩١ طبع أنقرة ١٣٩٤ هـ .

(٢) المرجع السابق ص / ٩٢

(٣) المرجع السابق ص / ٩٤ — ٩٥

وحتى ينبع التقريب من القلوب لابد أن تصفو قلوب الشيعة من الغل والحقد على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولابد أن يتخلى هؤلاء عن الخداع الذي اتقنوا فنّه وسموه بغير اسمه وجعلوه ديناً وعقيدة، ألا وهو التقية .

الفصل السابع

التقية عند الشيعة الباطنية

وفيه مبحثان :

المبحث الاول : التعريف بالباطنية وفرقهم ومجمل عقائدهم

١ - الاسماعلية

٢ - النصيرية

٣ - الدروز

- الاجماع على كفر الباطنية

المبحث الثاني : التقية عند الباطنية

- دور الستر عند الاسماعلية

- استخدام الاسماعلية للتقية لاستدراج الناس لدعوتهم

- حرص الباطنية على اخفاء عقائدهم

- التقية عند النصيرية

- الاختلاف في قبول توبة الباطنية بسبب قولهم بالتقية

المبحث الاول

التعريف بالباطنية وفرقهم ومجمل عقائدهم

(الباطنية لقب عام تنطوى تحته طوائف عديدة تلتقى جميعها فى تأويل النصوص الظاهره واثبات معان باطنة لها ، وتلجأ الى الرموز والاشارات فى تفسير النصوص الدينية واخراجها عن معانيها الظاهره ، مستهدفين بذلك هدم الدين وابطال شعائره وأحكامه العمليه.)(١)

يقول الامام الغزالى :

(وأما الباطنية فانما لقبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والاخبار بواطن تجرى فى الظواهر مجرى اللب من القشر ، وأنها بصورها توهم عند الجهال الاغبياء صورا جليه ، وهى عند العقلاء والاذكياء رموز اشارات الى حقائق معينة ، وان من تقاعد عقله عن الغوص على الخفايا والاسرار ، والبواطن والاغوار ، وقنع بظواهرها مسارعا الى الاغترار ، كان تحت الاواصر والاغلال معنى بالاوزار والاثقال .

وأرادوا بالاغلال التكليفات الشرعية ، فان من ارتقى الى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من اعبائه . . وغرضهم الاقصى ابطال الشرائع ، فانهم اذا انتزعوا عن العقائد موجب الظواهر قدروا على الحكم بدعوى الباطن على حسب مايوجب الانسلاخ عن قواعد الدين ، اذ سقطت الثقه بموجب الالفاظ الصريحة ، فلا يبقى للشرع عصام يرجع اليه ويعول عليه).(٢)

والواقع ان الباطنية ليست فرقه واحدة وانما هى فرق عديدة تلتقى فى كثير من عقائدها وأصولها ، وتشترك جميعها فى القول بالظاهر والباطن ، والاعتقاد بالتناسخ والحلول والغلو فى الائمه وادعاء ألوهيتهم .

وقد كان ابن سبأ أول من أظهر هذه العقائد ، واتخذ من التشيع لعلى رضى الله عنه ستارا لترويج عقائده وبث سمومه والتآمر على المسلمين ومحاولة اظهار كثير من العقائد

---

(١) دراسة عن الفرق للدكتور أحمد جلى ص/ ١٩٣

(٢) فضائح الباطنية ص/ ١١ - ١٢

الوثنية واليهودية بصبغة خادعة وثوب جديد .

واستمر هذا الغلو بعد ابن سبأ حتى ظهر ميمون القداح فى الكوفة سنة ١٧٦ هـ فادعى الاسلام وتظاهر بأنه يخدم اسماعيل بن جعفر الصادق ، واستغل ذلك لنشر انحرافاته الباطنية فى صفوف الشيعة ، وادعى أن لكل آية من كتاب الله تأويلا باطنيا وأن جميع المفروضات رموز واشارات ، وان الظواهر كلها قشور ، وبواطنها هو اللب المقصود (١)

ولا يتسع مجال البحث للتفصيل فى نشأة الباطنية وفرقهم وماذهبت اليه كل فرقة منهم من آراء وعقائد ، وانما سنقتصر فى حديثنا على أشهر فرق الباطنية وهى : الاسماعيلية والنصيرية والدروز ، لانها أبرز الفرق الباطنية ، وهى فرق قديمة ولكنها ممتدة حتى عصرنا هذا ، ولها أتباع منتشرون فى بعض البلاد الاسلاميه .

١ - الاسماعيلية :

ينتسب الاسماعيلية الى اسماعيل (٢) الابن الاكبر لجعفر الصادق ، وقد اختلف الشيعة فى موته ، فمنهم من قال أنه مات فى حياة ابيه فانتقلت الامامة منه الى أخيه موسى الكاظم ، وهؤلاء هم الامامية

ومنهم من قال : انه لم يمت ، ولكن اباه أظهر موته تقية عليه حتى لا يقصد بالقتل ، وهو الامام بعد أبيه ، ومنهم من قال انه مات فى حياة أبيه لكن النص على امامته يبقى فى عقبة ، وهكذا نقلوا الامامة عن طريق اسماعيل الى ابنه محمد المكتوم ، وهو أول الائمة المكتومين أو المستورين عند الاسماعيلية الذين كانوا يسيرون فى البلاد سرا ويظهرون الدعاة جهرا . (٣)

---

(١) قواعد عقائد آل محمد للامام محمد بن الحسن الديلمى اليمانى (ت ٧١١ هـ) ص/ ١٣

(٢) هو اسماعيل بن جعفر الصادق ، توفى فى حياة والده سنة ١٤٣ هـ وقد أنكرت الاسماعيلية ذلك وادعوا امامته ثم امامة ولده محمد ثم ابنه جعفر (المصدق) ، ثم ابنه محمد ، وهكذا حتى عدوا سبعة سموهم الائمة المستورين . راجع الاعلام ١ / ٣١١ -

(٣) الملل والنحل للشهرستانى ١ / ١٩١ - ١٩٢ ، تاريخ المذاهب الاسلاميه لابى زهرة ص/ ٥٩ - ٦٠

وتنقسم الاسماعيلية الى شعبتين رئيسيتين ، شعبة وقفت فى موت محمد بن اسماعيل الملقب بالمكتوم ، وقالت برجعته وانتظرته مهديا يبعث ، وهؤلاء هم القرامطة .

وشعبة ساقت الامامة من بعده فى ائمة مستورين مختفين الى أن وصلت الامامة الى عبيد الله المهدى مؤسس الدولة الفاطمية ، الذى هو أول الائمة الظاهرين ، وهذه هى عقيدة الاسماعيلية الفاطمية .(١)

أما عقائدهم الاخرى فهى مزيج من أقوال الفلاسفة والعقائد اليهودية والمجوسية وغير ذلك .

- فهم يعتقدون أن الله لا يوصف بوصف ولا يسمى باسم(٢) فينفون الاسماء والصفات عن الله تبارك وتعالى ويطلقونها على مايسمونه (العقل الاول)(٣) الذى هو عندهم الخالق والبارئ والمصور . .

وأما الناطق والامام فلهما نفس الاسماء والاوصاف والصلاحيات ، من الخلق والرزق والاحياء والاماتة الى غير ذلك ، ويدعون ان عليا هو الرب المتصف بصفاته ، وكذلك الائمه من ولده . .(٤)

- ويقولون بالحلول والتناسخ ، وأن الائمة يتشخصون للبشر كيف شاؤوا(٥) ، ويدعون أن القيامة هى قيام القائم وأن عذاب الله يوم القيامة هو الانتقال فى القوالب المسوخية ، وأن يوم الفصل هو يوم قيام المهدى وهو يوم التناد والتغابن والساعة وغيرها من اسماء يوم القيامه ، وأن الحساب يكون بيد القائم لانه هو الله الواحد القهار . .(٦)

---

(١) دراسات فى الفرق للدكتور عرفان ص/ ٦٧ - ٦٨

(٢) الاسماعيليه - احسان الهى ظهير ص/ ٢٧٣

(٣) المرجع السابق ص/ ٢٨٥

(٤) المرجع السابق ص/ ٢٩٩

(٥) المرجع السابق ص/ ٤٢٧

(٦) المرجع السابق ص/ ٤٤٠ - ٤٤٩

وقد صرح الاسماعيلية فى كتبهم بانكار النعيم الحسى فى الجنة وانكار عذاب النار وتأويل ذلك بتأويلات باطنية .

يقول ابو يعقوب السجستانى[(١)] :

(الثواب فى دار البقاء هو العلم لا الحس ، ولا الأشياء الحسيه)[(٢)]

ويقول فى تاويل معنى الجنة :

(هى العلوم والفوائد العقلية ، وهى بستان التميز قد زين بالنطقاء والاسس والائمه واللواحق)[(٣)] .

أما عذاب النار فهو عنده الشرائع الناموسية المعراة عن العلوم ، وهى كالسموم القاتلة فاذا أدامها الانسان أفسدت حياته ، وقطعت عليه لذات هذا العالم الحسى)[(٤)]

فالتكاليف الشرعية ، وما فيها من أوامر ومحرمات ، هى فى نظرهم كالسموم ، وهى المعنى الباطنى لعذاب النار لانها تقطع اللذة الحسية والمتعة الجسديه عن الانسان كما يزعمون . .

- اما فرائض الاسلام فهى عندهم محمولة على معان باطنية ، فالصلاة هى الاتصال بالامام والدعوه اليه ، والزكاة هى الاقرار بالائمة واطاعة الناطق ، والصوم هو الستر والكتمان والصمت بين اهل الظاهر ، والحج هو قصد امام الزمان ، والفرض منه معرفة الائمة[(٥)] . . الى غير ذلك من التأويلات الباطنية التى تهدف الى ابطال الشرائع والتحلل من التكاليف .

---

(١) هو اسحاق بن أحمد السجستانى ، من ابرز دعاة الاسماعيلية، ولد سنة ٢٧١ هـ فى سجستان جنوب خراسان ، ونشأ فى اليمن ، وقتل فى تركستان سنه ٣٣١ هـ، ويعد كتابه (الينابيع) من أبرز كتب الاسماعيلية .

راجع : تقديم مصطفى غالب لكتاب (الينابيع) ص/ ٤٦ - ٤٨ الاعلام ١/ ٢٩٣

(٢) كتاب الينابيع - تحقيق : مصطفى غالب - ص/ ١٣٦ - المكتب التجارى للطباعة - بيروت - ط ١ - ١٩٦٥ م

(٣) المرجع السابق ص/ ١٣٢

(٤) المرجع السابق ص/ ١٣٨

(٥) الاسماعيليه - لظهير ص / ٤٩٩ - ٥٢٢

٢ - النصيريـــة :

تنتسب هذه الفرقة الى مؤسسها محمد بن نصير النميرى (١) الذى كان مولى للحسن العسكرى الامام الحادى عشر عند الشيعة الامامية ، ويقال إنه لما مات الحسن ادعى ابن نصير أنه وكيل لابنه محمد بن الحسن ، او الباب له ثم ادعى أنه رسول الله ، ثم ادعى بعد ذلك الربوبية وقال باباحة المحارم (٢) .

ويلخص لنا سعد القمى (٣) عقائد النصيرية وما ذهبوا اليه من انحرافات فيقول :

(وقد شذت فرقة من القائلين بامامة على بن محمد - الهادى - فى حياته ، فقالت بنبوة رجل يقال له محمد بن نصير النميرى ، وكان يدعى أنه نبى رسول وأن على بن محمد أرسله ، وكان يقول بالتناسخ ويغلو فى أبى الحسن ، ويقول فيه بالربوبية ، ويقول بالاباحة للمحارم ، ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضا فى ادبارهم ، ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل والإخبات فى المفعول به ، وانه من الفاعل والمفعول به احدى الشهوات والطيبات وأن الله لم يحرم شيئاً من ذلك) (٤) .

وبالاضافة الى ذلك فان النصيرية يعتقدون بأن الله يحل فى الاشخاص وأن آخر حلول له كان فى على بن أبى طالب ، ومن ثم فهم يعتقدون أنه اله ، ويزعمون أنه كان موجودا قبل خلق السموات والارض ويؤلفون ثالوثا يتكون من على ومحمد وسلمان الفارسى ، ويرمزون له بالحروف الثلاثة (ع.م.س) ، فعلي هو المعنى أو الغيب المطلق ، ومحمد الاسم ، وسلمان هو الباب أو الطريق الذى يوصل الى المعنى .

ويذهبون الى أبعد من ذلك فيزعمون أن عليا هو الذى خلق محمدا ، ومحمد خلق سلمان الفارسى ، وسلمان الفارسى خلق من يسموهم الايتام الخمسة وهم : المقداد وأبوذر

---

(١) محمد بن نصير النميرى فارسى الاصل من موالى بنى نمير ، سكن الكوفه والبصرة ، وتوفى حوالى ٢٧٠ هـ ، وكنيته أبو شعيب .
(الحركات الباطنية للخطيب ص/ ٣٢٣)

(٢) دراسه عن الفرق - لجلى ص/ ٢٤٤
(٣) وهو من أبرز كتاب الفرق من علماء الشيعه القدماء (ت ٣٠١ هـ) وقد سبقت ترجمته ص/
(٤) المقالات والفرق ص/ ١٠٠ وراجع : فرق الشيعة للنوبختى ص/ ٩٣ - ٩٤

وعثمان بن مظعون وعبدالله بن رواحة وقنبر مولى علي ، وكل واحد من هؤلاء موكل بتسيير جزء من الكون ، من الرعد والصواعق والزلازل وقبض الارواح ، ونفخ الارواح في الاجسام .. الى غير ذلك .

ويقول النصيريه بالتناسخ فيزعمون أن الارواح تنتقل من جسد الى جسد ، فان كانت شريرة فانها تدخل في جسم امرأة أو تحل في الحيوانات النجسة كالخنازير ، أما أرواح المؤمنين فانها تتحول سبع مرات قبل أن تأخذ مكانها بين النجوم .

ويمجد النصيرية ابن ملجم قاتل علي لانه على زعمهم خلص اللاهوت من الناسوت ..(١)

٣ - الدروز :

الدروز فرقة انبثقت عن الطائفه الاسماعليه في بداية القرن الخامس الهجرى في مصر ابان الدوله الفاطميه ، وهم لا يرضون بهذا اللقب ، وانما يطلقون على أنفسهم اسم (الموحدين)(٢)

وقد ارتبط اسم الدروز بشخصيتين هما :

- محمد بن اسماعيل نشتكين الدَّرَزى (بفتح الدال والراء) ، وهو أحد الداعين لتأليه الحاكم بأمر الله وقد نشر مذهبه في وادى القيم في بلاد الشام ، وكان هذا الرجل أحد أركان القوى الخفيه اليهودية التي كانت تخطط للكيد للاسلام

- منصور أنو شتكين الدُّرْزى (بضم الدال وسكون الراء) وهو احد قواد الحاكم بأمر الله ، والدروز يجلونه ايما اجلال(٣)

ومهما يكن فإن المحور لعقيدة الدروز هو الحاكم بأمر الله(٤) أحد خلفاء الدولة الفاطمية ،

---

(١) دراسة عن الفرق لجلي ص/ ٢٤٧ - ٢٥٢

(٢) أضواء على العقيدة الدرزية - لأحمد الفوزان ص/ ٥

(٣) المرجع السابق ص / ٦

(٤) هو منصور (الحاكم بأمر الله) ابن نزار (العزيز بالله) ابن معد (المعز لدين الله) العبيدى الفاطمى من خلفاء الدولة الفاطمية بمصر ، ولد في القاهرة سنة ٣٧٥ هـ ، واستلم الخلافة وعمره احدى عشرة سنة ، وأعلنت الدعوة الى تأليهه سنة ٤٠٧ هـ ، ==

وقد انشأ سنة ٣٩٥ هـ معهدا رسميا خاصا لبث الدعوة الفاطمية السريه ، وسماه دار الحكمة فاحتشد فيه طائفة من الدعاة الملاحدة ، والتفوا حول الحاكم بأمر الله ، وزينوا له فكرة (ألوهيته) ، ومن هؤلاء الدعاة الباطنيين : حمزه بن على الزوزنى (١) الذى وفد على مصر سنة ٤٠٥ هـ وانتظم فى دار الحكمة حتى أصبح عضوا بارزا فيها ، واصبحت له حظوة عند الحاكم ، واستطاع ان يجمع حوله كثيرا من الباطنيين الذين نادوا بالدعوة الى تأليه الحاكم بأمر الله ، وكان على رأس هؤلاء محمد بن اسماعيل الدرزى (٢).

وقد تطور المذهب الدرزى بعد الحاكم وأصبح متميزا عن باقى الفرق الباطنية بعقائد عديده وان كان يشترك معها فى العقائد الرئيسية التى اتصفت بها كل الفرق الباطنية .

= وكان يأتى بأعمال متناقضه لا تصدر عن رجل عادى عنده شئ من العقل كما ذكر المؤرخون ، ومنهم من كان يعده ذكيا عبقريا ، توفى سنه ٤١١ هـ

راجع ترجمته فى : الاعلام ٧ / ٣٠٥ - ٣٠٦

طائفة الدروز لمحمد كامل حسين ص/ ٣١ - ٤٩

عقيدة الدروز للخطيب ص/ ٣٩ - ٨٠

(١) هو حمزة بن على بن احمد الفارسى الدرزى ، من كبار الباطنية ، فارسى الاصل ، انتقل الى القاهرة ، وأصبح من أركان الباطنية فى عهد الحاكم بأمر الله ، ولما هلك الحاكم رحل الى بلاد الشام واستقر فى المقاطعة التى سميت بعد ذلك جبل الدروز ، وأصبح له عند الدروز المكانة الكبرى حتى سموه : العقل وقائم الزمان والايه الكبرى وآية التوحيد وآدم الكلى ..، وله عدة رسائل فى مذهبهم ، وقد توفى عام ٤٣٣ هـ.

راجع ترجمته فى : عقيدة الدروز للخطيب ص/ ١٠٣ ، أضواء على العقيدة الدرزيه للفوزان ص/ ٢٨ ، الاعلام ٢ / ٢٧٨

(٢) عقيدة الدروز لمحمد أحمد الخطيب ص/ ٣١ - ٣٢

ومن أبرز عقائد الدروز (١) :

١ - ادعاء الوهية الحاكم بأمر الله ، وان له حقيقة لاهوتيه لا تدرك بالحواس

٢ - القول بالتناسخ وهو انتقال النفس من جسم بشرى الى جسم بشرى آخر ، أما المسخ وهو الانتقال الى البهائم فانهم ينكرونه .

٣ - القول بالحدود الخمسة وهى : العقل والنفس والجد والفتح والخيال ، وهى الحدود الروحانية التى لها مثولات فى الحدود الجسمانيه وهم : النطقاء والاوصياء والائمة والحجج والدعاه .

ويطلقون كل واحد من هذه الحدود على شخص من دعاتهم ومؤسسى مذهبهم ، ويقولون ان هؤلاء هم أبواب الحكمة ومفاتيح الرحمة ويصفونهم بكثير من صفات الالوهيه .

٤ - الادعاء بأن المقصود بيوم القيامه ليس هو بعث الارواح وانما هو نهايه مراحل الارواح حيث تنتقل من الاقمصه المادية لتتصل بالعقل الكلى وذلك حينما يظهر مذهب الدروز على كل المذاهب ، وكذلك يخرجون معنى الجنه والنار والثواب والعقاب عن حقيقته ويؤولونه بمعان باطنيه ، وهذا مايفعلونه ايضا فى تأويل فرائض الاسلام بمعان باطنية وانكار معانيها الظاهره .

٥ - وهم ينكرون جميع الانبياء عليهم السلام وينسبونهم الى الجهل لانهم لم يعرفوا ألوهية الحاكم . .

الاجماع على كفر الباطنية :

مما سبق نجد أن العقائد الباطنية المتمثلة فى أشهر الفرق الباطنية وهى الاسماعيلية والنصيرية والدروز . . عقائد لا تمت الى الاسلام بصلة ، بل هى كفر بالله وانكار لكل الاديان السماوية ، ولذلك حكم علماء المسلمين بكفر هذه الفرق وأطلقوا عليها اسم : الفرق الخارجة

(١) راجع عقيدة الدروز للخطيب ص/ ١٢١ - ١٦٩ ، اضواء على العقيدة الدرزية للفوزان ص/ ٤٦ - ٦٧ ، طائفة الدروز لمحمد كامل حسين ص/ ٨٣ - ١٢٤

عن الاسلام ، وهذا أمر بدهي لادعائهم الوهية البشر وانكارهم لاركان الايمان والاسلام واسقاطهم للفرائض والتكاليف الشرعية ، ولذلك أجمع علماء المسلمين على القول بكفرهم وردتهم عن الاسلام .

يقول الامام ابن تيمية :

(كفر هؤلاء مما لا يختلف فيه المسلمون ، بل من شك في كفرهم فهو كافر مثلهم) (١)

ويقول أيضا :

(هؤلاء الدرزيه والنصيرية كفار باتفاق المسلمين ، لا يحل أكل ذبائحهم ، ولا نكاح نسائهم ، بل ولا يقرون بالجزية ، فانهم مرتدون عن دين الاسلام) (٢)

ويقول رحمه الله ردا على فتوى في حكم النصيريه :

(هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية اكفر من اليهود والنصارى بل واكفر من كثير من المشركين ، وضررهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم من ضرر الكفار المحاربين .. فان هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع ، وموالاه اهل البيت ، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ولا بأمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار ولا بأحد من المرسلين قبل محمد صلى الله عليه وسلم) (٣)

ومع انتساب الباطنية للتشيع فان علماء الشيعة الامامية قد اعلنوا براءتهم منهم وحكموا بشذوذهم وكفرهم .

يقول ابن بابويه القمي : (اعتقادنا في الغلاة أنهم كفار بالله) (٤)

ويقول أيضا : (ليس بين الغلو والامامية نسبة) (٥)

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٥ / ١٦٢

(٢) المرجع السابق ٣٥ / ١٦١

(٣) المرجع السابق ٣٥ / ١٤٩

(٤) الشيعة بين الحقائق والاوهام لمحسن الامين ص/ ١٩

(٥) اكمال الدين واتمام النعمة في اثبات الرجعة لابن بابويه ص/ ٩٩

ويقول : (أما القرامطة فقد نقضت الاسلام حرفا حرفا لانها أبطلت اعمال الشريعة) [١].

ويقول محمد جواد مغنية (ان للغلاة دينهم الخاص وهو لا يمت الى الاسلام بصلة) [٢].

---

(١) المرجع السابق ص/ ١٠٠

(٢) مع الشيعة الاماميه ص/ ٤١

المبحث الثانـي

التقية عند الباطنيـــــة

مع أن الباطنية لا تمت الى الاسلام بصلة ، وجميع فرقها خارجة عن الاسلام كما أسلفنا ، ومع أن انتماءهم الى التشيع انتماء زائف . . الا أننا سنتحدث عن موقفهم من التقيــــه لاشتراكهم فى هذه العقيدة مع الشيعة الامامية .

والواقع أن أبرز ما استخدم فيه الباطنية التقية هو كتمان عقائدهم واخفاء كفرهم عـــن الناس ، أما مجالات التقية الاخرى كالتقية فى الرواية والفقه والتى هى عند الشيعة الامامية من أبرز مجالات التقية ، فان الباطنية لم يهتموا كثيرا بهذا المجال لان عقائدهم الباطنية ومنهجهم فى تفسير النصوص بمعان باطنية واخراجها عن ظاهرها ، جعلهم فى غنى عـــن كثير من استخدامات التقية التى أقدم عليها الامامية .

فالباطنية فتحوا الباب لانفسهم لتحريف وتأويل أى نص شرعى ليس باسم التقية، بل عـــن طريق القول بالظاهر والباطن وسلخ الايات عن ظواهرها .

كما أن هذه العقائد الباطنية جعلتهم يختلفون عن الامامية فى تفسير بعض المواقـــف التاريخية التى فسرها الشيعة الامامية على أساس التقية .

فزواج عمر رضى الله عنه من أم كلثوم ابنة على رضى الله عنه فسره الامامية بالتقية، ولكـــن الباطنية لهم تفسير آخر كما ذكر ذلك المفضل الجعفى ، وهو من رؤساء الباطنية .

فقد عقد لذلك بابا فى كتابه (الهفت والاظلة) تحت عنوان (معرفة تزويج أم كلثوم فى الباطن) ادعى فيه أن عمرا دخل عليها فوجدها فى صورة أم كلثوم ولكنها كانت فى الواقع ابنته جريرة ، فلما أصبح علم بذلك فصاح صيحة رجت لها الدار ، ولكنه بعد ذلك كتم قصتـــه خوف العار . . (١)

---

(١) الهفت والاظلة ـ للمفضل بن عمر الجعفى ـ تحقيق عارف تامر ـ ص/ ٦٢ ـ ٦٦

وهكذا يظهر حقد الباطنية على الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه بما يفترون من افتراءات لتشويه الصورة النقية لجيل الصحابة الكرام .

والمهم أنهم باستخدامهم لعقائدهم الباطنية فى التقمص والتناسخ استغنوا عن استخدام التقية فى مجالات كثيرة من المجالات التى استخدم فيها الشيعة الامامية التقية .

ولكنهم بالمقابل كانوا أشد استخداما للتقية فى مجال كتمان عقائدهم واخفاء حقيقة كفرهم عن الناس ، وهم يعلمون أن عقائدهم تتعارض مع العقول وتنفر منها النفوس لانها أقرب الى الخرافات والاساطير .

يقول الامام ابن تيمية :

(أما هؤلاء القرامطة فانهم فى الباطن كافرون بجميع الكتب والرسل ، يخفون ذلك ويكتمونه عن غير من يثقون به . . لأنهم لو أظهروه لنفر عنهم جماهير أهل الأرض من المسلمين وغيرهم) (١).

- وللتأكيد على أهمية التقية عند الباطنية فى مجال كتمان عقائدهم فاننا سنستعرض بعض ما يروونه من روايات فى ذلك ، وهى فى الواقع لا تختلف عما أورده الشيعة الامامية من روايات .

ومنها الرواية المشهورة : (التقية دينى ودين أبائى) (٢).

ورواية أخرى أوردها أحد الباطنية عن ائمتهم وهى : (اكتموا سرنا ، ومن أذاع سرنا فقد جحد حقنا) (٣)

كما يزعم الباطنية أن النبى صلى الله عليه وسلم قد بث لعلي بن أبى طالب وبعض الصحابة علوما وأسرارا خفية والغرض من ذلك - على حد زعمهم - " اخفاء أسرار الله تعالى عن غير أهلها ، لانها مازالت كذلك مخفية عن غير أهلها مودعة عند أهلها " (٤)

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٥ / ١٤١

(٢) أسرار النطقاء لجعفر بن منصور اليمن ص/ ٩٢ نقلا عن : الاسماعيلية لاحسان الهى ظهير ص/ ٤٦٩

(٣) كتاب الكشف ص/ ٣ نقلا عن : الاسماعيلية لظهير ص/ ٤٦٦

(٤) جامع الاسرار ومنبع الأنوار/ شيخ سيد حيدر آملى ص/ ٢٥ - نقلا عن : الحركات الباطنية فى العالم الاسلامى للخطيب ص/ ٥١

دور الستر عند الاسماعيلية :

لعبت التقية دوراً هاماً فيما أسماه الاسماعيلية دور الستر حيث عدوا محمد المكتوم أول الائمة المستورين وهو ابن اسماعيل بن جعفر الصادق ، وبقى الائمة عندهم فى دور الستر حتى أظهر أبوعبدالله المهدى الدعوة فكان أول الائمة الظاهرين [١]

ويقول الاسماعيليون ان محمد بن اسماعيل المكتوم كانت امامته بداية دور جديد فى تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، حيث قام بنسخ الشريعة التى سبقته ورفع التكاليف الظاهرة للشريعة ونادى بالتأويل واهتم بالباطن ولذلك انتظم فى سلك مقامات دور الستر [٢]

كما جعل الاسماعيلية للائمة فى دور الستر والتقية مقامات ودرجات وهى :

الامام المقيم، والامام الأساسى ، والامام المتم ، والامام المستقر ، والامام المستودع، الى غير ذلك من المراتب [٣]

استخدام الاسماعيلية للتقية لاستدراج الناس لدعوتهم :

تحدث الامام محمد بن الحسن الديلمى [٤] عن حيل الباطنية فى الاستدراج لدعوتهم ومايقومون به من تظاهر أمام الاخرين لاخفاء حقيقتهم فقال :

(ومنها : استدراجهم .. ويتكلمون مع الناس على قدر اعتقادهم وعقولهم ودرجاتهم ، والجاهل المغرور صيدهم ، ويدخلون على كل فرقة من فرق الامة المسلمة وغيرها من جهتهم .

---

(١) تاريخ ابن خلدون ص/ ٣٥٦

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص/ ١٤٨

(٣) انظر : الامامة وقائم القيامة للدكتور مصطفى غالب ص/ ١٤٧ - ١٤٨
الامامة فى الاسلام لعارف تامر ص/ ١٤٢ ، أصول الاسماعيلية للدكتور برنارد لويس ص/ ١٦٠
وانظر ماذكره احسان الهى ظهير عن دور الستر والدعاة فى هذا الدور، فى كتابه الاسماعيلية ص/ ٨٥ - ١٠٠

(٤) هو الامام محمد بن الحسن الديلمى اليمانى ، فقيه زيدى ، أصله من الديلم، انتقل الى اليمن وسكن صنعاء وتوفى سنة(٧١١) وكتابه : (قواعد عقائد آل محمد) يعد من أصول كتب الزيدية .
- الاعلام ٨٦/٦ -

فمن وجده مسلما شيعيا يظهرون التشيع عنده دينهم ومذهبهم ، ويشتمون الامة لظلمهم علياً وأولاده .. ومن وجده مجوسياً يظهرون عنده تعظيم النار والنور .. ومن وجده يهودياً يظهرون عنده تعظيم السبت وشتم النصارى والمسلمين .. ومن وجده نصرانياً يظهرون عنده الطعن على اليهود والمسلمين جميعاً .. ويدرجون العامى الأعجز الى مراتب كفرهم درجة درجة)(١)

ولذلك كان دعاة الاسماعيلية يسلكون طريق التستر والكتمان لنشر دعوتهم ، حيث يندسون فى حلقات العلماء ليسألوهم ويحرجوهم ويشككوا طلابهم بهم وبعلومهم ، ويستر هؤلاء اسماعيليتهم ويظهرون أمام كل فرقة على شاكلتها .(٢)

حرص الباطنية على اخفاء عقائدهم

مهما كان الشيعة الامامية يحرصون على اخفاء عقائدهم وكتمانها تقية ، فان الباطنية اكثر تسترا وكتمانا منهم ، وقد ساعدهم على هذا الكتمان أن عقائد الباطنية ـ وخاصة الاسماعيلية ـ مجموعة من آراء مختلفة قد تطورت من بلد الى آخر ، ومن زمن الى زمن ، بحيث تصعب دراستها ومعرفتها ، وقد استفاد الاسماعيليون من هذا الاختلاف والتطور فاذا حاولت أن تسأل أحدهم فى مسألة من المسائل تراه ينكر نسبة هذه المسألة الى الاسماعيلية ، فاذا جابهته بها فى كتاب من كتبهم ، فهو اما أن ينكر نسبة الكتاب الى الاسماعيلية ، أو يخرج لك كتابا آخر من كتبهم فيه ماينا قض مافى الكتاب الاول .(٣)

وهناك كتب اسماعيلية سرية لا يطلعون عليها الا خواصهم لما فيها من عقائد خطيرة وأساطير منفرة وقد وقعت يدى على أحد هذه الكتب ضمن مجموعة أربعة كتب نشرها المستشرق (شتروطمان) واسم هذا الكتاب : (مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والاسرار السامية التى لا يجوز الاطلاع عليها الا باذن من له العقد والحل) لمؤلف مجهول ، بتاريخ ١٢٨١ هـ .

---

(١) قواعد عقائد آل محمد ص/ ٢٧ - ٢٩
(٢) طائفة الاسماعيلية للدكتور محمد كامل حسين ص/ ١٣٨
(٣) طائفة الاسماعيلية للدكتور محمد كامل حسين ص/ ١٧٧

ويأخذ مؤلفه العهد على قارئ كتابه ألا يطلع عليه أحدا ، وأن يرده اليه بعد أن يحفظ مافيه [(١)]

ثم بعد ذلك يشرع فى الحديث عن العالم الروحانى والهيكل النورانى ، وناسوت الامام، والصور الابليسية ، وأهل المسوخات الى غير ذلك من الالغاز والاساطير [(٢)]

التقية عند النصيرية :

لا يختلف النصيرية عن غيرهم من الفرق الباطنية فى حرصهم على كتمان عقائدهم واستخدام التقية فى اخفائها ، ويحتجون بما احتج به غيرهم من الاستدلال على وجوب التقية بنسبتها للرسول صلى الله عليه وسلم ، والادعاء بأنه كتم بعض عقائد الدين عن كثير من أصحابه

يقول الكاتب النصيرى المعاصر محمد غالب الطويل :

(انه لما أُعلن كمال الاسلام كان لا يزال بعض العقائد مكتوماً وخفياً ، ولذلك بقى الى هذا اليوم مكتوما لخصوصيته ، وبتعبير أصح : إن بقاء عقيدة العلويين [(٣)] مكتومة هو من كمال الاسلام ، واعلانها مضرَّة ، لان الرسول صلى الله عليه وسلم بشَّر المؤمنين بولاية علي وبذلك كمل الاسلام ، ولكنه بقى حريصاً على كتمان البقية ، ولذلك كان كتمان البقية من كمال الاسلام أيضا) [(٤)].

ولا يخفى مافى هذا القول المتهافت من الاضطراب إذ كيف يكمل الاسلام وبعضه ناقص مكتوم ؟ وكيف يُعتبر هذا النقصان دليلاً على الكمال ؟!

إن هذه الدعوة الباطلة تعارض مانص عليه القرآن الكريم ، وقد سبقت مناقشتها فى الرد على الشيعة الامامية الذين ادعوها أيضاً [(٥)].

---

(١) مسائل مجموعة من الحقائق العالية ص/ ٥ - ٦

(٢) المرجع السابق ص/ ٦ - ١٣

(٣) لقب يطلقه النصيرية على أنفسهم ليتخلصوا مما علق تاريخيا باسم النصيرية من ذم وتشنيع وتكفير ، وليظهروا أمام الاخرين بمظهر التشيع وموالاة أهل البيت .

(٤) تاريخ العلويين لمحمد غالب الطويل ص/ ٧٥

(٥) راجع ص/ ٢٧٢ من هذا البحث .

ويتحدث المنتجب العاني أحد رؤوس النصيرية عن السرية في كتمان عقائدهم ويباركها بقوله[١] :

وسرٌ يقلقل صمَّ الجبال	ويَفْجُر من صخرها أعينا
عجائبه كثيرة لا تعدُّ	فطوبى لطرفٍ اليها رنا
ونمسك من بعد هذا المقال	حذاراً ونقطعه من هنا
لكي لا تلوح معاني الكلام	فيظهر ضدٌّ على سرِّنا

ولذلك يعمدون الى الرمز في الدين والحديث بالالغاز التي لا يفهمها الا الخواص، وهذا شاعرهم المكزون السنجاري يعلل ذلك بقوله[٢] :

قالوا تحدث بالصحيح	من الحديث بغير رمز
فأجبتهم هل عاقلٌ	يرمي الكنوز بغير حِرْز ؟

وينسبون الى الامام على زين العابدين قوله في التأكيد على إخفاء هذه العقائد الباطلة :

وربَّ جوهر علمٍ لو أبوح به	لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا[٣]

والامام على زين العابدين رحمه الله بريء من ذلك وهو العالم الزاهد التقي ، فكيف يُدّعى أن عنده علوماً خفية وجواهر لا يبوح بها ، ولو أباح بها كانت شركاً وعبادة للوثن ؟!

ويدعون أن جعفر الصادق أوصى المفضل الجعفي بالتقية وكتمان سر الله ، وقال له :

(يا مفضَّل : لقد أُعطيت فضلاً كبيراً ، وتعلمت علماً باطناً فعليك بكتمان سر الله ، ولا تطلع عليه الا مخلصاً ، فان أفشيته الى أعدائنا فقد أعنت على قتل نفسك)[٤]

وقد جاء في كتابهم (تعاليم ديانة النصيرية) هذا السؤال[٥] :

س ـ هل يحق للمؤمن أن يبوح لانسان آخر بسر الاسرار ؟

---

(١) اسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة ص/ ٣٤٥

(٢) معرفة الله والمكزون السنجارى ٢/ ٣٤٦ نقلا عن : اسلام بلا مذاهب ص/ ٣٧٦

(٣) تاريخ العلويين ص/ ١٩٦

(٤) الهفت والاظلة ص/ ١٢٦

(٥) مذاهب الاسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوى ٢ / ٤٨٥

ج - لا يبوح به الا لاخوانه فى الدين ، وإلا باء بسخط الله . .

ولكى يطلع النصيرى على أسرار مذهبه لابد أن يمر بثلاث مراحل :

١ - مرحلة (الجهال) : وفيها يهيئون من يقع عليه الاختيار من أبناء الطائفة لقبول وحمل أسرار المذهب .

٢ - مرحلة التعليق : وفيها يلقنونه شيئا من الاسرار ويختبرون تكتمه .

٣ - مرحلة (السماع) : وهذه المرحلة يصلها من وجدوه جديرا بحمل أسرار المذهب وعندها ينقلونه الى درجة أعلى يطلقون عليها درجة الشيخ (أو صاحب العهد) بحضور كفيلين أو شاهدين يشهدان باستعداد الرجل لقبول السر ومحافظته عليه ، ثم يلقنونه سر المذهب بعد حلف اليمين على عدم البوح بالسر ولو أريق دمه ، وهذا الاسلوب المتبع لدى النصيرية يشبه الى حد بعيد الاسلوب المتبع فى الماسونية عند سقوط عضو جديد فى شراكها (١)

ولقد اغتر الدكتور مصطفى الشكعة بطالب نصيرى أقسم له على براءة النصيرية مما نسب اليهم من عقائد وذلك فى رسالة أرسلها اليه عقب صدور الطبعة الاولى من كتابه (اسلام بلا مذاهب) .

وقد أقسم الطالب فى رسالته بالأيمان المغلظة أن العلويين لا تختلف عقيدتهم عن عقيدة الشيعة . (٢)

واذا بالدكتور الشكعة يعيد النظر فى الطبعة الرابعة من كتابه فى الفصل الذى خصصه للحديث عن النصيرية ويطلُع علينا بمزاعم غريبة حيث يقسم النصيرية الى قسمين :

- قسم من الغلاة وهم الذين قالوا بتألية علي وغير ذلك من العقائد الباطلة ، وهذا القسم لم يعد له وجود الان !

- وقسم يُعتبرون شيعة إمامية وهم كاملو الايمان صحيحو الاسلام (!!) وهؤلاء بين القوم مِن الكثرة بمكان ، يؤدون الفرائض من غير شحطات . . !! (٣)

---

(١) طائفة النصيرية للدكتور سليمان الحلبى ص/ ٤٦

(٢) اسلام بلا مذاهب ص/ ٣٦٧

(٣) المرجع السابق ص/ ٣٣١

ولا ندرى هل انطلت حيلة التقية على الدكتور الشكعة حتى سارع الى تصديق كلام يصله من طالب مجهول لا يدري اسمه ، أم أنه تراجع عما كتبه رهبة وخوفاً !.

- وكما أن النصيرية يقومون باستخدام التقية الى هذا الحد لكتمان عقائدهم فان الدروز أيضا لا يختلفون فى استخدامهم للتقية عن النصيرية حيث يتظاهرون بأنهم فرقة من فرق المسلمين وأنهم يؤدون الشعائر ويحرصون على العقيدة الاسلامية ، ولذلك يسمون أنفسهم (الموحدين) (١) ..!!

- وبسبب تمسك الباطنية بالتقية اختلف العلماء فى قبول توبة من يتوب منهم ويدّعي تخليه عنهم .

يقول الامام الغزالى :

(وأما توبة الباطنية وكل زنديق مستتر بالكفر يرى التقية ديناً ، ويعتقد النفاق وإظهار خلاف المعتقد عند استشعار الخوف حقاً - ففي هذا خلاف بين العلماء : ذهب ذاهبون الى قبولها .. وذهب ذاهبون الى أنه لا تقبل توبته ، وزعموا أن هذا الباب لو فُتح لم يمكن حسم مادتهم وقمع غوائلهم ، فإن من سرّ عقيدتهم التدين بالتقية والاستسرار بالكفر عند استشعار الخوف) (٢)

ويقول الامام ابن تيمية :

(واذا أظهروا التوبة ففي قبولها منهم نزاع بين العلماء .. لأن أصل مذهبهم التقية وكتمان أمرهم ، .. فالطريق فى ذلك أن يُحتاط فى أمرهم) (٣)

---

(١) أضواء على العقيدة الدرزية ص/ ٥

(٢) فضائح الباطنية للغزالى ص/ ١٦٠ - ١٦١

(٣) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٣٥ / ١٥٧

الباب الثالث
التقية عند الخوارج

وفيه فصلان :

الفصل الأول : التعريف بالخوارج ومجمل عقائدهم

الفصل الثاني : موقف الخوارج من التقية



الفصل الأول
التعريف بالخوارج

وفيه مبحثان :

المبحث الاول : نشأة الخوارج

المبحث الثانى : فرقهم وعقائدهم

المبادئ العامة للخوارج

أبرز فرق الخوارج :

١ - الازارقة

٢ - النجدات

٣ - الصفرية

٤ - الاباضية

هل الاباضية من الخوارج ؟

أقوال العلماء فى تكفير الخوارج

المبحث الاول

نشـــأة الخـــوارج

عرف الامام الشهرستانى الخوارج بقوله :

(كل من خرج على الامام الحق الذى اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا ، سواء كان الخروج فى أيام الصحابة على الائمة الراشدين ، أوكان بعدهم على التابعين باحسان ، والائمة فى كل زمان) (١)

وقد أطلق هذا اللقب على الذين خرجوا على الامام علي رضى الله عنه بعد قبوله التحكيم عقب معركة صفين ، واعتبروا قبوله للتحكيم خطيئة تؤدى الى الكفر ، ومن ثم طلبوا منه أن يتوب من هذا الذنب ويرجع عما أبرم مع معاوية من شروط ، فأبى علي ذلك ولم يرض بنقض العهد والميثاق .

وعندها ترك هؤلاء جيش الامام علي رضى الله عنه وخرجوا مستخفين واجتمعوا فى حروراء احتجاجا على وقف القتال والركون الى الصلح ثم لما أعلنت نتائج التحكيم ترك جمع آخر منهم جيش الامام علي وخرجوا من الكوفة ، والتحقوا بالفئة الاولى عند النهروان ، وأمروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبى . (٢)

والذى يدعو الى العجب ويثير الريبة فى حقيقة هؤلاء ، أنهم هم الذين طلبوا من علي رضى الله عنه أن يقبل بالتحكيم وهددوه ان لم يقبل أن يفعلوا به مثل مافعلوا بعثمان رضى الله عنه ، فلما تم التحكيم على خلاف مايريدون خرجوا عليه وقالوا : لم حكمت الرجال ؟ لا حكم الا لله . . (٣)

ولذلك يرجح بعض الباحثين أن زعماء الخوارج الاول أو بعضا منهم على الاقل كانوا ممن اشترك فى قتل عثمان رضى الله عنه ، ولذلك كانوا يتخوفون من انقطاع الحرب وعقد

---

(١) الملل والنحل ١/ ١١٤

(٢) دراسات فى الفرق والعقائد للدكتور عرفان عبد الحميد ص/ ٩٦

(٣) الملل والنحل ١/ ١١٤ - ١١٥

الصلح مخافة أن يعاقبوا على اشتراكهم فى مقتل عثمان ، ولذلك أصروا على استمرار الحرب ونقض الصلح ، وهذا مايربط بين الخوارج والسبئية .(١)

وهكذا تعمل الايدى الخفية الحاقدة على الاسلام على إثارة الفتن فى صفوف المسلمين واشغالهم عن الدعوة للاسلام ، ومحاولة ايقاف المد الاسلامى عن طريق اشغال جيش المسلمين بالشقاق والخلاف .

ومما يؤكد ذلك أن الخوارج لم يكتفوا بالخروج على علي رضى الله عنه وإنما اجتمعوا فى النهروان وأخذوا يقتلون كل من لم يشاطرهم رأيهم ويعترف بخليفتهم ويلعن عثمان وعليا رضى الله عنهما .(٢)

وهكذا عاث الخوارج فى الارض فسادا ، واستحلوا دماء المسلمين وأموالهم ، وارتكبوا الجرائم الخطيرة ، ومن أبرز هذه الجرائم قتلهم لعبدالله بن خباب بن الارت ، الذى سألوه عن رأيه فى أبي بكر وعمر فذكرهما بكل خير ، وسألوه عن عثمان فى أول خلافته وآخرها فجعله محقا فى أولها وآخرها ، وسألوه عن علي قبل التحكيم وبعده فقال : (انه أعلم بالله منكم ، وأشد توقيا على دينه ، وأنفذ بصيرة) .

فقدموه الى شفير النهر فذبحوه وبقروا بطن أم ولده عما فى بطنها ، وكانت حبلى ، ثم قتلوا بعض النسوة وأخذوا يعترضون الناس ويقتلون الاطفال .(٣)

ولما اشتدت حركتهم خرج اليهم الامام علي رضى الله عنه لقتالهم ، وبادرهم بالمناقشة والرد على آرائهم واقناعهم ، فعاد قوم منهم الى جيش علي رضى الله عنه ، وانعزل آخرون عن القتال ، أما الباقون وكانوا نحو أربعة آلاف فقد أصروا على انحرافهم ، ولما طلب منهم تسليم قتلة عبدالله بن خباب منهم ، قالوا كلنا قتلناه ، فصمم على قتالهم بعد أن تبين له انهم الفئة الخارجة التى أشار اليها الرسول صلى الله عليه وسلم فى أحاديثه ،(٤) وخطب

---

(١) دراسات فى الفرق ص/ ٩٤

(٢) تاريخ الاسلام السياسى والدينى للدكتور حسن ابراهيم حسن - ١/ ٣٧٨

(٣) تاريخ الطبرى ٥/ ٨١ ، التبصير فى الدين للاسفراييني ص/ ٤٧ ، تلبيس ابليس لابن الجوزى ص/ ٩٣

(٤) وردت فى ذم الخوارج والامر بقتالهم أحاديث صحيحة كثيرة ، منها مارواه البخارى =

علي بأصحابه ، وأخبرهم بما سمع عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى شأن الخوارج ، وهكذا كانت موقعة(النهروان) التى أبيد فيها الخوارج ولم ينج منهم الا نفر قليل .(١)

ولكن هذه المعركة لم تضع نهاية للخوارج ، لان من بقى منهم كان له دور خطير فى التخطيط لقتل الامام علي رض الله عنه ، والخروج على الخلفاء من بعده ، واستمر الخوارج قوة مناهضة للدولة الاموية تحاول تقويض أركانها ، كما استطاعوا فى بعض الاحيان أن يبسطوا نفوذهم على أرض فارس والعراق وبعض مناطق من اليمن والجزيرة ،(٢) وانقسموا الى فرق عديدة متناحرة فيما بينها ، وأصبح لكل فرقة منهم عقائد خاصة تتميز بها ، مع اشتراكهم فى كثير من المبادئ العامة .

وقبل أن نتحدث عن المبادئ العامة للخوارج وعقائد كل فرقة منهم ، نستعرض أبرز الالقاب التى أطلقت على الخوارج وسبب اطلاقها .

= عن على رض الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (سيخرج قوم فى آخر الزمان حداث الاسنان سفهاء الاحلام ، يقولون من خير قول البرية ، لا يجاوز ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فان فى قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة) .

وروى أيضا عن أبى سعيد الخدرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (يخرج فى هذه الامة ، ولم يقل منها ، قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، يقرأون القرآن لا يجاوز حلوقهم أو حناجرهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية) .

وعن أبى سعيد قال : بينما النبى صلى الله عليه وسلم يقسم جاء عبد الله بن ذى الخويصرة التميمى فقال : اعدل يارسول الله ، فقال : ويلك من يعدل اذا لم أعدل؟ قال عمر بن الخطاب : دعنى أضرب عنقه . قال : دعه ، فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاته ، وصيامه مع صيامه ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. . . قال أبوسعيد : أشهد سمعت من النبى صلى الله عليه وسلم ، وأشهد أن عليا قتلهم وأنا معه جئ بالرجل على النعت الذى نعته النبى صلى الله عليه وسلم) .

صحيح البخارى ١٩٧/٤ - ١٩٨ باب قتل الخوارج والملحدين

(١)(٢) دراسة عن الفرق للدكتور جلى ص/ ٤٥ - ٤٦

فقد أطلق عليهم اسم المحكمة بسبب ما وضعوه من شعار انكار التحكيم فى قولهم (لا حكم الا لله) ، كما أطلق عليهم اسم المارقة لمروقهم عن الدين كما وصفهم الحديث ، وسموا أنفسهم الشراة لقولهم شرينا أنفسنا فى الله ، أى بعناها بثواب الله كما يزعمون ، تبعا لما ورد فى قوله تعالى : (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد)[1].

وسموا أيضا بالحرورية لانحيازهم فى أول أمرهم الى قرية (حروراء) بالقرب من الكوفة[1].

---

(١) سورة البقرة / آية ٢٠٧

(٢) آراء الخوارج للدكتور عمار الطالبى - ١ / ٣١ ، دراسة عن الفرق للدكتور جلى ص/ ٣٥ - ٣٦

المبحث الثانى

فرقهم وعقائـــــــدهم

قبل أن نتحدث عن فرق الخوارج وما تميزت به كل فرقة من عقائد وآراء ، نتحدث عن المبادئ العامة التى تجمع هذه الفرق ، أو قال بها معظمهم .

المبادئ العامة للخوارج :

١ - اكفار علي وعثمان والحكمين عمرو بن العاص وأبى موسى الاشعرى ، وأصحاب الجمل وكل من رضى بتحكيم الحكمين .

٢ - تكفير مرتكب الكبيرة ، واعتباره مخلدا فى النار

٣ - وجوب الخروج على الامام الجائر ، وأن الامامة تجوز فى غير قريش ، بل ان بعضهم جوّز ألا يكون للناس امام أصلاً[1] .

وقد استشهد الخوارج على هذه المبادئ ببعض النصوص التى فهموها فهما منحرفا ، وتمسكوا بظواهرها دون اعتبار لغيرها من الادلة التى تفسرها وتوضحها ، وهذا ناتج عن عدم معرفتهم فى الفقه وعدم فهمهم للسنن الثابته عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

يقول الامام ابن حزم فى وصفه لأسلاف الخوارج :

(كانوا أعراباً قرأوا القرآن قبل أن يتفقهوا فى السنن الثابته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن فيهم أحد من الفقهاء ، لا من أصحاب ابن مسعود ولا أصحاب عمر . . ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضا عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها)[2]

فرق الخوارج

يطلق كتاب الفرق على الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضى الله عنه حين جرى أمر

---

(١) د راسات فى الفرق للدكتور عرفان ص/ ٩٩

(٢) الفصل فى الملل والاهواء والنحل ٤ / ١٥٦

التحكيم ، اسم المحكّمة الاولى [١] ، وهؤلاء هم الذين اجتمعوا بحروراء ، وكانوا اثنى عشر ألف رجل ثم خرجوا الى النهروان ، وقد بقيت الخوارج على مذهب المحكمة الاولى الى أن ظهرت فتنة الازارقة فاختلفوا وأصبحوا فرقاً عديدة .

وأبرز هذه الفرق :

١ - الازارقــــة :

وهم أتباع نافع بن الازرق [٢] الذين خرجوا معه من البصرة الى الاهواز وغلبوا عليها وما وراءها من بلاد فارس فى أيام عبد الله بن الزبير وقتلوا عماله بهذه النواحى . ومن أبرز عقائدهم :

١ - تكفير عليٍ وعثمان وطلحه والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم ، وسائر المسلمين معهم ، وتخليدهم فى النار جميعا .

٢ - اباحة قتل أطفال المخالفين ونسائهم ، والقول بأنهم مخلدون فى النار مع آبائهم

٣ - اسقاط الرجم عن الزانى لعدم وروده فى القرآن الكريم .

٤ - تكفير كل من ارتكب كبيرة من الكبائر كفرملّة ، وأنه مخلد فى النار مع سائر الكفار [٣].

أما قولهم فى التقية والقعدة فى دار المخالفين فهذا ماسنتحدث عنه تفصيليا فى الفصل الثانى .

٢ - النجـــدات :

وهم اتباع نجدة بن عامر [٤] الذى خرج من اليمامة مع عسكره يريد اللحوق بالازارقـــة ،

---

(١) راجع : الفرق بين الفرق للبغدادى ص/ ٥٦ - ٦٢ ، التبصير فى الدين للاسفراييني ص/ ٤٥ - ٤٧ ، الملل والنحل للشهرستانى ١/ ١١٥ - ١١٨

(٢) هو نافع بن الازرق بن قيس الحنفى ، من أهل البصرة ، كان جبارا فتاكا ، قتل سنة ٦٥ هـ على مقربة من الاهواز (راجع ترجمته فى الاعلام ٧/ ٣٥١ - ٣٥٢)

(٣) الملل والنحل للشهرستانى ١/ ١٢١ - ١٢٢

(٣) هو نجدة بن عامر الحرورى الحنفى ، من بنى حنيفة قتل سنة ٦٩ هـ على يد أصحابه الذين خلعوه ، وقيل بل قتله أصحاب ابن الزبير (الاعلام ٨/ ١٠)

فاستقبله بعض الذين خالفوا نافع بن الازرق وأخبروه بما أحدثه من البدع والعقائد المنكرة، وبايعوه ، ثم اختلفوا عليه فى أمور نقموها منه وانقسموا الى ثلاث فرق .

ومن ابرز ماتميز به النجدات أنهم عذروا بالجهالة فى الحكم الاجتهادى وقالوا : الدين أمران : أحدهما : معرفة الله ، ومعرفة رسله عليهم السلام ، وتحريم دماء المسلمين يعنون موافقيهم - والاقرار بما جاء من عند الله جملة ، فهذا واجب على الجميع ، والجهل به لا يعذر فيه .

والثانى : ماسوى ذلك ، فالناس معذورون فيه الى أن تقوم عليهم الحجة فى الحلال والحرام ولذلك سموا النجدات العاذرية .

ومن عقائد النجدات أن من نظر نظرة أو كذب كذبة صغيرة أو كبيرة وأصر عليها فهو مشرك ، ومن زنى وشرب وسرق غير مصر عليه فهو غير مشرك (١)

٣ - الصفرية :

أصحاب عبد الله بن صفار (٢) ، خالفوا الازارقة والنجدات فى أمور منها :

١ - لم يكفروا مرتكب الكبيرة وانما قالوا : ماكان من الكبائر مما ليس فيه حد لعظم قدره مثل ترك الصلاه والفرار من الزحف ، فانه يكفر بذلك ، وقالوا : الشرك شركان : شرك هو طاعة الشيطان وشرك هو عبادة الاوثان ، والكفر كفران : كفر بانكار النعمه ، وكفر بانكار الربوبية .

٢ - وقال فريق منهم : كل ذنب له حد معلوم فى الشريعة لا يسمى مرتكبه مشركا ولا كافرا بل يدعى باسمه المشتق من جريمته ، يقال سارق وقاتل وقاذف (٣)

---

(١) الملل والنحل ١/١٢٢-١٢٤ وانظر : الفرق بين الفرق ص/٦٦ ، التبصير فى الدين ص/٥٢

(٢) هو عبد الله بن صفار الصريمى التميمى ، اختلف كتاب الفرق فى رئاسته لفرق الصفرية فقد نسب بعضهم هذه الفرقة لزياد بن الاصفر ، توفى ابن صفار سنة ٦٠هـ (الاعلام ٤/٩٣) .

(٣) التبصير فى الدين ص/٥٣ الملل والنحل ١/١٣٧

٤ - الاباضيـــة :

أصحاب عبد الله بن اباض[١] الذى كان مع نافع بن الازرق وانشق عنه وكان ذلك فى أيام معاوية رضى الله عنه ، لكن الشهرستانى يذهب الى أن عبد الله بن اباض هـــو الذى خرج على مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية[٢] ،والاباضية يؤكدون القـــول الاول[٣]

والاباضية اكثر الخوارج اعتدالا وأقربهم الى الجماعة الاسلامية تفكيرا[٤] ولذلك استمـــر وجودهم الى الان بينما انقرضت فرق الخوارج الاخرى ولم يبق لها وجود ،ومع ذلك فان للاباضية انحرافات خطيرة، ومن أبرز عقائدهم :

١ - يوالون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ويرون أنهما على النهج الاسلامى ،أما عثمان فانه قد عمل بالحق خلال السنين الست الاولى من خلافته ثم أحدث بدعا ، ولذلك كانـــت الثورة عليه مشروعة ، وقتله واجب، ويعتبر الاباضية أنفسهم أتباعا وأحفادا لاولئك الذين أقدموا على قتل عثمان رضى الله عنه[٥] .

٢ - ويرون أن عليا رضى الله عنه أخطأ فى أمر التحكيم ولذا وجبت البراءة منه ومحاربته[٦]

٣ - ويرون أن مخالفيهم من المسلمين ليسوا مشركين ولا مؤمنين ، ويسمونهم كفـــارا ويقولون عنهم انهم كفار نعمة، لاكفار فى الاعتقاد[٧]

---

(١) هوعبد الله بن اباض المقاعسي التميمي ،من بنى مرة،كان معاصرا لمعاوية، وعاش الـــى أواخر أيام عبد الملك بن مروان وتوفى سنة ٨٦هـ (الاعلام ٤/٦٢) .

(٢) الملل والنحل ١/١٣٤ وراجع: دراسة عن الفرق لجلى ص/٦٢

(٣) العقود الفضية فى الاصول الاباضية - سالم بن حمد الحارثى العمانى -ص/١٢١

(٤) تاريخ المذاهب الاسلامية لابى زهرة ص/٨٥

(٥) نشأة الحركة الاباضية للدكتور عوض خليفات ص/٥٧ - ٥٨

(٦) المرجع السابق ص/٦٢

(٧) تاريخ المذاهب الاسلامية لابى زهرة ص/٨٦

٤ - ويقولون ان دماء مخالفيهم حرام، ودارهم دار توحيد واسلام الا معسكر السلطان وتجوز شهادة المخالفين ومناكحتهم والتوارث منهم (١)

وقد تكونت نواة الاباضية فى البصرة ثم انتشروا فى الجزيرة وشمال افريقيا، واستطاعوا أن يكونوا لهم دولة فى عمان استقلوا بها عن الدولة العباسية (١٣٢ - ١٣٦هـ) وامتد نفوذها الى جزيرة زنجبار ولا تزال مبادئ الاباضية وافكارهم هى السائدة فى هذه الاماكن كما أقام الاباضية لهم دويلات فى ليبيا والجزائر ولا تزال طوائف منهم تنتشر فى بعض واحات الصحراء الغربية الى الان (٢)

موقف الاباضيــة مـن الخـوارج ؟

يعرف بعض الاباضية الخوارج بانهم (طوائف تخرج فى الاسلام ضالة، وهى فرق من فرق الاسلام رأسهم نافع بن الازرق ونجدة بن عامر وعبد الله بن الصفار وأتباعهم، خرجوا على أهل الحق فى زمن التابعين وتابعيهم، وحكموا على مرتكب الكبيرة من الذنوب بالشرك) (٣)

ويرى الاباضية أنفسهم أنه لا تجمعهم بالخوارج جامعة ولا يمتون اليهم بصلة، وان من الجرائم التى يقول بها مخالفوهم تسميتهم اياهم خوارج غمزا لهم وطعنا فى الدين (٤) .

ولا يكتفون بذلك بل انهم يقولون ان الخوارج فى نظر الاباضية مشركون .

والواقع أن المواقف العدائية التى اتخذها الاباضية من الازارقة والصفرية لا تمنع أن يكون لهم صلة بالخوارج، بل ان هناك مايشير الى وجود صلة وثيقة بين الاباضية وبين اوائل الخوارج وهم المحكّمة الأولى، ويؤكد هذا ماورد فى الرسالة التى يقال ان ابن اباض بعثها الى عبد الملك وفيها يصف سلفه من الخوارج بأنهم أصحاب عثمان الذين أنكروا عليه ماأحدث . . . .

---

(١) تاريخ المذاهب الاسلامية لابى زهرة ص/ ٨٦

(٢) دراسة عن الفرق لجلى ص/ ٧١

(٤) أصدق المناهج فى تميز الاباضية من الخوارج للشيخ سالم السيابى اسمائلى ص/ ٢٢

(٥) المرجع السابق ص/ ٢٩

(٦) المرجع السابق ص/ ٣٢

وأنهم أنكروا على علي التحكيم وفارقوه .

وهذا النص يثبت صلة الاباضية بالخوارج وأن عبد الله بن اباض يعتبر نفسه امتداداً للمحكمة الاولى (١)

أقوال العلماء فى تكفير الخوارج :

يرى جمهور علماء اهل السنة أن الخوارج غير كافرين ولا خارجين عن الملة، وان كان بعضهم قد حكم بكفرهم أخذاً بظاهر الاحاديث التى تصفهم بأنهم يمرقون من الدين (٢)

ويرجح الامام ابن تيمية قول الجمهور مستدلاً بفعل الصحابة رضى الله عنهم مع هؤلاء ، فيقول : (مما يدل على أن الصحابة لم يكفروا الخوارج ، أنهم يصلُّون خلفهم وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنه وغيره من الصحابة كانوا يصلون خلف نجدة الحرورى ـ وكانوا يحدثونهم ويفتونهم ويخاطبونهم كما يخاطب المسلم المسلم، كما كان عبد الله بن عباس يجيب نجده الحروري لما أرسل اليه يسأله عن مسائل . . .

وكما اجاب نافع بن الازرق عن مسائل مشهورة، وكان نافع يناظره فى أشياء بالقرآن كما يتناظر المسلمان ، ومازالت سيرة المسلمين على هذا . . . فانهم كانوا مجتهدين فى قتل كل مسلم لم يوافقهم مستحلين لدماء المسلمين وأموالهم . . . ومع هذا فالصحابة والتابعون لهم باحسان لم يكفروهم ولا جعلوهم مرتدين) (٣)

---

(١) دراسة عن الفرق للدكتور جلى ص/ ٦٧ وراجع نص رسالة ابن اباض فى العقود الفضية ص/ ١٣٥

(٢) راجع تفصيل اقوال العلماء فى ذلك فى كتاب (آراء الخوارج) للدكتور عمار الطالبى ص/ ١٧ - ٢٢

(٣) منهاج السنة ٣/ ٦٢

الفصل الثاني
موقف الخوارج من التقية

المبحث الاول : اختلاف الخوارج فى جواز التقية

- القائلون بتحريم التقية.
- القائلون بجواز التقية

المبحث الثانى : أحكام التقية عند الاباضية

- تعريف التقية عند هم
- مسالك الدين عند الاباضية
- مايجوز من التقية وما لا يجوز
- دار العدل ودار التقية

المبحث الاول

اختلاف الخوارج في جواز التقية

اشتهر الخوارج بالصراحة في القول ، والجهر بما يعتقدونه من آراء دون مراعاة لاحد أو خوف منه ، مع استخدام القوة في الدفاع عن آرائهم وقتال من يرونه مخالفا لهم ، وخروجهم المستمر على السلطة والصرامة في مواقفهم .

ومع ذلك فقد اختلفت آراؤهم في جواز التقية ، بل ان الافتراق الذى حصل بين صفوفهم كان من أحد أسبابه الرئيسة اختلافهم في جواز التقية .

ويمكننا أن نميز بين قولين رئيسين لهم في حكم التقية حيث ذهب الازارقة الى منع التقية وتحريمها وذهب الاخرون الى جوازها مع اختلاف بينهم في أحكامها .

القائلون بتحريم التقية :

من أبرز عقائد الازارقة أنهم يقولون ان التقية غير جائزة في قول ولا عمل (١).

وهم يرون أن التقية والسرية سمة المنافق ، ومن ليس على ثقة من نفسه ومن ايمانه (٢)

وقد استدل نافع بن الازرق على عدم جواز التقية بالادلة التالية (٣) :

١ ـ ان التقية تتنافى مع وجوب الجهاد ، ولذلك قال : (التقية لا تحل ، والقعود عن القتال كفر) (٤)

واحتج بقوله تعالى : (فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) (٥)

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١٢٢/١

(٢) آراء الخوارج للطالبي ١٣٣/١

(٣) (٤) الملل والنحل ١٢٥/١

(٥) سورة النساء / آية ٧٧

٢ ـ كما اعتبر أن التقية تتنافى مع قول الله تعالى فى وصف المؤمنين :

(يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومه لائم)(١)

وهذا ذم للذين يخافون الناس أو تكون خشيتهم من الناس كخشيتهم من الله ، وهذا فى رأيه من صفات أهل التقية

٣ ـ كما استدل بما ورد من آيات القرآن الكريم فى الامر بجهاد المشركين ، ومنها قوله تعالى : (وقاتلوا المشركين كافة)(٢) وقوله سبحانه : (انفروا خفافا وثقالا)(٣)

وهذا أمر عام دون استثناء لحال من الاحوال يجوز فيه القعود عن قتالهم على سبيل التقية(٤)

٤ ـ كما استدل على تحريم التقية بما وصف الله به القعدة فى قوله تعالى :

(وقعد الذين كذبوا الله ورسوله)(٥) ، فالقعود من صفات المكذبين لله ورسوله وهم غير المؤمنين)(٦)

٥ ـ أما ماورد من الادلة على جواز التقية ، ومنها قوله تعالى (الا ان تتقوا منهم تقاة)(٧)

فقد أجاب عنها نافع بان هذا كان فى أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام حين كانوا مقهورين ، وأما فى غيرهم مع الامكان فالقعود كفر(٨)

ولذلك نجد ان نافع حكم بكفر القعدة ولو كانوا موافقين له ، وحكم بكفر من لم يهاجر اليه .(٩)

---

(١) سورة المائدة / آية ٥٤

(٢) سورة التوبة / آية ٣٦

(٣) سورة التوبة /آية ٤١

(٤) الكامل للامام محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٦هـ) ـ ٢/١٧٧

(٥) سورة التوبة /آية ٩٠

(٦) آراء الخوارج ص/١٣٣

(٧) سورة آل عمران / آية ٢٨

(٨) الملل والنحل ١/١٢٥

(٩) المرجع السابق ١/١٢١

وقد جاء فى كتاب نافع الى اهل البصرة مايدل على تشديده على القاعدين وتحذيرهم من القعود حيث قال لهم :

(والله انكم لتعلمون ان الشريعة واحدة، والدين واحد ، ففيم المقام بين أظهر الكفار ترون الظلم ليلا ونهارا ، وقد ندبكم الله الى الجهاد ، فقال : " وقاتلوا المشركين كافة " ولم يجعل لكم فى التخلف عذرا فى حال من الاحوال ، فقال : " انفروا خفافا وثقالا " وانما عذر الضعفاء والمرضى والذين لايجدون ماينفقون ، ومن كانت اقامته لعلة ، ثم فضل عليهم مع ذلك المجاهدين فقال : " لا يستوى القاعدون من المومنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله "(١)(٢))

مناقشة هذه الادلة :

منشأ هذا القول عند نافع هو اعتقاده ان الاخذ بالتقية يتنافى مع وجوب الجهاد ، ولذلك احتج بالايات القرآنية التى تؤكد على فرضية الجهاد ، وتحذر من القعود والتخلف عنه .

والواقع ان الأخذ بالتقية لا يتنافى مع وجوب الجهاد ، لان الجهاد اصل من أصول هذا الدين ، بل هو ذروة سنام الدين ، أما التقية فهى رخصة مستثناة من الاصل فى حالة خاصة وهى حالة الاكراه والخوف ، فالمؤمن ان كان فى عز ومنعة لا يجوز له ان يأخذ بالتقية ، أما اذا كان مستضعفا غير قادر على دفع الظلم عن نفسه فانه يجوز له أن يتظاهر بموافقة أعدائه تقية وهذا من الرخص التى أباحها الاسلام تيسيرا على العباد .

واذا كان نافع قد ذكر فى كتابه الى أهل البصرة أن الله عذر الضعفاء والمرضى ، ومن كانت اقامته لعلة ، فان هذا القول يعد دليلا يناقض قوله بتحريم التقية ، لان المستضعف أو المكره معذور أيضا بنص الآية الكريمة (الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان)(٣)

وهذا حكم عام لا يختص بزمن دون زمن ، لان ماتعرض له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايذاء والقهر ، قد يتعرض له اى مسلم يقع فى الاسر او يجبر على المقام فى دار الكفر .

---

(١) سورة النساء / ٩٥

(٢) الكامل للمبرد ٢ / ١٧٩

(٣) سورة النحل / آية ١٠٦

- أما احتجاجه بقوله تعالى (اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله) وبقوله :
(ولا يخافون لومة لائم) فان هذا ايضا لا يصلح دليلا على تحريم التقية فى حالة الضرورة .

لان الذى يضطر الى استخدام التقية لابد أن يكون قلبه مطمئنا بالايمان والخشية من الله سبحانه ، وهو لا يستخدمها لدفع اللوم عن نفسه ، وانما يأخذ بها مضطرا لما يتعرض له من اكراه وخوف قد يؤدى به الى الموت .

والمسلم حال استخدامه للتقية لا يمكن ان تزول خشية الله من قلبه ، ولا يمكن أن تكون خشيته من الناس اكثر من خشيته لربه ، لانه يراقب الله فى أعماله ، ويعلم انه يقدم على أمر رخص له الله فيه ، ولابد له أن يكون قلبه مطمئنا بالايمان والا تحولت التقية الى كفر وردة .

ومع ان قول الازارقة بتحريم التقية يعد انحرافا عن الاسلام ، الا أن هذا الانحراف أقل بكثير مما وقع فيه الشيعة من الانحراف المقابل حيث توسعوا فى استخدام التقية وجعلوها أصلا من أصول الدين حتى صاروا اكثر الطوائف اشتهارا بالكذب .

يقول الامام ابن تيمية :

(الخوارج مع أنهم مارقون . . . ليسوا ممن يتعمد الكذب ، بل هم معروفون بالصدق ، حتى يقال ان حديثهم من أصح الحديث . . . أما الرافضة فأصل بدعتهم عن زندقة والحاد ، وتعمد الكذب فيهم كثير ، وهم يقرون بذلك حيث يقولون : ديننا التقية)[1]

القائلون بجواز التقية :

وهم النجدات والصفرية والاباضية ، وقد ذكر الشهرستانى[2] ان نجدة بن عامر ، ونافع بن الازرق اختلفا بعد أن كانا على قول واحد ، وكان سبب اختلافهما أن نافعا قال : التقية لا تحل ، وخالفه نجدة فقال : التقية جائزة ، واحتج بقوله تعالى : (الا ان تتقوا منهم تقاة)[3] وبقوله تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه)[4]

---

(١) منهاج السنة ١/٤٣ الطبعة المحققة

(٢) الملل والنحل ١/١٢٥

(٣) سورة آل عمران / آية ٢٨

(٤) سورة غافر / آية ٢٨

وقال بالقعود جائز والجهاد اذا أمكنه أفضل ،قال الله تعالى : (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما)(١) .

وهكذا كان الاختلاف بين نافع ونجدة فى حكم التقية سببا فى انشقاق نجدة عن نافع وقيام فرقة النجدات التى ظهرت لاول مرة بين الخوارج بهذا القول .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة :

(والنجدات قد أتوا بمبدأ عند الخوارج لم يسبقهم اليه أحد من الخوارج ، وهو مبدأ التقية بان يظهر الخارج أنه جماعى حقنا لدمه ، ومنعا للاعتداء عليه ، ويخفى عقيدته حتى يحين الوقت المناسب لاظهارها(٢))

وقد توسع النجدات فى التقية حتى قالوا انها جائزة فى القول والعمل كله ، وان كان فى قتل النفوس(٣) وهذا شذوذ واضح لم يقل به أحد ،لان قتل النفس التى حرم الله قتلها لا يجوز مهما كانت الضرورة ، والشيعة مع توسعهم فى التقية حرموا التقية فى قتل النفس كما سبق بيانه(٤)

وممن وافق النجدات فى القول بجواز التقية : الصفرية ،لكنهم قالوا : انها جائزة فى القول دون العمل ،كما جوزوا تزويج المسلمات من كفار قومهم فى دار التقية دون دار العلانية(٥)

وقد اشتهر القول بجواز التقية عن أبى بلال مرداس(٦) وهو الشخصية المحبوبة لدى جميع فرق الخوارج وتبين هذا من موقفه مع البلجاء المرأة الخارجية التى كان لها مواقف عنيد ضمن ابن زياد فقد قال لها ابو بلال مشفقا عليها من بطش ابن زياد :

(ان الله قد وسع على المؤمنين التقية ، فاستترى ، فان هذا المسرف على نفسه الجبار

---

(١) سورة النساء / آية ٩٥

(٢) تاريخ المذاهب الاسلامية ٨٢/١

(٣) الملل والنحل ١٢٤/١

(٤) راجع ص/ ٣١٦ من هذا البحث

(٥) الملل والنحل ١٣٧/١

(٦) هو مرداس بن حدير ، أحد بنى ربيعة، شهد صفين ، وكان ممن أنكر التحكيم على الامام على رضى الله عنه وفارقه مع أهل النهروان .

(راجع ترجمته فى العقود الفضية فى اصول الاباضية ص/ ١٠٧)

العنيد قد ذكـــرك)[(١)]

كما أن الاباضية قالوا بجواز التقية ،ولهم في ذلك أحكام كثيرة نتعرض لها تفصيليا في المبحث الثانـــى

---

(١) الكامل للمبرد ٢/١٥٢

المبحث الثاني

أحكام التقية عند الاباضية

معظم فرق الخوارج التى نجد عقائدها فى كتب التاريخ والفرق ، قد بادت ولم يبق لها أثر ، الافرقة الاباضية فانها لا تزال حتى الان ، ولها كتب في التفسيروالحديث والفقه موجودة ، ولذلك كان لابد من الحديث عن موقفهم من التقية وأحكام التقية عندهم بالرجوع الى مصادرهم مباشرة .

وقد عرف أحد علمائهم التقية بقوله :

(هى نظام سرى لحماية دعوة معينة ، يقوم صاحبها على التمويه أمام السلطات لحماية نفسه)(١)

كما عقد محدثهم المشهور الربيع بن حبيب(٢) فى كتابه الذى يسمونه (الجامع الصحيح) بابا بعنوان : (باب ماجاء فى التقية) أورد فيه الروايتين التاليتين(٣) :

١ - قال جابر سئل ابن عباس عن التقية فقال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : (رفع الله عن أمتى الخطأ والنسيان ومالم يستطيعوا وما أكرهوا عليه).(٤)

٢ - وقال ابن مسعود : (مامن كلمة تدفع عنى ضرب سوطين الا تكلمت بها ، وليس الرجل على نفسه بأمين اذا ضرب أو عذب أو حبس أو قيد).(٥)

وقد كان للتقية دورهم فى استمرار فرقة الاباضية وانتشارها ، وذلك لانهم التزموا الكتمان

---

(١) دراسات اسلامية فى الاصول الاباضية - بكير بن سعيد أعوشت - ص / ١٤٦

(٢) هو الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدى الازدى ، من أهل البصره ، أصله من عمان من أعيان المائة الثانية للهجرة ، توفى فى عمان سنة ١٧٠ هـ .
راجع ترجمته فى : دراسات اسلامية فى الاصول الاباضية - بكير أعوشت - ص / ١٣٠
تاريخ الادب العربى - كارل بروكلمان - ٣ / ١٦١ ، الاعلام ٣ / ١٤

(٣) مسند الربيع بن حبيب (الجامع الصحيح) - ٣ / ١٢

(٤) ورد قريب من لفظ هذا الحديث من طريق أهل السنة - راجع ص/ ٦٩ من هذا البحث.

(٥) ورد قريب من هذا الاثر عند اهل السنة - راجع ص/ ٩٣

والسرية خلال كثير من الفترات التاريخية ، حتى استطاعوا تأسيس دولة لهم فى أوائل القرن الثانى فى كل من حضرموت واليمن وعمان ، ولكنها لم تدم طويلا ، حيث قضى الامويون على دولتهم فى اليمن وحضرموت ، وقضى العباسيون على دولتهم فى عمان ، ولكن أباضية عمان استمروا فى تنظيم أنفسهم حتى أعادوا دولتهم من جديد سنة ١٧٧ هـ ، ومنذ ذلك التاريخ أصبح تاريخ عمان مرتبطا ارتباطا وثيقا بالمذهب الاباضى).(١)

مسالك الدين عند الاباضية :

قسم الاباضية مسالك الدين الى اربعة أقسام وهى : الظهور، والدفاع ، والشراء ، والكتمان (٢) وقد حصروا تنفيذ واجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من خلال المسالك الاربعة.

أما الظهور : فهو عندهم بروز الدولة بالمعنى السياسى المعبر عن السلطة الحاكمة

والدفاع : هو اجماع المسلمين على امام يعينونه عند محاربتهم العدو الذى دهمهم واحتل ديارهم واذا زال القتال زالت امامته .

والشراء : أن يبيع أربعون مسلما فما فوق انفسهم لله عزوجل ، ويعلنون الجهاد أمام السلطة الجائرة ، ويسمون أنفسهم بالشراة ، ولا يجوز لهم الرجوع الى ديارهم حتى ينقصوا عن ثلاثة رجال .

أما الكتمان : فهو عندهم أدنى درجة فى الجهاد ، ويتمثل فى عدم مساعدة الظالمين ، والابتعاد عن وظائفهم وانشاء جمعيات سرية لنشر عقائدهم .(٣)

وهذا المسلك هو الذى يسمونه التقية ، لانهم عرفوا التقية بأنها نظام سرى لحمايه دعوة معينه ،(٤) كما أوردنا سابقا .

ما يجوز من التقية وما لا يجوز:

نص الاباضية على جواز المعاريض عند التقية ، وأورد علماؤهم ما ورد من أمثلة للمعاريض

(١) نشأة الحركة الاباضية ـ للدكتور عوض خليفات ـ ص/ ١٧٠ - ١٧١
(٢) دراسات اسلامية فى الاصول الاباضية ـ ص/ ١٠٧
(٣) المرجع السابق ص/ ١١١ - ١١٣
(٤) المرجع السابق ص/ ١٤٦

الجائزة كما أوردوا قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لكم فى معاريض الكلام مندوحة عن الكذب .

وقول ابن عباس : ماأحب بمعاريض الكلام حمر النعم ، أى أفضل مايكون منها .

واستدلوا على جواز المعاريض بقول ابراهيم عليه السلام : انى سقيم ، وقوله : بل فعله كبيرهم هذا ، وقوله عن امرأته حين خاف عليها : هى أختى .(١)

وقالوا : يجوز للانسان ارضاء الذى يخشاه بالقول الذى يرضيه فى الظاهر ، وهو فى الباطن بخلافه ، لنفع يستجره أو لدفع ما يضره (٢)

أما الشهادة فلا تجوز له أن يأتى بها الا على وجهها ، ولا يزيد على ذلك حرفا واحدا وقيل ان كان من أحال الكلام ـ أى غيَّرَه عن وجهه ـ يريد بذلك اثبات حق أو ازالة شئ من الباطل أو اصلاحا بين اثنين لا يكون آثما ولا كاذبا ، ويجوز له ذلك .(٣)

وقالوا ان التصنع للذمى والسلطان الجائر جائز اذا كان يدعو الى دفع ضرره أو قضاء حاجة يستعين بها على أمر الدنيا ،(٤) ولا يخفى أن هذا الاطلاق فى جواز التقية للاستعانة على أمور الدنيا يعد خروجا عن الضوابط الشرعية ، لان التقية لا تجوز الا فى حالة الاكراه والخوف ، ولا تجوز لتحقيق مصلحة دنيوية أو الاستعانة على أمر دنيوى .

ويفرق الاباضية تفريقا دقيقا بين المداراة والمداهنة حيث ينقلون عن أحد علمائهم قوله : (كل شئ ينقص من آخرتك فتحمله فهو مداهنة)(٥)

دار العدل ودار التقيـــة :

يقولون انه مادام أهل العدل يقدرون أن يظهروا دينهم فى الدار ولو كان الغالب

---

(١) منهج الطالبين وبلاغ الراغبين ـ خميس بن سعيد الشقصى الرستاقى ـ تحقيق : سالم ابن حمد الحارثى ـ ص/ ٤٩١ ـ ٤٩٥

(٢) المرجع السابق ص/ ٤٩٢

(٣) المرجع السابق ص/ ٤٩٣

(٤) المرجع السابق ص/ ٤٩٦

(٥) المرجع السابق ص/ ٤٩٧

على أهلها أهل الضلال ، فالدار دار عدل ، اذا كانت نحلتها نحلة أهل العدل .

وان لم يقدروا ان يظهروا دينهم وتوسعوا بالتقية ، فقد زالت الدار من أيديهم الى أيدى المالك لها من أهل الضلال .

وقال بعضهم ان حكم أهل الدار حكم أهل النحلة والتدين ، ولا ينظر الى مالكها وسلطانها ، ولا يهدم حكم أهل العدل غلبة أهل الجور عليها ، فاذا كانت النحلة من أهل الدار صحيحة جارية على مذاهب اهل الاستقامة ، فلا يضر اهلها فى دينهم من ولاية وموافقة ماغلب عليه اهل الجور من الملك .

أما دار الكفر فهى الدار التى لا يسع المسلم أن يقعد فيها حتى يظهر دين الضلال والسمع والطاعة لاهل الضلال وموافقتهم على ضلالهم .

واذا صحت الدار أنها دار كفر على هذا الوجه ، كانت البراءة من جملة اهل الدار المشتمل عليها اسم الكفر جائزة ، ولا يجوز ان يبرأ من أحد منهم بعينه حتى يعرف موقفه .(١)

وبهذا الاستعراض لاحكام التقية عند الاباضية نجد التقارب الواضح بين ماذهبوا اليه فى هذا المجال وبين موقف أهل السنة من التقية ، ولذلك عدت فرقة الاباضية من أقرب الفرق الاسلامية الى أهل السنة .

وقبل ان نأتى الى ختام هذا البحث الذى تحدثنا فيه عن التقية ومانال مفهومها ومجالاتها من انحرافات ، نلخص أبرز ماتوصلنا اليه من نتائج لتكون ملخصا مفيدا يساعد القارئ على استيعاب هذا الموضوع وفهمه بتركيز اكثر .

---

(١) المرجع السابق ص/ ٧٢ ـ ٧٥

الخاتمة

وبعد جولتنا مع القارئ بين فصول هذا البحث نلخص أبرز ماتوصلنا اليه من نتائج ونشير الى بعض مانراه من اقتراحات ، مرتبة بحسب أهميتها .

١ - الاسلام الحق هو الوسط فى تشريعاته وأحكامه ، والفرق التى انحرفت عنه غالت فى أحد الجانبين ، فالشيعة توسعوا فى التقية وفتحوا بابها على مصراعيه وبعض الخوارج أغلقوا بابها كليا ، وكلاهما يخالف الفطرة وينافى روح التشريع الاسلامى ، وموقف الخوارج مضطرب بين تحريم كامل للتقية وبين إباحة لها كرخصة عارضة

٢ - التقية رخصة من رخص الاسلام التى شرعها الله سبحانه رفعا للحرج عن الناس ولها ضوابط وأحكام لابد من معرفتها قبل الاخذ بها ، ولكن الشيعة استغلوا هذه الرخصة ، وجعلوا منها منفذا لغلوهم ، وستارا لاخفاء عقائدهم المنحرفة وابتدعوا لها مجالات جديدة ليتوصلوا عن طريقها الى رد روايات أهل السنة وتأويل كل مايعارض انحرافاتهم من وقائع تاريخية ثابته ، وبهذا خرجت التقية عندهم عن مفهومها الشرعى الصحيح وأصبحت نوعا من أنواع الكذب وطريقا للخداع ومنفذا للغلو .

ولهذا نقول ان التقية الشرعية شئ ، والتقية الشيعية شئ آخر .

٣ - إن علماء الشيعة المعاصرين لا زالوا يعتقدون بما كان يعتقده اسلافهم من عقائد باطلة كالقول بتحريف القرآن الكريم ، والطعن فى الصحابة ، والغلو فى الائمة . . . ، وأن مايتظاهر به اولئك من نفى هذه العقائد هو تقية وخداع .

٤ - ان الخلاف بين أهل السنة والشيعة ليس فى الفروع كما ظن كثير من الناس وانما هو فى الأصول الثابتة ، ولهذا لا يتم التقريب بين الفريقين حتى يتأكد تراجع الشيعة عن عقائدهم المنحرفة ، اما ماقام به الشيعة من الدعوة الى التقريب بينهم وبين أهل السنة فهى خدعة كان الهدف منها تقريب مذهب السنة

الى الشيعة واكتساب الصبغة الشرعية لهم لتكون مساعدا لما يقومون به من اغراء الناس بالتشيع .

٥ - التقية مزلق خطر ، وباب قد يؤدي الى النفاق اذا فتح بدون ضوابط ولا قيود ولهذا كان الصبر والثبات وعدم استخدام التقية نوعاً من أنواع الجهاد لما فيه من إظهار عزة المسلم وارغام الأعداء واغاظتهم .

والحديث عن التقية بمفهومها الصحيح لا يعني إبرازها للناس ليأخذوا بها ، فهم لا يجهلون وجودها ، بل إن كثيراً منهم يتذرعون بها للتهرب من الاوامر الشرعية ويأخذون بها بلا ضوابط ولا قيود ، ولهذا كان لابد من تصحيح مفاهيم الناس الخاطئة عن أحكام التقية ، وفى هذا إرشاد للناس وتنبيه لهم وترشيد للصحوة الاسلامية المباركة .

٦ - من أخطر مزالق التقية أنها قد تؤدي الى تحول الذرية الى الكفر اذا طال استخدامها وهذا ماحصل لمسلمى الاندلس وكثير من مسلمى الاتحاد السوفيتى حيث نشأ جيل لا صلة له بالاسلام ولا يعرف شيئا عن تقية الآباء .

ولهذا كان الواجب على المسلم الذى يضطر الى مثل هذا العمل أن يسلك كل مايمكنه من سبل للتخلص من دار الكفر والنجاة بأولاده من براثنهم وتسلطهم ، وأن يبذل جهده لتلقين أولاده الاسلام مع الحذر والحيطة ، وليعلم أن أعزّ ما يملك هو هذا الدين .

٧ - وأوصي فى الختام بضرورة الاهتمام بأحوال الاقليات الاسلامية المستضعفة فى شتى بقاع الارض ، والدفاع عنها ومدها بالعون ، واتخاذ الاسباب لانقاذها مما هى فيه وتخفيف الوطأة عنها وتعليمها أحكام الدين .

وأسأل الله العلي القدير أن يعز المسلمين ويعلي راية الاسلام انه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين .



المصادر والمراجع

أولا : مصادر ومراجع أهل السنة (١)

١ ـ أحكام الرخص في الشريعة الاسلامية ، للدكتور حسين خلف الجبوري .
مكتبة المنارة ، مكة المكرمة ، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ .

٢ ـ أحكام القرآن ـ للامام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت ٣٧٠) .
دار الكتاب العربي ، بيروت ، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى سنة ١٣٣٥ هـ .

٣ ـ أحكام القرآن ـ للامام عماد الدين بن محمد الطبري المعروف بالكيا الهراس ، (ت ٥٠٤ هـ) .
تحقيق : موسى محمد علي ، الدكتور عزت علي عيد عطية ، دار الكتب الحديثة (بدون تاريخ) .

٤ ـ أحكام القرآن ـ للامام أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، (ت ٥٤٣ هـ) .
تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة بيروت ، (بدون تاريخ) .

٥ ـ أدب المفتي والمستفتي ـ للامام أبي عمرو ابن الصلاح (ت ٦٤٣ هـ) .
تحقيق : الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر ،
مكتبة العلوم والحكم ، المدنية المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ .

٦ ـ الأدب النبوي ـ للشيخ محمد عبد العزيز الخولي .
دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٢ .

٧ ـ أسباب النزول ـ للامام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري .
عالم الكتب ، بيروت (بدون تاريخ) .

---

(١) ذكرت هنا أبرز المصادر والمراجع التي رجعت اليها ، وهناك مراجع أخرى اكتفيت بذكرها في الهوامش إما لأن رجوعي اليها كان نادرا أو لأنني أحلت اليها لمن أراد التوسع ولكنني لم أنقل عنها .

٨ ــ الاستقامة ، للامام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)
تحقيق : الدكتور محمد رشاد سالم ، جامعة الأمام محمد بن سعـــود
الاسلامية ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ .

٩ ــ الاسماعيلية ، تاريخ وعقائد ، احسان الهي ظهير .
ادارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .

١٠ ــ اسلام بلا مذاهب ، للدكتور مصطفى الشكعة .
دار النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٧٢م .

١١ ــ الاسلام في وجه الزحف الأحمر ، للشيخ محمد الغزالي .
المختار الاسلامى ، القاهرة ، الطبعة السادسة ١٣٩٦ هـ .

١٢ ــ الاسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة ، للشيخ محمد بهجة البيطار .
رد على رسالة أرسلها اليه أحد الرافضه بتاريخ ٢٦/٣/١٣٨٢هـ .

١٣ ــ الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان .
للامام زين العابدين بن ابراهيم بن نجيم (ت ٩٧٠ هـ) .
تحقيق : عبد العزيز محمد الوكيل ، مؤسسة الحلبى وشركاه ١٣٨٧هـ .

١٤ ــ الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية .
للامام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى (ت ٩١١ هـ) .
دار احياء الكتب العربية ، بالقاهرة ، (بدون تاريخ) .

١٥ ــ الاصابة في تمييز الصحابة .
للامام أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن على الكنانى العسقلانـــى
المعروف بابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) .
دار الكتاب العربى ، بيروت .

١٦ ــ أصول الفقه ، للشيخ محمد أبو زهرة .
دار الفكر العربى ، ١٣٧٧ هـ .

١٧ ــ أضواء على العقيدة الدرزية ، أحمد الفوزان .
الطبعة الثانية ، ١٤٠٣ هـ .

١٨ ـ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، للامام فخر الدين الرازى .
مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٣٨ م .

١٩ ـ الأعلام ، خير الدين الرزكلى .
دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة السادسة ١٩٨٤م .

٢٠ ـ اعلام الموقعين عن رب العالمين ،
للامام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) .
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ .

٢١ ـ الاكراه في الشريعة الاسلامية ، للدكتور فخرى أبو صفية .
مطابع الرشيد ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ .

٢٢ ـ الاكراه وأثره في الأحكام الشرعية ، للدكتور عبد الفتاح الشيخ .
دار الكتاب الجامعي ، مصر ، الطبعة الاولى ١٣٩٩ هـ .

٢٣ ـ الاكراه وأثره في التصرفات ، للدكتور عيسى زكى عيسى محمد شقرة .
مكتبة المنار الأسلامية ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .

٢٤ ـ الامامة والرد على الرافضة ، للحافظ أبى نعيم الأصبهانى (ت٤٣٠هـ) .
تحقيق الدكتور على بن محمد بن ناصر الفقهى .
مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ .

٢٥ ـ الامام زيد ، حياته وعصره وآراؤه الفقهية .
للشيخ محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي .

٢٦ ـ الامام الصادق ، للشيخ محمد أبو زهرة .
دار الفكر العربي .

٢٧ ـ أوثق عرى الايمان ، للشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب
ضمن كتاب مجموعة التوحيد ، ابتداء من صفحة / ٣٦٦ ، مكتبة الرياض الحديثة ، (بدون تاريخ) .

٢٨ ــ الايمان ، للامام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)
المكتب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة عام ١٣٩٩ هـ .

٢٩ ــ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، للامام أبي بكر بن مسعود الكساني الحنفي (ت ٥٨٧ هـ)
دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ .

٣٠ ــ بداية المجتهد ونهاية المقتصر ، للامام محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المعروف بابن رشد الحفيد (ت ٥٩٥ هـ) .
دار الفكر ، بيروت ، (بدون تاريخ)

٣١ ــ البداية والنهاية ، للامام اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)
دار الفكر ، بيروت ١٩٧٨ م .

٣٢ ــ بذل المجهود في حل أبي داود ، للشيخ خليل أحمد السهارنفوري (ت١٣٤٦هـ)
دار اللواء ، الرياض ، (بدون تاريخ)

٣٣ ــ بطلان عقائد الشيعة ، للشيخ محمد عبد الستار التونسوي .
دار النشر الاسلامية العالمية ، باكستان ، (بدون تاريخ)

٣٤ ــ تاج العروس في جواهر القاموس ، للامام محمد ابن محمد ، مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)
دار مكتبة الحياة ، بيروت (بدون تاريخ)

٣٥ ــ تاريخ ابن خلدون ، المسمى (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر)
للامام عبد الرحمن بن خلدون المغربي
دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٦١ م .

٣٦ ــ التاريخ الأندلسي في الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطه ،
للدكتور عبد الرحمن علي الحجي .
دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ .

٣٧ ــ تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبرى)

للامام أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ)

تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثانية ١٩٧١ م .

٣٨ ــ تاريخ الصفويين وحضارتهم ، للدكتور بديع جمعة ، والدكتور أحمد الخولى .

دار الكتاب العربى ، مصر ، الطبعة الاولى ١٩٧٦ م .

٣٩ ــ تاريخ المذاهب الاسلامية ، للشيخ محمد أبو زهرة .

دار الفكر العربى (بدون تاريخ)

٤٠ ــ تبديد الظلام وتنبيه النيام ، للشيخ ابراهيم سليمان الجبهان .

مكتبة الحرمين ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ .

٤١ ــ التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين ،

للامام أبى المظفر الأسفرايني (ت ٤٧١ هـ)

تحقيق كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ

٤٢ ــ تحفة الفقهاء ، للامام علاء الدين السمرقندى (ت ٥٣٩ هـ)

تحقيق الدكتور محمد زكي عبد البر .

ادارة احياء التراث الاسلامى ، دولة قطر ، الطبعة الثانية .

٤٣ ــ تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق ، للامام فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفى .

دار المعرفة ، بيروت .

٤٤ ــ التسهيل في علوم التنزيل ، للامام محمد بن أحمد بن جزى الكلبى الغرناطى (ت ٧٤١ هـ)

تحقيق محمد عبد المنعم اليونسى ، ابراهيم عطوه عوض ، مطبعة حسان ، القاهرة .

٤٥ ــ التعريفات ، الشريف على بن محمد الجرجاني .

دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ .

٤٦ _ تفسير البحر المحيط ، للامام محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسى (ت ٧٥٤ هـ)
دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ .

٤٧ _ تفسير التحرير والتنوير ، للشيخ محمد طاهر بن عاشور .
الدار التونسية للنشر ١٩٦٩ م .

٤٨ _ تفسير القرآن الحكيم (الشهير بتفسير المنار) للشيخ محمد رشيد رضا .
دار المنار ، القاهرة ، ١٣٦٧ هـ .

٤٩ _ تفسير القرآن العظيم ، للامام اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤)
دار المعرفة ، بيروت ١٣٨٨ هـ .

٥٠ _ التفسير الكبير ، للامام محمد الرازى فخر الدين ابن ضياء الدين (ت٦٠٤هـ)
دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ .

٥١ _ التفسير والمفسرون ، للدكتور محمد حسين الذهبي .
دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، (بدون تاريخ)

٥٢ _ تلبيس ابليس ، للامام أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ)
ادارة الطباعة المنيرية ، الطبعة الثانية ١٣٦٨ هـ .

٥٣ _ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، للامام محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطى الشافعى (ت ٣٧٧ هـ)
تقديم وتعليق محمد زاهد بن الحسين الكوثرى ،
مؤسسة نشر الثقافة الاسلامية ١٣٦٨ هـ .

٥٤ _ الجامع لأحكام القرآن ، للامام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي (ت ٦٧١ هـ)
الطبعة الثانية (بدون تاريخ)

٥٥ _ جامع الأصول في أحاديث الرسول ، للامام مجد الدين المبارك بن محمد ابن الأثير الجزرى (ت ٦٠٦ هـ)
تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ .

٥٦ ـ جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، للامام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)

دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ .

٥٧ ـ جامع العلوم والحكم ، للامام ابن رجب الحنبلي .

دار الفكر ، بيروت .

٥٨ ـ حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ، للامام شمس الدين الشيخ محمد عرفة الدسوقي ، على الشرح الكبير لأبي البركات أحمد الدردير .

طبع دار احياء الكتب العربية ، بالقاهرة ، عيسى البابي الحلبي .

٥٩ ـ حاشية رد المحتار ، للامام محمد أمين الشهير بابن عابدين .

دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٨٦ هـ .

٦٠ ـ حاضر العالم الاسلامي (١) ، للأمير شكيب أرسلان .

دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٣٩٤ هـ .

٦١ ـ الحركات الباطنية في العالم الاسلامي عقائدها وحكم الاسلام فيها ، للدكتور محمد أحمد الخطيب .

مكتبة الأقصى ، عمان ، الاردن ، الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ .

٦٢ ـ الحسبة في الاسلام ، للامام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) .

تحقيق سيد بن محمد بن أبي سعدة ، الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ .

٦٣ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأمام أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ)

دار الباز ، مكة المكرمة ، (بدون تاريخ)

---

(١) أصل الكتاب من تأليف الكاتب الأمريكي : لوثروب ستودارد ، وترجمة الاستاذ عجاج نويهض ، وقد أضاف اليه الأمير شكيب أرسلان فصولا مهمة ، وهي الفصول التي اعتمدت عليها في هذا البحث ، ولذلك عزوت الكتاب اليه .

٦٤ ــ حملة رسالة الاسلام الأولون وما كانوا عليه في المحبة والتعاون ،

للشيخ محب الدين الخطيب .

ملحق بكتاب مختصر التحفة الاثني عشرية .

٦٥ ــ حياة الصحابة ، للشيخ محمد يوسف الكاندهلوى .

تحقيق نايف العباس ، محمد علي دولة .

دار القلم ، بيروت ، دمشق ١٣٨٨ هـ .

٦٦ ــ الخرشي على مختصر سيدى خليل ، للامام محمد الخرشي المالكى .

وبهامشه حاشية الشيخ علي العدوى ، دار صادر ، بيروت .

٦٧ ــ الخطوط العريضة للأسس التى قام عليها دين الشيعة الامامية الاثنى عشرية ،

للشيخ محب الدين الخطيب ، دار طيبة للنشر ، الرياض ، الطبعة

التاسعة .

٦٨ ــ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للامام عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين

السيوطي (ت ٩١١ هـ)

دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ .

٦٩ ــ دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية ، للدكتور عرفان عبد الحميد .

مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ .

٧٠ ــ دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ، للدكتور أحمد محمد أحمد جلي .

طباعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية ، الطبعة الاولى ١٤٠٦هـ

٧١ ــ الرد الكافى على مغالطات الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابة بين الشيعة

وأهل السنة ـ لإحسان إلهي ظهير .

ادارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ .

٧٢ ــ رسالة في الرد على الرافضة ، للامام أبو حامد محمد المقدسي (ت ٨٨٨هـ)

تحقيق عبد الوهاب خليل الرحمن ، دار السلفية ، بومباى ، الهند ،

الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ .

٧٣ — رسالة في الرد على الرافضة ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب .

تحقيق الدكتور ناصر بن سعد الرشيد ، دار طيبة ، الرياض (بدون تاريخ)

٧٤ — رسالة في كيفية المناظرة مع الشيعة ، للشيخ أحمد زيني دحلان .

(بدون تاريخ)

٧٥ — روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للامام محمود الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ)

دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ .

٧٦ — روضة الناظر وجنة المناظر ، للامام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ)

المطبعة السلفية ، القاهرة ، طبعة ١٣٩٧ هـ .

٧٧ — زاد المسير في علم التفسير ، للامام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت٥٩٦هـ)

المكتب الاسلامي ، الطبعة الاولى ١٣٨٤ هـ .

٧٨ — السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، للدكتور مصطفى السباعي .

المكتب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ .

٧٩ — سنن ابن ماجه ، للامام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (ت ٢٧٥ هـ)

تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ،بيروت ، (بدون تاريخ)

٨٠ — سنن ابي داود ، للامام أبي داود سليمان بن الاشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥ هـ)

تعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد ، دار الحديث ، حمص ،سورية ، الطبعة الاولى ١٣٩٤ هـ .

٨١ — سنن الترمذي ، للامام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة .

تحقيق : ابراهيم عطوة عوض، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

٨٢ — سنن النسائي ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الامام السندي .
دار الكتب العلمية ، بيروت .

٨٣ ـ السيرة النبوية ، للامام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافرى (ت ٢١٨هـ)
تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الأبيارى ، عبد الحفيظ الشلبى .
مؤسسة علوم القرآن ، الطبعة الثانية (بدون تاريخ)

٨٤ ـ السيف الباتر لأرقاب الشيعة الرافضة الكوافر .
للامام علي بن أحمد الهيتى (ت ١٠٢٩ هـ)
تحقيق محمد موسى حجازى السويطى ، رسالة ماجستير من الجامعة الاسلامية باشراف الدكتور عبد المنعم محمد حسنين ، شعبة العقيدة ، ١٤٠٥ هـ .

٨٥ ـ شرح منتهى الارادات ، للامام منصور بن يونس بن ادريس البهوتى (ت١٠٥١هـ)
عالم الكتب ، بيروت (بدون تاريخ)

٨٦ ـ الشيعة في التصور الاسلامى ، عمر علي فريج .
دار عمار للنشر والتوزيع ،عمان ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .

٨٧ ـ الشيعة وأهل البيت ، احسان الهى ظهير .
ادارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، ١٤٠٢ هـ .

٨٨ ـ الشيعة وتحريف القرآن ، محمد مال الله .
المكتبة الاسلامية ، عمان ، الأردن ،الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ .

٨٩ ـ الشيعة والتشيع فرق وتاريخ ، احسان الهى ظهير .
ادارة ترجمان السنة ، لاهور ،باكستان ،الطبعة الاولى ١٤٠٤هـ .

٩٠ ـ الشيعة والسنة ، احسان الهى ظهير .
ادارة ترجمان السنة ،لاهور ،باكستان ،الطبعة العاشرة ١٤٠١هـ .

٩١ ـ الشيعة والقرآن ، احسان الهى ظهير .
ادارة ترجمان السنة ،لاهور ،باكستان ،الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ .

٩٢ ـ الشيوعية والاسلام ، أحمد عبد الغفور عطار .
دار الاندلس ، الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ .

٩٣ ـ طائفة الاسماعيلية ،تاريخها ونظمها وعقائدها ، محمد كامل حسين .
الطبعة الأولى ، ١٩٥٩ م .

٩٤ ـ طائفة الدروز ، تاريخها وعقائدها ، محمد كامل حسين .
دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ١٩٦٨ م .

٩٥ ـ الصارم السلول على شاتم الرسول ،للامام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ،
ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ١٤٠٣ هـ .

٩٦ ـ الصحاح ، للامام اسماعيل بن حماد الجوهري .
تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ،الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ .

٩٧ ـ صحيح البخارى بحاشية السندى ،للامام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى
دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٨ م .

٩٨ ـ صحيح الجامع الصغير ، للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى .
المكتب الاسلامى ، الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ .

٩٩ ـ صحيح مسلم بشرح النووى ،للامام محى الدين أبو زكريا ، ابن شرف النووى ،
(ت ٦٧٦ هـ)
دار احياء التراث العربى ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ .

١٠٠ ـ الصراع بين الاسلام والوثنية ، عبد الله علي القصيمى .
الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ هـ ، القاهرة .

١٠١ ـ الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ،للامام أحمد بن حجر ،
الهيتمى (ت ٩٧٤ هـ)
دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ .

١٠٢ ـ صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة الجيل
المثالى عند أهل السنة والشيعة الامامية للشيخ أبي الحسن الندوى ،
نشر ادارة احياء التراث الاسلامى بدولة قطر ، (بدون تاريخ)

١٠٣ - العقائد الباطنية وحكم الاسلام فيها ، للدكتور صابر طعمية .
المكتبة الثقافية ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ .

١٠٤ - عقائد الدروز (عرض ونقض) ، محمد أحمد الخطيب .
مكتبة الاقصى ، عمان ، الطبعة الاولى ١٤٠٠ هـ .

١٠٥ - عقائد الشيعة في الميزان ، للدكتور محمد كامل سلامة الهاشمى .
(لم يذكر مكان الطبع ولا تاريخه)

١٠٦ - العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، للامام أبي الفرج عبد الرحمن ،
ابن علي ابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ)
تحقيق ارشاد الحق الأثرى ، ادارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ،
(بدون تاريخ)

١٠٧ - عمدة القارى ، شرح صحيح البخارى ، للامام بدر الدين أبي محمد محمود ،
ابن أحمد العينى (ت ٨٥٥ هـ)
دار احياء التراث العربى ، بيروت ، (بدون تاريخ) .

١٠٨ - عوارض الأهلية عند الأصوليين ، للدكتور حسين خلف الجبورى .
نشر معهد البحوث العلمية واحياء التراث الاسلامى بجامعة أم القرى ،
مكة المكرمة ، الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ .

١٠٩ - العواصم من القواصم ، للامام أبي بكر بن العربى المالكى (ت ٥٤٣ هـ)
تحقيق الشيخ محب الدين الخطيب ، دار الكتب السلفية ، القاهرة ،
الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ .

١١٠ - فتح البارى ، شرح صحيح البخارى ، للامام أحمد بن على بن حجر
العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ)
صححه محب الدين الخطيب ، المكتبة السلفية ، (بدون تاريخ)

١١١ - فجر الاسلام ، أحمد أمين
دار الكتاب العربى ، بيروت ، الطبعة الحادية عشرة ١٩٧٩ م .

١١٢ - الفرق بين الفرق ، عبد القاهر البغدادى (ت ٤٢٩ هـ)

دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٠ هـ .

١١٣ - الفصل في الملل والأهواء والنحل ، للامام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم

الظاهرى (ت ٤٥٦ هـ)

مكتبة الخانجى ، مصر ، (بدون تاريخ)

١١٤ - فضائح الباطنية ، للامام أبي حامد الغزالي .

تحقيق عبد الرحمن بدوى ، مؤسسة دار الكتب الثقافية ، حولى ، الكويت.

١١٥ - فقه الشيعة الامامية ومواضع الخلاف بينه وبين المذاهب الأربعة ،

للدكتور على أحمد السالوسى .

مكتبة ابن تيمية ، الكويت ، الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ .

١١٦ - فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة ، رسالة ماجستير من اعداد ، ناصر

عبد الله القفارى باشراف الدكتور صالح الفوزان ، جامعة الامام محمد

ابن سعود بالرياض ، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، ١٤٠١ هـ .

١١٧ - فيض القدير ، شرح الجامع الصغير ، للامام عبد الرؤوف المناوى .

دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ .

١١٨ - في ظلال القرآن ، للشهيد سيد قطب .

دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، الطبعة السابعة ١٣٩٨ هـ .

١١٩ - القاموس المحيط ، للامام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادى (ت٨١٧هـ)

دار الجيل ، بيروت ، (بدون تاريخ)

١٢٠ - قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، للامام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام

السلمى (ت٦٦٠هـ) - راجعه وعلق عليه : طه عبد الرؤوف سعد ، طبع القاهرة ١٣٨٨هـ.

١٢١ - القواعد في الفقه الاسلامى ، للامام ابن رجب الحنبلى (ت ٧٩٥هـ)

راجعه وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية ،

القاهرة ، الطبعة الاولى ١٣٩٢ هـ .

١٢٢ ـ القوانين الفقهية ، للامام محمد بن أحمد بن جزى الكلبى الغرناطى (ت٧٤١هـ)
الدار العربية للكتاب ، تونس ، ليبيا ، ١٩٨٢ م .

١٢٣ ـ الكامل في التاريخ ، للامام عز الدين أبي الحسن محمد بن محمد بن الاثير
دار صادر ، بيروت ١٣٨٥ هـ .

١٢٤ ـ الكامل في اللغة والأدب .
للامام أبى العباس محمد بن يزيد ، المعروف بالمبرد (ت٢٨٥هـ)
مكتبة المعارف ، بيروت .

١٢٥ ـ كشف الأسرار عن أصول فخر الاسلام البزدوى .
للامام علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخارى (ت ٧٣٠ هـ)
دار الكتاب العربى ، بيروت ١٣٩٤ هـ .

١٢٦ ـ كشف الخفاء ومزيل الالباس .
للامام اسماعيل بن محمد العجلونى الجراحي (ت ١١٦٢ هـ)
بتعليق أحمد قلاش ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ .

١٢٧ ـ لسان العرب ، للامام محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقى المصرى .
دار صادر ، بيروت .

١٢٨ ـ لسان الميزان ، للامام أحمد بن علي بن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ)
دار الفكر ، بيروت ، (بدون تاريخ)

١٢٩ ـ المبدع ، شرح المقنع ، للامام ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ،
ابن مفلح (ت ٨٨٤ هـ)
المكتب الاسلامى ، بيروت ، ١٣٩٤ هـ .

١٣٠ ـ المبسوط ، للامام أبي بكر شمس الدين السرخسي (ت ٥٧١ هـ)
دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية (بدون تاريخ)

١٣١ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للامام الحافظ نور الدين الهيثمي (ت٨٠٧هـ)
مؤسسة المعارف ، بيروت ، طبعة ١٤٠٦ هـ .

١٣٢ - المجموع ، شرح المهذب .

للامام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووى (ت ٦٧٦ هـ)

وبحاشية فتح العزيز ، شرح الوجيز للرافعى ، والتلخيص الحبير

لابن حجر العسقلانى ، مطبعة التضامن الأخوى بمصر ، ١٣٤٤ هـ .

١٣٣ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد بن تيمية .

جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصى وولده محمد .

طبع القاهرة ، ١٤٠٤ هـ ، باشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين

الشريفين فى المملكة العربية السعودية .

١٣٤ - محاكم التفتيش في الأندلس ، محمد على قطب .

مكتبة القرآن ، بولاق ، القاهرة .

١٣٥ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .

للامام أبي محمد عبد الحق بن عطية الغرناطى (ت ٥٤١ هـ)

تحقيق عبد الله بن أبى ابراهيم الأنصارى * عبد العال السيد ابراهيم

* محمد الشافعى صادق العنانى .

قطر ، الدوحة ، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ .

١٣٦ - المحلى ، للامام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت٤٥٦ هـ)

طبعة مصححه قوبلت على النسخة التى حققها الشيخ أحمد محمد شاكر ،

المكتب التجارى للطباعة والنشر ، بيروت ، (بدون تاريخ)

١٣٧ - مختصر التحفة الاثنى عشرية .

ألفه بالفارسية الشيخ شاه عبد العزيز الدهلوى .

ترجمه الى العربية سنة (١٢٢٧هـ) الشيخ غلام محمد الأسلمى ،

اختصره سنة (١٣٠١هـ) الشيخ محمود شكرى الالوسي ،

حققه الشيخ محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧٣هـ.

١٣٨ - المدخل الفقهي العام ، للشيخ مصطفى أحمد الزرقا .

مطابع ألف باء ، الأديب ، دمشق ، الطبعة التاسعة ١٩٦٨ م .

١٣٩ - مذاهب الاسلاميين ، للدكتور عبد الرحمن البدوى .

دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧٣ م .

١٤٠ - مسألة الامامة والوضع في الحديث عند الفرق الاسلامية ، محسن عبد الناظر .

الدار العربية للكتاب ، المغرب ، ١٩٨٣ .

١٤١ - المستدرك على الصحيحين .

للامام أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابورى الحاكم (ت ٤٠٥ هـ)

دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٤٢ - المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر .

للشيخ محمود شكرى الألوسى .

تحقيق الدكتور عبد الله الجبورى ، نشر دار العلوم ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ .

١٤٣ - المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، للدكتور محمد علي البار .

دار الشروق ، جدة ، الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ .

١٤٤ - المسند ، للامام أبي عبد الله أحمد بن حنبل .

وبهامشه منتخب كنز العمال - المكتب الاسلامى - بيروت .

١٤٥ - المصنف في الأحاديث والآثار .

للامام أبي بكر ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥ هـ)

تحقيق مختار أحمد الندوى ، الدار السلفية ، الهند ، الطبعة الأولى ،

١٤٠١ هـ .

١٤٦ - معالم التنزيل (المعروف بتفسير البغوى)

للامام ابى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى (ت ٥١٦ هـ)

مطبوع بهامش تفسير الخازن ، مكتبة مصطفى البابى الحلبى ، بمصر ،

الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ .

١٤٧ - معالم في الطريق ، للشهيد سيد قطب .

نشر : الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ، الكويت ١٣٩٨هـ .

١٤٨ - المعجم الوسيط ، قام باخراجه مجمع اللغة العربية في القاهرة .

باشراف : ابراهيم أنيس * عبد الحليم منتصر * عطية الصوالحي ،

* محمد خلف الله أحمد - طبعة إدارة إحياء التراث الاسلامي بدولة قطر

١٤٩ - المُغرِب في ترتيب المعرِب .

للامام أبي الفتح ناصر الدين المطرزي (ت ٦١٠ هـ)

تحقيق : محمود فاخوري * وعبد الحميد مختار ، طبع حلب ، (بدون تاريخ)

١٥٠ - المغني (مع الشرح الكبير) للامام موفق الدين ابن قدامة (ت ٦٣٠هـ)

دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ .

١٥١ - المغني في أصول الفقه .

للامام جلال الدين أبي محمد عمر بن محمد الخبازي (ت ٦٩١ هـ)

تحقيق الدكتور محمد مظهر بقا ، نشر مركز البحث العلمي واحياء

التراث الاسلامي بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ .

١٥٢ - مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين .

للامام أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري (ت ٣٢٤ هـ)

قام بتصحيحه (هلموت ريتر) ، الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ .

١٥٣ - الملل والنحل .

للامام محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت٥٤٨هـ)

دار المعرفة ، بيروت ، طبعة عام ١٤٠٠ هـ .

١٥٤ - مناقب الامام أحمد بن حنبل .

للامام أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)

تحقيق لجنة احياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة ، الطبعة

الثالثة ١٤٠٢ هـ .

١٥٥ - المنتقى في منهاج الاعتدال .

للامام أبي عبد الله محمد بن عثمان الذهبى (ت ٧٤٨ هـ)

تحقيق محب الدين الخطيب ، مكتبة دار البيان ، دمشق .

١٥٦ - من نهر كابل الى نهر اليرموك ، للشيخ أبي الحسن الندوى .

دار الهلال ، أنقرة ، تركيا ، ١٣٩٤ هـ .

١٥٧ - منهاج السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية .

للامام تقي الدين أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)

المطبعة الكبرى الأميرية ، بولاق ، مصر ، الطبعة الاولى ١٣٢٢ هـ .

وطبعة اخرى محققه بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، مكتبة الخياط ، بيروت .

١٥٨ - الموافقات في أصول الأحكام .

للامام ابراهيم بن موسى اللخمي المعروف بالشاطبي (٧٩٠هـ)

تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده ،

القاهرة ، (بدون تاريخ)

١٥٩ - مؤتمر النجف ، للشيخ عبد الله بن الحسين السويدى العباسي .

مطبوع مع كتاب الخطوط العريضة للشيخ محب الدين الخطيب ،

دار طيبة ، الرياض .

١٦٠ - الموسوعة الفقهية .

اصدار وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية في دولة الكويت ، الطبعة

الاولى ١٤٠٥ هـ .

١٦١ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال .

للامام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)

تحقيق : على محمد البجاوى ، دار احياء التراث العربية ، (بدون تاريخ)

١٦٢ - نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ، للدكتور علي سامي النشار .

دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة السابعة ١٩٧٧ م .

١٦٣ - نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية،للدكتور أحمد محمود صبحي .

دار المعارف ، مصر ، (بدون تاريخ)

١٦٤ - نظرية الضرورة الشرعية ، للدكتور وهبة الزحيلي .

مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ .

١٦٥ - نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج .

للامام شمس الدين محمد بن أبي العباس الرملي (ت ١٠٠٤)

دار احياء التراث العربي ، بيروت ، (بدون تاريخ)

١٦٦ - نيل الاوطار ، شرح منتقى الأخبار .

للامام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٥ هـ)

دار القلم ، بيروت ، (بدون تاريخ)

١٦٧ - الوشيعة في نقد عقائد الشيعة ، للشيخ موسى جار الله .

الطبعة الاولى ١٣٩٩ هـ ، الباكستان .

١٦٨ - الولاء والبراء في الاسلام ، للدكتور محمد بن سعيد بن سالم القحطاني .

دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ .

ثانيا : مصادر ومراجع الشيعة

١ ـ أبو طالب مؤمن قريش ـ عبد الله الشيخ على الخنيزى

المكتب العالمى للتأليف والترجمة ـ بيروت ـ الطبعة الاولى ١٣٨١ هـ

٢ ـ الاحتجاج ـ لأبى منصور أحمد بن على الطبرسى (من القرن السادس)

تعليق : محمد باقر الخرسان ـ دار النعمان ـ النجف ـ ١٣٨٥ هـ

٣ ـ أحسن الوديعة فى تراجم أشهر مشاهير مجتهدى الشيعة (أو: تتمة كتاب روضات الجنات

تأليف : محمد مهدى الموسوى الاصفهانى الكاظمى ـ مطبعة النجاح ـ بغداد ـ ١٣٤٧ هـ

٤ ـ الأختصاص ـ لمحمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣ هـ)

تعليق : على أكبر الغفارى ـ مكتبة الزهراء ـ قم ١٤٠٢ هـ

٥ ـ اختيار معرفة الرجال (المعروف برجال الكشي) ـ لأبى جعفر الطوسي (ت ٤٦٠هـ)

تعليق : حسن المصطفوى ـ طبع مشهد ـ بدون تاريخ

٦ ـ الارشاد ـ لمحمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣هـ)

منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ـ الطبعة الثالثة ـ بيروت ١٣٩٩ هـ .

٧ ـ الاستبصار فيما اختلف من الاخبار ـ لابى جعفر الطوسى (ت ٤٦٠ هـ)

تحقيق : حسن الموسوى الخرسان ـ دار الكتب الاسلامية ـ طهران ـ الطبعة الثالثة

١٣٩٠ هـ ق .

٨ ـ أصل الشيعة وأصولها ـ محمد الحسين آل كاشف الغطاء .

الطبعة العاشرة ـ القاهرة ١٩٥٨ م .

٩ ـ الأصول من الكافي ـ لابى جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكُلينى الرازى (ت٣٢٩هـ)

تصحيح وتعليق : على أكبر الغفارى ـ دار الكتب الاسلامية ـ طهران

الطبعة الثالثة ـ ١٣٨٨

١٠ ـ أضواء على خطوط محب الدين العريضة ـ عبد الواحد الانصارى

بدون تاريخ

١١ - إعلام الورى بأعلام الهدى - لابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)

تعليق : علي أكبر الغفارى - دار المعرفة - بيروت ١٣٩٩ هـ

١٢ - الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

لمحمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣ هـ) - منشورات المطبعة الحيدرية في النجف ١٣٦٩ هـ

١٣ - إكمال الدين وإتمام النعمة في إثبات الرجعة

لابن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ) - تقديم : محمد مهدى الموسوى الخرسان

طبع النجف - ١٣٨٩ هـ

١٤ - الى مشيخة الازهر - عبد الله السبتي

مطبعة دار الحديث - بغداد ١٣٧٥ هـ

١٥ - أمالي الشيخ الصدوق - لابن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)

ترجمة آية الله كمره اى - طهران ١٣٦٢ هـ

١٦ - أمالي الشيخ المفيد - لمحمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣ هـ)

تعليق : علي أكبر الغفاري - منشورات جماعة المدرسين في قم - المطبعة الاسلامية ١٤٠٣ هـ

١٧ - الإمام الصادق - محمد الحسين المظفرى

المطبعة الحيدرية - النجف - الطبعه الثانية - ١٣٦٩ هـ

١٨ - الإمامة في الاسلام - عارف تامر

دار الكاتب العربي - بيروت ، ومكتبة النهضة - بغداد

١٩ - الإمامة وقائم القيامة - الدكتور مصطفى غالب

دار ومكتبة الهلال - بيروت - ١٩٨١ م

٢٠ - أمل الآمل في تراجم علماء جبل عامل

لمحمد بن الحسن العاملي (ت ١١٠٤هـ) - تحقيق : السيد أحمد الحسيني

مكتبة الأندلس - بغداد - مطبعة الأداب في النجف - الطبعة المحققة الاولى ١٣٨٥هـ

٢١ ـ الانوار النعمانية ـ نعمة الله الموسوى الجزائرى (ت ١١١٢ هـ)
باشراف الحاج محمد باقر كتابجى حقيقت ـ تبريز ـ، والحاج سيد هادى بنى هاشم ـ
طهران
مطبعة شركت چاپ

٢٢ ـ أوائل المقالات فى المذهب والمختارات
لمحمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣ هـ) ـ تقديم وتعليق : فضل الله الزنجانى
طبع تبريز ـ ايران ـ ١٣٧١ هـ ق

٢٣ ـ بصائر الدرجات الكبرى فى فضائل آل محمد
لابن فروخ الصفار (ت ٢٩٠ هـ) ـ تعليق الحاج ميرزا محسن (كوجه باغى)
طبع مطبعة الاحمدى ـ طهران

٢٤ ـ تاريخ الامامية وأسلافهم من الشيعة ـ للدكتور عبد الله فياض
مؤسسة الأعلمى ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٩٥ هـ

٢٥ ـ تاريخ الدعوة الاسماعيلية ـ مصطفى غالب ـ دار الاندلس ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٦٥ م

٢٦ ـ تاريخ الشيعة ـ محمد حسين المظفرى ـ منشورات مكتبة بصيرتى ـ قم

٢٧ ـ تاريخ العلويين ـ محمد أمين غالب الطويل
دار الأندلس ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٦٦ م

٢٨ ـ تحف العقول عن آل الرسول ـ للحسن بن علي بن شعبة الحرانى (القرن الرابع)
تقديم : محمد الحسين الأعلمي ـ مؤسسة الاعلمى للمطبوعات ـ بيروت ـ الطبعة
الخامسة ١٣٩٤ هـ

٢٩ ـ تعارض الادلة الشرعية ـ تقريراً لابحاث السيد محمد باقر الصدر
تأليف : محمود الهاشمي ـ دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٧٥ م

٣٠ ـ تفسير التبيان ـ لابى جعفر الطوسى (ت ٤٦٠ هـ)
تحقيق : أحمد حبيب قصير العاملي ـ مكتبة الأمين ـ النجف ـ ١٣٨٨ هـ

٣١- تفسير الصافى - للفيض الكاشانى (ت ١٠٩١ هـ)

تعليق : ميرزا حسن الحسينى - تصحيح : أبوالحسن الشعرانى - طهران - بدون تاريخ

٣٢- التفسير الكاشف - محمد جواد مغنيه

دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٩٨١ م

٣٣- التوحيد - لابن بابويه القمى (ت ٣٨١ هـ)

بتعليق هاشم الحسينى الطهرانى - دار المعرفة - بيروت

٣٤- جامع الرواه وازاحة الاشتباهات عن الطرق والاسناد

لمحمد بن على الاردبيلي الغروي الحائري (القرن الحادى عشر) - منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي - قم - ايران - ١٤٠٣ هـ ق

٣٥- الجبهان سليل الشيطان - أحمد مغنية

الطبعة الاولى - ١٩٦٥ م

٣٦- الحصون المنيعة فى رد ما أورده صاحب المنار فى حق الشيعة - محسن الامين العاملى

مطبعة الاصلاح بدمشق - ١٣٢٧ هـ

٣٧- الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثنى عشرية - محمد حسن الأعظمي .

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - ١٩٧٠ م

٣٨- الحكومة الإسلامية (ولاية الفقيه) - روح الله الخمينى

محاضرات أُلقيت على طلاب علوم الدين فى النجف - ذ والحجة ١٣٨٩ هـ

٣٩- الخصال - لابن بابويه القمى (ت ٣٨١ هـ)

تصحيح وتعليق : على اكبر الغفارى - نشر مكتبة الصدوق - طهران ١٣٨٩ هـ

٤٠- رجال الطوسي - لابى جعفر الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)

تحقيق : محمد صادق آل بحر العلوم - المكتبة الحيدرية - النجف - الطبعة الاولى - ١٣٨١ هـ

٤١ ـ رسائل الشيخ المفيد ـ لمحمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣ هـ)
نشر مكتبة دار الكتب التجارية فى النجف ـ بدون تاريخ

٤٢ ـ روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات
لمحمد باقر المجلسى ـ تحقيق : أسد الله اسماعيليان ـ طبع قم ـ ١٣٩١ هـ ق

٤٣ ـ الروضة من الكافى ـ لابى جعفر الكلينى (ت ٣٢٩ هـ)
تصحيح وتعليق : على اكبر الغفارى ـ دار الكتب الاسلامية ـ طهران ـ الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ

٤٤ ـ السقيفة ـ محمد رضا المظفر
مطبعة الزهراء ـ النجف ـ ١٣٦٨ هـ

٤٥ ـ الشافى فى شرح أصول الكافى ـ عبد الحسين بن عبد الله المظفر
مطبعة الغري الحديثة ـ النجف ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٨٩ هـ

٤٦ ـ شرائع الاسلام فى مسائل الحلال والحرام
لابى القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن (ت ٦٧٦ هـ) .
تحقيق : عبد الحسين محمد علي ـ مطبعة الاداب فى النجف ـ الطبعة المحققة الاولى ١٣٨٩ هـ

٤٧ ـ شرح عقائد الصدوق ـ أو تصحيح الاعتقاد ـ لمحمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣ هـ)
تقديم وتعليق ـ هبة الله الشهرستانى ـ الطبعة الثانية ـ تبريز ـ ١٣٧١ هـ

٤٨ ـ شرح نهج البلاغة ـ لابن أبى الحديد (عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني) (ت ٦٥٦ هـ) ـ دار التراث العربى ـ بيروت

٤٩ ـ شرح نهج البلاغة ـ لكمال الدين ميثم بن على البحرانى (ت ٦٧٩ هـ)
المطبعة الحيدرية ـ طهران ـ ١٣٧٨ هـ

٥٠ ـ شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي ـ حياته ومؤلفاته
تأليف: محمد اقبال الانصارى ـ طبع عليكرة ـ الهند

٥١ - الشيعة بين الحقائق والاوهام - محسن الامين

الطبعة الثانية - ١٣٩٥ هـ - المطبعة العالمية - شقراء

٥٢ - الشيعة فى التاريخ - محمد حسن الزين

الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - دار الاثار - بيروت

٥٣ - الشيعة فى الميزان - محمد جواد مغنية

دار التعارف للمطبوعات - بيروت - الطبعه الرابعة ١٣٩٩ هـ

٥٤ - الشيعة والتصحيح : الصراع بين الشيعة والتشيع

للدكتور موسى الموسوى - طبع عام ١٤٠٨ هـ

٥٥ - الشيعة - تأليف : محمد صادق محمد حسين الصدر

طبع بغداد - ١٣٥٢ هـ

٥٦ - عقائد الامامية - محمد رضا المظفر

المطبعة العالميه بالقاهرة - الطبعة الثامنه - ١٣٩٣ هـ

٥٧ - عقائد الامامية الاثنى عشريه - ابراهيم الموسوى الزنجانى

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - الطبعة الثانيه - ١٣٩٣ هـ

٥٨ - عقيدة الشيعة فى الإمام الصادق وسائر الائمة .

تأليف : حسين يوسف مكي العاملي - دار الاندلس - بيروت - الطبعة الاولى - ١٣٨٢هـ

٥٩ - علل الشرائع - لابن بابويه القمى (ت ٣٨١ هـ)

تقديم : محمد صادق بحر العلوم - منشورات المكتبة الحيدرية - النجف ١٣٨٥ هـ

٦٠ - عيون أخبار الرضا - لابن بابويه القمى (ت ٣٨١ هـ)

تصحيح وتعليق : مهدى الحسينى اللاجوردى - انتشارات جهان - طهران

٦١ - الغدير فى الكتاب والسنة والأدب - عبدالحسين الأميني النجفي

دار الكتاب العربى - الطبعه الرابعة - ١٩٧٧ م

٦٢ - فرق الشيعة - للحسن بن موسى النوبختي (ت ٣١٠ هـ)

تقديم : هبه الدين الشهرستانى - دار الأضواء - بيروت - الطبعه الثانية - ١٤٠٤ هـ

٦٣ - الفروع من الكافي - لابي جعفر الكليني (ت ٣٢٩ هـ)

تعليق : على اكبر الغفارى - نشر دار الكتب الاسلامية - طهران - ١٣٦١ هـ

٦٤ - فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب

تأليف : حسين محمد تقي النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠ هـ) -

طبع طهران

٦٥ - الفصول المهمة في تأليف الأمة - عبد الحسين شرف الدين الموسوي

دار النعمان للطباعة والنشر - النجف - الطبعة الرابعة

٦٦ - فقه الإمام جعفر الصادق - عرض واستدلال

تأليف محمد جواد مغنية - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الاولى ١٩٦٥ م

٦٧ - الفهرست - لابن النديم (محمد بن اسحاق - ت ٣٨٥ هـ -)

دار المعرفة - بيروت

٦٨ - في ظلال الوحي - علي فضل الله الحسيني

دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٣٨٦ هـ

٦٩ - قلائد الدرر في بيان آيات الاحكام بالأثر

لاحمد الجزائري (ت ١١٥١ هـ) - مكتبة النجاح - النجف - ١٣٨٢ هـ

٧٠ - القواعد والفوائد " في الفقه والأصول والعربية "

تأليف : أبو عبد الله محمد بن مكي العاملي ، المعروف بالشهيد الاول - تحقيق

الدكتور السيد عبد الهادي الحكيم - نشر جمعية منتدى النشر - النجف - ١٩٨٠ م

٧١ - كتاب سليم بن قيس - المعروف باسم أبجد الشيعة

منشورات : دار الفنون بيروت ١٤٠٠ هـ

٧٢ - كتاب الينابيع - لأبي يعقوب السجستاني (ت ٣٣١ هـ)

تقديم وتحقيق : مصطفى غالب - المكتب التجاري - بيروت - الطبعة الاولى ١٩٦٥ م

٧٣ ـ كشف الارتياب عن أتباع محمد بن عبد الوهاب

تأليف محسن الأمين العاملي ـ مطبعة ابن زيدون ـ دمشق ١٣٤٦ هـ

٧٤ ـ كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار

تأليف : حسين محمد تقي النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠ هـ) ـ تعليق : علي الميلاني

مكتبة نينوى ـ طهران ـ الطبعه الثانية ـ ١٤٠٠ هـ

٧٥ ـ كشف الأسرار ـ روح الله الخميني

ترجمه عن الفارسية : الدكتور محمد البنداري ، علق عليه : سليم الهلالي .

تقديم الدكتور محمد أحمد الخطيب ـ دار عمار للنشر والتوزيع ـ عمان ـ الطبعة الاولى ـ ١٤٠٨ هـ

٧٦ ـ كشف الغمه في معرفة الائمة

لابي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي (ت ٦٩٣ هـ)

تعليق : هاشم الرسولي ـ طبع قم ـ ١٣٨١ هـ ق

٧٧ ـ كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ـ لابن مطهر الحلي (ت ٧٢٦ هـ)

والمتن : لنصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢ هـ)

تعليق : ابراهيم الموسوي الزنجاني ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ الطبعة الاولى ـ ١٣٩٩ هـ

٧٨ ـ الكنى والألقاب ـ عباس القمي

طبع صيدا ـ ١٣٥٨ هـ

٧٩ ـ اللمعة الدمشقية ـ لمحمد بن جمال الدين مكي العاملي (ت ٧٨٦ هـ)

وشرحها : الروضة البهية ـ لزين الدين الجبعي العاملي (ت ٩٦٥ هـ)

تصحيح وتعليق : السيد محمد كلانتر ـ منشورات جامعة النجف الدينية ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٨٨ هـ

٨٠ - لؤلؤة البحرين في الإجازات (التراجم لرجال الحديث والأثر)
ليوسف البحراني (ت ١١٨٦ هـ) تحقيق : محمد صادق بحر العلوم
مطابع النعمان - النجف - الطبعة الثانية ١٩٦٩ م

٨١ - مجمع البيان في تفسير القرآن - لابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)
دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٣٨٠ هـ

٨٢ - المختصر النافع في فقه الإمامية
لأبي القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلي (ت ٦٧٦ هـ)
مطبعه النعمان - النجف - ١٣٨٦ هـ

٨٣ - المراجعات - عبد الحسين شرف الدين الموسوي
مطبعة النعمان - النجف - الطبعة الخامسة - ١٣٨٨ هـ

٨٤ - مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية التي لا يجوز الاطلاع
عليها إلا بإذن مَن له العقد والحل - لمؤلف مجهول .
ضمن كتاب : (أربعة كتب اسماعيليه) . عني بتصحيحها : (ر. شتروطمان) - المجمع
العلمي غوتنيغن - أعادت طباعته بالاوفست مكتبة المثنى - بغداد

٨٥ - مستدرك نهج البلاغة - الهادي كاشف الغطاء
دار الاندلس - بيروت - الطبعة الثانيه - ١٩٨٠ م

٨٦ - مع أحمد أمين في حديث المهدي والمهدويه - لمحمد أمين زين الدين
طبع النجف - ١٣٧١ هـ

٨٧ - معجم رجال الحديث - لأبي القاسم الموسوي الخوئي
الطبعة الثانية - ١٣٩٨ هـ - النجف

٨٨ - مقاتل الطالبيين - لأبي الفرج الاصفهاني (ت ٣٥٦ هـ)
تقديم : كاظم المظفر - المكتبة الحيدرية - النجف - الطبعة الثانية - ١٣٨٥ هـ

٨٩ - المقالات والفرق - سعد بن عبد الله أبي خلف الاشعري القمي (ت ٣٠١هـ)

تصحيح وتعليق : د . محمد جواد مشكور - طبع طهران - ١٩٦٣ م

٩٠ - من لا يحضره الفقيه - لابن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)

تحقيق وتعليق : حسن الموسوي الخرسان - نشر دار الكتب الاسلاميه - طهـــران - الطبعه الخامسة ١٣٩٠ هـ

٩١ - الميزان في تفسير القرآن - محمد حسين الطباطبائي - طبع بيروت

٩٢ - النهاية في مجرد الفقه والفتاوى - لابي جعفر الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)

٩٣ - نهج البلاغة - بشرح الشيخ محمد عبده - دار البلاغة - بيروت - الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ

٩٤ - الهفت والاظله - المفضل بن عمر الجعفي

تحقيق وتقديم : عارف تامر - دار ومكتبة الهلال - بيروت - ١٤٠١ هـ

٩٥ - وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة

لمحمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ) - تصحيح : عبد الرحيم الربانـــي الشيرازي

الطبعة الثانية - دار احياء التراث العربي - بيروت .

ثالثا ـ المصادر الزيدية

١ ـ العلم الشامخ فى تفضيل الحق على الاباء والمشايخ .

للشيخ صالح بن مهدى المقبلى (ت ١١٠٨ هـ) ـ الطبعة الاولى ١٣٢٨ هـ

٢ ـ قواعد عقائد آل محمد (الباطنية) .

للامام محمد بن الحسن الديلمى اليمانى (ت ٧١١ هـ)

تقديم : محمد زاهد الكوثرى ـ نشر مكتب الثقافة الاسلامية ١٣٦٩ هـ

٣ ـ نصرة مذاهب الزيدية ـ للصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ)

تحقيق الدكتور ناجى حسن .

رابعا ـ المصادر والمراجع المتعلقه بالخوارج

١ ـ آراء الخوارج ـ للدكتور عمار الطالبى

الكتب المصرى الحديث للطباعه والنشر ـ الاسكندريه

٢ ـ أصدق المناهج فى تمييز الاباضية من الخوارج

للشيخ سالم بن حمود بن شامس السيابى السمائلى

تحقيق الدكتورة : سيدة اسماعيل كاشف ـ نشر وزارة التراث القومى بسلطنه عمان

طبع القاهره ١٩٧٩

٣ ـ دراسات اسلاميه فى الاصول الاباضية

تأليف : بكير بن سعيد أعوشت

الطبعة الثانيه ـ بدون تاريخ

٤ ـ العقود الفضيه فى الاصول الاباضية

تأليف ـ سالم بن حمد بن سليمان الحارثى العمانى

دار اليقظه العربية ـ لبنان

٥ ـ مسند الربيع بن حبيب بن عمر الازدى (الجامع الصحيح) . (ت ١٧٠ هـ)

مكتبة الثقافه الدينية بمصر ـ بدون تاريخ

٦ - منهج الطالبين وبلاغ الراغبين .
للشيخ : خميس بن سعيد الشقصي الرستاقي
تحقيق : سالم بن حمد بن سليمان الحارثي - طبع وزارة التراث القومي - والثقافة بسلطنة عمان

٧ - نشأة الحركة الاباضيه - للدكتور عوض خليفات
طبع ١٩٧٨

خامسا - مراجع أخرى

١ - أصول الاسماعلية - للدكتور برنارد لويس
نقله الى العربية : خليل احمد جلو ،جاسم محمد الرجب
قدم له : د . عبد العزيز الدوري - طبع بدار الكتاب العربي بمصر

٢ - تاريخ الادب العربي - كارل بروكلمان
نقله الى العربية : الدكتور عبد الحليم النجار - دار المعارف بمصر - الطبعة الثالثة

٣ - التقية أصولها وتطورها - للدكتور كامل مصطفى الشيبى (١)
مقالة نشرت فى مجلة كلية الاداب بجامعة الاسكندرية - العدد / ١٦ ،سنه ١٩٦٢ - ١٩٦٣ .

٤ - دائرة المعارف الاسلامية
اصدار بعض المستشرقين تحت رعاية الاتحاد الدولي للمجامع العلمية
أعد الطبعة العربية : ابراهيم زكى خورشيد ،احمد الشنتناوى ،د . عبد الحميد يونس
طبع دار الشعب بالقاهرة- بتعليق الشيخ احمد محمد شاكر

٥ - الصله بين التصوف والتشيع - للدكتور كامل مصطفى الشيبى .
دار المعارف بمصر - الطبعة الثانيه

(١) لم اذكر مؤلفات الدكتور الشيبى فى قائمة مراجع اهل السنة لما لاحظته من ميوله الشيعيه الواضحة وخاصة فى حديثه عن التقية ،راجع ص/ ٢٦٠ من هذا البحث

٦ ـ الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري

للدكتور كامل مصطفى الشيبي ـ مكتب النهضه ـ بغداد ـ الطبعة الاولى ١٩٦٦ م

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	رقم الصفحـــة

الموضـــــوع	رقم الصفحـــــة

الموضـــــوع	رقم الصفحـــــة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة

